



جامعة وهران 2
كلية العلوم الاجتماعية
أطروحة

للحصول على شهادة دكتوراه علوم في الأنثروبولوجيا
المدرسة الدكتورالية في الأنثروبولوجيا

الممارسات السياحية في المحطات الحموية
بين المحافظة على التراث والتنمية السياحية
-دراسة أنثروبولوجية بحمام قرقور بمنطقة سطيف-

مقدمة ومناقشة علنا من طرف:

الطالب (ة): حكيمة عدال

تحت إشراف: مراد مولاي حاج

مساعد المشرف: مامي زرارقة فيروز

أمام لجنة المناقشة

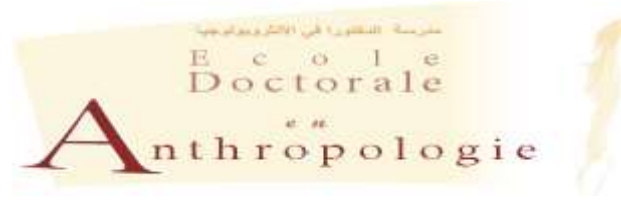
اللقب والاسم	الرتبة	المؤسسة الأصلية	الصفة
الجنيد حجيج	أستاذ	جامعة وهران 2	رئيسا
مراد مولاي حاج	أستاذ	جامعة وهران 2	مشرفا
مامي زرارقة فيروز	أستاذ	جامعة سطيف 2	مشرفا مساعدا
مالك شليح توفيق	أستاذ	جامعة وهران 2	مناقشا
سعيد محمد	أستاذ	جامعة تلمسان	مناقشا
لبعير بلعباس	أستاذ محاضراً	جامعة سيدي بلعباس	مناقشا

السنة: 2022/2021

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

مدرسة الدكتوراه في الأنثروبولوجيا



بالشراكة مع:

جامعة بن أحمد - وهران 2 (الجامعة المؤهلة)

جامعة عبد الحميد ابن باديس - مستغانم

جامعة عبد الحميد مهري - قسنطينة 2

جامعة مولود معمري - تيزي وزو

جامعة عبد الرحمان ميرا - بجاية

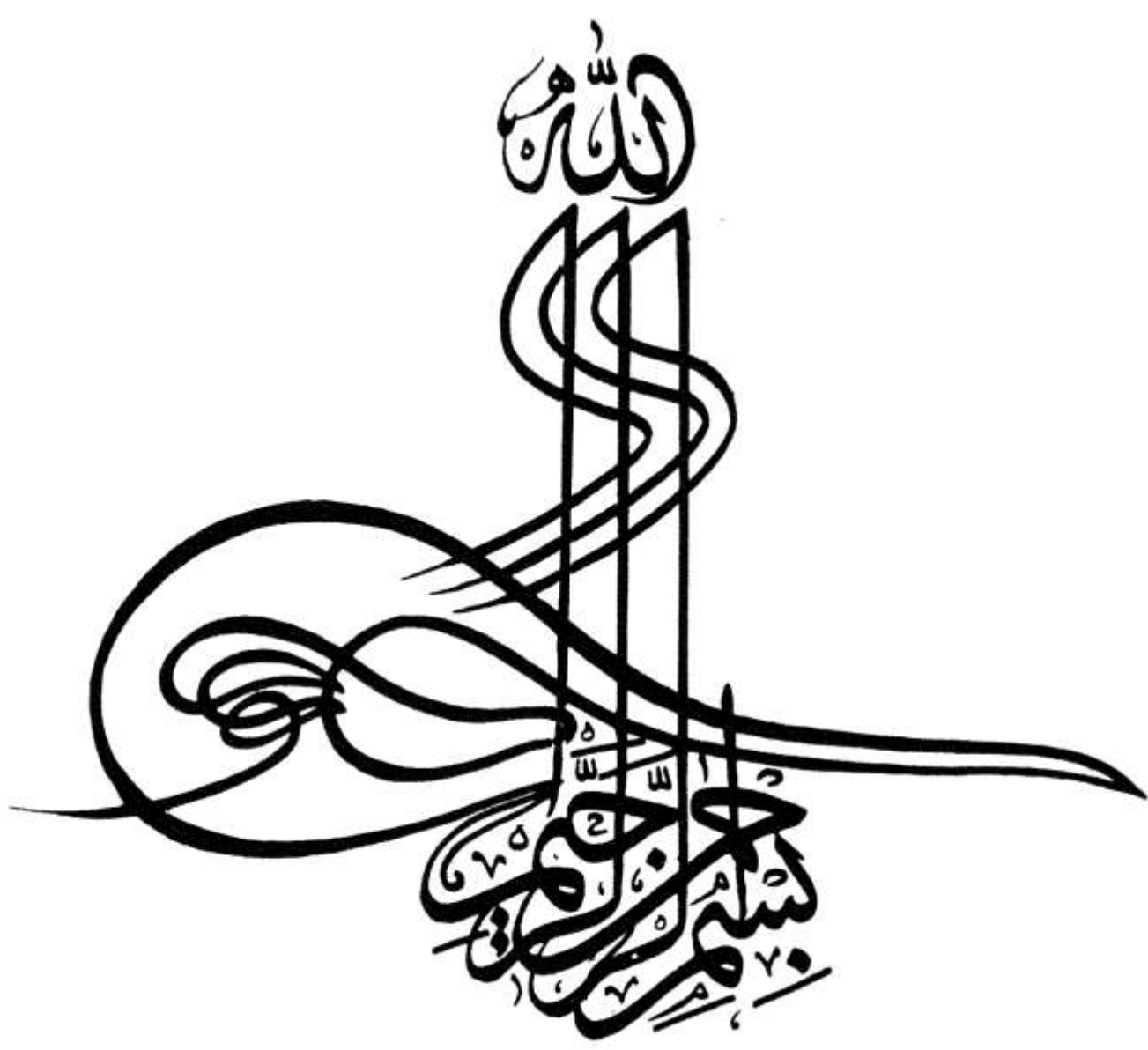
جامعة أحمد دراية - أدرار

جامعة خيضر - بسكرة

جامعة عرداية

المركز البحثي في الأنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية

السنة الجامعية 2021-2022



مشارة وتقدير

الحمد لله الذي جعل القلم آية نخطوبها خطواتنا نحو العلم والمعرفة والنجاح وصلي اللهم على حبيبك
المصطفى قدوتنا وبه نهتدي إلى مراتب العلى والفلاح

أتقدم

بأسمى عبارات الشكر والتقدير والامتنان إلى كل أساتذتي الأفاضل....

إلى أستاذي القدير الدكتور مراد مولاي حاج الذي فاض بصبره وطيب خلقه ويسر تعامله معنا لأجل
اكمال هذا العمل

إلى أستاذتي القديرة الدكتورة فيروز مامي زارقة أختي وصديقتي ورفيقة دربي والتي غمرتني بعطائها ولم
تبخل من زاد معرفتها

شكر موصول إلى كل قامات العلم في اللجنة العلمية الموقرة إلى:

الدكتور القدير حجيج جنيد إلى الدكتور القدير مالك شليح توفيق

إلى الدكتور القدير سعيدي محمد إلى الدكتور القدير لبعير بلعباس

لكم مني خالص الشكر والتقدير على قبولكم مناقشة هذا العمل المتواضع إلى كل من قدم لي يد العون
ولو بابتسامة

إلى الأسرة الجامعية بجامعة وهران - 2 أخص بالذكر حليلة، حورية، خضرة

الأستاذ سويح مهدي

إلى كل القائمين على مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية

إلى الأسرة الجامعية بجامعة سطيف 2

إهداء

إلى أبي وأمي وإخوتي.....

إلى زوجي سندي وقرّة عيني أبنائي.....

إلى زملائي وزميلاتي.....

إلى طلبة العلم ومحبي المعرفة.....

أهدي لكم ثمرة جهدي المتواضعة.....

فهرس المحتويات

1	مقدمة عامة
18	منهجية البحث
25	الفصل الأول: السياحة في الجزائر مقاربة أنثروبولوجية
26	مقدمة
27	أولا: الممارسة السياحية عبر التاريخ
39	ثانيا: الممارسة السياحية؛ أنواعها وأهميتها
43	ثالثا: أهمية السياحة:
47	رابعا: السياحة الأسس، المقومات، والخصائص
52	خامسا: الظاهرة السياحية في الجزائر بين الإمكانيات والخيبات
60	سادسا: السياحة مقاربات متعددة
95	خاتمة:
96	الفصل الثاني: سياحة التراث الحموي وممارستها في الثقافة الجزائرية
97	مقدمة
98	أولا: السياحة و الموروث الثقافي الحموي
123	ثانيا: الحمامات المعدنية وتجلياتها في الثقافة الجزائرية عبر العصور
141	ثالثا: المقومات التراثية الحموية بالجزائر
148	رابعا: أهمية السياحة الحموية في التنمية
166	خاتمة
167	الفصل الثالث: حمّام قرقور دراسة منوغرافية
168	مقدمة
169	أولا : مدينة سطيف ومؤهلاتها التراثية والسياحية
190	ثانيا : الملامح الأيكولوجية والسكانية لمجتمع الدراسة
200	ثالثا: الملامح الثقافية لمنطقة حمام قرقور
214	رابعا : حمام قرقور المعدني مقوم تراثي وسياحي
232	خاتمة
233	الفصل الرابع: الإستشفاء بمياه حمّام قرقور بين الاعتقاد والممارسة
234	مقدمة

236.....	أولاً: الممارسة الاستشفائية بمياه الحمامات المعدنية في المعتقد الشعبي
244.....	ثانياً: في رمزية الحمّام.....
272.....	ثالثاً: الحمام بين الواقعي والأسطوري.....
285.....	خاتمة.....
236.....	الفصل الخامس: حمّام قرقور تعايش بين العلاج الحموي والممارسة السياحية
287.....	مقدمة.....
288.....	أولاً: السياحة العلاجية تعايش بين الصحة والسياحة.....
303.....	ثانياً: الاستهلاك السياحي مقارنة أنثروبولوجية.....
321.....	ثالثاً: تمثلات الوافدين الزبائن للممارسات السياحية العلاجية.....
340.....	رابعاً: فن الضيافة تمثلات وممارسات.....
355.....	خاتمة.....
357.....	الفصل السادس: السياحة بحمّام قرقور بين الأصالة وتحديات المعاصرة.....
258.....	مقدمة.....
360.....	أولاً: السياحة والاصالة والبحث عن الماضي.....
390.....	ثالثاً: السياحة والحمّام ومظاهر التّغَيّر.....
399.....	رابعاً: عولة السياحة الحموية.....
411.....	خاتمة.....
413.....	خاتمة عامة.....
421.....	المصادر والمراجع.....

الملاحق

مقدمة عامة

اقتترنت الظاهرة السياحية منذ القدم بتطور الانسان و حضارته فكانت متنفسا له و مشبعا لرغباته وحاجياته، وفضاء لتعرفه على وسطه الطبيعي والاجتماعي والثقافي وفضولا منه لاكتشاف العوالم الأخرى، فدأب الإنسان منذ القديم إلى استغلال الطبيعة لما يعود عليه بالنفع الجسدي والمعنوي، وسعى دوما لتحقيق هاتين الغايتين من خلال التجمع على ضفاف الأنهار والينابيع بمختلف أنواعها فكانت علاقته بالماء علاقة أزلية تضرب جذورها في أعماق التاريخ البشري، وكان دافع الحفظ على الصحة سببا وراء انتقال السياح من موطنهم إلى الأماكن السياحية العلاجية ذات السمة التقليدية آن ذاك وبخاصة العيون المعدنية، قصد الاستشفاء من الأمراض، وقد تطوّرت بعدها الممارسة السياحية العلاجية على مر العصور، وساد اعتقاد في الحقب الغابرة بأن المنابع المعدنية أماكن مقدسة حيث أرجعوا سبب شفائهم إلى القوى الغيبية فعبدوا الأنهار والأودية والبحار والمنابع المتفجرة من باطن الأرض وجعلوا لها إله يشفي الأسقام فتسمت الممارسات المصاحبة للاعتقادات هذه بالنظرة الطقوسية والسحرية للاستشفاء بمياه المعدنية وخاصة منها الينابيع الحارة فكانت من أقدم الأماكن التي جمعت بين راحتي الجسد والنفس معا، وقد عمد الإنسان إلى استغلالها بشتى الطرق، وجعل من عملية الاستحمام طقسا ممارساتيا يجتمع فيه فعلا المقدس والمدنس، ليتجسد طقس الاستحمام في فضاء سمي بالحمامات والتي شكلت فضاءات اجتماعية وثقافية خصبة بالممارسات الطقوسية والتصورات والاعتقادات السحرية، فقد اعتبرها اليونانيون من أهم المرافق الحيوية التي تعنى بمختلف نماذج الراحة والترفيه كقاعات للرياضة وأخرى للمطالعة، والموسيقى وغيرها، فاحتلت حيزا هاما في حياتهم. وسار الرومان على نهج الإغريقين حيث أنهم ورثوا هذه الحمامات الجماعية الحارة منها، وقد أبدعوا في استغلالها، وبنائها ونحتها ومن أشهرها حمامات كركلا، التي تحمل على جدرانها فسيفساء بالغة الروعة وقد شيدت بهندسة معمارية فريدة من نوعها بقيت خالدة على مر السنين.

إن ما تم تشييده في الحضارات القديمة منها (اليونانية والرومانية) وذلك في خضم غزواتهم في العديد من نقاط العالم وخاصة فيما يخص بناء الحمامات، قد شكل إرثا معتبرا لمختلف البلدان المتوسطية، ومن أبرزها شمال إفريقيا، والتي كانت من بين النقاط المهمة في عملية التوسيع الحضاري، وقد شكلت عملية اكتشاف المصادر الحارة أهم عوامل الاستقرار خاصة مع إدراك منافعها العلاجية والجمالية وحتى الترفيهية فعمدوا إلى بناء محطات حموية أينما حلوا.

فجاءت الحضارات اللاحقة وفندت فكرة الحمامات لكن بنوع من الخصوصية الثقافية والحضارية، فمثلا مع مجيء الإسلام لم تلغى فكرة الحمام وعملياته ولكن قد وضعت قوانين وضوابط أخلاقية تنظم الممارسة الاستحمامية، وعملية ارتياد الحمامات، فأوضحت الحقائق التاريخية أن المدينة الإسلامية قد تضاعف فيها عدد الحمامات بشكل كبير وخاصة لأنها تقترن بأهم سمة في الإسلام وهي الطهارة لأجل أداء

فريضة الصلاة وقد ذاع صيت هذه المنشأة الاجتماعية في كامل الدول الإسلامية منها في الأندلس وبغداد ودمشق وغيرها. كما بلغت الحمّات أوج روعتها وبريقها في عصر الدولة العثمانية، فكانت ولا تزال ممارسة الاستحمام من بين أولويات الإنسان التركي بوجه خاص إذ أبدع في طرق ممارستها واستحضار مختلف الأدوات والعقاقير حتى بات الحمّام التركي أشهر الحمّات التي عرفت المجتمعات الإنسانية ولاسيما إذا ما كانت بمياه الينابيع الحارة التي منحها الطبيعة وجم الفوائد الصحية العلاجية والتجميلية لأجل أن يحقق المرء مختلف أنواع الراحة الجسدية منها والنفسية والاجتماعية. فقد عُرفت الحمّات المعدنية منذ أمد على أنها الطبيب الأكبر فتعددت منافعها على العديد من مجالات صحة الفرد، الاجتماعية والجسدية والنفسية. وفي هذا الصدد عرض "محمد بن حسين بيرم التونسي"¹ في كتابه "الحمّات المعدنية" أخذاً بكلام أبو قراط في الطب حيث قال: "من أراد أن يتمكن من الطب فلا بد أن يعرف هواء البلد ويحقق ذلك ويعرف أيضا ماءها ولهذا يتيسر من شفاء الأمراض على يد الطبيب المتوسط المخالط للبلد ما لا يتيسر للماهر الغير المخالط وأنا قد تعاطيت الطب بتونس نحو من أربعين سنة وخدمت ملوكا فتيسر لي من تجربة مياهها ما لم يتيسر لغيري" حيث خص بالدراسة حمّات المعدنية بتونس أشهرها على حد قوله حمّام الأنف بقابس حيث فصل في شرح منافعها وخصائص مياهها العلاجية ومجمل الاعتقادات التي كانت سائدة في تلك الفترة بين الناس حول المياه المعدنية.

هذا التراث الحموي الذي تزخر به العديد من البلدان المتوسطية يعد رأس مال ثقافي وسياحي أين أصبحت اليوم السياحة من أهم الصناعات التي تؤثر في اقتصاد الدول حيث تعد أهم مصادر الدخل ورتبة الاقتصاد الوطني إضافة إلى أنها نشاط تلتقي فيه العديد من القضايا الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والطبيعية وحتى السياسية منها الأمر الذي يجعل من السياحة ظاهرة متعددة الأبعاد.

ويأتي الاهتمام بالسياحة العلاجية كأحد أنماط السياحة وذلك بسبب تنامي الإقبال عليها حيث أن المحطات الحموية تعد قبلة لمختلف الفئات الاجتماعية التي تبحث عن الراحة والاستجمام إذ تعدد الجوانب السياحية في المحطات الحموية المعدنية فتتعايش فيها أنماط سياحية مختلفة مكتملة للسياحة العلاجية كالسياحة الترفيهية والإستجمامية، وحتى السياحة الثقافية. تعكس هذه الأنماط السياحية حاجة الفرد للراحة والاستجمام من جهة ومن جهة أخرى إلى الاستشفاء من أجل تحقيق الصحة واللياقة الجسدية والنفسية. حيث أن الحمّات المعدنية تعد فضاء مناسب وملاذا للباحثين على العلاج للعديد من الأمراض منها الجلدية، والروماتيزمية والتنفسية وغيرها.

¹ بيرم، محمد بن حسين (1908)، الحمّات المعدنية، مصر، مطبعة السعادة، ط1، ص.6.

الجزائر عروس المتوسط تمتلك تراثا طبيعيا وتاريخيا وثقافيا وحضاريا متميزا فأرضها الغناء لطالما كانت قبلة لمطامع الغزاة والأعداء فهي تسحر الزائر بشطآنها وسهولها وهضابها وبيدائها لتشكل فسيفساء أحكم الخالق صف منمنماتها فهام السائح حبا في أمصارها. وهي بلد يحوز على تراث حموي معتبر ذو امتداد حضاري ضارب في القدم، حيث شيدت على أثرها حضارات أدركت منافع مياهها المعدنية لأجل ممارسة التداوي والمتعة فخصتها بإقامة الحمّامات التي بقيت آثارها خالدة على مر الزمن تحكي عن ذاكرة أعظم حضارات العالم. تمتاز الجزائر بمقومات سياحية حموية هامة وقد بلغ عددها 282 حمّام حسب ما جاءت به آخر الإحصاءات بوزارة السياحة¹ شكلت هذه الحمّامات المعدنية ملاذ الكثيرين لما توفره للزائر من صحة واستجمام، وعلى سبيل المثال لا الحصر، حمام بوحجر، حمام ريغة، حمام المسخوطين، حمام الصالحين، حمام السخنة، وحمام قرقور وغيرها من الحمّامات التي تعدت شهرتها حدود الوطن لقد اختلف الأفراد في تفسيراتهم وتصوراتهم لمختلف هذه الحمّامات المعدنية في الجزائر، وغالبا ما ارتبطت بحكايات وأساطير تداولها الناس واتخذوها مرجعيات لهم، وفي بعض المرات قد اقترنت هذه الحمّامات المعدنية بفكرة الأولياء الصالحين وكراماتهم مما قد أضفى طابع القداسة عليها، واتخذها الناس في بعض الأحيان مزارات تتجسد فيها مختلف الممارسات الطقوسية والدينية

ومن بين الدراسات التي عالجت موضوع السياحة العلاجية أو ما يسمى بالحموي **Le Thermalisme** دراسة حميد سليمان (Hamid, SLIMANI, 2013)² حيث سعت هذه الدراسة إلى الكشف عن عملية إدماج التنمية المستدامة من طرف المحطات الحموية لمنطقة فاس-بولمان، وعليه الدراسة تقف على الإشكال التالي: في ظل أي شروط تساهم السياحة الحموية في التنمية المستدامة في منطقة فاس-بولمان؟ لهذا الغرض اعتمدت الدراسة على تحقيقين أحدهما للأهالي في الموقعين والثاني للمستثمرين ف السياح من خلال مقابلات نصف موجهة مع المسؤولين لدى البلديات والمجتمع المدني.

كون أن السياحة الحموية في الآونة الأخيرة تكتسب أهمية من طرف السياح ومن طرف الحكومات على المستوى العالمي ونظرا لأن منطقة فاس-بولمان تتمتع بمواقع حموية هامة حددت السلطات العمومية أهداف و خطة عمل لتطوير هذا النوع من السياحة الحموية في هذه المنطقة ي حين أن نجاح هذه السياحة الحممامات المعدنية) يعتمد على متغيرات أخرى طبيعية خارجية لكي تضمن ازدهارها واستثمارها، كالبينة والمجتمع والسائح (الزبون) الذي يطلب أكثر من منتج ذو نوعية ويحترم نموذج E4 المقترح من طرف Pascal Cwélier، والتجهيزات والتأطير والبيئة، هم متغيرات بمثابة الدعائم للتنمية المستدامة. لتخلص الدراسة

¹ وزارة السياحة والصناعات التقليدية (2019). مخطط التنمية السياحية الحموية في الجزائر.

² SLIMANI, H. (2013), Le Thermalisme et le développement durable dans la région de Fès-Boulemane, D. Mohamed Belarbi Alaoui, Lidou, Fès (Maroc).

إلى أن موقعا سيدي حزام و مولاي يعقوب أقل احتراما للبيئة الطبيعية، كما أن موقع سيدي حزام له تأثير سوسيو ثقافي سلبي نسبيا، وأن الممارسة الحموية في الموقعين إيجابي وسلبي بنفس القدر على الصعيد السوسيو اقتصادي والصحي، وعليه تم استخلاص نتيجة عامة مفادها أن الحموية في منطقة فاس بولمان لا تساهم بصفة مدمجة في التنمية المستدامة وأنه كثيرا من المجهودات التي يجب بذلها لتسمح لهذا المنتج السياحي بأن يكتسب وجهة سياحية دولية وبأن يساهم في التنمية المستدامة للمغرب .

تهتم الدراسة بأحد القضايا الهامة اليوم التي تشغل الرأي العام والخاص وهي التنمية، والتنمية السياحية المحلية إذ أنها تعد عملية توسيع في قاعدة الخدمات التي تلي حاجات السائح , فهي أحد أساليب تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وعليه فإن الدولة تعمل على تحقيق برامج التنمية بالمحطات السياحية وخاصة منها المحطات الحموية لأجل تحسين الخدمة السياحية بها من خلال تخطيط سياحي علمي متكامل يحقق أبعاد الاستدامة للتراث الحموي في ظل استغلال عقلائي ورشيد للموارد الطبيعية الحموية.

من جهته قدم الباحث (زياد سليمان العبيسات)¹ دراسة بعنوان: تقييم السياحة العلاجية في الأردن حيث هدفت الدراسة إلى تقييم واقع السياحة العلاجية في الأردن من خلال عملية تقييم شاملة لجميع الأطراف ذات العلاقة في قطاع السياحة العلاجية و المتمثل في مستوى الأداء للمؤسسات العلاجية العاملة وتقييم دور القطاع العام و الخاص في تطوير و تنشيط قطاع السياحة العلاجية في الأردن من خلال استطلاع رأي الجهات ذات العلاقة إضافة إلى تحليل و تقييم أنظمة التسويق في المؤسسات العلاجية و انعكاسها على عدد متلقي الخدمة من خارج الأردن . إذ تركز الدراسة على تحليل السياحة العلاجية في الأردن من خلال البحث في مفهوم و طبيعة السياحة العلاجية في الأردن و تحليل المقومات الطبيعية و البشرية و المزايا التي يتمتع بها الأردن سواء من مدخل الإطار الوطني المتمثل بجهود الجهات الحكومية أو من خلال موارده البشرية و مؤسساته العاملة و التي أهلته للارتقاء في هذا النمط من السياحة و مكانته من منافسة الدول الأخرى والتفوق عليها، إضافة إلى البحث في القدرة على استمرارية هذا النوع من السياحة. استهدفت الدراسة أربع مجتمعات للدراسة هي إدارة المستشفيات والمنتجعات الطبية، الأطباء، الهيئات والجهات الراعية، متلقي الخدمة في المستشفيات والمنتجعات الطبيعية تخلص الدراسة إلى النتائج التالية:

- وجود حالة ضعف في الأداء المؤسسي في مجالات إدارة الموارد والعمليات والقيادة.
- ضعف العلاقات التشبيك والشركات وعمليات التسويق المؤسسات العلاجية

¹ العبيسات، زياد سليمان (2012)، تقييم السياحة العلاجية في الأردن، إشراف كابد عثمان أبو صبيحة الأطروحة، قدمت لاستكمال شهادة الدكتوراه في الجغرافيا كلية الدراسات العليا الجامعة الأردنية.

- إن أهم عوامل الجذب السياحية في الأردن هي كفاءة الأطباء وحالة الأمن والاستقرار بالمملكة والتجهيزات الجيدة لعدة من المستشفيات
- ارتفاع الأسعار وأسعار الرعاية الصحية من أبرز عوامل ضعف السياحة العلاجية
- ظهرت أهمية كبيرة لدور شبكة العلاقات الاجتماعية في جذب المرضى من الخارج.

كما جاءت الدراسة للباحث "كينيان سان"¹ بعنوان "الممارسات السياحية في السفر المنظم ذاتيا في الصين" والتي هدفت إلى تقديم تقرير مفصل عن السفر المنظم ذاتيا في الصين، حيث أتاحت التحليلات الخاصة بالإستبيانات والمقابلات التي أجريت مع المسافرين المنظمين ذاتيا الذين التقوا في يونان الصينية ومحاولة فهم وكلاء السفر المنظم ذاتيا وإجراءات تحقيق الرحلة المنظمة ذاتيا وحالة السفر وتطوير الرحلة المنظمة ذاتيا. بالإضافة إلى تحليلات المقابلات مع السكان الأصليين في يونان التي أتاحت فهما أفضل لتأثيرات السفر المنظم ذاتيا على وجهات الصين المختلفة. وعليه تنطلق الدراسة من السؤال التالي من يمارس السفر المنظم ذاتيا في الصين وكيف يقومون بالرحلة منظمة ذاتيا وما هو وضع السفر المنظم ذاتيا في الصين؟ حيث أن خلال السنوات الأخيرة وعلى إثر التقدم الاقتصادي السريع في الصين وجودة الحياة وتراكم تجارب السفر أصبح السفر المنظم ذاتيا طريقة مختلفة من السياحة مفصلا بين ممارسات السياحة للمسافرين، كما أصبحت أماكن مثل مقاطعة يونان الصينية ذات المناظر الطبيعية وموطن الثقافات المحلية هي الوجهات المفصلة للسفر المنظم ذاتيا. لتخلص الدراسة إلى أن: الممارسات السياحية تختلف باختلاف دوافع الأفراد وأذواقهم في السفر وبشكل أكبر بحسب اختلاف طبقاتهم الاجتماعية إضافة إلى أن الممارسة السياحية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالمكان المقصود للسياحة، ولأن السفر المنظم ذاتيا يعد رحلة تتمتع بالاستقلالية والحرية فإن ممارسوه يقومون بنشاط أكبر للقيام برحلتهم.

دراسة للباحث "لي لو"² بعنوان "الممارسات السياحية للسياح الفرنسيين في الصين" تحاول هذه الدراسة الكشف على الممارسات السياحية للسياح الفرنسيين في الصين باعتبار الصين وجهة سياحية ناشئة عرفت في السنوات الأخيرة نموا قويا للغاية فيما يتعلق بالوافدين الدوليين بما في ذلك السياح من فرنسا. فالعديد من منظمي الرحلات السياحية قد طوروا الصين كوجهة في فرنسا وقاموا بوضع عدد من المنتجات في إطارها بأشكال مختلفة بحيث يكون لدى السياح الفرنسيين طرق مختلفة لتنظيم رحلاتهم إلى

¹ Qianyan, S. (2013) , Les pratiques touristiques en voyage auto-organise en chine, Directeur de Thèse (Philippe, Violier) , Géographie. Université d'Angers, Français.

² Li, J. (2012) , Les pratiques touristiques des touristes Français en Chine, Directeur de Thèse (Philippe, Violier) , Géographie. Ecole doctoral d'Angers, Français.

الصين وعليه فقد حددت الدراسة ثلاث جوانب للدراسة لأجل فهم أعمق للموضوع وهي الأماكن السياحية التي تمت زيارتها، والأنشطة السياحية التي يمارسونها، وخياراتهم نحو تنظيم الرحلات السياحية. حيث اعتمدت الدراسة على استطلاع والذي أجري في يونغ شو Yang shuo الصينية وذلك بين الفرنسيين السياح ويتعلق الأمر بشكل أساسي بالسياحة الحضرية والسياحة الثقافية بسبب هيمنة الفضاء الحضري والأنشطة الثقافية في زيارتهم لهذا البلد، علاوة على ذلك فإن السائحين الفرنسيين يسجلون بشكل خاص في الرحلات المنظمة التي يفرضها الوسطاء السياحيون للوصول إلى هذه الوجهة، وعليه فإنه يتم تقديم بعض التفسيرات من وجهات نظر التغيير الصيني والعاصمة السياحية لتوضيح كيفية اتخاذ خياراتهم فيما يتعلق بسبل تنظيم رحلاتهم إلى الصين. تمحورت إشكالية الدراسة حول التساؤلات التالية:

- ماهي ملامح السياح الفرنسيين المسافرين إلى الصين من هؤلاء السياح الفرنسيين الذين يعبرون آلاف الكيلومترات ويقضون وقتا طويلا نسبيا لزيارة هذا البلد؟

- ماهي الممارسات السياحية للسياح الفرنسيين في الصين، ما الذي يفعلونه بالضبط في هذه الوجهة، وكيف تسير رحلتهم السياحية إلى الصين وذلك للكشف عن خصائص الإقامة السياحية من خلال تحليل اختياراتهم للأماكن السياحية والأنشطة السياحية التي تتم هناك وكيفية تنظيم الرحلة إلى الصين؟ لتتوصل الدراسة إلى أن العاصمة السياحية لها دور فعال في تحقيق المشاريع السياحية من خلال تأثيرها على اختيار السائحين لطرق تنظيم رحلاتهم.

كذلك استعنا بالدراسة التي قدّمها كلّ من الباحثين "كريمة بن شريف" و"رايس عبد الحق"¹، في دور الابتكار التسويقي في السياحة العلاجية دراسة ميدانية للمركّب السياحي "حمام الصالحين" بسكرة إذ هدفت هذه الدراسة إلى التعرّف على أهمية الابتكار في مجال التسويق، وأهميته ودوره في تنشيط السياحة العلاجية، وكان مركّب السياحة "حمام الصالحين" مجالا للدراسة، واتخذ الباحثون من الملاحظة والمقابلة أداة مهمة في معرفة واقع الابتكار التسويقي بالمركّب السياحي محلّ الدراسة، من خلال الكشف عن دور هذه العملية في إنعاش السياحة العلاجية، من خلال الارتقاء بأداءات الخدمة العلاجية المقدمة للزبائن. ليخلصا في الأخير إلى وجود ضعف في مستوى التغيير والتّجديد على مستوى الخدمات المقدمة بالمركّب في مختلف النواحي المادية والبشرية، كالمعدّات والوسائل المستعملة، وكذا المهارات والمؤهلات لمقدّمي الخدمات بالمركّب، وكذلك ضعف في مستوى التدرّج السياحي بالمركّب، من خلال نقص في العمليات الإعلامية التي تساعد على تقديم الخدمة العلاجية بشكل فعّال، رغم

¹ بن شريف، كريمة ورايس، عبد الحق (2019)، "دور الابتكار التسويقي في السياحة العلاجية دراسة ميدانية للمركّب السياحي" حمام الصالحين بسكرة، مجلة اقتصاديات المالية والبنكية وإدارة الأعمال، مجلد5، العدد1، بسكرة.

وفي السياق نفسه تشير دراسة كل من الباحثين "مراد زايد، وبلقاسم تويزة"¹ والمعنونة بـ "المزيج الترويج وأهميته في تنشيط السياحة العلاجية بالجزائر، حالة مؤسسة التسيير السياحي لحمام ريغة" حيث هدفت الدراسة إلى الكشف عن أساليب الترويج السياحي وواقع السياسات الترويجية المعتمدة في المؤسسة، لأجل إشباع حاجات السياح وتلبية رغباتهم، وتحقيق مستوى عالٍ من الرضا عن الخدمات المقدمة للزبون، وعليه تمّ طرح التساؤل التالي: ما مدى مساهمة الترويج السياحي في تنشيط السياحة العلاجية في مؤسسة التسيير السياحي لحمام ريغة المعدني، لتخلص الدراسة في الأخير إلى أنّ المؤسسة السياحية لحمام ريغة تبذل مجهودات كبيرة من أجل إعداد برامج تسويقية، وذلك بالاعتماد على خصائص المنتج السياحي للمؤسسة (خدمات العلاج بالمياه المعدنية) لأجل جذب عدد متزايد من السياح خلال تقديم الخدمات وتحسينها، واستخدام استراتيجيّة التسعير والتخفيضات اللازمة، وكذا تخطيط عمليات ترويجية في مختلف وسائل الاتصال، من خلال إقامة المعارض كما تهتم المؤسسة بعملية التوزيع المباشر، بالاستناد على تفعيل وتنشيط مصلحة الاستقبال ونقاط البيع.

من جانب آخر جاءت دراسة الباحثين "بن أشهو سيدي محمد، وقصّاص زكية"²، للكشف عن واقع السياحة العلاجية الطبيعية في الجزائر، دراسة حالة الحمّامات المعدنية من خلال طرح الإشكال التالي: كيف يُمكن للمؤسسات الاستشفائية والسياحية المتركزة على الحمّامات المعدنية أن تُحقّق أعلى جودة ممكنة للسياح؛ لتخلص الدّراسة في الأخير إلى أنّ الجودة الجيّدة للخدمات الاستشفائية المقدّمة من طرف الحمّامات المعدنية تُساهم بشكل كبير في الرّفح من رضى السياح المرضى، وغير المرضى، وأنّ تتوقّر هذه الحمّامات على هياكل استقبال كالفنادق والمطاعم ومناطق الاستجمام، يُساهم بشكل فعّال في استقطاب سياح جُدّد.

لقد تمت الاستفادة من الدراسات السابقة في بناء الموضوع نظريا ومنهجيا، إلا أن أنه و من خلال عرض هذه الدراسات السابقة تبين لنا أنها اتجهت في معظمها إلى الجوانب الاقتصادية و ابراز أهميتها، وأن البعض منها قد طرح بعض الجوانب التسويقية، والجغرافية للظاهرة السياحية، وهذا قد يفرضه التوجه العلمي والتخصص بعبارة أدقّ، إلا أنها قد أغفلت أو تم تغييب الجوانب الثقافية والاجتماعية للظاهرة السياحية، وعليه فإن دراستنا الحالية وفق مقارنة أنثروبولوجية تجمع بين العديد من الزوايا السالفة الذكر.

¹ زايد، مراد وتويزة، بلقاسم، (2014)، "المزيج الترويج وأهميته في تنشيط السياحة العلاجية بالجزائر، حالة مؤسسة التسيير السياحي لحمام ريغة"، مجلة علوم الاقتصاد والتسيير والتجارة، المجلد 2، العدد 29.

² بن أشهو، سيدي محمد وقصّاص، زكية (2012)، "واقع السياحة العلاجية الطبيعية في الجزائر، دراسة حالة الحمّامات المعدنية حمام بو غرارة تلمسان"، مجلة دفاتر بوداكس، المجلد 01، العدد 02.

وعليه فقد اتخذت دراستنا الحالية مبدأ الشمولية في التحليل، حيث جمعت بين أبعاد الظاهرة السياحية وأبرز ما يميزها من ممارسات واعتقادات وتصورات، حيث أن الظاهرة السياحية في بعدها الاقتصادي تحيلنا إلى دراسات أنثروبولوجيا الاقتصاد والاستهلاك، الذي أشار له "مالينوفسكي" في أشهر دراساته، والذي يعد جزءاً لا يتجزأ من الثقافة وموضوع الهبة عند مرسيل موس، وإذا ما قلنا الحاجات الاقتصادية السياحية فإنه يحيلنا إلى اقتفاء الأثر النفسي في الظاهرة السياحية، والذي قد يكشف لنا عن جملة المؤشرات النفسية التي تكمن في الممارسة السياحية من حاجات ودوافع وغيرها، والتي بموجبها يتحدد سلوك السائح من جهة الطلب، ويتعين من جهة أخرى على أساسها العرض السياحي، كما أن هذه الدوافع هي التي تشكل عملية التصورات التي يحملها طرفي الممارسة السياحية (السائح_المضيف).

أما إذا قلنا أن الظاهرة السياحية هي ظاهرة اجتماعية بامتياز، فإنها تكشف لنا عن جملة العلاقات الاجتماعية المتداخلة بين مختلف أطراف المجتمع السياحي، كما أن جملة التمثيلات التي يحملها كل طرف من هذه الأطراف قد تكون من صلب البحث فيه في هذه الدراسة. وهذا البعد الاجتماعي يحيلنا إلى حتمية البعد الثقافي، أين تتحول السياحة إلى ظاهرة للتغير الثقافي، كما أنها قد تكشف لنا هذه الدراسة عن الصراع القائم بين الأصالة والتغير للظاهرة السياحية، باعتبار أن هذه الأخيرة أحد أوجه العولمة الثقافية، والتي يعمل الإعلام السياحي ذو الدور الريادي بتعميق الأثر ونشر الظاهرة السياحية.

كما أنّ الظاهرة السياحية ثقافياً تفصح لنا عن جوانب من الممارسات السياحية الكامنة وخاصة في الفضاءات المغلقة أين تتجسد فيه علاقة السياحة بالجسد والإثنية والهويات والتراث وغيرها. وعليه فإن الدراسة الحالية تقف على العديد من هذه النقاط وبشكل مستفيض متخذين بالنظرة الكلية والشمولية في التحليل والتفسير، وقد أتاحت لنا المقاربة الأنثروبولوجية الجراءة العلمية في خوض أغوار هذا الموضوع الذي يدور حول الممارسات السياحية في المحطات الحموية بالجزائر، من خلال الكشف عن مختلف الممارسات السياحية، وعلاقتها بالتراث الحموي (الحمامات المعدنية)، باعتبارها المورد الطبيعي الهام الذي تزخر به الجزائر، والذي قد ينعش السياحة الحموية والسياحة بصفة عامة، كما أن البحث قد يفصح لنا عن بعض المواضيع المسكوت عنها، أو المستترة في الظاهرة السياحية الحموية والتي قد تحمل خصوصية فضاء الحمام، خاصة بما يتعلق بالسائح وجسده، والمرض والصحة...إلخ.

وقد تنبثق جملة من الاعتقادات التي تشكل مضامين رمزية تغذي ممارسات الأفراد في هذا الفضاء الذي يتعايش فيه الاقتصادي والنفسي، والاجتماعي والثقافي في سيرورة متابعة متداخلة معقدة، كما أن الموضوع يربط بين أهمية التراث في دفع عجلة التنمية السياحية.

سوف نحلل المعطيات وفق إطار رمزي يكشف لنا عن جملة التصورات والتمثيلات التي يحملها مرادي الحمامات المعدنية حول طابع السياحة الحموية، والتي تتلخص في جملة الممارسات التي سوف تكشف عن واقع السياحة الحموية في الجزائر وبالخصوص في حمام قرقور.

تبحث أنثروبولوجيا السياحة في المضامين والأفعال الاجتماعية المختلفة، التي تتوحد وتتألف في فضاء سياحي معين، وتتخذ من التحليل الرمزي مدخلا لفهم وتفسير هذه الظواهر الثقافية السياحية المتنوعة، حيث تحول الاهتمام بالشكل والبناء الصوري والعلاقات الداخلية التي تربط وحدات البناء إلى الاهتمام بالأداءات والأفعال وكل الجوانب الرمزية والمعنوية المتضمنة فيه ومن خلاله يمكن الكشف عن التفاعل القائم بين التراث والإبداعات التي تُضفي عليه إضافات مستمرة، تضمن دوام الفنون الشعبية والتراثية وتأثيرها في الأفراد إذن تتجلى أهمية أنثروبولوجيا السياحة من الأشكال الرمزية التي تتألف منها الظاهرة السياحية إذ أن هذه الأخيرة هي جملة من العلاقات الاجتماعية والثقافية والنفسية و الخدماتية المتداخلة فيما بينها، فنجد أن الأنثروبولوجي وما له قدرة منهجية يستطيع بها تحليل هذه العلاقات كما يكشف عن الأسباب التي دفعت لقيام هذا النشاط السياحي وأيضا التنبؤ بكيفية تحسين وتطوير طابع الخدمات الذي يعود بالنفع على المجتمع من جهة ويعزز المحافظة على التراث من جهة أخرى.

إذن فإنّ الدّراسة الحالية وفق مقاربة أنثروبولوجية سوف تبحث في المعاني والدلالات التي يحملها السياح في حمام قرقور من أجل فهم وتفسير وتحليل ظاهرة السياحة الحموية، وكل ما يعترها من غموض، والكشف عن الأبعاد المختلفة للظاهرة في علاقاتها بالمقدس والجسد والرموز والصحة والمرض، والتراث والتنمية، والأصالة والماضي والتغير والعولمة السياحية والإعلام السياحي، سنقف على الكثير من النقاط التي نراها في صلب اهتمامنا ولتكون إضافة علمية في مجال الأنثروبولوجيا، محاولين البحث عن المعنى في هذه الممارسات السياحية. سوف نركز على فهم وتفسير وتحليل الممارسات والتمثيلات المختلفة في فضاء الحمامات خاصة الممارسة العلاجية الاستشفائية بحكم القطاع السياحي فيها يركز أساسا على الجانب العلاجي و عليه فإن هناك جملة من الممارسات التي نحن بصدد رصدها من خلال العمل الميداني الذي يركز على المقابلات والملاحظات بالدرجة الأولى و هذا ما يتمتع به البحث الأنثروبولوجي محاولين أن نلتمس عمق هذه الممارسات ونفسرها في إطار هذه المقاربة الأنثروبولوجية وكيف لهذا الموروث الحموي وما يقترن به من مقومات جذب أخرى أن تسهم في مجال التنمية المحلية و السياحية للمنطقة. ومن أجل تعميق الدراسة الأولى حول حمام قرقور المعدني بين التمثيلات والممارسات، والتي قمنا بها في إطار تحضير مذكرة الماجستير (سنة 2016/2017) والتي خصصناها لرصد الممارسات المختلفة في فضاء الحمام قرقور المعدني وتمثيلات الأفراد له. و رغبة منا فهم موضوع السياحة الحموية ورصد مجمل الممارسات التي تنتج في هذه الفضاءات وتفسير

وتحليل المضامين الرمزية التي تشكل المشاهد المختلفة في فضاء الحمام كتراث ثقافي تتجسد فيه ثقافة محلية معتبرة تمتزج عناصرها بثقافة السياح الوافدين على حمام قرقور المعدني حيث الحمامات المعدنية هي فضاءات خصبة بالممارسات المختلفة منها العلاجية وخاصة التداوي بالمياه المعدنية وما ينجم عنه من تفسيرات واعتقادات مختلفة لدى الافراد المترددين على حمام قرقور، وبذلك تشكلت هذه الفضاءات مادة دسمة للدراسة الأنثروبولوجية من أجل فهم هذه الممارسات وجملة التمثيلات التي يحملها الأفراد حول هذا الفضاء.

حمام قرقور أو لقراقرية أو أولاد سيدي الجودي، منطقة لها مقومات تاريخية وطبيعية وثقافية وذاكرة جمعية تشهد على الامتداد الحضاري العريق إضافة الى المناظر الساحرة بها والثروة النباتية العلاجية والحيوانات والطيور النادرة التي تتخذ من قمم الجبال الشامخة مساكن لها ووادي بوسلام أو ادسافا المنحدر من سفح الجبل طافات الأسطورة يتواجد بها حمام معدني يعد من أشهر الحمامات في الجزائر تعدت شهرته البلد وكان مزارا سياحيا من شتى بقاع العالم حمام قرقور أو حمام سيدي الجودي كنز تراثي وجوهرة الهضاب ومستقبل السياحة الحموية للشمال الغربي لمدينة سطيف يعد فضاء اجتماعيا بامتياز تمتاز فيه الطبيعة العذراء بمياهها المعدنية الاستشفائية المصنفة الثالثة عالميا والأولى عربيا، بطابع الثقافة المحلية لتشكل مضامين ذات دلالات رمزية عميقة تضرب بجذورها في عمق تاريخ المنطقة محطة حموية سمية بادسافا منديسيوم لا تزال تحتفظ بتفاصيلها الحضارية والتاريخية والثقافية محطة اشتهرت بمياهها وهوائها وجبالها ووديانها ورموزها الثقافية فكانت مزارا سياحيا بامتياز وملاذا وقبلة للباحثين عن الراحة والاستجمام، محطة لطالما كانت شاهدة على متعة الاستحمام وأمل الاستشفاء للعديد من العلل والاسقام فكانت بحق معبد الاسترخاء. فحسب دراسة "عبد القادر مصطفاي" ¹ في سنة 1956م، والتي أكدت على أن مياه حمام قرقور المعدني قد تساعد على شفاء العديد من الأمراض منها: أمراض الروماتيزم، بأنواعها، الأمراض الجلدية، وأمراض المفاصل، أمراض العيون، والأعصاب وغيرها. واليوم يشهد الحمام المعدني قرقور اقبالا من مختلف الفئات الاجتماعية ويحتضن ممارسات ترسمها جملة التصورات والاعتقادات التي يحملها الوافدين على الحمام ومن خلال تجربة ميدانية غذتها المعرفة الأنثروبولوجية بمناهجها وطرقها البحثية، وقراءتنا النظرية واستطلاعاتنا الميدانية سمحت لنا بالخصوص في الموضوع لأجل فهم مجمل المضامين والدلالات الرمزية التي ترتبط بالحمام من طقوس وممارسات وأساطير ومعتقدات باتت مرجعية يحتكم لها الناس في فضاء الحمام ولذلك سعينا من خلال هذا العمل إلى تقفي آثار ذلك بالتحليل والتفسير

¹ Mostefai , A. (1956) ,Le Poste D'observation Crenotirapique Du Guergour ,Thèse pour le Doctorat en Médecine, université d'ALGER ,faculté mixte de médecine et de pharmacie n04.

لجملة الأسئلة الدقيقة التي حددت إشكاليتنا فكيف نفسر إقبال السياح على ممارسة السياحة الحموية بمنطقة الدراسة (حمام قرقور المعدني) من هم الفئات التي تقبل على ممارسة السياحة الحموية؟ ما هي خصائصهم الاجتماعية والثقافية وما هي الأسباب التي تدفعهم للإقبال على السياحة الحموية؟ وما هي جملة التمثلات التي يحملها المترددون على هذا النمط من السياحة؟ وبعد الدراسة الاستطلاعية التي سمحت لنا باكتشاف أغوار الميدان والوقوف على خلفيات وحقائق كان أحرى بنا أن نتحلى بأكثر دقة في تعاملنا مع الموضوع لنطرح جملة من الأسئلة التالية:

- ما هي أشكال الممارسة السياحية في محطة حمام قرقور المعدني ومن هم الفئات التي تقبل عليها؟
- ما هي جملة التمثلات التي يحملها السياح الوافدين على الحمام حول هذه الممارسات السياحية؟
- ما هي التصورات التي يحملها الفاعلين حول القيمة التراثية والسياحية ودورها في تنمية السياحة بالمنطقة؟

انطلاقاً من القراءات النظرية والخرجات الميدانية الاستكشافية وللإجابة على هذه الأسئلة البحثية تمكنا من وضع جملة الفرضيات التالية والتي تعد إجابات احتمالية مبدئية قد تضيء بنا للكشف عن خبايا الموضوع محل الدراسة فكانت الإجابات كالتالي:

- ينتج في فضاء حمام قرقور أشكال من الممارسات السياحية التي يقبل عليها مختلف الفئات وترتبط بفعل الاستحمام وفعل الاستشفاء والعلاج وفعل الترفيه والاستجمام والضيافة، حيث تتضمن هذه الممارسات أفعال طقوسية مشحونة بمضامين ودلالات رمزية تغذي الفضاء بمشاهد تعبيرية هامة.
- يحمل السياح الوافدين على الحمام جملة من التمثلات حول هذه الممارسات السياحية تغذيها مختلف الممارسات الناتجة من جملة العلاقات والتفاعلات القائمة بين ثقافة الوافدين وفضاء الحمام السوسيو-ثقافي.
- يحمل الفاعلين بالحمام تصورات حول القيمة التراثية والسياحية وعلاقتها بالتنمية السياحية من خلال مواقفهم وجملة المعارف التي يحملونها حول أصالة هذا الفضاء والتحديات التي تواجه إمكانية عصرنته. ولإنجاز هذه الدراسة ولولجنا أغوار هذا البحث كان لزاماً علينا وضع بعضاً من المقاصد البحثية منها:
- الكشف على مجمل أشكال الممارسات السياحية بالمحطة الحموية قرقور ومحاولة فهم وتفسير أسباب ودوافع إقبال مختلف فئات السائحين على ممارسة السياحة الحموية.

➤ الكشف عن تمثيلات السياح نحو مجمل الممارسات السياحية الاستشفائية والعلاجية، وممارسات الضيافة والاستجمام.

➤ الكشف عن تصورات الفاعلين بحمام قرقور نحو قيمة الحمام التراثية والسياحية وجوانب أصالته والتحديات التي تواجه إمكانية عصرنته.

كما يعد هذا البحث محاولة لبلورة رؤية علمية أنثروبولوجية في دراسة الظاهرة السياحية من خلال الكشف عن التمثيلات والتصورات التي يتضمنها فضاء الحمّام وذلك بالتسلح بقراءة التراث النظري والتدرب المنهجي، في حقل الأنثروبولوجيا لأن الظاهرة السياحية لا تشكل ظاهرة اقتصادية فحسب بل هي ظاهرة اجتماعية وثقافية بامتياز تغذيها جملة الرموز والأنساق الثقافية المتباينة في فضاءات مختلفة ولاسيما فضاء الحمّام.

ومن بين المفاهيم التي تخدم دراستنا ارتأينا ان نحدد البعض منها:

- الممارسة

لغة: وتأتي من الفعل مرس، والمرس، والمراس ويعني شدة العلاج ويقال مرس مرسا فهو مرس، ومارس ممارسة ومراسا ويقال إنه لمرس بين المرس إذا كان شديد المراس، ورجل مرس شديد العلاج بين المرس. وفي حديث خيفان: اما بنو فلان فحسك أمراس، جمع مرس، بكسر الراء وهو الشديد الذي مارس الأمور وجربها ومنه حديث وحشي في مقتل حمزة، رضي الله عنه: فطلع عليّ رجل حذر مرس أي شديد مجرّب للحروب، والمرس في غير هذا الدّلك.

أما اصطلاحا فهي

- تباين شخصي للسلوك المعياري.
- أداء فعل مرة أو أكثر من أجل ضبطه وتحسينه.
- أداء منفرد لفعل من أجل ضبطه أو تحسينه.
- مفهوم يدل على نشاط إداري وفعال يقوم به الإنسان من أجل تغيير العالم المحيط به وإخضاعه لأهدافه.
- التطبيق العملي للافتراضات النظرية وهي طريقة امتحان صحة أو خطأ تلك الافتراضات.¹

¹ - مصلاح، الصالح (1999)، الشامل قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية، انجليزي -عربي، دار عالم الكتب، ط1، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص.412.

نستخلص من هذا التعريف أن الممارسة تتمثل في كل نشاط إنساني إرادي وفعال، يتكرر لأجل إحداث تغيير المحيط الخارجي للإنسان، وفقاً لأهداف معينة، وذلك من خلال اختبار افتراضات نظرية في الواقع لأجل استخلاص صحتها من عدمه.

في حين تعرف الممارسة على أنها فعل صادر من الزمن الحاضر وموجه من الماضي، كما أنها محصلة خبرات مكتسبة أو موروثية، تتضافر لتقييم الواقع المعيشي، وتحديد طبيعة الفعل الملائم في لحظة الممارسة، فهي نشاط إنساني يقوم به فاعل، يمتلك قدرة على صنع الاختلاف ولكنها ليست قدرة ذات متعالية، وإنما قدرة فاعل نشيط مكافح، والفاعل هو شخص محمل بخبرات متراكمة، رأسمال نوعي، يكتسبه خلال عملية التنشئة والتعليم، يولد لديه مجموعة من الاستعدادات، تمكنه من ممارسة الأفعال المختلفة في إطار بنية محددة، وشكل تلقائي ولا إرادي في معظم الأحيان.¹

ووفقاً لهذا التعريف فإن الممارسة هي فعل يخضع لمبدأ تطور الزمن يتشكل من خلال خبرات مكتسبة كانت أو موروثية لأجل الحكم على الواقع المعيشي وتحديد الفعل الملائم، في اللحظة ذاتها، أي إضفاء عليه المعايير كما أنها نشاط إنساني يقوم به فاعل له القدرة على صنع الاختلافات تكون واقعية، يحتكم إلى مبدأ النشاط والكفاح، حيث أن ذلك الفاعل مزود بخبرات متراكمة التي تتولد من عملية التنشئة والتعليم والتي تمنحه استعدادات تجعله قادراً على ممارسة أفعال بشكل تلقائي، في إطار بنية محددة.

وحسب "بورديو" فإن الممارسة: هي النشاط الذي من خلاله يتم تنفيذ مبادئ فن أو علم أو عقيدة، أو مجموعة من الالتزامات، وقواعد السلوك الفردي كان أو جمعي، ونظام الواجبات، والقوانين والعلاقات الأخلاقية بين الأفراد.²

فهذا التعريف يركز على أن الممارسة هي كل نشاط يتم من خلاله تطبيق مبادئ فن أو علم ما أو عقيدة، أو مجموعة من الالتزامات والقواعد السلوكية - أكان هذا السلوك فردي أم جماعي، كما أنها هي نظام الواجبات والقوانين، والعلاقات الأخلاقية بين الأفراد، وبذلك يكون التعريف أشمل بكثير من التعريفات السابقة كونه يشمل على كل الجوانب التي تتجلى من خلالها الممارسة أو أفعال الأفراد التي تجمع بين ما هو مادي ومعنوي والذي تحكمه جملة من العقائد، والقواعد، والقوانين والأخلاقيات و الالتزامات، والسلوكيات التي يتفق عليها الأفراد فيما بينهم وبذلك يتحدد البعد الرمزي للممارسة.

¹ بدوي، أحمد موسى (2009)، "ما بين الفعل والبناء الاجتماعي، بحث في نظرية الممارسة لدى بيير بورديو"، مجلة إضافات، العدد 8، خريف، مصر، ص.12.

² Gilles F. et autres. (2002), *Dictionnaire de sociologie*, ARMAND COLIN, 3^é édition, PARIS, p.158.

في حين أن الممارسة كما حددها كوفيلير باسكال 1998 Pascal Cuvelier هي "مجموعة الأعمال التي سيختبرها الفرد في فضاء من الحرية من خلال السعي لفهمها والتي تكون منطقية بالنسبة لها".¹
وعليه فإن تعريفنا للممارسة في هذه الدراسة يكون كالتالي:

هي كل الأفعال التي تصدر عن الفاعلين في حمّام قرقور المعدني، والتي تتضمن كل المبادئ الفنية والعلمية، أو العقدية، والالتزامات، والقواعد السلوكية، فردية كانت أم جماعية، وكل الواجبات والقوانين والعلاقات الأخلاقية، والتي تكون تعبيراً عن تصوراتهم واعتقاداتهم المتعلقة بالحمّام قرقور المعدني في جوانب متعددة منها الدينية (الطقوسية)، والاجتماعية، والخدماتية، والعلاجية والسياحية. لتشكل لهم بعداً رمزياً، وعملياً.

- الممارسة السياحية

لقد ربط باسكال مفهوم الممارسة بعلم الاجتماع وعرف الممارسات السياحية على أنها "ممارسات مرتبطة بسياق المسافة المؤقتة من مكان الإقامة لأسباب تتعلق بالاسترخاء أو أخرى اجتماعية وثقافية".²
اذن الممارسة السياحية هي كل ممارسة ارتبطت بنشاط السفر المؤقت لأجل تحقيق غايات مختلفة منها الاسترخاء واجتماعية وثقافية

في حين أن الممارسات السياحية في المحطات الحموية هي، كل الأنشطة السياحية في فضاء المحطات الحموية محطة حمام قرقور المعدني و التي يتم فيها تنفيذ مبادئ فن أو علم أو عقيدة أو مجموعة من الالتزامات وقواعد السلوك الفردي كان أو جمعي و نظام الواجبات، و القوانين و العلاقات الأخلاقية بين الأفراد و التي يتم تطبيقها في الفضاء السياحي حمام قرقور فينتج عنه جملة من العلاقات الاجتماعية و التبادلات الثقافية والتي يكون لها تأثير على حياتهم (الفاعلين).

- الحمويّة le thermalisme:

تُعرف الحمويّة على أنّها مجموعة العلاجات الطّبيّة التي تستعمل المياه المعدنية ومشتقاتها.³ اذن الحموي هو كل الممارسات العلاجية والاستشفائية التي تستخدم المياه المعدنية وكل المشتقات من هواء وبخار وطين... وغيرها في عملية العلاج.

¹Qianyan ,S ,op.cit,p

²Qianyan ,S ,op.cit,p

³Thoulumas,B. (2014) "le thermalisme au XXIE Siècle: quelles stratégies pour te Futur?", *la presse thermal et Climatique*, Société française de médecine thermale, p. 31.

- التمثلات

التمثل في اللغة من الفعل مثل له الشيء: أي صورته حتى كأنه ينظر إليه، وامثله هو أي تصوره، ومثلت له كذا تمثيلاً إذا صورت له مثاله بكتابة وغير، ومثل الشيء بالشيء أي سواه وشبهه به وجعله مثله وعلى مثاله. ومثلت الشيء بالشيء إذ قدرته على قدره ويكون تمثيل الشيء بالشيء تشبيهاً به.¹

أما إصطلاحاً فيعرف قاموس علم الاجتماع "التمثلات الاجتماعية على أنها عبارة عن معتقدات وقيم مشتركة بين جميع أفراد المجتمع.² يركز هذا التعريف على أن التمثلات الاجتماعية هي معتقدات، وقيم يشترك فيها أفراد المجتمع الواحد، فهي التي تحدد سلوكه وممارسته فيما يعد حول موضوع معين في الحياة اليومية لأن المعتقدات هي عمليات فكرية معقدة وغامضة حول مواضيع ما مثل ذلك الأرواح، الآلهة الأجداد، السحر وغيرها وهي تتم على مستوى العقل، وذلك لمختلف أنماط الإدراك، وقد تأخذ الطقوس شكلاً من أشكال التعبير عنها. في حين القيم والتي تتخذ معنى الشعور، كما أنها معطيات موضوعية ووضعية تصنع بعض نماذج السلوك وتحددها، وهي مضامين يفهمها كل أفراد المجتمع والتي يتجلى معناها أولاً من خلال مختلف الأنشطة والممارسات. كما أنها توجهات معيارية للممارسة والأفعال مهما كانت سلبية أو إيجابية، ظاهرة كانت أو باطنة (مضمرة).

وحسب جون كلود أبريك فإن التمثلات الاجتماعية هي "مجموعة منظمة من المعلومات والموافق والآراء والمعتقدات التي تتشكل لدى الأفراد حول موضوع معين".³ فهي بذلك نسق من المعرفة إلي تراكم لدى الأفراد حول موضوع معين، تتأتى من الخبرة اليومية لترجم فيما بعد من خلال ممارسات الأفراد.

في حين تعرف "دونيس جويلي" (Denis, Jodelet) التمثلات الاجتماعية بكونها: "طرق تفكير تطبيقية موجهة نحو التواصل، الفهم والتحكم في المحيط الاجتماعي إنها تقدم خصائص محددة حول مخطط تنظيم مضامين العمليات الذهنية والمنطق، في حين يقدم "س، موسكوفيسي (S. Moscovici)" بدوره تشريحاً دقيقاً لمفهوم التمثلات الاجتماعية فيرى بأنها: بنية تقع بين المفهوم والتصور، تساهم في تكوين السلوكيات وفي توجيه المعارف الاجتماعية، تتميز بالتركيز على علاقة اجتماعية وعلى ضغط تجاه الاكتشافات، تتبلور في كفاءات مختلفة من التواصل والانتشار، الإدعاء، الإشاعة تبلغ مسارات الموضوعية والتصنيف.⁴

¹ ابن منظور، (2005)، لسان العرب، بيروت، دار صادر، المجلد 14، ص 19 ط 4.

² Boudon, R. & autres (2005), *Dictionnaire de Sociologie*, Bussiere, France, P.199.

³ Abric, J. C. (2003), *Méthodes d'étude des représentations sociales*, Editions ères, France, p.59.

⁴ أقيس، كلثوم (2013)، "الشريك المثالي بين الواقع والمخيال دراسة لتمثيلات شباب بمنطقة وهران"، *إنسانيات*، عدد 62، (ص 56، 39) مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، أكتوبر - ديسمبر، ص 41، 40.

يركز التعريف الأول على أن التمثلات الاجتماعية هي طرق تفكير تطبيقية أي أفكار يمكن تجسيدها على أرض الواقع في شكل أفعال وممارسات تهدف لأجل التواصل بين الأفراد ولأجل فهم المحيط الاجتماعي والتحكم فيه، وهي تقدم خصائص محددة لمضامين منظمة في شكل مخطط لمجمل العمليات الذهنية والمنطقية، وبذلك فالتعريف يقدم الصورة التي تكون عليها التمثلات، أي ركز على الجانب العملي لها في المجتمع الغاية منها تحقيق التواصل والفهم والتحكم في المحيط الاجتماعي من خلال مضامين للعمليات الذهنية.

في حين تعريف "موسكوفيسي" يرى أن التمثلات هي بنية تقع بين المفهوم والتصور والتي تساهم في تشكيل السلوكات وهي التي توجه المعارف الاجتماعية، من خلال تركيزها على علاقة اجتماعية وعلى الاكتشافات لكي تتبلور في الأخير في أشكال مختلفة من التواصل، مثل ذلك الانتشار والإدعاء، والإشاعة، وتحقق قدرا من الموضوعية والتصنيف.

وهناك من يعرف التمثل على أنه هو التصور، وهو مثل الصور الذهنية بصورها المختلفة، في عالم الوعي أو حلول بعضها محل البعض الآخر، كتمثل المواطنين في الشكل السياسي، والتصور هو العملية التي تسترجع فيها خبرة سابقة.¹

يؤكد هذا التعريف على أن التمثل هو التصور وهو يخص الصور المشكلة على مستوى الذهن بمختلف أشكالها والتي تتجسد أو تستحضر في الواقع، وهي قد تحضر بعضها أو يحل محلها بعض آخر أي أنها قابلة للتغير كما أنها مستمرة بشكل دائم.

وذلك فنقول أن التمثلات والتصورات الاجتماعية هي في تغير مستمر يكتسبها الفرد خلال حياته اليومية، التي ينتج عنها وبهذا الشكل نرى أن التمثلات هي في تغير مستمر، وديناميكية على الدوام، بحيث يتيح ذلك التغير آلية إلغاء بعضها وإضافة البعض الآخر فهي بنية تتشكل في خضم سيرورة الحياة ومجمل التفاعلات الاجتماعية الحاصلة فيها. وتعني التمثلات في معناها المعرفي: هي التي تظهر على أساس التكوين العقلي للمعرفة بحيث أن الأفكار والجمل مسؤولة عن تمثيل الواقع في كتلة المعرفة.² وهي بهذا التعريف تكون أساس المعرفة العقلية حيث تقوم الأفكار والجمل عن تمثيل الواقع (عالم الوعي) في شكل كتلة معرفية. في حين يذهب "كلود ماير" (Claude Meyer) إلى اعتبار التمثلات العقلية هي: ما يمكن أن تكون ممثلة وهي التي

¹ - مصلاح، الصالح، مرجع سابق، ص.454.

² - بنيت، طوني وغروسبيرغ، لورانس وميغان، موريس (2010)، مفاتيح اصطلاحية جديدة، مصطلحات الثقافة والمجتمع، الغانبي سعيد (ترجمة)، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، توزع مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، ص.213.

تشكل محتوى ملموس لعمل أو فعل الفكر.¹ وبذلك فإن التمثلات أو التصورات هي مركبات على مستوى العقل فشكل مضامين ملموسة، تكونها عمليات الفكر، وهذا لا يمكن إلا من خلال تواجد الأفراد داخل منظومة قيمية اجتماعية تستقل تلك المضامين وتمنحها الوسط التي تسقط فيه من خلال الممارسة. لربما أن التمثلات من وجهة نظر علماء النفس هي تمثلات فردية عقلية، ينفرد بها الفرد، وتشكل على مستواه العقلي الإدراكي لينتج في الأخير جملة من الأفكار وكتلة معرفية عن ذلك العالم الواعي لديه، لكن لا نستطيع تفسير التمثلات بمعزل عن الحياة الاجتماعية، التي تخضرمها التفاعلات الاجتماعية وتشكلها مختلف القيم، والمعايير، والمعتقدات الاجتماعية نحول مواضيع الحياة الإنسانية.

والتمثلات الاجتماعية هي مجموعة من الأفكار لجماعة مركبة عن كل شيء، وأي شيء كان، والتي تستند للحقيقة.² لقد تبلور مفهوم التمثلات الاجتماعية مع أعمال "دوركايم" في ظاهرة الانتحار، من خلال تحليله لمشكل السببية الاجتماعية من خلال شرحه للفعل الاجتماعي وعلاقته بفعل اجتماعي آخر مثل ذلك العلاقات الإحصائية الموجودة بين مؤشر الانتحار والدين.³

أما قاموس الأنثروبولوجيا فإن مفهوم Représentation يترجم إلى تصور، والذي يشير إلى جملة الأفكار والقيم الخاصة بمجتمع ما فلقد عالج علماء الاجتماع هذه المعطيات كحقائق مستقلة يقوم تواجدها بمعزل عن ما يسميه علماء النفس "التصورات" أو "الصور الذهنية"، فكل مجتمع قد يقيم إذن منظومات تصويرية متخصصة عديدة منها نظام الكون، كلية المجتمع، السحر، الشعوذة... الخ، حاولت الأنثروبولوجيا البنيوية، وإلحاحا منها على الطابع المنهجي، قد حاولت تحديد المبادئ العامة لهذا التصور الذي تربطه بحالات فطرية للذهن البشري. كما تجمع مسيرة التوصيف الاثنوغرافية بالإشارة الضمنية إلى وجود تصورات جماعية. والإقرار بأن وجود وتنظيم هذه التصورات يعتمد على إجراءات نفسية، في حين أن الأنثروبولوجيا الرمزية والتي طورها كل من "غيرتز"، و"شنايدر" تعتبر الأنظمة التصويرية هي بمثابة واقع مستقل لا يعتمد على الأذهان التي تحركه، مما يجعله معرضا لأن ينظر إلى فئاته التحليلية الخاصة وكأنها معطيات تحليلية.⁴

في حين أن مفهوم التمثل الذي تتبناه هذه الدراسة هو التصور وهو كل المعتقدات والقيم، والأفكار والمعاني الرمزية التي يحملها السياح حول حمام قرقور المعدني، في مختلف الجوانب الحياتية

¹ Meyer, C. (2007), *Une histoire des représentations mentales. Contribution à une archéologie de la société de la connaissance*, L'harmattan, Paris, P.252.

² Ibid, P.252.

³ Ibid, P.252.

⁴ بونت، بيار وإزار، ميشال (2006)، معجم الاثنولوجيا و الأنثروبولوجيا، ترجمة (مصباح، الصمد)، بيروت، المعهد العالي العربي للترجمة، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات، الطبعة الأولى، ص.380.

الدينية (الطقوسية)، والاجتماعية والخدماتية والعلاجية، والسياحية، والتي يعبر عنها من خلال ممارساتهم في هذا الفضاء.

منهجية البحث

لأجل تحقيق الغايات البحثية المسطرة في هذه الدراسة، توجب علينا إتباع مجموعة من الإجراءات المنهجية والمتمثلة في تعيين مجال الدراسة، والذي يتوزع إلى المجال الجغرافي، المجال الزمني، والبشري كما تعين علينا تحديد جملة من الأدوات البحثية، وكذا المنهج أو المناهج المتبعة في مقارنة هذا الموضوع، والتي هي تعد مناهج وصفية، كيفية موجهة لتحليل وتفسير جملة الممارسات السياحية التي تنتج في فضاء المحطات الحموية باعتبار الحمامات المعدنية الحارة هي إحدى المقومات التراثية التي يعتمد عليها قطاع السياحة في الجزائر ومن أجل ذلك قد سخرت جهود وسياسات تنموية من أجل النهوض بهذا النوع من السياحة وهو السياحة الحموية وعليه فإن الكشف عن ذلك توجب الوقوف على مجالات الدراسة المعتمدة والتي يقصد بها النطاق الذي أجريت فيه الدراسة وذلك من خلال تحديد ثلاث مجالات فرعية وهي المجال الجغرافي، البشري والزمني، قصد تحديد أطر الدراسة تحديدا دقيقا.

تمثل المجال المكاني أو الحيز الجغرافي الذي اشتملت عليه دراستنا الحالية مدينة حمّام قرقور أين يتواجد بها الحمّام المعدني بشقيه التقليدي والذي يأتي تحت مسمى حمام سيدي الجودي على اسم الولي الصالح الذي استوطن بمنطقة حمام قرقور أو بني عجاب قديما، وسوف نتطرق لهذا الأمر بشيء من الاستفاضة والشرح في محطات لاحقة من البحث غير أن الممارسة السياحية في هذا الشق تعتبر ممارسة شعبية. كذلك المركب السياحي المعدني حمام قرقور والذي يقع تحت رعاية وزارة السياحة يعتمد فيه النشاط السياحي بشكل رسمي. وعليه فإن حمام قرقور كمحطة حموية ذات خصائص طبيعية واجتماعية وحتى ثقافية تجعل منها مجالا خصبا بالممارسات السياحية التي تتوارى خلفها حقائق ثقافية هامة تفرضها بالأساس طبيعة المجتمع المحلي للمنطقة، إن اختيارنا لهذا الحمّام تحكمه عدة اعتبارات هامة والتي تعد كخصائص يتميز بها حمّام قرقور عن غيره من الحمّامات الأخرى.

-أنه حمّام معدني مصنف الثالث عالميا والأول عربيا وإفريقيا، وذلك من حيث مياهه الإشعاعية التي تمنحه الخاصية العلاجية لعدة أمراض منها: أمراض المفاصل والروماتيزم، الأمراض الجلدية، التنفسية، والعصبية وغيرها مما يسمح لنا من استكشاف ممارسة سياحية استشفائية تغذيها تصورات الناس حول الصحة والمرض وكيفية التداوي بمياه الحمامات المعدنية.

- وبحكم أن الحمام ليس بمعزل عن المدينة ومرافقها فإن موقعه الجغرافي الذي أهله لأن يمتاز بطبيعة خلابة بغاباتها وسلاسلها الجبلية والوادي المتميز (واد بوسلام) الذي ينحدر من أعالي جبال القرقور فحسب ملاحظتنا وجدنا أن الوادي يمثل فرصة للراحة والاستجمام أمام العائلات الوافدة للتجمع على ضفافه وحتى القاطنين وخاصة وجود الجسر يجمع ضفتي الوادي والذي زاده جمالا وروعة فكان لهذا الموقع أن يكون عاملا هاما في عملية الجذب السياحي برغم من استغلاله كفضاء سياحي بطرق شعبية.

- أن المنطقة تشتمل على إرث معماري روماني (منها الحمامات الرومانية ومقبرة رومانية وضريح روماني وبعض البقايا الأثرية) حيث كان الحمام محطة حموية رومانية اكتشفت في القرن 1م من طرف قافلة رومانية وكانت هذه المحطة تحمل اسم "أدسافا منيسيبيوم".

- وأيضا ما يميز المنطقة أنها تحوز على عدة منابع ساخنة وباردة يلجأ إليها الناس للتداوي بها، منها الواد السارق والذي حسب أهل القرية أنه يصلح لتفتيت حصى الكلى. حيث أنه وحسب ملاحظتنا أن المستحمين عند خروجهم من الحمام يتجهون إلى جانب من الوادي أين يوجد المنبع، فيدلون بدلوههم وهم يغطون رؤوسهم بمناشف ويحملون حقائبهم وهذا ما أكده بعض الأهالي.

- احتواء ميدان الدراسة على سوق الحمام الشعبي يوفر للقاطنين والوافدين مختلف الخدمات خاصة منها ذات الطابع التقليدي إضافة إلى خدمات لإقامة والإطعام الذي يتفرد بنكهته بشهادة الكثيرين من السياح وحتى أهالي المنطقة "والذي حسبهم يعود إلى بركة سيدي الجودي بالمنطقة.

- وجود النشاط الجمعوي على مستوى المنطقة والمتمثل في جمعية زاوية سيدي الجودي، جمعية البلاغ الثقافية لمنطقة حمام قرقور. ساعد على إقامة المهرجانات والتظاهرات الثقافية مما سمح بتوافد السياح على الحمام والمنطقة ككل.

أما المجال البشري وهو الذي نسميه في الأنثروبولوجيا بمجتمع البحث والذي خص بمجتمع محلي حمام قرقور المعدني باعتباره قطب سياحي هام بالمنطقة، لكن قبل الشروع في تحديد الفئات التي اشتملت عليها الدراسة الحالية، وجدنا أنه من الضروري الإشارة إلى جملة من الخصائص التي يتسم بها المجتمع المحلي:

- أن الساكنة فيه يحتفظون بجملة من خصائص الثقافة الشعبية، كتحفيظ القرآن بزاوية سيدي الجودي الذي تشتهر به المنطقة، أيضا مظاهر التكافل الاجتماعي والتي تضرب في أعماق عادات وتقاليد المنطقة منها الكرم والجود وحسن الضيافة و "الوزيعة" التي تقام في مختلف المناسبات الدينية منها المولد النبوي الشريف

أين تتم فيها عملية الختان الجماعي للأطفال والتي تحتضنها جمعية زاوية سيدي الجودي عيد الربيع وغيرها من المناسبات والاحتفالات.

- أنها منطقة محافظة يلهجون اللغة العربية ممزوجة بالأمازيغية تعبر عن طابع ثقافة المنطقة خاصة أنها تمثل بوابة القبائل الصغرى إلا أن موقعها الاستراتيجي سمح لها أن تفتح على جهات عديدة من الوطن قريبا من مدن الساحل خاصة الشمالية و الوسطى منها مدينة بجاية والجزائر العاصمة، كما تتوفر مدينة سطيف مقر الولاية والتي تبعد عنها البلدية بحوالي 50 كلم على مواقع تاريخية وثقافية وحضارية جد هامة وكذا مرافق تجارية وسوق دبي بالعلمة والمول التجاري بالقرب من الولاية مما ساهم في استقطاب زوار من داخل وخارج الوطن و أعطى للمنطقة طابعا سياحيا :سياحة حموية علاجية، سياحة جبلية وسياحة دينية، سياحة تجارية وثقافية. وعليه فإن فضاء حمّام قرقور وما يرتبط به من مقومات جذب أخرى قد تكشف لنا الدراسة الحالية عن ممارسات سياحية مختلفة تنضوي تحت خلفيات ثقافية متعددة باعتبار هذا الفضاء يشكل نقطة التقاء واتصال وتبادل ثقافي هامة الأمر الذي سمح بتغير الذهنيات وحتى تقمص لهجات وبعض من سمات الثقافات المحلية المجاورة. وعلى هذا الأساس فإن مجتمع الدراسة تم اختياره بطريقة مقصودة حيث يشترط من وحداته أن تكون من فئة السياح المترددين (الزبائن) على الحمّام، وفئة العاملين بالقطاع السياحي والعاملين بالحمّام قرقور المعدني في شقه التقليدي والعصري، وكذا فئة الأهالي.

واستنادا لمعطيات سابقة حول الموضوع وبحكم أنه قد تم إنجازنا لبحث حول حمام قرقور وذلك في مرحلة الماجستير تحت عنوان: الحمام بين التمثلات والممارسات، الأمر الذي سمح لنا بتشكيل نظرة حول مجال الدراسة وزادنا إرادة للبحث في أغواره والتعمق فيه من زوايا مختلفة وعليه يمكننا القول أن أول معرفة بالموضوع كانت في عام 2015 والتي على إثرها حزنا على جزء كبير من المعطيات في حين كان الشروع الفعلي في الدراسة الميدانية الحالية عام 2018 أين توطدت علاقتنا بمجتمع الدراسة وخصوصا في شهر مارس أين تم إحياء ولأول مرة مهرجان تحت مسمى ربيع القرقور. كان الحدث فرصة و همزة وصل بين أطراف فاعلة ومجتمع مدني وأهالي القرقور للكشف عن رهن حمام قرقور كمحطة حموية تتفرد بطابعها الطبيعي وحتى الاجتماعي والثقافي. وقد كان لنا اسهام في تلك الفعاليات ولو بالقليل جدا فتشرفنا أن نكون جزءا منه وقد دعمنا هذا الأمر لأجل السعي قدما للبحث في الموضوع.

وفي أيام لاحقة قد أصبحت علاقتنا بمجال الدراسة جد متينة فقد تم استدعاءنا لألقاء محاضرة حول السياحة والتنمية المحلية بالمنطقة سنة 2021 وكانت التظاهرة بمناسبة اليوم العالمي للسياحة ومن الحين للآخر يتم إقامة التظاهرات الثقافية بالمنطقة وقد لوحظ توافد الزوار والمشاركين وكانت فرصة للتلاقي

والتعرف ونسج العلاقات بين الأفراد. والاتصال الثقافي وتبادل الخبرات والمعارف. اذن انقسم التحقيق الميداني إلى مرحلتين مرحلة تجريبية تمثلت في تجريب الأدوات البحثية من ملاحظة ومقابلة واجراء ملاحظات ومحادثات أولية من خلال اعداد دليل لكل تقنية بحثية أما المرحلة الثانية وقد تمثلت في النزول الفعلي للميدان وبين ذهاب وإياب تم تطبيق الأدوات بشكل أساسي المقابلة الحرة على عينة بحثية تألفت من السياح الوافدين والأهالي وبعض العاملين والتي تكونت من 33 حالة، منها 11 حالة بالحمام التقليدي و22 حالة بالمركب السياحي وأيضا 15 حالة اشتملت على إطارات وأطباء ومسيرين وعاملين ومدلكين بالمركب المعدني والحمام التقليدي، كما تألفت عينة الأهالي من 6 مفردات.

تعد دراستنا هذه من بين الدراسات المونوغرافية، التي تناولت الحمام كمؤسسة اجتماعية تشهد حدث اجتماعي وثقافي خاص إخضاعه للبحث الإثنوغرافي، والمشاهدة المباشرة، في الكثير من الأحيان وكان اعتمادنا على هذه الطريقة من أجل التعريف بالحمام من حيث أصوله التاريخية والجغرافية والثقافية. وعليه ارتكزنا على المنهج الإثنوغرافي بوصفه المنهج المناسب لهذه الدراسة كونه يعتمد على الوصف من خلال الملاحظة، مع استخدام أداة التصوير لهاته القرية وللحمام بشقيه ومختلف الجزاء المحيطة به، كما قمنا بتدوين الملاحظات التي تم مشاهدتها إثر تواجدها كجزء من البحث، وتسخير كل التقنيات والطرق التجريبية، وهو البحث الميداني الذي يعتمد على المعيشة والانغماس في الميدان، إذ سمحت لنا معايشتنا للميدان بالكشف عن الكثير من الجيئيات حول الموضوع، فكان الاقتراب من الميدان والتوغل في ثناياه الوسيلة الأنسب للتعامل مع المعطيات، والتفاعل معها إثر حدوثها ورصد كل ما له علاقة بالموضوع باعتبار الملاحظات تعبر عن مصداقية البحث. وقد تقمصنا شخصيات مختلفة فتارة كنا نحن جزء من الفريق الطبي وتارة أخرى طرف من المدلكين وأخرى كنا من فئة الوافدين السياح وكثيرا ما كنا نحن مرشدا في الحمام.

تسلحنا في بحثنا هذا بتقنية الملاحظة والمقابلة، وهي إحدى أهم طرق وتقنيات التحقيق الميداني فكانت الملاحظة المباشرة والملاحظة بالمعيشة السند القوي لأجل للإلمام بالموضوع وذلك من خلال الوقوف على عدة نقاط حدد بعضها مسبقا لأجل ملاحظتها خلال المرحلة الاستطلاعية والتحقيق الميداني، فقد مكنتنا الملاحظة من رصد العديد من التظاهرات التي تجسدت في فضاء الحمام وبذلك قد اعتمدنا في بحثنا هذا على طريقة الملاحظة بطريقتين أحيانا تكون ملاحظة مباشرة قصد رصد الملاحظات كما هي في الواقع، وأحيانا أخرى يتطلب منا الأمر أن نطبقها بشكل تشاركي وذلك لأجل الغوص في معطيات أدق وأعمق، والتي لا يمكن الوصول إليها إلى من خلال احتكاكنا مع المجتمع وتشاركه تلك الحياة اليومية، مع مراعاة كسب ثقته مما جعلنا نقيم علاقات ودية مع أفراد المجتمع المدروس. أيضا تم استخدام الملاحظة مزوجة مع المقابلة أي أنه ملاحظة سلوك المبحوث وكل تعبيراته اللغوية وغير اللغوية أثناء حديثنا معه. واقتصرت ملاحظتنا في الفضاء

الخارجي للحمام بنسبة للرجال والنساء وكل ما يحيط ويرتبط به (كما هو مبين في دليل الملاحظة)، في حين كان أكثر عمقا، أي ملاحظة من الداخل لدى فئة النساء. كما كان تواجدنا الدؤوب في غرفة العلاج وغرف تطبيق العلاجات وقاعات الترويض والاستحمام وقاعات الانتظار والمطعم والكافيتيريا والفضاء الخارجي للحمام وحتى العديد من المرافق الحيوية المجاورة باعتبارها مقومات سياحية كالسوق الشعبي، الزاوية، والضريح، والمسجد، والوادي، والغابة اين يتواجد السياح والأهالي بأداءاتهم الفردية والجماعية كما هي في الواقع. حيث في كل مرة كنا نقوم بملاحظة الحمام عن قرب من المدخل أيضا كل ما يحيط به وأيضا مشاهدة عن كثب حركة الوافدين على الحمام قرقور وأيضا رصد كل الممارسات السياحية التي تقام على مستوى الحمام (تقليدي/عصري) وأحيانا كثيرة كنا شاهدا في الميدان وجزء منه فكان الانغماس في الميدان السبيل لمشاهدة الجوانب المراد دراستها والتركيز عليها عن كثب.

قد كانت تستغرق زيارتنا لميدان الدراسة يوما بحاله حيث نتهياً كل صباح حاملين دفتر التحقيق الميداني وننزل الميدان بكل عزيمة وإصرار على العمل لنشهد على توافد الحالات للاستحمام والعلاج خاصة أن الحالات يتم تحديد لها برنامج علاجي خلال اليوم صباحا ومساء وعليه قد يزيد ذلك من فرصة اللقاء وتتبع الحالات طيلة الحصة العلاجية la cure .

كما استعنا بتقنية المقابلة من أهم الأدوات أو التقنيات البحثية في الدراسات الأنثروبولوجية كونها تتيح الفرصة للباحث أن يقترب من مجتمع دراسته وذلك من خلال الدخول معهم في حوار بما تقتضيه الضرورة البحثية، بهدف الحصول على المعلومات، أو التوصل إلى حلول وحتى اختبار فرضيات ما، أو مهما كان ذلك الهدف البحثي، وهي تأخذ أشكال وأنماط مختلفة فقد تكون موجهة، أو مقننة وقد تكون نصف مقننة، وقد تكون حرة أين يكون المبحوث فيها أكثر تحررا، للإفصاح عن آرائه، واتجاهاته، و ميولاته، وانفعالاته، وأحاسيسه وكل ما يجول في ذهنه، في حين أن نصف مقننة أو موجهة فهي التي توضع بعض من الأسئلة فيها لتوجيه الباحث في طرح الأسئلة، أما المقننة هي التي يكون الباحث فيها مقيدا بجملته من الأسئلة، تتدرج لتكون بمثابة دليل موجه للمقابلة.

وبالتالي قد اعتمدنا في دراستنا الحالية على المقابلات الحرة على أمل الكشف عن زوايا أخرى غامضة قد يفصح عنها المبحوثين، إذ أن هذا النوع يتيح للمبحوث حرية التعبير ومنحه الطلاقة والاستجابة للأسئلة بشكل مرن وسلس تم مع العديد من الحالات عدم الإفصاح عن هويتنا الحقيقية واخذنا مبدا الاحتكاك والاسترسال في الحديث وكسب ثقة المبحوث مبدأ في الميدان إلا أننا قد أفصحنا عن هويتنا الحقيقية أيضا مع العديد من الحالات وذلك راجع إلى تلمسنا سمات شخصية المبحوث في تقبل الموضوع والتجاوب معنا من عدمه حيث أن العديد من المقابلات قد هيا لها وباءت بالفشل فكان أسلوب الترويض خيارا مناسباً في الكثير

من المرات. إذن تم تطبيق المقابلة على عينة من السياح الوافدين منهم الدائمين أو ما يسمونهم بالزبائن وذلك بالنظر إلى عدد مرات زيارة الحمام. كذلك أجرينا مقابلات مع أطباء بالجناح العلاجي ومدراء في القطاع السياحي وكذا عمال وموظفين ومدلكين وبعض من أهالي القرقور سجلت المقابلات بلغتها الأصلية للمبحوثين مع إعادة صياغتها بطريقة تحافظ على المعنى الحرفي لمضمون المقابلة.

ولتطبيق هاتين الأداتين الهامتين تم استخدام آلة التصوير والمسجل الصوتي فآلة التصوير لأجل جمع مشاهد مصورة حول وضعيات مختلفة للحمام قرقور ومختلف الجوانب المتعلقة به، فكما أن للصورة قوة إقناع وهي شاهد عيان على الحقيقة وتوحي دلالات عميقة، فهي كفيلة لأن تعبر بصدق عن الموضوع، وقد يعتمد البحث الأنثروبولوجي على التصوير الفوتوغرافي كأداة ميدانية مكملة للتدوين الكتابي والملاحظات والوصف، وقد عزز هذا الطرح بعض من الباحثين المؤيدين لاستخدام الصور الفوتوغرافية كأداة للبحث الميداني وإمكانية توظيفها توظيفا له قيمة وفائدة علمية، من ذلك استخدامها كبديل للملاحظة والوصف مثل ذلك تصوير الأدوات المادية أو مختلف الجوانب المادية، كما تم اعتمادنا على آلة التسجيل وذلك بعد موافقة المبحوثين لذلك، مع تبريرنا لهم أن ذلك لأغراض الحفظ والاستفادة منها في إطار علمي لا غير وبالتالي تسجيل المحادثات (المقابلات) التي أجريناها مع المبحوثين مما يوفر لنا تسجيل التاريخ والوقت الذي أجريت فيه إلا أنه كانت سرية التسجيل بديلا في الكثير من الحالات حتى نتجنب ارتباك المبحوث وكسب ثقته وإمكانية بوحه بحقائق من دون قلق، إضافة إلى التدوين الكتابي في بعض الحالات غير أن الأمر كان صعبا حتى كفكرة كون أن الحمام يحمل خصوصية خاصة إذا ما تعلق الأمر بالمرأة والحمام فإنه من الحدود المحرمة اجتماعيا الاقتراب منها. وبالتالي كان أسلوب الترويض والاقناع وعدم الافصاح في بعض الأحيان عن شخصيتنا البحثية حلا في تجاوز بعض العقبات البحثية.

وكما يقال: "أهل مكة أدرى بشعابها" ولأجل دخول الميدان فقد استأنسنا بالإخباريين والذين يعتبرون من العناصر الأساسية والضرورية للحصول على المادة الإثنوغرافية إذ أنهم أفراد ينتمون إلى المجتمع المحلي محل الدراسة، ففي كثير من الأحيان تكون معرفتهم عميقة لجوانب مختلفة من ثقافة ما، حيث استندنا لإخباري من جنس أنثى السيدة (ن-م) طبيبة بالمركب السياحي حمام قرقور لما يقارب 15 سنة حيث كانت تستقبلنا بالجناح العلاجي صباح كل يوم نزور فيه الميدان ومن ثم تسمح لنا بمشاهدتها وهي تتحدث مع الحالات وتفحصها وتصف البرنامج العلاجي وتسمع كل الاستفسارات التي يقدمها الزبائن كما كانت تزودنا بمعلومات حول الحالات التي لم نتمكن أحيانا من رصدها، وإخباري من المجتمع المحلي (حمام قرقور) وهو من أحد أحفاد الولي الصالح سيدي الجودي، ومن عائلة عريقة ومعروفة في المنطقة، وله معرفة عميقة جدا بالحمام قرقور كونه، أنه مسقط رأسه وله انتماء تاريخي به حتى ببعض من رموزه الثقافية حيث

أن أجداده وأحد أفراد عائلته يملكون رمز ثقافي فريد في المنطقة وهي زريبة قرقور المتفردة بطابعها التقليدي، وهي إرث لتزال تملكه العائلة إلى يومنا هذا مهتم بالشؤون الثقافية بالمنطقة، في حين أن الزوج كان إخباري ثانوي بحيث مثل وسيط، يزودنا بالمعلومات التي تخص بعض الفضاءات التي يتعذر علينا مشاهدتها أو اللجوء إليها بخاصة حمّامات الخاص بالرجال، كما كان مرافقا لنا طيلة البحث ومساعدتنا في عملية التصوير والتسجيل وتليين الجو لإجراء المقابلات لأجل التقرب من المبحوثين.

في كل هذا قد واجهتنا صعوبات من أهمها انتشار وباء كورونا فقد تسببت لنا في الانقطاعات المتكررة لزيارة الميدان وقد كانت تطول حسب فترة الحجر المحددة هذا قد أثر سلبا كون أن الحمام فضاء اجتماعي بامتياز وخواص التباعد الاجتماعي لا تجدي نفعا فغلق الحمام كان أما مؤكدا وعليه فقد كنا قد باشرنا في الزيارات الميدانية في نهاية 2019 وبداية 2020، رغم ذلك فقد استطعنا انجاز عمل أكاديمي تم بناؤه انطلاقا من مجموعة الفصول التالية:

الفصل الأول فقد خصصناه للحديث عن السياحة في الجزائر مقارنة أنثروبولوجية في حين أن الفصل الثاني فقد تمّ تخصيصه للحديث عن سياحة التراث الحموي وممارساته في الثقافة الجزائرية، في حين الفصل الثالث خصصناه للحديث عن حمّام قرقور دراسة مونوغرافية، أمّا الفصل الرابع فقد خصّصناه للحديث عن الاستشفاء بمياه حمّام قرقور بين الاعتقاد والممارسة، في حين الفصل الخامس جعلناه للحديث عن حمّام قرقور تعايش بين العلاج الحموي والممارسة السياحية

أما الفصل السادس فقد خصص للحديث عن السياحة بحمام قرقور بين الأصالة وتحديات المعاصرة لنختم الدّراسة بخاتمة عامّة تمّ فيها عرض النتائج ومناقشتها والمقترحات، وقد استعنا بقائمة من المراجع، كما قد أدرجنا بعدها الملاحق الخاصّة بالدّراسة.

الفصل الأول
السياحة في الجزائر مقاربة
أنثروبولوجية

مقدمة

كان الفضول وحب الاستكشاف سمة اتصف بها الانسان منذ القدم حيث دأب على التنقل والحركة والبحث المستمر على ما يبهرجه ويلبي حاجته فتشكلت الممارسة السياحية التي أصبحت اليوم من أكبر الصناعات في العالم وهي تعتبر من الظواهر المعقدة كونها تلتقي فيها كل الحدود انها اجتماعية وذلك لأنها ترتبط بمجموعة من العلاقات والتبادلات والتفاعلات الاجتماعية التي يدخل الأفراد فيها اثرا احتكاكهم بالمحيط الاجتماعي والطبيعي والثقافي، كما هي ظاهرة ثقافية لما ينتج عنها من تبادل للأفكار والمعرفة، غير أن الجانب النفسي فيها يعد بارزا كونها تتجسد فيها حاجات ورغبات وميولا السائح أين تتحول إلى متنفس له والذي لا شك فيه أنها ظاهرة اقتصادية عالمية لما يعود من جرائها من عوائد وأرباح مادية تساهم في تطور البلدان الممارسة لها.

وتتنوع أشكال السياحة بتنوع المقومات السياحية وتعدد رغبات السياح لها فمتمها على سبيل المثال لا الحصر السياحة البيئية والسياحة الثقافية والتراثية والسياحة العلاجية ولسياحة الدينية... الخ، والجزائر كغيرها من بلدان العالم لها من المؤهلات السياحية ما يجعلنا نقف وقفت الحائر المستفهم والباحث المستكشف عن خلفيات هذه الظاهرة، ولأجل ذلك انتهجنا المقاربة الأنثروبولوجية التي سمحت لنا باقتفاء اثر النشاط السياحي وتحليله وتفسيره من هذه الزاوية العلمية التي تتخذ من المدخل الرمزي منهجا تحليليا، حيث أن السياحة تفرز لنا مضامين ونصوص ثقافية ذات دلالات رمزية على الباحث الأنثروبولوجي فهمها وتفسيرها وتحليلها كل هذا سوف نتطرق له بالتفصيل في هذا الفصل.

أولاً: الممارسة السياحية عبر التاريخ

1- مفهوم السياحة:

وتعني حسب ابن منظور "الذهاب في الأرض للعبادة والترهب، وساح في الأرض يسبح سياحة وسيوحا وسيحانا أي ذهب وفي الحديث لا سياحة في الإسلام، أراد بالسياحة مفارقة الأمصار والذهاب في الأرض وأصله من سبى الماء الجاري"¹. يعد أصل السياحة إلى اللغة اللاتينية وهو لفظ مستحدث فيها والمعروف بكلمة (Tourisme) وهو لفظ مشتق في اللغة الإنجليزية من كلمة (To Tour) وتعني يدور أو يجول ويعرف في اللغة الفرنسية بلفظ ((Tourner) وكلاهما مشتق من اللفظ اللاتيني (Tournare) الذي يؤدي نفس المعنى.²

في عام 1905 عرف أوجوير فوولر Eguger frewller الألماني السياحة بأنها ظاهرة من ظواهر العصر تنبثق من الحاجة المتزايدة للحصول على الراحة والإستجمام و تغير الجو والإحساس بجمال الطبيعة و تذوقها و الشعور بالبهجة و المتعة من الإقامة في مناطق ذات طبيعة خاصة.³

ويعرفها ROBERT Lanqard على أنها "عبارة عن مجموعة الأنشطة البشرية التي تتعلق بالسفر و صناعة تهدف إلى إتساع حاجات السائح"⁴، ركز هذا التعريف على أن السياحة نشاط بشري ينتج عن عملية السفر كما أنها صناعة تهدف إلى اشباع حاجات السائح .

أما العالم النمساوي والخبير الاقتصادي السياسي، هيرمان فون سوليرون فلقد عرف السياحة عام 1910 على أنها اصطلاح يطلق على كل العمليات المتداخلة وخصوصا العمليات الاقتصادية المتعلقة بدخول الأجانب وإقامتهم المؤقتة و انتشارهم داخل منطقة ما أو خارجها أو دولة معينة.⁵ ركز هذا التعريف على العمليات الاقتصادية التي تتعلق بعملية، السياحة و التي تنشأ عن دخول السائح الأجنبي إلى البلد المستضيف مهملًا كل العمليات الأخرى منها الاجتماعية و الثقافية في حين يشير كوهن (Cohen) إلى أن السياحة اختيارية غير متكررة دوريا أو السعي إلى الشيء الجديد، أو أنها سفر وقي، أو أنها إقامة مؤقتة.⁶

ركز هذا التعريف على جانب الرغبة عند السائح نحو العملية السياحية أي أنها اختيارية، تتحدد حسب رغبة السائح نحو اكتشاف الجديد وليس بشكل دوري تتم لوقت مؤقت حيث حاول هذا التعريف

¹ ابن منظور، (2005)، لسان العرب، ج7، بيروت، دار صادر، ط4، ص.316.

² سرحان، نائل موسى محمود (2011)، مبادئ السياحة، عمان، دار غيداء، ص.9.

³ إبراهيم، وفاء زكي (2006)، دور السياحة في التنمية الاجتماعية، دراسة تقويمية للقرى السياحية المكتب الجامعي الحديث، ص.70، 71

⁴ كواش، خالد (2007)، السياحة، مفهومها أركانها أنواعها، الجزائر، دار التنوير، ط1، ص.24.

⁵ إبراهيم، وفاء زكي، مرجع سابق، ص.71.

⁶ شوقي، منال عبد المعطي أحمد (2011)، جغرافية السياحة، دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، ص 12.

تبيان الهدف من يعرفها Joffre Dumazeche على أنها: " مجموعة الانشغالات التي يتعاطاها الشخص من أجل الترفيه عن النفس، أو لتطوير معلوماته أو تكوينه و مشاركته الاجتماعية أو لتطوير قدراته الإبداعية الحرة بعد تخلصه من واجباته المهنية العائلية و الاجتماعية" في حين يعرفها J.L. Michoud وهو جغرافي مسؤول إداري في المجلس الأعلى الفرنسي على أنها: " السياحة تضم مجموعة نشاطات إنتاج واستهلاك تستلزم تنقلات خاصة بها خارج مقر السكن اليومي، ليلة على الأقل حيث سبب الخروج هو التسلية، الأعمال، الصحة، اجتماعات مهنية، رياضية أو دينية "1 يركز كل من التعريفين على أن السياحة هي نشاط يركز على الانتاج والاستهلاك وله غاية أساسية وهي الترفيه والتسلية بالدرجة الأولى وذلك من ضغوطات الحياة المختلفة كمت أنها.

أما المجلس الاقتصادي والاجتماعي الفرنسي، فقد عرفها في قراره الصادر سنة 1972 بأنها تلبية وإشباع الرغبات الشديدة والتنوع التي تدفع الإنسان إلى التنقل خارج مجاله اليومي "2 أما السويسري "جلاكسمان" R.Glacksman "عام 1935 فقد قدم تعريف آخر للسياحة على أنها فروع العلاقات المتبادلة والتي تنشأ بين الشخص الذي يوجد بصفة مؤقتة في مكان ما وبين الأشخاص الذين ينتمون لذلك المكان، غير محدد طابع تلك العلاقات ونجد كلا من "هنزكر Henziker" و "كرافت Kraft" يعرفان السياحة بأنها " هي المجموع الكلي للعلاقات والظواهر الطبيعية التي تنتج عن إقامة السائحين طالما أن هذه الإقامة لا تؤدي إلى إقامة دائمة أو ترتبط بعمل مأجور "3 كما يعرف "ماتيو" C. Mathiot "السياحة بأنها: " جميع المبادئ أو القواعد التي تنظم بمقتضاها رحلات الترويج أو الفائدة سواء ما كان منها متعلقا بما يقوم به المسافرون أو السائحون شخصا، و ما كان منها متعلقا بما يقوم به أولئك الذين يقومون باستقبالهم و تسهيل انتقالهم"4.

في حين عرفتها الجمعية البريطانية عام 1976 على أنها: " حركة موسمية قصيرة المدى إلى المناطق السياحية بعيدا عن محل الإقامة والعمل الدائمين.

وأنها تشمل الحركة لكل الأغراض فضلا عن زيارة اليوم الواحد والنزهات وقد أعيدت صياغة هذا الشعر في المؤتمر الدولي حول وقت الفراغ والترويج والسياحة عام 1981 في "كاردف" Cardiff"، بأن السياحة هي أنشطة خاصة مختارة تتم خارج المنزل تشمل أولا الإقامة والبقاء بعيدا عن المنزل"5

¹ كواش، خالد، مرجع سابق، ص 24، 25.

² الرحي، سمر. رفقى (2014)، الإدارة السياحية الحديثة، الأردن، الأكاديميون للنشر والتوزيع، ط1، ص 13.

³ أبراهيم، وفاء زكي، مرجع سابق، ص 71.

⁴ دعبس، يسري (2009)، السياحة والمجتمع دراسات وبحوث في أنثروبولوجيا السياحة، الاسكندرية، دار الملتقى المصري للإيداع والتنمية، توزيع البيطاش وستر للنشر والتوزيع، ص. 16.

⁵ شوقي، منال عبد المعطي، مرجع سابق، ص. 13.

إن السياحة من وجهة نظر أنثروبولوجيا السياحة، أنها مجموعة من العلاقات الاجتماعية التي تنشأ بين الأفراد أو بين المجموعات في المناطق السياحية، حيث وجود الشخص في أي مكان أو في انتقاله من مكان لآخر يحدث نوعا من التفاعل الاجتماعي بين الأفراد بعضهم البعض (إنها تعامل اجتماعي) و إذ أنها توجه الفرد إلى التعامل مع مجموعات طبقات من ذوي الثقافات المختلفة و تلك أمور لا يمكن تجنبها بالنسبة لأي سائح¹ و هذا التعريف يتضمن كثير من العوامل و العمليات المؤثرة في السياحة و منه هناك مبررات لاستخدام هذا التعريف للسياحة باعتباره تعامل اجتماعي و هي :

السياحة تسمح بحدود قد تضيق أو تتسع من التعامل الاجتماعي بين الأفراد والسائح و أبناء الوطن الأصلي.

- يحدث عن طريق السياحة اتصال ثقافي بين السائح وأبناء الموطن الأصلي.
- يدخل السائح وسكان الموطن الأصلي في علاقات اجتماعية واختلاف نظرة كل منهم لثقافتهم
- يحدث من خلال الاتصال الثقافي والعلاقات الاجتماعية ثمة تأثير في مختلف جوانب الحياة بشكل آخر حسب موقف الثقافة وتقبلها لهذه التأثيرات.²

وعليه فالسياحة هي ظاهرة اجتماعية تنتج عنها علاقات اجتماعية مبنية على الاتصال الثقافي والذي له تأثير على الحياة الاجتماعية للأفراد. فاتخذت دراستنا مفهوم السياحة على أنه السفر المؤقت للأفراد من مكان إقامتهم إلى المكان المرغوب سياحيا قصد اشباع حاجاته الجسدية والنفسية والذهنية، وبخاصة سياحة الحمامات المعدنية كممارسة سياحة تركز على المياه المعدنية الحارة.

2-تاريخ الممارسة السياحية

اقتربت الظاهرة السياحية منذ القدم بتطور الانسان وحضارته فكانت متنفسا له ومشبعاً لرغباته واقتناء حاجياته، ومعرفته لوسطه الطبيعي والاجتماعي وفضولا منه لمعرفة العوالم الأخرى وحب اكتشافها.

لقد عرفت الشعوب القديمة أسفار الاستجمام مثل الفنيقيين والمصريين القدامى فتشير الدلائل على وجود أسفار تدفعها الأغراض الشخصية، كاستضافة اليونان للزوار الأجانب أثناء الألعاب الأولمبية الأولى سنة (776 ق. م)، كما أن الرومان كانوا يقضون عطلهم على السواحل من البلاد وحتى في مصر من أجل الاستجمام، أو زيارة الأقارب والأصدقاء. ففي عهدهم ساد السلام نسبيا وتوسع نطاق التجارة بين طبقات المجتمع وخارجه، كما تمتعوا بشبكة طرق عظيمة الأهمية وسلسلة من الحانات (التي تعادل فنادق القرن

¹ دعبس، يسري، مرجع سابق، ص. 23.

² إبراهيم، محمد عباس (2013)، السياحة والموروث الحضاري في أنثروبولوجيا السياحة، مصر، دار المعرفة الجامعية، ص. 44.

العشرين). كما تمتع الرومان بقسط كبير من وقت الفراغ سمح لهم بالسفر والترويج.¹ وقد ارتبطت ظاهرة التنقل والسفر بدوافع أهمها:

- دافع تحقيق الفائدة: من خلال نشوء علاقات متبادلة بين القبائل والدويلات المختلفة بعيدة كانت أم مجاورة، وكان نتيجة هذه العلاقات تحقيق الاستفادة التجارية للموارد التي تملكها بلدانهم.
 - دافع الاستطلاع: وهو ما أعطى للناس القدرة للقيام برحلات طويلة و التعرض للظواهر الطبيعية المختلفة لمعرفة عادات و تقاليد الشعوب الأخرى.
 - الدافع الداخلي: في حين أن هذا الدافع شكل ارتباطا روحيا للناس، فقاموا برحلات بعيدة وشاقة.²
- وفي هذا الصدد يمكن أن نلخص مراحل تطور الظاهرة السياحية في أربع مراحل رئيسية والتي تبلورت فيها الممارسة السياحية بشكل متصاعد.

أ- المرحلة الأولى: (مرحلة الحضارات القديمة)

تميزت هذه المرحلة بقدرة الإنسان على معرفة الطرق بدرجات متباينة من حيث السيمات و التوزيع الجغرافي الأمر الذي أسهم في سهولة السفر و الترحال لأغراض مختلفة، فقد عرف المصريون القدامى إثر ترحالهم و كثرة أسفارهم بين أقاليم مصر المختلفة جعلها تعرف أول أشكال الترويج و السياحة و الذي ساعدها على ذلك هو تعدد الأعياد و الاحتفالات الدينية التي بدورها ساهمت في الحركة السكانية، إضافة إلى كثرة المراكز الثقافية و التي شكلت مزادات هامة لطبقة المثقفين و رجال الدين في مختلف مصر.³

وعن أمثلة هذه الأعياد عيد الحصاد، عيد المشاعل (المصاييح) وعيد اليوم الجديد (عيد النيروز) كما شكلت مصر مزارا حتى من قبله الوافدين السياح من الأقاليم الأجنبية و يمكن القول أن بلقيس ملكة سبأ تعد أشهر سائحة (بالمفهوم الحديث للسائح)، في التاريخ القديم منذ أن سحرتها سيرة وحكمة و قوة سليمان الحكيم (960 – 925 ق. م) وما تناقلته الأخبار عما تتمتع به مملكة من ثراء ورفاهية وبنخ، مما دفعها إلى القيام برحلة (سياحية) لزيارته في القدس.⁴

أصبح السفر وسيلة للتجارة و الثقافة و المنفعة، فكان للفنقيين السبق في الاهتمام بالتجارة والتنقل، إذ يعدون من أشهر الشعوب القديمة التي اتسمت بحب المخاطرة والاهتمام بالترحال البحري، بحثا

¹ شوقي، منال عبد المعطي أحمد، مرجع سابق، ص. 36.

² المسعودي، رياض وشمطو، سمير خليل (2017)، دراسات في جغرافية السياحة، الأردن، دار الأيام، ط1، ص. 26.

³ شوقي، منال عبد المعطي أحمد، مرجع سابق، ص. 37.

⁴ حماد إبراهيم عبد القادر، عبد، محمود ناصر (2013)، مدخل إلى جغرافية السياحة، الأردن، الوراق، ص. 53.

عن المعرفة و الكسب المادي، والتي تعد من أهداف السياحة بمفهومها الحديث فالتجار الفنيقيين ركبوا البحر في كافة الاتجاهات وخاصة بعد القرنين (13، 18 ق. م). حيث بلغ نشاطهم البحري الذروة خلال الفترة من القرن العاشر إلى منتصف القرن الثامن عشر قبل الميلاد عندما بلغت رحلاتهم شواطئ شبه جزيرة إيبيريا و بلاد الغال و مالطة و كورسيكا و جزر البليار و شمال إفريقيا.¹

يعود الفضل الأول في إرساء الفكر الجغرافي الإغريق كمؤسسين لعلم الجغرافيا وضعوا تسمية الجغرافيا (Geography) الكلمة الأخرية و التي تتكون من مقطعين (Geos) و تعني الأرض، و (Grahpos) وتعني الوصف و بذلك الكلمة تعني وصف الأرض، فنشأت فروع الجغرافيا آن ذاك ومنها الجغرافيا الرياضية Mathematal Geography التي نشأت على يد طاليس في القرن (6 ق.م) ثم تطورت على يد "رانوستين" في القرن (3 ق.م) بينما الجغرافيا الطبيعية (Physical Geography) التي كانت أقل تقدما وذلك في تأمل ظواهر المد والجزر و حدوث البراكين و تكوين الدلالات، فقد كتب أرسطو عن تاريخ النبات و علاقته بالمناخ و التي كانت النواة الأولى لجغرافيا النبات (Planat Geography)2، و كان من أشهر الرحالة في ذلك العصر المؤرخ اليوناني هيرودوت الذي بدأ رحلاته بزيارة أثينا و جزر اليونان ثم انتقل إلى بلاد الشرق فزار فلسطين و مصر و قد أهتم بدراسة جغرافية هذه البلدان و تاريخها و نظمها الاجتماعية و ثقافتها و حضارتها3. فتعرف على اختلاف الشعوب و عاداتهم و نظمهم السياسية و وسائل التطبيب لديهم و سجل أسفاره في تسعة (9) مؤلفات عكست اهتمامه بتاريخ الدول لذا لقب بأبو التاريخ.

ومن أبرز الرحلات السياحية في تلك الفترة كانت بلاد الإغريق عندما كانت تفقد جماعات من اليونانيين القدامى أنفسهم و بعض سكان الأقاليم الأوروبية المجاورة إلى منطقة جبل أولمبيا، لمشاهدة الألعاب الأولمبية التي شرع في تنظيمها عام (776 ق.م) مع كثرة التردد على المسارح من أجل المتعة و الترويح عن النفس، و هو ما شجع بعد ذلك على المطالبة ببناء فندق لزوار أثينا و كان ذلك خلال القرن الرابع قبل الميلاد (4 ق.م)4. كما ارتحلوا أيضا إلى منابع العيون المائية للاستشفاء و المعالجة بعد معرفتهم بمزاياها العلاجية.⁵

¹ كواش، خالد، مرجع سابق، ص. 11.

² المسعودي، رياض وشمطو، سمير خليل، مرجع سابق، ص. 26.

³ سرحان، نائل موسى محمود، مرجع سابق، ص. 2.

⁴ كواش، خالد، مرجع سابق، ص. 11، 12.

⁵ حماد، عبد القادر إبراهيم وعبد، ناصر محمود، مرجع سابق، ص. 58.

على غرار باقي الحضارات اعتبر الرومان كذلك من أول شعوب الحضارات القديمة التي اهتمت بشغل أوقات الفراغ بالسفر والترحال لتحقيق المتعة وقضاء أوقات طيبة حيث أنه يصنف المسافرون خلال ذلك العهد إلى أربع فئات:¹

- رجال القوات المسلحة حيث تم إنشاء الطرق لتسهيل تحركات الجيوش الرومانية.
- المسؤولون الحكوميون، حيث شكلت تحركات رجال الدولة والإدارة والبريد جانبا من إجمالي الحركة على الطرق.
- التجار وأصحاب المهن المختلفة وخاصة العاملين في قطاع التعدين، إن اهتم الرومان باستغلال الموارد المعدنية في العديد من الأقاليم الخاضعة لسيطرتهم.
- المسافرون بإرادتهم من أجل الاستمتاع والمعرفة سواء لزيارة شواطئ البحار أو الأماكن ذات الأهمية الدينية، أو بعض الأقاليم التي تتوافر فيها آبار وعيون للمياه المعدنية للعلاج، أو لمشاهدة المباريات الرياضية وخاصة المصارعة أو المهرجانات السنوية التي اشتهرت بها بعض مدن إيطاليا.

إن اهتمام الرومان بالمسائل الحربية والعسكرية والتجارة والإدارة فقد عرف علم الجغرافيا تدهورا في عصرهم، و مع ذلك برز العديد من الجغرافيين أمثال استرابون و بطليموس، حيث سجل استرابون المعلومات المفصلة لأقاليم العالم المعروف، و تعد فترة العصر الروماني أكثر فترات الازدهار السياحي في العالم منذ القرن (6.ق.م) فزاد التنقل و الترحال حيث أصبح النقل أيسر بانتشار الخيول و العربات بالإضافة إلى ظهور العملات.² ويعود الفضل في تقدم النقل للرومان للمناطق التي غزوها وسيطروا عليها، حيث وصل طول الطرق حوالي 80 ألف كم في عهد تراجان، وتعزى شهرة الطرق الرومانية في القرن (8.ق.م) لكونها تشكل الأساس الذي قامت عليه كثير من الطرق الحديثة. كما اهتموا بالنقل البحري في البحر المتوسط منذ منتصف القرن (1.ق.م) فاستولت على مصر و أصبحت أحد الأقاليم التي تمدها بالغلال، كما مارس الرومان السفر بغرض التمتع و النزهة و ساعدهم في ذلك استخدام الخيل والعربات على مراحل وبسرعة بلغت مائة ميل أو أكثر في اليوم الواحد، فارتحلوا لمشاهدة الآثار في اليونان و مصر و عجائب الدنيا من أهرامات و تماثيل، و ظهرت في تلك الفترة رحلات الاستشفاء و الترويح لوجود حمامات المياه المعدنية و الشواطئ الجميلة والتي أصبحت مقصد المستجمين من جميع أنحاء العالم في تلك الفترة.³ فنشطت الرحلات الكشفية الرومانية البحرية والبرية خارج حدود الإمبراطورية منذ القرن (1.م) حيث أنهم وصلوا إلى منابع نهر

¹ كواش، خالد، مرجع سابق، ص. 12، 13.

² المسعودي، رياض وشمطو، سمير خليل، مرجع سابق، ص. 27.

³ المسعودي، رياض وشمطو، سمير خليل، مرجع سابق، ص. 27.

النيل في إفريقيا، في حين وصلوا إلى أقاليم وراء الهند عن طريق البحر خلال القرن (2م) وتبع ذلك إقامة خط ملاحي منتظم يربط عدن ببعض موانئ الهند¹ إلى ما يميز هذه المرحلة أن الممارسة السياحية في هذه الفترة عرفت تطورا، وذلك يفعل أول وأهم عامل وهو حب السيطرة والتوسع الاستعماري والذي برز مع الإمبراطورية الرومانية. في حين أن عامل حب البقاء والاستمرار وما لازمه من بحث عن مصادر العيش وتوفير الأمان والتبادل التجاري والفضول لمعرفة واكتشاف عوالم أخرى من العالم والتي قد تعود بالخيرات والمنافع المادية والمعنوية.

ب- مرحلة العصور الوسطى:

تمتد هذه المرحلة من القرن الخامس ميلادي إلى الخامس عشر ميلادي حيث تميزت هذه الفترة بنشاط وتعدد الرحلات التي قام بها كل من الأوروبيين والعرب². سقطت الإمبراطورية الرومانية وتقلصت إلى ما يسمى بالإمبراطورية الرومانية الشرقية والتي ورثتها بيزنطة في القسطنطينية، وسيطرت الكنيسة الكاثوليكية على روما و على الإمارات التي ظهرت في غرب أوروبا، وانتشر العرب و الإسلام على طول السواحل الجنوبية للبحر المتوسط و الشام و في الأندلس وصقلية وغيرها والتركستان والقوقاز، وفي الشرق الأقصى كانت الصين سرا معلقا على الدوام وقد سيطر الفكر الديني على مقدرات الناس وكان البحث في مجال المعرفة مرتبط بفضن السحرة، وقامت الكنيسة الفكر العلمي و الوثني الذي خلفه الإغريق وغيرهم³.

فقد اقتصر نشاط الرحلات و السياحة في أوروبا أوائل هذه المرحلة على الرحلات ذات الطابع الديني و ذلك إلى المعابد المسيحية، وقد تجاوزت بعدها حدود القارة باتجاه الأماكن المقدسة في فلسطين⁴، فنشطت رحلات الكشف والاستطلاع التي قام بها رجال الدين وغيرهم مثل رحلة الراهب (كوزماس) الذي وصف رحلته إلى الهند متحدثا عن موقعها بدقة و رحلة الإخوان (نيقولا و مافيوبولو) ذهابا إلى بلاط قبلاى خان في كاثاي بالصين الشرقية، و كان لهما الدور الرئيسي في الكشف الجغرافية لأنحاء عديدة من آسيا و خاصة الصين و وسط و جنوب شرق آسيا و رحلة (ماركوبولو) التي وصفت من أعظم ما كتب من الرحلات، و قد أقام في الصين سبعة عشر سنة و دخل في خدمات الخان العظيم و زار مناطق عديدة من الصين وما حولها. في حين رحلة الراهب (كربيني) عام 1225 في بعثة له من طرف البابا (انوسنت الرابع) إلى الخان، لدعوة الحكام إلى اعتناق وكذلك رحلات البرتغال والأسبان على طول امتداد السواحل الأطلسية الشمالية الغربية والجنوبية

¹ حماد، عبد القادر ابراهيم وعبد، ناصر محمود، مرجع سابق، ص. 55.

² عبد القادر ابراهيم حماد، ناصر محمود عبد، مرجع سابق، ص. 56.

³ المسعودي، رياض وشمطو، سمير خليل، مرجع سابق، ص. 28.

⁴ كواش، خالد، مرجع سابق، ص. 13.

لقارة أفريقيا والجزر المواجهة لها.¹ ونشطت الرحلات البحرية الأوروبية خلال القرن الخامس عشر مع بداية حركة الاكتشافات الجغرافية وخاصة مع بداية اكتشاف كل من الأمريكيتين عام 1429، ورأس الرجاء الصالح عام 1429 الأمر الذي سمح يربط أوروبا وآسيا بحريا.² لقد تأثرت عمليات السفر والترحال والسياحة والترويج أبان تلك الفترة بعدة عوامل منها:³

- مدى الرفاهية التي تمتعت بها هذه المناطق.
- استقرار الأوضاع السياسية.
- التجانس الحضاري ومدى اتساع المنطقة الحضارية.
- طرق النقل ووسائله ومدى توفر الأمن والتسهيلات لها.
- أثر العقيدة الدينية.
- التجارة.

وكانت لوسائل النقل المستخدمة و شبكة الطرق أهمية بالغة لتعزيز عمليات السفر و التنقل و الربط بين الحضارات و أقاليم العالم، إلا أن دور أوروبا في حركة الأسفار في العصور الوسطى كان دورا محدودا وأن ما يميز هذه المرحلة انتقال الحضارة حيث أصبحت الدول العربية والإسلامية مركز للإشعاع الفكري و التطور العلمي والأدبي والازدهار التجاري إلى أوروبا.⁴ وعليه فإن للنشاط السياحي عند العرب والمسلمين عرف ازدهارا وذلك مع انتشار الحضارة الإسلامية التي عرفت أوجها في العصور الوسطى مقابل الضعف والاضمحلال بالنسبة للعرب و حضارته .

إذن في الجهة الأخرى من العالم، فقد كان لتفوق الحضارة الإسلامية منذ القرن الثامن ميلادي وحتى أوساط القرن الثالث عشر عن مثيلتها في البلاد الأوروبية و الآسيوية أثرا بالغا في ثراء هذه البلاد و ازدهار النشاط التجاري و الصناعي و الثقافي مما اجتذب الباحثين و العلماء من أنحاء العالم إلى هذه المراكز المزدهرة كبغداد و قرطبة و غيرها ينهلون من منابعها " أسس حضارتهم اللاحقة"⁵. فقد تميزت رحلات العرب في هذه الأثناء بقطع مسافات طويلة بحرية كانت أم برية و تزايد نشاط الترحال حيث اتسعت دائرة الرحلات العربية منذ القرن (8م) بعد ظهور الإسلام و انتشاره، و امتداد الدولة الإسلامية في تلك الفترة بين شبه القارة الهندية في الشرق و شمال إفريقيا في الغرب و الجنوب، حتى بلغت أيضا سيبيريا و كون أن بغداد و قرطبة

¹ المسعودي، رياض وشمطو، سمير خليل، مرجع سابق، ص. 29، 28.

² كواش، خالد، مرجع سابق، ص. 14، 13.

³ شوقي، منال عبد المعطي أحمد، مرجع سابق، ص. 39.

⁴ حماد، عبد القادر إبراهيم وعبد، ناصر محمود، مرجع سابق، ص. 57.

⁵ المرجع سابق، ص. 57.

من أهم مراكز الحضارة الإسلامية في ثرائها بقصورها و حدائقها مما جعلها مزارات جذبت عددا كبيرا من الزوار من داخل و خارج الدولة كما أن الرواج الاقتصادي و الرغبة في المعرفة و الاستطلاع ساهم في رواج السياحة¹. إذن أن الرغبة في تعلم أسرار العلوم الحديثة و الآداب و الفنون العربية عامل الجذب من خارج الدولة الإسلامية، في حين كانت التجارة و الرغبة في الكسب و الشجاعة و حب المغامرة و الكشف والبحث والشهرة من دوافع اتساع دائرة الرحلات حتى خارج الدولة الإسلامية فطيلة 6 قرون الممتدة بين (8-14م) قد أثرى المعرفة الجغرافية لدى العرب والعالم ورسخ القواعد الأولية لمفهوم السياحة من خلال كتابات العرب الرائدة عن العديد من أقاليم العالم و تضمنته من معلومات و وثائق سياحية الأمر الذي مهد إلى بدايات علم السياحة².

ومن الرحالة العرب الخوارزمي أحد الرحالة الأوائل وأول من وضع خريطة لغرب إفريقيا كما قام بتنقيح الترجمة العربية لكتاب الجغرافيا " لبطليموس والذي توفي عام 833م، في حين يعد المسعودي صاحب كتاب " مروج الذهب " عام 943 م الذي تضمن وصفا دقيقا لشرق إفريقيا، و ابن بطوطة في كتابه " تحفة الأنظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار، الذي تضمن رحلاته إلى آسيا و إفريقيا أيضا أبو عبيدة البكري الذي وضع في كتابه " المسالك و الممالك " عن غرب إفريقيا . و منهم أيضا أين جبير الذي قام برحلة من بلاد الأندلس إلى المشرق العربي و أيضا البيروني صاحب كتاب " تحرير ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة " الذي تضمن شرحا وافيا للظواهر الطبيعية و البشرية المنطقة الواقعة ما بين حدود الهند الشمالية و حدود نيبال الجنوبية، كما نذكر الإدريسي في كتاب نزهة المشاق في اختراق الإفاق و المتوفى عام 1153م غير أن التراث الأدبي العربي الإسلامي غني بالمشاهد التي تدل على النشاط السياحي آن ذاك من خلال العديد من المباني الخاصة بالزلاء حيث تم الإشارة إليهما من طرف الرحالة و المؤرخين ككثرة الفنادق و النزل و الحانات والحمامات في مدن القاهرة والإسكندرية، بغداد، البصرة، دمشق، حمص و تونس، سمرقند، و غزة و مدن الأندلس بصورة خاصة³.

والجدير بالذكر أن ابن خلدون (1332، 1406) و في عمله المتميز المشهور المقدمة التي تعطي لنا صورة عن صورة عن العلاقة بين الإنسان و بيئته الجغرافية و تأثير هذه الأخيرة على طبائعه و كيف للعوامل الجغرافية أن تؤدي إلى قيام الحضارة و ارتقاءها، كما أن تطرقه لأحوال الناس و صنائعهم و توزيعهم عبر أماكن عديدة من الأرض و حتى تنقله من حيز جغرافي إلى آخر كان كفيلا أن يعطي صورة عن الفعل السياحي

¹ كواش، خالد، مرجع سابق، ص. 14، 15.

² شوقي، منال عبد المعطي أحمد، مرجع سابق، ص. 42.

³ حماد، عبد القادر إبراهيم وعبد، ناصر محمود، مرجع سابق، ص 58، 59.

و لو ليس بشكل مباشر . اشتعلت شمعة العلم والمعرفة في العالم العربي والإسلامي وجابوا أقطار الأرض وازدادت حركة التنقل والترحال لتلغي العلوم والمعارف فكللت هذه الرحلات بوصوفات للمناطق والحياة والعادات والتقاليد وغيرها. فيلخص كل من الحوري والدباغ في كتابهما الموسوم بـ " مبادئ السفر والسياحة " (2001) أبرز ما يميز الأسفار في العصر الوسيط على النحو التالي:¹

- ظهور حب الترحال عند الرحالة والمستكشفين، حيث كان الدور الريادي للرحالة العرب في هذا النمط من الأسفار.
- تطور صناعة الورق وأدوات الكتابة أدى إلى تدوين الرحلات وتقديم وصفا دقيقا للبلدان والذي أصبح دليلا في الإرشاد السياحي.
- انتعاش الحركة التجارية في العالم قد نشط حركة الأسفار.
- تطور الصناعات اليدوية والحرفية ساعد على انتعاش التجارة، وانعكس ذلك إيجابيا على السفر
- تطور الوازع الديني وكثرة أعداد الحجاج وارتباطه مع دافع المتعة نشط حركة الأسفار.
- تطور الآداب و الفنون أعطى دوافع جديدة للسفر.
- وضع الخرائط لأول مرة في هذه الحقبة الزمنية سهل عملية السفر.

ج-المرحلة الحديثة : النهضة والتطور الآلي :

تمتد هذه المرحلة بين القرن السادس عشر (16 م) و نهاية القرن(19م) التاسع عشر الميلاديين وشهدت هذه المرحلة المتزامنة مع حركة الاكتشافات الجغرافية خلال القرن(15م). تغيرات عديدة في المجال العلمي، كالاكتشافات الجغرافية من أهمها : اكتشاف أمريكا من طرف كولمبس و اكتشاف أستراليا عام 1605، لتبدأ بعد ذلك الرحلات القارية داخل الأقاليم المجهولة فيما يعرف بقارات العالم الجديد، حيث غطت رحلات الإسبان معظم أقاليم أمريكا اللاتينية خلال الفترة الممتدة بين 1513-1783، بالإضافة إلى الرحلات الأوروبية صوب إفريقيا واتسمت هذه المرحلة بتطور الآلة وتقدم وتطور وسائل الاتصال والمواصلات، الأمر الذي جعل السفر أكثر راحة و أمنا كالبواخر و السيارات و السكك الحديدية، و صحب كل هذا تطور اجتماعي و ذلك بظهور علما و فنانيين في مختلف المجالات فكان الأفراد يسافرون إلى عواصم العالم و المدن الشهيرة لمشاهدة الآثار و المراكز الثقافية حيث اقتصررت هذه الرحلات على فئة تعرف بالسياح الأثرياء والذي عرفت ازدياد أعدادهم في القرنين 17 م، 18 م لتخضع السياحة في هذه المرحلة إلى حملة من القيود والقواعد والقوانين كجوازات السفر و التأشيرات كنتيجة لظهور دول ذات نظم سياسية و اقتصادية و دينية

¹ حماد، عبد القادر إبراهيم وعبد، ناصر محمود، المرجع السابق، ص 59.

مختلفة و ظهور التشريعات مه إدراك أهمية السياحة.¹ ومن أهم هذه التشريعات الخاصة بالإجازات: الإجازات السنوية المدفوعة بأجر تام بهدف توفير وقت الفراغ الكافي للطبقة العاملة لتمكين من استثماره بأنشطة ترويجية منها السفر والسياحة التي تحقق الراحة والاستجمام للطبقة العاملة و هذا جاء على إثر تطور الحركة العالمية في العالم و ظهور نقابات واتحادات العمال التي تدافع عن حقوقها، أيضا ما يميز هذه المرحلة:

- تطور المستوى المعيشي للسكان من أوروبا وأمريكا الشمالية الذي أدى إلى ارتفاع مستوى دخل الفرد.
 - تزايد حجم السكان بشكل مضطرد.
 - تحقيق الاستقرار السياسي والأمني و تطور العلاقات بين البلدان .
 - زد على ذلك تطور وسائل النقل و الاتصالات حيث اتسمت هذه المرحلة باختراع أحدث الطائرات و تطوير النقل الجوي الأمر الذي أدى إلى اختزال المسافات بين بلدان العالم، كما صناعة السيارات.²
- ولعل أن الظاهرة السياحية في هذه المرحلة الحديثة ارتبطت بصحة الإنسان فمع زيادة الوفيات الذي أرجع إلى اضطراب الدورة الدموية وأمراض القلب والأمراض العصبية والسرطان وغيرها قد أصابت الإنسان بصفة بالغة نتيجة أسباب أهمها:
- كثرة العمل و تأثير الآلات الميكانيكية الحديثة لإنجاز العمل في أقصر وقت.
 - عملية التركيز والضغط على العقل طوال الوقت.
 - الحياة الروتينية التي يعيشها الأفراد على مدى فترات زمنية طويلة.³
- إلا أن السياحة تأثرت في هذه الفترة بالحروب (الحربين العالميتين 1،2) مما أدى إلى ركودها إلا أنها قد ازدهرت بعد ذلك كون أن كل الاختراعات التي كانت ساعدا في الحرب قد تحولت إلى إمكانيات مادية للسياحة و هذا ما أثر ايجابيا على صناعة السياحة في العالم.⁴

د-المرحلة المعاصرة وثورة المعلومات:

تبدأ هذه المرحلة مع بداية القرن العشرين حيث تطورت فيه السياحة بشكل لم تشهد من قبل وذلك بعد نهاية الحروب (2) واستقرار الأوضاع السياسية والاقتصادية، ومع زيادة الاهتمام بالجوانب

¹كواش، خالد، مرجع سابق، ص 16، 17.

²حماد، عبد القادر إبراهيم وعبد، ناصر محمود، مرجع سابق، ص 63، 64.

³شوقي، منال عبد المعطي أحمد، مرجع سابق، ص، 46.

⁴سرحان، نائل موسى محمود، مرجع سابق، ص.7.

الاجتماعية والنفسية للأفراد. فقد برزت عدت منظمات دولية في هذه الفترة بالمنظمة العالمية للسياحة التابعة لهيئة الأمم المتحدة وعليه يعد القرن العشرين بمثابة العصر الذهبي للسياحة وذلك لاعتبارات أهمها:

- التطور والتقدم الكبير في وسائل النقل المختلفة البرية منها والبحرية وحتى الجوية مع تحقيق الأمان والسرعة والراحة.
- التطور و التقدم الكبير في وسائل الإعلام والاتصال (المرئية و السمعية والمقروءة) و سهولة و سرعة انتقال المعلومات على العالم (الانترنت، الفاكس ...).
- التحسن الملحوظ في النواحي الاقتصادية و الاجتماعية، وارتفاع مستوى المعيشة ونمو المداخل الذي ولد فائض فيها لتخصص جزء كبير منه للسياحة.
- تزايد أوقات الفراغ و العطل السنوية المدفوعة الأجر و ارتفاع المستوى الثقافي و الاجتماعي و العلمي الذي انعكس على السياحة.
- الاهتمام بالسياحة والحرص على تنميتها و تطويرها ساهم في انتعاشها.
- قيام و ظهور العديد من المنظمات الدولية و الإقليمية التي تهتم بالسياحة من تنظيم و تفعيل و توعية و ترقية.¹

في هذه الفترة قد شوهدت ظواهر سياحية فريدة من نوعها، إذ أنه تم انتشار فكرة الرحلات السياحية الجماعية الرخيصة و التي تضم أصحاب الدخل المحدود والمتوسط، والذين يرغبون في قضاء إجازاتهم خارج أوطانهم حيث ان هذه الفئة تشكل نسبة كبيرة من سكان المجتمعات، أيضا انتشار فكرة المنتجعات السياحية في العديد من دول العالم، والتي تعتمد في نشاطها على ملامح البيئة الطبيعية، إضافة إلى استخدام أساليب عديدة لجذب السياح أكبر قدر ممكن.² تعتبر معظم الدول المهتمة بالسياحة على أنها الصناعة الثانية في العالم و موردا أساسيا و رئيسيا فيها، و ذلك لحجم العوائد الاقتصادية الكبيرة، إذ أنها تدر المليارات من العملات سنويا، الأمر الذي جعلها تغطي اهتماما أكبر لإنشاء المرافق السياحية المختلفة تشجيعا للسياح و زيادة أعدادهم.³ و لكي نوضح تطور السياحة يكفي الإشارة إلى تطور عدد السياح منذ النصف الثاني من القرن الماضي، حيث ارتفع عدد السياح من 25 مليون سائح سنة 1950 إلى 930 مليون سنة 2010 و من المتوقع أن يصل هذا العدد إلى 1,56 مليار سائح سنة 2020، و ذلك تبعا لدراسات منظمة السياحة العالمية و التي تعطي تفسيراً على أن هذه الزيادات لم تكن عشوائية بل جاءت نتيجة لتغيرات

¹ كواش، خالد، مرجع سابق، ص. 18، 19.

² شوقي، منال عبد المعطي أحمد، مرجع سابق، ص. 48.

³ سعادة، جعفر يوسف (2000)، التربية السياحية، القاهرة، دار الكتاب الحديث، ط1، ص. 57.

اجتماعية واقتصادية أهمها: النمو الاقتصادي، زيادة طرق السفر، تحسين القدرة الشرائية، وكذا الزيادة في مدة الإجازات المدفوعة.¹ وهذا ما يلخص فكرة تطور السياحة.

ثانيا: الممارسة السياحية؛ أنواعها وأهميتها

1-أنواع الممارسة السياحية

تعددت تصنيفات السياحة وممارساتها إذ يمكن تحديد أنواع كثيرة من الأنماط السياحية وذلك إذا أخذنا بعين الاعتبار العديد من المؤشرات منها على سبيل المثال عدد الأشخاص المسافرين، و وسيلة النقل، و السن و جنس، و مدة الإقامة، و المناطق الجغرافية و غيرها، إلا أنها في هذه الدراسة سوف نركز على أنماط تكون أشمل الأنواع وذلك بما يتحدد الغرض المرجو منها و عليه فإن من أنواعها نجد :

أ- الممارسة السياحية البيئية Eco-tourisme

إن السياحة البيئية في أبسط تعريف لها، هي سياحة مرتبطة بالأماكن الهادئة غير المقلقة من أجل الاستمتاع بالطبيعة المحيطة، حيث يعرفها الصندوق العالمي للبيئة بأنها: {السفر إلى مناطق طبيعية لم يلحق بها التلوث و لم يتعرض توازنها الطبيعي إلى الخلل، وذلك للاستمتاع بمناظرها و نباتاتها و حيواناتها البرية، و بحضاراتها ماضيا و حاضرا و يعتبر هذا النوع من السياحة هاما للدول النامية لكونه يمثل مصدرا للدخل إضافة إلى دوره في الحفاظ على البيئة وترسيخ ثقافة وممارسات التنمية والتنمية المستدامة}².

فالسياحة البيئية هي ذلك النوع السياحي الذي يجعل المحيط البيئي الطبيعي المقصد الأساسي للزائر أو السائح، و ذلك بهدف التعرف على ما يحتويه ذلك المحيط البيئي من أنواع و أنظمة و مظاهر و عناصر طبيعية (مادية، حيوانية، نباتية و ثقافية، و بغرض التمتع الراقي بمجالات و معان و تعبيرات عناصر الجذب تلك بوسائل وأشكال ودرجة انتفاع لا تؤدي إلى تدمير العناصر تلك، أو تحول دون بقائها و تطورها و تجديدها وانتقالها إلى الأجيال القادمة مع ضرورة اشتراك المجتمع المحلي في الانتفاع و المسؤولية³.

يتضح من هنا أن السياحة البيئية تعتمد في المقام الأول على الطبيعة بمناظرها الخلابة و المثيرة و هناك العديد من الأنشطة والممارسات السياحية التي ترتبط بها و منها:⁴

➤ الصيد البري للطيور والصيد البحري للأسماك و غيرها.

¹ بن غضبان، فؤاد (2015). السياحة البيئية المستدامة بين النظرية والتطبيق، دار صفاء، ص.54، 55.

² إبراهيم، محمد عباس، مرجع سابق، ص. 91.

³ بن غضبان، فؤاد، مرجع السابق، ص. 98.

⁴ إبراهيم، محمد عباس، مرجع سابق، ص. 93.

- الرياضيات المائية و الغوص إلى الشعاب المرجانية و أنواع بحرية أخرى.
- تأمل الطبيعة واستكشاف كل ما فيها.
- الرحلات في الغابات و مراقبة الطيور و الحيوانات.
- تسلق و استكشاف الجبال والوديان.
- إقامة المعسكرات.
- رحلات السفاري و السياحة الصحراوية (الراي و المخيمات في فصل الربيع).
- تصوير الطبيعة.
- زيارة مواقع التنقيب الأثرية.
- المغامرات الطبيعية المختلفة.

وعليه فإن هذا النمط السياحي يشتمل على مميزات عديدة كونه تنشأ منه مجموعة من الأشكال السياحية، كالسياحة الترفيهية و السياحة الجبلية، و الرياضة و سياحة الشواطئ و السياحة الصحراوية و غيرها .

إن السياحة البيئية هي عملية تعلم و ثقافة و تربية بمكونات البيئة، و بذلك فهي وسيلة لتعريف السياح بالبيئة و الانخراط بها أما السياحة المستدامة فهي الاستقلال الأمثل للمواقع السياحية من حيث دخول السياح بأعداد متوازنة للمواقع السياحية على أن يكونوا على علم مسبق و معرفة بأهمية المناطق السياحية لأجل التعامل الإيجابي للطرفين .

فالسياحة البيئية تلبى احتياجات السياح، كما تعمل على الحفاظ على المناطق السياحية و زيادة فرص العمل للمجتمع المحلي، و تعمل على إدارة كل الموارد المتاحة سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية أو جمالية أو طبيعية في التعامل مع المعطيات التراثية و الثقافية، بالإضافة إلى ضرورة المحافظة على التوازن البيئي و التنوع الحيوي¹ و عليه فإن : للسياحة البيئية أهمية تتجلى في جوانب أو أبعاد اجتماعية و ثقافية و اقتصادية، و سياسية، و حتى إنسانية. ففي جانبها الاجتماعي نجد أن السياحة البيئية وليدة مجتمع قائم على التفاعل الدائم بين الإنسان و الطبيعة، و ذلك في علاقة التأثير و التأثر و الذي يوازيه عمليات الحراك و التنقل الاجتماعي و الذي بدوره أيضا قد يرمي إلى مجتمع إيجابي من خلال تحقيق مبدأ الأصالة و المعاصرة و التحديث و التطور، و الاندماج الاجتماعي . أما من حيث جوانبها الثقافية فالأمر قائم على الوعي البيئي و الذي تحدده العملية الثقافية ترمي إلى إنشاء ثقافة بيئية في المجتمع، من خلال تطوير الوعي و تهذيب

¹ بن غضبان، فؤاد، مرجع سابق، ص. 79، 80.

الممارسة، و المشاركة البيئية، و الاهتمام بالآخرين، و التفاعل الثقافي وهذا من شأنه أن يعرض ثقافة الحفاظ على البيئة المحيطة من مختلف الظواهر السلبية كالتلوث، لأجل استعادة التوازن البيئي الطبيعي¹.

لا يخفى على أحد أن العائد البارز ربما هو العائد الاقتصادي الذي تتمحور عليه العملية السياحية، و عليه فإن الاستثمار في البيئة سيحقق مبادئ التنمية المستدامة من خلال :

- تحقيق عائد ومردود وأرباح ومولدات للدخل من ممارسة نشاط السياحة البيئية.
- تحقيق فرص للعمل للبطالين والباحثين عن العمل كونها نشاط اقتصادي يقوم على العمل المكثف.
- تحقيق التنوع في العائد الاقتصادي، ومصادر الدخل القومي وتنميته من أنشطة رئيسية وفرعية مرتبطة بالنشاط السياحي والبيئي بالخصوص.
- توفير البيئة الأساسية للعناية كما تعمل على تحسين المرافق الهيكلية، كذا تحسين الطاقة الاستيعابية للاقتصاد الوطني. وهذا قد يستوجب جانبا سياسيا يعتني بالأمن البيئي من خلال البرامج الحكومية الداعمة للحفاظ على البيئة من خلال تصحيح الممارسات البيئية.
- كما أن للسياحة البيئية جانب إنساني يتأتى من تكامل كل هذه الجوانب المذكورة فمحورها الإنساني الذي يدخل في علاقاته مع البيئة لأجل أن يحقق الراحة والانسجام واستعادة الحيوية والدافعية والتوازن العقلي والعاطفي لأجل اتخاذ قرارات رشيدة في الحياة².
- وتختلف وتتعدد مظاهر السياحة البيئية، من سياحة بيولوجية ومناخية ورياضية بيئية، و سياحة التخيم وبحرية، وغيرها تركز دوما على المورد الطبيعي.

إن تركيزنا على السياحة البيئية قد نفسره بأن البيئة هي المورد الأول لقيام أي نشاط سياحي كان فبدون وجود مقومات الطبيعة محفزة لا يستطيع الإنسان التفاعل والاحتكاك مع الطبيعة ولا يبرز أي ناتج سياحي

ب- الممارسة السياحية العلاجية :

ويعتبر الهدف الرئيسي منها هو العلاج و قضاء فترات النقاهة للعناية بالصحة، حيث يتجه السياح إلى أقاليم تشتهر بدورها العلاجي لبعض الأمراض، الأمراض القلبية الشريانية والتنفسية و الروماتيزمية، و حتى القلق و التوتر النفسي و العصبي إن تتمتع هذه الأماكن بخصائص شفاوية مثل ينابيع المياه المعدنية و الكبريتية و حمامات الطين و الرمل المشع و المياه الساخنة³.

¹ إبراهيم، محمد عباس، مرجع سابق، ص. 101، 102، 103.

² إبراهيم، محمد عباس، المرجع السابق، ص 105، 106، 107.

³ شوقي، منال عبد المعطي أحمد، مرجع سابق، ص. 61.

حيث هذا النوع منذ القدم قد اهتم الرومان به لأسباب صحية وعلاجية، فقاموا ببناء الحمامات الخاصة للاستشفاء، وتعتمد هذه السياحة على المقومات الطبيعية الموجودة بالبيئة اعتمادا رئيسيا، مثل المناخ الدافئ للرمال الساخنة ومصادر المياه الكبريتية والمعدنية ولعل أن أحدث الفنادق نوع من هذه السياحة هو الفنادق البيولوجية التي تعتمد على إعادة بناء الجسم والروح والعقل. إن هذا النوع من السياحة يعتبر محور الحديث في هذه الدراسة الحالية إذ أن مجال الدراسة يختص بالسياحة الحموية بمنطقة حمام قرقور وعليه فإن السياحة العلاجية تعد القسم الرئيسي في المحطة المعدنية مجال الدراسة، لأن حاجة الاستشفاء قد يكون العامل الرئيسي من ارتياد الأفراد المحطة المعدنية وعليه سوف نستفيض في الحديث عن ذلك في الأجزاء القادمة من الدراسة.

ت- الممارسة السياحية الثقافية:

يتعلق هذا النوع من السياحة بتعرف السائح لثقافة البلد المضيف له. إذ يكتسب السائح خبرات وثقافات إثر تنقله من مكان إلى آخر، فيلتبس عن قرب تقاليد ولغة ويتصل مع أفراد البلد المضيف والذي بدوره يحدث تأثير متبادل ونقل للمعارف والثقافات وهذا ما يحمل في طياته التأثير الثقافي والاجتماعي والسياسي والنفسي للسياحة، فالسياحة إذا كانت من وسائل المتعة فإنها وسيلة هامة من وسائل اتصال الشعوب، وأسلوب من أساليب التثقيف الاجتماعي والعلمي والأمر الذي جعلها أهم عامل في انتشار الثقافات وزيادة الوعي الثقافي والاجتماعي بين الأفراد. 1 يهتم بهذا النوع من السياحة شريحة معينة من السائحين على مستويات مختلفة من الثقافة والتعليم حيث يتم التركيز على زيارة الدولة التي تتمتع بمقومات تاريخية وحضارية كثيرة، إذ يمثل هذا النوع 10% من حركة السياحة العالمية فيتم الاستمتاع بالحضارات القديمة مثل الحضارة الفرعونية والإفريقية والرومانية والإسلامية والمسيحية على مر التاريخ. 2 يسعى السائحون إلى إشباع الرغبة المعرفية من خلال المشاركة في الندوات الثقافية ومعارض الكتب والمسابقات الثقافية (الشعر القصة، المسرح، الموسيقى ومختلف أنواع الفن التعبير، وعروض أزياء الشعوب...) والتي تمثل هذه العناصر مهمة للجذب السياحي، وعليه تعمل شركات السياحة الناجحة على تنظيم هذه الفعاليات لأجل إحداث جذب فعل للنشاط السياحي فتعد السياحة الثقافية من أهم مجالات السياحة التقليدية، حيث يكتسب السائح الخبرة، ففي بعض الأحيان يشارك في أسلوب الحياة ويظل ذلك محفورا في ذاكرته. ويعد الهدف

¹ سعادة، يوسف جعفر، مرجع سابق، ص. 93.

² إبراهيم، محمد عباس، مرجع سابق، ص. 59.

الرئيسي من السياحة الثقافية هو التعرف على الحضارات القديمة والمناطق الأثرية، وطرق المعيشة للشعوب وتقاليدها.¹

ث- الممارسة السياحية الدينية:

تقوم السياحة الدينية سواء كانت داخلية أو دولية على العاطفة الدينية والرغبة في إشباع هذه العاطفة، كما تشمل زيارة الآثار والمعالم الدينية من أجل الثقافة والمتعة.² فلطالما كان الهدف الديني هو محرك هذا النوع من السياحة إذ يتنقل الأفراد السياح إلى مناطق تتوفر على مقومات جذب روحية لها قدسية خاصة لها سواء كانت مستمدة من الدين أو معتقدات يؤمن بها أهلها. فتعدد المزارات الدينية في العالم بين المزارات الإسلامية الحج إلى مكة، و الوقوف بعرفة و بيت المقدس، المسجد النبوي، و المدينة المنورة، المسجد الأقصى، المسجد الحرام و عند اليهود الحج إلى حائط المبكى بالقدس، وعند المسيحيين الحج إلى القدس إلى كنيسة القيامة.³

إذن تتعد أشكال السياحة وممارساتها المختلفة بتعدد المقاصد والغاية من الصفر فاندرجت أنواع عديدة ومتنوعة تحت تسميات ووصوفات على درجة كبيرة من الأهمية للمهتمين بالشأن السياحي.

• ثالثاً: أهمية السياحة:

إن السياحة كصناعة لها أهمية خاصة يمتد تأثيرها على بنايات و أداء الاقتصاد القومي فالسياحة هي نشاط ديناميكي و ذات تأثير متبادل، و فعال يشمل جميع الأنشطة في الدولة داخلها و خارجها فهي تتأثر و تؤثر في الإنتاج و الاستهلاك، و عمليات التجارة الخارجية و غير ذلك.⁴ يتبين لنا أن الأهمية الاقتصادية جلية للنشاط السياحي لأي بلد يمكن تحديد ما يلي:

1- الأهمية الاقتصادية:

تعتبر السياحة أحد الأنشطة الاقتصادية التي يتولد عنها دخول مختلف عناصر الإنتاج العاملة في مجالات السياحة، و قد نمت إيرادات السياحة الدولية بمعدل سنوي بلغ 09% في المتوسط خلال السنوات العشر من 1988 إلى 1997، و قد أحصت المنظمة العالمية للسياحة عدد السياح في العالم لسنة 1997 ب

¹ إبراهيم، وفاء زكي، مرجع سابق، ص. 139، 140.

² إبراهيم، وفاء زكي، المرجع السابق، ص. 146.

³ إبراهيم، محمد عباس، مرجع سابق، ص. 130.

⁴ إبراهيم، وفاء زكي، مرجع سابق، ص. 172.

62,80 مليون سائح و ينفقون ما مقداره 4430 مليار دولار، حيث أصبحت السياحة الصناعية الأولى في العالم.¹

و من جهة نظر الإنتاج تساهم السياحة بحوالي 15 % من الناتج الإجمالي العالمي، كما أن السياحة هي مصدر رئيسي للعمالة، حيث تولد فرص عمل متنوعة في قطاعها، إذ توفر نحو 200 مليون فرصة عمل أي حوالي 08 % من مجموع فرص العمل في العالم، و تساهم السياحة بنحو 5,5 مليون فرصة عمل سنويا حتى عام 2010.² وعليه فإن الأهمية الاقتصادية للسياحة تنحصر في:

- تساهم السياحة في توفير مناصب شغل، إذ تعد أكبر القطاعات الاقتصادية توفيراً لفرص العمل إذ تستوعب حوالي 11 % من إجمالي القوى العاملة على مستوى العالم.
- تساهم في عملية تدفق رؤوس الأموال الأجنبية (العملة الصعبة).
- تساهم السياحة في عملية تحسين ميزان المدفوعات حيث أن الناتج السياحي المحصل من عملية بيع المنتج السياحي لأعداد من السائحين يساهم في تحسين ميزان المدفوعات والذي يتحقق نتيجة تدفق رؤوس أموال أجنبية المستثمرة في المشروعات السياحية.
- ويساهم هذا كله في حل المشكلات الاقتصادية للدولة.³

2- الأهمية الاجتماعية

تكمن أهمية القطاع السياحي من الناحية الاجتماعية فيما يلي:⁴

- زيادة الوعي الثقافي والاجتماعي بمختلف عادات شعوب الطرف الآخر (السياح).
- زيادة اهتمام الشعوب المضيفة بعادات الشعوب وقيم أجدادها وآبائها والحفاظ عليها من الزوال والاضمحلال.
- توفر العادات السياحية ملاذاً للكثير من الطبقات الكادحة، و التي تجد فرصة للعمل في المجال السياحي بما يوفره من مناصب شغل .

¹ عونيان، عبد القادر (2013)، السياحة في الجزائر، الإمكانيات و الموقوتات (2000-2025) في ظل الاستراتيجية، السياحة الجديدة للمخطط التوجيهي للهيئة السياحية SDAT 2025، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم، كلية العلوم الاقتصادية و علوم التسيير و العلوم التجارية، تخصص نقود و مالية، جامعة الجزائر، ص 25.

² عونيان، عبد القادر، المرجع السابق، ص 25.

³ خليل، أسماء (2016)، دور السياحة الحموية في تحقيق التنمية المحلية، دراسة حالة ولاية قلمة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث، كلية العلوم الاقتصادية و التجارية و علوم التسيير، قسم العلوم التجارية، تخصص تجارة دولية و تنمية مستدامة، منشورة، ص. 16.

⁴ عونيان، عبد القادر، مرجع سابق، ص. 27.

- رفع مستوى الشعور بالانتماء الوطني من خلال التبادل الثقافي و الحضاري.
- التفاعل والاحتكاك بين سكان المنطقة السياحية المزارة من جهة و من جهة السياح، سواء كانوا من حملة جنسية نفس البلد أو جنسيات أخرى، الأمر الذي يقضي إلى التبادل الاجتماعي.

3- الأهمية الثقافية :

تكمن الأهمية الثقافية في بروز عنصرين هامين هما: التبادل الثقافي و الاهتمام بالتراث.¹

التبادل الثقافي: إذ يعد الوعي بالتبادل الثقافي أحد أهم التأثيرات الايجابية للسياحة حيث يعمل على تنمية التفاهم بين الشعوب كذلك تبادل المعرفة و الأفكار و العادات، إذ أن السياحة لم تعد إشباعا للفضول وحسب و إنما هي فرصة لاكتساب الاحترام و التعاون المتبادل و المثمر وتبادل المعارف و القيم الثقافية .

الاهتمام بالتراث: إذ تؤدي السياحة إلى الاهتمام بالقيم الجمالية و المعالم الفنية في الدول المستقبلية للسياحة، و يكون ذلك من خلال الفنون و المهارات الخاصة بهم مثل الرقص الشعبي، والاحتفالات الخاصة بالأعياد، و المناسبات، و حفلات الزواج، و الكرنفالات.

بالإضافة إلى إحياء بعض العادات والتقاليد التاريخية والدينية للجماعات المحلية وأنشطتهم اليومية فقد تكون عاملا لجذب السياح، ينتقل التراث الاجتماعي الذي يرثه أعضاء المجتمع من الأجيال السابقة، فالسمات الثقافية لها قدرة هائلة على الانتقال عبر الزمن، وأكثر من ذلك فإن ملامح الثقافة وسماتها تنتقل بالفعل من مجتمع إلى آخر نتيجة الهجرة أو غير من أنواع الاتصال الثقافي.

4- الأهمية البيئية:²

تكمن السياحة من تحقيق استغلال أمثل للموارد الطبيعية وتدفع للمحافظة عليها وعدم إساءة استخدامها على اعتبار أنها ثروة وطنية كما تدفع النشاطات السياحية على استغلال أمثل للبيئة مع المحافظة على البعد الجمالي لها فتتغير الأهمية البيئية من خلال:

- المحافظة على المعطيات العمرانية، حيث تساعد السياحة في تبرير تكاليف عمليات الحفاظ على المواقع الطبيعية الهامة من خلال إنشاء الحدائق الوطنية والإقليمية والنباتات ذات الطابع الجمالي، كونها عناصر جذب السياح.

¹ إبراهيم، وفاء زكي، مرجع سابق، ص. 184، 185.

² عياشي، عبد الله (2016)، إستراتيجيات تنمية السياحة البيئية في الجزائر من منظور الاستدامة خطرة الطاسلي بولاية إليزي أنموذجا، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التحليل الاقتصادي بالعلوم الاقتصادية، كلية العلوم الاقتصادية و التجارية و علوم التسيير، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، منشورة، ص. 50.

➤ التحسين من النوعية البيئية: إذ توفر السياحة الحوافز لتنظيف البيئة من خلال مراقبة الهواء، الماء، الضجيج، معالجة النفايات، كما تساهم السياحة في تحسين الصورة الجمالية للبيئة من خلال برامج تنسيق المواقع، والتصاميم الإنشائية المناسبة، استخدام اللوحات التوجيهية وصيانة المباني.

وعليه فإن الوعي المتزايد بأهمية البيئة و ضرورة حمايتها خاصة بعد الأضرار البالغة لها نتيجة ممارسات الأفراد من جهة و ممارسات الشركات و المصانع من جهة أخرى، و بالتالي زيادة الوعي و العمل الميداني من أجل إنقاص البيئة في تزايد لأجل استدامتها للأجيال القادمة و الذي يتجسد في ثقافة متكاملة متمثلة في الثقافة البيئية، لدى الأفراد مما انعكست على الجانب السياحي فنتج عنه ما يسمى بالسياحة البيئية.¹

يعتبر التأثير البيئي من أهم أسباب تنمية السياحة سواء في المناطق النامية بالفعل أو تلك الآخذة في النمو و رغم شمولية التأثير البيئي إلا أنه يمكن تحديدها تحت ثلاث نقاط أساسية و هي فيزيقية، بيولوجية، و سوسيو اقتصادية بما فيها الثقافة، و لا يمكن أن يحدث أي تأثير من الثلاثة في عزلة عن الآخرين، و إنما يحدث ذلك في تداخل تام من واحد لآخر.²

5-الأهمية السياسية

تتجسد الأهمية السياسية للسياحة من خلال النقاط التالية:

➤ كون أن سياحة أداة من أدوات تعميق الانتماء السياسي و زيادة الوعي القومي و التعرف على ثروات البلاد و الذي يؤدي بدوره إلى تحقيق الاعتزاز بالوطن.

➤ كون السياحة نشاط إنساني فإنها تبث نوعا من التقارب بين الشعوب و المجتمعات المختلفة إذ أصبحت الحركة السياحية المتبادلة لها دورا هاما في تنشيط العلاقات الدولية مع تقليل حدة الصراعات و الخلافات التي تنشأ بين البلدان المتنازعة نظرا لما تحدثه من تقارب و اتصال و تعارف و سلام و تفهم القضايا و المشكلات التي توجد بين الدول و المجتمعات.³

6-أهمية السياحة في عملية التنمية

عندما يكون هناك الاهتمام بتنمية بأحد المجتمعات من خلال السياحة يتطلب ذلك ارتباط معين

¹ عوينان، عبد القادر، مرجع سابق، ص. 28.

² إبراهيم، وفاء زكي، مرجع سابق، ص. 186.

³ خليل، أسماء، مرجع سابق، ص. 18.

بين البضائع والخدمات للسائح والذي يؤثر تأثيرا بالغا في الاقتصاد العالمي و يرى KEY أن الرواسب ذات أهمية كبيرة و تعد أحد قضايا التنمية لأن التنمية تأتي من الداخل و تلك الرواسب تكون داخل التقاليد و العادات بالمجتمع، و يعتبر العامل الإنساني البشري عاملا كبيرا تعتمد عليه السياحة إذ أن مدى تقبل الفرد لتلك المشروعات السياحية بالإضافة إلى إمكانية تقبل عناصر جديدة، أو عادات و تقاليد مغايرة لعاداته هذا من جهة، و من جهة أخرى العنصر الإنساني يعتبر نقطة محورية لفتح فرص العمل أمام مختلف التخصصات و الأعمار و المهارات و تنشأ عدة أنواع من العمالة، عمالة مباشرة و ذلك بالعمل في المنشآت السياحية، فنادق، وكالات السفر، و شركات النقل السياحي، المطاعم، و محال البيع و دور الترويج والتسليّة، و عمالة غير مباشرة تلك التي يعتمد عليها القطاع السياحي مثل الزراعة، والصناعات الخفيفة، والآثاث، والبنوك، والبناء، والتشييد والمرافق المختلفة، بالإضافة إلى العمالة التي تنشأ نتيجة للدخل السياحي الذي يتم توزيعه وبالتالي ينشأ دخل جديد لمنتجات السلع، والخدمات ويمثل قوة شرائية¹.

كما يسعى النشاط السياحي أيضا في إيجاد مناطق جديدة، بالإضافة إلى إعادة بناء مناطق قد تعرضت للإهمال، وهنا يبرز البعد الأيكولوجي الذي له دور بارز في عمليات التنشيط السياحي والحفاظ على التراث، ودعم الأنشطة لحماية البيئة وذلك للحفاظ على بيئة خالية من التلوث مع توفير البيئة الصحية: التقليدية، و يمنح فرص للاستثمار مثل المدن السياحية المتكاملة والقرى السياحية، والمراكز الرياضية مما يجذب الرأسمال الوطني والأجنبي، وذلك تزداد الطاقة التمويلية والكفاءة الإدارية مما يحدث نوع من التوازن الاقتصادي والاجتماعي مما يسهم في التقليل من معدل الهجرة من تلك المناطق مع جذب الأيدي العاملة².

رابعاً: السياحة الأسس، المقومات، والخصائص

1-أسس السياحة

يقوم النشاط السياحي على مجموعة أسس من بينها:³

أ- الطلب السياحي

والذي يعرف على أنه مجموع السلع والخدمات التي يرغب المستهلك في اقتنائها بثمن معين وفي سوق معين، وهو يتجسد في الرغبة والقدرة على الشراء. كما يعرف على أنه مجموع الوافدين إلى المنطقة السياحية سواء

¹ إبراهيم، وفاء زكي، مرجع سابق، ص. 180.

² إبراهيم، وفاء زكي، المرجع السابق، ص. 181.

³ مفاتيح، يمينة (2018)، أثر الابتكار السياحي على التنمية السياحية حالة إقليم الأهمار بالجزائر ودوز بتونس، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه طور الثالث تخصص تسويق استراتيجي و الابتكار، قسم العلوم التجارية، كلية العلوم الاقتصادية و التجارية و علوم التسيير جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، ص. 73،74،75،76.

كانوا أجنب أو مواطنين، وهذا قد شهد الطلب السياحي تزيادا فبعدهما كان 25 مليون سائح عام 1950 أصبح 1186 مليون سائح عام 2015 وذلك حسب ما جاءت به المنظمة السياحية العالمية. ويتميز الطلب السياحي ببعض السمات منها:

- الحساسية: إذ يكون شديد الحساسية بالنسبة للظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية السائدة في البلدان المستقبلية للسياح.
- المرونة: وهي درجة استجابة الطلب في هيكل الأسعار أو التغيرات في الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والسياسية أي كلما انخفضت الأسعار زاد التدفق السياحي والعكس .
- الموسمية: يتميز الطلب السياحي بالموسمية عادة إذ تتعلق الحركة السياحية وارتفاعها بفصول معينة وذلك لعدة عوامل كالعطلة , الاعياد الدينية والوطنية ... الخ .
- المنافسة: عدم سيادة المنافسة الصافية أو احتكار القلة في السياحة في كثير من الحالات وخاصة الدول التي تمتلك مقومات طبيعية أو تاريخية ثقافية من الصعب منافستها.

ب- العرض السياحي

هو مجموع التراث والتجهيزات والتسهيلات الادارية التي تساهم في جلب السياح وإغرائهم في فترات زمنية معينة ويتميز العرض السياحي بعدة خصائص منها:

- استخدامه في أماكن تواجده، أي عدم إمكانية تنقله من بلد إلى آخر .
- عدم مرونة العرض السياحي، أي عدم القابلية للتغيير تبعا لأذواق ورغبات السياح .
- استقلالية العناصر المكونة للعرض السياحي، حيث يلاحظ أن المقومات الطبيعية مستقلة عن المقومات الصناعية في حين يتميز عرض السلع الأخرى بالتداخل بين مكوناته.

ت-الارادات السياحية

وهي كل ما تحققة الدولة من إيرادات السائحين وما تحققة السياحة كمنشأ اقتصادي وكوعاء ضريبي إلى جانب ما يحققة الأفراد.

ث-الشركات

المؤسسات العمومية والخاصة في المجال السياحي وتتأثر الارادات بعدة عوامل منها: قوة المنتج السياحي، مستوى الخدمات السياحية، أسعار السلع والخدمات السياحية، طبيعة النظام السياسي والاقتصادي، وحجم الامكانيات الطبيعية والمادية المتوفرة في الدولة السياحية.

ج- الانفاق السياحي

ويشير إلى المبالغ المدفوعة مقابل حيازة السلع والخدمات الاستهلاكية وكذلك الأشياء الثمينة لاستعمال الزائر أو التصرف فيها أثناء زيارته والانفاق يعد بمثابة عائدات سياحية للدولة المضيفة يسجل في ميزات المدفوعات.

2- مقومات السياحة

يعتمد قيام النشاط السياحي على مقومات أساسية ومتنوعة والتي تتباين بين المقومات الطبيعية واخرى ثقافية تاريخية، واخرى مادية، وعليه فان الظاهرة السياحية خصائص تميزها باقي الظواهر إلا أن لها إيجابيات وسلبيات يمكن عدها وهي تشكل الظواهر الاخرى قد تواجهها مشاكل تعيق تشكلها بالشكل الصحيح. هذه المقومات المتنوعة والتي تشكل عناصر هامة في عملية الجذب السياحي الذي على اساسه يتشكل الفعل السياحي ونوعه .

أ- المقومات الطبيعية

وهي تظم كافة القيم الجمالية الطبيعية، كالأرض وامتداد البحار والأنهار والسهول والصحراء وغيرها¹، والتي تشكل مقصدا للسياح ونجد منها المناخ إذ يفضل السياح المناخات المعتدلة، والدافئة في الشتاء، والمناطق الجبلية في الصيف ومنها مناخات هادئة كمناخ البحر المتوسط، وهناك مناخات تتسم بالثائرة نظرا لتقلب خصائصها كهبوب الرياح، تساقط الامطار الغزيرة والثلوج الكثيفة والذي يؤثر سلبا على السياحة. في حين الموقع الجغرافي له دور كبير في السياحة من حيث القرب والبعد من مناطق الطلب السياحي، وأشكال السطح من خلال التضاريس والسلاسل الجبلية والمسطحات المائية مما يساهم في إقامة منتجعات سياحية تحفز على الجذب السياحي . من بين الثروات الطبيعية الحمامات المعدنية والتي تستغل لأجل الصحة والعلاج وايضا من اجل الراحة والاسترخاء أما المناطق الصحراوية هي ايضا بدورها تعد قطبا مهما في الحركة السياحية كونها تتفرد بمميزات استثنائية مما تشكل طاب خاص للجذب السياحي.²

ب- عناصر جذب من صنع الإنسان

وتتضمن الآثار التاريخية وطرائق معيشة الشعوب وعاداتها وتقاليدها، وايضا الصناعات التقليدية والتذكارات

¹ كواش خالد، مرجع سابق، ص. 81.

² مساني، صورية (2019)، الاستثمار السياحي كبدل استراتيجي كمرحلة ما بعد البتور دراسة حالة الجزائر للفترة 1995، 2014 دراسة قياسية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم الاقتصادية، تخصص اقتصاديات الأعمال و التجارة الدولية، جامعة فرحات عباس 01، قسم العلوم الاقتصادية، منشور، ص. 74، 73.

السياحية والمناسبات الحضارية، وبصفة عامة يمكن تصنيفها إلى:¹

أ- عناصر جذب تاريخية

والتي تتضمن مناطق تاريخية قديمة وأماكن قيام الحضارات والاحداث التاريخية.

ب- عناصر جذب ثقافية

وتشمل كل من طريقة حياة الشعوب ومعيشتهم والتي تكون ذات اهمية ودافع قوي لقيام السياحة.

ت- عناصر جذب علاجية استشفائية: والتي تعتبر من اوائل المنتجعات والمراكز العلاجية التي عرفت

كعنصر جذب سياحي، إذ تتوفر على مختلف المقومات التي تعزز السياحة العلاجية الاستشفائية.

ث- عناصر جذب دينية

وتشمل المناطق المقدسة واماكن الاحداث الدينية كمكة والمدينة المنورة والقدس والفاطيكان...الخ.

ج- عناصر جذب للأعمال

وغالبا ما تركز في المدن الكبرى وخاصة منها في الدول الصناعية المتقدمة والتي تتوفر على كافة التسهيلات

والخدمات لرجال الأعمال لإبرام الصفقات.

ح- عناصر جذب خاصة

في الآونة الاخيرة ظهرت مرغبات جذب خاصة سياحية لها أهميتها في الحركة السياحية للدولة التي

تتوفر أو تنظيم المهرجانات والتي تعتبر كل هذه الجواذب جزءا لا يتجزأ من عملية التنمية السياحية التي

تسعى الدولة إلى تحقيقها، فبالرغم من أن هذه الأحداث لا علاقة لها بالسياحة إلا أنها ارتبطت بشكل أو آخر

لها لتكون بمثابة عامل من عوامل الجذب السياحي.

من المعلوم أن هذه العناصر لوحدها تكون غير قادرة على صنع نشاط سياحي متكامل، وعليه تحتاج

العملية إلى تدخل عناصر أخرى منها:²

➤ رأس المال: فانه من الضروري لأي حراك اقتصادي أن يتوفر رأس المال وذلك لاستثمار مجموعة من

الخدمات السياحية لترقى إلى مستوى المنافسة السياحية من خلال جعلها منطقة جذب سياحي أكثر أهمية.

➤ الإعلان والترويج السياحي: يتطلب أي منتج سياحي إلى حملة إعلامية تركز على عمليتين أساسيتين هما

الدعاية والاشهار لأجل تحقيق صناعة سياحية بامتياز. تتطلب الصناعة السياحية من دعاية واشهار

¹ كواش، خالد، مرجع سابق، ص. 81، 82، 83.

² خليل، أسماء، مرجع سابق، ص 19.

حركة ونشاطات وذكاء وتمكنا من فن المعاملات والعلاقات ومميزات أخرى شخصية وذاتية في من يتولى مهمة العلاقات العامة وهي مفاتيح الدعاية الاولية والمباشرة.

➤ **العنصر البشري المؤهل:** إن دور الكوادر السياحية من هيئات ثقافية ومرشدين سياحيين هو ابراز الفعل الثقافي الذي يتسم بالخصوصية والتمايز، وضرورة عكس المضامين الثقافية بشكل موضوعي غير مبالغ فيه وسلس وبلغة مفهومة، ويتطلب نجاح العملية ضرورة إعداد هؤلاء المرشدين إعدادا علميا وثقافيا ولغويا واعدادهم في فن التعامل.¹

➤ **البنية التحتية والفوقية:** وتشمل كل الخدمات التي يجب توفرها في المنطقة السياحية من مياه وكهرباء وشبكة الصرف الصحي، والنقل والاتصالات وخدمات الأنترنت وغيرها.² في حين أن البنية الفوقية تتمثل في منشآت الاقامة والايواء ومشاريع الاستقبال السياحي والمكاتب والوكالات السياحية وغيرها...³

3- خصائص السياحة

للسياحة مجموعة من الخصائص التي تميزها منها:⁴

- تعتبر السياحة منتج غير مادي، وبالتالي لا يمكن نقله من مكان إلى آخر.
- المنتج السياحي مركب إذ أنه تتمازج فيه العناصر، ويتشابك مع قطاعات أخرى حيث يتم استهلاك السلع والخدمات السياحية جنبا إلى جنب استهلاك سلع وخدمات مقدمة من منشآت أخرى وتكون متكاملة في جملها للسياح.
- المنتج السياحي غير قابل للتخزين وعليه وجب مواجهة التقلبات بتخفيض الأسعار والرفع من جودة الخدمات لزيادة الطلب السياحي.

¹ عبد العزيز، لعرج (2003-2004)، " التراث الثقافي و السياحة"، دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، منشورات كلية العلوم

الإنسانية والاجتماعية، العدد5 خاص، ص. 42.

² خليل، أسماء، مرجع سابق، ص. 20.

³ كواش، خالد، مرجع سابق، ص. 57.

⁴ عوينان، عبد القادر، مرجع سابق، ص 31، 32.

• خامسا: الظاهرة السياحية في الجزائر بين الإمكانيات والخيبات

تعتبر الجزائر بلد التناقضات في المجال السياحي، فهي تتمتع بإمكانات سياحية جد معتبر لكن الجزء الأكبر منها، إن لم نقل كلها تبقى غير مستغلة، فالجزائر تقع في شمال القارة الإفريقية حيث تتربع على مساحة قدرها 2,881,741 كلم²، وهي بذلك أكبر دولة إفريقية وعربية مساحة، تظل الجزائر على البحر الأبيض المتوسط شمالا بشريط ساحلي يتعدى طوله 1200 كلم، كما تتمتع بالعديد من المقومات السياحية والتي أضفى عليها المناخ المعتدل دوام الظاهرة السياحية على مدار السنة.¹ إضافة إلى ماتزخر به من تراث ثقافي وتاريخي عريق قبل الشروع في عرض المقومات السياحية المتنوعة للجزائر وجب الحديث عن تاريخ الممارسة السياحية فيها.

1- نشأة الظاهرة السياحية في الجزائر وتطورها

كما سبق وأن عرفنا أن الظاهرة السياحية وكسلوك وممارسة يعود إلى حقب زمانية فهي ضاربة في جذور التاريخ الانساني، غير أن تبلورها الحقيقي كمفهوم إقتصادي واجتماعي يعد مع بدايات عصر النهضة الأوروبية نتيجة للتحويلات التي صاحبت تلك النهضة، وتعود الظاهرة السياحية في الجزائر كممارسة منظمة إلى الحقبة الاستعمارية إذ أخذت الجزائر حيزا كبيرا من اهتمامات المستكشفين والرحالة الأجانب، وإن كان الغرض فهو الاحتلال إلا أن السلوك السياحي برز بشكل واضح وجلي في دراساتهم وكتاباتهم.

أ- السياحة في الجزائر قبل الاستقلال سنة 1962

عرفت الجزائر خلال الفترة الاستعمارية قبل الحرب العالمية الأولى، توافدا للعديد من السياح الاجانب وذلك بعض استكشاف مناظرها الطبيعية والبحث عن أماكن ذات مناخات معتدلة شتاء، الأمر الذي دفع المستعمر الفرنسي إلى التفكير في وضع هياكل قاعدية تلي حاجات هؤلاء السياح الزبائن، ومن هنا اكتسبت الجزائر شهرة بين البلدان التي تمتاز بالسياحة الشتوية، حيث أنشأت اللجنة الشتوية الجزائرية التي عن طريق دعايتها واشهارها تمكنت من تنظيم قوافل ذات أسعار محددة نحو الجزائر، كما أخذت السياحة الصحراوية بالتطور التدريجي حيث كانت هذه الفترة مرحلة التجولات الكبرى نحو الصحراء الشاسعة.²

أسست اللجنة الشتوية عام 1897 وتوافدت أعداد كبيرة من السياح الأوروبيين الأمر الذي جعل المحتل الفرنسي يواصل التفكير الجدي في النشاط داخل الجزائر، ففي 1914 تم تشكيل نقابة سياحية في مدينة

¹ بن غضبان، فؤاد، مرجع سابق، ص. 227.

² عميش، سميرة (2015)، دور استراتيجية الترويج في تكييف وتحسين الطب السياحي الجزائري مع مستوى الخدمات السياحية المتاحة خلال الفترة 1995-2015، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في العلوم الاقتصادية، بكلية العلوم الاقتصادية و التجارية و علوم التسيير، جامعة فرحات عباس سطيف 1، ص. 115.

وهران وعام 1916 تم تشكيل نقابة سياحية بقسنطينة في عام 1919 تم إنشاء فدرالية السياحة والتي تجمع 20 نقابة تواجدت آنذاك وفي نفس السنة تم إنشاء عام 1928 القرض الفندقي المكلف بمنح القروض للمستثمرين في مجال السياحة وفي 1931 تم إنشاء الديوان الجزائري للنشاط الاقتصادي والسياحي الذي كان يهدف إلى تنمية سياحية واستمرار نشاطه حتى بعد الاستقلال، وقد بلغ عدد السياح عام 1950 حوالي 150 ألف سائح، لذا أدرك المستعمر أهمية الموارد السياحية في الجزائر، هذا ما جعله يقوم بوضع برنامج موسع بالتجهيزات السياحية في مشروع قسنطينة 1957 والخاص بانجاز 17200 غرفة لفنادق حضرية، 17% منها ممرزة بالجزائر العاصمة للدليل على أهمية السياحة في الجزائر.¹

ويشتمل هذا البرنامج كذلك على إنجاز 1130 غرفة في المحطات المعدنية والمناخية.

عند الاستقلال مباشرة ورثت الجزائر طاقات ايواء تقدر بـ 5922 سرير موزعة حسب الجدول التالي :

جدول رقم 1: يبين توزيع طاقات الإيواء السياحي في سنة 1962

نوع السياحة	الحضرية	الصحراوية	الشاطئية	المناخية	المجموع
عدد الاسرة	2377	486	2969	90	5922
النسبة المئوية	40	08	50	02	100

يلاحظ من هذا الجدول أن السياحة الشاطئية تحتل المرتبة الأولى من حيث الطاقات الايوائية وذلك بـ 50% وتليها السياحة الحضرية بـ 40% وهذا ما يعكس توجهات المستعمر في تنمية كل من السياحة الشاطئية والحضرية على حساب الأنواع الأخرى وذلك حسب الطلب السياحي آن ذاك.²

ب- السياحة في الجزائر غداة الاستقلال

إذن ورثت الجزائر 5922 سرير، تولى تسيير هذه الهياكل لجنة مختصة في تسيير الفنادق والمطاعم والتي تأسست سنة 1965 وخاضعة لنظام التسيير الذاتي، وفي سنة 1966 تخلت الدولة عن هذه اللجنة وأسندت مهامها إلى الديوان.

¹ مساني، صورية، مرجع سابق، ص. 222.

² كواش، خالد (2004)، "مقومات ومؤشرات السياحة في الجزائر"، مجلة اقتصاديات إفريقيا، العدد 01، مخبر العولمة واقتصاديات شمال إفريقيا، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص. 225.

2- المقومات السياحية والحضارية في الجزائر

تُعتبر الجزائر الأكبر من حيث المساحة والتضاريس، إذ يحدّها من الشمال البحر الأبيض المتوسط، حيث تمتلك 1200 كلم من السواحل، تتخللها مجموعة من أروع الشواطئ على هذا الشريط الساحلي، ولها أربعة تضاريس تمتدّ من الشمال إلى الجنوب، تحتوي على سهول وهضاب وسلاسل جبلية متفاوتة الخصائص والميزات، ومختلفة في النباتات والحيوانات، كما تملك صحراء شاسعة بنسبة 80% من إجمالي المساحة، والتي تتميز بجبالها البركانية، التي شكّلت متحفا طبيعيا بمختلف منحوتاتها لبقايا الحيوانات التي عاشت على مرّ العصور الغابرة، وكذلك تتميز بواحاتها ورمالها¹، إذ تُصنّف رابع أكبر صحاري العالم، إذن تزخر الجزائر بمقومات متنوّعة منها الطبيعية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية، هذا التنوّع قد يمنحها فرصة الظّفر بعائداتها السياحية إذا ما تمّ استغلالها بالشكل المطلوب، خاصة في هذا الوقت الذي أصبحت السياحة هي البديل والحلّ السحريّ الذي قد يخفف أو يحدّ من أزمت البلاد الاقتصادية، كما قد يسهم في تحقيق التنمية في كثير من الجوانب الأخرى منها البيئية والاجتماعية والثقافية.

أ- المقومات الطبيعية²

وتشير إلى مختلف العوامل الطبيعية التي تتوفر في البلد والتي لها دور كبير في تسهيل وتشجيع المؤسسات والمشاريع السياحية، أو تلك التي تساهم في زيادة قدرة البلد على جذب واستقطاب السيّاح ورفع نفقاتهم، ومن ثمّ زيادة مداخيل الدّولة في القطاع السياحي، ومن أبرزها:

- الشريط الساحلي: ويمثّل مجال جذب هام في مجال السياحة الساحلية، إذ يوفّر شريطا يمتد على أكثر من 1200 كلم، حوالي (1622.48 كلم)، والذي تتنوع فيه الشواطئ وتنوع منظرها مما يجعلها أكثر قدرة على الجذب والاستقطاب السياحي، خاصة منها السياحة الصيفية (السياحة الشاطئية الموسمية) امتزجت طبيعة الشواطئ بجمال الغابات المحاذية لها، لترسم لوحة فنية ساحرة في كثير من مناطق الساحل كجيجل وبجاية... الأمر الذي يعزز السياحة الساحلية.
- المياه المعدنية: حيث تمتلك الجزائر ما يفوق 200 ينبوعا معدنيا منها ذات طابع وطني وأخرى ذات طابع محلي، تتنوع خصائصها الكيميائية والفيزيائية لتكون ذات أهمية علاجية بالغة، منها حمام بوعزارة، حمام

¹ حميدوش، علي وهولي، رشيد (2018م)، "الدور التنمويّ للسياحة في البلدان المغاربية"، مجلة اقتصاديات شمال إفريقيا، الجزائر، المجلد 14، العدد 18، ص. 73.

² خنتار، نوال وقلش، عبد الله (2019م)، "تقييم أداء قطاع السياحة الجزائري في ظل المخطط التوجيهي للتهيئة السياحية، دراسة مقارنة مع مجموعة من الدول العربية"، مجلة الاقتصاد والمالية، المجلد 05، العدد 1، ص. 199.

بوحنيفة، حمام ريغة، الشلالة، حمام الصالحين، حمام قرقور، كلها تمثل تراثا حمويا يدفع بالسياحة الحموية ويعززها.

➤ **المساحة الشاسعة لصحاري الجزائر:** حيث تعدّ 80 % من مساحتها الإجمالية كلها تتنوع من كثبان وواحاتن وسلاسل جبلية كالأهقار، مما تعمل بمقوماتها على الجذب السياحي.

➤ **تنوع المناخ:** تتميز الجزائر بمناخها المتنوع، فبين المناخ المتوسطي إلى المعتدل والحارّ بالصحراء، إذ ممطر شتاءً وحارّ صيفا، وهذا ما يمنحها فرصة السياحة الشتويّة، من خلال ثلوجها التي تميزها ودفئها الذي يسهم في السياحة الصيفيّة.

➤ **تنوع التضاريس:** حيث أنّ ثورة الغابات الكثيفة، والسهول والجبال تعطي فرصة تشجيع السياحة الجبلية والغابية، ولذلك وجب المحافظة عليها من التلوث والكوارث كالحرائق.

تتفرد الجزائر بهذه المقومات الكبيرة وهي ذات أهمية بيئية، ممّا يشجع السياحة البيئية مقارنة بدول الحوار "تونس والمغرب".

ب- المقومات الحضاريّة والثقافية والتاريخية

تتميز الجزائر بتنوع ثقافي وتاريخي مهمّ يرجع بالأساس إلى تعدد الحضارات والثقافات التي مرت على الجزائر (الفينيقية، الرومانية، البيزنطية، الوندالية، الإسلامية، التركية العثمانية، والفرنسية)، حيث أنّ كلّ منها قد تركت بصمتها على الإرث العمراني والثقافي للجزائر، الأمر الذي أكسبها غنى. حيث أنّ الكثير من هذه المقومات الثقافية تحظى بالتصنيف العالمي للتراث لليونسكو، مثل قلعة تمقاد، الطاسلي ناجر، قلعة بني حماد، المدن الإباضية (المزابية)، قصبه الجزائر، والأخرة في شرشال، تبسة، قالمة، وكذا المساجد العتيقة والزوايا، وآثار وتحف منتشرة في كامل ربوع الوطن، والتي تعبر عن تاريخ وثقافة الشعب الجزائري وأصالته، وتراثها الثري بالمقومات والعناصر¹ وبالنظر إلى هذه المقومات الهامة للسياحة في الجزائر فإن الممارسة السياحية فيها متعثرة حيث أنّها تنصدر المراتب الأخيرة في الترتيب من حيث الوجهات السياحية وخاصة بين دول الجوار والتي لا تملك من المقومات التي تملكها الجزائر، وقد يكون لبض الظروف منها الاستقرار الأمني وسوء التسيير ونقص الكوادر وانعدام الثقافة السياحية من بين العوائق الكبرى التي ألت بالجزائر لأن تكون أسوأ وجهة سياحية بين الدول.

¹ بن غضبان، فؤاد، مرجع سابق، ص. 236، 237.

ت- الجهود التنظيمية

كما يقال "رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة" أدركت الجزائر ضرورة النهوض بالقطاع السياحي، والارتقاء به وجعله من أهم القطاعات الاقتصادية، ولأجل تحقيق ذلك فقد منحته اهتماما أكبر، وذلك ما جاءت به المخططات والاستراتيجيات التنموية، وهذا من أجل تثمين الوجهة السياحية الجزائرية، ورسم صورة جيدة عنها، وقد تثنى ذلك بوضع جملة من القوانين والتشريعات الخاصة بالتنمية السياحية، تهدف إلى تحقيق جملة من الأهداف الكمية والكيفية، والتي جاءت ضمن التوجيهات الجديدة للدولة والتي تلخصت في:

برنامج تطوير التنمية السياحية المستدامة بين 2004م و2013م.

_ المخطط التوجيهي للتنمية السياحية SDAT 2030¹.

لقد فرضت استراتيجية التنمية السياحية على مجموعة من الفاعلين، الخوض في تطوير قطاع السياحة سواء من العام أو الخاص وذلك من أجل تنفيذ استراتيجيات السياحة ونذكر منها:

• وزارة المهينة العمرانية والسياحة والصناعة التقليدية: MATTA²

تعتبر وزارة السياحة والصناعة التقليدية أعلى سلطة في القطاع السياحي الجزائري، والتي تأسست بموجب المرسوم التنفيذي رقم 474/63 المؤرخ في 1963/12/20م، والتي أكلت لها المهمة التالية:

_ التعريف بالمنتج السياحي الجزائري وتوجيهه وترقيته.

_ تجسيد السياسة التنموية في مجال السياحة.

_ إنجاز المخططات التنموية السياحية.

• الديوان الوطني للسياحة ONT: أنشئ هذا الديوان بموجب المرسوم التنفيذي رقم 214/88 والمؤرخ في 31 أكتوبر

1988م، والمتضمن إنشاء الديوان الوطني وتنظيمه، والمعدل والتّمم بالمرسوم التنفيذي رقم 409/90 المؤرخ في 5 جمادى الثانية عام 1411هـ الموافق لـ 22 ديسمبر عام 1990م، والمعدل والتّمم وفقا للمرسوم التنفيذي رقم 402/92، والمؤرخ في 5 جمادى الأولى عام 1413هـ الموافق لـ 31 أكتوبر من سنة 1992م، ويعتبر مؤسسة

¹ مشتر، فطيمة وعوينان، عبد القادر (2019م)، "الأثار التنموية لقطاع السياحة في ظل المخطط التوجيهي للمهينة السياحية SDAT 2030"، مجلة العلوم الاقتصادية والتسيير والعلوم التجارية، المجلد 12، العدد 02، ص 367، 368.

² مفاتيح، يمينة، المرجع السابق، ص 33، 34.

عمومية ذات طابع إداري ومعنوي تتمتع بالاستقلال المالي، وهو أداة للوزارة المكلفة بالسياحة لتصوّر وتحقيق ترقية السياحة، ودراسة السوق والعلاقات العامة، حيث من مهامه:

- _ توجيه المتعاملين السياحيين.
- _ متابعة ومراقبة وكالات السياحة والأسفار.
- _ إنجاز الدراسات العامة لمناطق التوسّع السياحي.
- _ ترقية المنتج السياحي.
- _ متابعة الاستثمارات السياحية في الجزائر.
- _ المشاركة في التظاهرات الداخلية المتعلقة بالسياحة.
- _ القيام بأبحاث ودراسات من أجل التعرف على وضع السوق الداخلي والخارجي.
- _ العمل على تقنين الأعمال الفندقية والسياحية والسهر على تطبيقه.
- _ تسليم الرخص والاعتمادات القانونية.

• الوكالة الوطنية للتنمية السياحية ANDT:¹

هي مؤسسة ذات طابع صناعي وتجاري تتمتع بالشخصية المعنوية، والاستقلال المالي، أنشئت بموجب المرسوم التنفيذي رقم 70/98، والمؤرخ في 24 شوال عام 1418هـ الموافق لـ 21 فيفري 1998م، والمتضمن إنشاء الوكالة الوطنية لتنمية السياحة، وتحديد قانونها الأساسي، وتقع تحت وصاية وزارة السياحة، والتي مقرها بسيدي فرج ولاية تيبازة، وهي أداة أساسية مؤهلة للتسيير والتنمية والاستغلال العقلاني وحماية العقار السياحي.

وهي إحدى الهيئات الرئيسية المسؤولة عن تجسيد السياسة الوطنية للتنمية السياحية، فهي تسعى إلى تحقيق أكبر مردودية للاستثمارات السياحية، وإنشاء صناعة سياحية حقيقية، وتزويد القطاع السياحي بوسيلة التحكم في العقارات، ومن ثم مواجهة كل العراقيل والصعوبات التي يواجهها المستثمرين، كما تعدّ هيئة استشارية لإعداد سياسة تنمية سياحية، وهي تعمل على التنظيم وتهيئة المحيط وحمایته، كما من مهامها أيضا:

- _ حماية وصيانة مناطق الاستغلال السياحي.
- _ اقتناء الأراضي الضرورية وتخصيصها للمشاريع السياحية.

¹ ANDT : Agence nationale de développement du tourisme.

- _ إجراء دراسة تهيئة الأراضي المخصصة للأنشطة السياحية الفندقية والمعدنية.
- _ أيضا تساهم مع المؤسسات المعنية في ترقية الأماكن داخل مناطق التوسع السياحي، وحول منابع المياه المعدنية وطنيا وخارجيا.
- _ كذلك تقوم بالتنسيق مع المؤسسات، والهيئات المعنية على التسيير العقلاني للأماكن والتجهيزات ذات المنفعة المشتركة، مع تقديم كل الاقتراحات التي تهدف إلى تحسينها وتحديثها¹.

• المؤسسة الوطنية للدراسات السياحية ENET²:

- تعدّ هذه المؤسسة العمومية ذات طابع صناعي تجاري، أنشئت بموجب المرسوم التنفيذي رقم 98/70 المؤرخ في 24 شوال 1418 هـ الموافق لـ 21 فيفري 1998 م، وهي تقع تحت وصاية وزارة السياحة، ذات شخصية معنوية، تتمتع بالاستقلال المالي، من مهامها:
- _ تنشيط وترقية وتأطير النشاطات السياحية في إطار السياسة الوطنية لتطوير السياحة والتهيئة العمرانية.
- _ كما تسهر على حماية مناطق التوسع السياحي والحفاظ عليها.
- _ القيام بالدراسات والتهيئة المخصصة للنشاطات السياحية والفندقية والحمّات المعنية.
- _ المساهمة في ترقية الأماكن داخل مناطق التوسع مع المؤسسات المعنية.
- _ أيضا تقوم بكل أعمال ترقية مناطق التوسع السياحي وتطويرها.
- _ تكلف الوكالة باقتناء الأراضي الضرورية للاستغلال السياحي لمرافق المياه المعدنية ذات القيمة العلاجية العالية، وتقوم بدراسة التهيئة الضرورية.
- _ تعمل على الدراسات الخاصة بتحديد القدرات السياحية وتنميتها.
- _ كما تعمل على مراقبة ومتابعة المنشآت السياحية، والمرافق الفندقية والمياه المعدنية، ومعانها.
- _ كذلك إنشاء بنك للمعلومات الخاصة بتهيئة السياحة وتنميتها.
- _ كذلك من مهامها إنشاء كل الدراسات المرتبطة بمجال نشاطها، وذلك بطلب من السلطات العمومية³.

• مديريات السياحة:

- تعدّ هذه المديريات التي تهتمّ بالنشاط السياحي حلقات وصل بين الأنشطة السياحية في المناطق السياحية، والتي ترتكز في كل ولاية، وهي ذات دور محلي يعمل على تنشيط السياحة الداخلية المحلية، وبين

¹ عوينان، عبد القادر، مرجع سابق، ص. 191، 192.

² ENET : Etablissenaent nationale des études touristiques.

³ عوينان، عبد القادر، المرجع السابق، ص. 192.

وزارة السياحة؛ أي هي التي تمثل الوزارة المعنية على المستوى المحلي، والتي تُوكل لها مهام عديدة منها: مراقبة النوعية، والتهيئة الخاصة بالسياحة ومنح رخص الاستثمار مع محاولة مراقبة ومتابعة المشاريع، وتطبيق العقوبات في حالات عدم احترام القانون¹، ومن مشاريعها أيضا²:

- _ تحسين الجمعيات والدواوين السياحية للمشاركة في التظاهرات والمهرجانات التي تُقام بالولايات السياحية للتعريف بالإمكانات السياحية لها.
- _ كما تعمل على تنظيم معارض الإمكانات السياحية.
- _ أيضا عقد لقاءات مع المتعاملين قصد إنشاء المجلس الولائي للسياحة بعده فضاءً تشاورياً للاطلاع على الانشغالات، وتقديم الاقتراحات لأجل إنعاش القطاع.
- _ توزيع المطويات وأقراص مضغوطة إخبارية للتعريف بالقدرات السياحية للولاية.
- _ المساهمة في إبداء الرأي حول إنشاء الجمعيات السياحية.
- _ إقامة تظاهرات فلكلورية لإبراز التقاليد والفنون الشعبوية المميزة.

• وكالات السياحة والأسفار:

- هي كل مؤسسة تجارية لتمارس تمارس بصفة دائمة نشاطا سياحيا يتمثل في بيع مباشر أو غير مباشر رحلات وإقامات فردية أو جماعية وكل أنواع الخدمات المختلفة بها ومن أهمها³:
- _ تنظيم وتسويق أسفار ورحلات سياحية وإقامات فردية وجماعية.
 - _ وضع خدمات المتربصين والمرشدين السياحيين تحت تصرف السائح.
 - _ الإيواء أو حجز غرف في المؤسسات الفندقية وكذا تقييم الخدمات المرتبطة بها.
 - _ النقل السياحي وفقا للشروط المعمول بها لدى مؤسسات النقل.
 - _ استقبال ومساعدة السائح خلال إقامتهم.
 - _ تأمين الزبائن من المخاطر الناجمة عن نشاطاتهم السياحية.
 - _ تنظيم النشاطات السياحية المختلفة، وذلك حسب حاجات السائح ومختلف الأنشطة الأخرى المكتملة لنشاط الوكالة.

¹ مفاتيح، يمينة، مرجع سابق، ص. 35.

² عوينان، عبد القادر، مرجع سابق، ص. 193.

³ مفاتيح، يمينة، مرجع سابق، ص. 35.

_ وغيرها من المهام والخدمات التي تقدّمها الوكالات السّياحيّة، والتي قد يكون لها دور فعّال في الممارسة السّياحيّة وتطوّرها وتنوّعها.

• سادسا: السياحة مقاربات متعددة

أضحت السّياحة علما قائما بذاته، له أصوله ومفاهيمه ومناهجه وطرقه البحثيّة، فهو علم مرتبط ارتباطا وثيقا بالإنسان، ويستهدف تحقيق جملة من الإشباعات لرغبات تتعدد وتتغير في إقامته، وفي سفره وهذا التنوع في الحاجات. وعليه فقد تبرز جوانب الصلة في علم السياحة، والظاهرة السياحية مع علوم أخرى، كون أنّ السياحة ظاهرة اجتماعية ثقافية تتداخل فيها العلاقات الاجتماعيّة بين السّياح والسّكان المحليين، وفي ظل هذا التداخل يكون للجانب الثقافي نصيب وافر في الدراسة للظاهرة السياحية، كون أنّ العناصر الثقافية هي حاضرة وبقوّة في السلوك السّياحيّ وتشكّله، وقد تكون الثقافة هي المصير الحتمي للظاهرة السّياحيّة وهي التي تغذيها، وتكون أساس قيام نشاط سّياحي معين، فالدول التي تملك إرثا ثقافيا متميزا يكون لها إمكانية بروز نشاط سّياحيّ وجذب سّياحيّ بشكل أكبر، كما أنّ السّياحة تعمل على توسيع المعرفة والخبرة من خلال التّبادل الثّقافيّ، وتتعلق في بعض جوانبها بسلوك الفرد وحاجاته الشخصية ورغباته نحو الانجذاب لنوع معيّن من السّياحة، وعليه فإنّ دراسة الجانب النفسيّ من السلوك لدى الأفراد المستهلكين للمنتج السّياحيّ، ومن ثمة يكون للسّياحة علاقة بعلم النّفس، ما ينتج عنه كفرع بارز في علم النّفس السّياحيّ الذي يُعنى بدراسة الحاجات والدوافع الشّخصيّة السّياحيّة، ضف إلى ذلك فإنّ السياحة باعتبارها ظاهرة اقتصادية تقوم على عمليات الإنتاج والتوزيع والاستهلاك للمنتج السّياحيّ، فإنه يترتب عليها نفقات وعوائد، والتي تستوجب وضع سياسات واستراتيجيّات تخطيطية ناجعة، ولذلك سوف نُخضع موضوع السياحة إلى مقاربات مختلفة منها السوسولوجيّة، والجغرافية، والنفسية، والاقتصادية، والأنثروبولوجية، هذه الأخيرة التي تجمع بين كل هذه الجوانب وبنوع من التحليل المكثف الذي يعتمد على الطرق الكيفية.

1- البعد السّوسولوجيّ للظاهرة السّياحيّة:

يهتم علم الاجتماع بدراسة الأفراد من الناحية الاجتماعيّة، أي بكل ما يحيط بالإنسان من بيئات اجتماعية وثقافية وجغرافية، إذا يدرس علم الاجتماع الإنسان في علاقاته مع الناس، وباعتبار السياحة ظاهرة اجتماعية بامتياز أين يجتمع فيها السلوك الإنساني بلا شكّ من خلال عمليات التبادل الاجتماعي، والاتصال الاجتماعي، فإنها تفرض دراستها من زاوية سوسولوجية، وعليه نتج عن هذا الاهتمام بها فرع علم الاجتماع السّياحي، هذا الفرع الذي لا يخرج عن نطاق العلم الاجتماعي العام، والذي يهتم بدراسة السلوك

الاجتماعي السياحي للأفراد في علاقاتهم المختلفة، في بيئات سياحية متعددة، وقد حدد كوهين عام 1984م عددا من وجهات النظر للسياحة من زاوية علم الاجتماع السياحي:¹

- السياحة والضيافة على أساس تجاري.
- السياحة كنشاط حديث لقضاء وقت الفراغ.
- ظاهرة حديثة تختلف عن السعر التقليدي.
- السياحة تعبير عن موضوعات ثقافية أساسية.
- السياحة عملية للتبادل الثقافي.

كما تستند في البحث إلى بعض مناهج علم الاجتماع، فيمكن دراسة السياحة من خلال موضوعات واتجاهات أساسية تتعلق بعلم الاجتماع في كونها نشاط إنساني اجتماعي، حيث يتطلب تنشيطها وتسويقها وتنميتها، فمن خلال الرؤى السوسيولوجية يمكن التعرف على النظم الاجتماعية القائمة وعلاقتها بالأنظمة الأخرى الاقتصادية والسياسية والقانونية والأخلاقية، بالإضافة إلى العادات والتقاليد السائدة في المجتمعات، والأسباب التي ساعدت على تكوينها، وسلوك الأفراد والجماعات من الجنسيات المختلفة والدوافع التي تقف وراءها، وأهم المشكلات والعوامل التي تسببت فيها.²

فإذن علم الاجتماع السياحي هو أحد فروع علم الاجتماع العام يهدف إلى:³

- تقدير التأثير الاجتماعي المفرط الذي تسفر عنه الخبرات السياحية على الفرد والأسرة والجماعة والمجتمع كوحدة متكاملة، وخاصة المجتمع المضيف.
- إدراك أنّ السكان أو الأهالي بأنّ تأثير الزوار قد يكون غير مرغوب فيه وضارًا اجتماعيا واقتصاديا.
- اكتشاف أنّ أنماط السفر تتغير مع تغيير خصائص الحياة والطبقات الاجتماعية.
- التآلف مع مفهوم السياحة الاجتماعية وأهمها في مختلف الدول.
- ملاحظة أنّ هناك أربع درجات قصوى تتصل بأفضليات السفر للسائحين الدوليين، مع إدراك تحديد علماء الاجتماع لأربعة نماذج شخصية من أدوار السائحين العالميين.

¹ بن عمر، حافظ (2014)، "مقاربة سوسيولوجية لظاهرة السياحة والترفيه، هل تحتاج السياحة والترفيه لعلم الاجتماع"، مجلة /إضافات، العددان 26، 27، ص. 215.

² بشيرة، عالية (2018)، "إسهامات المنهج التاريخي والنظرية الوظيفية في التنمية السياحية، دراسة نظرية تحليلية في سوسيولوجيا السياحة" مجلة تطوير، المجلد 5، العدد 1، ص. 144.

³ ماكنوتش روبرت، وآخرون (2002)، بانوراما الحياة السياحية، ترجمة (عطية محمد شحاتة)، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، ص 283.

إذن كل علم له أهداف، وعلم اجتماع السياحة له أهداف، فهو يرمي إلى الكشف عن جملة التأثيرات التي تخلفها السياحة على الفرد والمجتمع وبخاصة المجتمع المستقبل، مما قد يكون تأثير السياح عليه غير مرغوب على المستوى الاجتماعي والاقتصادي، وعليه فيمكن التنبؤ على أنماط التغيير الذي تحدثه ممارسة السياحة على الطبقات الاجتماعية والحياة كلها، وعليه فإنه يترتب عن الظاهرة السياحية مشكلات اجتماعية، خاصة على المجتمع المصنف، فمن آثارها السلبية:¹

- تقديم أنشطة غير مرغوب فيها مثل المغامرة والجهود، وغيرها من التجاوزات.
- كذلك ما يسمى بالآثار الوصفية démonstration affects للمواطنين المحليين، والذين يرغبون في نفس أو جهد ترف، أو السلع المستوردة التي يندمج فيها السواح.
- أيضا يترتب عنها توتر عنصري Racial tension عندما يكون الاختلاف واضحا من السياح ومضيفهم.
- تنمية اتجاه الخضوع servile, attitude للعاملين في السياحة.
- إنتاج حجم كبير من التذكارات souvenirs في مجال التجارة السياحية، ومنه ظلت أسعارها كسلعة طريفة في ميدان الفنّ، والصناعات الصغيرة.
- وضع معايير standardisation لأدوار العامل مثل النادل، وهو نمط عالمي.
- افتقاد الكبرياء الثقافية cultural Pride إذا ينظر السائح (الزائر) إلى الثقافة على أنها عادة طريفة quaint custom أو متعة للتسلية.
- التغيير السريع جدا في أساليب الحياة المحلية، نتيجة الأعداد الكبيرة المتدفقة من السائحين.
- الأعداد الكبيرة للعاملين في مجال السياحة، وبأجور غير متكافئة وزهيدة في مختلف الوظائف كالمطاعم والفنادق. هذه بعض السلبيات التي ترتب على الممارسة السياحية ووفود الزائرين، والتي يمكن التخلص منها أو من بعضها من خلال التخطيط الواعي والإدارة الرشيدة.

لقد ظهر مفهوم التنشئة السياحية والتي تسعى إلى إحداث وعي سياحي بين الأفراد وخاصة في المجتمع المصنف، وذلك بما يتناسب مع ثقافة المجتمع الأصلي، من خلال عملية التثقيف أو التنشئة الثقافية، وهي محاولة غرس القيم والعادات والأخلاق المجتمعة في النشء، إذ يقول: "بيار بورديو" أنه: علميا السياحة غير مستقلة عن المستوى التعليمي، لأن اتساع وتوتر ودوام الانتقال من أجل السياحة مرتبط بشدة بالمهنة والدخل، أي بالمستوى التعليمي². ولكي نتبع جملة الإسهامات لعلم الاجتماع في حقل السياحة يمكن أن نلاحظ أن عدم اقتصرهم على المفهوم التقني لا يفيد الأغراض السوسولوجية والذي وضعه الاتحاد الدولي

¹ ماكنتوش، روبرت، مرجع سابق، ص. 288، 289.

² بشيرة، عالية، مرجع سابق، ص. 147.

لمنظمات السفر، وقد يفيد إلى الأغراض السياحية، وعليه فقد حاول السوسولوجيون الانطلاق من تصور أفضل للسياحة من خلال تأكدهم على¹:

- دور ديناميكية العلاقة بين السياح والسكان المحليين (تحليل الصراعات في الأدوار المتبادلة).
- كذلك دراسة حاجيات وتطلعات السائح من خلال بعض التغيرات.
- أيضا دراسة الساحة بوصفها نشاطا ترفيهيا حديثا (التأكيد على الخصائص العامة للترفيه).
- دراسة السياحة باعتبارها تعبيراً ثقافياً (السياحة وحوار الثقافات).
- كذلك دراسة السياحة كأداة تغيير اجتماعي، وذلك على مستوى العلاقات والمؤسسات الاجتماعية.
- دراسة السياحة باعتبارها شكلاً جديداً من أشكال الاستعمار.

إنّ الاهتمام بأوقات الفراغ حفّز على ظهور أولى الدراسات في مجال السّياحة والترّفيه واتّصالهما بميدان العمل، فوجد "موريس مالبواتش" في كتابه "la classe ouvrière et les niveaux de vie" (1913م) أيضا كتابه الثاني عام 1933م *l'évolution des besoins dans les classes ou vivières* حيث ربط موضوع السياحة وعلاقته بالدخل العائلي الألماني، من منظور ماركسي الذي يهتم بالطبقة العاملة. وعلى النقيض فإنّ المنتمين إلى النظام الرأسمالي فقد كانت نظرتهم مخلفة عن الاشتراكيين إذ كانت تهتم بدراساتهم بأوقات الفراغ والترفيه في إطار علاقتهما بالعمل والإنتاج، حتى تمّ التمييز بين الراحة السلبية والإيجابية والعمل يبقى هو الأساس والراحة استثناء، ليصبح وقت الفراغ مخصصاً للتكوين والتثقيف العاملي لزيادة الإنتاجية، ومن بين هذه الدراسات نجد: دراسات بيفون bivans ودراسة سوروبكن ssorpkin عام 1920م، فالاتحاد السوفياتي والدراسة الثالثة لستروملان strumlin عام 1921م، في الاتحاد السوفياتي أيضا، حول الحياة اليومية للعمال. وتوالت الدراسات والاهتمامات بأوقات الفراغ في كل من أوروبا وأمريكا ليتضح أن أوقات الفراغ والبحث فيها متصل بالعديد من الجوانب والعوامل، كالعمل ونمط الحياة والتطور والتغير، وغيرهما، حيث تم الاهتمام بدراسة دور السياحة في التغير الاجتماعي مثل ذلك دراسة فروستار froster حول تأثير السياحة في فيجي figi وهاواي havvaii وذلك في تغيير عادات الناس الاستهلاكية، والتغيير في العلاقات والأبنية الاجتماعية (الأسرة والمدرسة...)².

إذن تهتم بعض من الدراسات السوسولوجية الأخرى المهتمة بالسياحة بجانب سلوك السائح في المجتمع المضيف وتأثيره في ذلك، مثل تأثير ظاهرة العراء la nudité في سلوك المحليين وكيف أن العديد من السياح يتجاوزون أعراف وتقاليد السكان المحليين. لقد تمّ تلخيص موضوع البحث السوسولوجي في ميدان

¹ بن عمر، حافظ، مرجع سابق، ص. 219، 220.

² بن عمر، حافظ، المرجع السابق، ص. 216، 217، 218.

السياحة في كتاب "إيمانويل دو كاد" (Emanuel de Kadt)، حيث أنّ السّياحة تمثّل لبعض الدّول الفقيرة الوسيلة الوحيدة للتنمية، والعملية لا تتطلب إلا مناخا وشاطئا وتراثا، ويقع الطّمس والصّمت عن الآثار السّلبية للسّياحة في المجتمعات المضيفة، ويرى عالم اجتماع السّياحة "بيار إيزنار" أنّه إذا بقينا على هذا المستوى من الحديث فإنّ علم اجتماع السّياحة لن يتقدّم كثيرا، ولإعطاء الشّرعيّة السّوسولوجيّة يجب طرح الأسئلة التّالية:

- كيف نصمت أمام تدمير آلاف الكيلومترات من الشّواطئ لتشييد فنادق لا تستفيد منها سوى الشّركات متعدّدة الجنسيّات؟
- كيف نقبل أن تكون ثقافات وتراث شعوب بأكملها معلّبة ومعروضة في الأسواق الحرّة في المطارات الدّوليّة؟
- لماذا يقبل آلاف العمّال، بل شعوب في إفريقيا وأمريكا اللاتينية وآسيا أن تؤدّي دور الخادم لإرضاء الإنسان الغربيّ وهو يجتاز عطلته؟
- لماذا تجبر فتيات الشّعوب الفقيرة على الانحراف (بانكوك، مالي، داكار، ريودي جانيرو...)، والدّوس على كرامتهنّ لأجل تقديم المتعة للسّائح الغربيّ؟¹

تبقى الدّراسات السّوسولوجيّة مستبعدة من الميدان السّياحيّ، وقد تركّز الدراسات على الأبعاد الاقتصادية للسّياحة. ممّا قد يترتّب عنها الاهتمام بالمقاربات الكميّة والإحصائيّة في التحليل دون منها الكيفيّة، وذلك لفهم جملة الظواهر المترتبة عن الظاهرة السّياحية في المجال الاجتماعي والثقافي. إذن توجد قراءات سوسولوجيّة متعدّدة للسّياحة، هذه القراءات تجعل التحليل أكثر تعقيدا، وهذا ما أكّده آرثر هولوت (Arthur Houlot)، أنّ السّياحة: "أحد أشكال الحياة الاجتماعيّة في عصرنا الحاليّ، وعليه فإنّ علم الاجتماع السّياحة، وبخلاف التوضيح البسيط للمفاهيم والنظريّات، فإنّه يتقاطع مع العديد من المجالات منها: الرّاحة والترفيه، الثقافة، الاتصال، الجماعات الاجتماعيّة، التّنمية، التّقاء المجتمعات المختلفة، وسيكولوجيّة الأفراد، استطلاعات الرّأي، كذلك دراسات التأثير والتأثر، الطبيعة غير المتجانسة للسّياحة، تجعلها حسّاسة لأزياء وآثار التّقليد، اعتمادا على المجتمعات التي يتمّ تحليلها فيها".²

2- البعد النفسي للسّياحة:

نتوجه الآن إلى معالجة المقاربة النفسية للسّياحة، كون أنّ هذه الأخيرة تتماشى ومتطلّبات وحاجات السياح المستهلكين للسّياحة، وعليه فإنّ الاستراتيجيات الناجعة هي من تعتمد على دراسة السوق من خلال

¹ بن عمر حافظ، مرجع سابق، ص. 220، 221.

² LANQUAR, R. (1994), *Sociologie du tourisme et des voyages*, France universitaires de France, 3 éditions, p. 5, 6.

دراسة حاجات الزبائن ورغباتهم واتجاهاتهم نحو اختيار سياحي معين، كذلك من أجل معرفة رضى السيّاح على الخدمات السياحية المقدمة، كل هذا يمكن أن يناقشه علم النفس السياحي الذي يعدّ فرعاً من علم النفس الاجتماعي للسياحة.

علم النفس السياحي هو "الدراسة العلمية التي تهدف إلى تحقيق إشباع حاجات ورغبات السيّاح خلال انتقالهم إلى البلد المضيف وتقبّلهم في ذلك البلد"، كما يعرف أيضاً أنه "مجموعة العلاقات والتصرّفات التي يقوم بها السيّاح خلال إقامتهم أو ارتحالهم من أجل الترويج عن النفس والتخلّص من ضغوط العمل"¹. وهو العلم الذي يهتم بدراسة المؤشرات والدوافع التي تجعل السائح يبادر ويتخذ قرار الشراء والخدمات التي تقدمها المؤسسات السياحية، كما أنه العلم الذي يهتم بدراسة سلوك السائح ودوافعهم وشخصياتهم وأذواقهم واتجاهاتهم وحاجاتهم المختلفة وردود أفعالهم ومواقفهم إزاء ما يطرح من خدمات سياحية، وعليه يمكن أن نلخص ما يلي:²

- أن هذه التعاريف تشير إلى الجانب النفسي للسائح
- التعرف على حاجات السائح ودوافعه لسلوك الشراء
- تقبل البلد المضيف للسائح
- التحرر من قيود العمل
- التخلص من رتابة الحياة اليومية

يُعدّ علم النفس الاجتماعي والسياحي فرع من علم النفس العام، ويسعى إلى التعرف إلى دوافع وحاجيات السائح (Besoins et Motivation touristiques)، وردود فعل السياح والمضيفين فيما يسمّى الصدمة الثقافية (le choc culturel)، وذلك بالاعتماد على بعض المتغيرات مثل: الجنس، والعمر، والمستوى التعليمي، والجنسية... في دراسة حاجات السائح، حيث تؤكد هذه الدراسات على أنّ دوافع السفر أصبحت متزايدة، وترتبط باحتياجات الفرد النفسية، وبرامج الحياة، ورغبته في القيام بتجارب أصلية، والخروج من المألوف في حياته الاجتماعية التي يعيشها، وفي هذا الصدد يقول أبو بكر باقادر: "أصبحت محاولة الوصول إلى الأصالة في هذه التجربة عند بعض السيّاح، تأخذ شكل الاهتمام بالمقدّس في المجتمع البدائي"، ويضيف قائلاً: "إنّما في نظر البعض تشبه التطلع الديني إلى الوصول إلى حقيقة قصوى، وربما عاد ذلك إلى

¹ السمرائي، نبهة صالح (2017)، علم النفس السياحي، عمان، دار زهران، ط1، ص.14.

² السمرائي، نبهة صالح، المرجع السابق، ص.14.

ضحالة الحياة الحديثة، وعدم أصالتها، واغتراب الإنسان الحديث، ومن ثمة الرغبة والتطلع إلى التعرف إلى حياة ثقافية واجتماعية مختلفة¹.

3-المقاربة الجغرافية

رغم ظهور دراسات جديدة عالجت ظاهرة السياحة في كل من أوروبا أو أمريكا الشمالية منذ قرون، إلا أن الجغرافيين لم يشاركوا في هذا المجال من خلال إبراز فدر الجغرافيا في تحليل الظاهرة السياحية من حيث الإطار والأسلوب والفلسفة المعالجة على تجسيد دور البيئة في تحديد أنماط السياحة وأطرها، ودور الإنسان في توجيه هذا النشاط، وتحديد حجمه ودوره ونتائجه، ذلك على الصعيدين البيئي والحضاري، وهي معالجة جغرافية يمكن أن تضيف الكثير إلى معرفة الإنسان وتراثه، فيما يتعلق بالظاهرة السياحية الآخذة في النمو والتطور بصورة سريعة ومذهلة في جهات متباينة من العالم، تعكس تأثير الاختلافات المكانية والعلاقات الإقليمية، وهما مجال الدراسة الجغرافية على صناعة السياحة². ظهرت جغرافية السياحة كفرع من الميدان الكبير لجغرافية الترويح Recréation، إلا أن بعض الدراسات الخاصة بالمنتجعات قد ظهرت منذ زمن بعيد في الدوريات الجغرافية، كما أن القيمة الاقتصادية للموارد السياحية في دول مثل سويسرا أو النرويج قد أشير لها في الكتب التي لم تعالج موضوع السياحة بشكل مباشر، ولعل تأخر الجغرافيا وتلاميذها في التعبير عن انطباعاتهم وأفكارهم تجاه تزايد وقت الفراغ والسياحة، كان مردّه إلى:³

- أنّ موضوع السياحة كان ينقصه إلى وقت قريب الشرح والتحليل والصقل العلمي الجديد، حيث نظر إلى أنشطة وقت الفراغ أنها قليلة الأهمية مقارنة بالأنشطة الأخرى، كإنتاج السلع والخدمات، وعليه فقد انزلق المهتمون بالدراسات الاجتماعية إلى فروع علمية يمكن أن تبدو للكثيرين على أنها دراسة للهزل واللهو، ولكن كان يمثل ذلك إهمالا لجانب هام من الحياة الحضريّة المعاصرة.
- أن البحث في هذا المجال كان صعب المنال، حيث كان من الصعب ضبط دقة المادة العلمية الخاصة بهذا المجال، أو حتى التوصل إليها، حيث كان الفرق واضحا بينها وبين الموضوعات الاقتصادية والسكانية القابلة للدراسة.
- أن الإطار العام للسياحة ظل يعتبره الغموض، وقد أخفق معظم الباحثين في هذا الحقل من تحديده بدقة، وفي مضمون يقبل التحليل، حيث أنه يوجد عدد لا نهائي من وقت الفراغ والسياحة تتم فيه المشاركة في أوقات متفاوتة.

¹ حافظ، بن عمر، مرجع سابق، ص. 218، 220.

² حماد، عبد القادر وعبد، ناصر محمود، مرجع سابق، ص. 28.

³ شوقي، منال عبد المعطي أحمد، مرجع سابق، ص. 19، 20.

➤ أنه زاد من التوجه إلى دراسة السياحة وأوقات الفراغ "Megalopoliation of leisure" الأمر الذي أدى إلى ظهور مشكلات أُلقت بنفسها إلى ميدان الجغرافيا بشكل كبير.

بدأت الدراسات الجغرافية تشارك في موضوع السياحة منذ بداية القرن 20، وذلك من خلال الاهتمام بالأنشطة التي تعالج استثمار العطلات والإجازات واستغلال أوقات الفراغ التي برزت أهميتها في الترفيه والمتعة تساعد على تجديد نشاط الإنسان وتزيد من قدرته على العمل والإنتاج، إلى جانب تأثير هذه الأنشطة على أنماط استخدام الأرض في المراكز العمرانية المختلفة¹. قد برز علم جغرافيا السياحة كنتيجة لالتقاء الجغرافيا مع السياحة، فتولد فرع قائم بذاته من خلال اهتمام الجغرافيا بالظاهرة السياحية وأوقات الفراغ، التي قد كانت من مفرزات التحولات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية الحاصلة في المجتمع المعاصر، فجغرافية السياحة هي العلم الذي يتناول بالدراسة والتحليل للعلاقات المكانية المتبادلة بين أماكن العرض والطلب السياحي، ومدى تأثير السياحة على المجتمعات المحلية، وبيئات المواقع السياحية، وما ينتج عنها من تأثيرات في المجالات البيئية والاقتصادية والاجتماعية، والثقافية، حيث تتناول جغرافية السياحة أربعة جوانب رئيسية هي:²

- العوامل الجغرافية الطبيعية: وتشمل كافة مظاهر البيئة الطبيعية كأشكال سطح الأرض في المواقع السياحية كمقومات طبيعية جاذبة للسياحة.
- العوامل الجغرافية البشرية: وتشمل كافة الخدمات والتسهيلات السياحية ودراسة التوزيعات المكانية للخدمات السياحية، مثل الفنادق والمكاتب السياحية والمطاعم ومراكز الزوار وغيرها.
- دراسة الأقاليم السياحية: وتشمل ما تحتويه من مقومات طبيعية وبشرية جاذبة للحركة السياحية وتخطيطها وتنميتها بشكل يحقق الاستغلال الأمثل لهذه المقومات مع عدم الإضرار بالبيئة الطبيعية وتحقيق التنمية السياحية المستدامة.
- كذلك إعداد الخرائط السياحية، والتي تضمّ مناظر تتصف بالشمولية لكافة المقومات السياحية الطبيعية والبشرية، وتوزيعها على الخرائط السياحية، مما يوفر نظرة شمولية عن الموقع السياحي ليستفاد منها في التخطيط السياحي. وعليه فإنها تهتم بدراسة علاقة السياح بالبيئة، وأساليب تفاعلهم معها ودراسة الحركة السياحية العالمية والإقليمية، والمحلية، وكذا دراسة التوزيع الأمثل للمواقع والمنشآت السياحية، بناء على عناصر البيئة الطبيعية والبشرية، بالاعتماد على المشاهدة والوصف

¹ حماد، عبد القادر وعبد، ناصر محمود، مرجع سابق، ص. 29.

² دابي، شوقي السيد محمد (2019)، جغرافية السياحة، مصر، جامعة قناة السويس، ص. 13، 14، 15.

والتحليل والتفسير، وتهتم بجميع العلاقات والأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والبيئية المرتبطة بحركة السياح.

إذ تدرس الجغرافية السياحية النشاط السياحي والتوزيع الجغرافي للأماكن السياحية في الأقاليم المختلفة في العالم، وأثر الحركة السياحية على البيئة، وعلى النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للسكان، ولما كانت الجغرافية تؤكد على تأثير عامل المسافة على الظواهر المختلفة لسطح الأرض (جغرافيا علم المسافات Science of distance)، فهي تفسر العلاقة بين عامل المسافة المقطوعة وشدة الجذب السياحي لمنطقة القصد¹. إنَّ الربط بين السياحة والجغرافيا يكمن في تشابه مقومات كل منهما، إذ أن المقومات السياحية في أي لإقليم إنما في جملتها مقومات جغرافية تكمل بعضها البعض، وتبلور الشخصية الجغرافية لذلك الإقليم، كما وإنَّ دراسة موضوع السياحة من قبل الجغرافي هي مجمع لدراسات جغرافية متنوعة، إذ يهتم الجغرافيون بظاهرتين إحداهما ثابتة والتي تتمثل في مواقع السياحة، ومناطق المنتجعات، وأماكن الترويج ونظمها البيئية، والأخرى متحركة والتي تكمن في حركة السياح والزوار داخل وخارج الحدود، ومن أهم المجالات التي تدرسها الجغرافيا السياحية نجد: الاقتصاد السياحي، المقومات السياحية، واستغلال وقت الفراغ. ومن علاقات الجغرافيا السياحية بالعلوم الأخرى نجد منها: علم الآثار، علم المناخ وفروعه، علم الاقتصاد، علم الطب... إلخ².

إذ لقد أدت التحولات الاجتماعية والثقافية وحتى البيئية إلى بلورة علم جغرافية السياحة وأوقات الفراغ، إذ أن التطور التاريخي وما صحبه من تحول غدّي البحث الجغرافي في علاقته مع السياحة، حيث تطورت النظرة العلمية للبحث في هذا الفرع العلمي الجديد كما كانت الحاجة لنشأته، لأجل فهم وتفسير وتحليل قضايا متشابكة بين المجالين، مرت جغرافية السياحة بمراحل تاريخية عديدة، إلى أن أصبحت ذات مكانة علمية في العصر الحديث، غير أن الفكر الجغرافي يعود إلى عصور قديمة، أين يلتقي الفعل السياحي بالجغرافيا، ومن خلال حب الإنسان للاستطلاع ومن أجل التبادل ونسج علاقات نفعية، غير أن الدافع الديني كان له الدور أيضا في تطور هذا الحق المعرفي، فمنذ زمن طاليس والجغرافيا الرياضية تبلور الفكر الجغرافي، وتشابك بعلوم ليحض بالمكانة العلمية في هذا العصر. فتعود بدايات جغرافية السياحة إلى القرن التاسع عشر، حيث كانت أولى الدراسات الأولى إلى (بروجير 1902 م Brougier، وشتراندر 1905 Strander م، وشبوتز 1919 م)، استخدم مصطلح الجغرافيا السياحية لأول مرة في عام 1805 م من قبل شتراندر، وقد رأى أن من وظائف هذا الفرع من العلم أثر العوامل الطبيعية والبشرية في أسباب وتطور وبلورة السياحة،

¹ المسعودي، رياض وشمطو، سمير خليل، مرجع سابق، ص. 24.

² المسعودي، رياض وشمطو، سمير خليل، المرجع السابق، ص. 24، 25.

وكذلك تمثيل المناطق السياحية في خرائط موضوعية، حيث طَوّر شتراندر عام 1917م وسائل البحث في جغرافية السياحة، انطلاقاً من وظيفة الاستهلاك (عامل الطلب) في السياحة، فإنه يصف أثر على الاقتصاد الوطني في تشغيل اليد العاملة وفي ميزان المدفوعات وأثرها في كل قطاع اقتصادي (كالزراعة والصناعة والخدمات)، حيث أوضح في مجال الزراعة أثر السياح كمستهلكين منتقلين في أنواع الاستغلال الزراعي، وإعادة ترتيب الحلقات التي تنشأ جراء تكاليف النقل في مناطق الاستغلال الزراعي حول مراكز الطلب التقليدية، كما ركّز على أسباب وشروط السياحة، والتي تتمثل في سهولة الوصول إلى الهدف، وجودة المأوى والطعام والأمن الشخصي وسلامة الممتلكات، وراحة السفر والمبيت والإثارة والتسلية. كما افترض كشرط مهم لتطور السياحة، العوامل الجغرافية الطبيعية والتي اعتبرها سلعا اقتصادية، بسبب منفعتها الاقتصادية في السياحة، كما طالب بالمحافظة عيها لاستغلالها أكبر في وقت ممكن، كما ركز في أجزاء أخرى على العرض السياحي (المأوى والمأكل) ووسائل الدعاية والمواصلة السياحية، وعليه فقد وضع "شتراندر" المسائل الأساسية، في تحليل الجغرافيا السياحية، بالرغم من عدم انتظامهما وترابطهما¹.

وقد طور "شپوتز" Shputz (1919م) طريقة أخرى في البحث، حيث ربط بين عناصر التحليل، حيث أدخل مسألتين في البحث في جغرافية السياحة الأولى، من خلال إظهار العلاقة والتأثير المتبادل بين السياحة والعوامل الجغرافية البشرية (المواصلات، والمستوطنات البشرية... إلخ)، ومن خلال تحليل النظم (التأثير المتبادل)، ومنذ ذلك التاريخ أصبح وصف وتوضيح المرتكزات الجغرافية للسياحة وتأثيراته الجغرافية من المسائل الأساسية في جغرافية السياحة ووقت الفراغ، وأما المسألة الثانية أكد "شپوتز" Shputz على دور السياحة كجزء من صورة الطبيعة، وكعامل مؤثر في تطور المظاهر الحضارية، فوصف وتحليل طبيعة المظهر الحضاري وتغييره أصبح من المسائل المركزية في دراسة الجغرافيا السياحية، وفقا للتقاليد البحثية التي أرسى دعائمها "شپوتز"، إذ ملاحظة مظاهر السطح الطبيعية ودراسة التأثيرات المتبادلة بين السياحة والأسس الجغرافية، بقيت من المسائل المركزية في الجغرافيا عند "فيغنر" Vegener عام 1929م أيضا، إذ يعتبر أن الهدف من الملاحظات والاستعراضات الجغرافية، هو تكوين فكرة عن الأماكن والمواقع السياحية في العالم، والتعرف على الاختلافات المكانية (أنواع السياحة المختلفة) بينها، وفي خطوة تحليلية أخرى يركز على وصف المعطيات الجغرافية الموضوعية التي تؤدي إلى نشوء السياحة المحلية، وأخيرا دراسة تأثير السياحة على المعطيات الجغرافية، ومن ثمّ استنبط "فيغنر" عدة أنواع من السياحة من خلال الحاجات الاجتماعية الأساسية، مما أدى به إلى تطوير نظم الدوافع السياحية، كما ميز بين الاحتياجات المختلفة تتبعاً للعلاقات الاجتماعية، والأسس المادية (الغذاء، المأوى، الملابس) والإدارية العامة، والدفاع عن الوطن والاتصال بين

¹ حماد، عبد القادر وعبد، ناصر محمود، مرجع سابق، ص. 30، 31.

الشخصيات الهامة، والممارسات الدينية، والإثارات الجمالية، والتعلم، والتسلية، والصحة وتنوع المناخ والنشاطات الرياضية، وإن إعداد قائمة بالاحتياجات المختلفة والتي تعدّ قاعدة أساسية للسياحة قد تعطي الصفة الثنائية للاحتياجات، فهي هذه الأخيرة احتياجات سياحية ووقت فراغ تقف وراء دافع الحركة المكانية، ومن جهة أخرى فهي احتياجات في مجال الحياة المهنية¹.

يصف "فيغنز" "Vegener" جميع أشكال السفر والإقامة من قبل السكان غير المحليين بأنها "حركة الغرباء" ويفصل ذلك عن الحركة السياحية والتي تشمل دوافع البحث عن الجمال والتعليم والصحة والاستحمام، والحاجة إلى التغيير مما طرح نقاشات حول تحديد المفهوم ومشكلات في تحديد مضمون وإحصائيات السياحة، حيث أخذ "جرينتال" "Gruental" 1934م تطورات الموضوع عن كل من "شبتوز وفيغنز" وأدخل عليه بعضاً من التعديلات خاصة فيما يتعلق بالموقع السياحي. واعتبر جغرافية السياحة فرعاً من فروع علم جغرافية المواصلات العامة، من خلال اشتغال السياحة على عنصر الحركة المكانية، كما بين في ذات الوقت أن العناصر التي تنشأ جرّاء الحركة السياحية لها أهمية كبيرة من عناصر المواصلات، وعليه فإنه يعتبر جغرافية السياحة على أنها جغرافية المواقع السياحية، وهو بذلك يلتقي مع آراء كل من "كول" "Koal" 1841م، و"هتزر" "Hettner" 1902م، وهيسرت "Hassert" 1907م، التي ترى أن دراسات جغرافية العمران تقوم على نشوء المواقع السياحية، وتطور وظيفتها.

من جهة أخرى قد طور "بوسر" عام 1939م طرق البحث في دراسته عن السياحة في المناطق الجبلية، حيث ينطلق في تحليل السياحة من الظاهرية الطبيعية ويركز على وصف وتفسير التغيرات الواضحة في المعالم المادية للسطح ليكون من أهم قواعد البحث في جغرافية السياحة حتى بداية الستينيات². وفي هذا السياق فقد نظر الجغرافيون الأمريكيون في النصف الأول من القرن 20 أن السياحة تمثل شكلاً من أشكال استخدام الأرض وذلك ما ظهر مع أعمال "ماك موراي" "Mcmurrey" عام 1930م، و"براون" في 1935م، كما تناولوا الجوانب الاقتصادية أمثال "كارلسن" "Karlson" عام 1938م، كما أوضح آخرون على أن السياحة تساعد على إنشاء أشكال عمرانية جديدة ومتنوعة، في حين كانت الإسهامات البريطانية مبكّرة فتمثلت في أبحاث "جلبرت" عن مورفولوجية المنتجات الداخلية والسياحية 1949م/ 1939م Gielbert فضلاً عن صناعة السفر والإجازات لدى كل من (Pimlott, 1947, Norval 1936, Ogilvie) (1933, Roe 1981).

¹ حماد، عبد القادر وعبد، ناصر محمود، مرجع سابق، ص. 31، 32.

² حماد، عبد القادر وعبد، ناصر محمود، المرجع السابق، ص. 32.

أما في فرنسا يأتي إسهام "Miege" في 1933م، الذي تناول بعض جوانب الدراسات الإقليمية في ميدان السياحة، أما في ألمانيا فكان الإسهام على يد "Poser" 1939م، الذي اهتم بدراسة الخصائص التوزيعية والموقعية للأشكال المختلفة للسياحة في ويزنبرنج Rersengebirge، في حين اهتم "Selke" 1936م بدراسة الجوانب الجغرافية في صناعة السياحة الألمانية، وعلى الرغم من هذه الإسهامات التي جاءت في النصف الأول من القرن 20 إلا أن الدراسات السياحية لم تظهر في الأدب الجغرافي العالمي قبل الستينيات في أوروبا والسبعينيات في أمريكا الشمالية وأماكن أخرى من العالم¹. وإذا ما انتقلنا إلى فترة الخمسينيات نجد أن جوانب البحث في السياحة وجغرافيتها قد تبلور مع الدراسات الموسوعية لكل من "بيرس Pearce" و "Sales" عام 1959م، كما ظهرت الدراسات التي تعالج الإحصاءات السياحية، عند "Clawson" 1959م، كذلك في أثر السياحة على ميزان المدفوعات عند "Liskorish" 1953م-1958م، ودراسة العيون المعدنية عند "Addison" 1951م، ثم السياحة ومشكلاتها عند "Hanziker" 1951م². كما شهدت الجغرافيا تطورا آخر في منهجية البحث على يد "Christaller" 1955م الذي قام بتحليل نمط التوزيع المكاني للمواقع السياحية وأدخل مسألة الموقع في الجغرافيا السياحية، فبالرغم من اعتبار الباحثين الأوائل جغرافيا السياحة فرعا من علم جغرافية المواصلات، إلا أنّ "كرستالر" اعتبرها فرعا من فروع الجغرافية الاقتصادية، حيث يقتصر مصطلح الجغرافيا السياحية عنده على السفر الاختياري الحر بقصد الاستجمام والمتعة، بينما السفر الخاص (بغرض الزيارة) والسفر الوظيفي لا يعتبران ضمن مجالات البحث في الجغرافيا السياحية³. وقد شكلت دراسات الخمسينيات امتدادا للبحث في الدراسات السياحية في فترة الستينيات، كما شملت جزءا منها الموضوعات المستحدثة، فمن الموضوعات التي شكلت امتدادا للفترة السابقة، وتضم⁴:

الاتجاه الإقليمي: ويشمل دراسات منها:

Klemeut_1961, yi_Fu Tuan_1964, Rich 1965.

Keemyfen_1965, turner_1965, Naylor 1967, Suzuki_1967, Zinder_1960.

*اقتصاديات السياحة: ومن أبرز ما كتب في هذا المجال ما تم على يد: Clarwson_1966.

*أوقات الفراغ والإجازات، وتناول هذا الجانب كل من:

Degrazia_1962, Dower_1965, Dumazechier_1963, Clark_1966.

*أنماط من السياحة، وقد عالج هذا الجانب كل من: Defert_1966

Coppck_1969, woyer_1967, Linton_1969, Stansfiled_1969.

¹ عبد الحكيم، محمد صبيح والديب، حمدي أحمد (2012م). *جغرافية السياحة*، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ص. 16، 17.

² عبد الحكيم، محمد صبيح والديب، حمدي أحمد، المرجع السابق، ص. 17.

³ حماد، عبد القادر وعبد، ناصر محمود، مرجع سابق، ص. 34.

⁴ حماد، عبد القادر وعبد، ناصر محمود، المرجع السابق، ص. 17، 18.

* أما الاتجاه الثاني فشملت موضوعات لم تعالج من قبل، تلك التي ظهرت بعد أن تأصلت جوانب كثيرة من الدراسات السياحية، وتنقسم إلى :

* تاريخ السياحة ومن دراسات هذا الجانب دراسة: Sigaux-1966, Wile-1966

* مناهج البحث في السياحة والاستجمام، ومن أبرزها، كتابات:

Taylor-1965, Campbell-1966, Mitchell-1968.

* جغرافية الترويج، حيث كتب في هذا الصدد: Wolfe-1966, Marphy-1967

* اتجاهات السياحة الدولية وتناولها كل من :

* مستقبل السياحة والتخطيط لها، من أبرز الدراسات دراسة: Wolfe-1964

تتابعت الدراسات الجغرافية التي عالجت موضوع السياحة، منذ الستينيات في أوروبا والولايات المتحدة وكندا خلال السبعينيات، وقد شارك الاهتمام بموضوع السياحة عدة علوم أخرى كالاقتصاد والإحصاء وإدارة الأعمال والتسويق والاجتماع في مقدمتها، كما اهتمت عدة فروع من الجغرافيا بدراسة السياحة من مختلف الجوانب والمحاور والسمات، وقد ظهرت خلال السبعينيات أبحاث مدعمة بالوثائق والتي اهتمت بمشاكل الترويج بالمناطق الحضرية والريفية، كما تناولت الدوريات والمجلات العلمية المزيد من جوانب البحث الترويجي¹، حيث يمكن تتبع هذه الاتجاهات البحثية من خلال:²

➤ الاتجاه الإقليمي من خلال دراسات ترتبط بالعلم المتقدم مثل دراسة Mcewen-1971 عن السياحة في أوروبا، ودراسة Diffield-1973 عن حركة السياحة في إيدنبرج، ودراسة Cent-1978 عن السياحة في كوينزتاون، ودراسة Pearce م 1977 عن السياحة في نيوزيلاند.

➤ كما شهد هذا الاتجاه دراسات حول العالم الثالث مثل دراسة Blake م 1972 عن السياحة في الجزائر ودراسة Tenplemen م 1973 عن السياحة في الدول الإسلامية، ودراسة Robinson-1972 عن جغرافية الترويج في جنوب آسيا.

➤ اقتصاديات السياحة، ومن ذلك دراسة كل من:

Mekentosh-1973, Rihards-1972, Medlik-1972, luoto-1975. ➤

➤ أوقات الفراغ والإجازات في الدراسة الهامة ل Patmore-1970 الأرض ووقت الفراغ ودراسة Dower- 1970 وقت الفراغ وأثره على الإنسان والأرض، ودراسة Mevcer-1970 عن جغرافية وقت الفراغ، ثم دراسة Cilitoe-1970 حول التخطيط لوقت الفراغ.

¹ حماد عبد القادر إبراهيم، وعبد، ناصر محمود، مرجع سابق، ص 35، 36.

² عبد الحكيم، محمد صبيح والديب، حمدي أحمد، مرجع سابق، ص 19، 20.

- أنماط من السياحة مثل كتابات:
- Bracey-1970, Robinson-1973, Berbaza-1970
- مناهج البحث في السياحة مثل: Burton-1970, Archer-1973, Miossee-1976
- اتجاهات السياحة الدولية من ذلك: Gray-1970, Wiliam Zelinsky-1970, Cohen-1972
- مستقبل السياحة والتخطيط لها مع زيادة الاهتمام بهذا الجانب، أهم الدراسات:
- Bryden-1973, Lundgren-1972, Bovy Carter-1977, Lawson-1977, Mings-1978, Pearce-1978.
- أما الاتجاه الثاني فقد اهتم بالدراسات السياحية التي تخص الآثار الناجمة عن السياحة ومشكلاتها.

ومن أبرز الدراسات: Archer-1973, Stock-1977, White-1974, Young-1973, Stanes-1976.

وقد امتدت الاتجاهات السابقة في الثمانينات، كمّا وكيفا، وانصب الكثير منها على الجوانب التخطيطية والآثار الناجمة عن السياحة، ومن أبرز الدراسات في هذا الشأن: Pearce-1980, Mathieson Wall-1982, Murphy-1980. كما تعكس الاهتمامات الأكاديمية المتزايدة، النهضة الملحوظة للسياحة في النصف الثاني من القرن العشرين. تعتمد جغرافية السياحة على مناهج عدة، منها المنهج الإقليمي، والمنهج الموضوعي، والمنهج الحرفي، والمنهج الأصولي، والمنهج الوظيفي، حيث أن:¹

- المنهج الأصولي يهدف إلى دراسة العناصر الطبيعية والبشرية التي تؤثر في صناعة وأنشطة السياحة، كالموقع والسطح والمناخ، والحياة الفطرية، وأعداد السكان وتوزيعهم وعاداتهم وثقافتهم، ومنشآتهم السياحية، وغيرها.
- المنهج الإقليمي ويهدف إلى تحليل الإطار الإقليمي للسياحة كالتوزيع المكاني للمرافق السياحية، ومد ارتباطها بعناصر البيئة الطبيعية والبشرية.
- أما المنهج الوظيفي، فهو يحلل التركيب الوظيفي للأنشطة السياحية والعرض والطلب والتباين الإقليمي للسياحة وارتباطها بأنشطة إنتاجية أخرى.
- في حين أن المنهج الحرفي: ويدرس نشأة وتاريخ وتطور ومفاهيم وأنماط السياحة ومقوماتها الجغرافية ودورها الاقتصادي.

إذن ساهمت الدراسات في جغرافية السياحة بالكثير من فهم وتفسير وتحليل الظواهر السياحية وجوانبها المتعددة، وقد ساهمت من جهة أخرى في تطوير النظرة العلمية للظاهرة السياحية، كما كشفت على

¹ الدابي، شوقي السيد محمد، مرجع سابق، ص. 18، 19.

تداخل الاهتمامات العلمية حول الظاهرة، والذي ينم عن كون الظاهرة السياحية معقدة تتشابك فيها الكثير من الحقول العلمية.

4- البعد الاقتصادي للسياحة

للسياحة دور في تنشيط اقتصاديات الدول، حيث أصبحت تمثل مصدرا رئيسيا للدخل القومي نتيجة إنفاق السواح المتعدد الأشكال (كالإقامة والنقل، والإطعام، وخدمات ومشتريات أخرى...)، بالإضافة إلى الأثر المضاعف للدخل الذي يولده الإنفاق، والذي ينشأ عن الإيرادات السياحية التي تنتج في دورات اقتصادية متنوعة ومختلفة، كما أن السياحة ترتبط بكثير من القطاعات الأخرى الصناعية منها والزراعية والخدماتية، وعليه فإن النهوض بالسياحة يتطلب دراسة كافة التغيرات الاقتصادية، المتعلقة بتدفق العملة الأجنبية، ومعدل الإنفاق وعلاقته بميزان المدفوعات والميزان التجاري والعمالية والاستثمار، وكيفية تعظيم العائد الاقتصادي عن طريق توظيف كافة العناصر المتاحة، لتحقيق الرخاء والرفاهية في المجتمع، وهذا مرتبط بعلم الاقتصاد، والذي يهتم بالنواحي المادية للمجتمع ووسائل تنمية ثرواته وموارده، وكيفية تداولها وتوزيعها واستهلاكها، وكل ما يتعلق بذلك من سلع وخدمات وأسعار، والعوامل المؤدية إلى انخفاضها أو ارتفاعها وغيرها¹.

يُعرّف علم الاقتصاد على أنه "أحد العلوم الاجتماعية الذي يهتم بالطريقة التي يختار المجتمع بها أن يوظف موارده الإنتاجية النادرة لتحقيق أهدافه الاقتصادية المتعددة"، كما يُعرّف على أنه: "أحد فروع علم الاجتماع الذي يتناول استخدام الموارد الاقتصادية النادرة في المجتمع واستخدامها بكفاءة لإنتاج السلع والخدمات التي يحتاجها أفراد المجتمع وتوزيعها بشكل عادل"².

يُنْبَع في التحليل الاقتصادي منهجين؛ الأول ويهتم بدراسة سلوك الوحدات الجزئية في الاقتصاد مثل سلوك المستهلك أو المنتج، ويطلق عليه بالاقتصاد الجزئي، أما المنهج الثاني والذي يهتم بدراسة الاقتصاد ككل أو جزء كبير منه، مثل البطالة وكمية الإنتاج الكلي، وهذا المنهج يطلق عليه اسم "الاقتصاد الكلي"³.

يرتكز الاقتصاد على عناصر أساسية هي:⁴

الموارد الإنتاجية أو ما يُسمى بعناصر الإنتاج أو المدخلات، وهي التي تستخدم في إنتاج السلع والخدمات وهي:

¹ كافي، مصطفى يوسف (2017م)، مدخل إلى علم السياحة، الجزائر، ألفا للوثائق، ص. 104.

² الشبار، جهاد عيسى (2015)، اقتصاديات السياحة والفنادق وتطبيقاتها في المملكة العربية السعودية، الرياض، دار جامعة الملك سعود للنشر، ص 10.

³ الشبار، جهاد عيسى، المرجع السابق، ص 11.

⁴ الشبار، جهاد عيسى، المرجع سابق، ص 11، 12، 13، 14، 15، 16.

***العمل:** والذي يقصد به جميع الأعمال الجسمانية والذهنية المستخدمة في العملية الإنتاجية.

***رأس المال:** وهو جميع العناصر التي يتم إنتاجها من أجل استعمالها في العملية الإنتاجية (الآلات، المعدات...).

***الأرض:** وتعني كل الأراضي التي يتم استغلالها لإنتاج السلع أو الخدمات.

***المنظم:** وهو الشخص القائم على العملية، وهي جمع عناصر الإنتاج وتنسيقها وتنظيمها.

***ندرة الموارد:** وهو أهم ما يميز الموارد الإنتاجية، هو محدوديتها في الطبيعة وندرتها، وعليه تقف أسئلة نتيجة للندرة هي: ماذا ننتج؟ وكيف ننتج؟ ولماذا ننتج؟

***الحاجات الإنسانية:** يصعب تحديد الحاجات وهو ما يعدّ مشكلة اقتصادية لأنها تتعدد وتتغير مع الزمن، حيث ما يكون من خدمات سياحية ضروري في مجتمع قد يكون غير ضروري في مجتمع آخر.

تعددت الأنظمة الاقتصادية عبر الزمن، من النظام الرأسمالي والذي يتميز بالملكية الخاصة لعناصر الإنتاج، وهذا ما جاء في كتابات ريكاردو وأدم سميث.

والنظام الاشتراكي والذي يميزه الملكية العامة لعناصر الإنتاج، ثم برز النظام المختلط والذي تبنته دول عدم الانحياز، وهو يتميز بـ: الملكية الخاصة لبعض وسائل الإنتاج، والملكية العامة لوسائل الإنتاج الأخرى، أما النظام الإسلامي: والذي يستند إلى الشريعة الإسلامية وأهم ما يميزه هو الزكاة.

يهدف علم اقتصاديات السياحة إلى تحقيق أعلى إشباع ممكن من الحاجات السياحية، من خلال الاستغلال الكفء والأمثل للموارد السياحية المتاحة، كما يسعى إلى ترشيد السلوك الإنساني، ويمكن تعريفه أنه: "العلم الذي يوفر القواعد والنظريات الاقتصادية اللازمة للاستغلال الأمثل للموارد السياحية النادرة، وتخصيصها لإنتاج السلع والخدمات السياحية اللازمة لسدّ الحاجات البشرية المتنوعة بما يحقق أقصى إشباع ممكن.

فمن الموارد الاقتصادية السياحية نجد:

➤ **العناصر الطبيعية:** والتي تتمثل في كل عناصر الجذب الطبيعية المختلفة، مناخ، شواطئ وأنهار، وبحار وصحاري، وحيوانات ونباتات... وغيرها.

➤ **الموارد البشرية:** وتتمثل في عنصر العمل والقوى البشرية المؤهل للعمل في قطاع السياحة.

➤ المرافق والتجهيزات: والتي تمثل رأس المال السياحي كل التجهيزات والمعدات والمباني المستخدمة في السياحة.

➤ التنظيم السياحي: كل القائمين على المشروعات السياحية، والعمل على الموازنة بين عناصر الإنتاج والموارد السياحية¹.

ويعتمد الاقتصاديون المدخل الاقتصادي في مجال السياحة، وذلك بتركيزهم على العرض والطلب، وميزان المدفوعات، والتبادل الأجنبي، استخدام النفقات، التنمية، الأرباح والفوائد المركبة، وسائل العوامل الاقتصادية الأخرى، يكشف هذا المدخل على إسهام السياحة في الاقتصاد الوطني والتنمية الاقتصادية، وقد لا يعطي هذا المدخل أهمية للمداخل البيئية والثقافية والنفسية والاجتماعية والأنثروبولوجية الأخرى².

كما يعتمد الاقتصاد السياحي على سياسات مالية، يعتمدها الاقتصاد العام لزيادة في حجم الإيرادات من خلال زيادة حجم الطلب الكلي، وتحريك مختلف الآليات للتأثير على عمليات الاستثمار، وبالتالي تحقيق الزيادة في الإيرادات، من ثم تحقيق النمو الاقتصادي، حيث تُعرّف السياسة المالية على أنها: "تحريك أدوات الموازنة من نفقات وإيرادات للتأثير في الاستثمار وتحقيق الأهداف الاقتصادية العامة"³.

اعتبر المجلس العالمي المفوض للسفر والسياحة WTTC السياحة على أنها هي أكبر الصناعات العالمية وأعظمها، وهي بذلك تتفوق على الآليات Couts وصناعة الصلب، والإلكترونيات والزراعة، تطورت السياحة وأصبحت متاحة لكثير من الجماهير، وقد حاولت منظمة السياحة العالمية wto توثيق النمو السياحي في مطبوع سنوي عنوانه Tourisme Compendium، وتقدر طبعة 1993م أن حوالي 475.5 مليون حالة وصول سياحي قد سجلت في عام 1992م مقابل ما حققته عام 1990م وهو عام الذروة حيث وصلت إلى 455.6 مليون، وقد تنبأت بتحقيق عام 1993م 500 مليون سائح وليصل عام 2000م 661 مليون سائح، و937 مليون سائح عام 2010م⁴.

من هنا كان للسياحة دور وإسهام في زيادة الدخل القومي، باعتبارها أهم الصناعات اليوم ترتكز عليها الكثير من الدول متخذة في ذلك جملة من الاعتبارات الجديدة كاستخدام تكنولوجيا الإعلام والاتصال في الترويج السياحي، وزيادة الجذب من خلال ما هو متاح من إمكانات طبيعية وثقافية وتاريخية وإبداعية.

¹ الشبار، جهاد عيسى، المرجع السابق، ص.21.

² ماكنتوش، روبرت وآخرون، مرجع سابق، ص.38، 39.

³ دياب، محمد وآخرون (2015)، التنمية السياحية والسياسات المالية، عمان، ط1، ص.36.

⁴ دياب، محمد وآخرون، المرجع السابق، ص 23.

إلا أن الخبراء يرون أنه من الصعب حساب تأثير السياحة على الاقتصاد العالمي، حيث أن المجلس الأعلى للسياحة أن المقاييس التقليدية لا تعطي صورة كاملة لمساهمة السياحة، لأن الحسابات المبنية على الإنفاق المباشر فقط تتجاهل تأثير السياحة على القطاعات الأخرى، مثل المطاعم ومحلات التجزئة، وفي حالة إضافتهما يمكن القول بأن الدخل العالمي من السياحة يصل إلى نحو 3200 بليون دولار سنويا أي نحو 11% من إجمالي الناتج المحلي لدول العالم¹.

5- البعد الأنثروبولوجي للظاهرة السياحية

أ- الرحلة بين المعرفة الثقافية والممارسة السياحية

تتميز الدراسات الأنثروبولوجية عن غيرها من الدراسات في كونها تعتمد على البحث الحقل الذي يستوجب من الباحث معايشة ميدان الدراسة معتمدا في ذلك على تقنية المشاهدة كأداة أساسية في كشف أغوار المجتمع المدروس وقد تعدد طرق استعمالها حسب حاجة البحث وإمكانياته.

فالأنثروبولوجيا تعد ذلك العلم الذي يهتم بقضايا الإنسان فهي علم دراسة الإنسان، وذلك إذا ما عدنا إلى الاشتقاق اللغوي للكلمة والتي بدورها تتكون من مقطعين: "أنثروبوس Anthropos" وتعني الإنسان و"لوجوس logos" وتعني العلم أو الدراسة. وعليه تصبح الكلمة في معناها علم دراسة الإنسان، غير أن العالم البريطاني إيدوارد تايلور في كتابه الثقافة البدائية عام 1871 باعتباره أول مؤسس لمفهوم الثقافة بعيدا عن أحادية التوجه إذ جمع في تعريفه للثقافة بين الأبعاد الروحية المعنوية والأبعاد المادية وعليه يصبح تعريف الثقافة أشمل تعريف. وهو يعرف الأنثروبولوجيا بقوله أنها: "الدراسة البيو-ثقافية للإنسان" هذا التعريف يفصح لنا عن مجالات الدراسة الخاصة بالأنثروبولوجيا التي تخص الإنسان وهي الناحية البيولوجية أو الفيزيائية الطبيعية، والمتصلة بالأجناس والأعراق وكل تمظهراتها المختلفة ومن جهة أخرى الإنسان في جانبه الثقافي باعتباره الكائن الوحيد المنتج للثقافة والمستهلك له.

يعدّ وصف عادات الشّعوب وسرد الكثير من ملامح الحياة الثقافية وطرح القضايا وكلّ ما يتعلّق بالأجناس والأعراق والطّباع والنحل والملل مسائل يعود تاريخها لعهد المؤرخ الإغريقي هيرودوت (480 ق.م)، الذي أعطى أوصافاً للتقاليد والطقوس وغيرها، كما تناول بدوره لوقريطس (480 ق.م) مراحل التمدين وارتقاء الإنسان عن طريق تقدّم الأدوات والفنون كما كان للعرب إسهام وافر في هذا الشأن كالرحالة (ابن فضلان) و(ابن بطوطة) حيث هذا الأخير يروي تفاصيل كثيرة من خصائص وسمات الشعوب من الغرب إلى

¹ معراج، هواري وجرادات، محمد سليمان (2004)، "السياحة وأثرها في التنمية الاقتصادية العالمية حالة الاقتصاد الجزائري"، مجلة الباحث، عدد 1، ص. 23.

الصين كما ساهمت كتابات ابن بطوطة في وضع أساس لتوزيع القبائل في غرب إفريقيا، وذلك في التعرف على الحدود الأنثروبولوجية، وأشكال الانتماء والاندماج، وقد كانت رغبة الفضول في الاطلاع على مختلف مظاهر الحياة المختلفة بما في ذلك الطّباع والأمزجة والخصائص الجسمية والأخلاقية، وقد كان لإقامتهم مع الشعوب الملاحظة دور في تسجيل كل هذه الاختلافات الثقافية. واستعانوا بالمقارنة والتمحيص والتي تعدّ مرحلة الدراسات الأنثروبولوجية ذات التّزعة العلمية ولكن في صورتها العفوية.¹ غير أنّ كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر للعلامة ابن خلدون (1322-1406) وما يشتمل عليه من وقائع إثنوغرافية متعدّدة الأبعاد تعتمد على منهجية هامة من الشرح والتحليل والتعليل والمقارنة بين الأخبار والحوادث وتأثير الطبيعة ونوع السّكان. وذلك ما لخصه في المورفولوجيا الاجتماعية، والتي تضمّنت تحليلات للسمات التي يتميّز بها البربر والعرب والعجم وكلّ التّحولات التي طرأت على الحياة في مختلف مستوياتها قبلية الريفية والمدينة الحضرية، إنّ منهج ابن خلدون في فهم وتفسير الظواهر الاجتماعية والثّقافية التي تتميّز بها المجتمعات المدروسة أضفت به إلى إرساء أسس علم العمران البشري والذي يعدّ من أهمّ الموضوعات التي تنتهي إلى مجال الأنثروبولوجيا بلا منازع جمعت بين الوصف والتحليل والتفسير آخذة من مبدأ الاستقراء والاستنباط العلمي القواعد وما تحمله من دلالات.²

إذا ارتبطت الأنثروبولوجيا وبخاصة في دراستها الحقلية المبكرة بدراسة تلك المجتمعات البدائية أو المجتمعات المتوحشة وذلك ما جاء في كتابات الأنثروبولوجي "مالينوفسكي"، وهو من الكتّاب الذين أعطوا لهذا الاسم من المجتمعات صورته المعاصرة، حيث تحدّث عن القانون والعرف في المجتمع الأرجنوتس المتوحش. Crime and cuiton in savage society كذلك دراسة "راد كليف يراون" لمجتمع جزر الأندمان في المنطقة الشّمالية من المحيط الهندي، وكذا دراسات "ايفانز بريتشارد" في مجتمع النوير بالسودان.³

وكذا الدراسات الأنثروبولوجية التقليدية والتي اتّسم بها القرن الثامن عشر أمثال دراسات "جابريل ساجارد وجوزيف لامثيو" لقبائل الهيرون والأيروكواي حيث استعانوا بالاستبطان والاستدلال القبلي السّابق على التجربة بمعنى التفكير الخالص وتكوين التّظريات كان يسبق تجربتهم المباشرة لهذه الشعوب، غير أنّ هذه الدراسات الممنهجة في مجال الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثّقافية لم يتبلور إلّا في منتصف القرن التاسع عشر والذي برزت فيه أمّهات الكتب في النّظرية الأنثروبولوجية ككتاب "سير هنري مين" عن القانون القديم 1871، والمجتمعات القوية في الشّرق والغرب 1871 وكتاب "باخوفن" حقّ الأمّ، 1861، و"فوستيند يكولانج"

¹ حمادة، مصطفى عمر (2000)، دراسات أنثروبولوجية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ط1، ص. 27.

² حمادة، مصطفى عمر، المرجع السّابق، ص. 27، 28.

³ إبراهيم، محمد عباس وآخرون (2005)، الأنثروبولوجيا مدخل وتطبيقات، الأزارطية، دار المعرفة الجامعية، ص. 155، 156.

المدينة العتيقة، و"ماكلينان" الزواج البدائي 1865 وبعدها أبحاث في التاريخ القديم للجنس البشري سنة 1865 وكذلك الثقافة البدائية عام 1871 "لتايلور"، وفي نفس العام "لويس هندي مرغان" أصدر كتاب أنساق روابط الدّم والمصاهرة في العائلة الإنسانية.¹

يتّضح لنا أنّ الأنثروبولوجيا تركز على دراسة سلوك الإنسان وأنشطته المختلفة، وباعتبار أنّ السياحة أحد الأنشطة الهامة التي يتمظهر فيها السلوك الإنساني بأبعاده المختلفة، فإنّ أنثروبولوجيا السياحة والتي هي أحد فروع الأنثروبولوجيا العامة، هي العلم الذي يهتم بدراسة النشاط الإنساني السياحي في المجتمع والذي يختلف تبعاً للمقومات المجتمعية المحلية والإقليمية، وما بها من أبنية ثقافية ونظم سياسية، وكلّ المتغيّرات الدولية والعالمية والتي لا يمكن إنكار مدى تأثيرها في الحركة السياحية العالمية وبين الدّول والثّقافات، كما تركز أنثروبولوجيا السياحة على دراسة السّكان المقيمين في المجتمعات المحلية والتي تتواجد بها مواقع سياحية وأثرية وتراثية وشاطئية وغيرها ومدى إدراك هؤلاء السّكان بقيمة ما لديهم من مقومات سياحية من جهة وبقدر ما يتحلون به من قيم وأنماط سلوكية في تعاملهم مع السّياح.²

السؤال الذي نطرحه هنا هو كيف تناول الأنثروبولوجيين الظاهرة السياحية؟

من هذا المنطلق يمكن الرجوع إلى الأبحاث الأنثروبولوجية حول السياحة الأمر الذي يسمح لنا بتحديد أصولها، حيث أنّه في خلال سنوات الستينيات من القرن الماضي، برزت بعض الدراسات المنعزلة والتي تمت من طرف جامعيين الذين كونوا جماعة بحث خاصة بواسطة استحداث مجلة "حوليات البحث في السياحة" Annals of tourism research وكذا لجان دولية. في بادئ الأمر كانت السياحة مدروسة من طرف أشخاص ركزوا على الموضوع بسبب تاريخهم العائلي أو وضعهم الاجتماعي أو الأكاديمي.³

فمنذ أوّل الكتابات المبنية على اهتمام الأنثروبولوجيا الميدانية بالوضع السياحي الخاص، فإنّ التظاهرات التجريبية وتأثيرها في المجتمع المستقبل هي التي ألفت الانتباه، أثناء سنوات الستينيات 1960 وفي العديد من الحالات كانت الكلمة السرية لهيئات التنمية الدولية متمثلة في الاستفادة من بروز مجتمع أوقات الفراغ حيث في 1963 طرحت هيئة الأمم المتحدة بأنّ السياحة قد أتت بمساهمة فعلية وحيوية للمعرفة الاقتصادية للبلدان النامية، ويعتقد خبراء التنمية لما بعد الاستعمار بأنهم وجدوا جواباً ملائماً للاقتصاديات الضعيفة والتي ليس لها موارد، إذ وبعد تاريخ طويل للنشاط السياحي والذي تزايد بوتيرة متواضعة، ظهرت السياحة

¹ حمادة، مصطفى عمر، مرجع سابق، ص. 28.

² إبراهيم، محمد عباس، مرجع سابق، ص. 33.

³ Cousin, S. Et Apchain, T. (2016), « Tourisme et Anthropologie : un tango de l'altérité », *mondes dutourisme*, [on line], p.2.

الكثيفة (الجماهيرية) التي تجاوزت الجانب الاقتصادي للظاهرة، وشرع علماء الاجتماع والجغرافيون وعلماء السياسة في تحليل العلاقات بين البلدان المرسله والبلدان المستقبلة.¹

من بين المختصين في العلوم الاجتماعية والإنسانية الجغرافيون هم أول من درسوا السياحة بواسطة بحث ميداني ما بين 1950 و1960 وذلك بالتركيز على الآثار الاقتصادية والاجتماعية، حيث يعتبر "Valene Smith" عام 1953 من بين الأوائل الذين اعتبروا السياحة كموضوع مستقل، إذ هي جغرافية تحولت إلى أنثروبولوجية حيث نظمت عام 1974 دورة حول السياحة في الجمعية الأنثروبولوجية الأمريكية.²

إذن كانت البدايات في دراسة أنثروبولوجيا السياحة منعزلة والتي اهتمت بطبقة أوقات الفراغ *Classe de loisirs* ل *Thorstein Veblen* عام 1899، ثم أتى بعده "Theron Nunez" والذي نشر في 1963 أول تحقيق أنثروبولوجي حول السياحة، هذا التحقيق ركز على نهاية الأسبوع عند الأغنياء، ثم أتت من بعده "Valene Smith" التي نظمت في 1974 أول دورة متخصصة الأنثروبولوجيا السياحة كما تم الإشارة له سابقا وكذا عالمة الاجتماع "Marie Françoise lanfant" في (1972,1978).³

أنثروبولوجيا سنوات السبعينيات قد انضموا بعد ذلك إلى الأخصائيين السوسولوجيين الذين اهتموا بالتغير السوسيو-ثقافي حيث تبنا موقفا نقديا صارما أمام الانحطاط السريع لهوية المجتمعات المحيطة التي سمّتها السياحة.⁴ حيث في هذه الفترة تهيكلت البحوث الأنثروبولوجية عبر العديد من المجالات وخاصة "Annals of tourism research"، بينما كانت الجغرافيا على الدراسات الفرنسية، إذ كانت الأنثروبولوجيا إحدى التخصصات التي أسست البحث حول السياحة في العالم الأنثروبولوجي، كما يعد وجودها في الأصل قد سمح بفهم أفضل لتطور الأبحاث التي لخصها "Jafari Jafar" في 1973 في كتاب جماعي خصص لأسس أنثروبولوجيا السياحة، إلى غاية نهاية الثمانينيات، وبينما كان العديد من السواح حاضرين في ميدان الأنثروبولوجيا فإن أعمال كل الأنثروبولوجيين تقريبا تجاهلت هذه الظاهرة، السواح وصناعة الرحلات حيث كانت خارج الميدان من حيث المعنى الفوتوغرافي والسوسولوجي للمصطلح غير أن بعض الكتب النادرة ركزت على هذه المسألة بهدف رفض تأثير السياحة في المجتمعات المضيفة.⁵

¹ Michaud, J. (2001), « Anthropologie, tourisme et sociétés locales au fil des Textes », *Anthropologie et sociétés*, vol, 25 n°2, p.15.

² Leite, N. & Graburn, N. (2010), « l'anthropologie pour étudier le tourisme », *Mondes de tourisme*, [En ligne], p.4.

³ Cousin, S. & apchain, t., op, cit. p.2.

⁴ Michaud, J., op, cit, p16.

⁵ Cousin S. & apchain, t., op, cit. p.2

قد أدخلت مقالة "Graburn" عام 1983 عددًا موضوعاتيا للحوليات "أنثروبولوجيا السياحة" حيث كان كَرْد وطوّر موقفه لسنة 1977 حيث رأى هذا الكاتب بأنّ السياحة يجب أن تكون مدروسة كمظهر خاص بالحاجة للعب وإعادة الإبداع وبعد أساسي للرغبة في تخصيص معنى للنشاطات البشرية مهما كان الأصل الاجتماعي والثقافي للفاعلين، في المجتمعات الحديثة قد تكون السياحة شعائر دنيوية تعوض الطقوس التي تتواصل مع الماورائيات. في 1984 ترجم Cohen الحوليات واقترح ملخص لأهم الأفكار التي تمّ صياغتها في المجلة "Annual Review of sociology" ولكن لم تكن جديدة، ومن جهتهما "Pierre van den Berghe et Charles keys" قادا عددًا موضوعاتيا للحوليات التي امتزجت مع الدراسات التي مزجت السياحة بالأثنيات.¹

بعد ذلك الفترة ظهرت أعمال لباحثين جدد في المجال الأنثروبولوجي لموضوع السياحة حيث أول عمل بعنوان "أنثروبولوجيا السياحة" Anthropology of tourisme "من طرف الأمريكي" Dennison Nash "عام (1996) حيث وضع موضوع السياحة في خانة الأنثروبولوجيا، والذي اتضح ذلك من خلال الإلحاح على تردّدات هذا الاختصاص تجاه هذا الموضوع غير المعتاد، إذ قدّم أهمّ الكتابات والحجج الخاصّة ببعض الأبعاد المختارة، مثلا السياحة كشكل من أشكال التثقيف، وكنانتقال شخصي، والتي اكتملت بدراسة حالتين لتجسيد الإشكالية المقدّمة، حيث أنّ النصف الثاني من هذا الكتاب تناول أهمّ المواضيع التي اكتسحها موضوع السياحة خلال 20 سنة الأخيرة وهي المتعلقة بمصممي وممارسي التنمية السوسيو اقتصادية وتسيير السياحة في حين يأتي مقترح "Peter Burns" في "مدخل إلى السياحة والأنثروبولوجيا" An Introduction to "tourisme and anthropology" عام 1999 وهو كُتِب مخصص للطلبة المهتمين بالقراءة الجغرافية للموضوع (السياحة). وعلى العموم فإنّ ملخصات كل من هذين الكتابين تعدّ نافعة بخاصة ملخص Nash الذي يعدّ ملائما من ملخص Burns ويبقى الفضول العلمي يتطلّب أكثر من ذلك.²

لقد تقدّمت المقترحات الابتدائية النظرية في العلوم الاجتماعية بخطوات بطيئة، فيما يتعلّق بموضوع السياحة وذلك بالنسبة لعدد من الكُتّاب الأولين والباحثين عن آفاق جديدة عند نهاية العهد الكولونيالي إذ يمكن أن نلاحظ رغبة في إنجاز تحليل السياحة كظاهرة مستقلة هكذا وكمنتوج معاصر وأصيل، قد أخذ التحليل موقعه على مستوى النظام السياحي الذي شرح "Nash" عناصره، ومثل "Cohen" 1979، أثبت "Nash" بأنّ النّظام السياحي يتضمّن ثلاثة مكونات يجب دراستها وهي الرّائر وثقافته، المستقبل

¹ Michaud, J., op, cit, p23

² Michaud, J, op, cit, p.17, 18.

وثقافته، والاتفاقيات التي تتم بين هذين الطرفين، فسواء من منظور "Cohen" و "Nash" أو وفق منظور الكتاب المنفردين يمكن أن نلاحظ أنّ كلّ من هذه المكونات قد حظيت باهتمام عددٍ من الباحثين.¹

إنّ تأثير التطور السياحي يمكن أن يتضمن التعزيز الثقافي كتحوّل اجتماعي، وذلك بتوفير مصدر عمل بديل، وتنمية المناطق المعزولة يمكن أن تحدث تباطؤ في الهجرة الداخلية الريفية، الحضرية، وفيما يخصّ العمل مما يسمح بالحفاظ على البنية الأسرية لما بين الأجيال وبإمكانية الحفاظ على مراعاة الطقوس المحلية، إضافة إلى ذلك فإنّ السياح وصناعة السياحة بإمكانهما ان يصبحا جزءاً مكماً للثقافة المحليّة، تضع الأبحاث المعاصرة لتطوير السياحة في العلاقة محلي/ كلي، وتكشف بأنّ انعكاسات العلاقات ما بعد الكولونيالية والتفاعلات مع السوّاح قد أصبحت أكثر معقّدة بسبب الشبكات العارضية والوسطاء، وكذلك الحلقات العالمية الخاصة برؤوس الأموال الرمزية.²

ب- مكونات الدراسة في النظام السياحي

• الزائر تحت الملاحظة (المشاهدة)

إنّه مستوى التحليل الأكثر مباشرة للباحث المنحدر من مجتمع صناعي لأنّه في معظم الأوقات الباحث والمشاهد أي السائح ينتميان لنفس العالم الثقافي والمنحدرين من بلاد الوسط (المركز) وتفسير حركات ونوايا السائح يكون سهلاً بفضل هذا الحوار والتّقارب. ويعود طرح المثال الممتاز لهذه المقاربة لـ "urry John" في (1990-1995) الذي حلّل السائح الإنجليزي من حيث بعض مظاهر هذا التّقارب الثقافي يُفسّر بأنّ علوم مثل علم النفس الاجتماعي والسلوكي والسوسيو-لغوي وعلوم التّربية قد خصّصت لدراسة هذه المواضيع وتمكّنت من توفير أدوات تحليل متكيفة وملائمة. حاول "urry" في هذا الموضوع بكتابه "the tourist" عام 1976 أن يحصر ميدان الدّراسة السياحية من زاوية سوسولوجية حيث اقترح قراءة للسياحة والسائح بواسطة الأدوات المفاهيمية للدراسات الثقافية وتحليله تجسّد و تجذر في المجتمعات الرأسمالية للوسط أو المركز الذي نتج عنه ظهور الأوقات الحرّة فيه عند الطّبقة العمالية والذي قد ترافق مع البحث عن الأصالة المفقودة عبر التّصنيع والتّحديث (العصرنة)، وعليه فإنّ البلد المستقبل والشّخص ومجتمعه نادراً ما تمّ اعتبارهما كفاعلين مرتبطين بسياق بل بالأحرى، اعتبروا كمفاعلين تجاه الزائر.³

¹ Ibid., p.18.

² Naomi, L., & Graburn N., op, cit,p.5.

³ Michaud, J., op ,cit, p18,19.

إنّ الإثنولوجي يستوحي مخططاته التحليلية ل بمعارفه وثقافته ويحدّد الغيرية أي ما يخصّ الآخر بحيث أنّه بالنّسبة للعديد من المجتمعات يكون علماء الأنثنيات كنوع من السّواح الجدّ فضوليين، حيث تظهر بعض الاختلافات الأساسية فالأنثولوجي يبقى يعود ويكتب غير أنّ مفتاح فهم رفض السّياحة موجود في التّقارب بينهما (الإثنوغرافي/ والإثنولوجي) وفيما يخصّ الأبحاث الفرانكفونية فإنّ Jean Didier Urbain عام 1998 قد فتح الطّريق خلال ندوة البحث بعنوان "سياحة، أبحاث، مؤسّسات وممارسات" الأمر الذي جمع الأنثروبولوجيين المهتمين بهذا الموضوع.¹

• الاتفاق السّياحي

عند حضور السّائح ويلتقي مع الشّخص أو المكان المزار فإنّه يكون هناك لقاء بين هويتين (وهو موضوع مألوف في الأنثروبولوجيا)، وهذا اللّقاء يتعقّد مع اجتثاث (اقتلاع) الزائر (أي حالة اجتثاث الزائر) فإنّ نظام العالم المزار لا يكون له دوّمًا معنى معروف بالنّسبة للزائر، وللتخفيف من الضيق النّاتج عن هذا الالتقاء غير المتوافق، فإنّ مسألة التّصورات تحاك إذن على الصّعيد الأوّل وتسمح بدفع الالتقاء (الملاقاة) الوسيط للأفراد إلى غاية تلاقي بين نظم المعنى، فهنا يعتبر الفعل السّياحي كنظام مستقل قد لا يمثّل إلّا حقيقة سلوك بشري²، هنا قد يكمن ضعف هذا التّيار الأنثروبولوجي الثّقافي الذي قد يفهم الموضوع السّياحي كشكل خاصّ وجديد للعلاقات الرّمزية والاجتماعية، إنّ المحاولات للتفكير في سلّم نظري خاصّ بموضوع سياحي وخاصّة فيما يتعلّق بالتأثير في المجتمعات المستقبلية قد بدأت متأخرة في العلوم الاجتماعية في 1972 ومع ظهور المقالة: "Towards a theoretical Analysis of Tourism" وهي معالجة سوسيولوجية كلية (ماكرو) لأحد الدّراسات الأكثر أهميّة حول السّياحة الدّولية، وفي هذه المقالة قد تشرح "Philip Mckean" عام 1977 بأنّ الثقافة والبنية الاجتماعية قد قاومت النّشاط السّياحي المكثّف في بلاد "أد بالينار".³

ومن أجل فهم هذا الغياب تمّ ظهور وتطوّر الدراسات الأثنوغرافية حول السّياحة فمن الضروري الأخذ بكلّ الاعتبارات النظرية إذ أنّه قد انتظمت أبحاث إلى غاية 1970 حول نموذج وظائف بالنّسبة لفرنسا مع "كلود لفي ستروس" وبنوية وظائفية بالنّسبة للعالم الأنثروبوني وبخاصّة البريطاني "راد كليف براون" فيما يخصّ إثنولوجيا القريب فإنّها قد اندرجت وفي نفس المرحلة في فئة دراسات الفلكور التي تطوّرت في كلّ أنحاء أوروبا بداية من القرن 19، معظم هذه التّحقيقات والنّظريات والمقاربات قد تضمّنت نقطة أساسية مشتركة لفهم عدم قدرتها على دراسة السّياحة باللامتحوّلات والبنى، وبالتّضامن الاجتماعي الأمر الذي يفسّر

¹ Cousin, S. & apchain, t., op, cit. p.5

² Michaud, J., op, cit. p.20

³ Ibid, p. 20, 21.

عدم أخذ في الاعتبار السياحة وعوامل الحدائة والغربة بالنسبة لما يسميه الأنثولوجيين ويعتبرونه كعناصر جوهرية للمجتمع الذي يدرسونه.¹

لاحظت "Anne Doguet" أن دراسة السياحة الثقافية وأماكنها وشعاراتها تجعلنا نكتشف شيئا محيرًا في قولها: "ليس فقط الأنثروبولوجيون هم الذين ينتجون الاتجاهات المفهومة الدخيلة، بل تكون بصدد إعادة تخصيص اجتماعي وتجاري للمفاهيم الأنثروبولوجية، بينما الأجيال السابقة نظرت المفاهيم لتجعل منها نماذج، فإننا اليوم ندرس التأثير الاسترجاعي لهذه المفاهيم في السياسات والممارسات السياحية" وبخصوص مصطلح المجتمعات غير الغربية الذي نشره الأنثروبولوجيين في القرنين 19 و20 قد استعمل من طرف وسائل الإعلام، أيضا مفهوم طقوس العبور، والشعائر والهبة والهبة المضادة، والفعل الاجتماعي هي كلها مفاهيم وجدت نفسا جديدا مع السياحة، ليس كفتة تحليلية بل كموضوع وكاتجاه سياحي وهذا ما يدل على تعقد الأنثروبولوجيا المعاصرة بصفة عامة، وأنثروبولوجيا السياحة بصفة خاصة.²

في عام 1993 إقترح "Przeclawski" نهجا متعدد التخصصات وذلك لدراسة السياحة إذ يمكن فحص القضايا من وجهات نظر مختلفة مما أكد على أن السياحة ظاهرة معقدة تشمل قضايا متعددة وهي:³

- البعد الاقتصادي: إذ يتعلّق بمفهومي العرض والطلب، ومختلف الأعمال التجارية، والأسواق.
- البعد النفسي: ويتمثل في الحاجة والدافع.
- البعد الاجتماعي: ويتمثل في الأدوار، والاتصالات والروابط.
- البعد الثقافي: ويتمثل في كون السياحة أن تنقل المعرفة، وتكون عامل في التغيير.

وعلى إثر هذا التعقيد ظهر نهج تكاملي متعدد التخصصات مناسب لأجل توفير نظرة شاملة لدراسة السياحة. وتركز أنثروبولوجيا السياحة اهتماماتها على دراسة الموضوعات التالية:⁴

- المقومات السياحية للمجتمع المضيف من مقومات جغرافية وتاريخية وتراثية وبيئية وطبيعية، والتي قد تسهم في تنشيط الحركة السياحية.

¹ Cousin, S. & apchain, t., op, cit. p. 5.

² Ibid, p. 8.

³ Burns, G.L (2004), « Anthropology and tourism Past contributions and Future theoretical challenges », *Australia, Queensland*, Griffith University, p7.

⁴ إبراهيم، محمد عباس، مرجع سابق، ص. 35، 36.

- دراسة الموروث الثقافي والأعراف والتواؤم اللغوي بين المجتمع المضيف والسائحين وعمّا إذا كان التّواصل اللّغوي يمثّل عائقا من عدمه، وهل تصطدم عادات وتقاليد المجتمع المضيف مع عادات وتقاليد السّائحين.
- الاهتمام بدراسة عملية التنشئة السّياحية -Touristalization كون أنّ التنشئة السّياحية هي جزء لا يتجزأ من عملية التنشئة الاجتماعية والثقافية.
- دراسة العلاقة بين السّياحة والدّخل الاقتصادي وتوزيعه ومدى إسهامه في التنمية المجتمعية المتواصلة.
- دراسة العلاقة بين السّياحة والجريمة ومدى انتشار السلوك الإجرامي الذي قد يؤثّر على السّائحين والبلد المضيف على حدّ سواء.
- دراسة العلاقة بين السّياحة والمخزون الحضاري مع التركيز على دور المتاحف بكل أنواعها وكيفية الحفاظ عليها وكذلك الاهتمام بالبيئة المحلية التي يقع المتحف في نطاقها.
- اهتمام أنثروبولوجيا السّياحة بالدراسات التقويمية قصد المراجعة وذلك من خلال الدراسات الميدانية التي يقوم بها الأنثروبولوجي الحقلية المعمّقة لتيّح الفرصة في وضع خطط مستقبلية للنهوض بالسّياحة ومجالاتها.
- كما تدرس أنثروبولوجيا السّياحة عملية التّسويق السّياحي من خلال التّوجه الثقافي والإرشاد السّياحي من أجل تحسين وزيادة عملية الجذب السّياحي.

ج- الثقافة كمنطلق أنثروبولوجي لدراسة السياحة

لقد نال مفهوم الثقافة اهتمام الكثير من العلماء والباحثين واتخذوه محورا أساسيا في تحليلاتهم فقد عرفها "إدوارد تايلور" على أنها: "هي تلك الوحدة الكلية المعقدة التي تشمل المعرفة والإيمان والفن والأخلاق والقانون والعادات، بالإضافة إلى أي قدرات وعادات أخرى يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في مجتمع"¹. وبذلك يكون تعريف "إدوارد تايلور" للثقافة مفهوم تأسيسي قد توالى من بعده التعريفات والتوصيفات العديدة للثقافة واختلفت الرّؤى في محاولة الكشف عن عناصرها ورصد مظاهرها، وتحديد أدوارها ووظائفه.

وإذا كانت الثقافة هي نسق من المعاني System of Meanings والأنماط الثقافية، وعليه يمكن أن تفسّر منهجيا وفي ضوء الأنثروبولوجيا الرّمزيّة، وأنثروبولوجيا السّياحة وما تشتمل عليه من عناصر

¹ غيرتر، كليفور (2009)، *تأويل الثقافات، مقالات مختارة، بدوي، محمد (ترجمة)، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، ص.8.*

ومقومات وبنية ثقافية، حيث يرجع الفضل إلى الأنثروبولوجيا الرمزية من إحداث نقلة نوعية في الدراسات الأنثروبولوجية للسياحة، إذ حوّلت الاهتمام من دراسة السلوك الوظيفي والبناء الاجتماعي، بهدف تحقيق الوضعية من خلال إقامة علم طبيعي للمجتمع إلى الاهتمام بالمعنى والرمز، والتأكيد على رؤية الباحثين ووجهة نظرهم كجزء من العمل الأنثروبولوجي.¹

وعليه فإنّ أهمّ ما يميّز الاتجاه الرمزيّ هو التحوّل نحو بناء نظرية عامة عن الثقافة، حيث يمكن النّظر إلى المجتمع ومقوماته وظواهره على أنّها نصوص يمكن قراءتها على أرض الواقع، وعليه فإنّنا إذا نظرنا إلى السياحة على أنّها ظاهرة مجتمعية محاطة بأطر ثقافية؛ فإنه يمكن عدّها نصّاً من النّصوص يمكن قراءتها إثنوغرافياً، وعليه فإنّ أنثروبولوجيا السياحة من المنظور الرمزي ليست علماً تجريبياً يبحث عن قوانين، ولكن علماً تفسيريّاً يبحث عن معنى للسلوك لأصحاب الثقافة أنفسهم، وهكذا فإنّ الرمزية وما تقوم به من اهتمام للشّعائر والممارسات والأفعال واللّغة في التفاعل اليومي، ما هي إلا تفسير لظواهر يمكن دراستها وفهمها على أنّها حوار المعاني، الذي يتعلّق بالرموز، وهو محور الاهتمام في أنثروبولوجيا السياحة.²

وقد شهدت السنوات الأخيرة اهتماماً كبيراً بالمدخل والمناهج الرمزية، وخاصّة إذا ما تعلّق بموضوع الثقافة والموروث والفلكلور، حيث كان لعلم الإشارة والدلالة أثر بالغ في تطوّر مناهج التحليل الرمزي، والذي يعود إلى إسهامات كلّ من "فرديناند دي سوسير" (1857م-1915م)، و"تشارلس بيرس" (1839م-1914م)³، إذا كان الرّمز عند بيرس يندرج ضمن تعريفه العام للإشارة Sign، وعليه فإنّ هذه الأخيرة تضمّ ثلاثة أنماط هي: الصّورة أو الأيقونة icon، والدليل index، والرمز Symbol، ويمكن التّمييز بينهما من خلال العلاقة القائمة بينها وبين الموضوعات التي تُشير إليها، حيث إنّ الصّورة إشارة تتحدّد من خلال علاقة التّشابه والتّماتل بينها وبين الموضوع المشار إليه، إذ تُعدّ الصّورة الفوتوغرافية والتّماتل والرّسومات والخرائط أمثلة لذلك. في حين الدليل وهو يمثّل علاقة الاتّصال القائمة بينه وبين الموضوع الذي يُشير إليه، أمّا الرّمز فإنّه الشّيء المشار إليه على أساس قانون أو عادة أو اتّفاق أو ارتباط في التّصورات والأفكار، على أنّه يعني ذلك الشّيء، فالعلاقة بين الرّمز الذي يُشير إليه ليست علاقة طبيعية بل علاقة تستند إلى اتّفاق بين الذين يستخدمون الرّمز على أنّه يُشير إلى معنى مُحدّد.⁴

¹ إبراهيم محمد، عباس، مرجع سابق، ص 36، 37.

² إبراهيم محمد، عباس، مرجع سابق، ص 37.

³ إبراهيم محمد، عباس، مرجع سابق، ص 37.

⁴ إبراهيم محمد، عباس، مرجع سابق، ص 38.

يؤكد "كلود لفي ستروس" على أن تحليل الأنساق الرمزية والفنون والأساطير والطوطمية الدينية، والمحرمات، والصور المجسمة، والصور الفوتوغرافية، وكل أشكال السياحة ذات الدلالات الشخصية غالبا ما تعبر عن الأفكار من خلال الرموز المشخصة والصور الحسية، قد تتضمن علاقات التقابل أو التضاد للثنائية الرمزية، والذي قد أشار له "ستروس" في كتابه "التيء والمطبوخ" The Raw and the Cooked، وتفسيره للأنماط والصور الذهنية لأفراد الشعوب والقبائل البدائية، وتعبيرهم عن أفكارهم ضمن ثنائية "رجل، امرأة"، "ذكر، أنثى"، "الأرض، السماء"، والتيء والمطبوخ... إلخ.¹

يمكن أن نقول أن منهجية كلود لفي ستروس قد أغفلت البعد الاجتماعي للظواهر التراثية، حيث ضحت بالمعنى والمضمون الثقافي، واهتمت بالعلاقات الموجودة بين العناصر والوحدات داخل الأبنية.

وعليه يمكننا إذا اقتفاء الأثر والمعاني المتواجدة في الأنساق الفكرية والرمزية التي تناولها أنثروبولوجيا السياحة وموضوعاتها المختلفة، كالأثار والموروثات الشعبية والمضامين الثقافية والحضارية المتنوعة، وذلك بخلاف العمل بالبيانات المنهجية المختلفة التي عمل بها العلماء والمفكرين مهما اختلفت مشاربهم الفكرية، في محاولة منا لفهم المضامين الثقافية التي ترمي إليها الظاهرة السياحية باختلاف أنواعها.

إن البحث في أنثروبولوجيا السياحة يتوجب البحث في المضامين والأفعال الاجتماعية المختلفة، التي تتوحد وتتألف في فضاء سياحي معين، وانتهاج التحليل الرمزي لفهم وتفسير هذه الظواهر الثقافية السياحية المتنوعة، قد عرض كل من "ريتشارد بومان" و"شيرزر" Richard Bauman & Sherzer عام 1982م، في مقال لهما بعنوان "إثنوغرافيا الحوار أو التحدث" The Ethnography of Speaking أن هناك تحول كبير منذ منتصف الستينيات من القرن العشرين، تزامنا مع ظهور مناهج التحليل الرمزي في الدراسات الأنثروبولوجية المهتمة بالفلكلور والموروثات الشعبية والتراثية، حيث جاء هذا التحول من الاهتمام بالشكل والبناء الصوري والعلاقات الداخلية التي تربط وحدات البناء، إلى الاهتمام بالأداءات والأفعال وكل الجوانب الرمزية والمعنوية المتضمنة فيه، من خلال المدخل الإثنوغرافي للفلكلور Ethnographic approach Folklore، والذي يمكن من خلاله الكشف عن التفاعل القائم بين التراث والإبداعات التي تُضفي عليه إضافات مستمرة، تضمن دوام الفنون الشعبية والتراثية وتأثيرها في الأفراد.² وهذه الفنون الشعبية والتراثية هي التي تغذي الظاهرة السياحية، وتُضفي عليها الطابع الثقافي، وكذا مجمل العلاقات والممارسات التي تدخل ضمن هذا الإطار الثقافي بامتياز.

¹ إبراهيم محمد، عباس، المرجع سابق، ص. 38.

² إبراهيم محمد، عباس، المرجع سابق، ص. 39.

والأنثروبولوجيا الرمزية في منطلقاتها الأولى تهدف إلى دراسة الثقافة بصورة أساسية، تتفق وطبيعتها الرمزية، إذ أن الثقافة والرمز وجهان لعملة واحدة وهي المعنى، فدراسة الثقافة هي دراسة للمعنى أو أنساق المعنى، فقد تنعكس في الأشكال الرمزية القولية، وغير القولية، والأنماط السلوكية والفكرية السائدة في المجتمع.¹ وإذا كانت الثقافة هي نسق المعاني فإن مهمة الأنثروبولوجي هي فهم المعاني، وفهم الأفعال الثقافية، وفهم الأنماط الثقافية.² تبلورت الأنثروبولوجيا الرمزية حديثاً وذلك في الستينيات من القرن العشرين، وتشعبت مجالاتها ونظرياتها ومناهجها في العقود القليلة الماضية لتصبح أكثر ميادين الأنثروبولوجيا انتشاراً. ويرجع ثراء الأنثروبولوجيا الرمزية إلى تنوع مجالاتها وميادينها ونظرياتها وإلى ثراء الثقافة نفسها وتنوع رموزها وتعدد المعاني والدلالات التي تحملها في وقت واحد، مع إمكانية استخدامها (الرموز) في مضمونات مختلفة سواء كانت نصوصاً أم موضوعات أم أفعالاً وعلاقات اجتماعية، وسواء أكانت رموزاً عامة مشتركة أم رموزاً خاصة شخصية.³

إذا تهدف الأنثروبولوجيا الرمزية إلى تحقيق نقلة نوعية جديدة في العلوم الاجتماعية بعامة، والبحث الأنثروبولوجي بخاصة، إذا أنها تهتم بمشكلة جوهرية ذات بعدين، أولهما: فهم الثقافة البشرية، ودراستها بصورة لا تخل بطبيعتها الرمزية المعنوية والاجتماعية، وثانيهما هو تطوير نظريات ومناهج تتناسب والخاصة الرمزية للثقافة وذلك سعياً للإجابة على أسئلة ذات أهمية في البحث الاجتماعي.⁴

وللإجابة على تلك التساؤلات الجوهرية، تتخذ الأنثروبولوجيا الرمزية الرمز نقطة انطلاق في تحليلاتها على المستوى النظري والمنهجي في المفهوم الواسع تعد صفة "رمزي" إذن إلى ذلك التطور التاريخي لتكوين حالة الثقافة التي تعني إضفاء معنى على الحياة، يختار كل مجتمع معان معينة، فيصنف ويجمع ويقارب الأمور الحقيقية وفقاً لطريقته الخاصة التي تعتبر في الوقت نفسه إطار المفهومية التي يعطيها لذاته، وعامل التواصل بين الأفراد.⁵ فكلمة رمز مشتقة من الفعل رمز، رمزا، بمعنى أوماً أو أشار، أو دل، والرمز يدل على الموضوع أو التعبير أو النشاط الإنساني - الاجتماعي الذي يحوي بفكره أو يشير إلى قيمة شيء ما إشارة مجردة، ويحل محلها ويصبح ممثلاً لها وبديلاً عنها، ويتطلب الرمز حضور ثلاث عناصر هي الدال، المدلول، والدلالة، في حين أن الرمزية هي مذهب من مذاهب الأدب والفنون بصورة عامة والذي يعبر عن المعاني

¹ الأسود، السيد حافظ (2002)، الأنثروبولوجيا الرمزية، دراسة نقدية مقارنة للاتجاهات الحديثة في فهم الثقافة وتأويلها، الإسكندرية، منشأة المعارف، ص. 21.

² إبراهيم، محمد عباس، مرجع سابق، ص. 36.

³ الأسود، السيد حافظ، مرجع سابق، ص. 21.

⁴ الأسود، السيد حافظ، المرجع السابق، ص. 22، 23.

⁵ بونت، بياروايزار، ميشال، مرجع سابق، ص. 503.

الخفية أو الضمنية، والانطباعات النفسية عن طريق الإيحاء والتلميح، والدلالة غير المباشرة عوضا عن الأسلوب التقريري المباشر.¹

أما الرمزية في الأنثروبولوجيا هي ذلك العلم الموازي الذي يحيطها، بأشكال النشاط الرمزي والمحددة ثقافيا، ولاقتراح أنماط لتحليلها، وهي في معناها المحدود علم مخصص لوصف الأعمال الثقافية التي تتميز بقيمة تعبيرية كالأساطير، الشعائر والمعتقدات في حين معناها الواسع تعود إلى ذلك التطور التدريجي لتكوين حالة الثقافة التي تعني إضفاء المعنى على الحياة.²

والرمزي في الأنثروبولوجيا في معناه الأشمل، والأشد غموضا هو مجموعة ظواهر المعنى بقدر ما تكون ظواهر اجتماعية كما أن ميدان المعاني ليس مكتمل التناغم، فهو يحتوي على حد أدنى من النظام كما يرتكز على شيفرات أي عناصر لا يمكن تجزئتها ومحدودة العدد، الأمر الذي يسمح ببناء منظومة واعية من التصورات الجماعية وبالتواصل داخل ميدان اجتماعي محدد لكون أن الرموز لا تكتسب معنى إلا في ذلك الميدان.³

د- التحليل السوسيو-أنثروبولوجي للرموز

ينتسب التحليل السوسيولوجي للرموز إلى دراسة "دوركايم" Durkheim للظواهر الاجتماعية والمعتقدات أو التصورات الجماعية والشعائر الدينية، إن الإسهام المهم "لدوركايم" في تاريخ التحليل الرمزي يتمثل في أن فكرة القداسة ليست فطرية أو موروثية في موضوعات معينة، فعالم الأشياء الدينية ليس جانبا معيننا من الطبيعة الإمبريقية أو التجريبية، بل إنه مفروض عليها.⁴ وطبقا لآراء "دوركايم" فإن المعتقدات والشعائر تكون ذات طبيعة رمزية تعبيرية إذ أنها تعبر عن البناء أو النظام الاجتماعي، كما أنها أي المعتقدات والشعائر أو النسق الرمزي بشكل عام يقوم بوظائف هامة مثل الحفاظ على النظام الاجتماعي، إن الرمزي بشكل عام يقوم بوظائف هامة مثل الحفاظ على النظام الاجتماعي، إن الرموز عند "دوركايم" هي تصورات جماعية لها وجود سابق على وجود الفرد وهي قاسم مشترك بين أفراد المجتمع بمعنى أن جميع أفراد ذلك المجتمع يشتركون في نسق من التصورات الرمزية.⁵

¹ عبد الغني، عماد، (2006)، سوسيولوجيا الثقافة، المفاهيم والإشكالات من الحداثة إلى العولمة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، ص.170، 169.

² بونت، بياروايزار، ميشال، مرجع سابق، ص.503.

³ تولرا، فليب لا بورت وفارنيه، جان بيار (2004)، إنثولوجيا أنثروبولوجيا، الصمد، مصباح (ترجمة)، بيروت، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، ص.166، 165.

⁴ الأسود، السيد حافظ، مرجع سابق، ص.53.

⁵ الأسود، السيد حافظ، المرجع السابق، ص.54.

وعلى عكس "دوركايم" و"راد كليف براون" فإن "مالينوفيسكي" قد رد الثقافة والرموز التي تحملها إلى مجرد أداة أو وسيلة لإشباع الحاجات الغريزية، عند الإنسان مثل الجوع، التناسل والمأوى والراحة... الخ فالنسق الرمزي ليس له معنى أو قيمة في حد ذاته، بل تتحدد قيمته ومعناه في ما يحققه من إشباع للحاجات الأساسية لدى أفراد المجتمع، وبذلك قد أفرغ "مالينوفيسكي" العامل الثقافي من محتواه الرمزي وأنكر وجود منطق داخلي أو أي بناء معنوي للظاهرة الثقافية بصورة عزلت الفكر البشري عن الواقع الاجتماعي وألغت قدرته على الإسهام بدور بنائي في المجتمع، فالعادات والتقاليد والعرق تتأصل في الممارسة اليومية ودورها ليس في التفكير والرموز والتصورات بل في الغريزة والوجدان والرغبة والحاجات الأساسية.¹

في حين أن "راد كليف براون" وامتدادا "لدوركايم" وهو اهتم بالبناء الاجتماعي ونظرا للأنساق في الحفاظ على البناء الاجتماعي وبذلك هو يستخدم كلمة الثقافة بشكل محدود ويعني بها القواعد والرموز وأساليب التفكير والشعور التي تحكم الاستخدامات الاجتماعية، وتقنن سلوك الأفراد في الأنساق الاجتماعية، وبالتالي الرمز عنده في شكله عام صورة لا يمكن تطبيقه أو استخدامه في التحليل الرمزي إذ يقول أن كل شيء له معنى هو رمز وأن المعنى هو ما يعبر عنه بواسطة الرمز.²

لقد أضاف "ايفانز بريتشارد" من خلال دراساته الاثنوغرافية الجانب التحليلي العلمي والتأويلي ولم يكتفي بوصف المادة الاثنوغرافية بل لجأ إلى التفسير والتأويل وذلك من خلال دراسته لشعب النوير، وخلص إلى أن الرمز عند هذا الشعب ليس شيئا ماديا يرمز إلى تصور أو فكرة معينة بل يعني أن فكرة كرمز إلى فكرة أخرى، ولا يقتصر على هذا فقط بل يستلزم الرمز ثلاثة أفكار من خلال المثال الذي قدمه لتفسير ذلك هو الاعتقاد السائد عند النوير أن "التوأمين هما طائران" وهنا أن العلاقة بين التوأم والطائر ليست علاقة ثنائية بين تصورين أو شيئين بل هي علاقة ثلاثية، فالاعتقاد أن "التوأم طائر" لا يفهم إلا بوجود تصور أو فكرة ثالثة مستقرة في نسق التفكير عند النوير، ويمثل "الإله" هذا التصور أو الفكرة الثالثة فطبقا لنوير فإن التوأم يشبه الطائر من حيث هو كائن علوي يعيش في السماء، وهذا يتضمن فكرة أنه ابن الله.³

لقد تواصلت على إثر هذه الطروحات نظريات عديدة في محاولة فهم الظاهرة الاجتماعية، وجوانبها من خلال فهم الأفعال الاجتماعية والرمزية في حياة الأفراد، حيث تم ربط جوانب الشخصية بالثقافة، والرموز، كونها جزء لا يتجزأ من الشخصية، ولا يمكن فهمها بعيدا عن النسق الاجتماعي وقد أسهمت في ذلك نظريات مثل نظرية الفعل الاجتماعي ونظرية التفاعلية الرمزية وغيرها. ولعل أن من أبرزها نظرية الممارسة

¹ الأسود، السيد حافظ، المرجع السابق، ص. 57.

² الأسود، السيد حافظ، المرجع السابق، ص. 57، 58.

³ الأسود، السيد حافظ، المرجع السابق، ص. 58، 59.

عند "بورديو" من خلال دراسته الميدانية المكثفة التي أقامها على قبائل بالجزائر والتي جوهرها التبادلات الرمزية المختلفة.

إن أهمية تحليل "بورديو" للأنماط الرمزية من الممارسة أو السلوك تتجلى في اهتمامه بدمج السلوك والأنماط الصورية في معية واحدة وذلك ما جعل "بورديو" يتحدث عن الذي أطلق عليه الاستعداد أو الميول الاعتيادي habitus والذي هو نسق من الأبنية المنظمة داخليا لكنه لا يوسم بالفردية، حيث هذا النسق يؤلف في وحدة واحدة أنماط الإدراك والتصورات والأفعال أو الممارسات المشتركة العامة والشائعة بين أعضاء جماعة أو طبقة واحدة، بالإضافة إلى أنه يؤلف شرطا مسبقا لوضع الأشياء في مضمون أو إطار مجسد وموضوعي.¹

إن "بورديو" ينظر إلى habitus من خلال ثلاثة مستويات للرؤية، متكاملة ومتفاعلة، مع بعضها البعض، في المستوى الأول: يقع الفعل الاعتيادي للفرد، ثم في المستوى الثاني الفعل الاعتيادي للجماعة المحلية المحيطة بالفرد بداية من الأسرة وجماعة الأقارب، وجماعة الجيران والأصدقاء، حيث يرى "بورديو" أن لهذه الجماعات فعل اعتيادي (habitus) خاص بها وهو: "النتاج عن تماثل ظروف الوجود، الذي يؤدي إلى تألف الممارسات وانصهار الفرد في الجمعي" وهو الأمر الذي يتيح للممارسات أن تكون متماثلة موضوعيا دون أي حساب أو قصد ويظل الفعل الاعتيادي (habitus) الجماعة في الفرد ممتدا إلى نهاية العمر، أما المستوى الثالث هو هابيتوس المجال حيث يرى "بورديو" أن لكل مجال من المجالات القائمة (السياسي، الاقتصادي والثقافي... الخ) في المجتمع، والفعل الاعتيادي بها هو عبارة عن مجموعة المهارات والأساليب الفنية والمرجعيات ونظم المعتقدات الواجب توفرها في عضو المجال دون غيره من المجالات.²

وبذلك يعطي الاستعدادات أو الميول الاعتيادي فرصة للفرد لأن يتحرك ويفعل ويمارس ضمن النسق الرمزي السائد، ويمكن لأفعال الأفراد أن تؤثر في ذلك النسق السائد، فالأفراد ليسوا محكومين بصورة جبرية ومطلقة بواسطة النسق الاجتماعي إذ يوجد لديهم مكان للتحرك والاختيار.³

وأیضا من أبرز النظريات التي عالجت قضية الرموز والتصورات، هي النظرية البنيوية الرمزية عند "كلود ليفي ستروس"، قد اعتمد "لفي ستروس" على مفهوم الإشارة والرمز عند "سوسير" حيث يمكن التعرف على المعنى من خلال العلاقة بين الرموز أو الإشارات، لكن بنيوية "لفي ستروس" أضافت أبعادا هامة جدا في دراسة الرموز وذلك في نهاية الأربعينيات والخمسينيات والستينيات من القرن العشرين. حيث انطلق "ستروس" من

¹ الأسود، السيد حافظ، المرجع السابق، ص.76.

² بدوي، أحمد موسى، مرجع سابق، ص.13.

³ الأسود، السيد حافظ، مرجع سابق، ص.73.

موضوع جوهري يمثل محور كل أعماله، ويتمثل هذا الموضوع في العلاقة بين الطبيعة والثقافة والتي هي عنده تؤلف جوهر البحث الأنثروبولوجي أو البنيوي، إذ نظر إلى الثقافة على أنها نسق من الإشارات والرموز والدلالات والمعاني المستترة التي لا يمكن الوصول إليها والتعرف عليها إلا من خلال المنهج البنيوي.¹

لقد استخدم "ستروس" مفهوم البنية على أساس أنه يرتبط بالنموذج الذي يؤسسه البحث بموجب ذلك الواقع، حيث أنه يعرف البناء (البنية) على أنه نسق من العلاقات القائمة بين الوحدات أو الرموز المؤلفة له وإن أي تغيير في تلك العلاقات القائمة بين الوحدات ينجم عنه تغيير في البناء ككل وذلك يهدف المنهج البنيوي إلى الكشف عن العلاقة بين الرموز أو الوحدات أو الظواهر، أكثر من اهتمامه بالرموز أو الوحدات أو الظواهر في حد ذاتها.²

يقول "ليفى ستروس": (أن هناك وسيط بين الصور والتصورات وبالتحديد الإشارة، فالإشارات يمكن أن تعرف بالطريقة التي قدمها "سوسير" في حالة نوع معين من الإشارات اللغوية، أي على أنها رابطة بين الصور والتصورات، وهي بذلك لها دور (الصور-التصورات) الدالة والمدلول على التوالي، وبذلك الإشارة تشبه الصور من حيث هي كيانات مشخصة، لكنها تشبه التصورات في قوتها على المرجعية.³ لقد تتابع الأبحاث والدراسات الأنثروبولوجية حول مفهوم الرموز والتصورات والممارسات والتي اتخذت من البحث الإثنوغرافي بمناهجه المختلفة منحى جديد للدراسة. ولعل من أبرز النظريات الحديثة هي النظرية التأويلية الرمزية، والتي تعود إلى رائدها المتميز "كليفورد غيرتز" والتي جاءت كرد معارض للتوجه البنيوي الصوري في دراسة الرموز.

جاءت الأنثروبولوجيا التأويلية الرمزية عند "كليفورد غيرتز" ردا معارضا للتوجه البنيوي الشكلي الصوري في دراسة الرموز حيث أن غيرتز يعد من الأنثروبولوجيين الرمزيين الأكثر اعتمادا على منظومة متنوعة من النظريات والأفكار التي تنسب إلى "ديلتاي، وماكس فيبر، و بيرس، و شوتز، وسوزان لانجر و بيرك، و لكر بيرسي، و بول ريكور، و لودفج، و تجشتاين و بارسونز". فكان الفضل الكبير للأنثروبولوجيا التأويلية الرمزية في إحداث نقلة نوعية في الدراسات الأنثروبولوجية من هذا القرن إذ تحول الاهتمام فيها من دراسة السلوك الوظيفي والبناء الاجتماعي إلى الاهتمام بالمعنى والرمز كما أن الاتجاه الرمزي التأويلي حول الاهتمام تدريجيا إلى بناء نظرية عامة عن الثقافة، والتي كانت تعتمد على المنهج البنيوي التجريدي إلى الاهتمام بالعمل الإثنوغرافي أو الكتابة الإثنوغرافية المكثفة والنظر إلى المجتمع على أنه نص يمكن قراءته وتأويله.⁴

¹ الأسود، السيد حافظ، مرجع سابق، ص. 83.

² الأسود، السيد حافظ، المرجع السابق، ص. 84.

³ الأسود، السيد حافظ، المرجع السابق، ص. 84.

⁴ الأسود، السيد حافظ، المرجع السابق، ص. 111.

لقد جمع "غيرتز" بعض الدراسات الهامة في كتابه الشهير "تأويل الثقافات" الذي يؤكد فيه على الثقافة من حيث هي نسق من الرموز القابلة للتأويل. إذ يركز الكتاب على البعد الثقافي الاجتماعي للرموز مخالفاً في ذلك البعد السيكلوجي الذي تضمنه كتاب "فرويد" "تأويل الأحلام"¹. وقد خصص فيه "غيرتز" فصلاً أولاً "التوصيف الكثيف" نحو نظرية تأويلية للثقافة "متخذاً موقفاً عاماً له من خلال تحليلاته الأنثروبولوجية"² فالثقافة حسب غيرتز هي: "نظام من التصورات الموروثة التي يعبر عنها بأشكال رمزية التي بواسطتها يتواصل البشر ويطورون معرفتهم عن الحياة ومواقفهم من الحياة". وهكذا يصبح دور الثقافة هو إسقاط المعنى على العالم وجعله مفهوماً.³ إن مفهوم الثقافة الذي يعتنقه "غيرتز" على حد تعبيره هو مفهوم سيميائي بالأساس مقتنع في ذلك مع "ماكس فيبر" على أن الإنسان هو حيوان عالق في شبكات رمزية نسجها بنفسه حول نفسه، فتحليل الثقافة في نظره يجب أن لا يكون علماً تجريبياً يبحث عن قانون بل هو علم تأويلي يبحث عن معنى.⁴

حيث أشار "غيرتز" إلى أن الرموز من حيث هي حاملات للمعاني أو التصور تتحدد معا كي تؤلف نصوصاً ثقافية تسمح للناس بأن يتواصلوا معا وأن يعبروا عن أنفسهم لأنفسهم. ويؤكد أن سوء فهم الثقافة يرجع إلى الاتجاهات التي تنظر على أنها فوق عضوي، وهذا الاتجاه يعلو بالثقافة ويرفعها واقعها الاجتماعي. والثقافة حسبها هي عامة كونها تتألف من رموز ومعان عامة هي أيضاً. وبذلك فقد طور فكرة النسق الثقافي من الأطر الجامدة عند كل من "بارسونز، وليفي ستروس" مستخدماً الصورة أو الرمز ليكشف عن أنماط ثقافية معينة في مجتمعات بعينها مثال ذلك في بالي والوصف المكثف لصراع الديكة وغيرها.⁵

إنّ السّياحة الحمويّة أو العلاجيّة في المحطّات المعدنيّة كأحد الأنماط السياحية تعكس لنا صوراً ومضامين رمزيّة غاية في التعقيد، حيث إن الأفراد في هذا الفضاء يُنتجون صوراً ثقافيّة بدرجة عالية من التعقيد والتشابك، والذي قد يكون سببه تلاقي ثقافتين؛ ثقافة المستقبل المضيف، وثقافة السّائح الوافد، وكلّ العلاقات القائمة بينهما سوف تُشكّل مشاهد سياحيّة ثقافيّة ذات دلالات عميقة. إذ أنّ اختيار الأفراد لنمط السّياحة العلاجيّة تحكمه اعتبارات كثيرة، وتتضمّن مضامين ثقافيّة عديدة مرتبطة بثقافة الزّائر وبيئته الاجتماعيّة والثّقافيّة والطّبيعيّة، لتتمازج في حال الانتقال إلى هذه الأماكن التي تُعنى بالعلاج بالمياه

¹ الأسود، السيد حافظ، مرجع سابق، ص. 112، 113.

² غيرتز، كليفوردي (2009)، مرجع سابق، ص. 68.

³ غيرتز، كليفوردي، المرجع السابق، ص. 46.

⁴ غيرتز، كليفوردي، المرجع السابق، ص. 82.

⁵ الأسود، السيد حافظ، مرجع سابق، ص. 113.

المعدنيّة الحارّة، والتي هي بدورها أيضا تقع ضمن نسق ثقافيّ خاصّ، وزد على ذلك تغدّيها هنا ثقافة السّكان المحليّين وعلاقتهم بالسياحية الثّقافيّة.

والحمّام بالنظر إلى هذه المقاربات النظرية يعدّ فضاء سوسيوثقافيّ خصب بالدلالات والمضامين الرمزية كونه يعدّ رمز من الرموز الثقافية يتضمّن جملة من التصورات التي تتشكل من الأفكار والمعتقدات والقيم التي يحملها أفراد المنطقة أو غيرهم من غير المحليين حول حمام قرقور وهي الخلفية التي تفسر ممارساتهم وأفعالهم في هذا المجال الاجتماعي والثقافي بامتياز. ولا يمكن أن نفهم هذه الإشكالات إلا من خلال العودة إلى الواقع الاجتماعي الذي يجسد مختلف أشكال وصور الحياة اليومية في فضاء حمّام قرقور المعدني، أو حمام سيدي الجودي كما يسميه البعض، إن هذه المتغيرات الدينية والعلاجية والسياحية والاجتماعية والخدماتية قد تشكل نسقا من التصورات يحملها السياح المترددين على حمام قرقور، في الأخير تتشكل جملة من الممارسات الطقوسية الدينية أو العلاجية أو الاجتماعية أو الخدماتية أو السياحية كأفعال تعبيرية لتلك التصورات. هذا كله سوف نكتشف أغواره في الفصول القادمة بشيء من التفصيل والفهم والتفسير.

خاتمة

تعتبر الظاهرة السياحية ظاهرة معقدة لزمت الإنسان منذ القدم وكانت مصاحبة لعملية تطوره وتغيره وقد كشفت لنا الدراسات العلمية على أن السياحة نالت اهتمام الكثيرين من مختلف المشارب العلمية وهذا ما يدل على تشعب وتعقد وتداخل الاهتمامات في دراسة الظاهرة السياحية هذا التعقيد والتداخل العلمي سمح لنا بعرض بعض المقاربات العلمية لدراسة الظاهرة السياحية غير أن النظرة الشمولية التي تتسم بها المقاربة الأنثروبولوجية تسمح لنا بعرض أبعادها المختلفة.

إن إخضاع الظاهرة السياحية للتحليل قد كشف لنا عن العديد من الأبعاد حيث أن فيها بعدا اقتصاديا تسعى المجتمعات الإنسانية لتحقيقه من خلالها وكذا فيها من البعد الجغرافي ما يجعلها عاملا مهما في معرفة الأقاليم السياحية، وكذلك البعد السوسولوجي الذي يسعى إلى فهم الظواهر الاجتماعية الناتجة عن الظاهرة السياحية، غير أن البعد النفسي له تأثير في بروز نوع من الأنماط السياحية كحاجة للأفراد يسعون إلى تلبّيها أين تقف وراء ذلك جملة من الدوافع، البعد الأنثروبولوجي والذي يعدّ مجال اهتمامنا حيث تمّ البحث في ثنايا التراث النظري لأجل تعزيز النظرة العلمية الأنثروبولوجية فدراسة الظاهرة السياحية، حيث كشفت لنا هذه المقاربة عن تداخل الأبعاد السالفة الذكر وأن الظاهرة السياحية هي موضوع أنثروبولوجي بامتياز لما يحمله من مشاهد ثقافية مشحونة بالمضامين والدلالات الرمزية المتضمنة في الممارسات الثقافية والطقوسية، كشفت لنا أيضا عن استحضار الظاهرة السياحية لمختلف العناصر

الثقافية المترابطة والمتداخلة في ما بينها لتنتج مشاهد بالغة التعقيد وشديدة الارتباط بالقيم التراثية والحضارية للمجتمع الإنساني.

وعلى ضوء هذا سوف نعالج في الفصل الموالي موضوع التراث الحموي كأحد الأنماط السياحية التي يتميز بها المجتمع الجزائري متتبعين أثر الممارسة السياحية والتعريف بالتراث الحموي كمقوم سياحي هام تغذيه جملة الممارسات الثقافية التي تعنى بارتياح الحمامات المعدنية في ثقافة الجزائرية.

الفصل الثاني

سياحة التراث الحموي وممارساتها

في الثقافة الجزائرية

مقدمة

من بين جوانب السياحة الأكثر اهتماما هو التراث والذي يعد ذاكرة الأمم وهويتها فهو يحكي تاريخ وماضي حضارات لطالما انجذب الناس لها وارتبطت مشاعرهم وأحاسيسهم به، وكانت تلك الأجزاء التراثية منها والتي توارثها الأفراد ملمحا وسجلا عن هويته وثقافته وتاريخه. وعليه فإن النشاط السياحي يقوم على المنتج الثقافي والتراثي الذي يمتلكه كل أمة وقد تغيرت النظرة للتراث باعتباره منتج سلمي سياحي إضافة إلى أنه موروث ثقافي، هذا الأخير الذي قد كان موضوع منظمات عالمية تنادي بضرورة الحفاظ عليه في خضم هذه التحولات المجتمعية والثقافية والبيئية الراهنة والتي من شأنها أن تؤثر سلبا على موروثات الأمم وهوياتها.

والجزائر كغيرها من الدول تمتلك إرثا ثقافيا لا يستهان به كان نتاج التمازج الحضاري والثقافي الذي احتضنته عبر مر العصور ومن بين هذه النماذج التراثية نجد تراث الحمامات المعدنية الحارة التي قد عرفت ممارساتها من الأزمنة الغابرة، ممارسة توارثناها من الإغريق وسار الرومانيون على ذلك النهج وكذا ما تبعها من حضارات كانت الجزائر لها مهدا. تتنوع هذه الحمامات التي هي في الأصل تراث طبيعي تميز بخصائصه العلاجية المتعددة وحين احتكت بها يد الإنسان أصبحت ثقافة يمارسها في حياته اليومية وخاصة أن أهم مكون فيها هو ذلك العزير الموجود المفقود ألا وهو الماء وما يقتضي به من ممارسة الاستحمام وما شابه. وعليه في هذا الفصل سوف نقف على ما تزخر به الجزائر من تراث حموي وأشكال الممارسات الاستحمامية به التي تجسدت عبر التاريخ الإنساني للفرد الجزائري لنعرض فيه أهم النماذج الحموية في الجزائر.

أولاً: السياحة والموروث الثقافي الحموي

1-مدخل مفاهيمي

❖ التراث

لطالما كان التراث ويظل ركيزة أساسية للتعريف بهويات الشعوب و ثقافتها، ومصدرا للاعتزاز بالذات المجتمعية التاريخية والحضارية، كونه تراكم لمعارف وخبرات الإنسان في بيئته الجغرافية والاجتماعية والثقافية.

والتراث حسب ما ورد في لسان العرب لابن منظور هو (ما يخلفه الرجل لورثته).¹ في حين يعني التراث اصطلاحاً على أنه (ما يبقى من الماضي ماثلاً في الحاضر الذي انتقل إليه ويستمر مقبولاً ممن آل إليهم وفاعلاً فيهم لدرجة تجعلهم يتناقلونه بدورهم على مر الأجيال).² كان التراث في استعماله الأولى، منذ القرن الثالث عشر يحمل معنيين روعي وآخر دنيوي، روحياً ليدل على شعب اختاره الله كملك خاص له، فكان يقال (تراث الرب). أما في جانبه الدنيوي كما في الإرث أو الميراث فكان يدل على عقار أو أرض انتقلت ملكيتها عبر الأجيال وحصل عليها الأبناء، وفي استعمال حديثه جاءت كلمة تراث لتصف العادات التي انتقلت عبر التقاليد ليصبح أكثر شمولاً ليشير إلى كل ما اكتسبه المرء بحكم ظروف ميلاده. وهذا المعنى الواسع صار التراث يتداخل في الحقبة الحديثة مع فكرة الثقافة نفسها ويعمل كشبكة خاصة تغذي عالماً رمزياً أكبر.³

في حين ورد في قاموس الإثنولوجيا والفلكلور أن التراث هو عناصر الثقافة كما يمكن تفسير كلمة تراث بالمعاني التالية: كتراث شفهي، كتراث شعبي، كرواية شعبية وخاصة كحكاية شعبية. وبذلك يقترب المفهوم من مفهوم الثقافة بحيث يرى "هيرسكوفيتش" أن التراث مرادف للثقافة برغم أن استعمالها قد اكتسب مضامين وصفات مختلفة للسلوك الاعتيادي. أما علماء الأركيولوجية الأمريكية عرفوه على أنه شكل ثقافي يتناقل اجتماعياً ويصمد عبر الزمن، وأضاف ماك جريجور أنه الخصائص البشرية العميقة الجذور على نحو أو آخر – أي الاتجاهات الثابتة أو الطرق الثابتة في أداء الأشياء- التي تتناقل من جيل إلى آخر. في حين يستخدم "جوجن" مصطلح التراث الثقافي الأكبر تحديداً ليعبر عن التراث أنه أسلوب متميز من أساليب

¹ ابن منظور (2005)، لسان العرب، ج 15، ط4، دار صادر، بيروت، لبنان، 190.

² بونت، بيار وايزار، مشال، مرجع سابق، ص366.

³ بينيت، طوني وآخرون (2010)، مفاتيح اصطلاحية جديدة، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، (ترجمة) سعيد لغانبي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، ص. 176.

الحيات كما ينعكس في مختلف جوانب الثقافة.¹ كما يعرف محمد عابد الجابري التراث على أنه: "هو كل ما هو حاضر فينا أو معنا من الماضي، سواء ماضينا أم ماضي غيرنا، سواء القريب منه أم البعيد".² إن هذا التماهي والتداخل بين الثقافة والتراث جعل بعض الباحثين ومن خلال هذه التعاريف السالفة الذكر لا يفرقون بين المفهومين حيث يكون التراث بذلك عناصر ثقافية متناقلة يتوارثها الأحفاد من أجدادهم، أو هو شكل ثقافي يتصف بالانتقال الاجتماعي بين الناس ليضفي عليه صفة البقاء والاستمرارية، والثقافة أشمل من ذلك بكثير.

يعرّف التراث على أنه " حضور الماضي الذي انتهى، ويعرف أيضا بأنه هو إنتاج ملموس أو غير ملموس خلال فترة زمنية في الماضي وتفصلها عن وقتنا الحاضر مسافة زمنية تشكلت خلالها هوة حضارية وتغير كبير".³

عرّف الميثاق الدولي السياحية الثقافية التراث على أنه: " مفهوم عام عريض يتضمن البيئة الطبيعية والثقافية فهو يشمل على تنسيق الأرض، الأماكن، المواقع والبيئات المبنية بالإضافة إلى التنوع البيولوجي والممارسات الثقافية السابقة والمستمرة والخبرات المعرفية والحياتية. فالتراث يسجل ويعبر عن العمليات الممتدة عبر الزمن والتطورات التي تشكل جوهر الهوية الأصلية المحلية والقومية والإقليمية المتنوع بحيث تمثل مكونا متداخلا مع الحياة الحديثة".⁴

كما يعرف على أنه " الوجود المادي والمعنوي للتاريخ داخل حياتنا اليومية والحفاظ على التراث يستلزم الوعي، وتنمية التراث لاستمرار الحيوية للمجتمع".⁵

يرتكز التعرف الأول على أن التراث هو الماضي الحاضر فينا وأنه كل إنتاج ملموس وغير ملموس تشكل في الماضي. في حين أن التعريف الذي قدمه الميثاق الدولي للسياحة يؤكد على أن التراث هو مفهوم عام وعريض يشمل كل من البيئة الطبيعية و الثقافية و التي يتم تنسيقها لتشمل الأراضي والأماكن، المواقع والعمران و حتى التنوع البيولوجي و كل الممارسات الثقافية التي مضت و التي هي في استمرار، و كل الخبرات

¹ إكيه هولتكرانس(1972)، قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفولكلور، ترجمة محمد الجوهري، حسن الشامي، دار الأمل للنشر والتوزي، ط2، ص.88، 89.

² محمد عابد الجابري(1991)، التراث والحداثة، دراسات ومناقشات، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، ص45.

³ الضباعين، أشرف، مرجع سابق، ص.206.

⁴ أبوليلة، محمد شوقي والبرقاوي، وديع بن علي (2019) " منهجيات الحفاظ على التراث العمراني والمعماري في الدول العربية"، مجلة باحث في العمارة والهندسة والتكنولوجيا، جامعة أم القرى، DOI: 10.21625/baheth.v2i1.422، ص. 128، على الموقع <http://www.ierek.com/press>

⁵ حامد، سامح محمد (2019)، " حماية التراث الثقافي"، مجلة باحث في العمارة والهندسة والتكنولوجيا، ص. 61، على الموقع

المعرفية و الحياتية التي تشكلت عبر الزمن، وكل التطورات التي هي في جوهرها تعبر عن الهوية الأصلية المحلية و القومية و حتى الإقليمية المتنوعة، إذ تمثل مكونا منسجما و متداخلا في طيات الحياة الحديثة. وعليه فإن هذا التعريف شامل لمفهوم التراث.

في حين التعريف الثالث: يؤكد على أن التراث هو كل وجود مادي و معنوي للتاريخ في حياتنا اليومية وعليه يتطلب الحفاظ على التراث وعيا و تنمية له وذلك لأجل استمرار الحياة و الحيوية في المجتمع، وعليه فإن التراث هو روح المجتمع إذ أنه جزء لا يتجزأ من حياة الأفراد و لا غنى عنه و من ثم وجب المحافظة عليه و تنميته.

كما يعرف التراث على أنه كل التدخلات المادية الملموسة التي نحدثها في المنشآت القائمة لضمان استمرار سلامتها الهيكلية وبالتالي هو يتم بحماية ووقاية الأبنية التاريخية وفق أساليب علمية متطورة، كما أنه يهدف إلى إطالة عمر المبنى التراثي، ومحاربة الأضرار التي تلحق بالممتلكات التراثية سواء الطبيعية أو البشرية.¹ إن تعريف الميثاق الدولي للسياحة التراث يعد أشمل لأنه يشتمل على العناصر الطبيعية والثقافية.

والدراسة الحالية تعتمد مفهوم التراث على أنه هو كل عناصر البيئية الطبيعية و الثقافية بما فيها الحمام كتراث ثقافي مادي ثابت المرتبطة بحمام قرقور المعدني، باعتباره مورد حموي، إذ هو كل عناصر البيئية الطبيعية و الثقافية التي ترتبط بحمام قرقور المعدني باعتباره تراث ثقافي مادي ثابت يحيط به تنوع بيولوجي هام و تنشط به ممارسات ثقافية ضارية في عمق التاريخ الحضاري، و يكشف عن خبرات معرفية، و حياتية تشكل بدورها عناصر هوية محلية بالمنطقة.

❖ المحافظة والحفاظ

لغة: ورد في معجم ابن منظور أن المحافظة تعني المواظبة على الأمر، وفي التنزيل العزيز: حافظوا على الصلوات أي صلوها في أوقاتها، الأزهرى أي واطبوا على إقامتها في مواقيتها. ويقال: حافظ على الأمر والعمل وثابر عليه وحارص وبارك إذ داوم عليه. وحفظت الشيء حفظا أي حرسه، وحفظته أيضا بمعنى استظهرته، والمحافظة: المراقبة، والمحافظة والحفاظ: الذب عن المحارم والمنع لها عند الحروب، والاسم الحفيظة والحفاظ: المحافظة على العهد والمحاماة على الحرم ومنعها من العدو. يقال ذو حفيظة وأهل الحفاظ وهم

¹ الضباغين، أشرف (2020)، مرجع سابق، ج 2، ص. 392.

المحامون على عوراتهم الذائبون عنها، قال إنا أناس نلزم الحفاظ. وقيل المحافظة: الوفاء بالعقد والتمسك بالود.¹

والحفاظ اصطلاحاً: هو جميع العمليات التي تهدف إلى فهم خاصية (موقع تراثي ثقافي) ومعرفة تاريخه ومعناه، وضمان حماية موارده ومعرفة إذا كان مطلوب ترميمه وتحسينه.

يتضح لنا من هذا التعريف أن الحفاظ هو جميع العمليات التي تهدف إلى فهم الموقع التراثي من حيث معرفة تاريخه وما يعنيه، وضمان حمايته وموارده، ومعرفة إذا ما كان يجب ترميمه وتحسينه.²

ومن خلال عرضنا للمفهوم اللغوي للحفاظ والمحافظة تبين أن المحافظة بمعنى المراقبة وعليه فإنه يمكن تعريف الرقابة بأنها: الأعمال التي تتم على الموقع الأثري من صيانتها وترميمه ومن ثم المحافظة عليه وحمايته، وكذلك أعمال منع التعديات المقصودة أو غير المقصودة و تصحيح أوجه الضعف والانحراف والأخطاء.³

إن عملية الحفاظ تترتب عليها آليات متداخلة فيما بينها لتجمع بين المعرفة، والفهم، والرقابة، والصيانة والترميم والمحافظة، والحماية وغيرها، هذه العمليات تهدف في مجملها إلى الحفاظ على التراث.

كما يعرف الحفاظ على أنه العملية التي تشمل كل الإجراءات والأساليب التي توفر للموروث البقاء لأطول مدة ممكنة ليؤدي دوراً في حياة المجتمع الذي يتعايش معه.⁴

استخدام مصطلح لحفاظ Conservation على نطاق واسع، وفي عدد من السياقات وفي أوقات مختلفة، وغالباً ما يستخدم لعني الصيانة Preservation بالرغم من أن هناك اتفاق بين معظم أخصائي الحفاظ على أنهما أمران مختلفان، حيث يؤكد بيرس (Pearce) أن الحفاظ هو مقبول على نطاق واسع على أنه يعني الاستخدام الحكيم للموارد، في حين أن مصطلح الصيانة لا يتم استخدامه إطلاقاً، ويعرفه أيضاً بيرس الحفاظ على أنه الصيانة الهادفة. أما ووفقاً لقانون الحفاظ النيوزيلندي لعام 1987، يعرف الحفاظ على أنه:

صيانة الموارد التراثية (الطبيعية والثقافية وحمايتها بهدف الإبقاء على قيمتها الأصلية، وتوفير التقدير والمتعة

¹ ابن منظور (2005)، لسان العرب، مادة حفظ، بيروت، دار صادر، المجلد 4، ص. 167.

² الضباعين، أشرف (2020)، إدارة الآثار والتراث وفقاً للمعايير العالمية، الأردن دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، الجزء الثالث، ص. 320.

³ الضباعين، أشرف، مرجع سابق، ج 2، ص. 184.

⁴ العيسوي، محمد عبد الفتاح (2012)، "الإرتقاء بالنطاقات التراثية ذات القيمة" دراسة مقارنة لسياسات الحفاظ على التراث العمراني " المؤتمر

والمعرض الدولي الثالث، دبي، ص. 7.

الترفيهية للجمهور، والحفاظ عليها للأجيال المقبلة).¹

كما أن هذا المفهوم يرتبط بمفهوم الوقاية والذي يعني كل التدابير المتخذة بصورة مسبقة كي لا تصاب هذه الممتلكات بأي مكروه وعليه تؤدي إلى تخريب هذه الممتلكات وعلاجها بينما الحفاظ التقليدي العلاجي يحارب آثار التخريب نفسه، كما أن الصيانة المنتظمة تسمح بالحفاظ على المادة الأصلية وعلى بصمات الزمن والمناخ وتفصيلها التي غالبا يتعذر استبدالها.² وعليه فإن مفهوم الحفاظ حسب ما ورد في هذه التعاريف ورغم اختلاف التفسيرات لمفهوم الحفاظ إلا أن الجوهر في ذلك هو حماية الموارد التراثية الطبيعية والثقافية، كما يعرف الحفاظ على أنه مجموعة التدابير المتخذة والأعمال التي يتم إنجازها من أجل إطالة حياة الممتلكات الثقافية.

والحفاظ في الدراسة الحالية هو كل العمليات المتخذة من صيانة، مراقبة، توظيف، ترميم، تحسين، ترشيد للموارد التراثية الطبيعية والثقافية (موقع حمام قرقور التراثي) وحمايتها بهدف الإبقاء على قيمتها الأصلية، وتوفير جانب من المتعة والترفيه للسياح، والحفاظ عليه للأجيال القادمة.

❖ مفهوم التراث الثقافي

لتحديد مفهوم التراث الثقافي لابد من تحديد مفهوم الثقافة.

فالثقافة لغة: " أصلها من ثقف الشيء ثقفا و ثقافا و ثقوفة: حذفه، ورجل ثقف حاذق فهم، ويقال ثقف الشيء وهو سرعة التعلم، ابن دريد: ثقفت الشيء حذفته و ثقفته إذا ظفرت به. قال تعالى: ﴿ فَأِمَّا تَثَقَّفْتُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مِّنْ خَلْفِهِمْ لَعَلَّهِمْ يَدْكُرُونَ ﴾³ و ثقف الرجل ثقافة أي صار حاذقا خفيفا، ومنه المثاقفة.

وفي حديث الهجرة: وهو غلام لقن ثقف أي ذو فطنة وذكاء وكراد أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه "⁴

الثقافة اصطلاحا: تعددت التعاريف و اختلفت حول الثقافة و لعل أقدم التعاريف و أكثرها رسوخا و ثباتا التعريف الذي قدمه إدوارد تايلور، في كتابه الثقافة البدائية عام 1871 حيث عرفها بأنها: « ... تلك الوحدة الكلية المعقدة التي تشمل المعرفة و الإيمان و الفن و الأخلاق والقانون و العادات، بالإضافة إلى أي قدرات و

¹ تيموثي، دالين ج وبويد، ستيفن. و (2011)، السياحة التراثية، عبد الناصر بن عبد الرحمن، الزهراني، (ترجمة)، الرياض، النشر العلمي و المطابع جامعة الملك سعود، ص 99.

² غراز، كرسstof (2009)، "الحفاظ الوقائي، ممارسة يجب الحفاظ عليها" برنامج التراث الأوروبي المتوسطي Connecting، العدد 2، ص.1.

³ سورة الأنفال، الآية 57.

⁴ ابن منظور (2005)، لسان العرب، المادة ثقف، بيروت، دار صادر، ج3، ص.28.

عادات أخرى يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في مجتمع¹. يعد هذا التعريف تعريفاً تأسيسياً للتعريف اللاحقة إذ أنه يمتاز بالشمولية من حيث أنه يجمع بين العناصر المادية، و المعنوية المكونة للثقافة الإنسانية هذه الثقافة التي تتميز بالكلية و التعقير و التركيب فهي تختلف بين المعرفة و الفن و الأخلاق و القانون و العادات و كل مخلفات الإنسان المادية منها و المعنوية الأخرى بوصفه فرداً في المجتمع يؤثر و يتأثر .

إن الثقافة ما هي إلا إنتاج إنساني لا غير تتولد على إثر تداخل علاقات الأفراد و تفاعلهم فيما بينهم فهي تنمو و تستمر من خلال خاصية التفاعل فالإنسان يتغذى ثقافة لينتج ثقافة فهي روح المجتمع فلا يعقل أن نتصور مجتمع بدون ثقافة و لا ثقافة من دون مجتمع .

لقد أدرجت هذه الدراسة مفهوم الثقافة للولوج إلى تحديد مفهوم التراث الثقافي والذي يتقارب في أوجه عديدة من مفهوم الثقافة إلا أن هذه الأخيرة أشمل بكثير منه وعليه سندرج مفهوم التراث الثقافي فيما يلي:

يقصد بالمووروث الثقافي تلك " الأشكال والعناصر الثقافية المادية والفكرية، والاجتماعية التي كانت سائدة في المجتمع في وقت ما، ثم طرأ على هذا المجتمع تغير، فانتقل من أوضاع أكثر حداثة ولكنها (الأشكال الثقافية) لا تزال مستمرة في ذلك المجتمع، متداولة بين أفرادها، وهذه الاستمرارية لعناصر الموروث الثقافي بين الأجيال تحمل معها من التواصل الحضاري عصارات فكر أجيال متعاقبة"².

ويقصد بها التعريف أن التراث الثقافي يتمثل في الأشكال والعناصر والصور الثقافية المختلفة المادية منها والفكرية والاجتماعية، والتي تزال مستمرة وسائدة في المجتمع بالرغم من تطوره وتغيره حيث أن هذه الأشكال الثقافية تحمل معها خبرات وأفكار ومهارات أجيال متعاقبة وذلك إثر عملية التواصل الحضاري. غير أن منظمة اليونسكو تعرف التراث الثقافي: على أنه: " هو ميراث المقتنيات المادية و غير المادية التي تخص مجموعة ما أو مجتمع لديه موروثات من الأجيال السابقة، و ظلت باقية حتى الوقت الحاضر و وهبت للأجيال المقبلة "³. يتضح من التعريف الذي اعتمده منظمة اليونسكو أن التراث الثقافي يعد كل الممتلكات المادية و غير المادية التي تخص مجموعة أو مجتمع ما قد ورثها من الأجيال السابقة واستمرت إلى الوقت الحاضر وحتى للأجيال المقبلة. وعليه فإن هذا التعريف يشمل كل الجوانب الموروثة من الأجيال السابقة سواء كانت مادية أو غير مادية والتي حافظت على خاصية الاستمرارية بين الأجيال.

¹ غيرتز، كليفورد، مرجع سابق، ص. 8.

² هنشيري، إيمان (2017)، " الموروث الثقافي الجزائري الواقع والآفاق " مجلة حوليات التراث، العدد 17، جامعة مستغانم، الجزائر، ص. 99.

³ سويلم، محمد وبوحادة، محمد سعد (2018)، " الحماية القانونية للموروث الثقافي المادي وأثرها في ترقية الاستثمار السياحي بالجزائر "، مجلة

الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية، المجلد 07، العدد 05، ص. 241.

في حين يعرف على أنه مصطلح واسع يشتمل كل ما خلده الإنسان من شواهد روحية أو مادية في تراثه الفكري، و رقيه الإنساني، و يمكن القول بأنه الحصيلة الفكرية و الاجتماعية و المادية لأسلافنا " أو بمفهوم آخر فإن الموروث الثقافي و الاجتماعي و المادي، المكتوب و الشفوي، الرسمي و الشعبي، اللغوي و غير اللغوي، الذي وصل إلينا من الماضي البعيد و القريب، موجود في ذاكرتنا يعيش معنا، و يتجسد في أشكال مختلفة خلال حياتنا في تصرفاتنا و تعبيرنا و طرائق تفكيرنا، و مهما حاولنا القطيعة معه، ز إعلان موته نظريا أو شعوريا تظل خطاطته و أنساقه و أنماطه العليا مرسخة في الوجدان و متمركزة في المخيلة".¹

و المنظور القانوني الجزائري يرى التراث الثقافي و ذلك منذ انضمام الجزائر لاتفاقية حماية التراث العالمي الثقافي و الطبيعي لعام 1972، و غيرها من الاتفاقيات، حيث تنص هذه الاتفاقية على حماية التراث الثقافي منذ الاستقلال من خلال الأمر 67-281 المتعلق بالحفريات و حماية الأماكن و الآثار التاريخية و الطبيعية. و لكن تم إلغائه و استحداث مكانه قانون رقم 98-04 المتعلق بحماية التراث الثقافي أين عرفت المادة الثانية منه التراث الثقافي بأنه : «... جميع الممتلكات الثقافية العقارية، و العقارات بالتخصيص، و المنقولة، الموجودة على أرض عقارات الأملاك الوطنية و في داخلها، المملوكة لأشخاص طبيعيين أو معنويين تابعين للقانون الخاص، و الموجودة كذلك في الطبقات الجوفية للمياه الداخلية و الإقليمية الوطنية الموروثة عن مختلف الحضارات المتعاقبة منذ عصر ما قبل التاريخ إلى يومنا هذا، و تعد جزءا من التراث الثقافي للأمة أيضا الممتلكات الثقافية غير المادية الناتجة عن تفاعلات اجتماعية و إبداعات الأفراد و الجماعات عبر العصور و التي لا تزال تعرب عن نفسها منذ الأزمنة الغابرة إلى يومنا هذا»² خص القانون الجزائري من خلال هذا التعريف التراث الثقافي بمختلف أنواعه و تنوع عناصره من حيث كان عقارا أو منقولا أو كان تراثا معنويا عاما أو خاصا و عليه تتحدد لنا طبيعة الممتلكات التراثية، سواء كانت عقارية أو منقولة أو غير مادية. و عليه فإنه و في الصفحات اللاحقة من الدراسة سوف نتطرق و بشكل مستفيض لذكر أنواع و أشكال التراث الثقافي ليتسنى لنا فهم أكثر و يكون حجة على اختيارنا لهذا المفهوم الذي اعتمده الدراسة الحالية وهو كل الممتلكات الثقافية المادية الموروثة من مختلف الحضارات المتعاقبة (حمام قرقور كتراث ثقافي مادي ثابت)، و كذلك كل الممتلكات الثقافية غير المادية (كل المعارف و الخبرات، و الممارسات الثقافية التي تتم في فضاء حمام قرقور) و التي تناقلتها الأجيال عبر الأزمنة الغابرة إلى يومنا هذا .

¹ بلبليلية، فتيحة نور الهدى (2018)، " الموروث الثقافي وإشكالية الجذب السياحي قراءة في الإمكانيات والتحديات " مجلة تنوير، العدد 07، ص.

221

² سويلم، محمد وبوحادة، محمد سعد، مرجع سابق، ص. 242.

❖ الثقافة والسياحة روابط أقوى

في مطلع القرن 20م كان يُنظر للسياحة والثقافة على أنّهما مكوّنان لوجهات مختلفة عن بعضها البعض ولحدّ كبير، فكانت المواد الثقافية تُعتبر جزءاً من التّراث الثقافيّ، حيث أنّها تعتمد على تعاليم السكّان المحليين وهو حجر أساس لبناء الهوية الثقافية المحليّة والوطنية، ومن ناحية أخرى كان يُنظر للسياحة على أنّها نشاط ترفيهيّ مُستقلّ عن الحياة اليوميّة وثقافة السكّان المحليين، ولكن سرعان ما تطوّرت هذه النظرة في مطلع هذا القرن، حيث تبين أنّ الأصول الثقافية لها تأثير في جذب السّياح، مما نشأ عنه بروز الوجهات السياحية، فمنذ الثمانينات عدّت السياحة الثقافية مصدراً مهماً للتنمية الاقتصادية للعديد من الوجهات.¹

فيعزّز ذلك الارتباط الوثيق بين الثقافة والسياحة من خلال النقاط والعوامل التالية، وذلك حسب منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية OEC:²

أ- من ناحية الطلب نجد:

- الاهتمام المتزايد بالثقافة خاصّة باعتبارها كمصدر للهوية والتّمايز في مواجهة العولمة.
- زيادة رأس المال الثقافيّ، والذي عزّزه زيادة مستوى التّعليم.
- شيخوخة سكّان الدّول المتقدّمة.
- أنماط الاستهلاك ما بعد الحداثة، والتي تُؤكّد على التّموّ الشخصيّ بدلا من الماديّة.
- الرّغبة في عيش أشكال من التّجارب المباشرة (كاكتشاف الحياة الحقيقيّة "بدلا من مجرد زيادة).
- كذلك الأهميّة المتزايدة للثقافة غير الملموسة.
- ناهيك عن زيادة التّنقل، الأمر الذي أتاح فرصة وسهولة الوصول إلى ثقافات أخرى.

ب- أمّا من جانب العرض فنجد:

- وجب تنمية السياحة الثقافية لتعزيز العمالة والدّخل.
- حيث كان يُنظر للسياحة الثقافية على أنّها سوق للتّموّ فضلا عن كونها شكلا من أشكال السياحة "النّوعيّة".
- هناك عرض ثقافيّ واسع النّطاق، مرتبط بالتنمية الإقليميّة.
- أيضا ظهور دول ومناطق جديدة ملتزمة بتشكيل هويّة مميّزة.
- والرّغبة في إبراز صورة المناطق والبلدان في الخارج.

¹ OECD , (2019), the Impact of culture on tourism, Paris, French, translation of pp 3_75, only available on Internet, p. 16

² Ibid, p. 16

❖ أنواع التراث الثقافي

اتضح من التعاريف المقدمة أنفا أن التراث الثقافي ينقسم إلى قسمين هامين هما: تراث مادي، وتراث لا مادي، إلا أن المشرع الجزائري في المادة الثالثة من القانون رقم 04-98 يشير إلى الأقسام التالية:

➤ الممتلكات الثقافية العقارية.

➤ الممتلكات الثقافية المنقولة.

➤ الممتلكات الثقافية غير المادية.¹

أ- الموروث الثقافي المادي

ويقصد به كل ما يضعه الإنسان في حياته العامة و كل ما ينتجه العمل البشري من أشياء ملموسة و كذلك كل ما يحصل عليه الناس عن طريق استخدام فنونهم و هذه الموروثات ذات الطابع التقليدي، لكن رغم حلول عناصر أكثر عصرية منها إلا تحظى باهتمام بالغ من أفراد المجتمع.² و عليه فإن التراث الثقافي المادي هو كل ما يستطيع الإنسان أن يتلمسه من عناصر و أشياء تخضع دائما لعامل التغير المستمر و التي سعى كذلك لإكسابها و اختراعها من أجل إشباع حاجاته الأساسية و تتمثل الثقافة المادية في العمارة بشكل عام كالمواقع الأثرية و المدن العتيقة و المتاحف الافتراضية و المتاحف بلا حدود خاصة، و المباني و المنشآت و مختلف وسائل النقل و أيضا الفنون و الآداب أو ما يطلب عليه بالتراث الأدبي و الفني مثل الملابس و الحلي و الآلات الموسيقية و المخطوطات و الصناعات الحرفية اليدوية و غيرها.³ وعلى هذا يحدد المشرع الجزائري قسمين للتراث الثقافي المادي هما تراث مادي ثابت يتمثل في الممتلكات العقارية وتراث مادي منقول والمتمثل في الممتلكات الثقافية المنقولة.

● التراث المادي الثابت:⁴

والتي تعرف في لغة الأثريين بالآثار الثابتة فيما يخلفه الأجداد من آثار ظلت باقية من منشآت دينية وجنائزية كالمعابد والمقابر، والأضرحة، المساجد والجوامع، ومبان حربية و مدنية مثل الحصون والقصور، القلاع و الحمامات، و السدود و الأسوار، و حسب ما حدده المشرع الجزائري في القانون 04-98 من المادة 08 الذي أقر بجرد و تصنيف و المحافظة على مجمل الممتلكات العقارية و التي تشمل كل من:

¹ سويلم، محمد وبوحادة، محمد سعد، مرجع سابق، ص. 243.

² شنهيري، إيمان، مرجع سابق، ص. 99، 100.

³ سويلم، محمد وبوحادة، محمد سعد، مرجع سابق، ص. 243.

⁴ سويلم، محمد وبوحادة، محمد سعد، المرجع السابق، ص. 243، 244.

- المعلم التاريخية : و يقصد بها كل إنشاء هندسي معماري منفرد أو مجموع يقوم شاهدا على حضارة معينة أو على تطور هام أو حادثة تاريخية والمعالم المعنية هي المنجزات المعمارية الكبرى، والرسم والنقش، و الفن الزخرفي، و الخط العربي، والمباني أو المجمعات العلمية الفخمة ذات الطابع الديني أو العسكري أو المدني أو الزراعي أو الصناعي، و كذا هياكل ما قبل التاريخ و المعالم الجنائزية أو المدافن والمغارات، و الكهوف و اللوحات و الرسوم الصخرية، و النصب التذكارية و الهياكل أو العناصر المعزولة التي لها صلة بالأحداث الكبرى في التاريخ الوطني .

- المواقع الأثرية: ويقصد بها: كل المساحات مبنية أو غير مبنية دونما وظيفة نشطة، غير أنها تشهد بأعمال الإنسان أو تفاعلاته مع الطبيعة، بما فيها باطن الأراضي المتصلة بها، وتحض بقيمة تاريخية أو أثرية أو دينية أو فنية أو علمية أو إثنولوجية أو أنثروبولوجية، والمقصود بها على الخصوص المواقع الأثرية بما فيها المحميات الأثرية والحضائر الثقافية.

- المجموعات الحضرية أو الريفية: و التي يراد بها: كل من القصبات و القصور و القرى و المجتمعات السكنية بتجانسها و وحدتها المعمارية والجمالية، أهمية تاريخية أو معمارية أو فنية أو تقليدية، من شأنها أن تبرر حمايتها و إصلاحها و إعادة تأهيلها و ترميمها .

والجزائر غنية بالتراث المادي الثابت من نقوش صخرية و كهوف و مغارات، ككهوف الهقار بالطاسيلي و الجسور و القناطير مثل قنطرة الحبال، و جسر سيدي راشد بقسنطينة، و الحدائق كحديقة لاندو ببسكرة و الأحواض و الشلالات، كشلالات الوريث بتلمسان، و الحمامات المعدنية، كحمام دباغ و المسخوطين... الخ و إذا ما أتينا إلى أماكن العبادة فهي تنتشر على كل ربوع الوطن كالمساجد مثل المسجد الكبير و مسجد كتشاوة، و مسجد سيدي عبد الرحمان الثعالبي ... بما فيها الزوايا و الأضرحة كالزاوية العثمانية، و المختارية ببسكرة ... الخ . في حين أن جزائر تحوز على العديد من المدن والحضائر والقرى التاريخية كمدينة بني سويك، وأولاد جلال و طولقة، و سيدي عقبة، و سيدي خالد ... و القصور كقصر خديوج، و قصر حسن باشا، و قصر مصطفى باشا، وقصر الحمراء بالجزائر العاصمة و أيضا القصبات و الأنسجة العتيقة الحضرية منها و الريفية... الخ¹

• التراث المادي المنقول

والتي يطلق عليها الأثريون الآثار المنقولة والمتمثلة في القطع النقدية والتحف الفنية الناتجة عن الاكتشافات والأبحاث الأثرية في البر وتحت الماء وكذا القطع الخزفية و الفخارية و الكتابات الأثرية

¹ بليليدية، فتيحة نور الهدى، مرجع سابق، ص. 222، 223.

والعملات والأختام و الحلي و الألبسة التقليدية و الأسلحة و بقايا المدافن والمخطوطات.¹

ب- التراث الثقافي غير المادي (المعنوي)

يعد التراث الثقافي غير الملموس جوهر التنوع الثقافي الإنساني، بما يحمله من معارف و ممارسات وخبرات العيش التي تعكس هويات جماعات و مجتمعات تراكمت عبر الزمن و التاريخ حيث يعبر لهذه المجتمعات عن كافة المظاهر غير الملموسة من التراث باعتباره الفضاء الثقافي الممارس الحي و المتنقل عبر الأجيال من خلال ممارسي عناصره الأساسية و يوفر لهم إحساسا بالهوية و الاستمرارية.²

لقد جاء مفهوم التراث الثقافي غير المادي ليزيح مصطلح الفلكلور عن عرشه، وهو مدعوم باتفاقيتين دوليتين أصدرتهما منظمة اليونسكو و صادقت عليهما معظم دول العالم، هما اتفاقية 2003 لصون التراث الثقافي غير المادي، و اتفاقية 2005 لحماية و تعزيز تنوع أشكال التغيير الثقافي، حيث لم يكن هذا المصطلح مستخدما سوى عشر سنوات سبقت اتفاقية 2003 و قد استقر على تعريفه في اتفاقية 2003 ليكون تعريف يدل على اتساعه ليشمل: " الممارسات والعروض وأشكال التعبير الشفاهية التقليدية و المعارف، والمهارات فضلا عن الأدوات والقطع والمشغولات الحرفية، والأماكن الثقافية المتصلة بها التي تعدها الجماعات والمجموعات - و في بعض الأحيان الأفراد - جزءا من تراثها الثقافي، وهذا التراث الثقافي تتناقله الأجيال من جيل إلى جيل، و دائما ما تعد إيداعه الجماعات و المجموعات استجابة لبيئتها و تفاعلها مع الطبيعة و مع تاريخها و يزودها الإحساس بالهوية و الاستمرارية، و بذلك يعزز احترام التنوع الثقافي و الإبداع البشري."³

ويستمد التراث غير المادي قوته من جذوره في المجتمعات المحلية و على مدى تناول معارفه و نقلها عبر الأجيال، و لعل أن خصوصية انتماء هذا التراث إلى المجتمعات المحلية تؤكد الهوية التي يمنحها هذا التراث لمبدعيه فالأفراد و الجماعات في هذه المجتمعات هم من يحققون الاعتراف بتراثهم و لا يمكن لأحد القيام بذلك، و عليه فإن الحفاظ على التراث الثقافي غير المادي هو حماية للهويات و الخصوصيات الثقافية

وبالتالي حماية التنوع الثقافي للإنسانية".⁴

¹ سويلم، محمد و بوحادة، محمد سعد، مرجع سابق، ص. 244، 245.

² أبو تاية، عابدة و محمد، النعيمات (2018) "دور التراث غير الملموس في تعزيز الهوية و الخصوصية الثقافية مقاربات نظرية" الأوراق العلمية المحكمة الخاصة بالمؤتمر الدولي، تراثنا بين الاستدامة و الأزمات المنعقد في (9-11) أبريل 2018. كلية العلوم الاجتماعية، جامعة مؤتة، الأردن ط1، ص 13، 14.

³ العسامي، أحمد بهي الدين (2017)، " التراث الثقافي غير المادي في عالم متغير"، مجلة مرآة، العدد45، ص.84.

⁴ بوتاية، عابدة والنعيمات، محمد، مرجع سابق، ص 14.

لقد حددت مجالات هذا التراث الثقافي غير المادي والتي تتمثل في: "التقاليد، وأشكال التعبير الشفاهية بما فيها اللغة، باعتبارها أداة للتعبير عن التراث الثقافي غير المادي، وفنون الأداء والممارسات والطقوس والاحتفالات الاجتماعية، والمعارف والممارسات المتعلقة بالطبيعة والكون، والمهارات المرتبطة بفنون الحرف".¹ وعليه يمكن عرض عناصر التراث الثقافي كما يلي:

● التقاليد الشفهية وفنون التعبير الشفهي

إذ أنها ترتبط هذه الفنون بما أنتجته الذاكرة الجماعية الجزائرية حين عبرت عن أفراحها وأفراحها في أشكال محكية عدة كقصص البطولة، والأمثال، والحكايات وأغاني الأطفال، والقصائد الملحمية، والأساطير، والأناشيد، والتعويذات والصلوات ... هذه الأشكال استعملتها أجدادنا لنقل المعارف والقيم الثقافية إلينا و إلى أحفادنا، و منه كان لها الدور الكبير في الحفاظ على الثقافة الجزائرية لتبقى نابضة بالحياة " و عليه يقدم "عبد الحميد بورايو" قائمة لموروثنا الثقافي و المتمثل في القصص المختلفة، الأساطير، الأغاني بأنواعها، الأغاني الشعبية، الأمثال و الحكم و الأقوال السائدة و الأغاز و النداءات و النوادر " ² و جدير بالذكر أن للغة دور كبير في نقل التراث الشفوي لكل مجتمع ما، فهي وسيلة للاتصال و التواصل بين الأفراد و عبر هذه العمليات تنتقل عناصر التراث الثقافي الشفوي عبر الزمن بين الأجيال، غير أن للغة تأثير كبير في نسج و رسم معالم هذا التراث فهي تعكس الخصائص الاجتماعية و الثقافية للمجتمعات المحلية التي تتميز بالخصوصية الثقافية المتفردة في كثير من جزئياتها و عليه فإن اللغة تصنع بعناصر هذه الثقافات المحلية، و تحدد مضامين تلك العناصر الثقافية المحلية، و لعل أن أكبر عائق يهدد هذه العناصر الثقافية الشفوية هو اندثار تلك اللغات المحلية و زوالا فإن حدث و زالت اللغة فقدنا معها كثيرا من التقاليد الشفوية التعبيرية، و على هذا فإن الجزائر تحوز على تراث شفوي هام إذ أن كثيرا من عناصر الثقافة الشعبية هي شفوية بامتياز و عدم الجمع بين وحدتها، و ربط مضامينها بين الأجيال سوف يعرض ثقافتنا لفقدان الكثير من رمزياتها و مضامينها المتفردة .

● فنون وتقاليد وأداء العروض

تتنوع فنون الأداء الموروث الثقافي الجزائري وتتراوح بين الموسيقى وآلاتها، إلى الرقص والمسرح إلى الإيماء والشعر الغنائي، حيث تشتمل على العديد من أشكال التعبير الثقافي التي تعكس روح الإبداع الإنساني

¹ العساسي، أحمد بهي الدين، مرجع سابق، ص 84.

² هنشيري، إيمان، مرجع سابق، ص 102.

والتي تتجلى في كثير من مجالات التراث الثقافي غير المادي تتداخل هذه العناصر الأدائية والفنية فيما بينها في حياة الأفراد و يومياتهم متخللة احتفالاتهم، و طقوسهم و تقاليدهم لتندمج طابعا خاص بهم.¹

● الممارسات الاجتماعية والطقوس والاحتفالات

ترتبط الممارسات و الطقوس و الاحتفالات بالحياة اليومية للفرد الجزائري، إذ تتصل اتصالا وثيقا بتصوراتهم للعالم و فهمهم لتاريخهم و ذاكرتهم، كما تعد أنشطة اعتيادية تهيكل حولها حياتهم و تربطهم حسبهم أكثر بواقعهم، لذا نجد العفوية في ممارستها و يقصدونها دون أي مبرر لأنها و ببساطة تعد هوية الجماعة التي ينتمون لها، و عليه فإن أشكال الممارسات الاجتماعية في الجزائر تتنوع من منطقة إلى أخرى بشكل منهج إذ نجد شعائر الصلاة، و مراسيم البلوغ و طقوس الولادة، و الأعراس و الجنائز و الألعاب و الرياضات الشعبية، و التقاليد المطبخية و طقوس القرابة، و الأعياد الموسمية و ممارسات الصيد و القطار كما تشمل مجموعة متنوعة من أشكال التعبير و العناصر المادية كالإشارات، و الكلمات الخاصة و الإلقاء، و الرقصات، و الأزياء الخاصة و المواكب، و الأضاحي و الأطعمة الخاصة، و الامتثال الجماعي للعادات و التقاليد، و قد حدد "عبد الحميد بورايو" هذه العادات و التقاليد و وجوب الامتثال لها في:

➤ دورة الحياة (الميلاد، الختان، الزواج، الوفاة)

➤ الأعياد والمناسبات المرتبطة بدورة العالم (أعياد دينية، أعياد وطنية، احتفالات، مناسبات زراعية)

➤ المعاملات الاجتماعية بين أفراد الجماعة (الاستقبال، التوديع، الضيافة، علاقة الكبير بالصغير، علاقة

الذكر بالأنثى، آداب المائدة، فض المنازعات والتحكيم).²

إن هذه التركيبة الثقافية الرمزية التي تخطط للإنسان تجعله كائن ثقافي بامتياز، وتضمن له

التواصل مع الجماعة والتكيف، وتحقق له في ذات الوقت التنوع الثقافي بين المجتمعات.

● المعارف والممارسات المتعلقة بالكون والطبيعة

وهي كل المعتقدات الشعبية والتي يؤمن بها الشعب فيما يتعلق بالعالم الخارجي والعالم فوق الطبيعي، ومن خصائصها أننا نصادف في هذا المجال ما يعرف بالأفكار أو المواقف الإنسانية أو ما يعرف بالأفكار الأساسية، منها تلك الأفكار والأحاسيس التي تحرك الناس إزاء الظواهر الطبيعية العادية والشاذة كتصورات الناس عن الزلازل، البرق، الخسوف، الشهب، ... الخ كذلك تصورات الناس عن أسرار بعض الظواهر الفيزيائية، ولنفسية كالأحلام والنوم والميلاد ورؤية المستقبل بأنواعها ووسائلها المختلفة³

¹ بلبليلية، فتحة نور الهدى، مرجع سابق، ص 224.

² هنشيري، إيمان، مرجع سابق، ص. 104، 105.

³ إبراهيم، محمد عباس (2005)، مرجع سابق، ص 339، 340، 341.

وكشف فاروق أحمد مصطفى عن أهم المواضيع التي ترتبط بالمعتقدات الشعبية والتي حصرها في الأولياء والكائنات الحية فوق الطبيعة والسحر والطب الشعبي، والأحلام وما يتعلق بالحيوان، وما يتعلق بجسم الإنسان، كذلك الأعداد، والألوان والروح والطهارة، والنظرة إلى العالم... وغيرها.¹

إن الممارسات المتعلقة بالطبيعة والكون تشمل على المعارف العلمية و المهارات والممارسات والتصورات التي يكتسبها سكان المجتمع الجزائري من خلال تفاعلاتهم مع بيئتهم و عبروا عنها بمختلف أشكال التعبير و التقاليد الشفهية، ومشاعر الارتباط بالمكان و الذكريات والنزعة الروحية و تصور العالم، وقد انبثق عن طرق التفكير هذه جوانب كثيرة و مختلفة من قبيل المعرفة البيئية التقليدية، أو معارف الشعوب الأصلية، أو معرفة الحياة الحيوانية أو النباتية، أو نظم العلاج التقليدية، أو الطقوس أو المعتقدات، أو طقوس التنظيمات الاجتماعية، أو الاحتفالات، أو اللغات أو الفنون البحرية، كما تمكن المعارف والممارسات التقليدية والتي تعد من صميم ثقافة الجماعة و هويتها في بعض جوانب المعارف التقليدية المتعلقة بالاستعمالات الطبية لمختلف أنواع النباتات المحلية.² وتعمل هذه المعتقدات على إشباع رغبات المجتمع الجزائري مما يجعلها ذات أثر فعال في تكوين عقلية الأفراد والجماعة وانتقالها من جيل إلى آخر بما يحفظ لها الاستمرار.³

• المهارات المرتبطة بالفنون الحرفية التقليدية

إن الحرفة عبارة عن تقنية أو مهارة تعتبر جزءا من العنصر الفني لإبداع فني، كما أنها تعد نشاط يدوي بناء، يقوم به الحرفي، و هذا النشاط يختلف عن مجموعة التقنيات المعروفة بالفنون الجميلة التي يمارسها فنانون مبدعون لإنتاج الفنون التطبيقية. كما يرى البعض أن الصناعات التقليدية هي نتاج حضاري لآلاف السنين من التفاعل الحي بين المجتمعات المحلية – بما تحمله من قيم حضارية و رؤى والمجتمعات الأخرى، وهي مكون أصيل للذاكرة الحضارية، خاصة في شقها التقني – و رصيد مخزون الخبرات الحياتية والإمكانية الإنتاجية الذاتية المتاحة داخل كل مجتمع محلي.⁴

وعليه فإن المهارات ترتبط بالمعارف المتصلة بالفنون الحرفية و ليس بالمنتجات في حد ذاتها، حيث تتنوع هذه المهارات في الجزائر إذ هناك العديد من أشكال التعبير عن مهارات الفنون الحرفية التقليدية

¹ فاروق، أحمد مصطفى (2008)، الأثرولوجيا ودراسة التراث الشعبي، دراسة ميدانية، دار المعرفة الجامعية، الهيئة المصرية للكتاب، الإسكندرية، ص. 21.

² بلبليدية، فتيحة نور الهدى، مرجع سابق، ص. 225.

³ شنهيري، إيمان، مرجع سابق، ص. 106.

⁴ سالم، أمينة عبد الله علي (2015)، أثر السياحة في تطوير بعض الحرف و الصناعات التقليدية دراسة أنثروبولوجية، مصر، دار العلم و الإيمان، ص. 38، 39.

المنتشرة في مختلف أرجاء الوطن حيث هناك مهارات ترتبط بالأدوات، و الملابس و الحلي و الأزياء، و الأثاث الخاص بالاحتفالات، و فنون الأداء، و حلويات التخزين، و الأشياء المستخدمة في التخزين و النقل، و فنون الزينة و الأشياء الخاصة بالطقوس، و الآلات الموسيقية و الأدوات المنزلية، والألعاب ... فكل منطقة تعبر عن مهارات اكتسابها عن الأسلاف فيما يتعلق بالفنون و الحرفية التقليدية.¹

يتنوع التراث الثقافي الجزائري بين ما هو مادي و ما هو غير مادي لينسج معالم هوية مجتمعه متكاملة متنوعة تغذيها مجموعة من الهويات المحلية المتأصلة، بما فيها، وثقافتها و جذورها الأصلية، وترسم لنا خبرات ومهارات إبداعية، متفردة تكسب الجماعة حسا جماليا و فنيا، يزيدها قوة و تناغما مع ثقافة المجتمع ككل .

2- قيمة التراث وأهميته

أ- أهمية التراث كمنتج سياحي

يمثل التراث رأسمال سياحي للشعوب التي تحوز عليه وبتالي تتنوع بتنوع فرص الجذب السياحي وكذا شرائح السياح الراغبة فيه.

ومن هنا تتحدد أهمية التراث في النشاط السياحي "إذ ميز كل من "هول وماك آرثر" بين أربعة

مستويات من الأهمية مرتبطة في ما بينها:²

• الأهمية الاقتصادية

على إثرها يتم الحفاظ على التراث نظرا للقيمة التي تجنى من نفقات زوار المواقع، والسياحة هي أعمال تجارية كبيرة، تنعكس في رعاية القطاع الخاص للمواقع كوسيلة لزيادة الدخل كما تهدف الدعاية أيضا إلى جذب شريحة سوقية لديها مسؤولية واتجاهات بيئية، كما تظهر الأهمية الاقتصادية أيضا في تطوير رسوم الدخل للمواقع التراثية حيث تواجه الموارد التراثية مسؤولية إيجاد طريقة الحفاظ عليها .

• الأهمية الاجتماعية

شير إلى الهوية الفردية والجماعية لدى الناس والمجتمع مع تراثهم، وكثرا ما يكون الضمير الاجتماعية قوة دافعة لإعطاء الأولوية للحفاظ على التراث كما يساعد هذا الأخير على تحديد الشعوب للمكان وإيجاد ارتباط الناس بمنطقة ما والمحافظة على الإحساس بشعور أن المكان سيبقى فعليا دون تغيير .

¹ شنهييري، إيمان، مرجع سابق، ص. 106 .

² تيموثي، دالين .ج وبويد ستيفن. و، مرجع سابق، ص. 14، 18.

• الأهمية السياسية

إن معنى التراث ورمزيته قد تخدم أغراضا سياسية كما أشار "هول وماك آرثر" فإن التراث بحكم ما هو متعارف عليه هو مفهوم سياسي فيما يتعلق بتعزيز أهمية حفظه وكيفية تناوله، ووضع حد لتعارض رغبات القطاع الخاص من أصحاب التراث مع مصالح الحكومة أو المصالح العامة.

• الأهمية العلمية

تحتوي كثير من المنتزهات الوطنية والمناطق المحمية على مجموعات من الجينات الموروثة والنظم البيئية التي سيستفاد منها في الطب كما أنها توفر بيئة جيدة لأنواع نادرة ومهددة بالانقراض وحيث يمكن بسهولة تأسيس معايير لقياس التغير في المناطق المحمية، في مقابل البيئات المستوطنة، فإنه يمكن القيام ببحوث مفيدة على العمليات الإيكولوجية، وكثيرا ما تكون ضمن سياق آمن وهناك أيضا عنصر تعليمي للتراث حيث يوفر للزوار المعلومات عن التاريخ الحي والثقافة وسكان المناطق بالإضافة دروسا مهمة في العلاقة بين المستوطنين الأوروبيين والسكان الأصليين للمناطق."

تتعاطم أهمية التراث لدى الشعوب والإحساس به كونه لا يقتصر على الأهمية الاقتصادية فحسب بل يشكل التراث هوية المجتمعات وذاكرتها الجمعية ويبعث حسا انتمائي، يفضي بالضمير الجمعي إلى الإحساس بالمسؤولية ويولد دافعية الحفاظ عليه.

"أما السياحة التراثية فهي ظاهرة تقوم على دوافع السياح وتصوراتهم بدلا من التركيز على موقع محدد السمات، وعلى هذا الأساس والتمييز، حدد بوريا" وآخرون ثلاثة أنواع من التراث :

- من يزور موقعا وينظر إليه على أنه جزء من تراثه
- من يزور ما يعد موقعا تراثيا على الرغم من أنه لا علاقة له به.
- من يزور موقعا تراثيا يصنف على وجه التحديد على أنه مكان تراثي على الرغم من عدم إدراكه لهذا التصنيف.¹

وعلى إثر هذا التصنيف تم تقديم تعريف للسياحة التراثية على أنه: " فرع من السياحة بحيث تعد الخصائص التراثية لموقع ما، هي الدافع الرئيس فيه لزيارة ذلك الموقع بحسب تصور السائح لتراثه." وعليه فإن " تجربة السياحة التراثية تشكل الناتج الرئيس للسياحة لأن الناس في النهاية يريدون الحصول على تجارب ممتعة في رحلتهم، وتجربة السياحة التراثية تتشكل داخل ما يطلق عليه (بيئة التراث التجريبية) إذ التجربة تتأثر وتتشكل من خلال مزيج من العناصر مثل العرض والطلب، وطبيعة المكان التراثي الذي تم الحفاظ

¹ تيموثي، دالين ج وبويد ستيفن. و، مرجع سابق، ص.7.

عليه وحمايته، والآثار التي يخلفها التراث داخل مناطق المقاصد السياحية وكيفية إدارة موارد التراث وجوانبه، وكيفية تفسيره وعرضه، فضلا عن الدور الذي تقوم به السياسة في تشكيل التجربة التراثية، وبما أن منتج السياحة التراثية هو من صنع السياحة، فإن واجهة التسويق وشكله يعد ميزة وسمة قوة من خلال خبرات السياح، إضافة إلى التجارب التي تتأثر أيضا بالعنصر الأساس للمنتج والنتائج¹. يشكل التراث إذا العصب النابض للسياحة التراثية خاصة إذا ما تم استغلاله بشكل مرشّد فسوف يحقق غايات اقتصادية واجتماعية وثقافية محققا بذلك الاستدامة للعناصر التراثية، وعليه وجب اتخاذ سياسة ترشيدية في استغلال التراث سياحيا، تعمل على تعزيزه وحمايته في ظل ظروف الاستهلاك السياحي.

3 - مستويات التراث²

إن التراث ليس متجانسا، بل يوجد على مستويات أو نطاقات مختلفة عالمية، وطنية، ومحلية وحتى شخصية.

أ- النطاق العالمي

لاحظ تيموثي أن مغريات التراث و جواذبه على النطاق العالمي تجذب أعدادا كبيرة من السياح من بلدان كثيرة، و بالنسبة لمعظم السياح الأجانب، فإن هذه المواقع تشكل جزءا صغيرا من مسار واسع النطاق بالرغم من أن هذا النوع من الجذب السياحي قد يثير مشاعر الاندهاش فإنه ليس بالضرورة أن يثير مشاعر الارتباط الشخصي له، فكثيرا من الزيارات إلى الآثار القديمة تكون بدافع من الاعتقاد بأن مثل هذه الأشياء مرتبطة بالماضي البعيد، و في الواقع بالنسبة لكثير من السياح فإن زيارة مواقع التراث العالمية تمثل تقديرا للحضارة العالمية وتحقيقا لدرجة معينة من الوحدة البشرية. وعلى هذا فإنه منذ بداية السبعينيات من القرن الماضي شوهد وعي بالموقع العالمية الذي تحول إلى اهتمام ثم تناوله في الكثير من المؤتمرات الدولية.

ب- النطاق الوطني

غدت بعض المعالم التراثية عبر الزمن رمزا لممتلكات المجتمع المشتركة فعلى سبيل المثال، يمثل جرس الحرية وقاعة الاستقلال في فيلا ديلفيا ومقبرة أرلنجتون الوطنية في فرجينيا للأمريكيين جواذب تراثية وطنية جماعية قد تثير مشاعر وطنية قوية، على هذا المستوى تمثل المعالم التاريخية رموزا وطنية عليا، وفخرا وطنيا يمكن أن يكون حافزا مهما للحفاظ على البيئة الصناعية في المجتمعات الغربية.

¹ تيموثي، دالين ج. وبويد ستيفن. و، المرجع السابق، ص. 8.

² تيموثي، دالين ج. وبويد ستيفن. و، المرجع السابق، ص 15، 16، 17، 18.

ت- النطاق المحلي

حيث لاحظ "لونثال"، على النطاق المحلي، أن المجتمعات المحلية تحتاج إلى معالم تراثية بارزة حتى تتمكن من البقاء على صلة بمخلفات الماضي الخاص بها، في عالم سريع التغير، وتقوم الكثير من المدن والبلدان والقرى بتقديم أقصى ما في وسعها للحفاظ على مباني التراث والمعالم القديمة، التي لا يمكن تأهيلها من خلال منح الصيانة لتصبح تحفا معمارية أو معالم تاريخية. فكثير من المعالم غير معروفة عالميا إلا أنها تجذب عددا من السياح من خارج البلاد إذا ما اقترنت ببعض الجواذب السياحية الأخرى، فهناك مواقع ذات شهرة محلية هذه الجواذب المحلية تحرك المشاعر وتسهم في تحقيق تجربة تراثية محلية.

ث- النطاق الشخصي

أكد "لونثال" أن التدمير الحديث للآثار التاريخية زاد من إحساس الناس بالحنين إلى الماضي فالبحث عن الجذور والهوية التاريخية وزيادة التقدير لثقافة الشخص تراث الأسرة هو دليل على هذه الظاهرة، ومن بين الأنواع الأربعة من التراث هنا، حظي التراث الشخصي بأقل قدرة من الاهتمام و لذلك فهو أقل فهما. حيث تظهر جوانب التراث الشخصي الأشخاص الذين لهم روابط عاطفية مع مكان معين، وتشمل تلك الجوانب أيضا التراث مصاحبة المسافر الذي ينتهي إلى مجموعات ذات اهتمام خاص، بما فيها المجموعات الدينية، والجماعات العرقية والمجموعات الوظيفية.

4-هدف الحفاظ على التراث

يهدف الحفاظ التاريخي إلى صيانة استمرارية كلا من المجتمع و الصورة التاريخية التي كونتها عناصره، فقد حدد "لينش" (Lynuch) إلى أن الحفاظ يهدف إلى تنمية إحساسا بالتاريخ و إثراء تصورنا للزمن كما فرق Apple yard بين الحفاظ السطحي و العميق، فالحفاظ السطحي يهدف إلى المظهر الخارجي و طابع المنطقة التاريخية و مظهرها في حين أن الحفاظ العميق يهدف إلى حفظ مباني المناطق الخارجية، و مكوناتها بالإضافة إلى تحسين البيئة الشاملة و الارتقاء بها و تنميتها.¹

ينقسم الحفاظ إلى مستويين²، و ذلك حسب المقياس و الهدف

- **الحفاظ المعماري:** وهو حماية المنشآت والمفردات ذات الخواص التاريخية أو الثقافية ... الخ وصيانتها وإصلاحها لإزالة التشويه الذي يعثرها نتيجة تغير البيئة العمرانية المحيطة.

¹ العيسوي، محمد عبد الفتاح أحمد، مرجع سابق، ص. 7.

² العيسوي، محمد عبد الفتاح أحمد، المرجع السابق، ص. 8.

- الحفاظ الحضري: ويعني الإدارة الواعية التي تحدد استراتيجيات رعاية وصيانة النسيج العمراني الحضري ذو الطابع التراثي والذي يتمثل في التشكيلات البنائية التراثية والفراغات الحضرية، و الساحات العامة و تنسيق المواقع و ذلك لضمان فعالية استمرارية استعمال النسيج الحضري الموروث. وتتعدد أهداف الحفاظ على النطاقات التراثية إلى:
- أهداف جمالية ورمزية: و تتمثل في:
- وقاية النطاقات التراثية من عوامل التدهور.
- الحفاظ على شخصية المدينة بمناطقها ومبانيها القديمة.
- إيجاد الحلول المناسبة للعلاقات التبادلية بين المباني التراثية والمعاصرة.
- الأهداف التاريخية و الثقافية: و تتمثل في:
- الحفاظ على الاستمرارية الحضارية بنقل المعاني الثقافية و الحضارية عبر الأجيال.
- عدم إحداث فجوة في استمرارية المدينة كشخصية متطورة و الحفاظ على التسلسل التاريخي لها.
- الحفاظ على نسيج عمراني متميز يمثل تراكمات الإبداع الإنساني عبر العصور.
- الأهداف الاقتصادية: و المتمثلة في:
- تنمية الموارد السياحية.
- توفير جزء من الموارد المالية اللازمة لتمويل برامج الحفاظ و الصيانة.
- إعادة الحياة للمباني التراثية.
- أما الأهداف الإجتماعية فهي:
- تنمية الوعي بأهمية الجذور التاريخية التراثية و الأسلوب الأمثل للتعامل معها.
- تطوير برامج المشاركة الشعبية و تشجيع الجهود الذاتية.

5- الموثيق و المؤسسات الدولية و دورها في الحفاظ على الموروث الثقافي¹

استدع الوعي بالتراث و الحفاظ عليه كونه العامل المشترك بين كافة الشعوب مع اختلافات حضاراتها، و تنوعت ثقافاتنا إلى انتهاج منهجيات للحفاظ على التراث بمختلف أنواعه و سن قوانين و موثيق و توصيات دولية أهمها:

¹ أبو ليلة، محمد شوقي، والبرقاوي، بديع بن علي، مرجع سابق، ص. 131، 132، 133.

أ- وثيقة آثينا 1931

وتعد أول ميثاق للتعامل مع التراث في المؤتمر الأول لاتحاد المعمارين و مرمي المباني الأثرية في 1931 و الذي عرف باسم ميثاق آثينا، و كان بداية التعاون الدولي حول مواقع التراث العالمي، حيث كان المفهوم الأساسي للحفاظ كان يدور بشكل عام حول " الحماية الدولية للمواقع التراثية والآثار "، أرسى سبعة مبادئ رئيسية تحدد أسس حماية التراث من الناحية الإدارية، و نادا ميثاق آثينا بضرورة إنشاء مؤسسة دولية تختص بترميم الآثار و الحفاظ عليها.

ب- معاهدة حماية التراث الحضاري 1954

جاءت هذه المعاهدة لحماية التراث الحضاري في الدول المختلفة في حالة العدوان أو الحرب والصادرة عن منظمة اليونسكو و من أهم توصياتها قيام الأمم المتحدة بحماية المباني التراثية للدول المختلفة حال الحرب و بضرورة إصدار القرارات اللازمة لذلك من إمكانية استخدام القوة العسكرية لإلزام الجهات المختلفة بالمعاهد إذ لزم الأمر.

ت- الميثاق العالمي للحفاظ و الترميم للمعالم و المواقع (ميثاق البندقية 1964)

قد شكلت وثيقة فينيسيا نقلة نموذجية بالتحول من المباني الأثرية إلى الأماكن التاريخية، و من التراث الملموس إلى التراث غير الملموس من خلال الوعي و الفهم الواسع لمجال الصيانة و الحفاظ مع التأكيد على أهمية الحفاظ عليها دون فصلها عن موقعها الأصلي إلا إذا كانت هذه هي الوسيلة الوحيدة لضمان و ليست المعالم ذات القيمة التاريخية الكبرى فقط.

ث- اتفاقية حماية التراث العالمي الثقافي و الطبيعي، باريس 1972

تطور مفهوم الحفاظ على التراث ليشمل التراث الثقافي و الطبيعي بحيث شمل التراث الثقافي (الآثار، المجتمعات، المواقع) في حين يشمل التراث الطبيعي المعالم الطبيعية، بتشكيلاتها الفيزيائية أو البيولوجية و التشكيلات الجيولوجية، و مواطن الأجناس الحيوانية أو النباتية المهددة بالانقراض .

ج- توصيات بودابست 1972

عرفت التوصيات إعادة الإحياء للمعالم التاريخية أو مجموعات المباني بأنها " إعادة إستعمالها و إضافة استعمالات جديدة لا تؤثر داخليا أو خارجيا على هيكلها أو خصائصها ".

ح- توصيات نيروبي 1976

حيث عرفت حماية المناطق التاريخية بأنها : " التجديد و الوقاية و الترميم و الصيانة و إعادة الإحياء للمناطق التاريخية أو التقليدية و بيئاتها و بذلك تتضمن الحماية كل طرق التدخل الممكنة في المناطق التاريخية "

خ- ميثاق بورا 1979

حيث أن هذه الوثيقة يمكن أن تطبق على مختلف الأماكن ذات الأهمية الثقافية بما يتضمن الأماكن أو المواقع الطبيعية و المحلية و التاريخية ذات القيمة الثقافية، هذه الوثيقة قد نقلت الاهتمام بعملية الإدارة من المحيط المبني إلى المواقع ذات القيمة الثقافية .

د- ميثاق أبلتون 1983

حيث حدد هذا الميثاق مستويات التدخل لإبقاء على التراث العمراني و منها الإبقاء على الشكل و الموارد الموجودة و وحدة المكان و الترميم و إعادة التأهيل و إعادة البناء و إعادة التطوير، كما أنه عرف الأنشطة اللازمة للحفاظ من صيانة و تثبيت و إزالة و إضافة .

ذ- ميثاق واشنطن للحفاظ على المدن و المناطق التاريخية 1987

جاء هذا الميثاق مكملاً لميثاق البندقية حيث يحدد الأسس و الأهداف و المنهجية و الأدوات التي تؤدي إلى الحفاظ على النوعية في المدن التاريخية بمكوناتها المادية و الروحية و المكونة لصورة المدينة و هويتها، كما أكد على عملية المشاركة السكانية في برنامج الحفاظ إذ أن أول اعتبار للحفاظ هو لسكانه، كما اعتبر أن تحسين المسكن يجب أن يكون أحد الأهداف الأساسية للحفاظ إضافة إلى أن سياسات التجديد الحضري يجب أن تحترم خصوصية المدن التاريخية .

ر- حلقة نقاش البرازيل 1987

حيث عرفت الإبقاء على المواقع التاريخية بأنها : " صيانتها و تحسينها للتعبير عن الماضي و تقوية الشعور بالمواطنة "

ز- الميثاق الدولي لإدارة التراث الأثري العام 1990

ركز هذا الميثاق بشكل أكبر على المنهجية التخطيطية مع ربطها بعمليات التنقيب و قدم الخطوات التوجيهية والمبادئ للقيام بعمليات إدارة و معالجة منفصلة وفقاً لنوع التراث المتبقي، ملموس (بني معمارية)، و غير ملموس (تقاليد حية) حيث تم تقسيم الملامح في مقدمة الميثاق إلى نوعين مختلفين : المكونات المادية للنسيج العمراني، و القسم التراثي الذي تشكله التقاليد الحية للسكان المحليين .

س- وثيقة نارا للأصالة 1994

عرفت الحفاظ بأنه " كل المجهودات المصممة لفهم التراث الثقافي و معرفة تاريخه، و تؤكد حماية موارده و أصوليتها و إظهاره و ترميمه و إثراءه .

ش- وثيقة بورا 1999

و هي الوثيقة النظرية الأساسية المستخدمة في الخطة العامة لإدارة المواقع الأثرية و لها ثلاث خطوط توجيهية مرتبطة ببعضها البعض و هي : سياسة الحفاظ على الأهمية الثقافية و الاجراءات المتخذة .

ص- اتفاقية الحفاظ على التراث غير الملموس - باريس 2003-

و شمل المصدر الثقافي غير الملموس وفقا لهذه الاتفاقية المواضيع التالية : التراث الشفهي و العبارات، و التي تتضمن اللغة كأداة للتراث الثقافي غير الملموس، الموسيقى، و فنون العزف، العادات الاجتماعية، أحداث تعبدية أو أعياد المعرفة و التعامل مع الطبيعة، و مع العالم، الحرف و المنتجات التقليدية .

ض- وثيقة دبي للحفاظ و الصيانة على المباني و المناطق التاريخية 2004

إن أهم ما يميز هذه الوثيقة، هو تحديدها للمصطلحات و التعاريف الخاصة بشكل دقيق و التي سوف يتم الاستناد عليها خلال عملية الحفاظ إضافة إلى تحديدها لسياسات و معايير التدخل بشكل واضح بما يضمن الحفاظ على الموقع التاريخي دون عزلة عن البيئة المعاصرة و يسهل العمل للقائمين على عملية الحفاظ، و عليه تعتبر هذه الوثيقة مرجعا هاما يلجأ إليه في إصدار وثائق مماثلة في المنطقة العربية تحترم طبيعة المنطقة و تاريخها الثقافي و الحضاري .

6- هيئات الحفاظ على التراث

سوف نستعرض بعض الهيئات الدولية المتعلقة بحماية التراث الثقافي العالمي منها :

أ- اليونيسكو:

منظمة الأمم المتحدة للتربية و العلم و الثقافة، تأسست منظمة اليونيسكو في نوفمبر عام 1945، وهي منظمة تعمل على إيجاد الشروط الملائمة لإطلاق حوار بين الحضارات و الثقافات و الشعوب على أساس احترام القيم المشتركة ليتمكن العالم من وضع رؤى كاملة للتنمية المستدامة تضمن حقوق الإنسان و الاحترام المتبادل و التخفيف من حدة الفقر و كلها قضايا تقع في صميم رسالة اليونيسكو و أنشطتها¹.

إن اليونيسكو منظمة دولية حكومية تأتي تحت مسمى منظمة الأمم المتحدة للتربية و العلوم و الثقافة (UNESCO) United Nations Educational Scientific and Cultural Organization، إذ تتبعها 191 دولة

¹ إبراهيم، محمد عباس، مرجع سابق، ص. 73.

مقرها الرئيسي في باريس و لها أكثر من 50 مكتب و عدة معاهد تدريسية حول العالم، وأيضا لها خمسة برامج أساسية هي التربية و التعليم، و العلوم الطبيعية، و العلوم الإنسانية و الاجتماعية والثقافية، والاتصالات و الاعلام، غير أن اليونيسكو تدعم الكثير من المشاريع منها محو الأمية و التدريب التقني و برامج تأهيل و تدريب المعلمين، و برامج العلوم العالمية، و المشاريع الثقافية و التاريخية، و كذا اتفاقيات التعاون العالمي للحفاظ على الحضارة العالمية و التراث الطبيعي، و حقوق الإنسان من أهم مهامها أيضا هو الاعلان عن قائمة مواقع التراث العالمي المختلفة و الهدف منها، هو حمايتها و إبقائها سليمة من خلال التعاون الدولي أيضا من مهامها - الدور الريادي لها في إطلاق المبادرات الدولية لحماية التراث و أهمها اتفاقية حماية التراث العالمي الثقافي و الطبيعي عام 1972¹ المشار إليها سابقا - و قد انبثق منه عدة هيئات و منظمات منها:

ب- المركز الدولي لدراسة صون و ترميم الممتلكات الثقافية (ايكروم)

INTERNATIONAL Centre for the Study of the preservation and Restoration of cultural property (ICCROM) منظمة حكومية دولية مكرسة للحفاظ على التراث العالمي و أعضائها من الدول و تعد الوحيدة عالميا من حيث تخصصها في حفظ جميع أنواع التراث الثقافي المنقول، و غير المنقول، ثم تأسيسها في مؤتمر اليونيسكو المنعقد في نيو ديلهي 1956 م و أعلن عن تأسيسها رسميا في روما عام 1959 م هدفها تحسين نوعية ممارسة الحفاظ على التراث من خلال البرامج التدريبية المتخصصة، و نشر المعلومات الجديدة من خلال الكتب و المجلات و التقارير العلمية المشتركة، و كذا المعايير و المواصفات الدولية للممارسة الجيدة في الحفاظ.²

وكل عام يقوم ICCROM بعمل دورات تستغرق من أربع إلى ستة أشهر بروما تخصص بالقواعد الأساسية للحفاظ "الحفاظ الخاص بالمباني و المواقع و الرسومات و كذلك دورات قصيرة المدة خاصة بمجال المتاحف، و كذلك يقوم بتدريبات في مناطق مختلفة من العالم تشمل برامج متنوعة مثل الخشب في النرويج و المعدن في فينيسيا و الطين اللين في بيرو و الرسومات في تايلاند و التحكم في الإضاءة و المناخ في متاحف لندن و برلين و لوس أنجلس و كراكاس"³

ت- الإيكوموس COMOS: International council on monuments and sites المجلس العالمي الخاص بالصرح و المواقع الأثرية و هو منظمة مهنية غير حكومية، تم إنشائها عام 1965 و ذلك بعد اعلان وثيقة فينيسيا بهدف نشر طرق و تقنيات عمليات الحفاظ حيث يقوم ICOMOS بتوفير لجنة للتراث العالمي تقوم بتقييم الممتلكات الثقافية التراثية و اقتراح مناقشتها على قائمة التراث العالمي، بالإضافة إلى

¹ الضبايعين، أشرف عبد الله (2012)، مواقع التراث الثقافي إدارة و سياحة و تسويق، الأردن، وزارة الثقافة، ص. 151، 152.

² المرجع السابق، ص 153.

³ إبراهيم، محمد عباس، مرجع سابق، ص. 74.

عمل دراسات مقارنة و تقديم معونة فنية و كذا تقارير عن كيفية حماية الممتلكات المكتوبة.¹ كما يقدم هذا المجلس توصيات لمنظمة اليونسكو عن مواقع التراث العالمي، و تضم هذه المنظمة أكثر من 7500 عضو بحيث يكون كل عضو مؤهل في مجال الحفاظ و المشاهد الطبيعية و العمارة، و علم الآثار و تخطيط المدن و التاريخ أي أن أعضائها من المهنيين و مقرها بباريس و شعارها الحصان المجنح.²

ث- الاتحاد الدولي لحماية الطبيعة IUCN The International union for conservation of nature
منظمة تأسست عام 1948 كأول منظمة في العالم لبحث التحديات البيئية العالمية و مراقبتها و إيجاد حلول واقعية و منطقية للمشاكل و التحديات البيئية الملحقة و من أعضائها حكومات و منظمات غير حكومية تضم علماء و مختصين، مهمتها المراقبة في الجمعية العامة للأمم المتحدة و كافة أجهزتها بما في ذلك اليونسكو مقرها سويسرا

ج- المجلس الدولي للمتاحف (إيكوم ICOM) The International Council of museums
هي منظمة دولية تتبع اليونسكو مقرها باريس تأسست عام 1946 على يد خبراء و أمناء متاحف تضم ما يقارب 30000 ألف عضو منهم ينحدرون من 137 دولة من العالم، و هدفها تطوير العمل المتحفي و مواجهة التحديات التي تواجه العاملين في هذا المجال.³

ح- اللجنة التنسيقية للتراث الثقافي والمناظر الطبيعية

Steering committee for cultural heritage and landscape (CDCPP)

منظمة تابعة للاتحاد الأوروبي، مسؤولة عن متابعة الاتفاقيات المتعلقة بالتراث و الترويج للمبادئ الواردة في الاتفاقية الإيطالية للاتحاد الأوروبي لقيم التراث الثقافية للمجتمع، و تأسست سنة 2005 من أبرز مهامها: إبراز القيم التراثية الثقافية الأوروبية مع تطوير و تحسين و حماية التراث، و تطبيق التعاون التقني و برنامج الاستشارة الخاصة بحماية ممتلكات التراث الثقافية .

خ- المجلس الأثري الأوروبي: Europe Archarological Council (EAC)

تم تأسيسه عام 1999 هدفه تقديم الدعم لإدارة التراث الأثري الأوروبي من خلال تقديم الدعم و الخدمات التقنية و الفنية للوكالات المتخصصة بإدارة التراث و الآثار الوطنية بحيث يكون الانتساب لها اختياري.⁴

د- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ألكسو)

The Arab langue Education , cultural and scientific

¹ إبراهيم، محمد عباس، المرجع السابق، ص. 74.

² أشرف الضبايعين (2020)، مرجع سابق، ص. 227.

³ الضبايعين، أشرف عبد الله (2012)، مرجع سابق، ص 156.

⁴ الضبايعين، أشرف (2020)، مرجع سابق، ج2، ص 225.

هي وكالة متخصصة تضم الدول العربية، مقرها تونس تعمل في نطاق جامعة الدول العربية، تهتم بالأساس بتطوير الأنشطة المتعلقة بمجالات التربية و الثقافة و العلوم على مستوى الوطن العربي، أُنشئت بموجب المادة الثالثة (03) من ميثاق الوحدة الثقافية العربية، وتم الاعلان عنها رسميا في القاهرة عام 1970.

ذ- المنظمة الإسلامية للتربية و العلوم الثقافية إيسيسكو:

ر- The islamic educational scient and eultual organization (ISESCO)

وهي بدورها وكالة متخصصة تضم الدول الإسلامية مقرها الرباط تعمل في نطاق منظمة المؤتمر الإسلامي وتعنى بتطوير الأنشطة المتعلقة بمجالات التربية والثقافة والعلوم ومستوى الدول الإسلامية وتنسيقها واوصى بتأسيسها مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية في السنغال عام 1978 وتبع صدور قرار تأسيسها عام 1979 في المغرب حيث أعلنت رسميا كإحدى منظمات المؤتمر في السعودية عام 1981¹.

اللجنة العلمية للإشراف على المواقع الأثرية إيكاهم

ز- Internuticonal committee ou archaeological heritage manayement (ICAHM)

وتلقب أيضا باللجنة العلمية الدولية في إدارة التراث الأثري، تأسست بعد تأسيس مركز التراث العالمي، وهي شريك مع إيكوموس (ICOMOS) ولجنة التراث العالمي في المسائل المتعلقة بإدارة المواقع الأثرية والمناظر الطبيعية، وهي تتفرد بنوعية أهدافها وسياساتها وتعاوناتها مع كل من المنظمات الدولية والوطنية والإقليمية وحتى المحلية في سبيل نشر وتطوير مواقع التراث الثقافي العالمية بفاعلية وكفاءة وإدارة الموارد وتطوير ممارسات المعايير الدولية، ومن أهم أهدافها نشر أفضل هذه المعايير والممارسات الخاصة بالبحوث الأثرية والثقافية وإدارة الموارد وتتعدى ولايتها المواقع العالمية إلى المواقع التي يراد إدراجها لاحقا أيضا، من مهامها تعزيز وتطوير شبكة علماء الآثار ومديري المواقع الأثرية المحترفين بغرض نقل المهارات النظرية والعلمية والعملية فيما بينهم، وكذا تشجيع المؤتمرات وورش العمل، كما تعمل على توفير أفضل الخبراء المؤهلين للتدقيق المكتبي والزيارات الميدانية للمواقع الثرية والتي تم ترشيحها للإدراج في قائمة التراث العالمي كما تسخير الخبراء والمؤهلين في إيكاهم بغرض رصد حالة المواقع الثرية لذات الغرض².

س- صندوق الصروح العالمي: Wollad monuments fund (WMF)

من أهم أهدافه الحفاظ على التراث المعماري والثقافي في العالم من خلال التركيز على المباني العظيمة والمواقع والمعالم الفريدة التي ترمز إلى تعابير فنية فريدة أو عهد عثماني مميز وذلك من خلال الدعم الفني

¹ الضبايعين، أشرف (2012)، مرجع سابق، ص. 145، 155.

² الضبايعين، أشرف (2020)، مرجع سابق، ص. 229.

والتقني للحفاظ على هذه المواقع ويتم ذلك من خلال الاتصال والمشاركة مع المجتمع المحلي، وأيضا من مهامه تدريب الحرفيين والمهنيين في مجال الفنون والأساليب الحديثة¹.

• ثانيا: الحمامات المعدنية وتجلياتها في الثقافة الجزائرية عبر العصور

ظل الحمام، أي حمام البخار، الذي يعتبر بحق معبد الاسترخاء، وعلى امتداد القرون، يشغل في منطقة شمال إفريقيا حيزا هاما من الحياة اليومية للسكان، فقد كان هذا المكان منذ العصور الغابرة رمزا لأكبر متعة ملموسة، ألا وهي متعة الاغتسال.² اليونانية والرومانية والتركية، ومع توسع الإسلام وخاصة في العصر الأموي في القرنين 12 و13م، قد رأت الحمامات النور في الأندلس وفي شمال إفريقيا، ومصر وإيران بحيث كان في بغداد 50بناية تمثل حمامات بينما كانت آلاف الحمامات في اسطنبول، ولقد اندمج الحمام بسرعة في مبادئ الدين الإسلامي التي توصي بالنظافة والاستحمام المنتظم (الوضوء) قبل أداء الصلوات.³ فكثيرا ما نجد الحمامات الطبيعية أو الحمامات المعدنية «LES STATIONS THERMALES»، تشيد خارج الحاضرة، لأنها في الأصل منبع طبيعي يتميز بمياهه الساخنة المعدنية ذات المزايا الصحية والعلاجية.⁴ والمحطات الحموية في الجزائر ليست ظاهرة الفترة المعاصرة واستعمال المياه الحارة يعود إلى عصور بعيدة.⁵ وجب أن نرجع ما يُقارب 2000 سنة إلى الوراء لإيجاد أصل الاستحمام بالمياه المعدنية، وذلك بالاستناد إلى الاستغلال اليوناني والروماني للحمامات.⁶

1- الحمامات المعدنية وممارساتها في الحضارة الإغريقية

يعد الحمام رافدة حضارية تعاقبت عليها الحضارات الإنسانية في جميع محطاتها وقد استلهم العرب فكرة الحمامات من الحضارة اليونانية والرومانية. حيث يرى مالك شبل: "أن فكرة الحمام هي إرث إغريقي... تطورت هندستها بتعاقب العصور حتى أخذت شكلها الداخلي في القرن الثامن، خصوصا في البلدان العربية".⁷ "وقد عرّف ابن خلدون تاريخ بلاد المغرب على أنه امتداد لتاريخ بلاد المشرق، وبالنظر إلى طبيعة العلاقات

¹ الضباعين، أشرف (2020)، مرجع سابق، ص.230.

² -كريم، فضيلة(2007)، الحمامات، موجز تاريخ الحمامات، ترجمة يوسفى حضرية، دار النشر دحلب، الجزائر، ص.9.

³ Seguy, G. (1887), Le bain maure « hammam », un an à Alger » –m-j Baudel 1887, la prostitution dans la ville d'Alger, E-A Duchesne 1853, P.27.

⁴ - بن عبد الله، زهية (2015)، الجسد و الجندر الحدائة ورهانات الزينة والتزيين دراسة سسيو-أنثروبولوجية لتمثلات وممارسات العناية الصحية والجمالية بالجسد في الجزائر، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم والأنثروبولوجيا، جامعة وهران2، كلية العلوم الاجتماعية، ص.80.

⁵ BOUDIA, F. M. (2009 SEP-OCT), « ENTRISE DE GGESTION TOURISTIQUE DE THEMCCEN : THERMALISME ET TOURISME DE Santé RETOUR AUT SOURCES ; ESCALE ; TOURISME MAGAZINE ;M20(P48-51)P ;48.

⁶ Thoulumas B. (2014), « le thermalisme au XXIE Siècle: quelles stratégies pour te Futur? », *la presse thermal et Climatique*, Société française de médecine thermale, p. 30.

⁷ Chebel, M. (2013), *L'imaginaire arabo-musulman*, ALGER, édition sedia, 2è édition, p.55

الاجتماعية، وبنية المجتمع في كافة البلدان الإسلامية، فإن كثيرا من المظاهر كانت تتشابه، ومنها صور المياه المتدفقة من العيون العمومية والنوافير المنتشرة في كل مدينة أو قرية".¹

"كانت النماذج الأولى من حمّامات البخار عبارة عن حجارة مسخّنة، يرمى بها في الماء البارد حيث يعود اكتشاف أنظمة صرف المياه المستعملة -وهي في الحقيقة أول نوع من القنوات المصنوعة من الطين المحيى- إلى ألفي سنة قبل مجيء الرومان، حيث تم العثور عليها بإحدى المواقع الأثرية الموجودة في بلاد الهند. في عهد الفراعنة طوّر المصريون القدامى النماذج الأولى من الحمّامات، فبدلا من القاعة الكبرى فظلوا إقامة حجرات صغيرة معزولة ومبنية بالحجارة".² "وسار الإغريق على تقليد حمّام البخار الذي وجدوه ملائما لقاعاتهم الرياضية، بل وعمدت النساء الإغريقيات إلى إضافة العطور، التي كانت شائعة آنذاك، في علاج بعض الأمراض والعناية بالبشرة".³ "وحسب ما ذكره هيرودوت أن حمّام البخار أي "الحمّام" كان معروفا منذ القرن الخامس قبل الميلاد،⁴ وعندما ظهرت الحمّامات العمومية الساخنة في "أثينا" لم تكن مفتوحة لعامة الناس، بل كانت حكرا على النخبة، ولم يكن مسموحا لأهل "سبرتا" بأخذ هذا النوع من المتعة إلا أنه مع مرور الوقت أصبحت ممارسات العناية بالجسد أمرا أكثر شعبية بين الإغريق. كان الناس يستحمون بالماء البارد من خلال الغطس أو عن طريق سكب الماء من الأعلى وذلك قبل أن يستساع الاستحمام بالماء الساخن، حيث كان الرجال والنساء يتواجدون تحت نواعير المياه المتدفقة عراة متجردين من ملابسهم بغية الاستحمام. وكان هذا الشكل من الاغتسال يعد ممارسة من الممارسات الجماعية داخل الحمّامات. حيث شكلت فوهات بعض التماثيل المجسدة لبعض الحيوانات المفترسة كالأسود والنمور والخنزير نقطة تدفق المياه، لتصب في أحواض كبيرة يمكن السباحة فيها".⁵

لم تقتصر أهمية الحمّام على النظافة فقط في الحياة اليومية للفرد البونيقي وذلك ما أوضحه موقع قرقوان التونسي الذي يعود تاريخه إلى 200 سنة قبل الميلاد، ففي هذه المدينة صممت المغاسل الفردية قباقيب إفرنجية وزوّدت بشبكة من القنوات أقل ما يقال عنها أنها كانت متطورة الصنع مقارنة بعصرها.⁶

¹ كريم، فضيلة، مرجع سابق، ص. 57.

² كريم، فضيلة، المرجع السابق، ص. 10.

³ كريم، فضيلة، المرجع السابق، ص. 10.

⁴ كريم، فضيلة، المرجع السابق، ص. 10.

⁵ بن عبد الله، زهية (2015)، "الجسد والعناية الصحية به في رحاب حضرات الماء: قراءة أنثروبولوجية لعادات الاغتسال في التراث المتوسطي"،

مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، العدد 18، مارس، ص. 91.

⁶ كريم، فضيلة، مرجع سابق، ص. 10.

2- الحمامات المعدنية وممارساتها في الحضارة الرومانية

تعتبر الحضارة الإغريقية الملهم الأساسي للحضارة الرومانية حيث أن هذه الأخيرة تشبعت بما خلفته الحضارة اليونانية وخاصة في مشيداتها المختلفة كالمعابد والقصور والمسارح والحمامات وغيرها .

إن الحمامات تعد من المباني التي تميز بها الرومان عن غيرهم ممن سبقوهم، حيث أنها لم تكن للاستحمام فقط بل كانت مركزا للتدريب الرياضي والاجتماعات العامة والخاصة والمحاضرات، وهي تشبه إلا حد ما الأندية الرياضية الحالية¹.

فقد اعتبرت عنصرا أساسيا من عناصر الحياة ودليلا حضاريا هاما، رجالا ونساء وأطفالا وشبابا كانوا يقضون ساعات طويلة في الحمامات يترضون، يستحمون، يتناقشون، يطالعون...فهي جاءت حصيلة تطور المؤشر الحضاري المرتبط بالصحة العامة وباللياقة البدنية. ونجد أن الرومان قد أخذوا عن اليونان كلمة " ترموس" Thermos والتي تعني حار وأطلقوها على الأماكن التي استخدمت للاستحمام والعناية بالجسد، وأولى الحمامات الرومانية تعود إلى القرن الثاني قبل الميلاد². لقد أدخل الرومان في خضم غزواتهم نضام الحمامات الجماعية أينما حلوا، بما في ذلك أصغر القرى، لاسيما في أرض مصر. فكما كان سائدا في عهد الإغريق، فقد تبنى الجنود والنساء القاعات الرياضية، ويذكر التاريخ أن الإمبراطور ماريوس فيليكس أوغوست والمسمى "كراكلا" السيئ السمعة وبفعل وحشيته، شرع في تشييد واحد من أعظم الحمامات العمومية في روما³. تعد حمامات كراكلا من أشهر الحمامات بناه الإمبراطور "سبتيم سيفر" عام 202 م وأتم بناؤه كراكلا عام 216م، كان مخصصا لخدمة 15000 زائر، وهو يشغل مساحة قدرها 25000 مترا مربعا، للمبنى الأساسي بجانب الفناء الخارجي ومجموعة الحدائق والملاعب وقاعات المطالعة⁴.

شهدت الحمامات الرومانية على عهد تراجان اختلاط الجنسين حيث كانت النساء يغتسلن بحرية تامة مع الرجال، أما من كانت تكره ذلك فعلمها الذهاب إلى تلك الخاصة بالنساء، و كان يسبق الاغتسال عادة أداء التمارين الرياضية مما جعل كثيرا من النساء يفضلن الذهاب إلى الحمامات المختلطة غير مباليات لما قد يثيره ذلك من شهات . حتى جاء الإمبراطور هادريان الذي منع رسميا اختلاط الجنسين في الحمامات العامة⁵.

¹ عبد الغني، ألفت(2013)، "العمارة الرومانية"، جامعة حلوان، كلية الهندسة -المصرية، قسم الهندسة المعمارية، تاريخ العمارة، الفرقة الأولى، ص.49.

² نخلة، منى يوسف (دس)، علم الآثار: في الوطن العربي "مدخل"، طرابلس، منشورات جروس برس ص.166، 165.

³ كريم، فضيلة، مرجع سابق، ص.13.

⁴ عبد الغني، ألفت، مرجع سابق، ص.50.

⁵ بوحدية، عبد الوهاب(2001)، الإسلام و الجنس، العروي، هالة، (ترجمة)، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط2، ص.234، 233.

إن هندسة الحمامات الرومانية، في العهد الروماني متشابهة في جميع المراحل والتفاصيل، مع وجود بعضاً من الاختلافات البسيطة في ما يخص الفروع والزينة، والذي كان نتيجة رغبة المهندسين في تطوير الحمامات وإبراز قدراتهم الفنية، وعموماً سواء كانت حمامات عامة أو خاصة فإن المستحم يقوم بخلع ثيابه في قاعة معدة خصيصاً لهذا الغرض تعرف بقاعة خلع الثياب، ثم يتم التوجه إلى القاعة الدافئة ومنها إلى قاعة ذات درجة حرارة مرتفعة من أجل التعرق، وبعدها إلى القاعة الساخنة التي تحوي أحواض مياه دافئة للاغتسال ومنها العودة إلى القاعة الدافئة ثم إلى القاعة الباردة والتي تحتوي هي الأخرى على أحواض مائية باردة¹.

نجد أن قاعة خلع الثياب تسمى Apodyterium، والقاعة الباردة Frigidarium، والقاعة الدافئة Tepidarium، وقاعة التعرق Laconicum، وأخيراً القاعة الساخنة وتدعى Caldarium².

عرف إذن الرومان كيف يستعملوا المياه الحارة ولو بصفة بدائية خالية من الأسس العلمية لكن هم أول من برهن على محاسنها العلاجية، فمن خلال أعمارهم (الرومان) لمناطق شمال إفريقيا اكتشفوا نقاطاً لظهور مصادر المياه الحارة حيث أقاموا حولها بنايات تتضمن قاعات للمياه الفاترة وقاعات حمام بها بخار حراري³. وهذا ما تأكده الآثار التي وجدت في المحطات المائية المعدنية إذ هي تعود إلى الفترة الرومانية لقد كان الرومان يولون أهمية خاصة للمصادر المائية المعدنية الحارة وعادة ما كانوا يبنون حولها مواقعهم كما هو الحال بالنسبة لحمام ريفعة وحمام بوحنيفية، وحمام المسخوطين⁴.

لقد وجد الرومان في الجزائر، الغنية بثروة مائية هائلة وبالأخص في ينابيعها الكثيرة، ما يستجيب لرغبتهم في الاستحمام الذي يولونه اهتماماً كبيراً، ذلك أن هذه التقاليد الضاربة جذورها في التاريخ والتي تعود في أصلها إلى عهود الوثنية تقترن في حقيقة الأمر بعادات خاصة⁵.

على غرار المدن الساحلية الأخرى في الجزائر تتمثل الجزائر العاصمة المدينة الفاتنة، أو دار السلطان، كما سماها العثمانيون، في هضبة خضراء اشتهرت بغطاء نباتي كثيف⁶. كما كانت الأراضي

¹ بن زيتون، حورية وحاجي، ياسين رايح (2014)، *الأبرشيات في مقاطعة نوميديا في الفترة المسيحية القديمة*، المشروع الوطني للبحث (PNR)، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرعاية، ص.96.

² بن زيتون، حورية وحاجي، ياسين رايح، المرجع السابق، ص.96.

³ BOUDIA, F. M, op, cit, P.48.

⁴ -OUALI, S(2008/JUIN) « LES SOURCES THERMALES EN Algérie » ;CDER CENTRE DE Développement DES Energies renouvelables. Bulletin des 7negies renouvelables. Semestriel n13. (p16-18).p16.

⁵ كريم، فضيلة، مرجع سابق، ص.33.

⁶ كريم، فضيلة، المرجع السابق، ص.34.

الخصبة تحيط «بيونة» أو عناية وتبسط تلالها المكسوة بالغابات الكثيفة غابات الفلين والعناب والزيتون، وسهولها التي اشتهرت بكونها أخصب مناطق البلاد. وإن أهمية هذه المدينة تنبع من أهمية تجارتها البحرية، حيث كانت منابع المياه الساخنة والمساحات الغابية التي تميز منطقة عنابة وضواحيها، مدعاة لإقبال الجيوش الرومانية عليها حرصت على تغطية أرضيتها بالفسيفساء.¹ ولعل وجود ثلاث نصب تذكارية صغيرة في حمام المسخوطين يعود إلى الفترة البونية، وموريتانيا القيصرية، بنيت ثمانية (08) مدن حول المصادر المائية حمام ريغة في موريتانيا القيصرية، وموريتانيا السطائفية وحمام بوحنيفية وحمام المسخوطين.²

فلا يوجد إذن أي مكان لا توجد فيه آثار الاحتلال الروماني للأماكن والذين كانوا مهندسين مهرة وبنائون كبار وحمام بوحجر لم يكن إلا مركزا عسكريا هدفه الأول هو مراقبة وأمن القوافل الرومانية على المحور الكبير (portus-Magnus-albulie)

حيث بين الكشف الذي قام به «demaeght» الميزة الهامة لهذه الطرقات الكبيرة التي أنجزت من أجل الدخول إلى البلاد واستعمارها. وكان قبل الرومان الفينيقيون وحدهم هم الذين استقروا في منطقة بني صفيان فحققوا تغلغلا اقتصاديا باتجاه منطقة تيموشنت للمتاجرة مع البربر الذين كانوا يخيمون بواد سنان.³ لقد عرف حمام بوحجر 200 سنة من الهيمنة الرومانية التي استغلت مياهه المعدنية.⁴

3- الحمامات المعدنية وممارساتها في الثقافة الإسلامية

إن الحضارة العربية التي قامت على أنقاض الإمبراطورية الرومانية، عملت على إدماج الحمامات الرومانية ووظيفتها لأداء خدمات جديدة.⁵ فقد عرفت البلاد العربية الحمامات منذ الأيام الأولى للفتوحات الإسلامية في بلاد الشام والعراق، وفارس ومصر فأقيمت في العواصم والحواضر وعلى طرق القوافل للطهارة، و الاغتسال من الجنابة قبل الصلاة. فما ورد عن حديث الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «إنها ستفتح لكم أرض العجم وستجدون فيها بيوتا يقال لها الحمامات، فلا يدخلها الرجال إلا بإزار و امنعوا النساء إلا مريضة أو النفساء»⁶. ولا يتوقف على الحمام أنه تراث معماري فحسب، بل أنه يحمل جملة من

¹ كريم، فضيلة، المرجع السابق، ص.35.

² Boughlali, M. (2003), « THERMALISME ET THALASSOTHERAPIE EN ALGERIE », société française d'hydrologie et de climatologie médicales, *presse therm climat*, (p161-165), p.161.

³ Émile G. P. (1988), A la recherche de hammam –Bou- hadjar :extrait de hammam Bou -hadjar ,petite chronique de mon village algérien , édition trenscomp ,Montpellier ,p.2.

⁴ -IBID ,p.1.

⁵ بوحدية، عبد الوهاب، مرجع سابق، ص.233.

⁶ الحجازي، مشهور عبد الرحمان (2011)، "شعر وصف الحمامات في القرنين السادس والسابع الهجريين دراسة موضوعية"، مجلة جامعة دمشق، المجلد 27، العدد الثالث والرابع، (ص115-155)، ص.117.

التصورات إذ أنه التقاء مع الجسد و طقوس العناية به و تخليصه من الأدران، كما أنه فضاء لنسج العلاقات الاجتماعية، في حين ذلك أنه نقطة مشتركة، لالتقاء الديني مع الدنيوي، أو بما يعرف بالطهارة من النجاسة في خصم هذا فالحمام تحاك حوله جملة من العادات و التقاليد و الطقوس التي تنبع من رحم الثقافة الأم . والتراث اللاملوس يستمر ببقاء هذا المعلم الأثري و الحضاري. فظاهرة انتشار الحمامات العامة هي ظاهرة حضارية عامة تنطوي على مفهوم عميق للجسد لكل من الذكر والأنثى وما مدى عناية كل منهما بالشؤون الصحية والجمال الفيزيولوجي، وهي أمور ترتبط إجمالاً بالناحية الثقافية و ليست مجرد أخذ غطسة سريعة أو القيام ببعض الشعائر ثم الانصراف بل على العكس تماماً فالحمام كان مكاناً لقضاء ساعات طويلة يخصص لها الجانبان وقت معيناً في كل أسبوع¹. يدخل إذن الحمام حيز التراث الثقافي بامتياز كونه مؤسسة اجتماعية و ثقافية فاعلة في المجتمع كما أنها منشأة تم توارثها عن حضارات مضت و الحفاظ عليها (المنشأة) يعد حفاظاً على التراث الثقافي للأمة. لذا سعت العديد من الدول و خاصة منها التي تقع على ضفاف حوض البحر المتوسط بالسعي إلى المحافظة على هذا التراث الثقافي (الحمام) من الزوال لأنه يحمل في طياته ذاكرة جماعية لحضارات إنسانية متعددة. ففي إطار مشروع الحمام (2005-2008) الذي يختص بدراسة و تحليل وضع الحمامات التقليدية الواقعة على ضفاف حوض البحر الأبيض المتوسط تمت دراسة خمس حمامات وفق تخصصات متعددة في إطار النظام القانوني للحماية و هي على التوالي : حمام الطنبلي - مصر و الذي يعد تراث عالمي و حمام سنجول - تركيا - ، و حمام صفارين بالمغرب أيضاً تراث عالمي و حمام أمونه بدمشق و حمام سوق الغزل بالجزائر، هذه الحمامات التقليدية تدخل في حيز التراث الثقافي و غيرها من الحمامات في العديد من دول العالم مهددة بالضيق لذلك اتخذت تدابير قانونية لصيانة و حماية هذا التراث الثقافي².

فعلى إثر الانتشار السريع للحضارة الإسلامية احتل الحمام في المنظومة العائلية مكانة لا تقل أهميتها عن مكانة بناء المنزل نفسه، وكان تشييد الحمامات يتوقف على المصدر المائي المتوفر بالمنزل. و الماء في الدين الإسلامي كان منذ البداية رمز للحياة و الطهر المطلق، فهو الطاهر و المطهر في نفس الوقت³.

لقد أخذ العرب المسلمون الحمامات من البيزنطيين لكنهم لم يقصروها على الحكام و الأثرياء و الميسورين كما كان لدى العجم بل حولوها إلى مكان شعبي يدخله خاصة الناس و عامته على حد سواء و بدلاً أن كانت عند العجم وسيلة للهو و الترفيه و المتعة فإنها جعلت حاجة عامة للمسلمين و تساهم في مساعدتهم على

¹ بوحدية، عبد الوهاب، مرجع سابق، ص. 234.

² العبشي، علاء(2014)، "الحمامات التاريخية بين الحماية وإعادة التأهيل"، مجلة إنسانيات، السنة الثامنة عشرة - عدد مزدوج 63-64، وهران، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية جانفي- جوان، ص. 12، 13.

³ كريم، فضيلة، مرجع سابق، ص. 17.

القيام بواجباتهم الدينية¹. كان في المدن الأندلسية الأهلة بالسكان عددا كبيرا حيث اشتمل كل حي على حمام على الأقل، إن لم يكن أكثر و حتى في الأماكن القليلة للسكان أما المنازل المهمة و القصور فكانت لها حماماتها الخاصة على طراز الحمامات العامة و لو أصغر منها بوجه عام فكانت قرطبة تحوز على ثلاثمائة حمام و ستمائة في عصر المنصور ابن أبي عامر و ذلك ابتداء من دخول المسلمين إلى الأندلس². فيتضح من هذا أن العرب المسلمين في الجزيرة العربية عرفوا الحمامات بمجرد فتح أرض العجم إذ كانت معروفة لديهم لما كان لديهم من حضارة و مدينة و استقرار و وفرة مياه.

و بلغت في القرن العاشر الميلادي تسعمائة حمام في حين ذكر أبو بطوطة في رحلة له لمدينة بغداد و حماماتها التي وصل عددها إلى ألفي حمام و التي كانت جدران بعضها مغطاة بمادة سوداء تعرف اليوم باسم الإسفلت واشتهرت حمامات مصر بكونها أفخر حمامات المشرق و أجملها و التي أعطت وجهها متميزا لدور الحمامات العمومية³ و قد ذكر أن أول من بني الحمامات بالقاهرة هو العزيز بن عبد الله نزار بن المعز لدين الله، حيث بلغ ألف و مئة و سبعون حمام في العهد الفاطمي بمدينة الفسطاط بمصر في سنة (996/ 336)، أما في سنة (1286/685) كان ما يقرب من ثمانين حماما. في حين كان في دمشق ما يقرب مئة حمام و أربعون دار للوضوء يجري فيها الماء و في حلب ذكر ابن شداد أنه كان فيها سنة 657/ 1258). نحو مئة و ستة وتسعين حماما منها العام و الخاص⁴.

وعلى إثر الانتشار الواسع للحمامات في البلاد الإسلامية أصبح الحمام ضرورة اجتماعية لا يستغني عنها الأفراد في حياتهم اليومية، و ذلك فقد برزت أنواع عديدة من الحمامات و تعددت حسب طبيعة المترددين عليها.

- **الحمامات العامة**:⁵ و هي التي يرتادها عامة الناس و كانت تبني في الأسواق العامة و الحارات و البساتين، و بعضها كان خاص بالرجال و آخر خاص بالنساء. و آخر يخص أوائل النهار و بالتعاقب بين الرجال و النساء، مثل: حمام خوند بالقاهرة.
- **الحمامات الخاصة**: و كان ينشئها الخلفاء و السلاطين و الأمراء و الأثرياء في قصورهم و بيوتهم الضخمة، و كانت تبني بعناية و شدة في الإتقان.

¹ الحيازي، مشهور عبد الرحمان، مرجع سابق، ص. 117، 118.

² الفضلي، مثنى فليفل والنقيب، سلمان وسمارة، عبد الرسول (2012). "الخدمات العامة في الأندلس (92-316هـ)/(709-929هـ)"، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد، قسم التاريخ. الفضلي، مثنى فليفل سلمان، النقيب، سمارة عبد الرسول، مرجع سابق، ص. 532.

³ كريم، فضيلة، مرجع سابق، ص. 17.

⁴ الحيازي، مشهور عبد الرحمان، مرجع سابق، ص. 119.

⁵ الحيازي، مشهور عبد الرحمان، المرجع السابق، ص. 120، 119.

- الحمامات الوقفية: كان ينشئها الخلفاء و السلاطين و الأثرياء، و الأمراء و أوقفوها على فئة من الناس مثل ذلك حمام صوفية بالقاهرة الذي بناه صلاح الدين الأيوبي، و أوقفه على صوفية الحانقات الصلاحية المسماة سعيد السعداد و منع اليهود و النصارى من دخوله.
 - حمامات أهل الذمة: كان أهل الذمة في أول الأمر يدخلون حمامات المسلمين على أن يضع النصارى في أعناقهم الصلبان، و اليهود الجلاجل، في القرن السادس أفردت لهم الحمامات، وقد منعوا في عهد صلاح الدين الأيوبي من دخول الحمامات الوقفية في حين يسمح لهم دخول الحمامات العامة.
- و لقد تعنى العديد من شعراء العرب المسلمين بالحمام و منافهه و آدابه. فجاء الشاعر أحمد بن محمد الهيمي الكوكباني في كتابه حدائق الحمّام في الكلام ألا ما يتعلق بالحمّام¹:

صاح إن كنت تطلب الأنعاما	فاكها فيه فألزم الحمامات
نعمة تنقضي سريعا كالف	يوم نالوا ذلك النعيم مناما
فنعيم الحمام أضحى يسيرا	و عذاب الجحيم كان غراما
سر فيها المقام و النار ساءت	مستقر [كذا] لهم و ساءت مقاما
قم و بادر إلى دخول مباح	لست عند البدار تلقى أثاما
إن صحب الرسول قد دخلوه	فأقف فيما ذكرت قوما كراما
و تستر و غض طرفك عن عو	رات قوم لا يخشون ملاما
و انهم ما استطعت فالنهي قرض	لازم طاب للعنيف التزاما
و ليكن قصدك الطهارة للفرض	و قد قمت للصلاة قياما
و تجنب بين العشاءين أو وقد	ت غروب يدني إليك ظلاما
لا تسلم على النزيل و عاقب	فيه بالصمت من أرد سلاما
و استعذ بالإله جل من الش	يطان واحفظ مهما استطعت كلاما
و اترك الدرس فيه للذكر فالقرأ	ن يعلو قدرا و يعلو مقاما

¹ Bakhouch ,M (2009), « La Poésie Relative au hammam dans hada'iq al-namman fi l-kalam ala ma yata allaq bi-l-hammam de ahmad b.muhammad al-haymi al-kawkabani m.1153-1741 les personnages »,Hal Id :halshs-00402303 ,7 jul 2009 ,P.2 ,3.

و تذكر بحره حر نار	قد غدا لفحها عذابا دواما
و اقتصد عن صبك الماء سخنا	و تجنب في الصدر منه زحاما
و اجتنبه في الامتلاء و عند الجوع	يوما إذا فقدت طعاما
لا تجامع فيه و لا تتقيا	فالتقيؤ قد يصحب الأسقاما
لا تفرط في اللبث فيه و لا تف	رط و حاذر ما يجلب الآلاما
بليكن لبثك المقدر فيه	بين هذا و بين ذاك قواما
و استرح ساعة بمسلخه الوثق	إن ما وافيت منه تماما
و اجعل الطيب و النزول بروض	وارف للنعيم منه ختاما

لقد كان العرب يعطون أهمية لنظافة الجسد، فأعادوا العلاقة مع مصادر المياه المعدنية دون أن يجعلوا منها إطار حياة مثل الرومان، فالحمام هو تسمية لمجموعة المصادر المائية التي كان الناس يترددون عليها، العين هي اسم المصدر المائي، عين مالحة عين كبريت... الخ.¹ فاستغل العرب هذه المصادر المائية الحارة، حتى صارت تحمل أسماء الأولياء الصالحين الذين سكنوا المنطقة مثل حمام بوحجر الذي يعود اسمه إلى الولي «سيد أحمد بوحجر» الذي عاش في قبيلة أولاد بوحجر والذي يقع ضريحه جنوب شرق حمام بوحجر.²

كان في حي بوانت بيسكاد، في حدود القرن السادس عشر الميلادي، يحمل اسم الولي الصالح سيدي يعقوب الإدريسي، وهو مهاجر موريسكي، قدم من إسبانيا لاجئا، كان رجلا تقيا ومحترما، لذلك ظل قبره (وهو ضريح على شكل قبة محاطة بأشجار الزيتون)، مزارا لا ينقطع عنه الناس، وعلى مسافة من هذا الضريح، كان يوجد ينبوع "عين بني مناد" الذي تنطلق منه الكثير من الجداول المناسبة من أعلى الصخرة، يحمل موقعها الاسم نفسه أي بني مناد.³

كانت تتفجر سبعة ينابيع طبيعية من هذه العين الحلوة، حيث كل منها يحمل اسم مختلف عن الآخر "العين البيضة" و "العين الخضرة" و "العين الصفرة" و "العين الحمرة" و "العين الكحلة" و "عين لون الفول" و "عين

¹ Boughlali, M., op.cit.,p1612.

² Ouali, s., op.cit.,p16.

³ كريم، فضيلة، مرجع سابق، ص.34.

ولد السرغو " (عين الرجل الأزرق) وفي المجموع كانت الزمورة الخضراء تتباهى بمئة وخمسين عينا، وكان مزارا المرابط الولي الصالح يشكل نقطة التقاء الجزائريين المسلمين واليهود -الذين يشتركون في إحياء جملة من الطقوس الشبيهة بطقوس القرابين الوثنية، حيث يتجمع هؤلاء في شكل حلقة حول القبة، ثم يقومون بحرق البخور.¹

ممارسة الحموية تعود إلى العصور القديمة، حيث أثار تعود لهذه العصور تكشف عن وجود تقاليد حموية جزائرية جد بعيدة، وحين مجيء الإسلام في القرون الوسطى لم يضع حدًا لوجود مثل هذه الممارسة الاجتماعية، بل حدثت ابتكارات جديدة، إذا أصبحت حمامات المدن الجزائرية مختلفة عن الحمامات القديمة، وذلك من حيث الحجم والتنظيم المكاني، وأيضا في علاقتها القوية مع النسيج العمراني.²

4-الحمامات المعدنية وممارساتها في الثقافة العثمانية

لم تتخل تركيا العثمانية عن التقاليد القديمة المتمثلة في الحمامات التي بناها الروم، (البيزنطيين). وقد ذكر " تورنوفور " De Tournefort في كتابه أن نظافة المرأة التركية، التي كانت تستحم مرتين في الأسبوع كانت تشكل جزءا من مهمة العناية الصحية. و استعمال الحمام عند العثمانيين كان سلوكا متجذرا في حياة الناس اليومية و كان يختار له وسط الحي أي مركز جميع النشاطات و بعيدا عن استبداد الحكام. وكان بناء الحمامات رغبة من العثمانيين في تشاركتها مع أهل المدينة و ما لها من فوائد اجتماعية و نفعية.³ ولقد أكد ويليام سبنسر بقوله: " لقد بنيت حمامات واسعة من طرف حسن باشا، و محمد بن صالح رايس قائد البحرية الجزائرية الكبير، و جهزت بالماء الساخن و البارد و كانت تضاهي أحسن الحمامات في القسطنطينية، و منه يتضح أن حمامات الجزائر في هذه الفترة أصبحت على نسق حمامات العاصمة بتركيا، و قد كثرت الحمامات في هذه الفترة . فحسب قول وليم سبنسر نقلا عن نيكولاي في وصفه الجزائر "توجد من وراء البلاط الملكي بيوت رائعة تعود ملكيتها للخوادم من الرجال و إلى جانبها عدد كبير من الحمامات، و نقل هاديوا أنها بلغت الستين حماما⁴. و من بين الحمامات التي شيدت في عز حكم الإمبراطورية العثمانية و هو حمام الباي، الواقع في كاتافيج المسيحي الواقع بميناء تسالونيكى اليوناني . و الذي أطلق عليه في ما بعد اسم " الجنة" و الذي شرع

¹ -كريم، فضيلة، المرجع السابق، ص.34.

² Bella , S. (2018), « le voyage à Alger dous les gvides touristiques francais au XXe siècle », *Diacronie studidi di storia contemporauera*, N 36, 4 , [en ligne], p.13.

³ كريم، فضيلة، مرجع سابق، ص. 41.

⁴ بن حمو، محمد (2013)، "خصائص الحمامات العثمانية في الجزائر من خلال نماذج مقارنة بالحمامات المرابطية و المرنية"، *دورية كان التاريخية*، العدد العشرون، يوني، السنة الخامسة شتاء، (ص.150-157)، ص.32.

في بنائه السلطان مراد الثاني (1421-1451) و الذي لم تنتهي أشغاله إلا في عام 1444 م و الذي ظل محل استفادة طيلة قرون بأكملها¹.

لقد لعب الأتراك دورا مهما فيما يخص النظافة العمومية خصوصا في المدن الكبرى، حيث بمساعدة الأندلسيين الذين كان لهم باع طويل في تقنيات تصريف المياه و إنشاء الجسور المائية . طور الجوانب الصحية للحياة ففي الجزائر مثلا، قد كانت نظافة المدينة من مهام هيئة خاصة يترأسها " قائد الزبل" و التي كان من واجبها جمع النفايات المنزلية، و صيانة قنوات تصريف المياه المستعملة و في ما يخص الحمامات فقد كانت جزائر الوسط وحدها تحتوي على ستون حمام تركي، و كانت حمامات تلمسان و قسنطينة أكثر شهرة. إذ تؤكد " نبيلة شريف سفاج " على هذا الازدهار قائلة: " من القرن التاسع عشر اشتهرت مدينة الجزائر بعدد حماماتها و بكفاءة نظامها في الري و تعبئ مسالك تزويد المدينة بالماء"².

و قد وجد في الجزائر في العهد التركي مثلا لا الحصر. حمام كوسى قرب الجامع الأعظم و حماما آخر بناه الداوي مصطفى باشا بالقرب من قصره و الواقع بالقصبة السفلي قرب جامع كتشاوة و المعروف بحمام سيدنا³. خلال الحكم السلجوقي لمنطقة الأناضول بعد القرن الحادي عشر ميلادي . ظهر العديد من المنشآت الدينية الإسلامية و المباني ذات الطابع الاقتصادي و التي رافقت الحركة التجارية المزدهرة بين المدن في المنطقة و ظهرت الأحياء خارج القلاع و المدن القديمة. حيث نجد في كل حي أو محلة مسجد و حمام و محلات و سوق صغير، و تابع العثمانيون النهج السلجوقي فيما يخص إنشاء المباني ذات المنفعة العامة سواء الاجتماعية أو الصحية، و ذلك ضمن نظام الوقف الذي يعتمد على التكافل الاجتماعي و التبرعات لصالح المصلحة العامة. انتقلت مدينة بورصة من الحكم البيزنطي إلى الحكم التركي خلال القرن الرابع عشر، و بهذا ورث الأتراك الحمامات البيزنطية و قاموا ببناء حماماتهم بالاستعانة بالبنائين البيزنطيين، و بعد أن أصبحت اسطنبول عاصمة العثمانيين أضافوا عناصر معمارية خاصة بهم و انتشرت بعدها في كامل الإمبراطورية، كما اشتهرت بورصة العاصمة بمياهها المعدنية و بحماماتها⁴.

إن العديد من الحمامات في اسطنبول تابعة للوقف . و غالبا ما تكون تنتظم حول الجامع الكبير ضمن مجموعة من المرافق الخدمائية (دار القرآن، و دار الحديث، المدارس الدينية، المستوصف المطبخ

¹ كريم، فضيلة، مرجع سابق، ص. 41

² بن عبد الله، زهية (2015)، مرجع سابق، ص. 96.

³ الزين، محمد (2012)، " نظرة على الأحوال الصحية بالجزائر العثمانية في أواخر عصر الدايات"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 17، قسم التاريخ جامعة الجيلالي الياابس سيدي بلعباس، (ص.129-135)، ص. 133

⁴ رفعت، رولى أبو خاطر (2014)، "الحمامات التقليدية ضمن النسيج العمراني للمدينة الإسلامية دراسة مقارنة في عدة مدن متوسطية"، مجلة إنسانيات، عدد مزدوج 63-64، وهران، جانفي- جوان، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، (ص.67-96)، ص.71، 70.

العام الذي يقدم الحساء، وأضف لذلك الحمامات، كانت هذه المجمعات تعبيرا عن اهتمام الطبقة الحاكمة بالرعية و كانت وسيلة رمزية لنشر السلطة من خلال الدعم الاجتماعي والاقتصادي¹.

لقد حدد المناوي شروطا أساسية يقوم عليها تصميم الحمامات الإسلامية من أهمها²:

- أن يشتمل الحمام على هواء و ماء حارين

- أن تتوفر بالحمام من الداخل - رغم الهواء و الماء الحارين و الذي تنتج عنهما نسبة رطوبة عالية نتيجة بخار الماء بكثافة - فرصة جيدة للتنفس الصحيح فلا يحدث غثيان أو إغماء

- ألا يتسرب إلى داخل الحمام أي دخان من الدخان الذي يصدر عن المستوقد الذي يلحق بالحمام لتسخين الماء و الهواء أو غيرها من المصادر الأخرى إن وجدت.

- ألا تتعرض الوحدات الداخلية للحمام لتيارات الهواء البارد التي تؤثر سلبا على المستحمين فيتعرضوا للأمراض الناتجة لهذه التيارات .

- الاهتمام بتوفير المقومات الجمالية التي تساعد على الراحة النفسية لجموع المستحمين في كل وحدات الحمام.

- تلبية ما يحقق الخصوصية لبعض الفئات في ظروف معينة كحالات المرض المعوق و إخلاف الديانات لمستخدمي الحمام و بخاصة في حمامات النساء أو الحمامات التي تخصص في بعض الأيام للنساء و في أيام أخرى للرجال، الحمام في صورته العامة هو صياغة مكانية فراغية و تشكيلية نشأ استجابة لاحتياج جماعي و تشكل خلال نسق حدثي متكرر، استوعبه إطار مؤسسي عبر قضية معرفية نوعية .

لقد جسد معمار الحمامات في العصور الإسلامية عامة و العثمانية خاصة . هذه الشروط التي حددها المناوي و التي رأى وجوب توفرها في عمارة الحمامات³ . و قصر الداوي أحد النماذج التي تشبه الحمامات الموجودة بالمدينة إلا أنه أصغر حجما منها، فالحمامات العثمانية مبنية على طراز واحد . فنجد أول غرفة صغيرة مؤنثة مخصصة لنزع الثياب، و أخرى دافئة يجلس المستحم فيها لأجل التعرق و تليها غرفة حارة (الساخنة) لأجل التنظيف بشكل جيد و التدليك، فحمام الداوي مزخرف بالمرمر و مزين بالأجور

¹ رفعت، رولى أبو خاطر، المرجع السابق، ص.71.

² عثمان، محمد عبد الستار، (2001)، "فقه الحمامات في العصر العثماني، دراسة تطبيقية على ثلاثة من الحمامات في صعيد مصر"، التميمي، عبد الجليل (إشراف و تقديم)، التأثيرات الأوربية على العمارة العثمانية وآليات الحفظ و الترميم، زغوان، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي و المعلومات، أوت، (ص.277-344)، ص.280.

³ عثمان، محمد عبد الستار، المرجع السابق، ص.281.

المستورد من جنوة، و تعلوه قبة بها نوافذ، و ثقوب صغيرة تسمح بتسرب ضوء النهار و الهواء، هنا حسب وصف كاثيكارت الأمريكي الأسير في قصر الداوي يضيف قائلا: أن الحمامات في هذه الأيالة بل وفي جميع بلاد المغرب بنيت على أساس نفس القواعد و المبادئ وهي كلها مزخرفة بدرجات متفاوتة¹. و يضيف وليام سبنسر، فيقول: كانت بناياتها واسعة و نظيفة مضاءة من السقف و مجهزة بالماء البارد و المسخن، يدخل المستحم فيدفع أجره بورقتين اثنتين ثم يضع ثيابه في غرفة خارجية واسعة، ثم يمر عاريا إلى حجرة أخرى عريضة قد قسمت إلى مكعبات تتسع كل منها (من 10 إلى 12) شخص، و في كل مكعب يمر الماء عبر أنابيب البرونز المقامة على الجدار لسحابات البخار الساخن المعبأ بالرائحة الزكية².

كان الأتراك أيضا من هواة الحمامات الحارة حيث بنو العديد منها في المدن بأنظمة تسمح بتخزين مياه المنبع المائي الحار³. فمنحوها تلك الجاذبية، في مدينة الجزائر كان يتجاوز 50 حمام في العهد التركي⁴. لكن في منطقة القبائل والمناطق المعزولة وبالرغم من التواجد العثماني، وتأثير العمال الموسميين المتبردين عليها من المدن الكبرى فإن مفهوم الحمام لم يستطع أن ينفذ إلى الممارسات اليومية، بحيث ظلت الينابيع الساخنة أو الباردة المتفجرة من قلب الجبال، وغيرها من المصادر المائية، وحتى آبار القرى -طيلة القرون الماضية - كلها وسائل تؤدي دورا أساسيا في المنظومة الاجتماعية، إما كونها حماما ومكانا للالتقاء والاجتماع⁵.

حيث يقول "محمد ساريح" حول مسألة الاغتسال أنها كانت لوقت ليس بعيد تمارس على أكمل طبيعتها في مجاري المياه العذبة، فلقد كانت النسوة تستحم في الوديان بعد غسلها للملابس أو الصوف أو الحلفاء التي كانت تستعملها في صناعة الزرابي، الغرابيل، الكساكس.....ففي وقت معين من صبيحة يوم الجمعة وتحت رقابة المجتمع الذي كان جد حريص على عفة نساءه، كانت المرأة كبيرة في السن أو صغيرة كانت تذهب في جماعات إلى واد الخميس، أو واد تافنة من أجل قضاء حاجتها المتعلقة بالنظافة والتنظيف، وبعد الانتهاء من غسل المتاع كانت هذه النسوة تباشر غسل أجسادهن مستترات عن الأعين تحت كومة من الشجيرات والأعشاب. أو في مغارة بمحاذاة الوادي، فكان الرجال لا يستطيعون الاقتراب من هذا المكان أبدا، في هذا الوقت⁶.

¹ بن حمو، محمد، مرجع سابق، ص.32.

² بن حمو، محمد، المرجع السابق، ص.32.

³ Ouali,S.,op.cit,p.16.

⁴ Boughlali,M.,op.cit,p.161.

⁵ كريم، فضيلة، مرجع سابق، ص.35.

⁶ بن عبد الله، زهية، (2015)، الجسد و الجندر، مرجع سابق، ص.80، 79.

5- الحمامات المعدنية وممارساتها في الفترة الاستعمارية

لقد تم استغلال المحطات الحموية من طرف الاحتلال فكغيره من أنواع الاحتلالات الأخرى وخاصة أن الجزائر كانت تزخر بمحطات معدنية، عديدة وينابيع كثيرة، وقد سخر الاحتلال الفرنسي كل الإمكانيات لأجل الاستفادة من هذه الينابيع، حيث أنه من المعروف أنها ينابيع تتواجد في أغلبها، بمناطق جبلية لذلك فصعوبة الوصول إليها ألزم المستعمر إلى محاولة ربطها بالتجمع الحضري من خلال بناء جسور وطرق تربط هذه العيون بالمجتمع – وأيضا توفير قنوات صرف المياه، وغيرها من أشكال التهيئة. فقد بنى الفرنسيون مستشفيات أو محطات استشفائية حول المصادر المائية الحارة كي يعالجوا فيها الجرحى والمعطوبين.¹

في النصف الثاني من القرن 19م، ظهرت مؤسسات حموية في شمال الجزائر أن كان يتعايش الأهالي مع الكولون، حيث كانت صورتها تتضمن مميزات مرتبطة بنشاطها، وتجسد الرموز الثقافية المتنوعة لكل من الجزائريين والأوروبيين معا، هذا الموروث الحموي كان يمثل الأماكن النادرة في الجزائر المتقاسمة بين الأهالي والأوروبيين، إذ قبل ظهور قانون الأهالي Code de Lindignat عام 1881م، كان هناك فصل بين مرتادي الحمامات، وكغيره من باقي المنشآت الأخرى والقرى.²

من باريس إلى مدينة الجزائر مرورا بمرسيليا، فالترحال إلى مدينة الجزائر يستدعي مقرا خاصا للفرنسيين، حيث إن الجزائر قريبة من أوربا ومندمجة في الحضارة، والممارسات الخاصة بالسياحة هي التي تسمح للفرنسيين بالذهاب إلى الجزائر، وتجعل منها وجهة مفضلة، حيث عملت الكتيبات السياحية على تقديم المعلومات الضرورية للوصول إلى الجزائر، وتهيئة الأمر بعناية.³

حيث ابتداءً منذ 1860م كان ظهور كتابات ل Charles Roucher والتي وصفت هذه المصادر الحموية دون تناول الجانب الهندسي لها، حي حين كتاب Emil-louis Bertherend عام 1875م، قد تضمن وصفا عاما لهذه المصادر، إضافة إلى ذلك فقد ظهرت عام 1878م ثلاثة كتب، وخصّصت لمحطات حموية موجودة سابقا، وأخرى سوف يتم استحداثها، وقد ازدادت من بداية القرن 20 مع ظهور ثلاثة مؤلفات، واحد من طرف Charles monfort، والذي تحدّث فيه عن مشروع مؤسسة حموية خاصة بالسياحة الشتوية، والثاني هو كتاب للدكتور HANRTIOT، تناول فيه الجانب الهندسي المعماري بقوة، أما الكتاب الثالث فهو ل

¹ Ouali,s.,op.cit,P.16.

² Boufassa , S. (2008), "Architecture des établissements thermos un en Algérie durant le XIXe Siècle Refletnocentrique du Système colonial" *Diacronie studi di storia contemporanea*, N 33, 1[en ligne],p. 1.

³ Bella , S., op.cit. , p 9

Georges martin حول محطة حمّام ريغة وأهميته. في 1875م تمّ إحصاء 140 مصدرا على كامل الجزائر، ثمّ انتقل هذا العدد إلى 196 مصدرا بما فيها 146 في الشّرق، و35 في الوسط، و16 في الغرب، قدم HANRIOT وذلك بالاعتماد على تحليل مصلحة المعادن، عدد 174 مصدر حموي، في حين قد أحصى Bertherend ثمانية وثلاثون "38" مصدرا.¹

في مدينة الجزائر الممارسات السّياحية هي ممارسات أوربيّة، الممارسة السّياحية لقضاء الشّتاء على الطّريقة الإنجليزيّة، والتي قد ساهمت في تثبيت السّياحة في مدينة الجزائر، منذ بداية القرن 20م اختفت الممارسة السّياحية الإنجليزيّة، بحيث قلّ التّردّد على الفنادق، كان قضاء الشّتاء في الجزائر مرتبطا بالبحث عن الصّحة، حيث عرف التّردّد على الجزائر انطلاقة معتبرة في تلك الفترة، بحيث أصبحت الشّمس والحرارة عنصران يشتمهما السّائح.²

لقد حافظ الحمّام على الآثار القديمة عبر العالم الرّيفي، وعند المجيء الفرنسيّ تحوّل الاهتمام باتجاه الموروث القديم (الذّمة القديمة) أو التّراث القديم الرّومانيّ والبيزنطيّ، وقدّرت هذه الممارسة الاجتماعيّة كممارسة دنيويّة، فمنذ السّنوات الأولى للاستعمار ظهر تردّد جديد على المؤسّسات الحمويّة، وهي محطّات الجيش الكولونياليّ، حيث تمّ بناء بيوت للاستضافة بجوار عدّة مصادر حمويّة، وكان الهدف منها استعادة اللياقة البدنيّة للعسكريّين ضحايا الحروب وآثار المناخ الجزائريّ.³

تميّزت الحمّامات في الفترة الفرنسيّة بالجزائر ببروز طابعين؛ طابع محليّ ذات استعمال محليّ، وحمّامات يتردّد عليها السّوّاح الأجنبيّ، فالنّوع الأوّل يتميّز ببداية أحواضها وبجوارها مقهى، كحمّام برواقيّة، وحمّام سيدي طراد بالقالة، وحمّام البيان بالبوية، وأحيانا تُعوّض الخيام بالبيوت للاستضافة كحمّام ولد خالد في سعيدة، أمّا النّوع الثّاني فقد تميّز بهندسة معماريّة خاصّة، وعادة ما تُنصب الخيام حول المحطّات. لكن هذه الممارسة بقيت جزائريّة محضة، إذ كان يتمّ إيواء الأوربيّين في فنادق صغيرة بجوار المحطّات الحمويّة، ويوجد داخل البنايات أحواض وفضاءات مخصّصة للرّاحة، حيث يتمّ الفصل بين الأوربيّين والجزائريّين، ويكمن ذلك في كون الأحواض الخاصّة بالأوربيّين تكون أكثر اتّساعا مثل ذلك "حمّام سلامة"، ومن حيث الجمالية يمكن التمييز بين نوعين من الحمّامات؛ الأولى ذات معايير غير محليّة جزائريّة (أوربيّة) مثل حمّام سلامة، وحمّام عين نويسي بمستغانم، والثّانية ذات طابع أكثر محليّة مثل حمّام ملوان بالبليدة،

¹ Baufassa, S., op.cit., p.3.

² BELLA, S., op.cit., p.13.

³ Ibid, p. 6.

وحمام أولاد غالية بالشلف، والتي فيها الأسلوب المحلي بوضوح وغيرها من الحمامات، والتي ذكرها "Hanriot" منها حمام "كسناح" بعين دسام، حمام مزارع بعنابة، وحمام الورقة في جنوب وهران، وحمام بوغرارة بمغنية.¹ كان كل من حمام ريغة وحمام الصالحين يستطيع استقبال الأجانب، فحمام ريغة بعين الدفلى أكبر، والجزء المخصص للأوروبيين به هما بنائيتين بالأسلوب المحلي، وفندق "Bellevue" بُني عام 1877م، والفندق الكبير بُني عام 1882م. اتسم تصميم البنائيات من الطابع الجزائري مع بعض الاختلاف، فالأولى شيدت حول ساحة مركزية على طريقة البيوت الموجودة بالمدينة، بينما الثانية تضمنت رواقا تماثل في الطوابق الثلاثة الأخرى.² أما حمام الصالحين الذي شُيد عام 1900م يحض بجمالية من تصميم السلطات الكولونيالية، وهي محطة مخصصة فقط للأوروبيين، فالأحواض والمرشات تؤدي إلى ساحة تفصل المحطة عن بناية متواضعة مخصصة للجزائريين.³ جعل المخططات الحموية باستثناء حمام ريغة وحمام الصالحين، يغيب فيها الذوق الجمالي كما أفق بعيدة متواجدة في الريف، كما أنّ الراحة فيها ليست مخصصة للسياحة الحموية، ويغيب عنها الرخام والسيراميك.⁴

خلال إعطاء "Hanriot" تصوّر خاصّ عن الهندسة المعمارية المخصصة للجزائريين، فكان العلاج الحموي عندهم ديني أكثر منه طبي، حيث إنّ الجزء المقدّس للبنية يتفوّق على الجانب المعماري، مثل حمام ملوان، الذي كان يُعرف باسم "الوليّ الصالح سيدي سليمان" (1875م-1894م).⁵

إذ أنه بين الفترة 1850 و1930م أقام الأطباء الفرنسيون مستشفيات تعالج بالمياه المعدنية، حيث كانوا يعالجون فيها الجرحى والمتماثلين للشفاء (فترة النقاهة) لقد ذكر الدكتور "bertherand" في (1860) أنه قد وجد 90 مصدرا للمياه، في حين ذكر الدكتور "Hanriot" في (1911) 77 مصدرا مائيا معدنيا.⁶ في 1842 أي عشرة سنوات بعد التهيئة الفرنسية لمنطقة وهران تم استحداث مركز عسكري في عين تيموشنت، حيث أصبحت هذه المنطقة محمية بجنود القائد safrane وبعدها بدأ الأوروبيون الأوائل يتاجرون ويزرعون حيث استقروا بجوار هذا المركز إنهم هم الذين وجدوا أول أثار للطرق التي مر بها (الزلازل) المكتسح، لكن تلك الفترة الاستعمارية لم يكن الناس منشغلين بالحفريات التي قد لا تؤدي إلى اكتشافات ثمينة، شيئا فشيئا هذا الركاب من الحجارة أعيد استعماله في بناء مباني عمومية أو خاصة، فدلّس ومدينة الأعمدة المكسرة

¹ Baufassa. S., op.cit., p.8,9,10.

² Baufassa. S., op.cit., p. 11.

³ ibid, op.cit., p.13.

⁴ Baufassa. S., op.cit., p. 14.

⁵ Baufassa. S., op.cit., p. 15.

⁶ Boughlali.M., op.cit., P.161.

(colonnes brisées) قد نقلا إلى أماكن أخرى، فمن الصعب التعرف على الطبقات التحتية الخاصة بهما. فالمناظر الطبيعية بأشجارها ونباتاتها تغيرت فالزلازل كان جزء محتوم، وعلى جزء هام من سكان المدينة فقد يمكن الاعتقاد بأن هذه الحادثة والدمار قد حرم السكان من أقوى مصدر لحياتهم¹. وفي هذا الصدد ساهم العالم "fey" في البحث في الحفريات في عين تيموشنت فقد ترك ذكريات حول مدى تأثير هذا الزلزال ونهايته المأساوية بالنسبة إلى المدينة، (albu Lae)(عين تيموشنت)، حيث أن هذا التأثير قد مس النقاط القريبة من حمام بوحجر و التي تعرف بأنها منطقة بركانية، ومع قدم الاستعمار في المنطقة واحتلاله للأراضي، فقد أكد الكولون بأنهم قد وجدوا الكثير من بقايا عظام الحيوانات المتوحشة والأليفة التي ماتت في هذه البقاع - وحمام بوحجر منذ زمن بعيد قد نام منذ الفترة الرومانية². في القرن الثامن، طبعت منطقة عين تيموشنت بأحداث ليست معروفة بصفة تامة لكن كان لها امتداد إلى غاية حمام بوحجر، حيث الأمر يتعلق بالزلزال الذي هز المنطقة التيموشنتية. إذن إبان الاحتلال الفرنسي لم تكن مزايا الحمامات الطبيعية لتختفي على العامة وخاصة من سكان الجزائر فقد كان الجزائريون يعالجون مشاكلهم الصحية، البسيطة منها والمعقدة، بالتوجه إلى أقرب ينبوع ساخن، وفي ذلك قلدهم الأوربيون عندما أخذوا يترددون ابتداء من 1850م على هذه الحمامات الطبيعية، وبالرغم من وجود تمييز بين مجتمع الأهالي الجزائريين والمعمرين آنذاك، إلا أن الكل، كان يسعى إلى استغلال منافع هذه الفضاءات على طريقته الخاصة³.

في نهاية القرن التاسع عشر، أحصى الدكتور "إ، برثر" عدد هذه المحطات المعدنية في الجزائر فيقول "أنها وصلت إلى قرابة 140 محطة" في حين كتب الدكتور "Georges martin" في شهادة له حول هذا النوع من الحمامات، وخصوصا حمام ريغة، قائلا إن المياه المعدنية لهذه الحمامات تلعب دورا كبيرا في معالجة العديد من الأمراض المستعصية، مثل الالتهابات المزمنة والروماتيزم،...ولذلك قد أصبح الأطباء يصفون لمرضاهم تقنية المعالجة عن طريق استعمال الماء، فدرجة حرارة المياه المعدنية تؤدي إلى تهيج جلدي جد منشط يؤثر على الجهاز العصبي، ودرجة التهيج هذه متعلقة باختلاف حالة الفرد الصحية⁴. ويقول متأسفاً ومستأنفاً: "...فالرومان أسادتتنا في فن استعمال الماء، فكانوا على معرفة تامة بأهمية هذه الثروة غير الفانية، فسارعوا إلى استغلاله، وتحت هيمنتهم، كان شمال إفريقيا كله مملوء بمحطات للمياه المعدنية، والدليل على

¹ - Emile, G.P., op.cit., p5.6

² - Emile, G. P., op.cit., p6.

³ بن عبد الله، زهية (2015)، الجسد والجنس، مرجع سابق، ص80.

⁴ بن عبد الله، زهية، المرجع السابق، ص.81، 80.

ذلك، عثورنا على الآثار والأطلال الموجودة عند الينابيع ومصادر هذه المياه، وللأسف إفريقيا الفرنسية، ليست على مستوى إفريقيا الرومانية في هذا المضمار¹.

6- الحمامات المعدنية وممارساتها في الفترة الحالية

تحوز الجزائر على موروث حموي معدني كبير جدا وذلك ما يفوق 200 مصدر مائي حار ومعدني². فحاليا التردد على المصادر الحموية يتم عادة وفق تقاليد عائلية أو بتوجيهات من الطالب، هذه المصادر الحموية هي تحت حماية ولي صالح، وهي تعالج بعض من الأمراض كأمراض المفاصل والجلدية العصبية، ولقد تكفلت الدولة عام 1970 بترقية وتطوير الاستشفاء بالمصادر الحموية خاصة منها المشهورة، حمام بوحنيقية، حمام المسخوطين، كما بناء محطة حمام قرقور ومركز العلاج بالمياه المعدنية الحارة في سطاوالي³.

ثالثا: المقومات التراثية الحموية بالجزائر

1- حمامات الوسط الجزائري :

أ-حمام ملوان /حمام الألوان :

يقع "حمام ملوان" على سفح جبل على بعد 37 كلم من الجزائر العاصمة⁴. والواقع على هضبة مزروعة بأشجار الزيتون والفسق، وهو حمام يشتهر بعلاج الأمراض الجلدية والروماتيزم بفضل نوع متميز من الملح الذي يحمر لونه عند التخزين. حيث تبلغ حرارة مياهه 39,5 درجة مئوية وتصل ملوحتها إلى 25,3 غرام في الكيلوغرام الواحد وهي ملوحة تقترب من ملوحة البحر التي تصل إلى 30,20 غرام في الكيلوغرام الواحد⁵.

إن التحليل الكيميائي لمياه المحطة الحموية بينت فوائدها العلاجية ضد الملاريا، ومرض العظام، وفقر الدم... وغيرها كما بينت فوائدها خاصة للأشخاص المسنين والنساء الحوامل حيث أنها تتضمن كميات كبيرة من الحديد و البوتاسيوم، والكالسيوم لتتعدى فوائدها إلى معالجة القلق والاكتئاب ودون مضاعفات جانبية فيفر العديد من ضوضاء المدينة (الجزائر، البلدية) وتلوثها فيتدفقون على المحطة الحموية لأجل الاستفادة من علاجاتها وإيجاد إطار للراحة والاسترخاء⁶.

¹ بن عبد الله، زهية، المرجع السابق، ص 81.

² - Boudia, F.M., op. cit., p48.

³ -Boughlali, M., op. cit., p161.

⁴ بن عبد الله، زهية (2015)، الجسد و الجندر، مرجع سابق، ص.81.

⁵ كريم فضيلة، مرجع سابق، ص.36.

⁶ Larbi, B.(2009 sep-oct), «Hammam Mélouane :Un site chanteur », *escale tourisme magazine*, n° 16, (p58-59).p.58.

يقول "شريف الزهار" في مقال له يعود إلى سنة 1956م: "إن الخدمات التي يوفرها الحمّام الطبيعي من أجمل ما امتلكنها هنا في شمال إفريقيا، حيث حرارة المياه الطبيعية، وملوحتها تجعل هذا الحمّام ذو مزايا علاجية ووجوده بقلب هذه الهضبة البعيدة عن رطوبة البحر، تجعل من الإمكان التردد عليه طيلة أيام السنة".¹

إن حمّام ملوان تحاكي حوله أساطير، قد أضفت على المكان طابعا من القداسة والغموض، وجعلت منه مزارا للكثيرين كونه يحمل اسم "سيدنا سليمان" فالأسطورة الأولى أن "سيدنا سليمان" عزم مرة أن يجوب العالم، ولذلك قد أرسل أحد الجن الذين كانوا في خدمته ليبحثوا له عن مكان ينزل فيه مع حاشيته، ليرتاحوا من عناء السفر، ولأنه لم يكن يريد أن يطلع أحد على هذا المكان فإنه اختار من مابين جنوده، جنيا أحرص وأعمى وأصما لهذه المهمة، لكي لا يكشف أسرار هذا الحمّام الرائع لأحد، ولما مات "سيدنا سليمان" لم يستطع أحد من بعده أن يتعرف على موقع هذا المكان حتى وقتنا الحالي.²

أكد بعض من كبار السن أن في الماضي كان النسوة عند اقترابهم من المصدر المائي القديم (وجود مسبحين قديمين بالمنطقة الحموية، يعود أحدهما للعهد التركي ويحمل اسم سيدي سليمان) يرددون العبارة التالية: << ياسيدي سليمان شبعنا جيغان وأعطينا الصحة على طول الزمان >>.³ أما الأسطورة الثانية تدور حول ابنة الداى التركي في تلك الفترة حيث يروى أن ملوانة ابنته للداى سقطت مريضة مرضا خطيرا حتى اعتقد أنها ستموت بالرغم من فحصها من طرف عدة أطباء بارزين لم تتحسن حالتها، وبعد نصائح بعض الأشخاص الكبار أتى بها أبوها إلى هذا المصدر المائي، وبعد أن استحمت لمدة طويلة حدثت المعجزة، فقد شفيت في هذا المكان وعادت إلى بيتها بصحة تامة ومنذ ذلك الوقت أصبح المرضى يتدفقون على المكان أملا في استرجاع صحتهم.⁴ وبعدها أمر الباي بتشيد ضريح "سيدي سليمان" لقد اعتقد الفرنسيون أن هذا الحمام لم يكن معروفا من قبل الرومان لأن الإدارة لم تجد وقتها أي معالم أثرية تدل على ذلك. لذلك اعتبروا أن العرب هم الأوائل الذين اكتشفوا هذا المكان الطبيعي، فعمل المعمرون على جعله فضاء للفسحة والاستحمام، خصوصا وأن الموقع ذو روعة طبيعية، وأخرى قدسية تتجلى في الضريح المشيد بمحاذاته، مما كان بموجبه استقطاب الكثير من الزبائن، فعمد الفرنسيون لتعمير كامل المنطقة التي يمر بها هذا الينبوع، حيث شيّدوا فندق كبير، ومحلات تجارية، وقاعات للمعالجة بأشعة الشمس (Héliothérapie) وأخرى للرياضة وقاعات للمساج، وأخرى لأخذ دوش، كما خصصت مساح لكلا المجتمعين مجتمع المعمرين

¹ بن عبد الله، زهية، الجسد والجنندر، مرجع سابق، ص.81.

² بن عبد الله، زهية، المرجع السابق، ص.81.82.

³ Larbi, B., *op.cit.*, p. 58.

⁴ Larbi, B., *op.cit.*, p. 59.

اليهود والنصارى والأهالي المسلمين وكانت الخدمات موزعة عليهم جميعا بحسب الجنس والانتماء الديني.¹ أيقن سكان مدينة البليدة أنه يجب الوقوف بالسياحة في هذه المنطقة "منطقة ملوان" فمنذ مارس 2006 تمت خصصة هذا الموقع السياحي، وعملية هدم المنشآت القديمة على وشك الانطلاق. لتأخذ مكانها بنى تحتية واسعة ليكون بعدها لحمام ملوان فندقا فخما على مساحة 3570 م² به أربعة طوابق (90 غرفة) وتوفره على حمامات نساء ورجال ومساح وقاعات للعلاج.²

ب- حمام ريغة :

يقع على بعد 100 كم جنوب غرب مدينة الجزائر. (عين الدفلى) وعلى ارتفاع 525 م كان في القديم "Aqual calidal" الذي ذكره "Antonin" وموقعه يتمتع بميزات مناخية هامة. في 1934 م كانت هذه المحطة تضم مستشفى عسكري كان مزود ب 06 مصادر مائية بما فيها 03 مساح يعود تاريخها إلى الفترة الرومانية ولا زالت حتى اليوم. تحطم الفندق الكبير أثناء زلزال 1980 م وتم بناء فندقين جديدين في 1974 و1979 م بعض المصادر المائية اختفت أثناء هذا الزلزال وبقي منها 09 مصادر مائية، حيث أن منسوبها الكلي هو 54م/3 ساعة بمتوسط درجة حرارة 54°، وتتم التقنيات العلاجية بطريقة كلاسيكية على استحمام عام، دوش، تدليك تحت الماء، علاج كهربائي، إعادة تأهيل وظيفي.³

إن للحمام ريغة أسطورة ترتبط به منذ أمد بعيد تروى قصة وجوده لتصبح قصة يتداولها الناس فيما بينهم، في ولاية عين الدفلى يقال أنه في قديم الزمان دوار في نواحي زكار، وكان بهذا الدوار عين (تع الماء) والمشكل أن هناك ثعبانا كبيرا يمنع مرور الماء للسكان إلا بعد تقديم له أضحية وتمثل في أولاد صغار يتغذى بهم كل يوم واحد.⁴

وكما كان الحال كان السكان يقدمون للثعبان أحدا من أولادهم يأكله حتى يشبع فينام، وبالتالي يترك الماء يمر للأهالي، وذات يوم جاء دور فتاة دفع بها والدها إلى الذهاب عند الثعبان ليتغذى بها، فجلست تبكي أمام تلك العين، ومن حسن حظها أن متجولا مر بالمكان فسألها عن سبب البكاء فروت له القصة، فقال لها افعلي ما يأمرك به لكن حاولي إخراج الثعبان قليلا لأتمكن من قتله وفعلت ما أمرها به، عندما خرج الثعبان ليلتهمها ضربه ذلك الشخص المتجول بسيف حاد كان يحمله دائما فطار رأس الثعبان بمكان يدعى اليوم

¹- بن عبد الله، زهية، الجسد والجنود، مرجع سابق، ص.82.

² Larbi, B., op.cit., p.59.

³ Boughlali, M., op.cit., p.163.

⁴ بوزيدة، عبد الرحمان (2005)، قاموس الأساطير الجزائرية، المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، البرنامج الوطني للبحث السكان والمجتمع، منشورات crase وهران، الجزائر، ص.60.

"بحمام ريغة" وأصبح يخرج منه ماء ساخن يسمونه بـ "رأس الحمام" ومع مرور الأيام بناه الناس وأصبح حمام البركة، يستحم به الناس ويتبركون، ويقال أنه مفيد للمرأة العاقر والنساء المسحورات والعوانس.... الخ وقد تزوج الشخص المتزوج بتلك الفتاة التي أنقذها.¹

2- حمامات الغرب الجزائري

تزرع الجهة الغربية من البلاد بحماماتها المعدنية العديدة والهامة وهي قبلة للزائرين من كل أنحاء الوطن وخارجه .

أ- حمام بوغرارة بتلمسان

يقع على ارتفاع 282 متر إلى أقصى غرب البلاد على ضفاف واد التافنة بجوار مدينة مغنية الحدودية وفي منطقة فلاحية أساسا بها مركز تجاري وتجهيزات للعلاج.² تم استغلاله منذ عام 1974 وهو بذلك يبعد بـ 150 كلم عن وهران و 11 كلم عن مغنية ومعدل حرارته (مياهه) 45° تحتوي على بيكاربونات الصوديوم والسولفات.³ يتم معالجة الأمراض الجلدية والتناسلية والتنفسية، بواسطة مياه حمام بوغرارة إضافة إلى أمراض المفاصل، حيث أن الممارسة التقنية العلاجية تتم بواسطة حمام بسيط كربوني غازي، وحمامات حموية، ودوش من نوع مرش إضافة إلى علاجات تكميلية (علاج بالمياه الحارة والأشعة ما تحت الحمراء الإلكترونية- غرافي) والتدليك الجاف.⁴ على غرار موقعه الجغرافي، فإن حمام بوغرارة يمثل نقطة التقاء العديد من ضواحي مدينة تلمسان، إنه حمام يتمتع بمياه علاجية معروفة حيث يعرف ترددا عليه من طرف الراغبين في العلاج والسواح والزوار من كل مناطق الجزائر. إن مياه هذه المحطة تتمتع بخصائص علاجية بحيث أنها تشتمل على معدن السولفات وحرارتها 45°، وهي بذلك صالحة لعلاج داء المفاصل والأمراض الجلدية، وكذلك بعض الحالات العصبية والتناسلية، فعلى غرار المحطات الحموية الأخرى توجد بهذا الحمام علاجات تكميلية أخرى يقدمها مستخدمون مؤهلون في ميدان التدليك وإعادة التأهيل الوظيفي. إن الإقامة في حمام بوغرارة تتضمن إمكانية القيام برحلات باتجاه المواقع السياحية المجاورة إما إلى تلمسان لاكتشاف آثارها التاريخية وباتجاه المحطة الإستحمامية لمرسى بن مهدي.⁵

¹ بوزيدة، عبد الرحمان، المرجع السابق، ص. 61.

² Ouali, S., op.cit., p. 16.

³ Boughlali, M., op.cit., p. 162.

⁴ Ouali, S., op.cit., p. 16.

⁵ Boudiam, F. M., op.cit., p. 49, 50.

ب- حمّام بوحجر

يقع حمّام بوحجر على بعد 21 كلم من مدينة عين تيموشنت وعلى ارتفاع 150م ويمتد إلى وسط حقول زراعة الكروم وأشجار الزيتون على مساحة 603240 م² منذ 1974م.¹ يستغل الحمام المعدني إذ يتواجد به 40 مصدرا مائيا حارا ومن 35° إلى 72° (درجة) وبها المركبات المعدنية من الكلور، والصوديوم، والكالسيوم، والكربون الغازي.² تعد مصادر الحموية المتعددة وموقعه وجوه اللطيف المعتدل وقربه من الساحل، كلها عوامل جعلت منه معلما سياحيا عموما وعلاجيا لفائدة السياح والزوار الوافدين عليه من كل أنحاء الجزائر خاصة من الجنوب (أدرار، تيندوف... الخ) وكذلك من طرف الجزائريين في المهجر³، هذه المياه تعالج داء المفاصل فمختلف الممارسات الحموية في هذا الحمّام تتضمن حمّامات محلية بسيطة، دوش، تدليك، وعلاجات تكميلية⁴ وهي تحت الرقابة الطبية، مياه حمام بوحجر، تنتمي إلى فئة المصادر الحموية من حيث خصائصها الكيميائية فالبعث من هذه المياه درجة حرارتها 72° والبعث الآخر منها أكثر برودة تبلغ درجة حرارتها 24° فقط إنها مياه نافعة بالنسبة للعلاج داء المفاصل والأمراض الجلدية، والعصبية والتناسلية كما تتمتع هذه المحطة الحموية بتجهيزات للعلاجات اللاحقة والتكميلية مثل التدليك الجاف تحت الأشعة مادون الحمراء والعلاجات بالكهرباء وإعادة التأهيل الوظيفي، إضافة إلى ذلك بها فندق يتضمن 30 غرفة وبيوت عائلية ومطعم كبير ومساحات خضراء... الخ.⁵

ج- حمّام بوحنيقية

يعد حمام بوحنيقية أحد حمامات الجهة الغربية من البلاد فعلى بعد 20 كلم من ولاية معسكر يعد حمام بوحنيقية الحمام الروماني القديم <<AQUAL SIRENSES>> والذي يعتبر كأقدم عاصمة حموية لشمال إفريقيا مياهه معروفة عالميا وتجلب عددا هائلا من طالبي العلاج⁶ إن حمام بوحنيقية بأخذ مكانة ضمن مناظر طبيعية في التل الوهراني على ضفاف واد الحمام، فالحمام المعدني يتواجد على ارتفاع 230 متر محاط بجبال علوها 800م يظهر الحمام في شكل جزيرة محظورة، مناخها جاف، والهواء مشع بانبعثات غازية كما أن المصادر المائية المحيطة به، المياه الحارة تتدفق بدرجة حرارة 20 إلى 70 درجة مئوية.⁷ وإلى جانب المصادر المائية الساخنة هناك المصدر المائي لسيدي عبد الله الذي تبلغ درجة حرارة مياهه 25°، وهو كثيف

¹ Ouali, S., op.cit.p. 16, 17.

² Boughlali, M., op.cit, p. 162, 163.

³ Fethi, Merad, B., op.cit, p. 49.

⁴ Boughlal, M., op.cit, p. 163.

⁵ Boudia, F.M., op.cit, p. 48, 49, 50.

⁶ Ouali, S., op.cit, p. 17.

⁷ Boughlali, M., op.cit, p. 163.

بالمعادن، حيث بها بيكاربونات الكالسيوم، وهي جد قوية من حيث الإشعاع وتلبي كل أنواع العلاجات بالماء وبصفة عامة فإن مياه حمام بوحنيفية رغم حرارتها الشديدة فإن تذوق مائها العذب نافع فيما يخص علاج أمراض الأمعاء، وإضافة إلى ذلك فإن ماء حمام بوحنيفية يخص معالجة العديد من الأمراض منها: أمراض الجلد، داء المفاصل، اضطرابات سير الدم في العروق، وبعض الأمراض التناسلية.¹

د-حمام ربي بمدينة سعيدة

يعد حمام ربي أو حمام الربيع التسمية الأصلية والتي قد تم تحويلها لحمام ربي وذلك يعود إلى الترجمة باللغة الفرنسية، فحرف العين لا ينطق، ومن ثم صار يسمى "بحمام ربي". يقع حمام ربي على بعد 10 كلم من الولاية "سعيدة" المعروفة بمياهها (مدينة المياه) بامتياز، فمياه حمام ربي مصدرها مياه معدنية تتضمن السولفات إذ تتدفق بدرجة حرارة 45° درجة مئوية ومنسوبها يقدر ب6 لتر في الثانية.² تم استغلال هذا الحمام منذ 1970.³ وأثبتت الدراسات العلمية أن لمياه حمام ربي تأثيرات علاجية إذ أن الخصائص الفيزيائية والكيميائية لهذه المياه جد نافعة بالنسبة للأمراض الجلدية، وآلام المفاصل الحادة، كما تبين المعتقدات الشعبية أن المياه الحارة لحمام ربي هي مياه مباركة (فيها بركة). إن إعادة إطلاق السياحة الحموية قد تجسدت في حمام ربي من خلال انجاز جناح طبي حموي به تجهيزات نوعية غائبة عنه مما سمح له بالاستفادة من مكانة طبية ذات منفعة عامة.⁴

3- حمامات الجنوب

على الرغم من أن الحمامات المعدنية المتوضعة على الشمال أكثر عددا منها التي هي في المناطق الجنوبية الصحراوية أو الشبه صحراوية ومن أهم المحطات نجد تلك التي تقع في بسكرة أو بوابة الصحراء كما يسميها البعض.

أ-حمام الصالحين

يقع حمام الصالحين في أبواب بسكرة وعلى بعد 400 كم جنوب شرق العاصمة و115 كم على باتنة وعلى ارتفاع 120م 2 وبالضبط في بلدية الحامة على بعد 8 كم من بسكرة هذه البلدية تتميز بمناخ جاف، والحمام يقع في منطقة غابية يتردد عليه العديد من طالبي الاستشفاء. حيث سجل 700 ألف زائر في السنة، لقد تم تهيئته في 1988 م على المصدر المائي القديم، إذ أن حرارة هذه المياه تقارب 70° درجة مئوية، وتدفقها

¹ Boudia, F. M., op.cit, p. 49.

² Ibid, op.cit.,p.51.

³ Ouali, S., op.cit, p. 17.

⁴ Boudia, F. M., op.cit, p 51.

يعادل 65 لتر/ثا¹. مياهه غنية بالسولفات، وكلور الصوديوم، وهي كثيفة المعادن، وتركيباتها الكيميائية تسمح بعلاج داء المفاصل، والأمراض الجلدية والتناسلية، ولذلك فإن الممارسات الحموية في هذا الحمام تشمل استحمام عادي ودوش وكذلك تقنيات العلاج البدني².

ب-المحطات الحموية في غرداية

هي الأخرى غرداية تتميز بطابعها العمراني (القصور) الذي يعكس طابعا ثقافيا صحراويا وبيئيا مختلف النظير . فغرداية تمثل قطبا سياحيا بامتياز نظرا لما توفره من ساحة ثقافية وصحراوية، وبيئية، لذلك فهي تنتظر استثمارا يجسد سمعتها السياحية، ولعل أن المحطات الحموية في مدينة زلفانة تحتل مكانة مفضلة بين المحطات الحموية الأخرى في البلاد، لقد تأكد أن هناك 10 مشاريع استثمارية في ميدان النشاط السياحي في عام 2009 قد تم المصادقة عليها في 2009م ويقع معظمها في منطقة التوسع السياحي لمدينة زلفانة التي تقع على بعد 65 كم من غرداية والمشهورة بمياهها المعدنية الحارة ذات الخصائص العلاجية المتنوعة³.

4- حمامات الشرق الجزائري

تتميز المناطق الشرقية من البلاد بمناخها الجاف، والجار صيفا والبارد والممطر شتاء، هي أيضا كغيرها تحوز على حمامات معدنية ذات شهرة عالمية، وتتنوع فيها المياه المعدنية بمركباتها الفيزيائية والكيميائية لتتيح فرصة أمام السياح والزوار طالبي العلاج، الفيزيولوجي والنفسي للتردد عليها، حتى من خارج الوطن وهي تنتشر في مختلف المناطق الشرقية الداخلية، مثال قالمة، سطيف، وقسنطينة وغيرها ومنها على سبيل المثال حمام المسخوطين .

أ-حمام المسخوطين

يقع حمام المسخوطين في شرق قسنطينة على بعد 110 كلم من هذه المدينة، وعلى بعد 20 كلم من قالمة موقعه المتواجد على ارتفاع 320م، يظهر وسط ربوات وجبال بها أشجار. يعد المصدر المائي لحمام المسخوطين هو الأكثر ازدهارا في الجزائر ومياهه هي الأكثر حارة، توجد 05 مصادر مائية عالية الحرارة بحيث درجة حرارة مياهه تتغير من 90 إلى 98 درجة مئوية، والتدفق الكلي الحالي لهذه المصادر المائية ليس أقل من 55ل/ثا، مياهه ذات طبيعة مالحة وبها رائحة الصولفار Sulfure ومظهرها الكيميائي يتضمن البيكاربونات الكالسيوم وكلور الصوديوم، كما تظهر هذه المياه إشعاعا مع انبعاث الهيدروجين بالسولفات، هذه المياه

¹ Ouali, S, op.cit, p. 18.

² Boughlali, M., op.cit, p. 164.

³ Boudia, F. M. , op.cit, p.51.

تخص علاج داء المفاصل والأمراض التنفسية.¹ إن الممارسات الحموية في حمام المسخوطين تشتمل الاستحمام في حوض وفي مسبح، وفي أروقة للسير، وتديلنك تحت الماء وعلاجات تكميلية وكذلك الدوش، فالعلاجات التكميلية تستعمل بروتوكولات إعادة التأهيل الوظيفي والمعالجة البدنية.² في الحقيقة أن أصل كلمة مسخوطين تعود إلى أسطورة قديمة تروى أن الصخور المتواجدة في منطقة الحمام والمتصاعدة بجانب الشلالات هي عبارة عن أشخاص مسخوا (جمدوا) حجارا بسبب كفرهم وتعديمهم على حدود الله، وذلك عندما قرر الأمير (سيدي أرزاق) الزواج من أخته، مما أدى إلى غضب الله عليهم فقام بتحويل العروسين والمدعويين إلى حجارة تتدفق منها المياه المعدنية. أما الأسطورة الثانية فهناك من يقول أن تسميته بحمام المسخوطين راجع إلى أن السكان القدامى له كانوا يتداونون بالمسك والطين، ولما جاء الاستعمار الفرنسي ومع صعوبة اللغة العربية عليه أصبحوا يقولون مسخوطين، وهكذا مع مر الزمان أصبح حمام مسخوطين كما يرجع علماء الآثار إلى العهد العثماني حينما استغل الناس مياه هذا الحمام لعلاج الأمراض والأوجاع، وقد حاولت بعض السلطات تغيير اسم الحمام لحمام دباغ، ولكن سكان الولاية قامة الأصليين وحتى الزوار لازالوا متشبثين بتسمية (المسخوطين).³

رابعاً: أهمية السياحة الحموية في التنمية

إذن تملك الجزائر مؤهلات حموية معتبرة، حيث تتوزع هذه المصادر والمنابع الحموية على كامل ربوع الوطن، وتتنوع من حيث الخصائص العلاجية لمياهها، وعليه فإن الدولة تولي أهمية كبرى للسياحة عامة والسياحة الحموية بصفة خاصة، وعليه اعتمدت الدولة مخطط تنموي يخص هذا المنتج السياحي. وتعتبر السياحة الحموية الطابع الوحيد تقريبا الذي يميز السياحة العلاجية في الجزائر، ولذلك نظرا لمؤهلات البلد للمصادر المياه الحموية المتنوعة والموزعة على مختلف المناطق، أضف إلى ذلك يُعتبر شريط الساحل ثروة مائية سياحية، تندرج تحت مُسمى المُعالجة بمياه البحر "Talasotirapie"، وعليه فقد أولت الدولة اهتماما بهذا النوع السياحي طيلة المسار التنموي منذ الاستقلال إلى يومنا هذا.

فحاليا التردد على المصادر الحموية يتم عادة وفق تقاليد عائلية أو بتوجيهات من الطالب، هذه المصادر الحموية هي تحت حماية ولي صالح، وهي تعالج بعض من الأمراض كأمراض المفاصل والجلدية العصبية، ولقد تكفلت الدولة عام 1970 بترقية وتطوير الاستشفاء بالمصادر الحموية خاصة منها المشهورة، حمام بوحنيفية، حمام المسخوطين، كما بناء محطة حمام قرقور ومركز العلاج بالمياه المعدنية الحارة في سطاوالي.⁴

¹ Ouali, S, op.cit, p. 18.

² Boughlali, M., op.cit, p. 164.

³ لجوم، سامية، حناشي راوية، مرجع سابق، ص 19.

⁴ Boughlali, M., op.cit., p161

1- الاهتمام بالحموي في المخططات التنموية.

سعت الجزائر من خلال مشروعاتها التنموية وخاصة في مجال النشاط السياحي إلى تطوير هذا القطاع، من خلال الاهتمام بالموهلات، ووضع خطط واستراتيجيات لاستغلال المناطق السياحية مع ما يتماشى ومبدأ الاستدامة السياحية، والذي يُعدّ هذا الأخير مطلب كل السياسات الحالية والمستقبلية في أي مشروع تنموي.

ف نجد أنّ الدولة خطّطت خلال المخطّط الثلاثي الأول لإنجاز 13081 سرير، منها 2847 سرير خصّص للحمامات المعدنية؛ أي ما يُعادل 22%، ولكن بعد التقييمات في نهاية الفترة المخصّصة لوحظ تسجيل عجز بنسبة 22%؛ أي عدد الأسرّة قُدّر بـ (0) سرير. في حين نجد خلال المخطّط الرباعي الأول، ونظرا للعجز المُسجّل في المخطّط السابق (2847 سرير)، بالرغم من الحصّة المُقرّ بها 35000 سرير، فإنّه لم يتمّ تسجيل أيّ سرير لصالح الحمامات المعدنية، وإنّما تمّ التركيز على سدّ العجز السابق لأجل تدارك الوضع، ليلها المخطّط الرباعي الثاني، والذي تمّ التركيز فيه على تنمية السياحة الخارجية على حساب السياحة الداخلية، والتي لم تحض بأيّ دعمٍ يُذكر. أمّا في مرحلة المخطّط التنموي الخماسي الأول فقد عمدت الدولة إلى إنشاء هياكل قاعدية في القطاع، وذلك نظرا لضعف القطاع من جهة، والنظرة المستقبلية الإيجابية، فقد أفرز المخطّط 50880 سرير، حيثُ كان نصيب الحمامات المعدنية 3.24%، أي ما يُعادل 1650 سرير، وهي حصّة ضئيلة مقارنة بالحصّة الإجمالية، كما قد سجّل تراجع قُدّر بـ 18.76%، كما عُرفت الحمامات المعدنية عجز كليّ قُدّر بـ 3.24%، ليكون عدد الأسرّة المنجزة (0) سرير (عجز كليّ 1650 سرير).

وهذا ما يوضّح ضعف هذا القطاع وضمور المتابعة من طرف الجهات المعنية بهذا القطاع من السياحة، في حين المخطّط الخماسي الثاني والذي قُدّرت حصّة الأسرّة فيه بـ 48302 سرير، منها 5116 سرير لصالح الحمامات المعدنية، والتي وزّعت بنسبة 70.14% للقطاع العام، و29.86% للقطاع الخاصّ، وتلتها مرحلة لا أمن (العشرية السوداء)، والتي كانت نتيجتها إهمال تامّ للحمامات المعدنية¹.

وفي مرحلة الاستثمارات السياحية، والتي تلت مرحلة المخطّطات التنموية، تميّزت بإصدار الدولة لجملة من القوانين الجديدة والتكاملية، بهدف الاستثمار في السياحة الحموية بعد تحديد 202 منبع حمويّ عام 1985م، وقد فتح الاستثمار على الخواص المحليين منهم والأجانب، وقد نتج عن هذه الاستراتيجية إصدار قانون الاستثمار الصّادر 5 أكتوبر 1993م، والذي خصّ الاستثمار السياحيّ بصفة عامّة، لكن بسبب الظّروف الأمنية لم يبلغ القانون الأهداف المرجوة، ليلها قانون تطوير الاستثمار (03_01) الصّادر في 20 أوت

¹ ربوقي، سليمة (2018م)، "واقع السياحة العلاجية في الجزائر وطموحاتها المستقبلية"، مجلة الدراسات الاقتصادية والمالية، جامعة الشّهد،

حمة لخضر، الوادي، المجلد 11، العدد 01، ص. 242

2001م، جاء هذا القانون لاستحداث النّشاطات السّياحيّة الجديدة، مع توسيع القدرات الإنتاجيّة وإعادة هيكلة رأس المال، ليمسّ هذا القانون بعض الحمّامات المعدنيّة.

2- المؤهلات السياحية الحموية¹

تحوز الجزائر على 282 مصدر حموي وذلك اعتمادا على آخر إحصائيات (2015) حسب الحوصلة الجهوية (bilan thermique) الموزعة على كامل ربوع الوطن من بينها 100 مصدر ذات أهمية وطنية. يمكن أن تستوعب مشاريع استثمارية جديدة. وعلى امتداد الشريط الساحلي الذي يفوق 1200 كم الذي له أهمية في إيجاد مؤهلات لتأسيس مراكز علاج لمياه البحر (thalassothérapie). كل المعطيات تبين أن 282 مصدر يتم تحديدها ورقمنتها وتعيينها وفقا لـ sigma pinfo، فمنها 61% ذات تدفق طبيعي naturelle و39% يتم بتدخل لأجل الحفر emergence.

3- المعايير والشروط الخاصة باستغلال المؤسسات الحموية قراءة في الممارسات الحموية:

إن الإطار القانوني المتعلق بمنح التسريح باستغلال المياه الحموية: حسب المادة رقم 7-69 المؤرخة في 19 فيفري 2007 تحديد الشروط وأحكام منح الامتياز باستعمال واستغلال المياه الحموية.

حيث هذا المشروع SGG يقدم: تسهيلات من حيث تأسيس ملف الاستغلال الخاص بالمؤسسات الحموية.

أ- إحداث اللامركزية في تكوين وتقديم الملفات

حيث منذ 1999 تم منح 81 تسريح باستغلال المياه الحموية في 25 ولاية منها 70% من الحالات قدمت لهم تسريحات في الفترة ما بين 2012-2018 وهذا ما يفسر المجهودات المعتبرة الساعية التي تبذلها الدولة مؤخرا في استغلال المصادر الحموية، فهي تولي أهمية كبيرة لهذه المصادر وذلك حسب المخطط (المنحنى البياني المتصاعد). وذلك فيما يخص المياه الحموية والبحرية marine.

ب- معطيات حصرية

مؤسسات حموية وأخرى مراكز علاج بمياه البحر، منها العام والخاص ما يعادل 27 مؤسسة موزعة كالتالي: مصادر حموية 24 مصدر منها 8 ضمن القطاع العام و 16 تحت القطاع الخاص، في حين مراكز العلاج بمياه البحر 3 منها 2 ضمن القطاع العام و 1 ضمن القطاع الخاص، وذلك بقدرة استيعابية وعدد الوظائف Nombre d'emplois.

يوجد حوالي 30 حمام تقليدي في طور الإنجاز، كما أن هناك مشاريع في طور الإنجاز هي 35 مشروع بطاقة استيعابية 5300 وظائف خاصة تقدر بـ 17000 مليون دينار جزائري.

¹ وزارة السياحة والصناعات التقليدية، مخطط التنمية السياحية الحموية في الجزائر، تقديم (الدكتور علاوي)، قراءة فيه من طرف الباحث.

ت- طابع الوافدين إلى المؤسسات الحموية

المدة الزمنية للعناية العلاجية (Cure Thermale) والتي تقدر بـ 3 أسابيع خاصة بالمتعاقدين مع CASNOS و CNAS. حيث هناك مجموعة من العلاجات المحددة من طرف الطبيب الحموي. في حين المتعاقدين مع الشركات لمدة أسبوع واحد (07 يوم). فليس بالضرورة أن تحدد العلاجات مع الطبيب الحموي. أما الحمامات التقليدية فهي ذات استعمال يومي

جدول رقم 2: يبين عدد الوافدين إلى المؤسسات الحموية حسب كل نوع

النوع	عدد المعالجين في اليوم		
	2018	2017	2016
مؤمنين اجتماعيًا	69789	91210	102058
المتعاقدين	73464	65141	78687
معالجين أحرار	220326	192701	177782
معالجين أجنب	9013	7355	4183
المجموع	325218	356407	410084

يتضح من الجدول أن عدد المعالجين (Curiste) حسب تنوعهم من مؤمنين اجتماعيا يمثلون 24%، في حين أن المتعاقدين (أمثال المؤسسة العسكرية، وبعض المؤسسات العمومية والخاصة الأخرى) تقدر نسبتهم بـ 20% خلال السنوات الثلاث، أما المعالجين الأحرار فقد قُدرت نسبتهم بـ 54% خلال 3 سنوات، في حين المعالجين الأجنب قُدرت نسبتهم بـ 2%.

إذن تُبين نسبة 54% تدل على أن الإقبال على السياحة العلاجية يعرف ارتفاعا وتزايداً، وهذا ناتج عن انتشار ثقافة السياحة الترفيهية وثقافة الصحة والاستجمام في المحطات الحموية، إذن المتوسط السنوي للمعالجين يقدر بـ 400000 معالجا سنويا، حيث أن ممارسة السياحة العلاجية (الحموية) أصبح ملاذا للكثير من الفئات الاجتماعية.

يوجد حوالي 30 حماما تقليديا في طور الإنجاز، في حين المؤسسات الحموية المستغلة حسب نوع النظام خاص/ عام، تتنوع من محطات حموية، ومركز العلاج بمياه البحر، وذلك حسب الجدول.

جدول رقم 3: يبين طابع المؤسسات الحموية المستغلة

المؤسسات الحموية المستغلة				
العدد المستغل	الطاقة الاستيعابية سرير	العدد	نوع البناء	
1127	2875	8	عام	محطات حموية
360	1100	16	خاص	
217	336	2	عام	مركز العلاج بمياه البحر
70	172	1	خاص	
1774	4483	27	المجموع	

في حين أنّ المشاريع في طور الإنجاز تقدر بـ 35 مشروعا.

الإنجاز لها طاقة استيعاب تقدر بـ 5300 سريرا أنجز منها (حقوق) 3000 بتكلفة 1700 مليون دينار جزائري، ويبقى حوالي عجز بقدر 2300 سرير، وهذا ما يوضحه الجدول التالي:

جدول رقم 4: يبين المشاريع في طور الإنجاز في مجال الحموي

مشاريع طور الإنجاز	العدد	طاقة استيعابية سرير	المستغلة فعلا	تكلفتها الكلية بالدينار الجزائري
	35	5300	3000	17000

جدول رقم 5: يبين عدد المترددين على الحمامات التقليدية

الحمامات المعدنية	2016	2017	2018
التقليدية	3451622	2857765	3043635

يتضح من الجدول أنّ عدد المستحمين في السنوات الثلاث متقارب جدًا، حيث سجل ما يقارب 3 ملايين مستحم في السنة، إذن التردد على الحمامات المعدنية يعدّ ركنا من أركان الثقافة الجزائرية، وعلاقتها بالحمام، كما أنه يتضح أنّ عدد المترددين على ممارسة السياحة الحموية بالحمامات التقليدية خاصة أكبر من عدد المترددين على المحطات الحموية.

يُمكن أن نفسر أنّ ذلك يعود إلى توفر حيز من الحرية في الحمامات التقليدية، أين يتعايش الجسد البيولوجي مع الجسد الاجتماعي، وممارسة طقوس استحمامية متنوعة بمزيد من الحرية، وكذلك تواجد ممارسة طقوسية نابغة من الثقافة الشعبية خاصة مع ارتباط هذه الحمامات مع بركة الأولياء الصالحين،

حمام بوحجر، حمام ملوان، حمام سيدي الجودي، حمام الصالحين... وغيرها، معظمها تحاكي حولها الأساطير سواء مرتبطة ببركة الولي الصالح أو أساطير أخرى اجتماعية، مثل حمام ريغة.

بينما المستحمين بالمحطات الحموية والمعالجين بها يلتزمون بجملة مع القيم الخاصة بالمؤسسة، كما أن التوافد على المحطات قد ينتظم حسب الخصائص العلاجية المقترحة من طرف طبيب المحطة، ولذلك قد تكون ثقافة علاجية أكثر منها ثقافة استحمامية، إلا أنّ التملص من الطابع الرسمي للمحطات الحموية يعدّ شبه مستحيل، كون أنّ ثقافة الاستحمام تطغى على الوافدين إلى المحطة، وخاصة أن متعة الاستحمام لا يقاومها أحد في هذا المجال.

ث- الدورات التكوينية لعمال المؤسسات الحموية المستغلة

هذا ما يوضح اهتمام وعناية الدولة للتراث الحموي. ففي إطار الشراكة مع الاتحاد الأوروبي وفي إطار تنوع الاقتصاد الجزائري والذي يرمح تكوين العمال في المؤسسات الحموية، إذ حوالي 15 دورة DIVECO تكوينية نظمت لأجل إعداد 241 شخص (أو تطبيقها على هذه العملية التكوينية شملت: عمال الصحة (أطباء ومساعدى الأطباء، عمال الترويض، التدليك... وهم القائمين على المسابح... الخ).

ج- تحديث المؤسسات الحموية العامة وخطة توزيعها: وتضم 10 حمامات: (9 و 10: 9 غير متعاقد، 10 بحري ليس حموي)

➤ مركز العلاج بمياه البحر سيدي فرج الجزائر ThulassoThérapie.

➤ حمام الشلالة، قالمة.

➤ حمام قرقور سطيف

➤ حمام الصالحين بسكرة.

➤ حمام ريغة عين الدفلة

➤ حمام بوحنيفة معسكر.

➤ حمام بوحجر عين تيموشنت

➤ حمامبوعزارة تلمسان.

➤ حمام ربي سعيدة.

➤ مركز العلاج بمياه البحر أندلسيات وهران.

ح- الأهداف الأساسية المرجوة من (تحديث) الحموي

الوصول إلى الجودة العالمية للأنشطة الأساسية HTT (مجمع فندقية، سياحة، حمامات معدنية). الذي تقوم عليه الدولة، وزارة السياحة الهيئة المسؤولة على التراث الحموي.

تحسين الراحة وذلك بتحسين التجهيزات من حيث الهيكل المؤسساتي وتجهيزاته. تجديد شبكات الربط لمختلف أنواعها (التركيبات التقنية، قنوات الصرف، قنوات جلب الماء الحموي). تحسين وترشيد استغلال الفضاءات. تنمية مستدامة وذلك بالاستعانة بتجديد الطاقة كل ما سمح الأمر (مثال ذلك إعادة تدوير المياه الساخنة لتسخين المنطقة).

إدخال واستعمال التكنولوجيا الحديثة للإعلام والاتصال في تسيير المؤسسات (إنشاء مؤسسة خاصة بالمؤسسة الحموية).

مراعاة التكوينات المستمرة للعنصر البشري.

مخطط التنمية للتراث الحموي:

يقف هذا المخطط التنموي على جملة الإمكانيات الايجابية التي تحفز على التنمية ولكن هناك جملة من التحديات السلبية التي تقف عائق أمام تحقيق ذلك:

- الإمكانيات وتتمثل في أنه:

لدينا مؤهلات حموية كبيرة والمتمثلة في التنوع والتقسيم الجغرافي.

لدينا 282 منبع حموي من بينهم 100 مصدر يمكن تطويره واستغلاله ضمن مشاريع جديدة.

بعض المنابع نادرة مثل (قائمة، ميللة، معسكر، سعيدة...).

كثير من المنابع الحموية تقع ضمن إطار الدولة، فإمكانية إعطاء تسهيلات ضريبية للاستغلال والاستثمار.

المؤهلات من حيث الموقع الحموي يمكن استغلاله إذا كان خام VIERGES.

ساحل أكثر من 1200 كلم يعد مؤهل مهم لتنمية العلاج بمياه البحر.

- التحديات وتتمثل في أنه

البحث عن الراحة والاستجمام في غير الموسم يعد تحدي يكمن في نقص تدفق المياه الحموية بسبب التغيرات المناخية، تذبذب مائي.

التوجه إلى التلوث الطبيعي الناتج عن قوة السياح، التوافد على الحمام (الذهاب الى الحمام).

هناك المنافسة الكبيرة العالمية.

علينا المحافظة المضاعفة (تكثيف الحماية) للمصادر الحموية وفق تأطير صارم كمحيط حماية.

كثير من المؤسسات ليس لديها ماء الشرب وعليه نتج عنه الاستغلال اللاعقلاني للمياه الحموية مثال استعمال المياه الحموية لتنظيف المسابح... الخ.

عدم وجود مراكز إيواء (الفنادق) في الفضاءات الحموية.

عموما في الجزائر لا توجد محطات متخصصة في الأمراض عكس ذلك في الدول الغربية الاخرى مثلا فرنسا متخصصة.

ليس لدينا المؤهلات لاستخراج مشتقات المياه الحموية مثل التي لها أهمية عالمية كبيرة (الأعشاب، الطحالب، البخار، الغاز، الماء، الطمي... الخ).

4- مشروع تنمية التراث الحموي

إن الطموح الذي يمكن للجزائر أن تدعيه وذلك بالنظر إلى قواها وإمكانياتها نابع من إرادتها القوية لتنويع اقتصادها من خلال قطاعات مثل السياحة لأن شعبة الحموي لا تخضع للتأثيرات الموسمية كغيره من أشكال السياحة (الحموي سياحة غير موسمية). كذلك ينبع من البعد الطبيعي الذي يشير إليه العلاج المائي والقدرة على الاستجابة لانشغالات التنمية المستدامة. وعليه يمكن للجزائر أن تهدف وبشكل معقول إلى جعل السياحة الحموية الاستشفائية قطاعا متميزا في السياحة الجزائرية.

ولذلك عملت الدولة على التدخل المخطط له لأجل تجسيد مشروع التنمية.

أ- مجالات تدخل للدولة

اشتملت مجالات التدخل من طرف الدولة وذلك لأجل استغلال الحموي بشكل يسمح بالمحافظة على التراث واستدامته ولذلك كان لزاما عليها تحديد ثلاث جوانب هامة هي:

• مجال التهيئة

تفعيل عمليات التهيئة للمواقع الحموية من أجل تنمية طموحة.

احتمال استكشاف مناطق جديدة لتحسين السياحة خاصة المناطق ذات مؤهلات حموية قوية (الموقع).

الاستعانة بالفاعلين الخواص لأجل التهيئة.

• مجال التنمية الاقتصادية

الاستثمار في هذا المجال الحموي.

تشجيع الاستثمار الخاص مع المرافقة والمتابعة الجيدة.

• مجال التسويق وتسوية شعبة الحموي

فتح الحموي على أنواع أخرى مثل التداوي من أجل الراحة والاستجمام. مثل:

Thermo ludisme , LE Bien être للتنوع في الزبائن.

استقطاب كثير من السياح لابد من الاهتمام بتسويق متنوع النشاطات في المؤسسة الحموية مع مراعاة منح

التخفيضات في الخدمة السياحية بالمحطة الحموية.

ولتحقيق ذلك اعتمدت الدولة برنامج تفعيلي هام تعبر فيه عن إرادتها الجادة وسعيها الدؤوب للاهتمام بالحموي كما يعد وعي وإدراك منها بالقيمة التراثية للمصادر الحموية.

ب- البرنامج التفعيلي

ارتكز البرنامج التفعيلي على خمسة توجهات استراتيجية 13 عملية موجهة تضمنت 44 تفعيلة متراتية حسب: مستوى الأهمية – والمستوى الاستعجالي -ومستوى ساري المفعول وذلك لإدراك الدولة بأهمية التراث الحموي في تطوير السياحة والسياحة العلاجية فكان لزاما عليها أن تعرف بالتراث الحموي من أجل نشر الوعي بهذا التراث، كذلك حددت المجالات التي تتطلب التدخل المستعجل لها من أجل المحافظة على المصادر الحموية وتحقيق الاستدامة لها.

● التوجيه الأول: تضمن التوجه الأول حوصلتين لأجل التعريف وحماية التراث الحموي تضمنت ما يلي:

✓ الحوصلة 1:

- مواكبة مخطط الحموي مع مجمل محيط الإقليم الوطني.
- تصنيف المصادر الحموية ذات الأهمية الوطنية.

✓ الحوصلة 2:

- وضع شبكة مراقبة لنوعية الفيزيو-كيميائية للمياه الحموية.
- لا بد من القيام بدراسات هيدرولوجية ودراسات تنقيبية على المصادر الحموية ذات الأهمية الوطنية.
- إنشاء محطات أو مناطق سياحية (منطقة التوسع السياحي zet بالنسبة للمناطق الحموية ذات الأهمية الكبرى).
- دراسة احتمالية الزيادة في التدفق début وذلك بإنشاء آبار forages بالنسبة للمصادر الحموية ضعيفة التدفق وذات أهمية علاجية كبيرة.

● التوجيه الثاني: خصص هذا التوجه لتطوير أهمية السياحة الحموية من أجل الراحة والاستجمام،

والعناية الجسدية وذلك للانفتاح على السياحة الحموية للراحة والاستجمام والترفيه وتضمن ما يلي:

✓ الحوصلة 1: تتضمن تطوير المحطات التقليدية النشطة وإنشاء محطات جديدة أخرى من خلال:

- الاستثمار في المحطات التقليدية الموجودة حاليا وإعطاءها معايير عالمية.
- تقديم التسهيلات القانونية من أجل الاستثمارات الحموية للمحطات الحموية ذات الأهمية الوطنية غير المستثمرة.

✓ الحوصلة 2: تضمنت فتح الحموي على سياحة أوقات الفراغ (الترقية والراحة والاستجمام واحتوت من خلال:

- وضع شروط استقبال صحية في المؤسسات الحموية.
- تطوير وتقوية الروابط وممارسة الحمام التقليدي (طقوس الاستحمام) (ثقافة حمام) لا بد من تطويرها.
- السعي وراء تطوير التارموليديزم كتنوع والتعريف بالراحة والاستجمام في المحطات الحموية (ممارسة نشاط الراحة والاستجمام).
- ✓ **الحوصلة 3:** وجاءت لأجل تطوير العلاج بمياه البحر من خلال:
 - تشخيص المواقع اللائقة لأجل هذه المؤسسات في 14 ولاية سياحية.
 - تحرير العقود القانونية لأجل إنجاز المشاريع.
 - منح امتيازات لماء البحر لأجل الاستثمارات الاحترافية.
- **التوجيه الثالث:** خصص هذا التوجه لتحسين وهيكلة الممارسات الحموية وتضمن:
 - ✓ **الحصيلة 1:** اقتراح إطار عام ومحمي الممارسة الحموية من خلال:
 - مراجعة التوجيهات العلاجية من أجل خصخصة أكبر المحطات.
 - التعريف بالممارسات (حصص علاجية في مدة زمنية محددة cures) الاستشفائية العلاجية ووضعها ضمن معايير.
 - التعريف بالشروط الترميمية والاستثمار في المصادر الحموية بين الطبي والترفيهي.
 - تكملة والتعمق في النصوص القانونية.
 - ✓ **الحصيلة 2:** تنظيم المهن ووضع الفاعلين في شبكات من خلال:
 - تشجيع الفاعلين على إنشاء فيدرالية خاصة بالحموي والتداوي بمياه البحر.
 - تشجيع الأطباء الحمويين وتمثيلهم.
 - تشجيع رؤساء البلديات (المناطق الحموية) ووضعهم في شبكة منظمة.
 - ✓ **الحصيلة 3:** تنمية الكفاءات من خلال:
 - إنشاء مستثمرين حمويين ذوي كفاءة تسييرية تجمع بين النشاطات السياحية العلاجية والترفيهية.
 - تحديد الحاجات والقدرات والأماكن الشاغرة.
 - تحديد المهن المتخصصة والشهادات والإطارات.
 - تحديد سلم الدرجات لكل مهنة وإعادة تكوين العمال الموظفين والإطارات.
 - فتح المجال لإنشاء وحدات تكوينية خاصة مباشرة للسياحة العلاجية والترفيهية.
 - توفير الشروط الملائمة لتوظيف (تشغيل) اشخاص أطباء ومساعدين أطباء (تمريض) في المؤسسات الحموية.

- التوجيه الرابع: ارتكز على جعل السياحة كوسيلة فعالة للنهوض (تطوير) السوسيو اقتصادي وتهيئة الإقليم وتضمن حوصلتين:

✓ **الحصيلة 1:** فتح السياحة الحموية كعائد اقتصادي مريح من خلال:

- تقوية التسهيلات المالية ومرافقة المستثمرين عند إنشاء وتطبيق المشاريع الجديدة.
- العمل على جعل المؤسسات ... للإرسال العمال بها الى الاستفادة من ايام حموية.
- المحاسبة بين التكاليف العلاجية الحموية الطبية (مثال ذلك نقص السعر في قرقور، في قالمة...)
- حسب التوجهات العلاجية مع تحديد تكاليف الخدمات الاجتماعية.
- ترك الحرية للمؤسسة الحموية وإعطاء الضوء الأخضر للتصرف في المؤسسة في النشاطات الاستثمارية الثانوية.

✓ **الحصيلة 2:** الاستفادة من الهياكل والبنى الحموية المساهمة في التخطيط والتهيئة الإقليمية وذلك من خلال:

- وضع مخطط حموي يساعد على إنشاء قطب سياحي SDAT (مخطط التنمية والتهيئة الإقليمية).
- الحث على إدخال نشاطات ثانوية مثل (spa، رياضة، رشاقة، تجارة، استرخاء، صناعات تقليدية، منتوجات).
- المساهمة في تطوير المناطق الريفية.

- **التوجيه الخامس:** إعطاء استراتيجية للتواصل الخاص بالحموي تضمن ما يلي:

✓ **الحصيلة 1:** الانخراط في اتصالات تستهدف المستثمرين من أجل:

- التعريف بالمستثمرين الفاعلين وإعطائهم الوسائل والتخفيضات الملائمة.
- إنشاء منصة شبكية plate-forme أنترنت خاصة بالمستثمرين في الحموي.

✓ **الحصيلة 2:** تحسين المعرفة الكمية والنوعية للمستهلك من خلال:

- التحقيق الكمي والنوعي للزبائن الحاليين والمؤهلين.
- الحرص الدائم على إعطاء الوجهة الحموية والمنتوجات المساعدة في المجال الحموي.

من خلال تتبعنا لما جاء في الاستراتيجية المتخذة لأجل تطوير وحماية التراث الحموي تبين أن النقاط المطروحة والأهداف المسطرة انطلاقا من عرض واقع التراث الحموي وإمكانية تطويره هي خطة جد مدروسة وتحيط بمختلف الجوانب العلمية والعملية ترمي الى تطوير وحماية التراث الحموي في الجزائر وجعله نمط فعال في انعاش السياحة ككل، كما تلمسنا إرادة الدولة السياسية في المجال السياحي وفتح الباب أمام المستثمرين وحتى مختلف أطراف المجتمع المدني وكذا مشاركة المجتمع المحلي في عملية التنمية السياحية

الحموية فلا بد من تضافر الجهود، سياسة تستند لمبدأ التقنين والترشيد والاستثمار والتطوير والتحسين والاستدامة مع اشراك مختلف القطاعات، وقد انطلقت من خلال عرض الإمكانيات والعراقيل والتحديات التي تواجه هذه المخططات التنموية إذا الإرادة موجودة والإمكانيات موجودة تبقى عملية التجسيد الفعلي بعيدا عن كل المماطلات والتجاوزات القانونية.

5- البعد الأنثروبولوجي للتنمية

كثيرون هم من تناولوا قضايا التنمية في المجتمعات الحديثة وما يتصل من ظواهر ثقافية واجتماعية من عمليات الاتصال الثقافي والتغير الاجتماعي والثقافي، وقد كان اسهام العلوم الاجتماعية في هذا الشأن بارزا في كل الأبحاث والدراستات السوسولوجية والأنثروبولوجية التي أثرت هذه البحوث وغذتها، بحيث أصبحت النظرة للتنمية نظرة شمولية متكاملة، وليست نظرة أحادية أي دراسة الجوانب الاقتصادية مُعزلة عن باقي الجوانب منها الاجتماعية والثقافية، وعلى إثر هذا ظهرت اتجاهات ونظريات عالجت ظاهرة التنمية.

فيمكن للأنثروبولوجيا أن تُساهم في عملية التنمية أو أن تدرُسها كظاهرة اجتماعية مثل باقي الظواهر الأخرى كالقراية والدين، لكن التنمية تتسم بالخصوصية، حيث إنها تُمثل نقطة التقاء أشخاص قادمين من عوامل اجتماعية مُختلفة، لأن هناك اختلافات شديدة التباعد بين أوضاعهم المهنية ونسبة فاعليتهم وكفاءتهم ومواردهم المعرفية والرمزية وإستراتيجياتهم¹.

وبعد المؤسسين الكبار أمثال " مالينو فيسكي " وباستيد " لعلم الأنثروبولوجيا يُمكن حصر ثلاث توجّهات أساسية موجودة في ميدان التحليل الأنثروبولوجي لمظاهر التنمية، فاتّجاه الأنثروبولوجيا التطبيقية الأمريكية الشمالية القائمة على مهمّات استشارية ودراسية لصالح مُؤسّسات التنمية، حيث يعدّ البنك الدوليّ الذي عمد إلى إجراء دراسات اجتماعية وأنثروبولوجية في فترة 1970 م مثالا لذلك، والذي قد أنتج عددا من الدراستات المنهجية لا يخلو بعضها من التأمّلات النقدية، وعموما لا أثر فيها لتوجّهات نظرية معمّقة أو لمنهج واحد، في حين يعدّ اتّجاه الأنثروبولوجيا التّفكيكية للتنمية هو الثاني الذي انطلق من استمرارية التساؤل الجذريّ عن النموّ والمندرج في حركية ما بعد الحداثة التي استعادت قوّتها خاصّة في العالم الأنغلوفونيّ، لقد طوّر كلّ من نورمان لونغ وريث مدرسة مانشستر مجموعة أبحاث ذات نمط تفاعلي عن لقاءات ما بين الوجهين، التي تتميز بتقطيع بنوي بين العوالم المعرفية المختلفة، حيث يتجاوب ويتمازج ويتفاوض العاملون على التنمية والسكان المحليين، مركّزا ذلك على هامش المناورة لدى الفرقاء، حيث استعار

¹ بيار، بونت وميشال، إيزار، مرجع سابق، ص. 205.

مفهوم الوكالة غيدنز الذي يترجم قدرة تأثير الفرقاء الاجتماعيين أو كفاءتهم العملية، جاءت أخيرا في فرنسا الأعمال المرتبطة بالجمعية الأوروبية- الأفريقية لأنثروبولوجيا التطور الاجتماعي والتنمية، والتي شكّلت امتدادا لمنهجية بالاندييه عام 1971م، والذي كان يميل إلى تحليلات لونغ، لتحاول بعدها الأنثروبولوجيا الاجتماعية التنمية التجديد والتوسيع عبر إنجاز تحليلات معمقة ذات نمط إثنوغرافي لموضوعات جديدة مثل التنظيمات الفلاحية، عوامل التنمية، الوكلاء في التنمية، اللامركزية، الفساد، لتطرح أنثروبولوجيا التنمية أنماطا أخرى من المسائل في تحسين نوعية الخدمات التي تطرحها مؤسسات التنمية على السكان¹.

تعدّ التنمية مطلبا أساسيا تسعى إليه المجتمعات الحديثة، حيث احتل هذا المفهوم "التنمية" حيزا كبيرا من الدراسة والنقاش في الساحة العلمية ولأسيما في مجال العلوم الاجتماعية، وقد برزت عدّة اتجاهات فكرية ومقاربات نظرية هامة قد رسمت معالم البعد الأنثروبولوجي في التنمية.

تغيّرت النظرة إلى التنمية، كون أنّ هذه الأخيرة تخضع إلى العديد من العوامل وليس إلى عامل واحد، وهذا ما أكّده "ميردال" Myrdal "على أنّه لا يصلح الفصل بين العوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية في فهم وتحليل التنمية، بل يجبُ البحث في كلّ محتوياتها، وعليه فقد عالج مشاكل التنمية من خلال دراسة وتحليل العناصر الستة التي يتكوّن منها النسق الاجتماعي، وهي حسبهُ كما يلي: الدّخل والنّاتج، وظروف الإنتاج، ومستوى المعيشة، والتي هي اقتصادية، أمّا العنصر الرابع فهو الاتّجاهات نحو الحياة والعمل والخامس هو الأنظمة، والمشاركة الشعبية لها، وهي كلّها عناصر اجتماعية، والعنصر الأخير وهو السياسات التي يتبّعها المجتمع، وهو عنصر يجمع بين العوامل الاقتصادية والاجتماعية"²، ومنه يرى ميردال " أنّ التنمية هي تجرّبة خاصّة يتميّز بها كلّ مجتمع على حدى، وليست نموذجا قبيلا صالحا لكلّ مجتمع ولكلّ زمان³.

حين نتفحص ما جاء به "مردال" يُمكن أن نستنتج أنّ التنمية ذات أبعاد مختلفة اقتصادية منها واجتماعية وثقافية، هذه الأبعاد تحتكم لمبدأ الخصوصية الثقافية والاجتماعية لكلّ مجتمع، ومن ثمّ لا يُمكن أخذ نموذج تنمية ما وإسقاطه على مجتمع أو مجتمعات أخرى مُغايرة للثقافة والسلوك الاجتماعي. ترمي هذه الأبعاد إلى مبدأ الاستدامة في التنمية والتي أصبحت مفهوما متداولا بكثرة على الساحة الدولية وحتى الأكاديمية، حيث أنّ التنمية المُستدامة هي تنمية لخدمة الأجيال الحالية والتي تتصف بالاستقرار، وتملك عوامل الاستمرار والتواصل، وهي تنمية شاملة كونها تهتمّ بالأرض ومواردها أي البيئة، وكذا الموارد

¹ بيار، بونت وميشال، إيزار، المرجع السابق، ص. 205، 206.

² فكروني، زاوي (2018). "التنمية المُستدامة بين المفهوم ومُتطلّبات التطبيق، قراءة مُوسيوولوجية". المجلة المغربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، مجلد 09، العدد 01، ص. 166.

³ فكروني، زاوي، المرجع السابق، ص. 166.

البشرية مع مُراعاة البُعد الزمّني وحفظ حقّ الأجيال القادمة في التمتع بهذه الموارد، حدّد المُشرع الجزائري وحسب المادة 04 من الباب الأوّل من القانون رقم 3 - 10 المؤرّخ في 19 جويلية 2003م المُوافق لـ 19 جُمادى الأولى 1424هـ والمتعلّق بحماية البيئة في إطار التنمية المُستدامة على أنّها " التوفيق بين تنمية اجتماعية واقتصادية قابلة للاستمرار وحماية البيئة أي إدراج البُعد البيئي في إطار التنمية والتي تتضمّن تلبية حاجيات الأجيال الحاضرة والمُستقبلية"، حيثُ أنّ من خصائصها:

- _ أنّها تنمية تعتبر البُعد الزمّني فيها هو الأساس، فهي تنمية طويلة المدى، حيثُ يعتمدُ على تقدير إمكانات الحاضر ويتّمّ التخطيط لها لأطول فترة زمنية مُستقبلية يُمكن التنبؤ بالمتغيّرات.
 - _ تنمية تُراعي حقّ الأجيال القادمة في الموارد الطّبيعية للمجال الحيوي لكوكب الأرض.
 - _ تنمية تُحافظُ على المُحيط الحيوي في البيئة الطّبيعية، من خلال عناصر أساسية كالهواء والماء والتربة وباقي الموارد الطّبيعية.
 - _ هي أيضًا تنمية تُضعُ تلبية احتياجات الأفراد في المقام الأوّل، فأولويّاتها تلبية الحاجات الاساسية والضرورية من غذاء، ملابس، وخدمات صحيّة... وكُلّ ما يتعلّق بتحسين الظروف المعيشية والحياة الاجتماعية.
 - _ كما أنّها تنمية مُتكاملة تُقومُ على التنسيق والتكامل بين سياسات استخدام الموارد واتّجاهات الاستثمار والاختبار التكنولوجي والشكلي المؤسسي، ممّا يجعلها تعملُ بانتظام داخل المنظومة البيئية¹.
- سبق ظهور التنمية المُستدامة كمفهوم انعقاد العديد من المؤتمرات وصدور العديد من التقارير الدّولية نجدُ من بينها:²

عام 1950م: نُشر أوّل تقرير من طرف الاتّحاد العالمي للحفاظ على الطّبيعة L'union internationale pour conseriation de la nature وذلك كان حول حالة البيئة في العالم والذي راج ذاك التقرير في تلك الفترة، وذلك بالموازنة والمصالحة بين الاقتصاد والبيئة.

1968م: تمّ إنشاء نادي رُوما بمُشاركة القليل من الأفراد لكن ذوي مناصب مرموقة في دولهم، حيثُ كان الهدف من هذا النّادي هو مُعالجة ظاهرة النّمو الاقتصادي المُفرط وتأثيراته المُستقبلية.

1972م: انعقد في هذا التّاريخ مؤتمر " ستوكهولم " وكان ذلك بحُضور 12 دولة عربية، تمّ فيه التّطرُق للبيئة ومُشكلاتها التي باتت تُهدّدُها.

¹ حجام، العربي وطري، سمية (2019)، "التنمية المُستدامة في الجزائر: قراءة تحليلية في المفهوم والمعوقات"، مجلة أبحاث ودراسات التنمية، المجلد 06، العدد 01، ص 127، 128.

² حجام، العربي وطري، سمية، المرجع السابق، ص 128، 129.

1979م: عبّر الفيلسوف الألماني " هانس جوناكس " Hans Jonas في كتابه " مبدأ المسؤولية " عن قلقه تجاه البيئة.

1980م: أصدر الاتحاد الدولي للحفاظ على البيئة IUCN تقريراً تحت عنوان " الإستراتيجية الدولية للبقاء أين ظهر فيه لأول مرة " مفهوم التنمية المستدامة".

1987م: أصدرت اللجنة العالمية للبيئة والتنمية بعنوان " مستقبلنا المشترك " Our common Future تحت رئاسة رئيسة الوزراء النرويجية HARLEM BRUNDTLAN أين تمّ طرح " التنمية المستدامة " كنموذج بديل يُراعي شروط التنمية الاقتصادية بمراعاة الجانب البيئي، وأنه لا يمكن مواصلة التنمية ما لم تكن قابلةً للاستمرار، وبأضرار بيئية، وفي هذا الاجتماع ظهرت فكرة التنمية المستدامة كمصطلح يهتم بالتوازن البيئي.

1989م: اتفاقية " بازل " الخاصة بضبط وخفض حركة النفايات الخطرة العابرة وضرورة التخلص منها حيث صادقت عليها 150 دولة.

1992م: انعقاد مؤتمر " الأمم المتحدة " المُسمى " بقمّة الأرض " للبيئة والتنمية بريو دي جانيرو بالبرازيل، حيث انبثق عنه أهمّ النتائج: جدول أعمال أجندة القرن 21.

1979م: تمّ فيه اعتماد بروتوكول " كيوتو " يهدف بالدرجة الأولى إلى الحدّ من انبعاث الغازات الدفيئة والعمل على تحسين كفاءة استهلاك الطاقة في القطاعات الاقتصادية والبحث على زيادة استخدام نُظم الطاقة المتجدّدة.

2002م: انعقاد مؤتمر القمّة العالمية للتنمية المستدامة (ريو + 10) في جوهانسبورغ جنوب إفريقيا، الذي سلّط الضّوء على ضرورة تغيير أنماط الإنتاج والاستهلاك، وضرورة الحفاظ على التنوع البيئي، والموارد الطبيعيّة.

2005م: أصبح حيّز التنفيذ " بروتوكول " كيوتو " وذلك حول تخفيض الانبعاثات المؤدّية إلى الاحتباس الحراري.

2007م: انعقد المؤتمر الدولي ما بين 03 _ 14 ديسمبر من هذه السنّة لمواجهة التّغيرات المناخية بمدينة " بالي " بأندونيسيا، حيثُ دار النقاش في هذا المؤتمر حول العديد من المشاكل البيئية الخطيرة، من أهمّها: ارتفاع درجة حرارة الأرض بسبب الاحتباس الحراري.

2010م: أنعقد في هذا العام قمة المناخ بـ " كوين هاغن" بسبب تأكيد كل الأطراف السياسية بالتدهور المستمر للبيئة رغم العديد من المؤتمرات، والاتفاقيات، حيث تم مناقشة التغيرات المناخية الأخيرة في هذه القمة وكيفية مواجهة الاحتباس الحراري، وكذلك السعي لتحقيق تنمية عالمية مستدامة، تراعي البيئة بكل جوانبها، لكن هذه القمة لم تخرج باتفاقيات ملزمة، واكتفت بتحديد خطوط عريضة للعمل من أجل محاربة التغير المناخي ومكافحة الاحتباس الحراري.

تستلزم التنمية المستدامة من وجهة الأنثروبولوجيا زيادة الاهتمام بتوسيع دائرة التعليم ودعم مؤسسات المجتمع المدني، وتقييم البرامج المختلفة، بمكافحة العديد من الظواهر، الفقر، البطالة، وغيرها. فيبرز هنا في موضوع التنمية، دور الأنثروبولوجيا في جانبها المعرفي، والمنهجي المتعلق بالظواهر الاجتماعية والثقافية، وكذا الأدوات لجمع البيانات التي يمكنها أن تساهم في تنمية هذه البرامج، هنا تبرز " لوسي مير" الأنثروبولوجية، حيث ترى؛ أنّ الأنثروبولوجي له نظرية كلية اجتماعية وثقافية عكس ذلك التقني الذي يملك نظرة مُجزأة عن الحقيقة الاجتماعية، وهذا ما دعا إليه الأنثروبولوجي "نادل" في كتابه "الأنثروبولوجيا والحياة المعاصرة" بأنّ الأنثروبولوجي وحده الذي يملك القدرة على تطبيق العلم الاجتماعي، وله الحق في الحكم على شرعية الأهداف الموضوعية، وله الحق في التدخل بالنصح والانتقاد للسياسة العلمية في المجتمع.¹

لقد أكد "فليب بودس" على عدم الفصل بين العوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية لعملية التنمية المستدامة، أي أنّها عملية مركبة في حين تذهب الباحثة "بروتن كيني" – Breton – Kueny إلى أنّ الكتابات السوسولوجية الحديثة ترفض الآن اختزال عملية التنمية المستدامة إلى مجرد عملية اقتصادية ومجرد نمو في الناتج القومي.²

ويدرك الأنثروبولوجيون في مجال التنمية أنّه من العبث أن نهمل المتطلبات البيئية المتصلة بالتنمية في بعدها المستدام ذات الصلة بمستقبل البشر، فالتنمية تعمل من خلال البناء الاجتماعي والمناخ الثقافي القائم، ولا بدّ من مراعاة إطارها الكلي الذي تعمل فيه، حيث أطلق "جبروهالم برونتلاند" رئيس اللجنة العالمية للبيئة والتنمية بتكليف من الأمم المتحدة لدراسة السياسة التصنيعية والاقتصادية لدول العالم

¹ رحاب، مختار (2015)، المحددات الاجتماعية الثقافية لتحقيق التنمية المستدامة، قراءة من منظور الأنثروبولوجيا المعاصرة، جامعة مسيلة،

مجلة الحقيقة، مجلد 14، العدد 32، ص. 359، 360.

² فكري، زاوي، مرجع سابق، ص. 170.

اسم؛ "مُستقبلنا المُشترك" حيثُ تضمّن التقرير أهميّة دراسة العلاقة بين عملية التّنمية والمُتطلّبات المعيشية والبيئية¹.

إنّ السّعي إلى تحقيق مبدأ الاستدامة في عملية التّنمية في مجال السّياحة، يتطلّب بذل جهود أكبر، ولا يتأتّى ذلك إلّا من خلال تحقيق مبدأ التّنمية في العنصر البشري كونه الفاعل الأساسي فيها، وكُل العناصر الماديّة الأخرى من بيئية وطبيعية، يُمكن التّحكّم فيها لحدّ ما، وعليه فإنّ تنمية العنصر البشري يُعدّ عامل الحسم في ما يُسمّى "الاستدامة" فبعيدًا عن البُعد الأخلاقي والقيمي لا يقلّ أهميّة عن الأبعاد الأخرى الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، وذلك من خلال دمج البُعد الرّوحي والدّيني والثّقافي في الاستدامة واعتباره بُعدًا أساسيًا ضمن أبعاد التّنمية المُستدامة الأخرى، ذلك أنّ للبُعد الأخلاقي أهميّة أساسية في حياة الأفراد حيثُ يذكر بعض المُفكرين أنّ الأمر لا يتعلّق بالعلاقة فقط بين البُعد الأخلاقي والاقتصادي الذي أصبح محلّ أخذ وردّ في الوقت الحاضر، وإنّما بالمعنى الذي صرنا نمنحه للبُعد الأخلاقي في حدّ ذاته الذي لم يعدّ اليوم قائمًا من تلقاء نفسه².

حيثُ صرّحت في هذا الشّأن الباحثة "بروتن كيني" Breton _ kueny أنّ حقيقة تبيّ قمة التّنمية المُستدامة خلال الدّورة 60 للجمعية العامّة للقيم الكونية في التقرير التّمائي، كانت غامضة ولم توضح مرجعية وهويّة من صاغها، حيثُ أنّ مُعظم التّقييمات كانت نظرية واستثنائية خاضعة لمزاج المؤسّسات التي وضعتها، إلّا أنّ مُنظمة "اليونسكو" تداركت الوضع في 2009م بين 31 مارس و 02 أفريل إثر انعقاد مؤتمر "بون" بألمانيا، إذ بيّن في البُند الثامن القيم التي سوف تتخذ كإطار للتّنمية المُستدامة وهي: العدالة، الإنصاف، التّسامح، الاكتفاء، المسؤولية، المساواة بين الجنسين، التّلاحم الاجتماعي، التّخفيف من حدّة الفقر³.

في هذا الصّدّد قد يُجدر بنا الإشارة إلى مفهوم جوهرى يُعمّق الدّور الأخلاقي والقيمي في الاستدامة، لعملية التّنمية السّياحية، وهو التّربية السّياحية، أو التّنشئة السّياحية والتي تعتبر كُُل الجهود الرّسمية أو غير الرّسمية بغرض رفع وعي الأفراد فيما يخصّ النّشاط السّياحي من أجل زيادة الجذب وتحقيق التّنمية السّياحية المُستدامة.

¹ رحاب، مختار، مرجع سابق، ص. 360، 361.

² رحاب، مختار، المرجع السّابق، ص. 363، 364.

³ فكروني، زاوي، مرجع سابق، ص. 171.

حيث تأتي أهميتها وضرورتها _ التربية السياحية _ والبحث في أبعادها المختلفة في كونها ترتبط بالتنمية السياحية المتواصلة أو المُستدامة، والتي تُعدُّ ركيزة أساسية في التنمية الشاملة، وعليه فإنّ تأصيل مفهوم التَّنشئة السَّيَّاحيَّة يرمي إلى نشر الثقافة السَّيَّاحيَّة على كلِّ المستويات من خلال:¹

_ إكساب العاملين في القطاع السَّيَّاحيِّ بحسب انتماءاتهم الثقافيَّة كلِّ المعارف والخبرات من خلال عملية التَّنشئة في كلِّ مراحلها وبمختلف مؤسساتها.

_ تعميم النَّشاط السَّيَّاحيِّ على كلِّ فئات وشرائح المجتمع المختلفة.

_ إبراز التَّمايز الثقافيَّة بين الشعوب المضيفة والوافدة، من خلال العادات والتقاليد والتَّراث السَّعبيِّ والصَّناعات التقليديَّة المحليَّة وكلِّ الخصوصيات الثقافيَّة، ومن ثمَّ تدعيمها وإحيائها وتنميتها.

_ كذلك تمدُّنا الوسائط التَّربويَّة بمختلف الأساليب والأنماط السلوكيَّة، التي يجب أن يتبناها سكان البلد المضيف في اتِّصالاتهم وتعاملهم مع السَّائحين وتوضيح طبيعة الاتِّصال الثقافيِّ والتَّواصل الاجتماعيِّ.

_ كما تساعد على إبراز أهميَّة التَّفَاعُل والتَّناسُق والتَّناغُم والمنافسة في المجال السَّيَّاحيِّ لكلِّ الفاعلين ولأجل التَّرويح السَّيَّاحيِّ.

_ كما تساعدنا على مواجهة الأزمات والمشكلات المتعلِّقة بالنَّشاط السَّيَّاحيِّ.

_ في حيث تعمل التَّنشئة السياحية على تأصيل قيم الانتماء والمواطنة والافتخار بالتَّراث، كما تربط الفرد بالبيئة وكيفية استغلال الموارد البيئيَّة السَّيَّاحيَّة.

يمكن القول أنّ الوعي السَّيَّاحيِّ في الجزائر يُعدُّ غير كافٍ لأجل التَّهوض بقطاع السَّيَّاحة، مقارنة بالإمكانات الطبيعيَّة والثقافيَّة والتَّاريخيَّة، وهذا يستوجب تكثيف الحملات التَّحسيسية التَّوعويَّة في هذا المجال، كما أنّ على الإعلام السَّيَّاحيِّ الواجب الأكبر في هذه العمليَّة، إذ أنّ الإعلام له دور في نشر الثقافة السَّيَّاحيَّة، من خلال الفنِّيَّات والمهارات التَّسويقيَّة للمنتوج السَّيَّاحيِّ، ولكن بما يتناسب وثقافة المجتمع بصفة عامَّة، والمجتمعات المحليَّة بصفة خاصَّة، لأنّ نجاح مشروع سياحيِّ تنمويِّ مرهون بالخلفيَّة الثقافيَّة للمكان المخصَّص له.

6- معيقات التنمية السياحية في الجزائر

من المفترض أن التنمية السياحية توفر خدمة الترفيه والاستجمام وكل التسهيلات للسياح والسكان المحليين كما تساهم في تطوير الأماكن والخدمات العامة بدول المقصد السياحي. وهي تعمل على زيادة الدخل القومي وإنشاء فرص عمل متعددة، وتعد مصدرا للعمالات الصعبة. كما تسعى التنمية السياحية الى تحقيق التنمية المتوازنة بين الأقاليم كما تعمل على حماية وإشباع الرغبات الاجتماعية ورفع مستوى المعيشة. وتنمي

¹ إبراهيم، محمد عباس، مرجع سابق، ص. 84، 85.

شعور انتماء الفرد لوطنه. كما تزيد من فرص التبادل الثقافي والحضاري بين كل من المجتمع المضيف والجزائر. فالتنمية السياحية تعمل على حماية البيئة الطبيعية من التدهور والزوال كما تعمل على نشر الثقافات وزيادة التواصل بين الشعوب وتطوير العلاقات السياسية بين الحكومات في الدول السياحية من خلال تنمية الوعي الثقافي لدى الافراد وتوافر التمويل اللازم للمحافظة على التراث والمباني والمواقع الاثرية والتاريخية،

لكن من المؤسف جدا أن الجزائر وبكل هذه الطاقات السياحية المتميزة إلا أنها توسم بكونها وجهة سياحية سيئة، حيث يعود ضعف التنمية السياحية في الجزائر وخاصة السياحة الحموية بالرغم من الإمكانيات التي تحوزها الجزائر مقارنة بدول الجوار إلى:

- ضعف الاستثمار في هذا القطاع منذ البداية والافتقار إلى استراتيجية واضحة المعالم حول السياحة حال دون تطورها

- ضعف موقع التنمية السياحية في الخطط التنموية مما ترتب عنه تواضع في الحصص المالية المخصصة لها ما ينتج عنه أيضا قلة المشاريع المنجزة

- ضعف البنية التحتية لكثير من المنشآت السياحية مما ترتب عنه سوء في الخدمات السياحية إذ أن واقع البنية التحتية يفتقر للتجهيزات وإلى شروط الصيانة.

- عدم الاستقرار السياسي والأمني الذي عاشته الجزائر قد ترتب عليه العديد من الإشكالات أهمها: انحصار الحركة السياحية وقلة توافد السياح، وتدني طاقات الإيواء.

- ضعف تكنولوجيا المعلومات والاتصال في القطاع السياحي ما ترتب عنه غياب الإعلام السياحي الهادف (الترويج، والتسويق السياحي) والسياحة الالكترونية خاصة مع تدفق المعلومات بشكل سريع في مواقع التواصل الاجتماعي.

- قلة الكفاءات والخبرات المؤهلة وقلة البرامج التدريبية في المجال السياحي، وذلك من قلة المؤسسات التعليمية السياحية.

- ضعف الثقافة السياحية، نتج عنه قلة الوعي السياحي في مختلف فئات المجتمع والذي يدل على غياب التنشئة السياحية.

- تكلفة مرتفعة مقابل خدمات مُدنيّة في القطاع السياحي مما جعل الجزائر وجهة سيئة سياحياً.

تحت كل هذه التأثيرات السلبية التي تتخبط فيها السياحة الجزائرية توجب توحيد النظرة التكاملية في دراسة الظاهرة السياحية لإيجاد الحلول وأنعاش السياحة في الجزائر ونفث الغبار على كنوزها السياحية ودفع عملية الجذب السياحي فيها.

خاتمة

تأتي مساعي الدولة في تنمية السياحة الحموية وحماية التراث الحموي في زمن أصبحت السياحة أهم القطاعات في العالم، تمتلك الجزائر مؤهلات وإمكانات معتبرة من المصادر الحموية والمنابع المعدنية إذ تحوز على 282 حَمَام معدني، تحدها مجموعة من الخصائص الاجتماعية والثقافية من جهة والفيزيو-كيميائية والطبيعية من جهة أخرى ليصبح ملاذا سياحيا لكثير من الفئات الاجتماعية. إن هذه الاستراتيجية تفصح على الإرادة القوية في تطوير شعبة الحموي، إلا أن هذه العراقيل يمكن لها أن تتبدد وذلك بتكاثف الجهود والمساعي الرامية إلى تطوير السياحة الحموية والمحافظة على التراث الحموي واستدامته بما يكفل حق الأجيال في ذلك، من خلال ترشيد الاستغلال وزيادة الاستثمار خاصة من طرف الخواص من خلال تقديم تسهيلات من طرف الدولة، كما يستدعي الموضوع نشر ثقافة سياحية وخاصة ثقافة سياحية حموية تراعي المحافظة على التراث الحموي، تأطير خبرات في مجال الحموي والسياحة والفندقة كما تكثيف الدورات التكوينية لعمال القطاع وكذا استغلال الاعلام السياحي في الترويج لسياحة الحمامات المعدنية والاستفادة من تجارب الدول الرائدة في المجال، كما يجب توسيع استغلال المنتج الحموي من خلال استغلال مشتقاته من مناخ وطن ... وتزويد القطاع بتجهيزات حديثة وتطبيقات علاجية متطورة تسمح بتوفير خدمة عالية المستوى للسائح كذلك لا بد من التركيز على محاولة تصحيح الذهنيات والتحلي بالأخلاقيات السياحية والتسلح بفنيات المعاملة والوعي السياحي في الأخير نؤكد على أن عملة التنمية مرهونة بالإرادة القوية والتدخل الفعلي المخطط له وفق استراتيجيات تنموية جادة ومتوازنة تقف على واقع الإمكانيات السياحية من دون أن ننسى السياسات الهادفة في المجال السياحي واشراك المجتمع المحلي في حدود الحفاظ على الخصوصية الثقافية للمجتمع الجزائري والتي تعتبر العصب الذي يحافظ على ديناميكية السياحة في الجزائر حيث تتجسد في تلكم الخصوصية كل السمات التراثية والثقافية والحضارية للأمة.

إن هذا الزخم في التراث الحموي يدفع بالمختص في الأنثروبولوجيا للوقوف على مساهمة هذه الفضاءات والتي تعد سوسيو ثقافية بامتياز في عملية التنمية كأحد الأساليب التي تعمل على المحافظة على التراث الحموي وثقافة ممارسته سوف نتطرق في الفصل الموالي لعرض نموذج من التراث الحموي، هام ومتميز في الجزائر حمام قرقور المعدني قطب سياحي وتراث حموي له من المقومات ما يجعله قبلة سياحية متفردة بطابعها التراثي والسوسيو-ثقافي الذي سوف يساهم في انعاش مستقبل السياحة الحموية في الجزائر.

الفصل الثالث

حمّام قرقور دراسة منوغرافية

مقدمة

حمام قرقور بمدينة سطيف يعد واحدا من بين الحمامات المعدنية الهامة الذي يقصده العديد من السياح لأجل الاستشفاء والاستجمام والراحة، تمتلك كل من مدينة سطيف ومنطقة حمام قرقور والحمام المعدني قيمة تاريخية وحضارية ما يجعلها مقومات سياحية هامة تركز عليها الممارسات السياحية بالمنطقة ولأجل معرفة ذلك توجب علينا في هذه الدراسة انتهاج الطريقة المونوغرافية كونها الطريقة المناسبة في هذا الشأن، كما تعد أحسن طريقة للتعرف والتعريف بكل أجزاء مجال الدراسة من خلال الوقوف على المقومات السياحية لمدينة سطيف باعتبار الحمام من بينها ذو الترتيب الثالث عالميا من ناحية المياه المشعة والتي لها فوائد على صحة الانسان من خلال الاستشفاء بهذه المياه العلاجية هذي القيمة السياحية الهامة التي تعد المحفز الأول لجذب السياح، كما التعرف على أهم الملامح الايكولوجية والاجتماعية والثقافية للمنطقة، وكونه الحمام ينتهي إلى النسيج الطبيعي والاجتماعي والثقافي للمنطقة فقد يحض بخصوصية ثقافية نسجت من تراث أهل المنطقة وملاحها التاريخية والثقافية.

أولا : مدينة سطيف ومؤهلاتها التراثية والسياحية

1- لمحة عن مدينة سطيف

أ- موقع مدينة سطيف الجغرافي والإداري

تعد ولاية سطيف من أهم ولايات الوطن تقع على بعد 300 كلم من العاصمة وعلى بعد 100 كلم من الساحل وهي عاصمة الهضاب العليا، هي منطقة تشتهر بالزراعة (زراعة الحبوب) تضم 20 دائرة، و 60 بلدية، تقدر مساحتها 6,549,64 كم²، كما يقدر عدد السكان فيها 1.951416 نسمة فهي أكثر مدن الجزائر اكتظاظا بعد العاصمة، يسودها مناخ قاري شبه جاف، يحدها جغرافيا:

-من الشمال ولايتي بجاية و جيجل .

-من الجنوب ولايتي باتنة ومسيلة .

-من الغرب ولاية برج بوعريج .

-من الشرق ولاية ميلة .

فسطيف تقع إذن في الشمال الشرقي من الجزائر، قد بناها الفرنسيون عام 1838 على أنقاض المدينة الرومانية Sétifis.¹ كما هو مبين في الخريطة رقم (01) تبين موقع ولاية سطيف الجغرافي²

تقع ولاية سطيف فلكيا بين خطي طول 5,04 و 6,26 شرق خط غرينتش وبين دائرتي عرض 34,76 و 36,26 شمال خط الاستواء وهي بهذا تقع جغرافيا جنوب شرق العاصمة

مساحتها تمثل 1,7 % من مساحة الهضاب الشرقية و 0,27 % من المساحة الإجمالية للوطن.

¹ Direction du tourisme et de l'artisanat de la wilaya de Sétif (2015), *Schéma directeur d'aménagement touristique de la wilaya de Sétif- SDAT w- Sétif 2030*. livre n°1: état des lieux-diagnostic prospectif. P25.

² مديرية البرمجة ومتابعة الميزانية لولاية سطيف، الحولية الإحصائية، 2019 .

خريطة رقم 1: تبين موقع ولاية سطيف الجغرافي



- في حين أن موقعها الإداري يجعلها تتموقع في مركز الولاية حيث تحدها البلديات التالية :
- من الشمال بلدية أورسيا .
 - من الشمال الشرقي بلدية بن فودة .
 - من الشرق أولاد صابر .
 - من الجنوب الشرقي قجال .
 - من الجنوب الغربي بلدية عين أرناط كما توضحه الخريطة رقم(02)

جدول رقم 6: يبين الدوائر الإدارية والبلديات التابعة لها

الدائرة	البلدية
1- سطيف	سطيف
2- عين أرنات	عين أرنات، عين عباسة، الاوريسية، مزلوق
3- عين أزال	عين أزال، عين لحجر، بيضاء برج، بئر حدادة
4- عين الكبيرة	عين الكبيرة، الدهامشة، أولاد عدوان
5- عين ولمان	عين ولمان، قلال، قصر الأبطال، أولاد سي احمد
6- عموشة	عموشة، وادي البارد، تيزي نبشار
7- بابور	بابور، سرج الغول
8- بني عزيز	بني عزيز، عين السبت، معاوية
9- بني ورتيلان	بني ورتيلان، عين لقراح، بني شبانه، بني موجلي
10- بئر العرش	بئر العرش، البلاعة، الولجة، تاشودة
11- بوعنداس	بوعنداس، ايت نوال مزادة، ايت تيزي، بوسلام
12- بوقاعة	بوقاعة، عين الروى، بني وسين
13- جميلة	جميلة، بني فودة
14- العلمة	العلمة، القلثة الزرقاء، بازر سكرة
15- قجال	قجال، أولاد صابر
16- قنزات	قنزات، حربيل
17- حمام قرقرور	حمام قرقرور، ذراع القبيلة
18- حمام السخنة	حمام السخنة، طاية، التلة
19- ماوكلان	ماوكلان، تالة ايفا سن
20- صالح باي	صالح باي، بوطالب، الحامة، أولاد تيان، الرصفة

ب- مدينة سطيف عبر العصور:¹

تعتز ولاية سطيف بعمق تاريخها الذي يعود إلى عصور غابرة، فأول من سكن هذه المنطقة هم البربر الذين أسموها "أزديف" بمعنى التربة السوداء، وفي عام 97م تحولت المدينة إلى معسكر لقدماء الجنود الرومان لتعرف تحت اسم "سيتيفيس" المشتقة من التسمية البربرية، وأما الوندال والبيزنطيون هم الآخرون سجلوا وجودهم بهذه المدينة العريقة وفي منتصف القرن السابع ميلادي فتح المسلمون سطيف، ثم توالى عليها العديد من الخلافات الإسلامية مثل العباسية، الأموية والفاطمية....، وفي الفترة العثمانية كانت تابعة لبيك قسنطينة إلى غاية الإحلال الفرنسي الذي قاومه أبناؤها لغاية الاستقلال.

¹ مديرية البرمجة ومتابعة الميزانية لولاية سطيف، الحولية الإحصائية، 2019.

من دقق وتعمق في دراسة الشواهد والمعالم المتناثرة بربوع الولاية، شهد صمودها في وجه تقلبات الزمن، ويقراً فيها ملاحم وملاحم التاريخ المتعاقبة على المنطقة واستشعر الروح التي تسري في أوصال هذه الأمة التي أبت أن تندثر أو تندمج وأثرت الحياة الكريمة وعشقت الحرية وسلكت دروبها، فهي شواهد دالة عن مميزات سكان هذه الولاية توحى تنوع ثقافتهم وحضاراتهم وقدراتهم التنظيمية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية وحميم للحرية وتمردهم على كل مستعمر رافضين النذل والاستعباد منذ القدم، ونوجز هذه اللوحة التاريخية في ثلاث مراحل (مرحلة ما قبل التاريخ، مرحلة الفترة القديمة، المرحلة الإسلامية)

• مرحلة ما قبل التاريخ

حسب نتائج المسوح والدراسات والأبحاث الأثرية والحفريات التي قام بها علماء الآثار بتراب الولاية مكنتم من اكتشاف أقدم الشواهد الأثرية التي ترجع إلى عصور ما قبل التاريخ من أهمها موقع عين لحنش الذي يعود إلى فترة العصر الحجري القديم الأسفل وهو الموقع الذي يقع ببلدية القلطة الزرقاء على بعد 7 كلم شمال غرب دائرة العلمة إذ اكتشف هذا الموقع سنة 1947 م من طرف الباحث كاميل ارامبورغ أثناء أبحاثه بالبيونولوجية في المنطقة التي عثر فيها على مستحاثات عظمية لحيوانات تعود إلى فترة البلايستوسان الأسفل مع أدوات حجرية تمثلت في الحصى المشظاة وبقايا عظمية لفصائل حيوانية (خليات، بقاريات، خنزيرات، فيلة، بقر الوحش) ويؤرخ الموقع بـ 1.8 مليون سنة وهناك مواقع أثرية ترجع إلى الحضارة القفصية بالعصر الحجري القديم المتأخر منها:

- موقع بمزلوق جنوب غرب مدينة سطيف اكتشف سنة 1927 وأجريت به حفريات سنة 1928 تم العثور من خلالها على أدوات حجرية وعظمية تعود إلى العصر الحجري القديم المتأخر
- موقع عين بوشريط الذي يقع على بعد 7 كلم من مدينة العلمة اكتشف سنة 1952 حيث عثر أثناء عملية التحري بالمنطقة على جزء من فك سفلي لإنسان بلون اصفر وقد كشفت الحفريات الأثرية التي أجريت فيما بعد عن وجود صناعة حجرية ذات الحجم الصغير (ميكروليتية).
- موقع مجاز 1 ومجاز 2 اكتشف سنة 1955 بالقرب من مدينة العلمة وأجريت به الحفريات ما بين 1962-1986 حيث عثر على أدوات حجرية تنتمي إلى ثقافة القفصي الأعلى للعصر الحجري القديم المتأخر وبقايا عظمية إنسانية لحوالي 20 هيكل عظمي للإنسان المتوسطي
- موقع كاف الزمام الذي يقع بقرية زراية ببلدية بيضاء برج دائرة عين أزال عثر فيه على نقوش صخرية لفترة ما قبل التاريخ لحيوانات برية منقرضة (بقر الوحش، ظبي، نمر، نعام) وجدت نماذج منها في منطقة الأهقار والطاسيلي والجنوب الوهراني.

كلها توجي بأن المنطقة كانت أهلة وعامرة بالسكان منذ آلاف السنين وكانت تقطها سلاله تنتهي إلى مجموعة رجل كرومانيو الذي انحدر من ذريته الأمازيغ (الرجال الأحرار) الذين تجمعوا وتوزعوا على شكل قبائل.



صورة رقم 1: توضح أداة حجرية موقع عين حنش

• مرحلة الفترة القديمة

تتمثل هذه الفترة في الوجود الروماني و البيزنطي المستعمرين وما صاحب وجودهم من ثورات تحريرية، إذ يمكن القول بان الدولة الجزائرية لم تظهر للوجود إلا بعد القرن الثالث و الثاني قبل الميلاد بحيث تشكلت مملكتين الأولى المملكة الميساسيلية التي يحدها من الشرق واد بومرزوق الذي يصب في وادي الرمال و من الغرب الموالية، وكان يحكم هذه المملكة سيفاكس . و وراء واد بومرزوق توجد مملكة مسيليا بقيادة مسينيسا . و كانت منطقة سطيف تابعة إلى مملكة ميساسيلية في سنة 225 قبل الميلاد و أثناء الحروب الفينيقية التي دامت من سنة 264 إلى 146 قبل الميلاد . تحالف سيفاكس مع قرطاجنة، بينما مسينيسا بقي حليفا مخلصا لروما وبعد انهزام قرطاجنة تحصل مسينيسا على نوميديا جزاء على تحالفه و بقي تحت وصاية روما . وبعد وفاته و وفاة ابنه ميببسا اشتدت المنافسة بين الأحفاد و منهم يوغرطا الذي كان ينوي منح الاستقلال إلى نوميديا . و لم يتمكن من تحقيق حلمه بعد وصوله إلى السلطة و سمح هذا الإخفاق للرومان بالتدخل :

لقد قاوم الأهالي هذا الغزو تحت قيادة يوغرطا الذي قاتل ماريوس قرب مدينة سطيف و انهزم في سنة 105 قبل الميلاد .

خلال تولي يوبا 1 (المتوفى في 46 ق.م) و يوبا 2 (25 ق.م – 23 م) و بطولومي (23 م- 42 م) كانت منطقة سطيف جزءا من موريتانيا القيصرية و ازداد تدخل الرومان مما أدى إلى نشوب ثورات أشهرها ثورة تكفاريناس الذي كان عضوا في الجيش الروماني و في الفترة ما بين 17 إلى 24 م انضم جيشا من الأهالي من بينهم سكان منطقة سطيف الذين ساهموا مساهمة فعالة في تلك الثورة. إن تعدد الانتفاضات دفع الرومان

سنة 42 م بضم كل الشمال الإفريقي إلى إمبراطوريتهم. اهتم الرومان بسطيف نظرا لموقعها الجغرافي الذي يسيطر على السهول العليا الشاسعة و الغنية بالقمح و موقعها الاستراتيجي عند سفح جبل بابور التي كانت مناسبة للمقاومة و نقطة الانطلاق الثورات ضد الاحتلال الروماني. و لهذه الأسباب قرر الإمبراطور نيرفاني سنة 97 م إنشاء مستعمرة لقدماء الجيش في موقع ستيفيس و التي أطلق عليها عدة تسميات: "كولونيا نيرفانيا"، (كولونيا اوغيسطا)، (كولونيا مارطاليس)، (كولونيا "فيتيرنانة" "ستيفانسيوم"). و ستيفيس تسمية رومانية مشتقة من كلمة بربرية "ازديف" و معناها التربة السوداء و كانت منطقة سطيف مخزن القمح لروما

و من أجل فرض النظام الاستعماري تم إنشاء إدارة و مراكز للحراسة المسماة كاستيلا عبر مستعمر شمال إفريقيا حيث يوجد عدة مراكز للحراسة بمنطقة سطيف هي:

- كاستيلوم فارطانيانس (قصر الأبطال)
- كاستيلوم ديانانس (سيدي مسعود - قجال)
- كاستيلوم ثيب (ملول – قلال)
- كاستيلوم (بئر حدادة)
- كاستيلوم لوبرينانس (المعفر – صالح باي)

كما أنشئت عدة كاستيلات عبر ناحية سطيف (حمام قرقور – عين الروى ...الخ).

هذا التحصين الأمني سمح بالسيطرة النسبية على السلم الروماني في إفريقيا الشمالية، الذي لم يدم طويلا إذ في سنة 235 م تزعزت الدولة الرومانية حيث عرفت اخطر الأزمات الاجتماعية والاقتصادية و السياسية التي أدت بانتفاضات و ثورات عبر كل إفريقيا الشمالية، و أشهر هذه الثورات ثورة فير ميس (المتوفى سنة 375 م) وأخيه جيلدون (المتوفى سنة 398 م)، كما ساهم أهالي منطقة سطيف في هذه الثورات. ولمواجهة هذه الوضعية قرر الإمبراطور ديوكرتيان سنة 297م تقسيم موريتانيا القيصرية إلى ناحيتين: موريتانيا القيصرية و موريتانيا تيفانيس التي عاصمتها سطيف .

رغم الإجراءات المتخذة من طرف الإمبراطورين ديوكرتيان (285 م - 305 م) و قسطنطين (306م -337 م) اللذان حاولا مقاومة الفقر و التدهور الاقتصادي. استمرت الثورات و أدت إلى انهيار و سقوط الإمبراطورية الرومانية. هذا الانحطاط الذي مس سطيف و نواحيها تضاعف بالزلازل العنيف الذي هدم المدينة عن آخرها سنة 419 م حيث يصف القديس اوغستان هذه الكارثة قائلا " لقد كانت الهزات عنيفة إذ

أن السكان أرغموا بالبقاء خارج بيوتهم طيلة خمسة أيام". و قد تفاقمت الأوضاع بغزو الوندال و نهبهم لشمال إفريقيا و احتلالهم المدينة سنة 429 م . و دام هذا الاحتلال إلى غاية سنة 539 م حين احتل العميد البيزنطي سالمون المدينة و قام بترميمها و جعلها عاصمة لإقليم موريتانيا الأولى وأسوار القلعة البيزنطية بمدينة سطيف شاهدة على ذلك . إن مجيء البيزنطيين إلى شمال إفريقيا كانت محاولة فاشلة في إحياء مجد الإمبراطورية الرومانية لان الهيمنة البيزنطية لم تستمر طويلا نظرا لعدم سيطرتها على زمام الحكم نتيجة تزايد الثورات و حتى الإمبراطورية البيزنطية ضعفت أمام ظهور الإسلام.

• مرحلة الفترة الإسلامية

في سنة 647 م وقعت أول حملة لنشر الإسلام في شمال إفريقيا و في سنة 705 م تم فتحها و هذا بفضل الرسالة الدينية و السياسية و الاجتماعية التي حملها العرب إلى الأهالي و التي لاقت ترحابا و إقبالا بعد تفهم محتواها و أهدافها السامية حيث ساهموا كثيرا في ازدهار و انتشار الحضارة العربية الإسلامية .

خلال ثلاثة قرون كانت شمال إفريقيا و خاصة منطقة سطيف تابعة للخلافة الأموية و العباسية، و بعد ضعفها برزت إلى الوجود عدة دويلات منها الدولة الفاطمية، لقد تحقق ظهور هذه الدولة بفضل المساهمة الفعالة لقبيلة كتامة في نواحي بني عزيز، إذ كان عبيد الله المهدي هو مؤسس هذه الدولة فالفضل يرجع إلى مساعدة الداعية أبو عبد الله الذي استطاع خلال موسم الحج أن يتصل بأفراد من كتامة الذين وافقوا على شعارات حملة عبد الله المهدي . لقد عرض عليه رفقاءه الجدد المجيء إلى بلدهم لممارسة نشاطه في اقجن، و توجد هذه القلعة شمال بني عزيز في موقع يسمى عين جوهرة . لقد كون هذا الداعية جيشا من أهال كتامة من اجل إنشاء هذه الدولة التي سمحت بانتشار المذهب الشيعي الإسماعيلي سنة 904 م، لم يدم طويلا وجود الفاطميين في ناحية سطيف حيث انتقلوا إلى مصر أين أسسوا مدينة القاهرة سنة 969 م . إذ قاد جوهر الصقلي جيشا لفتح مصر انطلاقا من عين جوهرة التي أطلق عليه هذا الاسم تمجيذا و تكريما لهذا القائد العظيم.

بقيت منطقة سطيف خاضعة للدول التي تتابعت حتى وصول العثمانيين و ظلت مجهولة طيلة هذه الفترة، كما تم العثور على الحي الإسلامي أثناء الأبحاث الأثرية لسنة 1977-1984 التي أجريت بحي القلعة الفرنسية (حديقة التسلية حاليا) ويعود تاريخه إلى القرن 10 و 11 ميلادي وهذا ما يؤكد ما وصفه الجغرافيون والرحالة العرب خلال القرون الوسطى إن ولاية سطيف كانت في أوجه تطورها حيث كانت مركز عبور لنشاط تجاري مكثف بين المراكز العمرانية للمغرب الإسلامي ، كما عثر على جملة من الأواني الفخارية تعود للفترة الفاطمية و الحمادية .

• مرحلة الفترة الاستعمارية

اهتم الفرنسيون بمنطقة سطيف بعد أن طردوا العثمانيين و احتلوا المدينة في 15 ديسمبر 1839 بقيادة العميد قابلوا، إن السياسة الاستعمارية المنتهجة كانت تخدم مصالح الأوروبيين فقط، أما الأهالي فقد انتزعت منهم أراضيهم و ذلك بسن سلسلة من القوانين التعسفية مثل قانون فارني، و هذه العملية تمت بمساعدة البنوك الكبرى و الشركات العقارية الرأسمالية و بذلك تحصلت شركة جنيف على الجزء الأكبر من الأراضي الفلاحية بمنطقة سطيف. وكانت حصيلة هذه السياسة الاستعمارية تدهور حالة معيشة المواطنين مما أدى إلى نشوب ثورات و حركات مسلحة أهمها ثورة المقراني سنة 1871 التي مست جزءا كبيرا من منطقة سطيف .

إن استمرار المقاومة الشعبية المسلحة لم تستطع وضع حد نهائي للوضعية المأساوية التي كان يعيشها الجزائريون و بعد الحرب العالمية الأولى اتخذت الحركة الوطنية منهاجا جديدا لمواجهة الاستعمار حيث ظهرت أحزاب سياسية .

كانت منطقة سطيف مركز إشعاع لهذه الأحزاب، حيث كان أحد مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و هو الشيخ البشير الإبراهيمي يقيم بسطيف قبل ذهابه إلى تلمسان و كذلك انشأ المستشار العام السيد فرحات عباس سنة 1946 حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري .

تمكنت هذه الأحزاب من تعزيز و تقوية الروح الوطنية لدى الجزائريين الذين طالبوا بالإصلاحات، و لكن تعنت سلطات الاحتلال التي لم تلبي طلباتهم بل قمعت في يوم 8 ماي 1945 مظاهرة نظمت بمناسبة انتصار الحلفاء و تذكيرا بوعود فرنسا . كانت من نتائج هذا القمع الفظيع سقوط آلاف الضحايا بسطيف، بني عزيز، عموشة، عين الكبيرة، و تعتبر المجزرة الرهيبة بداية و تمهيدا لاندلاع حرب التحرير الوطني في أول نوفمبر 1954 .

لقد ساهم سكان ولاية سطيف في هذه الحرب و هذا نظرا للموقع الجغرافي الذي تتميز به هذه الجهة إذ وجدت مدينة سطيف عند نقطة التقاء الولاية الأولى و الثانية و الثالثة . لهذا فان شمال المدينة ضم إلى الولاية الثالثة و جنوبها ضم إلى الولاية الأولى و كانت السكة الحديدية تفصل بين الولايتين . و نظرا لتضاريس الولاية تم إنشاء مراكز للقيادة عبر ترابها أهمها جبل بابور و جبال منطقة بني ورثيلان و جبل بوطالب .

حاولت الإدارة الاستعمارية أثناء الحرب التحريرية خنق و عرقلة هذه الثورة و ذلك بإنشاء عمالة (ولايات) وبالتالي تم إنشاء عمالة سطيف في سنة 1956 والتي كانت تضم 9 دوائر و 186 بلدية.

وبعد الاستقلال احتفظت ولاية سطيف بحدودها الإقليمية القديمة-ولاية سطيف الحالية وولايتي بجاية و برج بوعرييج و جزء من ولاية المسيلة .

ت- مؤهلات مدينة سطيف التراثية والسياحية

• المواقع والمعالم الأثرية:¹

و تتمثل في متحف وأثار جميلة المصنفة ضمن التراث العالمي المحفوظ، عين الفوارة، القلعة البيزنطية، المقبرة الرومانية، الخزانات والحمامات الرومانية، ضريح سيبيون الإفريقي، المتحف الوطني للآثار، موقع عين لحنش، الموقع الأثري للفاطميين وموقع مونس الروماني...إلخ
ومن أهم آثارهم الباقية بالمدينة :

• ضريح سيبيون الإفريقي:

يقع هذا الضريح على بعد 1800م شمال غرب مدينة سطيف وهو عبارة عن معلم معماري جنائزي كبير لسبيون نسبة للعائلة الرومانية كورنيليا، فريد من نوعه في شمال إفريقيا، يرجع تأسيسه إلى نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الميلادي وهو يتكون من طابقين الجهة السفلى أين توجد قاعة الدفن التي اندثرت بفعل فاعل والجهة العلوية التالية لا تزال شاهدة على النمط المعماري السائد في تلك الفترة متصل بالمدينة القديمة التي عاث فيها الإنسان فسادا.



صورة رقم 2: تمثل منظر لضريح سيبيون الإفريقي بمدينة ستيفيس

¹ مديرية البرمجة ومتابعة الميزانية لولاية سطيف، الحولية الإحصائية، 2019.

- الحمام والخزان المائي الروماني بحديقة رفوفي:

لقد اكتشف هذا المعلم سنة 1907 من طرف عمال البلدية الذين كانوا بصدد البحث عن مصدر المياه التي كانت تخرج على شكل ينابيع إلا أن المختص في الينابيع جون بيرنت يذكر في كتابه انه اكتشفه سنة 1876 ولقد أجريت به حفريات على عمق يقارب 3 أمتار من سطح الأرض فظهر المعلم كما تبينه الصور أسفله



صورة رقم 3: مجموعة صور للخزان المائي والحمام الروماني

- موقع جميلة: كويكول

يتمثل في مدينة كويكول الأثرية التي أسست في 96م كمستعمرة من طرف الإمبراطور نارفا في نفس الوقت مع مدينة سطيف، يتربع هذا الموقع على مساحة تقدر بـ 42 هكتار وتنقسم إلى قسمين هما الجهة الوثنية والجهة المسيحية، تمتاز بمعالمها التاريخية ولوحاتها الفسيفساء المميزة بقي منها منزل باخوس، الحمامات الجنوبية، النافورة، المسرح والبازيليكات المسيحية وبيت التعميد ومسكن للقديس يقع بين مدينتي سيتيفيس وتاموقادي، يعد هذا الموقع من روائع الحضارة الرومانية في الجزائر وبذلك صنف ضمن التراث العالمي المحفوظ منذ 1982م.



صورة رقم 4: منظر لقوس النصر بركلا بمدينة كويكول

- مدينة مونس (واد الذهب - بني فودة) تقع ببلدية بني فودة أسست في القرن الأول ميلادي بين مدينة سيتيفيس وكويكول وكان يطلقون عليها السكان المحليون اسم (هنشير القصر) و بها معبد ساتورن وبقايا أساس قلعة بيزنطية وبعض الأضرحة الجنائزية وكلها تعاني إهمال وعدم استغلال من طرف الجماعة المحلية ومديرية السياحة ونبين هذه المعالم بالصور التالية:



صورة رقم 5: توضح بقايا مدينة مونس الرومانية



صورة رقم 6: تيين القلعة البيزنطية - سطيف



صورة رقم 7: توضح بقايا سور قلعة إيكجان

- عين الفوارة :

يرجع تاريخها إلى 3 فيفري 1898م التاريخ الذي طلب فيه حاكم المدينة انذاك من مدير الفنون الجميلة نحت عين تذكارية وبذلك وعد مدير الفنون الجميلة بباريس تحقيق رغبة الحاكم وتم ذلك، بعد أن أنجز هذا النحت الفنان فرنسيس دوسانت فيدال، أرسلت هذه التحفة المعمارية إلى ميناء سكيكدة ثم نقلت إلى مدينة سطيف فوق عربة تجرها خيول، ولقد دشنت هذه العين التذكارية في نهاية 1898م بحضور فرنسيس دوسانت فيدال الذي نحتها.

- المعالم الدينية والثقافية: ومنها المسجد العتيق، الزوايا العلمية كزاوية سيدي حسن والمدارس القرآنية ومنها مدرسة البصائر ومدرسة البشير الإبراهيمي.

- مناظر طبيعية فاتنة:

حضت طبيعة سطيف بمواقع فاتنة ومناظر ساحرة ترسم كلوحة فنية متناغمة الألوان ومنفردة الجمال بأجواء هادئة وروعة لا محدودة في أحضان غابات الحاضرة الطبيعية بآبور، الأودية والمنابع المائية بواد الكبير ووادي بوسلام، المواقع الجبلية والقرى البربرية بكل من بني ورثيلان ومنطقة حمام قرقور، هذا بالإضافة إلى الحدائق الغناء والمساحات الخضراء مثل حديقة الأمير عبد القادر وحديقة رفاوي.

- الصناعة والحرف التقليدية:¹

تعد مدينة سطيف من أهم المدن التي تحوز على الصناعات التقليدية حيث هذه الأخيرة تتميز بتنوعها وغناها من حيث المواد أو الرموز التي تنمقها ومن أشهر الصناعات التقليدية التي تعرفها ولاية سطيف نجد:

➤ زربية القرقور، البنوار السطايفي، الملاءة السوداء، النقش على الخشب، الصناعة الطينية والخزف، صناعة الحلي والفضة، النحاس.

➤ كما يتميز المطبخ السطايفي بتنوع أطباقه التراثية ولذتها التي لا تقاوم ومن أشهرها الرفيس، الكسكسي، الغرايف، الشخشوخة.

➤ الفلكلور: يميز ولاية سطيف طابع غنائي متميز و معروف ومن أشهره " السراوي".

- مؤهلات وهياكل سياحية

تتوفر مدينة سطيف على مؤهلات وهياكل معتبرة فيما يخص

المحطات الجوية والبرية : فإن الولاية تتوفر على مطار 8 ماي 1945 الذي يوفر رحلات دولية ووطنية، ومحطة مركزية للنقل البري في الولاية بالإضافة لمحطات فرعية أخرى على تراب الولاية ومحطة السكة الحديدية، كما تباشر الولاية في مشروع الترامواي الذي أشغاله قيد الانجاز .

- محطات السياحة الحموية: تحوز الولاية على العديد من محطات السياحة الحموية، منها 06 محطات معدنية مستغلة بطريقة عصرية بالإضافة إلى 03 حمّامات معدنية مستغلة بطريقة تقليدية توفر للزائر كل ظروف الراحة وأهمها:

¹ مديرية السياحة لولاية سطيف، 2019.

➤ حمام قرقور:

يعتبر أهم محطة معدنية بسطيف، يقع على بعد 50 كم شمال الولاية ويتضمن الحمام القديم والمركب السياحي، ويعود اكتشاف المنبع المعدني لهذا الحمام إلى القرن الأول ميلادي أي في الفترة الرومانية وكان اسمه آنذاك "عصافة" نسبة إلى واد بوسلام، كان يتكون من أحواض متصلة ببعضها البعض بواسطة قنوات ثم أخذ في القرن الثاني عشر هجري اسم حمام "سيدي الجودي" نسبة إلى الشيخ سيدي الجودي بن محمد القادم من الساقية الحمراء، وهو من حيث نوع وجودة تركيبة مياهه المعدنية الثالث عالميا. بقي حمام قرقور في هيئة أحواض تقليدية إلى غاية 1987م تاريخ بداية استغلاله بطريقة عصرية.

الجدول التالي يبين المحطات المعدنية التي تحوز عليها مدينة سطيف والتي تتمثل في 06 محطات معدنية وهي مستغلة بنمطين أحدهما تقليدي وآخر عصري وذلك لإحصائيات 2019

جدول رقم 7: يبين أهم المحطات الحموية بمدينة سطيف¹

البلدية	اسم المحطة	ملاحظات	عدد الزوار	عدد العاملين بالوحدة
مزلوق	حمام اولاد يلس	المحطة متوقفة	/	/
حمام القرقور	حمام القرقور	استغلال عصري	61846	20
أولاد تبان	بلعكري رشيد	استغلال عصري	154018	20
اولاد تبان	حمام سيدي منصور	استغلال تقليدي	12184	7
الحامة	سيدي عمر	استغلال تقليدي	/	/
حمام السخنة	لخضر بلمهوب	استغلال عصري	135819	34
	أعراب تارم	"	13600	13
	مخلوف بلعزام	"	37491	12
	حمام السخنة	"	12848	12
	التعاضدية العامة للسكن والتعمير	استغلال عصري	62505	9
	عزام	استغلال عصري	3 417	8

الجدول التالي يبين أهم المحطات الحموية التي تحوز عليها حسب الموقع ونوعية العلاج واختصاصاته.

¹ مديرية السياحة لولاية سطيف، 2019.

جدول رقم 8: يبين موقع المحطات الحموية بالولاية مع نوعية العلاج والاختصاصات¹

الرقم	اسم المحطة الحموية	الموقع	طريقة الاستغلال	نوعية العلاج والاختصاصات
01	حمام قرقور	بلدية حمام قرقور	حديث + تقليدي	الأمراض الجلدية+أمراض الأعصاب +أمراض الروماتيزم
02	حمام السخنة	بلدية حمام السخنة	تقليدي	الأمراض الجلدية+الأمراض التنفسية +أمراض الروماتيزم
03	أعراب تارم	بلدية حمام السخنة	حديث	الأمراض الجلدية+الأمراض التنفسية +أمراض الروماتيزم
04	لخضر بلمهوب	بلدية حمام السخنة	حديث	الأمراض الجلدية+الأمراض التنفسية +أمراض الروماتيزم
05	مخلوف بلعزام	بلدية حمام السخنة	حديث	الأمراض الجلدية+الأمراض التنفسية +أمراض الروماتيزم
06	التعاضدية العامة للسكن	بلدية حمام السخنة	حديث	الأمراض الجلدية+الأمراض التنفسية +أمراض الروماتيزم

• الوكالات السياحية²:

تتوفر ولاية سطيف على 410 وكالة سياحية موزعة على تراب الولاية كما هو مبين في الجدول

¹ مديرية السياحة لولاية سطيف، 2019.

² مديرية السياحة لولاية سطيف، 2019.

جدول رقم 9: يبين عدد الوكالات السياحية حسب بلديات ولاية سطيف

المشتغلين بها	العدد	البلدية
264	65	سطيف
93	36	العلمة
2	1	بني ورثيلان
17	4	عين ولمان
11	5	بوقاعة
18	5	عين آزال
2	1	بئر العرش
3	1	صالح باي
410	118	المجموع

الجدول الثالث تبين تصنيف الفنادق حسب الدرجة وكذا عدد الوافدين عليها وأيضا توزيعها على تراب
الولاية¹

جدول رقم 10: يبين تصنيف الفنادق حسب الدرجات

عدد العاملين بها	العدد	الدرجة
480	30	قيد التصنيف
69	17	مؤسسة معدة للفندقة
69	8	بدون نجوم
93	12	1
52	2	2
246	5	3
58	2	4
1067	76	المجموع

¹ مديرية السياحة لولاية سطيف، 2019.

جدول رقم 11: يبين عدد السياح الوافدين على فنادق الولاية

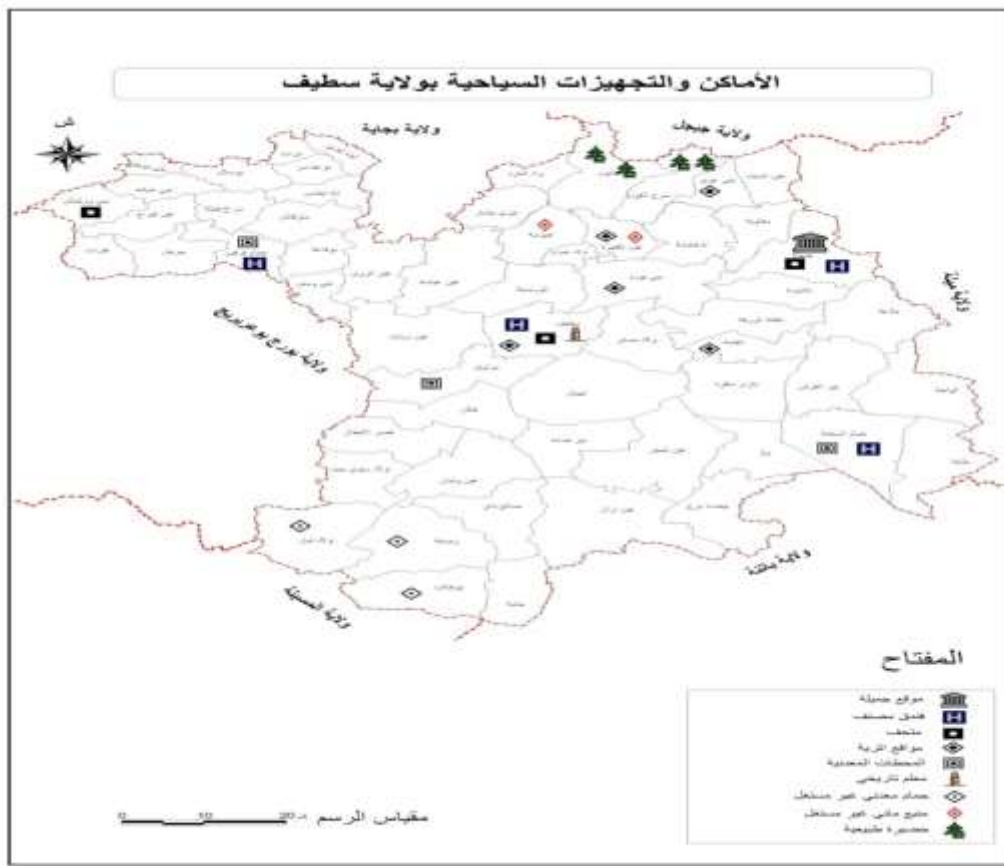
الصنف	وطني	اجنبي	المجموع
فندق مصنف	138817	32446	171263
فندق غير مصنف	161724	54632	216356
المجموع	300541	87078	387619

جدول رقم 12: يبين توزيع السكنات الفندقية على بلديات الولاية

البلدية	مصنفة					غير مصنفة					المؤسسة المعدة للفندقة			مجموع		
	عدد الاسرة	عدد الغرف	عدد البنغالوهات	عدد الفيلات	عدد الفنادق	عدد الاسرة	عدد الغرف	عدد البنغالوهات	عدد الفنادق	عدد الاسرة	عدد الغرف	عدد الفنادق	العمالين بها	الاسرة	الغرف	الفنادق
سطيف	1167	617	-	-	17	1707	889	-	15	383	200	12	661	3257	1706	44
بابور	-	-	-	-	-	-	-	-	-	18	10	1	3	18	10	1
بوقاعة	-	-	-	-	-	40	20	-	1	-	-	-	5	40	20	1
حمام القرقور	382	126	38	4	2	36	12	-	1	24	12	1	154	442	150	4
بني ورثيلان	-	-	-	-	-	30	24	-	1	-	-	-	4	30	24	1
العلمة	324	164	-	-	6	442	207	-	6	91	33	1	103	857	404	13
حمام السخنة	351	130	16	-	3	284	81	35	4	-	-	-	105	635	211	7

4	18	10	1	18	10	1	-	-	-	-	-	-	-	-	-	جميلة
6	20	10	1	20	10	1	-	-	-	-	-	-	-	-	-	عموشة
5	60	30	1	-	-	-	60	30	-	1	-	-	-	-	-	قجال
4	49	23	1	-	-	-	-	-	-	-	49	23	-	-	1	عين أزال
13	81	34	1	-	-	-	81	34	-	1	-	-	-	-	-	عين ولمان
1067	5507	2632	76	554	275	17	2680	1297	35	30	2273	1060	54	4	29	المجموع

خريطة رقم 3: تبين الأماكن والتجهيزات السياحية بولاية سطيف



ثانياً: الملامح الأيكولوجية والسكانية لمجتمع الدراسة

عند الحديث عن النسق الأيكولوجي فإننا بالتأكيد نركز على كافة الظروف الأيكولوجية الطبيعية و البشرية الموجودة بالمجتمع و التي تؤثر في طابع الحياة من مختلف جوانبها مثل الموقع و الطبيعة التضاريسية و أشكال السطح و كذلك العوامل المناخية و النباتات الطبيعية و الحيوانات البرية و البحرية و كذلك طبيعة و خصائص و أنشطة المكان ... الخ.¹ تتأثر الصناعة السياحية بملامح البيئة الطبيعية و التي لها دور هام في توزيع مواقع الاستجمام و في تحديد أنماط السياحة و حركة تدفق السياح، إذ أن البيئة الطبيعية تحدد ملامح معينة ذات جذب سياحي تلبيه لاحتياجات السائح.

تشكل البيئة مقومات هاما في الجذب السياحي حيث أصبحت السياحة و خاصة السياحة البيئية Eco tourisme من أكثر الصناعات نموا في العالم و من أهم القطاعات في السياحة الدولية و لعل أهم عنصر تقوم عليه السياحة البيئية هو عدم إحداث إخلال بالتوازن البيئي الناتج عن تصرفات الإنسان، و التي تكون ممثلة في تصرفات السائح من حالة السياحة البيئية و ما قد يحدث من تلوث فيها.² إذن البيئة تعتبر جوهر المنتج السياحي كما أن نجاح النشاط السياحي يعتمد على بقاء مغريات بيئة المقصد السياحي الذي يرغب الأفراد في رؤيتها و التمتع بها، لذا فقد أصبح الحفاظ على البيئة هو محور التنمية السياحية و يمكن تقييم عناصر البيئة إلى ثلاث أقسام رئيسية يتضح من خلالها إمكانيات الجذب المختلفة و هي البيئة الطبيعية و تشمل الماء و الهواء و الحياة الحيوانية و النباتية، و أيضا طبيعة السطح و المناخ و البيئة المصنوعة كالمنشآت المختلفة و الآثار الحضارية و البيئية و الأساسية الفوقية و أخيرا البيئة الثقافية التي تمثلها القيم و العادات و السلوك و التاريخ و غير ذلك.

فمن المؤكد أن عوامل الجذب الموجودة في البيئة سواء كانت طبيعية أو صناعية هي المحفز الأساسي للعديد من الأفراد للسفر و السياحة.³

أما الأيكولوجيا البشرية فإن الاهتمام ينصب على تحليل العلاقة بين الجماعات الإنسانية و البيئة الفيزيولوجية أي دراسة العلاقات بين الجماعات الإنسانية (السكان) و البيئة المحيطة بها و تأثير الطبيعة على الكائن البشري و أنشطته و تفاعله مع أفراد المجتمع البشري، و عليه فإن هناك جملة من العوامل التي تؤثر في عملية الجذب السياحي و التي قد تكون مساعدة في عملية تدفق السياح للبلد المضيف و ذلك لأغراض متعددة كالتنزه و الاسترخاء و العلاج و غيرها، و منها العوامل الجغرافية و الطبيعية مثل الموقع

¹ دبس، يسري، مرجع سابق، ص. 71.

² إبراهيم، محمد عباس، مرجع سابق، ص. 95.

³ المرجع السابق، ص. 98.

الجغرافي و التركيب الجيولوجي و أشكال السطح، و منها العوامل المناخية و النباتات الطبيعية و الحياة البرية والبحرية... الخ و أيضا العوامل الثقافية و التي تتمثل في العادات و التقاليد و اللغة و الفنون الشعبية... وكذا العوامل الاجتماعية و التي تتمثل في خصائص السكان و تعدادهم و العوامل الاسكانية و الخدمات والمرافق و كذا العوامل النفسية و من سمات الشخصية والمزاجية ... الخ.¹

1- المقومات الجغرافية والطبيعية وأثرها في النشاط السياحي

أ- الموقع الجغرافي وأثره في الجذب السياحي :

يحدد موقع المكان منطقة كانت أم دولة إمكانات الجذب السياحي لها و يعزي ذلك إلى أنه يتضمن مجموعة من المكونات ترتبط بتغيرات عديدة يمكنها أن تكون أساس النشاط السياحي و تتمثل هذه المكونات في تباين الوحدات الإقليمية المجاورة الذي يتضمن تباينا في أحجام السكان و العادات و التقاليد و تنوع الظواهر و مدى الإمكانيات الاقتصادية . كما أن المسافة الفاصلة تكون أقصر ما تكون بما تمثله من اقتصاد في الوقت و النفقات.² فقد أشار الفرنسي برييه Barrier عام 1991 إلى أهمية البعد الجغرافي في مجال النشاط السياحي و تحديد مشكلاته الإقليمية و أقترح الحلول لها.³ و لقد تم الاستعانة بعلم الجغرافيا و مناهجها في المجال السياحي أين تبرز العلاقة القوية بين محددات الموقع الجغرافي و علاقته بالجذب السياحي إذ أن من المواضيع التي تدرسها جغرافية السياحة :

- الأنماط المكانية للعرض السياحي و التي تتضمن عوامل الجذب السياحي و وسائل النقل و وسائل الراحة و التسلية و البيئة الأساسية لمختلف الخدمات .
- تحديد الأنماط المكانية للطلب السياحي .
- تحديد جغرافية المنتجات التي تتباين أنماطها تبعا لكل من ملامح البيئة الطبيعية، و الخصائص الحضارية و البشرية .
- الديناميكية السياحية و محاورها على المستوى الدولي و القومي .
- نتائج السياحة في مختلف المجالات الاقتصادية و الثقافية و الاجتماعية .
- دراسة نماذج من الأماكن السياحية بهدف إبراز ملامح شخصيتها الجغرافية و تحديد اتجاهاتها المستقبلية.⁴

¹ المرجع السابق، ص. 73.

² شوقي، منال عبد المعطي أحمد، مرجع سابق، ص. 94.

³ حماد، عبد القادر ابراهيم، عبد، ناصر محمود، مرجع سابق، ص. 34.

⁴ المرجع السابق، ص. 36.

إن بلدية حمّام قرقور هي أحد بلديات ولاية سطيف كما أشرنا سابقا و هي تحمل اسم الحمّام "حمّام قرقور" المنبع الحموي الذي تشتهر به المنطقة التي لها طبيعة خلابة بمناظرها وسلاسلها الجبلية وثروتها المائية إذ أنها تحوز على منابع مياه عديدة معدنية وإضاعة إلى ذلك فإن الوادي بوسلام الذي يتوسطها ويقسم ضفتها زاد المنطقة جمالا طبيعيا وأصبح يؤدي دورا حيويا بالمنطقة.

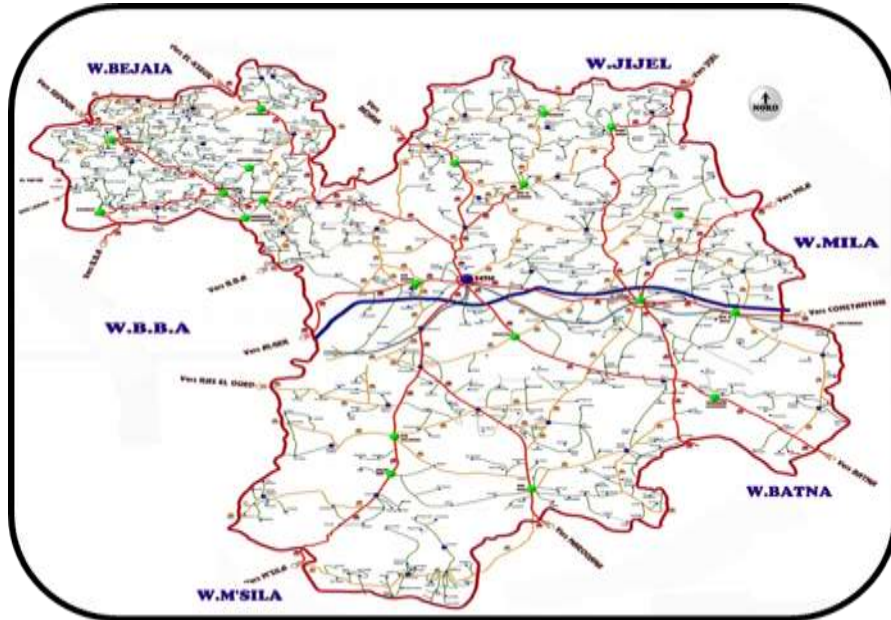
ب- الموقع الإداري والجغرافي:¹

أنشأت بلدية حمّام قرقور على اثر التقسيم الإداري لسنة: 1984 و تقع شمال غرب مقر الولاية على مسافة 55 كلم و يعبرها طريقان و طينان رقم: 74 و 76 يتوسطها واد بوسلام.

أما حدودها فهي كما يلي:

- شمالا: بلديتي ماوكلان و ذراع قبيلة.
- جنوبا: بلديتي خليل و بني وسين.
- شرقا: بلديتي بوقاعة.
- غربا: بلديتي حربيل و عين لقراج.

خريطة رقم 4: توضح الموقع الاداري لبلدية حمّام قرقور



المصدر: المصلحة التقنية للبلدية

¹ المصلحة التقنية للبلدية حمّام قرقور، 2019.



المصدر: من التقاط الباحث

ت- خصائص الوسط الطبيعي

نتيجة لتباين توزيع مساحة اليابس و الماء و اختلاف خصائصهما أدى ذلك إلى تباين طبيعة الرحلات السياحية، و اختلاف اتجاهها إلى جانب اختلاف وسائل النقل المستخدمة فيها التي تربط الدول و بعضها و التي تتراوح ما بين البحرية و الجوية و البرية، حيث يتباين الإقبال عليها تبعاً للإمكانيات المادية للسائحين و طبيعة التسهيلات المقدمة بالإضافة إلى أثر البرامج السياحية المعدة لهم¹. إذ يشغل الماء حجماً أكبر من حجم أي مركب كيميائي آخر على سطح الأرض لذا تسمى الأرض كوكب الماء أو الكوكب الأزرق، فالماء يغطي ما نسبته 70.8% من سطح الأرض، في حين يشغل اليابس منه 29.2%، في حين يشكل الماء 85% من كتلة المخلوقات البحرية و هو الوسط الذي تجري فيه التفاعلات الكيماوية الحيوية لبقاء الأحياء البحرية. وخواص المحيطات هي خواص المياه العذبة نفسها بالإضافة إلى ما طرأ عليها من تعديل نتيجة إلى: تفاعل المياه مع صخور القشرة الأرضية المكونة للأحواض المحيطية و المكونة للقارات عن طريق الدورة الهيدرولوجية، كما تفاعل المياه مع الأحياء البحرية².

كما أن لأشكال السطح (التضاريس) علاقة بالجذب السياحي حيث يقصد بالتضاريس كل أشكال سطح الأرض من حيث الارتفاع و الانخفاض و الانحدار والاستواء والتموج وما إلى ذلك من مظاهر الأرض، فتضم مثل الجبال و الهضاب و السهول و الأودية كما تضم في ثنايا توزيعها عدداً من الظواهر المائية مثل الأنهار و البحيرات و السواحل و تظهر في تكوينها و بنائها الجيولوجي ذاته مظاهر متنوعة، و تبرز خصائص مناخية و حيوية قد تكون متميزة و عليه فإنها قد تمثل ظواهر محايدة اتجهت إلى الخدمة السياحية بتأثير

رغبة الإنسان و اهتمامه، و لذا تتباين في ممارسة هذه الوظيفة بين المناطق المختلفة³.

¹ شوقي، منال عبد المعطي أحمد. مرجع سابق، ص. 98.

² المسعودي، رياض و شمسو، سمير خليل مرجع سابق، ص. 58.

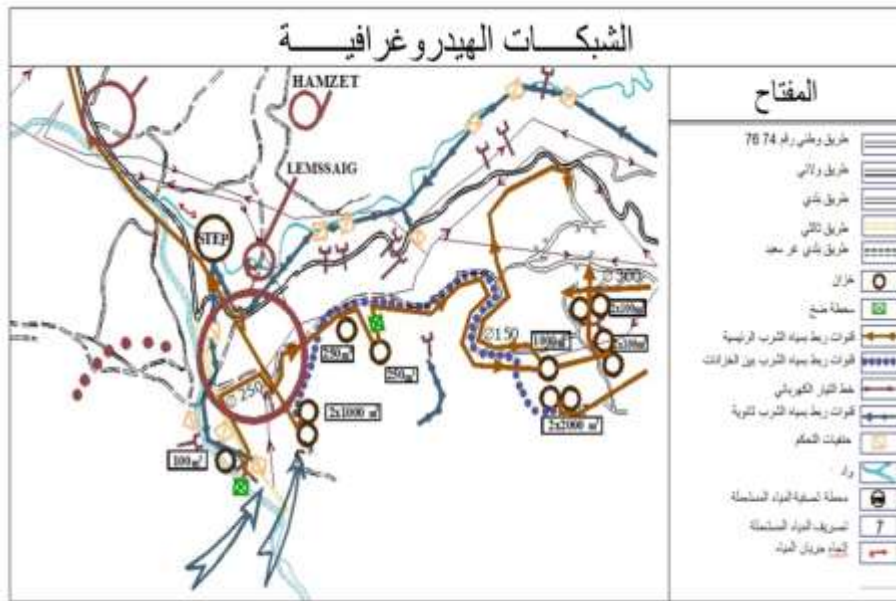
³ دعيبس، يسرى، مرجع سابق، ص. 110.

تمتاز بلدية حمّام قرقور بطابعها الجبلي حيث أن أكثر من 60 % من الاراضي تتخللها السلاسل الجبلية الكلسية مثل جبل طافات، (جبل قرقور) و جبل عيني، وهي عبارة عن حدود ادارية و طبيعية وهي ذات تضاريس صعبة خاصة في فصل الشتاء

يغلب على بلدية حمّام قرقور المناخ القاري: الحار صيفا و البارد شتاء و تتكاثر كمية التساقط شتاء و تقل صيفا. حيث يمتاز التساقط بمنطقة الدراسة بالتذبذب و التغيير حيث تعرف المنطقة سقوط مرتفع في الأشهر ديسمبر، جانفي و ديسمبر و فيفري و تعرف الجفاف جويلية وأوت . معدل متوسط التساقط السنوي 568 ملم و هذه الكمية غير مستغلة نظرا لغياب مشاريع و تجهيزات التخزين. كما إن ارتفاعات منطقة الدراسة محصورة بين 585م و 1613م حيث العلو الأدنى يقع في عمق واد بوسلام و في أقصى شمال البلدية، أما اكبر علو يتمثل في قمة جبل طافات(TAFAT) و الذي يبلغ علوه 1613م.

الشبكة الهيدروغرافية لبلدية حمّام قرقور كثيفة تحتوي على عدد كبير من الأودية والشعب و الأهم منها واد بوسلام، وطرقتها ذات منحرجات ذيقة وكثيرة .

وفي الخريطة التالية يتبين لنا الشبكة الهيدروغرافية التي تتألف منها المنطقة مجال الدراسة خريطة رقم 5: توضح الشبكة الهيدروغرافية لمركز البلدية



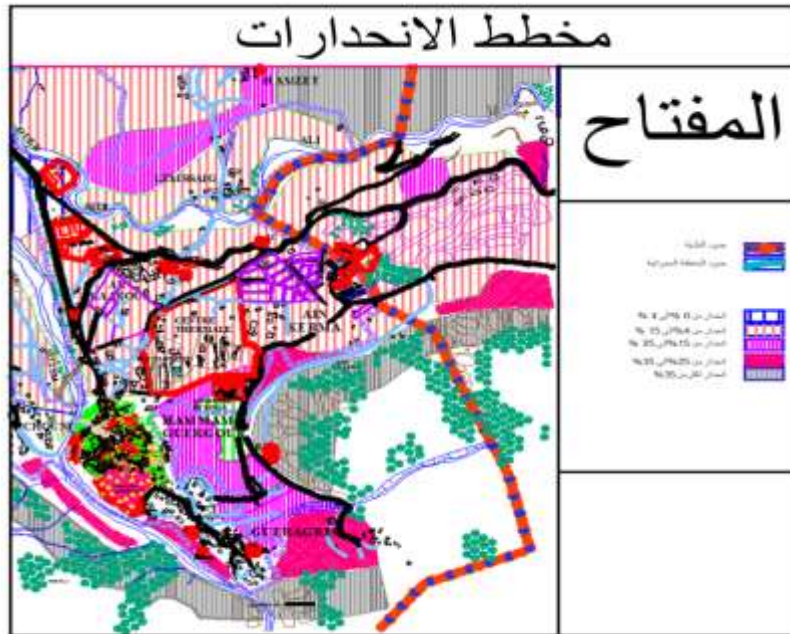
كما تمتاز منطقة الدراسة بانحدار شديد (>24) حيث تغطي هذه النسبة مساحة معتبرة على مستوى بلدية حمّام قرقور و المتمثلة في جبال طافات و العيني . والجدول التالي يوضح درجات الانحدار التي تخص منطقة حمّام قرقور مجال الدراسة وكذا خريطة توضيحية للانحدارات بالمنطقة. وهذا ما تم ملاحظته وتصوير بعض الصور التي تدل على الطابع الجبلي للمنطقة مجال الدراسة حيث أن الحمّام يقع أسفل هذه

السلاسل الجبلية التي تحيط به إن المنطقة تكتسي أهمية سياحية بطابعها الجبلي وخاصة الوادي الذي يتوسطها قد أعطى صورة خلاصة المناظر مما جعلها قبلة للزائرين الباحثين عن الراحة والاستجمام.

جدول رقم 13: يوضح الانحدارات لبلدية حمام قرقور

حمام قرقور		درجة الانحدار
النسبة %	المساحة	
7.59%	580	4 – 0
2.03%	155	8 – 4
9.61%	735	المجموع
23.41%	1790	16 – 8
14.81%	1132	24 – 16
52.16%	3988	24 +
100%	7645	المجموع

خريطة رقم 6: تبين الانحدارات ببلدية حمام قرقور



ث- الثروة الغابية والحيوانية

تمتلك منطقة الدراسة ثروة غابية معتبرة تمتد على طول لسلسلة الجبلية وهذا ما يؤهلها لأن تكون موطناً للعديد من الأشجار النادرة والنباتات العطرية التي تستخدم في الكثير من العلاجات الشعبية بالمنطقة كالزعر البري والشيخ والبابونج وإكليل الجبل والخزامة وغيرها كذلك جبال المنطقة ملجأ للعديد من الطيور والحيوانات البرية إضافة لهواء المنطقة النقي والصافي ذو خصائص علاجية لأمراض التنفسية هذا ما

يجعلها قبلة سياحية لعشاق السياحة البيئية والجبلية . غير أن كل من الرعي الفوضوي و السياحة غير المنظمة والاستغلال البيئي غير العقاني يعمل على تدمير هذه الثروات.

2- الملامح السكانية لمنطقة الدراسة

يعتمد التركيب السكاني في أي مجتمع على القوائم الاجتماعية والبيولوجية والتي يتم من خلالها تصنيف السكان إلى مجموعات مما يسمح بالتعرف على كثير من المشكلات ومما لا شك فيه أن التركيب السكاني يعتمد بالضرورة على الإحصاءات والتسجيلات الحيوية وقد يبين التركيب السكاني نوع السكان وفئاتهم العمرية وحالاتهم العائلية والتعليمية.¹ إن الدراسة الحالية تتطلب منا التطرق لكل من جوانبها الديموغرافية بغية التعرف على منطقة الدراسة انطلاقاً من المساحة التي يشغلها سكان المنطقة والتعرف أيضاً على أهم المؤهلات والمرافق الإدارية التي تحوز عليها المنطقة .

أ- المساحة والسكان²

تترع البلدية على مساحة اجمالية قدرها: 76.45 كلم² و يسكنها حوالي 19281 نسمة حسب إحصاء 2019 بكثافة سكانية قدرها: 252. يتمركز غالبية السكان عبر المراكز الحضرية الكبيرة، و المتمثلة في: حمّام قرقور مركز بوفروج-واد السبت-أولاد عياد-، أما باقي السكان فيتمركزون في القرى الأخرى مثل: السوالم- موقة- فويرات- حمزات- عين لعروس- طجل- لعفايف- لوطانتكورت- لمزاهدية- بوعريبة- عين الكرمة- لمناصرية- الجباس- النعاج.

ب- المرافق الإدارية:

تتألف منطقة الدراسة من مرافق إدارية عديدة توفر للقاطنين فرصة لممارسة حقوقهم المدنية بشكل سليم ومن بينها:

مقر الدائرة - مقر البلدية - مقر فرقة الدرك الوطني- مقر امن الدائرة - قباضة بريدية بوفروج- قاعة علاج حمّام قرقور- وكالة بريدية بحمام قرقور- مركز صحي بوفروج- مركز صحي بعين لعروس - فرع لمديرية البناء ببوفروج- فرع لمديرية الأشغال العمومية ببوفروج - فرع لمصالح الغابات ببوفروج- فرع لمفتشية العمل ببوفروج- قاعة متعدد الاختصاصات بواد السبت- قباضة بريدية بواد السبت - فرع إداري بواد السبت - فرع إداري بأولاد عياد- وكالة بريدية بأولاد عياد- فرع للري ببوفروج- محطة تصفية المياه المستعملة بالصحاق.

¹ فروق، أحمد مصطفى، مرجع سابق، ص.53.

² المصلحة التقنية للبلدية حمّام قرقور، 2019.

ت-المؤسسات الاقتصادية¹

تشكل المؤسسات الاقتصادية بمجال الدراسة جانبا مهما في دفع عجلة التنمية المحلية للمنطقة ومنها: الحمام المعدني التقليدي - المركب السياحي- مركب الراحة للمجاهدين- مركب وحدة تفصيل الملابس الجاهزة (القطاع الخاص)- مركب خيط الخياطة- وحدات صناعة مواد البناء- المؤسسة الوطنية لتوزيع مواد البناء.

وبالتالي مجال دراستنا حمام قرقور بجانبه التقليدي و العصري يعد أحد أهم المؤسسات التي تدعم اقتصاد المنطقة وذلك من خلال الحركة السياحية النشطة التي تميز المنطقة وخاصة السياحة العلاجية .

ج- الزراعة: يغلب على البلدية طابع الفلاحة المسقية خاصة بالأراضي الواقعة على حواف واد بوسلام.

ح- التجارة: تتوفر المدينة على عدة أنواع من التجارة تتوزع عبر مختلف المناطق إذ توجد أغلبيتها في مركز المدينة وبالضبط في المدخل الرئيسي للمركز الحضري لحمام قرقور، حيث قدر عدد المحلات التجارية بـ 68 محل لتجارة ألبسة النساء والمواد الغذائية و المقاهي و الأواني المنزلية و المطاعم.

خ- شبكة الطرق: تتألف منطقة الدراسة من شبكة طرق منها:

➤ الطرق المعبدة: 27 كلم.

➤ الطرق غير المعبدة: 29 كلم.

➤ الطرق غير الصالحة: 26 كلم.

➤ الطرق الوطنية: 20 كلم.

من خلال ما عرضناه يتبين لنا أن المنطقة ذات طابع جبلي متميز وهذا قد شكل صعوبة في ما يخص شبكة الطرق كونها طرق وعرة و صعبة خاصة في فصل الشتاء لكن المنطقة توجي بالطبيعة العذراء بجوها الصافي وجبالها الشامخة و غاباتها الكثيفة التي تجد فيها حياة البرية أضف إلى ذلك الودي المنسابة مياهه من بين الجبال والذي أعطى للمنطقة حيوية وجمال وشكل فضاء يتشارك الوافدين والقاطنين متعة التأمل وسحر الطبيعة الخلابة خاصة في فصل الربيع والصيف وأوائل فصل الخريف. والخريطة التالية توضح لنا شبكة الطرق بالمنطقة.

¹ المصلحة التقنية للبلدية حمام قرقور 2019.

خريطة رقم 7: توضح الطرق المهيكلية للبلدية



المصدر : المصلحة التقنية للبلدية 2019

3- منطقة التوسع السياحي¹

إن الطابع الغابي والحموي للمنطقة أتاح للمعنيين فرصة إعادة تهيئة المنطقة بما يتطلب مع التغيرات الحاصلة بالمنطقة كونها تشكل قطب سياحي معتبر انطلاقا من مؤهلاتها المعتبرة وبالتالي إعادة النظر في التهيئة العمرانية بشكل نقطة أساسية لأجل النهوض بالتنمية المحلية.

أ- لمحة عن المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير (القديم)

تمت أول دراسة للمخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير لبلدية حمام قرقور سنة 1996 صودق عليه بتاريخ: 16 أكتوبر 1997 بقرار ولائي رقم: 3407 م ت ب / م ت / م و ت، و نظرا للضرورة الحتمية لمراجعة المخطط لفتح أفاق للتنمية المحلية تم إعادة النظر في المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير وذلك بتصحيح و تدارك النقائص المسجلة في المخطط السابق بإدراج مقري البلدية و الدائرة ضمن المخطط لتمكين البلدية من احتياط وعاء عقاري يستجيب لتلبية حاجياتها على الأقل على المدى القريب و المتوسط وكان التوسيع بالجهة الغربية على مساحة 104 هكتار و ذلك بفتح جيوب عقارية تتماشى و المعايير التقنية المطلوبة للتنمية المحلية.

ب- مراجعة المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير

بناء لتعليمات السيد الوالي المتضمن تحين و مراجعة المخطط التوجيهي للتهيئة و التعمير وفقا للقانون 90/29 المؤرخ في: 01/12/1990 المتعلقة بالتهيئة و التعمير تمت مراجعة المخطط بالاعتماد على

المقترحات التالية:

¹ المصلحة التقنية للبلدية حمام قرقور، 2019.

ت- المنطقة الحضرية بوفروج - حمام قرقور

تم تقسيمها إلى تسعة مناطق عمرانية (SU1 إلى غاية: SU9) مساحتها: 363.5 هكتار و تسوية منطقتين قابلتين للتعمير بالجهة الغربية لمركز بوفروج (SAU1 إلى غاية SAU 2) مساحتهما 104 هكتار و منطقة توسيع عمرانية مستقبلية (SUF) مساحتها 20 هكتار.

ث- التجمع الحضري الثانوي أولاد عياد

نظرا لأهمية و حجم التجمع و موقعه الاستراتيجي تم إدراجه ضمن المخطط التوجيهي للتهيئة و التعمير على مساحة 54 هكتار، و منطقة التوسع العمراني على مساحة 20 هكتار بالجهة الشرقية باعتباره اكبر تجمع سكاني ثانوي بالبلدية (2000 نسمة).

ج- التجمع الحضري الثانوي واد السبت

كما تم إدراج منطقة واد السبت ضمن المخطط على مساحة 50 هكتار باعتبارها ثاني اكبر تجمع ثانوي و يعبرها الطريق الوطني رقم:74 و منطقة للتوسع العمراني على مساحة 30 هكتار بالجهة الغربية للتجمع .

ح- منطقة التوسع السياحي: ZET بحمام قرقور مركز

نظرا للقيمة السياحية التي تكتسبها منطقة حمام قرقور ضمن إطار عملية تحديد و تصنيف منطقة التوسع السياحي لحمام قرقور و التي هي بصدد التصنيف، تم إدراج منطقة للتوسع السياحي على مساحة 137 هكتار بالجهة الغربية لحمام قرقور بمنطقة عيشون و 03 هكتار بجنب مركب الراحة للمجاهدين بالجهة الشرقية لتصبح مساحة منطقة التوسع السياحي:140 هكتار

خ- منطقة الاستثمار والنشاطات الاقتصادية

تم إدراج منطقة الاستثمار و النشاطات الاقتصادية بجنب منطقة التوسع السياحي بمنطقة عيشون، في حدود عرض 200 متر على طول الطريق البلدي رقم:168 الرابط بين التجمع السكني الثانوي أولاد عياد و مركز حمام قرقور.

أفضت عملية إعادة المراجعة للتهيئة العمرانية للمنطقة إلى طرح برنامج توسعي سياحي بالمنطقة بما يعادل 140 هكتار تقريبا، قصد تنشيط الحركة السياحية وذلك انطلاقا من المؤهلات المعتبرة للمنطقة .

• ثالثا: الملامح الثقافية لمنطقة حمام قرقور¹

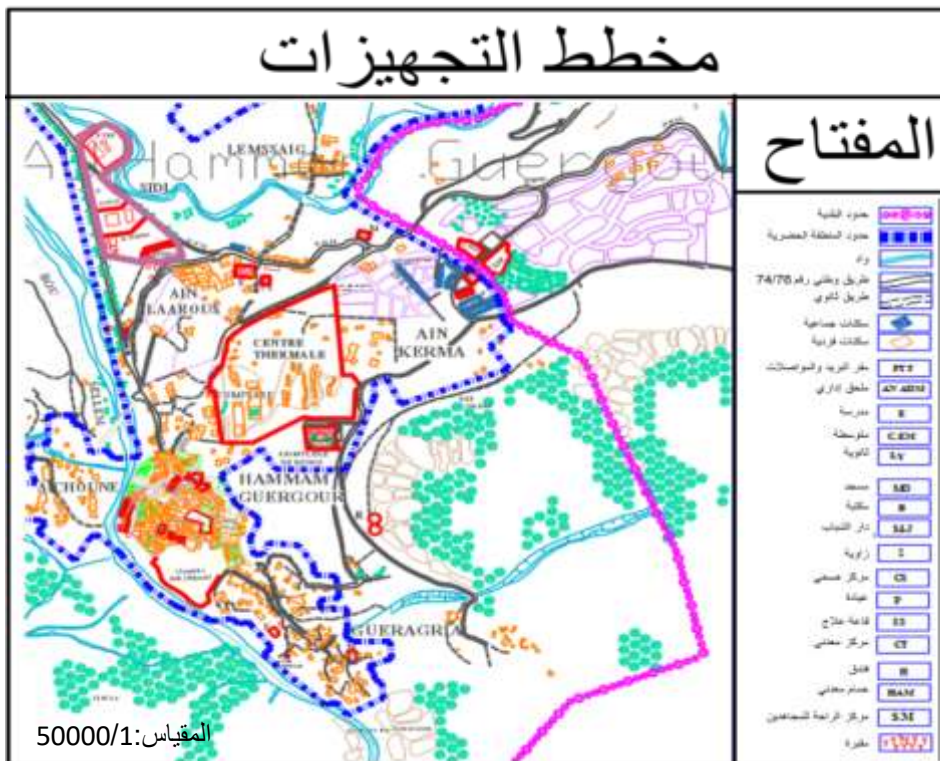
1- الحياة الثقافية لمنطقة حمام قرقور

يعد الجانب الثقافي من الجوانب المهمة لكل منطقة ما كونه يعكس صورة المقومات الثقافية لها، فقبل الحديث عن الحياة الثقافية في منطقة حمام قرقور لا بد أن نقف على أهم المنشآت الثقافية التي تتوفر عليها المنطقة إذ تحوز على جملة من المنشآت الثقافية منها المؤسسات التربوية والثقافية ومن بينها: ثانوية 600 مقعد ببوفروج- مركز التكوين المهني ببوفروج - المركب الرياضي الجوازي- متوسطة (مدرسة أساسية)- ملحقة (1) للتعليم الأساسي- مركز ثقافي. دار الشباب.

في حين أن المؤسسات الدينية تتضمن: مسجد سيدي الجودي، زاوية سيدي الجودي.

إن منطقة حمام قرقور تكتسي أهمية ثقافية وذلك لتواجد أهم المنشآت الثقافية ومن أهمها زاوية سيدي الجودي والمسجد الأمر الذي ي أهل المنطقة لأن تتمتع بطابع سياحي ثاني وهو السياحة الدينية. وفي الخريطة التالية يتبين لنا حجم التجهيزات الموجودة بالمنطقة مجال الدراسة .

خريطة رقم 8: توضح التجهيزات الموجودة بالبلدية



المصدر: المصلحة التقنية للبلدية 2019.

¹ المصلحة التقنية للبلدية حمام قرقور، 2019.

تعد دول المغرب العربي من أكثر الدول العربية الإسلامية احتضاناً للزوايا والأضرحة والمزارات، والأولياء الصالحين وهي ذات حضور وأهمية داخل النسيج العمراني لكل قرية ومجتمع ما، والتي لها جذور تاريخية ضاربة في عمق التاريخ الديني الذي يعود إلى حكم دويلات قد حكمت دول المغرب العربي. وقد يعود ارتباطها من جهة إلى النسب الشريف لآل البيت، ومن جهة أخرى ارتبطت بالعمل التصوفي والذي انشق عنه وجود ضريح الولي الصالح يتخذة الناس كمزار لهم، في حين يستمر هذا التصوف ليتجسد بشكل مؤسساتي، والذي هو الزاوية. هذه الأخيرة قد كان لها أدوار كثيرة من أهمها تجسيد لفعل السلطة، ابتداء من ثنائية الشيخ والمريد. وحمام قرقور هذا الفضاء السوسيو- ثقافي يرتبط ارتباطاً وثيقاً، باسم الولي الصالح سيدي الجودي، حيث أن منطقة حمام قرقور تضم ضريح لسيدي الجودي، وأيضاً زاوية سيدي الجودي، ومسجد سيدي الجودي، إضافة إلى أن الحمام يرتبط برمز ثقافي آخر وهو زريبة القرقور، وبحكم أن المنطقة كانت محل تواجد الرومان، الذين اتخذوها محطة حموية، مما جعل بقايا هذه الحضارة شاهدة على ذلك إلى هذا الوقت. وفي ما يلي سنتطرق لكل عنصر على حدا لأجل توضيح ارتباطات الحمام (قرقور) بمختلف الرموز الثقافية الخاصة بالمنطقة.

2- الحمام الولي الصالح سيدي الجودي أصله ونسبه :

يحمل حمام قرقور المعدني اسم الولي الصالح سيدي الجودي، حيث وحسب ما يدور على لسان الدكتور "Mazzuca" الذي تواجد في بداية الأربعينيات بالجزائر حوالي 1938 أن المرابط سيدي الجودي بلحاج أتى من المغرب بهدف تعليم القرآن بمنطقة القرقور ونشر تعاليمه. وسيدي الجودي هو "بن محمد بن الحاج اليعلاوي" والذي هذا الأخير هو أحد الصلحاء بني يعلي فهو من أهل العلم والصلاح وقد جرت إجابة الدعاء عند قبره مستجاب، انتقل سيدي الجودي إلى قرقور الحمام ببني عجاب، وله سر عظيم وأولاده كذلك في العلم والولاية و والصلاح. وفي وثيقة أخرى جاء أن سيدي الجودي، بن أحمد الشريف بن ناصر بن يزيد بن علي بن هجرس بن شعيب بن مزيان بن عبد القادر بن مسوس بن أحمد بن ناصر بن عبد الكريم بن الجودي بن علي بن يحي الراشد بن ابراهيم بن عمر بن السعيد بن محمد بن عيسى بن والسين بن عبد السلام بن بشيش بن السباع بن عيسى بن الأحمر بن أحمد بن عبد القادر بن ادريس الأكبر بن الحسن بن فاطمة بنت رسول الله ﷺ تسليماً¹.

3- حمام قرقور و زاوية سيدي الجودي إشعاع ثقافي ومزار سياحي

أ- مفهوم الزاوية

إن الزاوية في اللغة مشتقة من الفعل زوى الشيء، يزويه زياً وزوايا فانزوى، نحاه فتنحى، وزواه أي

¹ نقلت هذه السلسلة من كتاب ابن خلدون للوالي سيدي محمد بن الحاج للاستزادة ارجع للوثيقة في الملاحق.

قبضه، وزويت الشيء أي جمعته وقبضته، وفي الحديث: إن الله تعالى زوى لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها، وزويت لي الأرض أي جمعت. وانزوى القوم بعضهم إلى بعض إذا تدانوا وتضاموا، وزاوية البيت أي ركنه، والجمع الزوايا، وتزوى صار فيها¹. في حين أن اصطلاحاً تعني كلمة زاوية، ذلك البناء الصغير الذي يشبه المسجد من حيث وجود محراب تؤدي فيه الصلاة أحياناً، ولكنه يختلف عن المسجد الجامع، والذي له دوره تعبدي باعتبارها مكاناً للعبادة حيث جمعت بين الوظيفة التعليمية والتربوية، والدينية وإيواء الواردين وإطعامهم من المحتاجين وعابري السبيل، وبذلك اكتسبت صفة أنها مكان للتعبد، ومدرسة دينية، ودار مجانية للإطعام.² وكلمة زاوية هي الناحية في المسجد يجلس عندها أحد الشيوخ، عند إلقاء دروسه على طلبته، كما كان يفعل الإمام الشافعي، ومع انتشار التدريس في غير المساجد وذلك مع بداية تدريس علوم الدين في مدارس خاصة، وذلك على مذهب واحد أو أكثر اصطلاح الناس على إطلاق اسم زاوية على هذه الأبنية التعليمية كما اصطلاحوا على تسمية من يلزم الحضور بالدرس فيها، باسم الزاوية، أو الزاوي³. كما تعني الزاوية الانزواء بقصد العكوف على العبادة أو على تلقي العلم بعيداً عن دنيا الناس ومشاكلهم اليومية وتدل أيضاً على رباط المجاهد في سبيل الله⁴.

والزاوية في العمارة الإسلامية عموماً هي نوع من الأبنية الدينية، لا مئذنة لها ولا منبر، وتضم ميضأة وغالبا ضريح مؤسسها، أو أحد رجال الله الصالحين، وبها قاعة تقام فيها الصلوات الخمس ماعدا الصلوات الجامعة، ولها مخطط يقترب من المدرسة خاصة لتأمين خدمة الزاوية⁵. وعموماً ومهما تعددت المفاهيم التي أطلقت على الزاوية، سواء أكانت ركناً للبناء، أو كانت تطلق على صومعة الراهب المسيحي، فإن عمارتها جمعت بين هندسة المسجد والمنزل في آن واحد، فهي صغيرة الحجم وقليلة النوافذ، وبسيطة من حيث الزخرفة والجمال المعماري والفني لذلك فشكلها النهائي يوحى بالعزلة والتشف والهدوء، ووظيفتها تتطلب بأن يكون هناك غرف لتحفيز القرآن وأخرى لترتيبه وأخرى لنوم شيخ الزاوية والطلبة وحتى المنتسبين والزوار والمسافرين، كما كانت تتفق بسخاء على إطعام المحتاجين وبذلك استحققت الزاوية بأن تكون مكاناً للعبادة، ومأوى ومدرسة في آن واحد⁶ وعادة ما ترتبط الزوايا باسم مؤسسها، فعندما تتعدى سمعتهم المكان الذي يتواجدون فيه يقصدهم الناس من كل مكان ويقيمون حولهم حتى يكبر المكان، ويصبح عامراً، أو قرية ويقيمون بها الزوايا للعبادة، وبعد وفاتهم يقيمون أبنائهم وأحفادهم وطلابهم ببناء

¹ ابن منظور، (2005)، لسان العرب، ج7، بيروت، دار صادر، ط4، ص.84،83.

² بن بلة، خيرة وعزوق، عبد الكريم و بوزرينة، سعيد (2014)، زوايا ومدارس الجزائر، دراسة أثرية معمارية فنية CRASC- PNR – DGRSDT، العدد 29، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرعاية، ص.11.

³ بن بلة، خيرة وعزوق، عبد الكريم و بوزرينة، سعيد، المرجع سابق، ص.12.

⁴ شبي، عبد العزيز (2007)، الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، وهران، الجزائر دار العرب للنشر والتوزيع، ص.13.

⁵ بن بلة، خيرة وعزوق، عبد الكريم و بوزرينة، سعيد، مرجع سابق، ص.12.

⁶ بن بلة، خيرة وعزوق، عبد الكريم و بوزرينة، سعيد، المرجع السابق، ص.13.

ضريح قبة، يصبح مع مر الزمن، مزارا يحظى بتقدير القوم لهم، وذلك عرفانا لما قدموه في حياتهم ويعتبرونه جدهم المقدس الذي تنتمي إليه القرية والقرى المجاورة لها.¹

ب- زاوية سيدي الجودي اشعاع ديني

هي زاوية تحمل اسم مؤسسها الولي المرابط سيدي الجودي، الذي قد أقام في المكان، أو بقرية قرقور وكانت مكانا لحفظ القرآن وتعليمه للمريدين، حيث أن المنطقة القرقور مشهورة بالمشايخ وحفظة القرآن، وبالتالي قد كان للزاوية دور كبير في نشر العلم والمعرفة وعلوم الدين، وغيرها بين أبناء المنطقة وحتى من خارجها "إذ عدت زاوية سيدي الجودي أو مرابطي قرقور الذين هم سادة قبائل مختلفة في بلاد القبائل".² حيث وحسب تصنيف "لويس رين" وجدت أصناف من القبائل في الأرياف الجزائرية، منها قبائل الأجواد، قبائل المرابطين، قبائل المخزن، وهي لها كلها امتيازات متفاوتة، وقبائل الرعية والقبائل التي لا تخضع لسلطة الأتراك خضوعا تاما.³

وزاوية سيدي الجودي يتكون مبناها من ضريح الولي المسمى به، ومقبرة عامة، ومسجد صغير، وأقدم وثيقة تذكر هذه الزاوية تعود إلى سنة 1081هـ/1670م، وقد هدمت الزاوية وبنيت مكانها دور أخذت رقمي 1 و3 من شارع طروا كولور.⁴ إن الأخبار بشأن شخصية سيدي الجودي وضريحه شحيحة للغاية حتى أنه من الصعب العثور على عقود تحببب ضمن سلسلة المحاكم الشرعية وقد تم العثور على هذه الوثيقة الوحيدة، والتي تخص الضريح كما تحصر أوقافه بالإضافة إلى مبالغ كراء تلك الأوقاف وقد جاء عنوان الوثيقة على النحو التالي: بيان حبوس سيدي الجودي في سوق طروا كولور نمر23 عناء في السنة، ومن المعلومات التي وردت في آخر هذه الوثيقة اسم كاتبها والسهر الذي كتبت فيه حيث جاءت المعلومات على هذا النحو: "اسمه محمد بن الحسيبي بتاريخ يوم ثمانية وعشرين من ذا القعدة....، وعلى الرغم من عدم وجود تاريخ الوثيقة إلا أنه تقدم مع كثير من أوقاف بعض الأضرحة، مع بدايات العهد الفرنسي 1832م كما تم حصر في هذه الوثيقة كل الأوقاف التي كانت باسم الضريح وهي: خمس دويرات، 14 حنوتا، علوي بشارع باب عزون، ريع دار.⁵

وحسب هذه الوثيقة فقد بلغ عدد أملاك ضريح سيدي الجودي 21 ملكية تؤتي مردودا ماليا قدره 779ريالا سنة 1832م، وهناك إشارة أخرى للمدخل السنوي للضريح في العهد الفرنسي حيث كان مدخول ضريح سيدي الجودي 100 فرنك وقد أشار حمدان خوجة لما تعرض إلى استيلاء الفرنسيين على الضريح حيث

¹ بن بلة خيرة وعزوق، عبد الكريم وبوزريعة، سعيد، المرجع السابق، ص.17، 16.

² عباد، صالح(2005)، الجزائر، خلال الحكم التركي، 1830-1514، الجزائر، دار هومة، بوزريعة، ص.330.

³ عباد، صالح، المرجع السابق، ص.362.

⁴ بن بلة، خيرة وعزوق، عبد الكريم وبوزريعة، سعيد، مرجع سابق، ص.38.

⁵ بن بلة، خيرة وعزوق، عبد الكريم وبوزريعة، سعيد، المرجع السابق، ص.196، 195.

قال... وأنه وقع الاستيلاء أيضا على ضريح المرابط المسمى سيدي الجودي للاستفادة من أجره المتواضع الذي يقدر بمائة فرنك....¹

تم إنشاء الزاوية بطابع رسمي وفقا للجمعية المشكلة تحت اسم جمعية سيدي الجودي عام 1998م والتي تمت أشغالها مع بداية 1997م، و تم التأسيس الفعلي لجمعية سيدي الجودي، وصاحبته عملية، بناء الضريح سيدي الجودي، ولكن بشكل بسيط، غير الذي هو معروف عنه (القبة-وغيرها)، وقد كان ذلك حسب ما أوصى به الولي سيدي الجودي حسب ما يقال.

➤ مشروع زاوية سيدي الجودي² تم الاعتماد الرسمي لجمعية سيدي الجودي بتاريخ 14/07/1998 تحت رقم 50/2917. تقدر مساحتها الأرضية 1050 متر مربع، حيث المساحة المبنية تقدر ب500 متر مربع، بقدرة استيعابية ذات 200 طالب، تتضمن مكتب مدير، أمانة، 09 أقسام للدراسة، مكتبة، قاعة الإعلام الآلي، 05 حجرات للمعلمين، قاعة الاستقبال الشرفية، 05 مرقد للطلبة، مطعم، مطبخ، مخزين ميضاء+مرش+دورات مياه، ساحة خارجية 550 متر مربع، سقيفة، بهو(05).

كانت بداية انطلاق الأشغال في 2001/11/21 في حين كان استلام المشروع شهر مارس من سنة 2007. تم تدشين الزاوية من طرف فخامة رئيس الجمهورية: عبد العزيز بوتفليقة بتاريخ 2007/06/25 بعد أن حضيت بزيارته التفقدية الأولى بتاريخ 2004/03/09 أثناء عملية الإنجاز.

بعد استلام المشروع، شرع في استقبال الطلبة المسجلين في النظام الخارجي والنصف الداخلي.

➤ الدور الذي تقوم به زاوية سيدي الجودي: و يتنوع دورها بين التربوي والتعليمي والاجتماعي الإصلاحي وهي أدوار تشترك فيها الزوايا بشكل عام ومن بينها:

-إصلاح ذات البين

-مساعدة الفقراء والمساكين في إطار التضامن الاجتماعي

-القيام بعملية الختان الجماعي لأطفال الفقراء

-توزيع قفة رمضان على المحتاجين

-توزيع الألبسة على الفقراء بمناسبة العيدين

-القيام بعملية التأزر والتضامن عند الحاجة

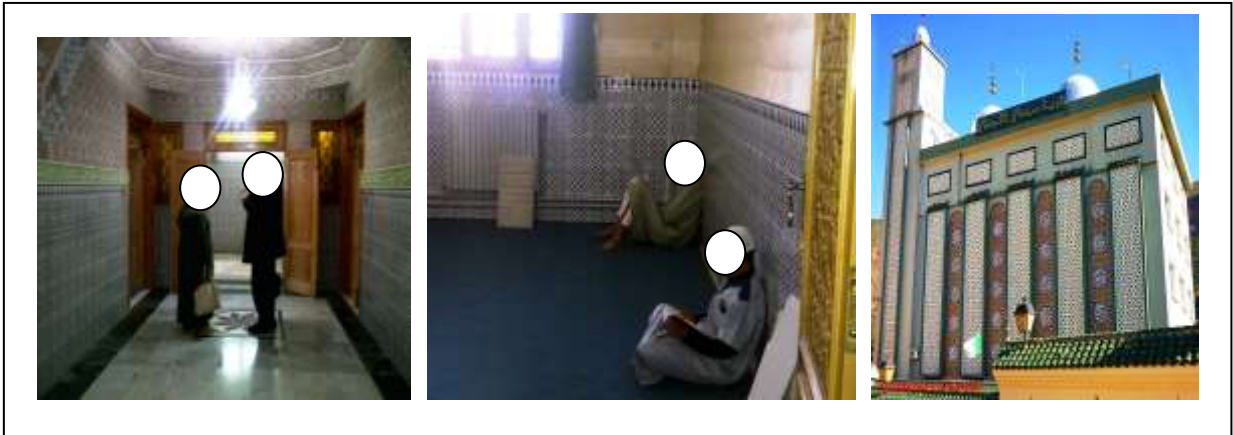
-تكريم الطلبة من حفظة القرآن الكريم

-شراء ألبسة لطلبة لقرآن الكريم

¹ بن بلة، خيرة وعزوق، عبد الكريم وبوزرينة، سعيد، المرجع السابق، ص.196.

² مديرية الشؤون لدينية والأوقاف، جمعية سيدي الجودي، بلدية حمام قرقور، ولاية سطيف، 2019.

- أهم النشاطات التي تنظمها زاوية سيدي الجودي: تقوم زاوية سيدي الجودي بمختلف النشاطات الثقافية في مختلف المناسبات الدينية منها والوطنية ومن بينها:
- إحياء المناسبات الدينية والوطنية .
 - إقامة مسابقات في حفظ القرآن الكريم، مسرحيات، مجموعات صوتية، محاضرات.
 - إحياء التراث الديني والثقافي والتاريخي للولي سيدي الجودي .
 - تنمية الجوانب الفكرية و الخلقية والتربوية للناشئة.
 - زيارة الزوايا و المدارس القرآنية عبر التراب الوطني للتعارف وتبادل المعارف .
 - استمرار عملية البحث عن تاريخ الولي الصالح سيدي الجودي .
 - تنشيط السياحة الدينية نظرا لما تتمتع به المنطقة من مناظر طبيعية خلابة .
- أنواع الأنشطة الموجودة على مستوى الزاوية : من أهم الأنشطة التي تقام على مستوى الزاوية لتكوين الطلاب هي :تحفيظ القرآن، الفقه والسيرة النبوية، التجويد والأحكام، اللغة العربية، الإعلام الآلي، الرياضة. وتستفيد زاوية سيدي الجودي من تبرعات وتمويلات المحسنين .



صورة رقم 8: مجموعة صور تبين زاوية سيدي الجودي

المصدر: من التقاط الباحث

ت- مسجد سيدي الجودي تراث ديني عتيق

إن المسجد هو مؤسسة اجتماعية، ينشئها المجتمع المسلم بهدف تأهيل الناشئة للحياة الاجتماعية من خلال التنشئة المنضبطة بقيم الإسلام ومبادئه ويتكون من أفراد يشغلون فيه وظائف مختلفة ذات تراتبية، وتربط بينهم علاقة اجتماعية أخوية لأجل تحقيق أهداف ذات أبعاد روحية تعبدية أخلاقية، اجتماعية، وفقا لسلطة أكثرها معنوية أخلاقية، وذلك من خلال التنفيذ بمنهج إسلامي واضح.¹ ولذا كان

¹ زعيبي، مراد (2007)، مؤسسات التنشئة الاجتماعية، دار قرطبة ط1، المحمدية، الجزائر ص109-110.

المسجد هو أول المؤسسات التربوية والاجتماعية وأقدمها حيث أن أول ما فعله الرسول ﷺ عندما دخل المدينة أن بنى مسجدا يوحد فيه صفوف المؤمنين ومن خلاله استطاع الرسول أن يوجه فكره التربوي والتوعوي الإسلامي لجماعته.¹ وقد حمل مسجد منطقة قرقور اسم الولي الصالح سيدي الجودي، ذلك المسجد الذي كان أول وأقدم المساجد بالمنطقة وكان يسمى المسجد العتيق وهو ما يزيد عن 400 عام ثم تم إعادة بنائه وذلك ما تبينه الصور الخاصة به. يعد مبنى الزاوية ودوره مقرون بالمسجد، ومكمل لأدواره حيث في كثير من الحالات الزاوية تقع جنبا إلى جنب من المسجد حيث يستكمل فيها شيخ المسجد الدور الديني والمعرفي من تحفيظ القرآن وعلوم الدين - وغيرها من العلوم الأخرى، ويكون فيها المريدون على أكمل وجه من الطاعة والإذعان لشيخهم. يقع مسجد سيدي الجودي بالقرب من الزاوية ويشرف عليهما الإمام، وهما منشأتان لهما سمعة عالية في المنطقة وحتى خارجها وذلك في تعليم القرآن وأصول الفقه وعلوم الدين.



صورة رقم 9: تبين مسجد سيدي الجودي قبل 400 سنة بحمام قرقور

المصدر: جمعية نشاطات الشباب "البلاغ"

4- زربية القرقور تراث منسي وهوية ضائعة

اشتهرت الجزائر بأنواع مختلفة من الزرابي التقليدية التي لامست شهرتها العالمية، وحملت معها معالم الهوية الثقافية من خلال ألوانها وأشكالها ورموزها فهي بمثابة اللوحة الفنية المفعمة بمشاعر وأحاسيس راسمها، إذ يعبر صانعيها من مختلف المناطق - والمرأة بالخصوص- عن بعض تفاصيل حياتهم الاجتماعية والبيئية ولعل أشهر الزرابي في الجنوب الجزائري "زربية غرداية" أو بني مزاب والتي تنسجها المرأة

¹ الزهيري، شريف بن عبد العزيز (2005)، بناء مستقبل الأمة، المنهج العلمي التربوي لتنشئة الأطفال حتى سن المراهقة، دار الصفوة، ط1، دون بلد، ص.101.

المزايبة لتبوح فيها عن كل التراكمات الثقافية وأيضا مشاعرها وعواطفها وخاصة في ما يخص غياب الزوج قصد الصفر من أجل التجارة والكسب¹

والزربية لغة : جمعها الزرّابي وهي البسط، وقيل كل ما بسط واتكئ عليه، وقيل هي الطّنافس وفي الصحاح هي التّمارق وزربية بفتح الزاي وسكون الراء. وقال الفراء: هي الطّنافس لها حمل رقيق². وفي القرآن الكريم قوله تعالى: "ونمارق مصفوفة، وزّرابي مبثوثة"³.

وفي الاصطلاح : الزرابي هي الأبسطة، وهي كل ما يفرش على الأرض وتختلف الكلمة من منطقة إلى أخرى حيث تعرف بالقטיפفة وتنطق بالكتيفة و بالزلاس بالطّنافس و الزويلة والكلمة فارسية الأصل والتي تعني الطي واللف .

أ- نشأة الزرابي

صناعة الزرابي المعقودة على أيدي القبائل التركية الرحل في أواسط آسيا خلال القرن التاسع الهجري (9هـ) الموافق للثالث عشر ميلادي (15م) حيث كان للسلاجقة السيادة على آسيا الصغرى، اين ارسوا الأسس التي قامت عليها صناعة الزرابي، وانتشرت بعدها في العالم الإسلامي، وحوض البحر الأبيض المتوسط، وقد أشاد الرحالة الذين زاروا مملكة السلاجقة حوالي 1270م، ووصفوا زرابي آسيا الصغرى بأنها الأجل والأرقى في العالم وأشاروا إلى وجود ثروة من الزرابي الجميلة في القصور والمساجد. ومنهم على سبيل المثال "ماركو بولو" بتلك الأنواع من الزرابي خاصة منها تلك التي كانت في مسجد علاء الدين بمدينة قونية، ومسجد باي شهر بالأناضول (معروضة حاليا بمتحف الأوقاف بالآستانة)⁴.

حيث كان لأسلوب صناعة الزرابي التركية المبكرة وتوافر الإمكانيات الضخمة من المواد الخام اللازمة للنسيج والصبغ وطريقة العقدة تأثير عظيم على الزرابي الشرقية كلها، وخلال القرن (10هـ) الموافق للقرن (16م) بدأت تظهر بتركيا مراكز صناعة جديدة مثل كيرودهس وقولا ولاذق وغيرها، راحت تصدر إنتاجها إلى كامل الإمبراطورية العثمانية، منها الجزائر التي حكماها كانوا يعيشون فترة ازدهار ورخاء ساعدهم على بناء الدور الفخمة خاصة تلك التي بنيت في المدينة فعملوا على زخرفتها وتأثيرها بالزرابي العثمانية، التي كانت تقدم أيضا كهدايا للمساجد والزوايا وأضرحة أولياء الله الصالحين.

1 سرقمة، عاشور(2011)، "تاريخ الثقافة والحياة الاجتماعية في الصحراء الكبرى الصحراء الجزائرية نموذجا"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد15، غرداية، (ص189-202)، ص.199.

² ابن منظور، ج7، مرجع سابق، ص.24.

3 سورة الغاشية، الآية 16.

⁴ رحايلية، بدر الدين(دس)، زربية القرقور، وزارة المؤسسات الصغيرة و المتوسطة و الصناعة التقليدية، غرفة الصناعة التقليدية والحرف لولاية سطيف، مكتب الدراسات، دار البدر للنشر والاتصال، ص.4.

ب- أبعاد الزّربية

لا يمكن أن نتطرق إلى قراءة وتحليل نموذج ما من الزرابي إلا في ضوء أبعاد مختلفة تتضافر فيما بينها لتعطي في الأخير الصورة النهائية للزّربية. فنجد البعد الديني مثلا قد تضافرت فيه العناصر البشرية والطبيعية في مقدمتها المواد الأولية من صوف وصباغة طبيعية، في حين نجد البعد الثقافي والذي تشكله مجموع القيم الفنية والجمالية التي تميز كل منطقة من أسلوب ولغة ومواد وعناصر مستعملة، أما البعد الاجتماعي و الذي يتصل بمشاركة المرأة في النشاط الإنتاجي المعيشي والتجاري وما له من انعكاسات على الفرد والجماعة، في حين يعد البعد الديني من خلال اللغة الفنية المستعملة في رسومات وأشكال مستوحاة من الطبيعة الإنسانية والحيوانية والنباتية خاصة إذا ما تعلق الأمر بزّربية بربرية عريقة، في حين يتمثل البعد الجمالي في كون الزّربية تعد نسيج نص من الصوف والأشكال له عناصره التي تتركب ضمن منظور جمالي وتلاعب الألوان وانسجامها وهو بعد وثيق الصلة بالبعد الديني لارتباط السجاد بالوظائف الدينية في تزيين المساجد والاحتفال بها وما تميزت به الثقافة الشعبية من معتقدات وتعبيرات مقدسة.¹

ت- زربية القرقور جذور مشرقية بأنامل بربرية

من كتاب تاريخ الرّقام "بوعزة مزيان" لمؤلفه كوادي أمقران، تم أخذ المقطع التالي: "عند عودة صبي سطيف، محمد بن لخلوفي من المشرق أحضر معه زّربية من تركيا والتي قد أثارت فضول رّقامين من قرقور هما: "سي صالح" و"محمد السعيد يحيايوي" حيث وجدا أن هذا النوع من الزّرابي يفوق الزّربية المحلية جمالا ودقة سواء من ناحية طريقة النسيج أو من ناحية الزخرفة والألوان، ونظرا لبراعتهم في هذا الميدان فقد قاما بنسخها وحاولا الاستفادة منها ماديا، وقد كان من بين هواة النّسيج بالمنطقة "بوعزة أمزيان" الذي اقترح على "سي صالح بن العابد" العمل معا والاستفادة ماديا من هذا النوع من الزّرابي الذي يبدو أنه سيلقى رواجاً. و يضيف P. Ricard هذا هو النوع الذي نطلق عليه تسمية زّربية القرقور، كما أمكننا رؤية عدة نسخ من هذه الزّرابي لدى عدة عائلات عريقة بالمنطقة وكذا عند قبائل المعاضيد والعلمة وريغة. هذا النوع من الزّرابي الذي ذكره P. Ricard باسم زّربية قرقور يحتوي على خصائص تختلف عن مثيلتها بالجنوب القسنطيني، ونعني بها زربية الحراكتة والنامامشة وهذا ما يفسر رؤيتنا لعدد كبير من العينات (الزّرابي). وحتى نعرف أصل الأشكال الزخرفية نعتقد أنه يجب أن نعرف الرّقامين أين يعملون و نقوم بجرد وترتيب تركيبه أكثر القطع الرائعة.²

¹ ناوري، يوسف (2015)، "السجاد المغربي تقاليد الصنعة أمام تحديات الزمن"، مجلة الثقافة الشعبية ثقافة مادية العدد 28، السنة الثامنة، البحرين، رسالة التراث الشعبي من البحرين إلى العالم والمنظمة الدولية للفن الشعبي Ivo، دار الأيام للنشر والتوزيع، شتاء، (ص. 155-184)، ص. 151، 152.

² Sous La Direction du service des métiers et arts marocains et autres (1952), cahiers des arts et techniques d'Afrique du nord ,horizons de France, cahier n1,p15.

ث- خصائص زربية القرقور

حسب المهتمين الذين فحصوا عددا من الزّرابي المنسوبة إلى كل من بوعزة أمقران ومحمد اليحيوي، وسي صالح بن العابد، فقد وجدوها متشابهة إلى حد التطابق، وهذا ما يدفعنا إلى التساؤل عن سرّ هذا التشابه؟ فرغم المهنة المعروفة لدى كل واحد من الرّقامين الثلاثة، و اللمسات الخاصة التي يمكن لكل واحد منهم أن يتميز بها عن الآخرين، فإنهم حافظوا على الشكل الذي اتفقوا عليه لأول مرّة وقد يدفعنا التفسير إلى القول أن ذلك النوع بمميزاته هو النوع المطلوب وحده لدى العائلات التي ترغب في امتلاك هذه الزّربية، مما يدفع بالنّساج إلى نسخ نفس النموذج (العرض و الطلب)، أو ربما أن كل رّقام ساهم بشرط في إبداع هذا النّوع من الزّرابي، واتفقوا على أن يكون هذا العمل المتكامل يرجع بالفائدة على الجميع¹.

إن وجود نفس المكونات، نفس الأشكال ونفس الألوان جعل من الرّقامين يتساءلون حيث قال كوادي أمقران لبوعزة: "إن النماذج تتكرر باستمرار" ونحن على حق بالنسبة إلى النماذج الأخرى وأيضا لا يمكن تمييز إنتاج الحرفيين الأذكيا أيضا الذين يعملون على نفس الموضوع². في الحقيقة أن النموذج الذي أحضره معه محمد بن خلوفي من المشرق، كان عبارة عن سجادة صغيرة، أمكن للنّساج أن يكيفوها مع متطلبات الزّبائن، بحيث جعلوها أكبر حجما مما تطلب إبداعا خاصا مع المحافظة على الرّقم والأشكال والأزهار³.

يذكر Golvan أنه حتى قبل خمسين عاما أن السجادات كانت ذات ميداليات (محراب) مركزية كبيرة تصطف معها عصابات الزهور. و أن عناصر الديكور هي أيضا جيدة التكوين والسجاد يذكرنا بشكل غريب جيروديس أو الكولا، ولم تظهر هذه الموضة إلا في أوائل القرن 19، فهي لم تفسل في إلهام الرّقام في جنوب الشرق القسنطيني، وقبائل النمامشة والحراكتة الذي ترجم باتقان على السجاد الكبير ميداليات وعصابات على النمط التركي⁴.

فما يميزها أنها تشتمل على إطار مركب من عدة أفاريز صغيرة وأخرى كبيرة، به عنصر زخرفي مسنن تلتصق به زهرتان، وهذا عنصر مهم جدا يسمح بتميز زرابي القرقور عن غيرها مدالية مركزية سداسية الشكل ممددة نوعا ما، و شكل محراب محاط بخامات .

ولكن واجهت الرقام مشكلة عويصة تمثلت في نقل زخرفة زرابي الصلاة (السجاد) ذات الأبعاد الصغيرة إلى الزرابي المحلية التقليدية ذات الأبعاد الكبيرة من 7 إلى 8 أمتار والتي تتماشى ومساحة الغرفة التي تزينها، فلجأ

¹ رحايلية، بدر الدين، مرجع سابق، ص. 13.

² Sous la direction du service des métiers et arts marocains, *op.cit*, p16.

³ رحايلية، بدر الدين، مرجع سابق، ص. 13.

⁴ Golvin, L. (1985), « Le legs des ottomans dans le domaine artistique en Afrique du nord », *Revue de l'occident musulman et de la méditerranée*, n°39, (p.201-226), p.215.

الرقام إلى حلول منها مضاعفة عدد المحاريب، وزيادة في عدد السجلات أو إطالة المحراب أو التكبير في العناصر الزخرفية باستعمال الصوف الخشن ومضاعفة عدد الغرز المعقودة حفاظا على تناسق وانسجام الأجزاء ولهذا جاءت بعض الزرابي شبيهة بزرابي جيروديس.

سلم الألوان: توضع في البداية لوحة تضم الألوان الخاصة بمجسمات زربية قرقور حيث يطلب من النساج أو التلميذ الحرفي أن يحفظ كل رمز وما يقابله من لون، عن ظهر قلب حتى تسهل له قراءة ألوان الغرز بشكل صحيح، وبالتالي الحصول على الرسوم والزخارف بالألوان المطلوبة، مع العلم أن الزربية التي تحاك بدقة و بشكل صحيح تصبح هي ذاتها مصدر للمجسمات بحيث يكفي قلب الزربية على وجهها (يكون الوجه مقابل الأرض) لتظهر بكل وضوح كل غرزة في مكانها الحقيقي وبلونها، وبحسابات بسيطة يمكن نقل مكان الغرزة ولونها باستعمال الرمز المتعارف عليه، وبالتالي الحصول على مجسم قابل للتطبيق من طرف أي حرفي¹. ما ميز زربية القرقور هو أن ألوانها تستخرج من الطبيعة كما الرسومات والزخارف هي أيضا مستوحات من طبيعة المنطقة قرقور.

نلاحظ أن الزربية المسماة باسم القرقور، تحمل نفس اسم الحمام وبالتالي هي إحدى تقاليد المنطقة، لكن اليوم زربية القرقور التي يلتقي فيها الطابع المشرقي بالطابع البربري، قد تلاشت صناعتها بالمنطقة الأم، والآن تعمل غرفة الصناعات التقليدية لولاية سطيف على إحيائها من جديد، وحسب المقابلة التي تم إجراؤها مع المخبر رقم 01:

" عائلتي تملك واحدة وهي من النماذج العريقة لزربية القرقور تمت حياكتها في عام 1958 وهي أصيلة، من حيث الرموز والألوان والتي يستخرجوها من ألوان الطبيعة أي الصبغة تاعها من الطبيعة وما تحولش، والمواد المستعملة كلها ألي ينسجوها بيها من الطبيعة الصوف والصبغة والمنسج وغيرها، واش يميز زربية القرقور هو الي نقولولها دار الوست، وهذا الي نقولولو بالعربية المحراب هو شكل مميز يجي في وست الزربية وزيد زربية القرقور هي من الزرابي كبيرة الحجم وثقيلة الوزن وتعمر الدار يفرشو بها الغرفة كلها"



صورة رقم 10: تبين زربية القرقور نسجت في 1958 تملكها عائلة شربال بحمام قرقور

المصدر: المخبر رقم (01)

¹ رحايلية، بدر الدين، مرجع سابق، ص. 46.

• عادات وتقاليد محلية

إضافة إلى تقاليد حياكة وصنع الزرابي (زربية القرقور) قد اشتهرت المنطقة بصناعة الحلي و الفخار لأن المنطقة تتوفر على المادة الخام لكن اليوم مع التطور الصناعي قد تلاشت صناعة هذه الخزفيات ولم يبقى منها إلا القليل ، واقتصر ذلك في بيع هذه القطع الخزفية بسوق الحمّام يقتنمها الوافدين كتذكار من المنطقة وامتزجت هذه القطع بالطابع الأمازيغي المحلي للمنطقة.

كقول المخبر رقم:01

"لا تبتزنا الأواني المنزلية إندثرت بلاك 0.5 من الناس مازالوا يخدمو هذه الحرفة خاطر كايين الطين هنا الصالحة لذلك يجيبو الطين ويجيبو القرمود التقليدي، يهرسوه ويخلطوه عجينة ويخدمو الأواني ويحميوهم بالوقيد تشعل النار نهار وليلة ثم ينحيوهم، كايين الطواجن، تاجرة (فمها الخمسة) البوقال للماء، البرمة والكسكاس... الخ حوايج نستعملوهم دائما"



صورة رقم 11: تبين الأواني التقليدية المصنوعة من الطين في المنطقة

المصدر : من التقاط الباحث

و إضافة إلى ذلك فمن عادات وتقاليد المنطقة ظاهرة "الوزيعة" التي تعد تقليد يعمل به أهل المنطقة كل سنة وتسمى وزيعة سيدي الجودي حيث من كل عام يتم جمع التبرعات من المحسنين بالمنطقة وغيرها كما تساهم جمعية زاوية سيدي الجودي بمبلغ معتبر لأجل إتمام هذا التقليد بالمنطقة ، يتم تحضير مراسم الاحتفال والذي يكون متزامن مع مناسبات دينية منها المولد النبوي الشريف، أين تقام عملية الوزيعة و التي يتم شراء رؤوس الأبقار بعدها يتم ذبحها بمذبح المنطقة وذلك بشكل جماعي يشارك فيه المتطوعين من كل الفئات ليرسم هذا الأمر صورة تضامنية تعكس مظاهر التماسك والتعاون وتعززه، يتم في هذه المناسبة مساعدة المحتاجين والفقراء والمعوزين والأرامل وغيرها وبمناسبة المولد النبوي الشريف يتم توزيع الجوائز التقديرية على حفظة القرآن وهو من المظاهر التي تشتهر بها المنطقة كما تتم عملية ختان الأطفال منهم أبناء المحتاجين في جو بهيج تملأه المحبة والتعاون والتضامن هذا ما تم الادلاء به في مقابلة مع المخبر رقم 01 حيث قال:

"أن من تقاليد المنطقة ظاهرة الوزيعه مثلا عند اقتراب المولد النبوي الشريف، تخرج جماعة، يجمع المصاريف، نديرو اللمة والزاوية حتى هي تساهم بمبلغ معتبر وألي يروح أو نخصوه للفقراء، واليتامى في هذا اليوم، ويبقى هذا مظهر من مظاهر التكافل والتضامن الاجتماعي الذي المنطقة لا تزال تحافظ عليه، وتبلغ من 8-10 رأس تذبح في هذا الاحتفال ويشاركوا فيه كل أهل القرية كبار وصغار ويتعاونوا من أول نقطة إلى آخر نقطة وفي المولد تقدم دروس قرآنية وتوزيع الجوائز على حفظة القرآن" (المقابلة رقم 01)

الصورة: تبين ظاهرة الوزيعه "وزيعه سيدي الجودي"



صورة رقم 12: تبين ظاهرة الوزيعه "وزيعه سيدي الجودي"

المصدر: المخبر رقم (01)

إن الوافدين على حمّام قرقور التقليدي منه "سيدي الجودي" يقدمون وعدة سيدي الجودي التي تتمثل في صدقات منها مبالغ مالية وذلك لأخذ البركة حسب اعتقاد الناس. ومن بعض عادات المنطقة أخذ العروس بموكب الزفاف من بيت أهلها إلى بيت زوجها شريطة المرور على عين العروس بالمنطقة وتشرب من مائها تبركا بها في جو يملأه الزغاريد والغناء من نوع السراوي، ويحكى أن عين العروس كان موكب عرس في الطريق وكان به طفل صغير قد تبرز ولم يجدوا ما ينظفوا به ذلك فيقال أنها قد تم تنظيفه بقطعة رغيف (فطير) فحلت عليهم اللعنة فمسخوا حجارة وبقي الموكب على الشكل الذي كان عليه. وأصبح ذلك أسطورة يتداولها أهل المنطقة ويتبركون بها (العين). وهذا ما جاء في مقابلة المخبر رقم 01 اذ قال:

"عين العروس هذه بكري كنا نجيو في العرس نجيبو العروس تشرب من الماء ونرجعوها تبركا بالماء طقوس وعادات، وكانوا العجايز والنساء يغنيو سراوي، حتى يرجعوها للدار"



صورة رقم 13: تبين منظر لعين العروس

المصدر: من الالتقاط الشخصي للباحث

والمنطقة غنية بالمنابع العذبة الحارة منها والباردة و من بينها الواد السارق هو منبع بمحاذاة الوادي (بوسلام) يقال أن ماءه صالح لتفتيت حصى الكلى وقد بينت الملاحظات العديدة التي تم تسجيلها خلال فترة الدراسة أن الوافدين للاستحمام خاصة في الجانب التقليدي من حمّام قرقور ينزلون عند الوادي لأجل ملأ القرورات بماء هذا المنبع وهذا ما أكدته بعض المقابلات التي أجريناها مع حالات تقيم بالمنطقة. حيث يقول أحد الأهالي:

"... هذا الماء مليح للكلى، يقولولو الواد السارق، الناس جرباتو راهم من يجيو للحمام يعمر منو

الماء..."

وهذا ما توصحه الصور التي تم التقاطها.



صورة رقم 14: تبين منبع الواد السارق والمستحمين يتجمعون به لملأ القرورات

المصدر: من التقاط الباحث

وتعد هذه المظاهر من سمات الثقافة الشعبية المحلية ولكل منطقة لها خصائصها الثقافية وآلياتها المختلفة لإحياء هذه العادات.

رابعا : حمام قرقور المعدني مقوم تراثي وسياحي

1- حمام قرقور بين التسمية والمنشأ

إن منطقة القرقور تستمد اسمها من جبل قرقور الذي أعطى اسمه للحمام، حيث أن جبل القرقور ينتمي إلى السلسلة الجبلية التي تحده المنطقة في الجنوب، وفي الغرب واد الصومام، يفصل السكان البربر للمجرى الأسفل بوسلام عن قبائل الجرجرة، البوسلام يعبر البلاد حسب مسافة جنوب شرق- شمال غرب ثم شرق غرب ليلتقي بواد الساحل الذي أصبح هو واد الصومام على مستوى أقبو.

هذه المنطقة مشهورة منذ القديم بصعوبة عبورها بحيث وديانها تمثل أعناق ضيقة (منعرجات ضيقة) مثل أبواب الحديد في ألبيان، أو منعرجات بوسلام في حمام قرقور، هذه الصعوبات تفسر بأنه منذ الفترة الرومانية، الطرقات الأساسية بين موريتانيا السطايفية وموريتانيا القيصرية كانت تمر إما للشمال (الطريق الساحلي) وإما لجنوب جبال الحضنة وقرقور، في حين طريقين ثانويين كانا يضمنان الرابط بين سطيف وبجاية والأخرى بين سطيف وتيكلات.¹

لقد تم اكتشاف القرقور بدرجة أقل من المناطق المجاورة مما يجعلنا نعتقد بأن الرومنة كانت أقل اتساعا في المنطقة مقارنة بالمناطق الأخرى، كما قد عانت هذه المنطقة من شعب البافار Bavare وذلك في النصف الثاني من القرن الثالث أين ضموا قواتهم لقوات القبائل الكبرى، هذه الصعوبات تفسر غياب مدن هامة في المنطقة، كما أن اسم قرقور يمتد إلى ما أبعد الحدود لأنه ينطبق على زرابي تمت حياكتها خارج المنطقة البربرية للقبائل الصغرى إلى غاية بسكرة وشرق الحضنة، والتي تسمى زرابي قرقور.²

حمام قرقور على هضبة بوسلام، هو محطة لمياه معدنية حارة، ومشهور بمياهه المنتظمة لحمض السولفات، والتي تتدفق بدرجة حرارة ما يقارب 43°، المدينة الرومانية التي توسعت حول هذا المصدر المائي تحمل نفس الاسم أي بوسلام "Sava" في هذه المدينة كانت تتواجد أثار لأحواض وقنوات خاصة بمياه معدنية حارة، وضح، وعدة كتابات منقوشة مسيحية لما فيها كتابة تذكارية خاصة ب Rogatianus

³ Luis -Ia dona tus

¹ Camps , G. « Hammam Guergour », In Encyclopédie berbère, 22 | Hadrumetum – Hidjaba [En ligne], mis en ligne le 01 juin 2011, consulté le 18 septembre 2015. URL : <http://encyclopedie.berbere.revues.org/1649>

² Ibid.

³ Ibid.

إن تسمية حمام قرقور أو المنطقة بحمام قرقور قد أرجعه بعض المبحوثين إلى تفسيرات مختلفة، لكن أنهم يؤكدون على أن الحمام من عهد الرومان وأكثر، وهو يحض بهذه الخصوصية الثقافية.

2- التطور التاريخي لحمام قرقور

أ- حمام قرقور محطة استشفائية رومانية :

إن أول مصدر للمياه المعدنية الحارة قد تم اكتشافها من طرف فرقة فرسان رومانية في هذه المنطقة، حيث استعمل الرومان خصائص هذه المصادر المائية لعلاج سكان مدنهم، و كولون فيالقهم، في الفترة ما بين القرن 2 والقرن 4 بعد الميلاد، حيث أن المسابح الأربعة ودور الراحة التي تم اكتشافها بواسطة الحفريات التي تمت في عامي 1937 و 1938 تشهد على ازدهار هذه المحطة . ففي العام 07 بعد الميلاد، شيدت البلدة الرومانية شمال بوسلام وتم استحداث المدينة الملحقة في عام 193 وحملت اسم Ad Sava Municipium أد سافا مينسبيام، حيث أن "Sava" سافا هو الاسم الروماني لواد بوسلام قد ظهرت المسيحية بعد ذلك في الفترة الممتدة ما بين 411 إلى 484 بعد الميلاد . كانت هذه البلدة متصلة مع المدن الرومانية الأخرى من بجاية عبر (تغرمين، وأولاد موتن) ومن سطيف عبر رأس الواد كانت Ad Sava متصلة بعين الروى ودمرت بعد زلزال أثر في هذه المنطقة عام 419م.¹

في عام 430 الوندال وبأمر من ملكهم "جونس ريك" " gens ric " غزوا شمال إفريقيا بعدد 80,000 شخص أقاموا في المنطقة واتخذوا عاصمتهم مدينة بجاية Bougie في العام 539 احتل البيزنطيين المنطقة التي تسمى موريتانيا الأولى.²

يعد حمام قرقور محطة حموية، توافدت عليها حضارات عديدة ومن أبرزها الحضارة الرومانية، والتي لا تزال آثارها باقية إلى حد الساعة، فهناك ما تم اندثاره بسبب عوامل عديدة منها.

- التوسيع العمراني العشوائي بالمنطقة قرقور .

- جهل أهل المنطقة بالقيمة التراثية والسياحية لهذه المناظر.

- عملية التهريب لبعض القطع الأثرية، فقد اختفت معالم أثرية كثيرة كانت لوقت ليس ببعيد قائمة بالمنطقة، كما أيضا اتخذت حجارة هذه الأثرية واستخدمت في عملية البناء.

¹ Diafat, A. (2007 du 12 au 15 juillet), « Potentialités et perspectives touristiques du village hammam Guergour, sétif, Algérie, 1ère conférence régionale Euro-méditerranéenne architecture traditionnelle méditerranéenne présent et futur , RehabiMed ,Barcelone ,(p179-181),p.149.

² Rosso J. C., [en line], http://jeanyvesthorignac.fr/wa-files/info-559-guer_our.pdf a:27/01/2016/a08:20h.

بطريقة أو أخرى قد تم تدمير قسم كبير من هذه الآثار الرومانية التي لها قيمة تاريخية وتراثية قد تزيد من القيمة السياحية للمنطقة، إلا أنه لم يبقى إلا البعض منها، كالحمام الروماني، و يبعد بأمطار عن الحمام التقليدي سيدي الجودي، ومتفرقات أخرى منها سلالم (دروج) قرب منزل، فبحكم أنها تقع في مساحة منزله فلم يتم انتهاكها. إضافة إلى آثار أخرى تقع تحت المركب المعدني وهي تشغل حيز فردي لأحد الخواص، فلم يتم تدميرها وتسمى العروس الطرشة، وهي ضريح روماني عليه كتابة رومانية .

إن البقايا المادية بمنطقة حمام قرقور والتي تعود إلى الحضارة الرومانية لا تزال تحكي تاريخ هذه الحضارة، فقد تم بناء المدينة الرومانية، وذلك حسب الشواهد التاريخية بمنطقة تدعى " تنسوين "، تواجدت بها الأحواض الخاصة بالاستحمام، والمقبرة وليس ببعيد ضريح روماني، وأيضا بعض البقايا تدعى بالعرسال.

وقد تم إنشاء مدينة أخرى بعد الزلزال الذي ضرب المنطقة عام 419م أسفل تنسوين بأمطار وقد أعادوا تشييد الحمامات وهي لا تزال آثارها حاضرة إلى اليوم .



صورة رقم 15: تبين الآثار الرومانية (سلالم قبور العرسال بمنطقة حمام قرقور)

المصدر: جمعية نشاطات الشباب "البلاغ" حمام قرقور



صورة رقم 16: تبين الضريح الروماني المسمى عند أهل المنطقة ب"العروس الطرشة"

المصدر: من الالتقاط الباحث

إن عملية التوسع العمراني قد أثر على المنطقة كونها محمية أثرية قد تعرضت للتهديم والاندثار والذي قد أرجعته بعض الحالات المدروسة من فئة المقيمين بالمنطقة أن اندثارها يعود إلى عوامل عديدة والتي قد تم ذكرها آنفا.

ب- حمام قرقور في الفترة الإسلامية فضاء لأداء طقوس العبور

على غرار المناطق الأخرى من الجزائر، حمام قرقور كان قبلة لمجيء العرب ورسالتهم والتي كانت شعارها المساواة بين الناس أمام القانون، وخير دليل على ذلك وجود نخيل والذي يشهد على التواجد الإسلامي في هذه الناحية.¹ خاصة كان مع حلول الأمويين عام 708م بالجزائر إثر فتحاتهم الإسلامية، أين أسلموا كل البلاد. وفي 1550 وتحت الحماية التركية (العثمانية) كانت المنطقة تحت حكم باي قسنطينة.² وفي القرن 17 الولي الصالح سيدي الجودي المنحدر من الأخوية الدينية للمرابطين، أتى من الساقية الحمراء ليعلم القرآن في منطقة القرقور، واختار منزلا له من مكان يسمى لمدينة، حيث أعطى باي قسنطينة لهذا الولي إمكانية إقامة زاويته، كما منح له مئات الهكتارات في دوار عين الترك في البلدية المختلطة المعاضيد، والمنحدرين من هذه العائلة المرابطية (جودي) فلهم حصتهم من الأملاك إلى غاية أيامنا هذه.³

ت- حمام قرقور في الفترة الاستعمارية مصحة عسكرية

في 14 جوان 1830 تم احتلال الجزائر ومن ذلك 1830 إلى 1857 قامت فرنسا المحتلة بغزو المدن، والسهول والجبال، كما عملت على ترويض الأتراك والعرب والبربر ففي 1834 أقام الفرنسيون في عدد قليل من المدن الساحلية منها الجزائر، وهران، مستغانم، بجاية، وغيرها، ومن 1834-1844 تم غزوا سهول الشرق تحت حكم الباي التركي قسنطينة وغزو العرب الذي كان بقيادة عبد القادر وأخذ بتوسع الاحتلال الفرنسي حتى الجنوب الجزائري.⁴

في منطقة القرقور حسب ما سجل أنه لم تكن هناك حدود بين العرب والقبائل إلى غاية 1945، أصبحت منطقة القرقور بلدية مختلطة ذات أغلبية كبيرة ذات طبيعة بربرية، فقامت الإدارة الفرنسية تقسيمها إلى دواوير عربية تضم بوقاعة، موكلان، ذراع القايد، تالة إفاسن، ذراع قبيلة) وأخرى مؤهلة لأن تكون قبائلية.⁵

¹ Diafat, A., *op.cit*, p149.

² Rosso, J.C., *op.cit*.

³ Diafat, A., *op.cit*, p149.

⁴ Rosso, J.C., *op.cit*, *op.cit*.

⁵ Plault .M ., (1946), « LE Berbère Dans La Commun Mixte Du Guergour », *Revue Africaine*, Jourdan ,A Alger, Volume 90, Decembre, 1945, (p.203 -207), p.203,205.

لقد أجريت أبحاث و تحاليل على المياه الساخنة المتدفقة في منطقة القرقور ففي عام 1938 عمل مهندس المناجم "بازلياك" على إحصاء وتصنيف عالي للمياه الحموية في كل من ألمانيا تشيكوسلوفاكيا، وإيطاليا والجزائر (حمام قرقور – عين الشوف) وأعطى النتائج التالية:

-ألمانيا - برنباخ- 805 ملي ميكرو كيري (وحدة الإشعاع النووي)

- تشيكوسلوفاكيا – جاكينوف-240 ملي ميكرو كيري

- إيطاليا- إسكيا-193 ملي ميكرو كيري.

-الجزائر-حمام قرقور –عين الشوف- 150 ملي ميكرو كيري بدرجة حرارة تفوق 41 درجة مئوية وسرعة تدفق المياه تقدر ب 67 لتر في الدقيقة.¹

قبل 1947، حمام قرقور كان مركزا ريفيا متميزا بسكنات بدائية من حجر مبنية حول مسجد، وليس بها قنوات لصرف المياه القذرة لقد كان عددها 55 بيت، في هذه الفترة كان حمام قرقور معروف بزاوية سيدي الجودي وبالحمائم العمومية الأولى التي أنجزتها ذرية سيدي الجودي (أحفاده) في 1930، وفي 1947 بدأت أشغال مصالح المناجم الجزائرية، والتي انتهت في 1949 لأجل البحث والتقاط كل المياه، ومختلف المصادر المائية والتي جمعت في قنوات أساسية وفي سنة 1950، عملت المديرية الكيميائية Mell Guigue "ميل غيغ" على إجراء تحاليل على هذه المياه المعدنية الحرارية، والتي تم من خلالها إثبات نوعيتها، وفي نفس السنة عملت مديرية الصحة العمومية في الجزائر على بناء مركز ملاحظة الاستشفاء بالمياه في سيدي الجودي حيث كان بشكل سريع. إذ استغرق بناءه شهرا فقط في قرقور، والذي اشتغل لمدة 8 سنوات قبل بناء جسر في 1957 بهدف الربط بين ضفتي بوسلام. ليتم حرقه في 1958 من طرف المجاهدين لمحاربة الاستعمار الفرنسي.² كما كانت بقربه على حدود أمتار ثكنة عسكرية، في حين كان مركز الاستشفاء يقدم الخدمات الاستشفائية بواسطة ماء الحمام المعدني للكولون، وجنود المستعمر المصابين حيث أنه كان مطهر للجروح و يلئمها حتى الشفاء في 1938 تعرف Leschi وذلك أثناء الأسبوع الذي خصصه لاكتشاف القرقور على آثار لعدة كنائس في عين لقراج وعين دقوار (Lesbi) كما في وجانه، لقد استخرج كذلك من عين روى (حورية) قطعة حجرية لها رسم لحيوان و بها زخرفة.³

¹ Mostefai, A., *op.cit*, p.35.

² Diafat, A., *op.cit*, p.179.

³ Camps, G., *op.cit*.

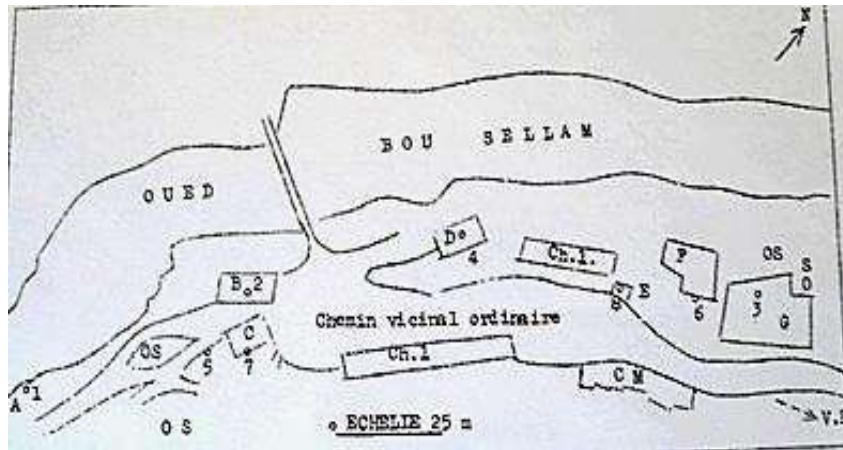


صورة رقم 17: حمام قرقور في الفترة الاستعمارية

المصدر: Hanriot, M. (1911), *Les Eaux Minérales DE L'Algérie*, Gouvernement Général De L'Algérie, PARIS.

لقد تم تقديم مخطط خاص بالمنطقة القرقور وخاصة مصادر المنابع الساخنة والواد بوسلام ومنبع عين الشوف وخاصة الحمامات الموجودة بمنطقة القرقور وذلك حسب كل من "بوجي وشوشاك" وهي مرمزة حسب المخطط كالاتي:¹

- منبع خاص غير مهيباً - غرف الأهالي - مقهى - حمام الأهالي - أحواض الاستحمام (دوش)
- حمامات النساء - حمام دلولة - حمام عائلي - حمام شربال
- طريق مؤدي إلى الأثار الرومانية - طريق مؤدي إلى ناحية الشمال.



شكل رقم 1: مخطط يمثل تقسيمات الحمام قرقور في الفترة لاستعمارية حسب ما جاء في دراسة الدكتور عبد القادر

المصدر: A, Mostefai

¹Mostefai, A., *op.cit*, p.31,32.



صورة رقم 18: تبين حمام قرقور في الفترة الاستعمارية 1931

المصدر: جمعية نشاطات الشباب "البلاغ"

في 2 أفريل من عام 1950 عملت مهندسة المناجم "ميل سمون غيغ" على تعيين 11 منبع، وقد قامت بتحليل عينة من ماء عين الشوف (1 و2) وذلك في 10 نوفمبر 1949 كما قدمت تحذير حول الغازات المنبعثة من المياه الحموية بمنطقة قرقور¹.

قدم الطبيب "مازوكا" في عام 1950 إحصائيات حول عدد المرضى ونوع المرض، حيث قدروا بـ 126 مريض يستشفون بمياه الحمام بمستشفى قرقور، الذي تم الإشارة له سابقا، وهم مصابون بمختلف الأمراض منها الروماتيزم وكان عدد المرضى بها 69 إضافة إلى الأمراض العصبية وكان عددهم 24 في حين الباقي كان يتفرق على الذين يعانون المرض، آثار العمليات الجراحية والسمنة وأمراض الظهر والأمراض الجلدية كالإيكزيما وغيرها².

ث- حمام قرقور في الفترة الحالية ضرورة اجتماعية وثقافية

ابتداء من سنة 1970 ومع العدد المتزايد للسكان، تطور حمام قرقور عضويا باتجاه لقراقرية والعيشون على الضفة الغربية لبوسلام، وفي إطار تطوير سياحة الحمامات المعدنية في الجزائر، قررت الحكومة في منتصف سنة 1970 بناء مركب لحمام معدني على مستوى الموقع الروماني القديم الذي يحيط بقرية حمام قرقور³. وعلى مساحة 14 هكتار لقد تم تدشينه في 20 جوان 1987⁴. حيث أن هياكل للإيواء قد بنيت لغرض استقبال العدد المتزايد من الزوار، هكذا كان التوسع المكاني للقرية السياحية التي أصبحت مركزا حضريا (حسب تصنيف 2002) لقد تم اتساع هذه القرية باتجاه الشمال الشرقي لضاحية لقراقرية

¹ *Ibid.*, p.35,36.

² *Ibid.*, p.38.

³ Diafat, A., *op.cit.*, p.179.

⁴ Ouali, S., *op.cit.*, p.17.

أثناء سنوات 1970 بينما هذا التوسع قد توقف اليوم بسبب التضاريس ولأن المخرج الوحيد مزال متواجدا باتجاه الجزء الشمالي الشرقي لمنطقة عيشون على الضفتين.¹ إن دراسة التطور التاريخي لحمام قرقور تبين بأن المصادر المائية الحرارية هي سبب وجود هذه القرية وبأنه منذ اكتشاف هذه المصادر المائية لم تتوقف القرية عن التطور وكسب الأهمية عبر فترات، الأمر الذي جعل حمام قرقور يتمتع بإمكانات سياحية هامة بالنظر إلى الآثار التي تركها الرومان، و بفضل ثراء مناظره الطبيعية أيضا، وتنقسم القرية إلى قسمين (شرق و غرب) بواد بوسلام وهما مرتبطين بجسر للراجلين (من عيشون إلى المدينة) وجسر آخر ميكانيكي . كما أن المصادر المائية البدائية هي الوادي والمصدر المائي العلاجي المستغل منذ الفترة الرومانية يشتمل على تدفق قدره 700ل/د لكن الأشغال التي تمت من طرف الفرنسيين في 1950 واكتشاف 11 مصدرا آخر قد زاد من قوة التدفق ليصبح 2500ل/د.² وعلى أثر القيمة السياحية التي تكتسبها منطقة حمام قرقور وذلك ضمن إطار عملية تحديد وتصنيف منطقة التوسع السياحي لحمام قرقور تم إدراج منطقة التوسع السياحي على مساحة 137 هكتار بالجهة الغربية لحمام قرقور بمنطقة عيشون و 03 هكتار بجنب مركب الراحة للمجاهدين بالجهة الشرقية لتصبح مساحة منطقة التوسع السياحي 140 هكتار.³



صورة رقم 19: تبين الحمام على الضفة الوادي والجسر الذي يجمع الضفتين مع تجمع الناس بها بمنطقة حمام قرقور

المصدر: جمعية نشاطات الشباب "البلاغ" حمام قرقور

3- بنية ومرفولوجية الحمام المعدني قرقور

أ- التعريف بالمنبع

¹ Diafat, Abdrrahmane. ,op.cit, P.179.

² Ibid.,p .178.

³ المصلحة التقنية لبلدية حمام قرقور، 2019.

اسم المنبع¹

يسمى هذا المنبع الحموي الذي تتميز به المنطقة "بعين الشوف" التي تنحدر من أعالي جبال القرقور، تحتل مياهه المرتبة الثالثة عالميا والأولى عربيا وإفريقيا، من حيث النشاط الإشعاعي وهي غنية بالكبريت و الكلور، وذلك حسب الدراسة التي أجراها مهندس المناجم "بازيلياك" سنة 1938م، كما عملت الآنسة "غيغ ميل (M.Giugue) عام 1944، بإجراء تحاليل على عينة من المياه المجراة سابقا، ومياه عين شوف رقم (02) والتي أعطت النتائج التالية:

جدول رقم 14: يبين نتائج تحاليل مياه حمام قرقور سنة 1949.

الينبوع الرئيسي	عين شوف رقم (01)	عين شوف رقم (02)	
1949/11/10	1949/11/10	1949/11/10	تاريخ الاقتراع
°44	°44	°44	درجة حرارة المياه
5,37	22,50	24,05	النشاط الإشعاعي بالملي ميكرو كيري في اللتر

ب- التدفق

إن المياه الحموية تتدفق طبيعيا إلى المحطة المعدنية التقليدية بقوة 30 لتر في الثانية، ومحتواه من الجراثيم لا شيء، وذلك في مجرى مائي طبيعي على مسافة قدرها 153 متر، والتي يتم تجميعها في خزان مشترك ما بين البلدية والمركب السياحي المعدني لتلقت في مجرى طبيعي آخر إلى المحطة المعدنية التقليدية على مسافة 205 متر، وتتوزع ما بين الحمام التقليدي للنساء وآخر للرجال على شكل ينابيع لتصب في أحواض للاستحمام.

ت- خصائص الحمام المعدني قرقور

• الخصائص الكيميائية والفيزيائية لمياه المنبع

تبلغ مقاومة مياه المنبع حوالي 280,5 أوم، في حين معدل الحموضة (ph) يقدر ب 6,9، أما عن درجة حرارة هذه المياه فهي تتراوح ما بين 41 إلى 44 درجة مئوية، والمستخلص الجاف يقدر ب 180° مئوية.

¹ المصلحة التقنية لبلدية حمام قرقور، 2019.

تحتوي مياه حمام قرقور المعدني على مادة الصوديوم أربعة والتي تقدر ب1,6 غرام في اللتر الواحد، إضافة إلى مادة الكالسيوم والذي يقدر ب0,58 غرام في اللتر الواحد أضف إلى ذلك مادة الكلور والتي تقدر ب0,48 غرام في اللتر الواحد .

• الخصائص العلاجية

كما هو معروف عن الحمّامات المعدنية أنها ذات خصائص علاجية متعددة التي قد استغلها الإنسان على مر السنين، وهذا قد تعرفنا عليه في الفصل الخاص بالحمّامات المعدنية، وقد أثبتت مياه المحطات الحموية بجدارة قدرتها على تحقيق الغاية، وتبقى طبيعة الممارسة فيها ذات بعدين رئيسيين، صحة و استجمام في نفس الوقت، فإن قلنا صحة فإننا نقول أن خصائص المياه المعدنية رغم تمايزها فإنها تختص في كل مرة بعلاج بعض الأمراض التي تصيب الإنسان وخاصة في حالات تقدم السن أين تكون مياه المحطات الحموية كعلاج مكمل هذا من جهة ومن جهة أخرى أن المواقع الطبيعية التي تقع فيها هذه المحطات تكون ذات مناخ صافي ومناسب لكثير من الحالات المرضية النفسية والجسدية .

وحمام قرقور المعدني حسب دراسات أجريت مثل دراسة"عبد القادر مصطفى في سنة 1956م، التي أكدت على أن مياه حمام قرقور المعدني قد تساعد على شفاء العديد من الأمراض منها: أمراض الروماتيزم، بأنواعها، الأمراض الجلدية، وأمراض المفاصل، أمراض العيون، والأعصاب وغيرها. قد أثبتت ذلك حسب تجارب الناس وخبرتهم وخاصة إذا ما تم إقران هذه المياه بأشكال ممارسة مختلفة، سواء في الشكل التقليدي الشعبي وممارسة التطبيب الشعبي كإضافة بعض العقاقير والأعشاب الطبية كالزعر، والزنجبيل، والقرنفل... الخ أو في شكلها الحديث والذي يتطلب وجود آلات طبية متخصصة في هذا النوع من العلاج الطبيعي والذي يتركز أساسا على المياه المعدنية.

يختص حمام قرقور بموقعه المتميز الذي أهله لأن يكون موقع جذب سياحي فإضافة إلى أنه قبلة لعشاق السياحة الحموية العلاجية فهو أيضا يمنح فرصة للاستجمام، وقد يرجع الفضل في ذلك إلى الطبيعة الخلابة التي تحيط به فتجد السلاسل الجبلية، تحيط به كأنها حصن يحيط بالقلعة، فهي تحرصه من كل جانب وبغاباتها الكثيفة، والأمر الذي زاد المنظر جمالا الوادي (واد بوسلام) الذي يتوسط المدينة بمياهه العذبة المتدفقة من باطن الأرض والتي تنساب عبر الجبال، هذا الوادي الذي يعد مكانا مفضلا للكثيرين، إذ تتجمع العائلات على ضفافه، فهو مكان للترويح والاستجمام والسباحة والصيد خاصة في فصل الصيف لكن نقص الهياكل الفندقية بالمنطقة قد أثر على عملية الجلب السياحي إذ أن الوافدين يضطرون للإقامة ليوم واحد والمغادرة بعده لأن فرصة الإقامة لأيام لا يمكن أن تتحقق، بالرغم من أن أهالي المنطقة قد ساهموا في توفير فنادق خاصة لكن يبقى ذلك بالقليل إذا ما تم مقارنته بعدد الوافدين، خاصة في فصل الربيع، والصيف والخريف وتزامنا مع أيام العطل (عطلة الربيع-عطلة الصيف والخريف).



صورة رقم 20: تمثل المناظر الخلابة المحاذية للحمام قبله السياح

المصدر: من التقاط الباحث

4- بنية الحمام المعدني قرقور

أ- بنية ومورفولوجية الحمام المعدني قرقور التقليدي (حمام سيدي الجودي)

كما أشرنا أن مياه الحمام المعدني قرقور (منبع عين شوف) يتم استغلاله بشكل ثنائي، أي أنه مشترك بين البلدية، والمركب المعدني السياحي حمام قرقور، حيث أنه يتم تجميع مياه منبع عين شوف في خزان الذي يتواجد بالزاوية "سيدي الجودي" لينقل عبر مجرى طبيعي إلى شقه التقليدي (رجال ونساء) وينقل عبر قنوات مياه ومضخات إلى المركب المعدني السياحي وأيضاً مركب الراحة للمجاهدين .
يتربع الحمام التقليدي على مساحة تقارب 650 م² ، يتكون حمام قرقور التقليدي (حمام سيدي الجودي) من حمامين خاصين بالرجال والنساء يتوسطهما سوق شعبي ، الحمام الخاص بالرجال: يتكون من ثمانية أحواض للاستحمام مزودة بمقاعد رخامية وحامل الأحدثية و معالق للتعليق الحقائب . كما يوجد مرحاضين إضافة إلى مغسل بحنفية في كل رواق من الرواقين وأيضاً قاعة الاستقبال التي يتم دفع حقوق الاستحمام وهي مزودة بكل لوازم الاستحمام، إضافة إلى غرف الإيواء فيوجد ثلاثة غرف على اليسار وخمسة جهة اليمين، مجهزة بشكل عادي حسب ما جاء مع المخبر رقم 03.



صورة رقم 21: تبين حمام الرجال والمستحمين به

المصدر: من التقاط المخبر رقم 03

أما حمام النساء فهو يتكون من ستة أحواض ثلاثة على جهة اليمين وثلاثة على جهة اليسار، توفرهما على مرحاضين، توجد بهذا الحمام ساحة تحوي مقاعد رخامية أين تجلسن فيها المستحقات بعد خروجهن من الحمام ولبس ثيابهن، فإنهن ينتظرن مناداة القابض بالمكبر الصوت أو مكالمة هاتفية من المرافق ليذهبن . هناك أربعة مراحيض، اثنان في كل جهة يوجد ثلاث قاعات للانتظار، واحدة على الجهة اليمنى تجمع المساح الثلاث وقاعتين للانتظار بالجهة اليسرى واحدة مع مسبح وواحدة أخرى تجمع مسبحين.



صورة رقم 22: تبين مدخل حمام النساء



صورة رقم 23: تبين أحواض الاستحمام الخاصة بالنساء والبخاريكاد يحجب الرؤية

المصدر: من التقاط الباحث



صورة رقم 24: تبين لمداخل الحمام النساء والرجال وسوق الحمام الشعبي

المصدر: من التقاط الباحث

ب- بنية ومورفولوجية المركب السياحي المعدني حمام قرقور

● الموقع : يعد المركب حمام قرقور أحد الأقطاب الهامة في مجال السياحة الحموية في الشرق الجزائري، يقع على بعد 50 كلم شمال غرب ولاية سطيف وعلى علو 670م.

وهو ذو أهمية كونه منفتح على عدة جهات منها عاصمة الولاية سطيف، وكذلك ولاية برج بوعرييج، كما أنه يتواجد في موقع جغرافي طبيعي خلاب يتوسط عدة سلاسل جبلية، جبال البابور وجبال البيبان (وظافات والعيني) كما أنه يطل على الوادي (بوسلام) ويحيط بالغابة.

● المساحة¹ : تقدر مساحة المركب السياحي حمام قرقور ب 166339م² (متر مربع) أي 16,6 هكتار وهي مقسمة كالآتي :

-مساحة ذات مباني تقدر ب 26252م² متر مربع أي ما يعادل 2,6 هكتار .

-مساحات خضراء مشجرة، وطرق بالمركب تقدر ب 40000م² متر مربع أي ما يعادل 04 هكتار.

-مساحة غير مستغلة تقدر ب 100000م² متر مربع.



صورة رقم 25: تمثل المركب المعدني حمام قرقور

المصدر: من التقاط الباحث

5- مركز الراحة للمجاهدين حمام قرقور²

يعد مركز الراحة للمجاهدين حمام قرقور، مؤسسة خدمتية ذات طابع إداري، تابعة لوزارة المجاهدين التي تعني بفتة المجاهدين تم تأسيسه بموجب المرسوم التنفيذي رقم 06-363 المؤرخ في 19 أكتوبر 2006 المعدل و المتمم للمرسوم رقم 176/88 المؤرخ في 20 سبتمبر 1988 الذي يحول مراكز الاستجمام لقداماء المجاهدين إلى مؤسسات ذات طابع إداري وينشئ مراكز أخرى .

¹ المركب السياحي المعدني حمام قرقور، 2019

² مركز الراحة للمجاهدين مصلحة الإعلام، 2019.

- الطبيعة القانونية للعقار: هو ملك للدولة حسب قرار رقم 1496 يتضمن التخصيص المجاني لفائدة وزارة المجاهدين للقطعة الأرضية المقدرة مساحتها ب: 8845 م² تنتمي للمجموعة الجماعية رقم 54 من المخطط القديم لدوار بوقاعة لإنجاز مركز راحة للمجاهدين حمام قرقور .
- الموقع : يقع مركز الراحة للمجاهدين ببلدية حمام قرقور، و الذي يبعد بحوالي 50 كلم من الشمال الغربي لولاية سطيف .
- المساحة
- المساحة الإجمالية : يتربع على مساحة قدرها 8845 م².
- المساحة المبنية : 4932.31 م² .
- بيانات خاصة
- تاريخ الإستغلال : 2008/12/15 .
- طاقة الإستيعاب الأولية : 70 مقيم .
- طاقة الإستيعاب الحالية : 70 مقيم
- الخدمات المقدمة بالمركز في بداية إستغلاله :
 - المعالجة بالمياه الحموية .
 - التدليك وإعادة اللياقة .
 - توفير الراحة والإستجمام .
- العمليات قيد الإنجاز :
- توسيع المركز:
- المساحة الإجمالية للمشروع : 2000 م² .
- المساحة المبنية للمشروع : 960 م² .
- 18 غرفة لشخصين .
- 02 غرفتين شرفيتين .
- قاعة الاستقبال .
- كافيتيريا + قاعة شاي .
- قاعة الأكل : 150 مقعد .
- مطبخ رئيسي (02 غرف تبريد , قاعة للتحضير , قاعة للطهي , مخزن ومكتب) .
- 02 مسكن وظيفي من نوع F3 .

- توسيع جدار السياج .

● إعادة تهيئة المركز:

- تهيئة قاعة للتدليك وإعادة اللياقة بالمياه الحموية .

- تهيئة قاعة للتدليك الجاف .

- مكتبين .



صورة رقم 26: توضح مركب الراحة المعدني للمجاهدين

المصدر: مصلحة الاعلام بالمركب

مركب الراحة للمجاهدين هو جزء من المحطة الحموية إلا أنه ينتهي إلى تسيير وزارة المجاهدين وعليه فإن لا ينتهي إلى الطابع السياحي بشكل مباشر إلا أنه يمكن أن يكون له علاقة بالسياحة التاريخية كونه تم انشاءه على أنقاض المدينة الرومانية وقيل أنها كانت فكرة استمرارية للتاريخ الحموي بالمنطقة.

6- آلية اشتغال الحمام قرقور المعدني

أ- الحمام التقليدي (سيدي الجودي)

➤ طبيعة الوافدين : يستقطب حمام قرقور في جوانبه الثلاث حجم معتبر من الزوار، من كل ربوع الوطن وحتى خارجه، وذلك ما تم ملاحظته خلال دراستنا الميدانية، فبالعودة إلى بعض المقابلات التي تم إجراءها من مسيرين للحمام، قد أدلوا بأن الحمام يعرف حركة مستمرة على طول العام، وتكون الفصول الثلاث، الربيع، والصيف، والخريف هي التي تعرف حركة أكبر، مقارنة بفصل الشتاء الذي تقل فيه الحركة، الأمر الذي يرجع إلى ظروف المنطقة المناخية فهي تعرف تساقط كبير للأمطار وذات طبيعة جبلية صعبة وتحوي منحدرات كثيرة وضيقة .

- لكن مع بداية فصل الربيع تكون المنطقة من الناحية الطبيعية في أجمل حلتها، إذ أن طابعها الغابي، وصفاء هواءها، وعذوبة مائها، وطيب وكرم أهلها جعل من محبي الاستحمام في هذه المحطة الحموية

يتوافدون على هذه الأخيرة من كل مكان، وقد يصل عدد المستحمين ذروته في خلال هذا الفصل خاصة تزامنا مع أيام العطل، وهذا ما أشاد به الساهرون على الحمام التقليدي السيد سفيان والسيد فاتح، إذ أنه قد وصل عدد المستحمين ما يقارب 1000 مستحم في اليوم في عطلة الربيع، وذلك يرى أن في بعض الأحيان هذا التوافد الكبير على شقه التقليدي فقط يشكل مكسب للسياحة الحموية، لكن أغلب الحالات تتأسف على الطابع الخدماتي المتواجد في الحمام، حيث أنه يعاني الكثير من النقائص وأنه في غالب الأحيان لا يتناسب مع نوعية الزائرين له.

- إذن أن الظروف الفيزيكية للحمام باتت لا توفر الشروط الكافية لاستقطاب عدد أكبر من الوافدين، أيضا غياب التحسينات والتعديلات في هذا الفضاء، والتي تراها الحالات المبحوثة في الدراسة، قد يؤثر سلبا على عملية الجلب السياحي في هذا المجال مقارنة بالمقومات الطبيعية والثقافية التي تزخر به المنطقة والحمام كمركز.

- في حين أن أيام الشتاء فقد يتناقص حجم الوافدين، إذ أحيانا لا يتجاوز 50 زائر في اليوم وذلك أرجعه القائمين على الحمّام بخاصة أن غياب المرافق العامة وخاصة مع الإيواء و الفندقية، شكل المشكل الأكبر في ذلك، حيث أن الوافدين غالبا ما يأتون على شكل عائلي وبالتالي ظروف الإيواء في هذا الطابع تعد قليلة جدا رغم مجهودات أهل القرية المبدولة، إذ تحولت بعض السكنات إلى أماكن فندقية توفر للزائر ولو بقدر لا بأس به من الراحة وبالتالي هذا هو العائق.

➤ مواقيت الاستحمام: يفتح الحمّام التقليدي أبوابه على مدار اليوم (24 ساعة) إذ أن توافد المستحمين يبدأ قبل صلاة الفجر إلى ساعات متأخرة من الليل (الحادي عشر إلى الثاني عشر ليلا) وتبقى الساعات القليلة تخصص لعملية تنظيم الحمام وفضائه ليعاود الحمّام فتح أبوابه ثانية وهكذا دواليك.

➤ أجر (سعر) الاستحمام: قدر سعر الاستحمام بالحمام المعدني ب200 دينار جزائري وذلك لعام 2022 مقارنة بالسنوات الفارطة فقد تراوح بين 80 إلى 100 دينار جزائري وقد مضت مدة عامين وحمام قرقور التقليدي مغلق بسبب الأوضاع الصحية التي أصابت البلاد والعالم بأسره والمتمثلة في وباء كورونا، إن بعض الحالات المدروسة قد أعربت على أن المبلغ هو رمزي ولا يقاس بحجم المنافع الصحية والعلاجية وحتى الترفيهية الإستجمامية. كما أعرب الكثيرون عن افتقادهم للحمام التقليدي لأنه بكل صراحة هو ما يميز المنطقة وما يزيد من طابعها الأصيل وحاجة الناس للاستحمام به تعد حاجة فيزيولوجية ونفسية.

إن أغلب الحالات يرجعون هذا التوافد ليس لانخفاض سعر الاستحمام فقط ولكن لمؤهلات المنطقة الطبيعية والثقافية، كونها منطقة تحظى بطبيعة خلابة وبمناخ صافي تناسب مرضى الربو، حتى أن المستعمر في زمانه قد برمج بناء مستوصف خاص بمرضى الأمراض التنفسية (مرض الربو) في المنطقة، أيضا هي

منطقة لها عادات وتقاليد، وتتواجد بها زاوية وضريح سيدي الجودي الولي الصالح، أيضا هي محطة رومانية بقايا هذه الحضارة لازالت خالدة إلى اليوم رغم ما طالها.

ب- المركب السياحي المعدني حمّام قرقور

➤ طبيعة الوافدين: يتوافد على المركب السياحي المعدني زوار من كل أنحاء الوطن وحتى من خارجه، سواء الجالية الجزائرية في المهجر أو الأجانب لكن بشكل قليل لهذه الأخيرة، وهذا ما أدلى به السيد "ب-ب" إطار بالمركب حيث أنه يقر بأن حركة الزوار مستمرة على المركب منهم من طالبي العلاج بالدرجة الأولى ومنهم من طالبي الاستجمام، إذ أنه يؤكد على أن مؤهلات الحمّام الطبيعية والخدماتية (العلاجية) سمحت له أن يكون نقطة استراتيجية في مجال السياحة الحموية بالمنطقة وبولاية سطيف بشكل عام.

كما أضاف أن هناك تصنيف للفئات التي تتعامل مع المركب فهناك من هي متعاقدة مع الضمان الاجتماعي، وهناك تعاقد مع شركات كبيرة مثل سونطراك، و نفضال، المؤسسات التعليمية إضافة إلى الوافدين بصفة حرة، وهو يقر بأن زبائن المركب أوفياء، ويبقى الانفتاح على التعاقد مع شركات جديدة في الجزائر خاصة الأجنبية أيضا، وسوف تفتح الآفاق مع التعديلات التي هي قيد الإنجاز على مستوى المركب، مما سيسمح بجلب نمط ثالث والذي يكون خارجي (الأجانب) الأمر الذي يسمح بفتح الباب على العملة الصعبة كما يضيف أن عملية الترويج السياحي التي لها دور كبير في ذلك. يقر السيد "ب-ب" أن عدد الوافدين قد تناقص مقارنة بالسنوات الماضية، حيث أن التعديلات التي قد تم إدراجها بالمركب فيما يخص الفندقية، وغيرها قد كانت سببا وجيها في تناقص الحركة، وسوف يستدرك حسب قوله فيما بعد مع إتمام التهيئة الفندقية والحمّام الجديد بالمركب. والجدول التالي يبين طبيعة الوافدين على المركب السياحي المعدني حمّام قرقور.¹

¹ المركب السياحي المعدني حمّام قرقور، مصلحة المحاسبة، 2022.

جدول رقم 15: يبين عدد الوافدين على المركب المعدني السياحي حمّام قرقور السنوي

جدول رقم (12): يبين عدد الوافدين

2021	2020	2019	2018	السنة الفئة
7779	2313	4094	4692	زائر اليوم أحرار
22972	18176	43171	42503	زائر المبيت مقيم
366	529	981	1138	زائر مؤمن اجتماعيا
6142	4990	17501	13428	زائر في اطار الاتفاقيات متعاقد
40487	26008	65920	59759	المجموع

من خلال الجدول نلاحظ أن الوافدين على المركب ينتمون إلى فئات مختلفة منهم فئة الضمان الاجتماعي، والصندوق العسكري، وزيائن متعاقدين (فيها مختلف الشرائح متعاقدين مع شركة سنطراك، شركة نفضال، المؤسسات التعليمية، شركة سوناكوم، شركة الأشغال البترولية، شركة الإسمنت ...) ، وزيائن أحرار وافدين للمعالجة، مستحمين عابرين حيث يتم عقد اتفاق بين مدير الخدمات الاجتماعية ومدير المركب المعدني السياحي حمّام قرقور، ويمكن الاشارة إلى أن مجموع الوافدين لسنة 2020 يعد حالة استثنائية مقارنة بالسنوات العادية وذلك بسبب انتشار وباء كورونا.

➤ **مواقيت العمل:** يفتح المركب أبوابه على مدار السنة يوميا ماعدا شهر رمضان فالعمل به يتوقف، ليأخذ العمال والساھرين عليه عطلة ويغتنمون الفرصة في الإصلاح والترميم والتجديد بالمركب.

➤ **أجر (سعر) الاستحمام والعلاج :**

إن أجر الاستحمام بالمركب السياحي المعدني للشخص الواحد 200 دج و300 دج هما سعريّن يقدمهما المركب لزيائنه حسب نوعية الخدمات في حين أن سعر الحصة العلاجية يقدر ب1000 دج.

خلاصة

إن من خلال هذا العرض الذي تم تقديمه حول منطقة الدراسة تبين لنا أن منطقة حمام قرقور هي منطقة تنتمي إلى مدينة سطيف بالهضاب العليا وهي تعد منطقة استراتيجية كونها تفتح على عدة جهات من الوطن الأمر الذي جعلها نقطة التقاء العديد من المناطق بالوطن.

انطلاقاً من المؤهلات الطبيعية والثقافية التي تحوز عليها منطقة حمام قرقور يجعلها قبلة للزائرين من كل ربوع الوطن فهي تترعب على ثروة غابية بالغة الروعة تحدها ساسل جبلية منها طافات، لعيني، وجبل قرقور، وواد بوسلام الذي زاد المنطقة جمالا وحيوية إذ أنه يعد نقطة التقاء للعائلات الباحثين عن الراحة والاستجمام فهو يقسم لمنطقة مجال الدراسة إلى ضفتين لتجمع بقنطرة يعود تاريخها إلى عهد الاستعمار الفرنسي إذ أن هذا الأخير قام للمرة الثانية بتشديد هذا الجسر لتسهيل عملية الحركة بالمنطقة، وأيضا ما يميز المنطقة ويعطيها أهمية على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي والسياحي هو احتواؤها على منابع معدنية كثيرة منها الباردة ومنها على وجه الخصوص الساخنة وهي النقطة التي تشكل مجال دراستنا الحالية حمام قرقور المعدني، هذا المنبع الحموي قد شكل نقطة إستراتيجية منذ عهد طويلة وكان معقلا لحضارات منها الحضارة الرومانية والتي قد تجسدت في مدينة رومانية قد جعلت من مياه حمام قرقور الساخنة وسيلة للاعتناء بجنودها وفعالقة جيوشها من الناحية اللياقة البدنية والصحية فكانت مياه الحمام قرقور تشفي الجروح وتعيد لياقة الجسد لجرحى الحرب وذلك يعود إلى التركيبة الفيزيو-كيميائية للمياه.

وقد بقيت شواهد هذه الحضارة باقية إلى الآن منها الحمامات الرومانية والضريح الروماني وبعض الآثار الأخرى. وقد سارت الحضارات الأخرى منها العربية الإسلامية والعثمانية على نفس النهج وقد دل على ذلك وجود بعض المعالم الإسلامية منها مسجد سيدي الجودي و زاوية سيدي الجودي الولي الصالح الذي أتى إلى المنطقة ليعلم القرآن بها، وكانت له أسطورة تحكي ارتباطه (الولي) بالحمام قرقور. والاستعمار بدره قد اهتم بهذا المورد المائي الهام فقام بدراسات وتحاليل على المياه وأدرك الخصائص العلاجية له واستغله في مداواة الجرحى .

أضف إلى ذلك فإن لبركة الولي الصالح تأثير على اعتقادات الأفراد وتفسيراتهم العلاجية. حيث أن الحمام قرقور يتمتع بسمعة الولي الصالح سيدي الجودي حيث أنه لا يزال يحمل -الحمام التقليدي- اسمه والأفراد لا يزالون يمارسون طقوس التبرك بزواية من مدخل الحمام، وحتى يقدمون زيارة سيدي الجودي، ويقيمون مناسبات خاصة لإحياء شخصيته بالزاوية وأيضا يقيمون وزيعة سيدي الجودي في المناسبات الدينية، فهو يمثل جدا لأبناء المنطقة وهو صاحب الكرامات بها ومنها حمام قرقور. وانطلاقاً من هذه

المعطيات التي سمحت بها الدراسة الحالية استطعنا أن نعد حمام قرقور رمزا ثقافيا مهما تغذيه الثقافة الشعبية و ترسم معالمه و هويته الذاكرة الجمعية المتراكمة التي تعود إلى حقب زمنية بعيدة .
هذه المقومات التراثية لمنطقة حمام قرقور تجعل منها منطقة سياحية بامتياز إذ أنها إضافة للسياحة العلاجية التي تركز على المصادر المائية الحارة بالمنطقة إلا أن للمقومات التراثية والثقافية وحتى البيئة الأخرى دور في استقطاب السياح وزيادة الجذب السياحي، كما تشكل كل هذه المقومات مادة دسمة للدراسة الأنثروبولوجية.

الفصل الرابع

الإستشفاء بمياه حمّام قرقورين الاعتقاد

والممارسة

مقدمة

شكل الحمّام على مر العصور فضاء اجتماعيا وثقافيا تعاقبت عليه الحضارات الإنسانية، وكان من أفضل الأمكنة التي تجمع بين راحتي الجسد والنفس معا، فاعتبر بحق معبد الاسترخاء، وعلى امتداد قرون، قد شغل الحمّام سكان المتوسط وخاصة منطقة شمال إفريقيا ليأخذ حيزا هاما من حياتهم اليومية ويكون لهم ضرورة اجتماعية، فقد كان هذا الفضاء و منذ العصور الغابرة رمزا لأكبر متعة، ألا وهي متعة الاغتسال والعناية بالجسد واستحضار الزينة والصحة والجمال وعليه فإن في الأسطر اللاحقة نتساءل عن جملة المضامين والدلالات الرمزية التي يكتسبها الحمّام في حياة الأفراد من خلال المكانة التي يشغلها وجملة الأدوار التي يؤديها، وبغية الكشف عن هذه الدلالات الرمزية الطقوسية التي يحتضنها الحمّام ارتأينا أن نخضع موضوع البحث للتحليل والتفسير وفق مقاربة أنثروبولوجية من شأنها أن تغذي الموضوع.

أولاً: الممارسة الاستشفائية بمياه الحمامات المعدنية في المعتقد الشعبي

1- أصول الاستشفاء بالمياه المعدنية الحارة

يُعود استعمال المياه المعدنية الحارة والعوامل المناخية في العلاج إلى آلاف السّنوات الماضية، ويبدو أنّ عوامل الاستشفاء هذه هي أول ما أُستعمل في العلاجات الطّبيّة، حيثُ اعتقد الإنسان منذ القدم بأنّ قوّة خارجيةً خارقةً تُؤثّر في المياه وتُعطيه خصائصه العلاجية، وذلك ما ورد في مؤلّفات الكثير من القدامى عن المياه المعدنية الحارة والعلاج بها منهم " هبقراط" وهو مؤسس علم العلاج الطّبيعي والمناخي، و" جالينيوس"، و" تيسلموس" و" هوميروس"، وقد أنشئت معابدٌ حول هذه المواد في " الهند" (الهندستان) وبلاد الإغريق، وعبدت شعوبٌ منها " الكلتيون" آلهة بوربو، أي آلهة العيون المعدنية و" الشليوس" أي آلهة الصّحة وقد أولت الديانات السّماوية أهميّةً للمياه في العلاج والحفاظ على النّظافة والصّحة. وقد جلبت الحضارة الحديثة والرّوتين للإنسان المشاكل الجسدية والنّفسية، وأصبح البحث عن حُلول علاجية أمرًا مُحتّمًا على الإنسان لاستعادة حيويته ونشاطه، ليس تعميق العلاج فحسب ولكن لحمايته من مُختلف الأمراض والمشاكل الصحيّة¹، فكانت الدّوافع الأساسيّة للسّفر وفقًا " لماكنتوش" والتي يُمكن تصنيفها إلى:²

- دوافع طبيّعية: لها علاقةٌ بالاسترخاء الطّبيعي، والرّاحة والأنشطة الرّياضية، وعلاجٌ طيّبٍ مُعيّن، وكُلّها مُرتبطةٌ بصّحة الفرد الجسمانيّة.
- دوافع ثقافيّة: لها علاقةٌ برغبة الإنسان إلى السّفر، والتّعريف على عادات الشّعوب الأخرى وثقافتها، وتراثها الحضاري.
- دوافع علاقات شخصيّة مُتبادلة: ولها علاقةٌ بالرّغبة في زيارة الأقارب أو الأصدقاء أو تكوين صداقات جديدة أو هربًا من زملاء العمل أو الجيران، أو في أبسط صُورها هربًا من الرّوتين اليومي.
- دوافع الوضع والمكانة الاجتماعيّة: ولها علاقةٌ بأداء مهمّة ما، أو لأغراض تعليمية أو سعيًا وراء هوايات، أو من أجل تحقيق مُتطلّبات التّقدير الشّخصي.

يتّضح من خلال عرض هذه الدّوافع الأربع وراء السّفر، أنّ الحاجة إلى الصّحة والبحث عن العلاج يُعدّ أمرًا أساسيًا وراء غاية السّفر، فمهما كانت الغايات الظّاهرة وراء السّفر، إلّا أنّ الغاية الحقيقيّة الكامنة هي البحث عن الصّحة بكلّ أشكالها ومضامينها ومن ثمّ البحث عن الحُلول العلاجية، أصبح أمرًا ضروريًا لأجل إبقاء اللياقة والحيوية والنّشاط، فكان العلاج بالمياه المعدنية الحارة من بين أشكال العلاج الطّبيعي التي سعى الإنسان إلى استغلالها وتطبيقها، فأدرك محاسنها على مُختلف جوانب الصّحة.

¹ سلامة، إلياس والريماوي عمر (1997)، مياه الاستشفاء في الأردن، الأردن، وزارة السّياحة، ص. 2.

² عدلي، أنيس سليمان (2009)، السّياحة العلاجية في مصر والعالم دراسةٌ جُغرافية، جامعة القاهرة، ص. 2.

ترتكز هذه المياه المعدنية الحارّة على عدّة عوامل أهمّها:¹

- مادّة العلاج أي المياه المعدنية الحارّة.
- المناخ المُحيط بالمصدر المائي.
- العوامل النَّفسية: الرّاحة النَّفسية والاسترخاء والمناظر الطّبيعية، وتغيّر جو المعيشة
- عوامل الحركة: الرّياضة، المشي، والسّباحة.

تُعدّ العوامل الثلاثة الأخيرة عوامل مُساعدةً إلى جانب العامل الأوّل بالنّسبة للفرد بهدف استكمال المُعالجة، أمّا بالنّسبة للعامل الأوّل وهو المياه فإنّها تختلف إمكانيّاتها العلاجية حسب الخصائص الفيزيائية والكيميائية المُشكّلة لها.

وعليه فإنّ الماء يحمل رمزيّة خاصّةً عند الأفراد، فإنّه يرمز إلى كثير من الدّلالات وخاصّةً التي يتعلّق بالصّحّة، فأخذت تفسيرات الأفراد في بادئ الأمر مضامين غيبية لها علاقةً بالقوى الميتافيزيقية، غير أنّ الماء يبقى رمزاً للصّحّة والنّقاء.

قبل الخوض في معالجة موضوع الاستشفاء بالمياه المعدنية، كان لزاماً أن نعرض ولو بشكل وجيز الطقوس ومقاربتها الأنثروبولوجية من أجل الفهم واستيعاب ما يأتي من أفكار لاحقة في الموضوع، لأنه حين نحاول إسقاط فهمنا للطقوس على جوانب حياتية يمكننا من إدراك الحقائق، وعليه سوف نعرض باستفاضة الموضوع وكل ما يكتنفه من غموض.

2- في معنى الطقوس ودلالاتها

الطقوس في اللغة العربية جمع مفردة طقس وهو "حالة الهواء باعتبار الصحو والمطر والحر والبرد إلى غير ذلك، ويطلق عند النصارى على شعائر الديانة واحتفالاتها"، أما في الاصطلاح فهي "مجموعة السلوكات والأفعال والأقوال التي يقوم بها الإنسان بصفة متكررة يتفق عليها المجتمع، ذات علاقة بالدين والسحر والمعتقد الاجتماعي يحدد العرف الاجتماعي دوافعها وأغراضها".²

¹ عدلي، أنيس سليمان، مرجع سابق، ص. 4، 5.

² بوقفة، صبرينة (2017)، "الطقوس والممارسات العقائدية في المجتمع الشعبي بولاية تبسة ودلالاتها الاجتماعية"، مجلة الثقافة الشعبية، العدد 39، ص. 135.

إن لفظة "Rite" في اللاتينية تأتي من "Ritus" وتعني "مجموعة الأنشطة والأفعال المنظمة التي تتخذها جماعة من خلال اعتقاداتها".¹

كما يُعرفها "أريك فروم" على أنها "تعبير رمزي عن الأفكار والمشاعر بواسطة الفعل".²

إذن الطقوس هي عبارة عن مجموعة من الإجراءات والعمليات التي يتخذها الفرد أو الجماعة، وتصلح عليها لأجل التعبير الرمزي على الحالة النفسية اتّجاه مناسبة ما في مكان ما، ومن صفاتها التكرار، ويسود فيها الاعتقاد الراسخ اجتماعيا حول الغاية منها.

كثيرون هم من اهتموا بموضوع الطقوس وطقوس العبور بخاصة، أمثال "دوركايم"، و"كازنوف" و"روجي باستيد"، و"فان جنيب"، و"تورنر"، و"هيري دوغلاس"، و"كلود ليفي ستروس"، وغيرهم، فأخذوا يبحثون عن طاقاتها التعبيرية وعن وظائف اجتماعية أو نفسية كامنة فيها وعن انطوائها على أبعاد وجدانية تشد عن قوات المؤسسات النازمة للمجتمع.³

ودلالة الطقوس في اللغة العربية هي الشعائر أو الشعيرة، والتي هي علامة يتميز بها الشيء عن غيره ويقصد بها مجموعة الأفعال والممارسات التي تنظمها قواعد نظامية من طبيعة مقدسة أو موقرة ذات سلطة قصرية ملزمة ضابطة للتابع بعض الحركات الموجهة لتحقيق غايات ذات وظيفة محددة.⁴

وعليه فإن الشعيرة تدل على الممارسات المقدسة التي تدخل المؤمن في حالة القداسة وتجعله يؤتي مناسكه التعبديّة، ويحيل على المراسيم التي تنجز ضمن التعاليم الدينية للدخول في تجربة القداسة (مثل ذلك الصلاة والحج، وشعائر الموت والأضحية...)، كما يشتمل مجال الطقوس أيضا جانبا من الأنشطة والممارسات غير الدينية، مثل ذلك الأنشطة الاقتصادية والسياسية والرياضية، وأفعال التواصل والتبادل الاجتماعي بين الأفراد.⁵

والشعائر ليست إلا طقوسا اجتماعية Rituals والاحتفال العام المصاحب لهذا الغرض منه تعيين أهمية المناسبة، إذ أنها تؤثر في الأفراد بدون تدخل العقل، ووظيفتها نقل الأحاسيس المتصلة بحقائق كبيرة، وبالعقائد وبوجود المجتمع، كما يعتقد علماء الاجتماع، أن لها وظيفة رمزية باعتبارها أداة منظمة للوحدة

¹ المحواشي، منتصف (2010م)، "الطقوس وجبروت الرموز: قراءة في الوظائف والدلالات ضمن مجتمع متحول"، مجلة إنسانيات، العدد 49، ص18.

² لغرس سوهيلة (2012م)، "الأبعاد الاجتماعية والنفسية للطقوس الدينية نموذجا"، مجلة الفكر والمجتمع، الجزائر، العدد 14، ص3.

³ بونت، بيار وإيزار، ميشيل، مرجع سابق، ص. 632.

⁴ عبد الغني، عماد، مرجع سابق، ص. 158.

⁵ المحشاوي، منتصف، مرجع سابق، ص. 19.

الاجتماعية، فكثيرا ما تؤدي الإشارات، والعبارات، والشعارات، والحركات الرمزية الوظائف التي تؤديها القواعد التنظيمية الوضعية بصورة آلية، في مجرى الحياة اليومية، وبخاصة بالنسبة إلى الجماعات المهنية والطائفية والمحلي¹.

لقد أولى "إيرفينغ قوفمان" لطقوس التفاعل في الحياة اليومية dinteraction rites اهتمام أساسيا في مقارنته السوسولوجية كالممارسات البسيطة في الحياة اليومية للناس، مبينا ما يقع فيها من انتظام، وما تخفيه من نظم رمزية تسير عمليات التواصل الشائعة في حياة الأفراد، وبالتالي أعمال قوفمان تكشف عما وراء فوضى الممارسات اليومية التي ينخرط فيها الناس، ويتقيدون بها دون أن ينتبهوا إلى ما فيها من انتظام رمزي.

كما بين "قوفمان" أن الناس كائنات طقوسية بامتياز، إذ لا يمكن العيش معا إلا بوساطة طقوس تنظم مبادلاتهم الرمزية المختلفة، والمجتمع مسرح يومي تؤدي فيه الأدوار منتظمة وفق طقوس تفاعلية لا تستوي من دونه الحياة الجماعية، وضمن هذه اللعبة يملأ كل فرد موقعا له ضمن مسرح المكائات، محافظا خلال ذلك على مقامه ومكانته أو ما يسميه "قومان" بـ "ماء الوجه" الذي يعدّ أساسيا في قواعد التفاعل البشري، والحياة الجماعية إنما تنهض على ضروب من المجازات المسرحية (Théâtrales Mélaphores) التي تؤدي وفقها التفاعلات في الحياة اليومية.²

وفي خاتمة "الإنسان العاري" 1972م يقترح كـ "ليفي ستروس" دراسة الطقوس بذاتها ولذاتها وفهمها، فيما يجعلها تشكل ميدانا متميزا عن علم الأساطير والعمل على تحديد مواصفاتها الخاصة.

في حين يشير "غلوكمان" (1962م) إلى أنه يمكن للفرد في المجتمعات التقليدية، أن يكون له أدوار عدة يقوم بها تحدها الطقوس مقابل دور واحد يقوم به الفرد في المجتمعات الحديثة، من جهة أخرى حاول علماء النفي تفسير طقوس الولادة، والتي تقضي بفصل الولد عن أمه أمثال "ايتينغ" (1958م) وبيتيلهايم (1954م)، حيث عند الختام يتم إشباع الرغبة ولمرة واحدة فقط، وكامنة لدى الإنسان، ويكون من الجنس الآخر وذلك ما يسمح بالعبور إلى الجنس الحقيقي من خلال تأدية الطقس³، في حين أن فرويد يفسر طقس

¹ عبد الغني، عماد، مرجع سابق، ص. 158.

² المحواشي، منصف، مرجع سابق، ص. 19.

³ بونت، بيار و إيزار، ميشال، مرجع سابق، ص 631، 635.

الختم على أنه "خصاء رمزي يطبع من جديد في ذاكرة الناس مسألة الخصاء الأولى وعقدة الذنب المرتبطة بجريمة قتل الأب الأولى".¹

هكذا دخل موضوع الطقوس حيز الدراسة وبخاصة الأنثروبولوجية بامتياز.

في أواخر الخمسينيات وبداية الستينيات طور "تيرنر" نظريته المؤثرة للاتصال الطقوسي عام 1967م في سلسلة مقالات طبعت بعنوان: "صيرورة الطقوس" كانت وجهة نظر مؤثرة عن الرموز والتماسك الاجتماعي، حيث رأى "تيرنر" بالنهاية الطقوس كعامل تماسك (رغم أنها ليست كما وكانت غير متغيرة) كما لمح "دوركايم" حيث أنه قدما مادة عظيمة للإثنوغرافي من حيث أنهما عبرا عن القيم المركزية وتوترات المجتمع بشكل مركز، فاتجهت مقارنة "تيرنر" إلى الطقوس بشكل متزايد نحو الرموز، وفي كتاب "بين فترة عتبة الشعوب في طقوس العبور" قدم مفهوم العتبة الشعورية، والتي أصبحت فيما بعد بذرة في الدراسات الأنثروبولوجية للطقوس.²

جمعت أعمال "تيرنر" وجهات نظر غالبا ما كانت متباعدة في الأنثروبولوجيا وهذا ما مميّز مساهمته في معرفة الظاهرة الطقوسية، والنشاط الرمزي، عدا من المواد الإثنوغرافية الاستثنائية في عرضها للتحليل، كما أولى اهتمام بالدور الإصلاحي للطقوس اندرج في الإشكالية الكلاسيكية للأنثروبولوجيا الدينية منذ "دوركايم"، استخدم "تيرنر" فكرة الطائفة بطريقة تظهر معرفته بالبعد السياسي للمنطق الطقوسيين لمعناه الواسع، فهو يعرف الطائفة كحالة اجتماعية تتعارض مع النظام التي تعمل على إقامة العلاقات بين البشر، وتنشأ لديهم عبر إقامة الطقوس وفي سياق تأسيسي نمط مشاركة جماعية لا يخضع لنظام المراتب وليس هناك من إمكانية تعايش مشترك بدونه، إلا أن الخصائص الوظيفية المختلفة للرموز الطقوسية لا تضعف دلالتها التي يجب إيجادها في المعنى الواضح الذي يخصصه الأفراد لكل من الرموز التي يستخدمونها (مظهرها التأويلي) الذي أوضحه "تيرنر" باستفاضة وفي الوقت نفسه في قيمتها الوضعية أي في العلاقات التي تقيمها الرموز فيما بينها والتي تشهد على التماسك الداخلي للفكر الرمزي.³

كانت "ميري دوغلاس" (1921م) أحد أعقاب الإرث الوظيفي البنائي الأفريقي والتي أحطت بالأنثروبولوجيا الاجتماعية دفعة محددة نحو دراسة الرموز في سياقها الاجتماعي، درست "دوغلاس" والتي كانت طالبة "إيفانز بريجارد"، ليل الكاساي الكونغو البلجيكية أواخر الخمسينيات من القرن الماضي، جلبها

¹ طوالي، نور الدين (1988م)، الدين، الطقوس والتغيرات في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، ص. 112.

² إيركسون، توماس هايلاند ونيلسون، فين سيفرت (2013م)، تاريخ النظرية الأنثروبولوجية، العراق، منشورات الاختلاف، منشورات ضفاف، دار أوما، ترجمة (لاهاي، عبد الحسين)، ص. 148، 149.

³ بونت، بيار وإيزار، ميشال، مرجع سابق، ص 418.

هذا في اتصال قريب مع الأنثروبولوجيا البلجيكية، وأصبحت بالنهاية أكثر تأثراً "بدوركايم"، بدلا من "رادكليف براون"، وكانت دراستها النظرية المقارنة للحدود والتصنيف الرمزي الموسومة بـ "النقاوة والخطر" 1966م، حيث ربطت فيه بين التحليلات الوظيفية البنائية والتحليل النفسي والتحليلات الرمزية رفيعة المستوى، حتى صار كتاب "النقاوة والخطر" ناجحا بدرجة كبيرة، حيث ربطت "ميري" بثبات الرموز بالمؤسسات الاجتماعية على الطريقة الدوركايمية، وفي نظرها الرموز وسائل للتصنيف الاجتماعي التي تميز بين الفئات المتنوعة للموضوعات أو الأشخاص أو الأفعال وتحافظ عليهم منفصلين¹.

تظهر الأعمال العديدة المقارنة لدوغلاس شيئا من الاستمرارية والقطيعة في أن واحد مع تعاليم المدرسة البريطانية للأنثروبولوجيا، وقد ترجم العمل الأول منها، وهو الأشهر إلى الفرنسية بعنوان "عن الدنس" 1971م، فلم تعد النظر بالأسبقية الوجودية والتفسيرية المنسوبة إلى النظام الاجتماعي بالنسبة إلى النشاط الرمزي، و«لك وفاء لتعاليم "دوركايم"، إلا أنها رفضت ابتدائية الوظائف الاجتماعية»².

كان "فان جنيب" أول من قدم مساهمة جادة في دراسة التكوين الفعلي للطقوس وما أسماه "بطقوس العبور"، وذلك بهدف إظهار الأوليات التي تتوالى حسب منطق فاعل علميا بغض النظر عن محتوياتها التعبيرية الاجتماعية أو الرمزية، فطقوس العبور تستخدم لفصل أشخاص أو جماعات عن وضع معين لإلحاقهم بوضع آخر، فكل إنسان يمر حسب نظريته بمراحل عدة خلال حياته، وتتوأكب هذه التحولات بطقوس مختلفة طبقا لكل مجتمع، فالولادة هي المناسبة الأولى لطقوس العبور، كما يمكن للطفولة أن تنقسم إلى مراحل عدة، ولكن العبور إلى سن النضج هو الذي يتوافق مع طقوس المسارة، والزواج هو جزء من هذه الطقوس، كما أن المرأة تكون أما مستقبلية أثناء الحمل، وتكون بالفعل عند الولادة، وهناك الطقوس الخاصة بالأب وإن كانت قليلة، وآخر الطقوس طقوس الموت، والتي تمنح الميّت صفات جديدة تتيح أو لا تتيح إقامة علاقات مستقبلية مع الأحياء، في حين هناك طقوس عبور خاصة يتولى المناصب المهنية والدينية والسياسية، والتي تمثل كل هذه الطقوس مرحلة انفصالية يخرج الفرد من حالته السابقة إلى وضع جديد³.

تتنوع المشاهد اليومية المشحونة بالطقوس والرموز، فالأفراد عالقين في مجموعة لا متناهية من الطقوس الرمزية، ففي خضم التفاعل الإنساني تنبثق مجموعة كبيرة منها، لتطبع تصوراتهم نحو العالم، وللطقوس قوة قاهرة على ذوات الأفراد، حيث يصحب العملية الطقسية ثلاث عمليات هامة، فمن المميزات

¹ إيركسون، توماس هايلاند ونيلسون، فين سيفرت، مرجع سابق، ص. 149، 150.

² بونت، بيار وإيزار، ميشال، مرجع سابق، ص. 479.

³ بونت، بيار وإيزار، ميشال، مرجع سابق، ص. 632، 634.

الخاصة التي تعطي للطقس فرادته أنه يتم وفق مميزات يمكن تحديدها في ثلاثة: أولها التقعيد، بحيث يخضع الطقس لقواعد منتظمة متعارف عليها لدى أفراد الجماعة، أما ثانيها: هي ميزة التكرار، إذ يعاد إنجاز الطقس في مناسبات تتتالي في أوقات مضبوطة من حياة الجماعة، وحسب توزيعة زمنية مضبوطة، أما ثالثها فهي ميزة الشحنة الرمزية والتي تتخذها، الأمر الذي يعطي الممارسات دفقتها وفعاليتها الرمزية الخاصة¹.

إذن تعددت النظرة إلى الطقوس ووظائفها، حيث أن لها دور في حياة الأفراد، وهي التي تضيفي بهم إلى ممارسة الطقس بدون وعي منهم من أجل تحقيق غاية اجتماعية ما، وبذلك يتضح جانبين للطقوس، الجانب الظاهر منها، والجانب الكامن، كما أشار له "روبار ميرتون" في معرض حديثه عن الوظائف الظاهرة، والوظائف الكامنة، حيث أن الظاهرة منها تنم عن الإدراك الواعي للغايات المستهدفة للفاعلين، إثر تفاعلهم في النشاط الاجتماعي، أما الكامنة فهي التي تستتر في أفعالهم دون وعي أو قصد منهم، وهذا ما قد يحيلنا إلى البحث عن الوظائف الكامنة في الطقوس، كونها الجانب الأعمق في ممارسات الأفراد، والجانب الأكثر تعقيدا وإثارة².

وقد أجمع الكثيرون وفق مقاربات متعددة على أن للطقوس وظائف نفسية وأخرى اجتماعية: فالنفسية أنها تؤثر الطوق في الأفراد من خلال خاصية الضبط والتحكم، وذلك من أجل تهدئة اضطراباته وانفعالاته، حيث أمد "كازنوف" على أن الطقوس بمختلف بدائلها المسارية أو السحرية أو التطهيرية، فهي ذات اتجاه واحد في كل وظائفها، بحيث لها الهدف نفسه وهو إعادة التوازن الداخلي للإنسان، الذي يمزقه اتصاله مع تقلبات العالم الخارجي، في حين أن "مالينوفيسكي" يرى أن وظيفة الطقوس تكمن في أنها تطمئن الأفراد وتمنحهم الشجاعة لمواجهة الصعوبات والأخطار³.

أما وظيفتها الاجتماعية وهي تكمن في الاتصال، وهذا ما أشار له العديد من الباحثين أمثال C.rivière, Durtheim, M.segalen حيث بواسطة وظيفة الاتصال يتصل الأفراد ببعضهم البعض، وتنشأ بينهم علاقات متداخلة، وبهذا فالطقوس تعمل على تقوية هذه العلاقات الاجتماعية وتنويعها لتكون الطقوس عنصرا من العناصر المؤدية إلى الرباط الاجتماعي، وأضاف T.Victor في معرض دراسته للطقوس في المناطق الإفريقية بقوله: "إن الطقوس تعتبر مفتاحا، فمن خلاله نفهم جوهر أو بنية المجتمعات"⁴.

¹ المحواشي، منصف، مرجع سابق، ص. 20.

² المحواشي، منصف، المرجع السابق، ص. 23.

³ لغرس، سوهيلة، مرجع سابق، ص. 4، 5.

⁴ لغرس، سوهيلة، المرجع السابق، ص. 5.

وعليه فإن الطقوس لها إمكانية التحكم في الأفراد وسلوكياتهم وضبطها وتنظيمها وفق نسق رمزي معين، كما أن للطقوس القدرة على تضيي هالة من المشاعر الجياشة اتجاه موضوع معين لتشحن الأفراد بها تجعلهم ينتمون إلى مجموعة اجتماعية محددة تجمع بينهم وحدة الأفكار والتصورات، والممارسات، كما تضيي بنا دراسة الطقوس إلى فهم الجانب الآخر من الشخصية الفردية والجماعية، لذلك الجانب المستتر وراء جملة الطقوس الممارسة في حدث معين.

ترتبي الطقوس عبي حدود كفتي المقدس والمدنس، لتنشأ طقوس دينية، والتي هي مجموع القواعد والممنوعات التي يتخذها الإنسان والجماعات في تعاملها وتصرفها مع ما تعده مقدسا، حيث تترجمها في جملة من القواعد والضوابط تتقيد بها أفعالها وممارساتها، لتولد هالة من الجيشان وهي حالة ذهنية خاصة، أو الفوران، تتصاحب باتقاد المشاعر الجماعية وهيجانها، فالطقوس حسب "فروم إريك": ما هي غلا تعبير رمزي عن أفكار ومشاعر يتحقق بواسطتها الفعل¹.

إذن للطقوس وظيفة التجيش للذهن الجمعي، وتعبئة بها تقوى الجماعات وعيها الجمعي، كما تدعم انتماء الأفراد إلى النظام الأخلاقي القائم، وبذلك تبلغ الطقوس إلى قيمتها الكلية، وهي الشحن والتجيش التي تلازم الأنشطة الجماعية، وخاصة منها الاحتفالية والدينية، فكيف يتولد الشعور بالحماسة والغلبين المصاحب للممارسة الطقوسية؟ عندما ينخرط الأفراد في ممارسات احتفالية دينية أو غير ذلك فإن الروح الجماعية تتقد، ويعاد تنشيط الضمير والحس الجمعي، فينتقل الأفراد من كونهم أفراد منفردين إلى أفراد جماعيين، وهذا ما أكده "دوركايم" في كتابه "الأشكال الأولى للحياة الدينية" 1912م بقوله: "يتشكل لدى الأفراد من خلال حضورهم الجماعي ضرب من الشعور الجمعي الجياش لا يدركونه وهم في حالتهم الفردية² وفي علاقة الرمزي بالطقوسي فإن آلية التكرار والتعقيد، والتي تحقق النجاعة الرمزية للطقوسي، لأنه يحدث فعلا تغييرا رمزيا على الأشياء والأشخاص، حيث ترى "ماري دوغلاس" أن الإنسان كائن طقوسي بامتياز والطقس يوجد ما يؤكد مارسيل موسى ودوغلاس_ حيثما ينتج المعنى³.

بهذا الشكل تصبح حياة الإنسان مشحونة بمجموعة من الطقوس، حتى أصبح الإنسان كائنا طقوسيا، فأينما وجد الطقوسي وجد الرمز والمعنى، فنحن عالقون في شبكة من الرموز تغذيها جملة الطقوس الحياتية التي يتفاعل الأفراد فيها، ويتواصلون من خلالها بمختلف الأشكال الاتصالية، من هذا المنطق يمكننا أن نستفيض في معرض حديثنا عن الطقوس والرمز و في أهم فضاء اجتماعي يجمع بين

¹ المحواشي، منتصف، مرجع سابق، ص. 23، 24.

² المحواشي، منتصف، المرجع السابق، ص 27، 28.

³ المحواشي، منتصف، المرجع السابق، ص 30.

المقدس الديني والممارسة والطقوس، والرموز، والذي هو الحمام الفضاء الذي يتعايش فيه الجسد آخذا أدوارا ومكانات متباينة، فمن القدس إلى المندس، ومن الجسد البيولوجي إلى الجسد الاجتماعي، ومن الطقوسي إلى الممارساتي والأشكال التعبيرية الأخرى.

وعليه وفي هذه الأوراق التالية سوف نعالج موضوع الحمام من باب الاستشفاء بمياهه المعدنية في الثقافة الإنسانية، فتختلف التفسيرات والتصورات نحو المياه الاستشفائية، وتكتنفها جملة من الطقوس والأشكال الرمزية المتعددة. وقد نلج من خلال الحديث على الطقوس إلى طرح الدلالات الرمزية التي تعترى الماء كعنصر حيوي وطقوسي في حياة الأفراد.

ثانيا: في رمزية الحمّام

إن رمزية الحمّام تبدأ من رمزية الماء في حد ذاته فقد احتل عنصر الماء مكانة كبيرة في الحياة البشرية فهو عنصر الحياة والبقاء والاستمرارية. وعلاقته مع الإنسان علاقة أزلية تضرب بجذورها إلى النشأة الأولى أن خلق الله الكون. وكل الموجودات فيه من الماء لقوله تعالى: [وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا]¹. فمنه أصل الموجودات وهو السر الذي جعل الأمم والحضارات تهتم بالماء وتقدسه أيما تقديس، لأنه الضمان لبقائها واستمرارها. ووعيا بأهمية الماء فقد قامت هذه الحضارات على ضفاف الوديان والأنهار² كان الماء رمز تجلي الله ورمز رحمته فكثيرا ما يسمى المطر رحمة الله، ورمز الحياة فكانت لها في الجزيرة العربية قديما وظيفة السقاية-تموين الحجاج بالماء -منوطة بارستقراطية مكة. وبما أن الماء مخصب ومنظف وظهور، اعتبر لهذا رمز تبرعم النباتات وخصبها³.

لقوله تعالى: [وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (9) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ (10) رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ (11)]⁴ و تكررت هذه الفكرة في ثلاثين آية.

يعد إذن الماء عنصرا حيويا يحقق التوازن الكوني في جانب دوره البيولوجي و الجيولوجي في الحياة، فإن له أيضا دورا اجتماعيا و أنثروبولوجيا كبيرا، فهو عصب الحياة و مصدر نشأة المجتمعات و الهام

1 سورة الأنبياء، الآية 30.

2 قيطون، أحمد (2012)، "حضور الماء في الشعر الجزائري المعاصر"، مجلة مقاليد، العدد الثالث، ديسمبر، جامعة ورقلة، (ص.151-139)، ص. 141.

3 شبل، مالك (2000)، معجم الرموز الإسلامية، شعائر - تصوف - حضارة، الهاشم أنطوان (نقله للعربية)، دار الجيل، ص. 285.

4 سورة ق، الآيات 9، 10، 11.

معتقداتها و لذلك فأغلبية التجمعات البشرية أمام أول نقطة للمياه، حول الآبار و الينابيع لأجل تحقيق حاجاتها اليومية لذلك فهو رهان على الدوام و مصدر صراع اقتصادي و سياسي و ثقافي¹.

كان الماء منذ القدم مصدر إلهام لأساطير كثيرة، حيث جعل أصل كل شيء، ففي أساطير مصر القديمة مثلا، فقد كان أقدم ما تخيله المصريون في أصل العالم المعمور، أنه عالم واسع من الماء طفت عليه بيضة عظيمة خرج منها رب الشمس وأنجب أربعة أبناء...، وغيرها من الأساطير التي قدست البحر منها إله البحر يوسدون، وهو الذي يستمد منه النصر في صراعات البحر، و تقدم له الأضاحي، و أصبح بعدها إله العيون و الآبار كما ارتبط بالحواريات اللاتي يسكن العيون و الآبار. فهو في المخيال الشعبي يرتبط (الماء) بتمثلات الآلهة، و بقصص و أساطير الخلق و البداية، و بتمثلات الجسد و الخصوصية، و الجمال لذلك فإن له رمزية كبيرة في صناعة الذات الاجتماعية و المعتقدات الدينية فهو مادة ضرورية لأجل التخلص من النجس إما لإقامة شعائر العبادة أو الزينة فهو يرتبط ارتباطا وثيقا بطقوس التطهير و ممارسة الاغتسال و الاستحمام². إن استعمال الماء كغاية وكطقوس جنائزية جعل الدين الإسلامي يعطي من خلالها للماء رمزية تدخل الجسم في تجربة يومية مادية، وبذلك الماء له قيمة جوهرية وعظيمة³.

يعد الماء من بين وسائل الطهارة الثلاث وذلك حسب التقاليد الإسلامية (النار، الماء، التيمم). بما أن النار تشكل خطرا على الإنسان، في حين يأخذ بالتيمم في حال انعدام الماء ليبقى الماء سيد وسائل الطهارة، والذي يمثل الحياة والثروة والنماء، بل إنه يسبب متعة تتفق وإعادة الفعالية للحياة ولذلك فإن الماء عنصر أساسي في طقوس الحمام، أي الاغتسال والتطهر والوضوء يكون بالماء⁴. فالخيال المادي يجد في الماء المادة النقية بامتياز، فالماء إذا يقدم نفسه رمزا طبيعيا للنقاوة. والماء الصافي إغراء مستمر لرمزية طهر سهلة، وذلك حسب "غاستون باشلار" الذي استطاع أن يولج بشاعريته في أعماق الماء كمادة طبيعية ويكتشف أسرارها وتحولاته.

ويخلص في الأخير إلى إعطاء جملة من التصنيفات للماء، فبين المياه الرقراقة الصافية والمياه الربيعة والجارية والعاشقة، والمياه العميقة والراكدة والميتة (الثقيلة)، والمياه المركبة والمياه الأمومية والأنوثية، والعذبة والعنيفة⁵. إذن فإن الماء يتمتع بمكانة عالية ودلالة عميقة في حياة الأفراد، ولا يمكن الاستغناء عنه

¹ بن عبد الله، زهية (2015)، مرجع سابق، ص. 88.

² بن عبد الله، زهية (2015)، مرجع سابق، ص. 88.

³Taraki, Z. B. (1994), *Les Lieux Du Corps En Islam*, Préface de Jacques Berque, Paris, Edition Publieur, p.67.

⁴ بوحدية، عبد الوهاب، مرجع سابق، ص. 237.

⁵ باشلار، غاستون (2007)، *الماء والأحلام*، علي نجيب، إبراهيم (ترجمة)، المنظمة العربية للترجمة والنشر، ط1، ص.5.

فهو يعد الحياة وبه يتوق الفرد إلى عيش الغد وبه يحقق توافقه الروحي والجسدي فهو كما يصفه البعض أَرخص موجود واعز مفقود.

هذه أنواع الأمواه التي حاول "باشلار" تقديمها من خلال سفره حالما بشاعريته في أعماق الماء وأساراه ليجعل من الماء ذلك الكائن المتكلم الذي يبعث النعم بصدق في المناظر الخرساء والذي يعلم العصفير والبشر الكلام والغناء إذ يقول: «هكذا سيبدو لنا الماء مثل كائن له جسد، وروح وصوت وقد يكون للماء أكثر من أي عنصر آخر، واقع شعري كامل، ويمكن أن يتضمن وحدة ما شعرية الماء على الرغم من تنوع مشاهدته إذ يجب أن يوحي الماء إلى المشاعر بواجب جديد»¹.

1- الحَمَام بين المقدس والمدنس

إن الحمام يعد فضاء لممارسة طقوس الطهارة من النجس، ووضع نهاية له والاستعداد إلى ممارسة الطقوس الدينية كالصلاة. وبذلك فإنه مكان يجتمع فيه المقدس بالدنيوي، ليكون حلقة وصل بين الطهارة والنجاسة.

إن مفهوم المقدس يحيط به بعض الغموض حيث يرى فيه "ر.أوتو" مزيجا مما يرهب ويرعب ويسحر، أما عند "ج.كازينوف" فهو يتجاوز العادي مدخلا بذلك الدنس والنجس في ميدان القداسة. والذي يتطابق مفهومه مع ماهر معزول أو مبعد، من هنا حددت "ماري دوغلاس" مفهوم الدنس ووظيفته حيث يحسبها هو خليط من ظواهر تنتهي إلى فئات مختلفة حيث أن النجس والتلوث والحرام تصدر عن الطريقة التي نصنف على أساسها الظواهر².

يعتبر "ماركيوس" أن البحث في المقدس هو في ذاته إبطال لمفعول قدسيته، فهو شكل من أشكال المحرم وبالتالي فإن المقدس هو ما لا يمكن إخضاعه لمنطق اللغة والبحث، حيث هو ما يفارق ويتعالى عن المجال الدنيوي³.

لقد أرسى "دوركايم" تعريف المقدس من فكرة محاولة إبطال مفعوله وحلول ما يعارضه ويغاير طبيعته. حيث يحدد "دوركايم" قدسية المقدس بما يعارضها عن مجال المدنس، إذ أن المقدس لا يلتقي بالمدنس ويلازمه إلا لينتقي أحدهما ويظل الآخر قائما وبذلك يتشكل كل طرف بوصفه نظاما خالصا ومتعارضاً وموازيا للطرف الآخر، حيث أن كل من المقدس والمدنس يحيل على ما هو طاهر ونجس⁴.

¹ باشلار، غاستور، المرجع السابق، ص.33، 34.

² تولرا، فليب لابورت، فرنبيه، جان بيار، مرجع سابق، ص.169، 170.

³ الزاهي، نور الدين (2005)، المقدس الإسلامي، الدار البيضاء، المغرب، دار تبقال، ط1، ص.17.

⁴ الزاهي، نور الدين (2011)، المقدس والمجتمع، الدار البيضاء المغرب، إفريقيا الشرق، ص.32، 33.

فكلمتا طاهر ونجس قد لا تدلا على تعارض خلقي في الأصل بل على قطبية دينية بحيث تمارسان في عالم المقدس دورا شبيهه بذلك الذي يمارسه مفهوم الخير والشر في المجال الدنيوي. قد أثبت "روبرتون سميث" في معرض دراسته للديانات السامية وجود شيئا من التطابق البدائي بين الطاهر و النجس، في حين "ماري جوزيف لاغرانج" أكد بخلافه عن استقلالية كل منهما استقلالا مطلقا.¹

إن إشكالية المقدس والمدنس قد تتمايز باختلاف المجتمعات وثقافتها، ونظرتها لكل منهما اعتبارا على هذا فإن المجتمعات العربية بثقافتها الإسلامية قد تضع ضوابط ومعايير خاصة ومغايرة لكل ما هو مقدس ودنيوي. فعلى اعتبار أن الدين موجه نحو الولاية أو القداسة بما هي طهارة.

وبناء عليه فإن "ج. شلهود" يعتبر أن الإسلام قد عقلن المقدس ومحوره حول الله، الأمر الذي أفضى إلى أن القداسة أو الولاية مفارقا ومعزولا عن باقي العالم في حين يبقى المقدس كطاقة غامضة مغنطيسية تمارس جاذبيتها التي وجهها الإسلام نحو الله وحده.²

يتطلب فعل الطهارة من النجاسة ممارسة طقوسية داخل فضاء خاص بذلك والذي يتمثل في الحَمَام وبوجود عامل مهم لإتمام العملية وهو الماء.

يمثل الحَمَام حلقة وصل بين الطهارة والنجاسة كما أنه وسيط ضروري بين المتعة المسببة للجنابة، واستعادة تلك الطهارة لإتمام الفروض الدينية فهو يشتمل على ممارسات إعادة تأهيل الروح وتهذبة الحدة النفسية والبدنية التي يسببها الفعل الجنسي. ففي الكثير من البلاد العربية يعد الذهاب إلى الحَمَام يعني الممارسة الجنسية فهو يرتبط بإزالة الجنابة الناجمة عن الجماع من جهة، والتهيئة من جهة أخرى إلى ممارسة أخرى ليكون الحمام مقدمة وخاتمة في نفس الوقت لأعمال البدن واستعدادا للصلاة.³ ففي الحمام تتبع خطوات خاصة فهو مكان للاغتسال من الحدث والتخلص من الجنابة ولذا على الإنسان دخوله بالرجل اليسرى وخروجه باليمنى وتلاوة أدعية خاصة بذلك، كما تحرم في الحمام تلاوة القرآن كما على المرء ألا يبادر بالسلام ويكتفي بإبداء التحية بتعبيرات دنيوية. كون أن الحمام تسكنه الشياطين ومن جهة أخرى هو فضاء للطهارة عقبها الذهاب إلى المسجد وأداء الواجبات الدينية، فحياة المسلم اليومية تنطوي على التعاقب إذ يفضي القدسي إلى الجنسي والجنسي إلى القدسي ويبرز الحب والإيمان بذلك كقطبين في الوجود اليومي وعلى

¹ كايوا، روجي (2010)، *الإنسان والمقدس*، بيروت لبنان، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، ص. 54، 55.

² الزاهي، نور الدين (2011)، مرجع سابق، ص. 48، 49.

³ بوحدية، عبد الوهاب، مرجع سابق، ص. 238.

المرء أن يتقن العبور فيما بينهما بالسرعة الممكنة، و بذلك هو دور الحمام بالتأكيد.¹ فالمقدس إذن يستلزم ممارسة نظافة الجسد المقننة التي تتطلب اللجوء إلى الماء لأداء فعل التطهر.²

2- الحمّام كفضاء للجسد البيولوجي والاجتماعي والممارسة الطقوسية

أ- الحمّام بين المناسبات والشعائر الدينية

تطرقنا في العنصر السابق إلى علاقة الحمام بالمقدس والدنس ووجدنا أن كل من الطهارة والنجس مفهومان جوهريين، يتصل بهما الحمّام اتصالاً وثيقاً حيث يجتمع الفاعلين في هذا الفضاء الذي يعمل على إلغاء أو إعطاء إشارة البدء لكل منهما.

وعلاقة الحمّام بالإنسان تكمن في علاقته بجسده بالدرجة الأولى أي أن ممارسة فعل الطهارة متعلق بالجسد ومن ثمة فإن النجس يصيب الجسم أولاً. وفي الحمّام تلغي كل من الطهارة والنجاسة إحداها الأخرى. في حضور الماء والذي يعد مهماً في الطهارة الجسدية. كما يعتبره مالك شبل أنه بركة ورحمة كما أنه مطهر ومخصب وبواسطته يتحول الكون ويرتكز الدين الإسلامي عليه، بما في ذلك يرتبط بالممارسات السحرية والتعزيمية.³ إذ يرتبط الماء بالاغتسالات الشعائرية وطقوس الطهارة والتطهر في معظم الديانات حيث لا تزال الشعائر اليهودية، والإسلامية تفرض ضروباً من الطهارة، فكان على عظيم الأخيار مثلاً أن يغتسل ليوهب نفسه ليوم الكفارة.⁴

إن علاقة الجسد بالمكان (الحمام) واحتلال مكان فيه يستلزم ممارسات جسدية يتم فصل خلالها الجسد حسب تواتر ساعي، واستعماله من أجل الطهارة الدينية «الوضوء الأكبر» يبرر دوره وأهميته كبناء إسلامي خاص⁵ لا يقتصر فعل الطهارة على جنس من الجنسين وإنما لكل من الرجل والمرأة نصيب في إحلال حيز معين في الحمام وممارسة طقوس الاستحمام المختلفة، وباستعمال أدوات استحمام عديدة ولقد خص الفقه الإسلامي شروط وآداب دخول الحمام للرجل والمرأة على حد سواء.

¹ بوحديبة، عبد الوهاب، المرجع السابق، ص. 237، 238.

² Taraki, Z. B., *op.cit*, p. 68.

³ Chebel, M., *op.cit*, p.59.

⁴ السحيري، بن حنيرة، صوفية (2008)، *الجسد و المجتمع: دراسة أنثروبولوجية لبعض الاعتقادات والتصورات حول الجسد*، تونس، دار علي محمد للنشر، ص. 195.

⁵ Taraki, Z. B., *op.cit*, p. 64.

فأولهما: أن يحافظ على الستر بدء دخول الحمام، فلا يدخل إلا بمئزر سابع مانع لظهور البشرة¹ إذ روي أبو بكر البرزاز في مسنده من حديث طاووس عن ابن عباس رضوان الله عليهم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إحذروا بيتا يقال له الحمام، قالوا يا رسول الله إنه ينقي الوسخ؟ قال فاستتروا"²

وثانيا: أن يدخلها بنية التطهير وتنظيف رأسه وجسده من القذر والوسخ والدرن دون التنعم والترفيه.

ثالثا: أن يدخله وقت خلوة أو يتكلف إخلاؤه.

رابعا: أن يعطي أجره قبل دخوله لأن فيه استبانة ما عند الحامي من الرضي أولا والسلامة من التنازع في قدرها آخرا.

خامسا: أن لا يدخلها وهو صائم فإنه مكروه لإضعافه البصر.

سادسا: أن يتوخى دخوله قبيل الغروب لأنه وقت انتشار الشياطين.

وسابعا: أن لا يدخله مع مبتلى كمجدوم وأبرص، لأن في الحمام تنتشر رائحة المرضى .

وثامنا : أن يسمي الله عند الدخول ثم يتعوذ للإتباع، بقوله "بسم الله الرحمان الرحيم " اللهم إني أعوذ بك من الرجس والنجس، الخبيث المخبث، الشيطان الرجيم".

أما تاسعا : أن يقدم رجله اليسرى دخولا واليمنى خروجا كما آداب بيت الخلاء، لأنه قصر ومجمع الشياطين .

وعاشرا: أن يتذكر بحر جهنم فيستعيد بالله منها.

والحادي عشر: أن يسلم على من فيه على وجه ضعيف لأنه غير مستحب، لأنه محل الشياطين، وموطن لإيراد للعبادة وإذا سلم على لا يرد ويسكت ويقول عافاك الله ولا بأس في المصافحة.

أما الثاني عشر: أن لا يكثر فيه الكلام.

¹ المناوي، عبد الرؤوف (1987)، *النزعة الزهية في أحكام الحمام الشرعية و الطبية*، صالح حمدان، عبد الحميد، (حققه و قدمه)، القاهرة، مصر، الدار المصرية اللبنانية، ط1، ص. 30.

² الحافظ أبي المحاسن، محمد بن علي بن الحسن الحسيني الدمشقي (2007)، *كتاب الإلمام بأدب دخول الحمام*، البدوي، نور الدين بن سكري بن علي (حققه و أخرجه)، الرياض، دار أضواء السلف، ط1، ص. 62.

الثالث عشر: أن لا يدخل البيت الحار حتى يمكث قليلا في الأول لما له من فوائد طبية¹، يتبين من خلال ما عرضناه أن ممارسة الحمام ليس هناك منع صريح لها في الأحاديث النبوية التي قد عالجت موضوع الحمام من غير القرآن.

لكن نجد تحفظا ونقدا للحمام من ناحية السنة، وذلك عند معالجتها لموضوع الوضوء فالنبي ﷺ قد منع على الجميع الذهاب إلى الحمام وبعدها سمح بممارسته وفقا لبعض الشروط²، كما رأينا سالفًا.

فحسب علي ابن طالب في قوله: «الحمام هو أسوء بيت لأنه يضيع علي الحياء». لكن هذا الكلام لا يمنع ممارسة الحمام علي المسلمين بل حتى على النساء لكن يلح فقط على الأخطار التي يتضمنها، فهناك أحاديث كثيرة قد عالجت قضية منع الحمام لم يحسم فيها الأمر بصفة نهائية ومطلقة لكن بقيت ممارسة الحمام قائمة لكن بشروط سواء على الرجل أو المرأة على حد سواء، لكن قد فرض الفقهاء شروطا على المريضات بأمر الطبيب بالنسبة للمرأة الحائض والنفساء بالرغم أن بعض الأحاديث لا تضع تمييزا بين الجنسين لقول الرسول: «اتقوا الله من بيت اسمه الحمام» فقال الصحابة لكننا نتخلص فيه من أوساخنا يا رسول الله، فرد عليهم «إذن من يذهب إلى الحمام يضع سترة على جسده أي كونوا على استحياء». وفي حديث آخر له «إذ فعلتم ذلك فيجب أن تستروا عوراتكم»³. يتضح من كل هذا أن منع الحمام متعلق بالجسد في حد ذاته، فمعالجة الدين للجسد في الحمام قد تفرض اتخاذ بعض المحاذير، لكن أكبر مشكل مطروح يبقى متعلق بالمرأة، والذي يتضمن قضية العورة لأن المرأة كلها عورة سواء على الرجل أو على بنات جنسها.

فمن المنظور الإسلامي الجسد عورة يستلزم حجها عن الآخرين والحشمة والسترة، والحفاظ على الفرج وتحصينه هي قيم مفروضة على النساء والرجال معا.⁴ فستر العورة هو كالطهارة والنية واستقبال القبلة، الذي يعد شرطا من شروط الصلاة في الإسلام، فرض على الذكور والإناث على حد سواء أما الفرق، بين الرجل والمرأة فيكمن في تحديد العورة جسديا، فبينما تحصر العورة بالنسبة للرجل في الجزء الواقع بين السرة وما تحت الركبة من الجسم، فيعتبر جسد المرأة كله عورة ما عدا الوجه والكف والقدم.⁵

لقد قنن الإسلام حياة المؤمن بأكملها، بحيث جاءت النصوص التشريعية بكامل التعاليم، بأداب الصلاة والأكل والصيام، والطريق والملابس والطهارة... والهدف الأساسي من هذه الدقة والشمولية يكمن في

¹ المناوي، عبد الرؤوف، مرجع سابق، ص. 31، 32، 33.

² Benkheira, M. H. (2007/3), « hammam, nudité et ordre moral dans l'islam médiéval (I) », *revue de l'histoire des religions*, France, (p.337-338), p. 333.

³ *Ibid*, p. 337, 338.

⁴ الخوري، فؤاد إسحاق (1997)، *إيديولوجية الجسد رموز الطهارة والنجاسة*، بيروت، ط1، دار الساقى، ص. 24.

⁵ المرجع السابق، ص. 29.

خلق نموذج عام للممارسات السلوكية والخطابية والجسدية، يكون ذا طابع مرجعي يوحد السلوك الجسدي لعامة المسلمين¹. ومن خلال تقنين الإسلام للجسد في مجمل حركاته اليومية والعملية والوظيفية، يقسم فريد الزاهي الجسد إلى ثلاث أنواع:-الجسد اليومي الديني:والذي يمارس الشعائر التعبدية المصحوبة بخطابات مسكوتة، والتي تشكل (الشعائر) إيقاعا جسديا واجتماعيا، ودينيا و قدسيا يتحول بمقتضاه الجسد إلى صورة نمطية تستجيب بشكل منظم للمقدس في علاقته مع الدنيوي .- في حين الجسد اليومي الاجتماعي: فإذا كان الجسد اليومي الديني خاضعا لقيم الصلاة والصيام والبسمة والحوقة..... الخ فإن المعاملات التي تحوله الحياة الاجتماعية إلى مختبر لممارسة قدسية، العلاقات الاجتماعية، حيث يكمل الجسد هنا تلك الشعائر الدينية ويؤديها بحركات معينة للجلوس والأكل ولنظر ودخول الحمام ... الخ ليصبح الجسد الاجتماعي مرجعا للجسد الديني².

أما الجسد الشخصي الثوابي والذي هو ثالث الأنواع حسب "فريد الزاهي" فهو يفقد طابعه الذاتي باندماجه المباشر في سنفونية القدسي التي يضيفها الإسلام على الوجود الاجتماعي، حيث يتعلق الأمر هنا بالعلاقة الجنسية ومقاصدها الثوابية ومحللها ومحرمها، ومكروها وكذا بأوضاع التبول والنظافة وكل ما يتعلق بالجسد في حميميته. إن شعائرية جسد الإنسان المسلم في الإسلام، قد اندمجت في تقنياته الجسدية التي اكتسبها عبر تاريخه وجعلت من صورته الجسدية صورة خصوصية من الناحية الأنثروبولوجية، فالجسد الإسلامي قد اكتسب بهذا الشكل سلوكا وتقنيات جسدية وأوضاعا وحركات جديدة جعلت منه جسدا ثقافيا يستجيب للمحددات الثقافية الجديدة ويختلف عن الجسد في الثقافات الأخرى³

إن الجسد بالمفهوم الحديث يرتبط بصعود الفردية كبنية اجتماعية وانبثاق فكر عقلائي ووضعي وعلماني حول الطبيعة وبتراجع تدريجي في التقاليد الشعبية المحلية⁴. وارتباط الجسد بالحمام يعد وثيقا أين تحكمه اعتبارات عديدة يفرضها المكان نفسه وعلاقته بالجسد، فالحمام هو المكان الأنسب للجسد البيولوجي الذي يخضع لقوانين الطبيعة أيضا هو المكان الممتاز للجسد الاجتماعي الذي تحكمه الثقافة⁵.

¹ الزاهي، فريد(1999)، *الجسد والصورة والمقدس في الإسلام*، بيروت لبنان، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ص.39.

² الزاهي، فريد(1999)، *المرجع السابق*، ص. 40.

³ الزاهي، فريد(1999)، *المرجع السابق*، ص. 40، 41، 42.

⁴ لوبرتون، ديفيد (1997)، *أنثروبولوجيا الجسد والحداثة*، صاصيليا، مجد (ترجمة)، بيروت، مجد المؤسسة، الجامعية للنشر والتوزيع، ط 2، ص.6.

⁵ Carlier,O.(2000), « Les Enjeux Sociaux du corps , le Hammam Maghrébin (19-20 siacle) lieu pérenne ,menacé ou recréé » *in annales, Histoire ,Sciences sociales*,55 année, n°6, Nov-Déc 2000,paris ,Editions de l'Ecole des hautes Etudes en sciences Sociales,(p.1303-1333) ,p. 1306.

وحسب "كارلي" كما تبدأ المرأة في الحمام مثلا بتحضير الجاذبية والطهارة والتدليك، والاعتناء بالشعر وتزيين الأيدي والأقدام بالحناء. كان ارتياد المرأة الحمام في زمن ماضي يعد ظاهرة نادرة تحدث إلا في المناسبات النادرة مثلها كمثل زيارة قبور الأولياء وزيارة العائلة في مناسبات الولادة، الزواج أو الوفاة لكن اليوم لم يعد الحمام حكرا على الرجل في المجتمعات المغربية وأصبح اقتحام المرأة للحمام ضرورة اجتماعية أين يتم فيه تعايش الجسد البيولوجي بما هو اجتماعي وثقافي طقوسي. إذ أن الحمام باعتباره المدنية ذاتها، مثله مثل المسجد والسوق فإن ارتياد الحمام يرتبط بشكل طبيعي، بفن العيش داخل هذه المدنية والذي يحقق المعادلة بين مبدأ المتعة والممارسة الطقوسية¹.

يشكل الحمام فضاء اجتماعيا معقدا حيث أنه مكان خاص يجتمع فيه كبار القوم والأثرياء وعام بالنسبة للناس البسطاء، أين تذوب الفوارق الاجتماعية في ظل التساوي الديني داخله، فهو لا يقل أهمية عن المسجد في هذا الشأن²

تسود المودة رواد الحمام بدرجات متفاوتة، فحسب القول المغربي فإن الرجل العادي يقابل مثيله في الحمام، ليصبح هذا الأخير مكانا لعقد اللقاءات الاجتماعية، مما دفع رجال الفقه أخذه بعين الاعتبار، بغية تنظيم وظائفه ومراقبتها. فقد كان يفتح الحمام للرجال ويحظر دخوله على النساء غير أن الأمر يختلف في الأوقات المخصصة للنساء أين كان لا يسمح للبالغين دخوله إلا أن الصبيان كان مسموح لهم حيث كان النسوة يصحبن أولادهن إلى الحمام، فما كان الرجال يفضلون ذلك، إلى أن ترى المراقبة في الحمام أي أمادة تصدر من الصبي، فتسارع إلى إخبار أمه وتلزمها بعدم اصطحابه في المرة القادمة. فبعد أن كان الأمر غير مستهجننا يصبح إقصاء للغلمان عن النساء³.

حيث تروي "فاطمة المريني" بعض من ذكريات طفولتها داخل الحمام وسمير الطفل الذي لا يتجاوز عمره التاسعة حيث كانت أمه تصطحبه إلى الحمام، حتى جاء اليوم الذي طرد منه حين نظر نظرة رجل، وكانت الحادثة إشارة على نهاية طفولتهما ولم يعد بالإمكان لفاطمة اللعب مع سمير داخل الحمام طيلة الثلاث ساعات، وأصبح من الضروري على سمير أن يذهب إلى حمام الرجال⁴. ويعزز ذلك الكاتب المغربي "أحمد سيرفوري" بدقة متناهية ذكرياته في ذلك العالم الغريب أين وجد بأن الحمام مسألة أكبر بكثير من

¹ كارلي، عمر (2014)، "الرهانات الاجتماعية للجسد، الحمام المغربي (في القرنين التاسع عشر والعشرين) بين الدوام والزوال والإحياء"، داود، محمد (ترجمة)، مجلة إنسانيات، عدد مزدوج 63-64، وهران، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، جانفي- جوان، (ص. 97-142)، ص. 107.

² كارلي، عمر المرجع السابق، ص. 123.

³ بو حديبة، عبد الوهاب، مرجع سابق، ص. 239، 240، 241.

⁴ المريني، فاطمة (د س)، أحلام النساء الحريم حكايات طفولية في الحريم، سترى، ميساء (ترجمة)، مكتبة الإسكندرية، ص. 262، 263.

كونه مكان للاغتسال فهو مكان يجمع ذكريات مختلطة من الحياء والوقاحة والكسل والاسترخاء، فالطفل يولد طفلا فيه ويغادره حين يبلغ الحلم ليعمر بذكريات طفولته، وأوهامه وأحلامه لتحيط بالحمام منطقة كاملة من الحياة الجنسية، من واقع ورفض للواقع من الطفولة والبلوغ، والعبور والمبادرة كل هذه المعاني تبلورت في الحمام¹.

إذن لا يعدو الحمام أن يكون مكانا للاغتسال فقط بل هو أيضا فضاء اجتماعي بامتياز، أين يلتقي فيه أبناء الحي ويتحدثون ويتسامرون، ويستمتعون بالرطوبة التي تتشكل بفعل البخار المتصاعد من الماء الساخن. لقد تحدث في هذا الشأن الكثيرين وعلى سبيل ذلك أمين معلوف في كتابه Léon L'africain حيث أكد على مكانة الحمام الاجتماعية كونه أكثر الأماكن المبهجة والممتعة لعقد اللقاءات بالنسبة لأبناء المدينة. فتجد فيه شبان متمدرسين يتحدثون حول أستاذهم، ويروون نكتهم التي تمر في صمت، ومراهقين يتحدثون على النساء حيث يتهم كل واحد منهما الآخر بتفاخر ممجدا كل مآثره في الحب، أما الكبار فهم أكثر تحفظا في هذا الموضوع لكن يتبادلون النصائح، فيما يخص تحسين آثار أجسادهم وموضوعا آخر، حول منجم الذهب الذي لا ينفذ للمشعوذين، أما باقي الوقت تجدهم يتحدثون حول الدينار وحول أخبار الدين والسياسة.²

أما النساء فقد كن يعنين كثيرا بالذهاب إلى الحمام الذي يعد نزهة حقيقية وترفيهية يقضين فترة ما بعد الظهر إن لم يكن النهار بطوله³ حيث تحكي "فاطمة المرنيسي" عن رحلتها داخل فضاء الحمام من وقت

إعداد المستحضرات التجميلية، من زيوت وحناء وعطور إلى وقت دخول الحمام وحتى خروجه وأخذ قسط من الراحة في قاعة واسعة وهي المرحلة التي تلي مرحلة الخروج من أركان الحمام الضبابية، أين يتم تناول النسوة لعصير البرتقال واللوز، وأحيانا الجوز والتمر وذلك لاستعادة نشاطهم، وأحيانا بعض الشراب المميز يسمى الزريعة أي شراب البذور والذي كان يخص الحمام فقط فلا يوجد خارجه لتغادر النسوة بعد ذلك فآتم حشمة من اللباس والحجاب، ولتكمل طقوس تجميلية أخرى في بيوتهن.⁴ وتضيف "فاطمة المرنيسي" في وصفها للحمام: حيث كان النسوة يذهبن لإزالة الآثار العلاجية فيه، كان مكسوا بالرخام الأبيض ومرايا عدة وسقف مزجج يمر من خلاله النور، حيث أن هذا النور العاجي حسب قولها والبخار الحمامي الضبابي و أولاء النساء والأطفال الذي يجرون في كل اتجاه . كانوا يجعلون من الحمام جزيرة بخارية غرائبية ولو أنه حسب رأيها لم تكن الحجرة الثالثة (الحجرة الساخنة) لكان الحمام جنة.

¹ بوحدية، عبد الوهاب، مرجع سابق، ص. 241، 242.

² Maalouf, A. (1998), *Léon L'africain*, Alger, édition casbah, p. 127,128.

³ بوحدية، عبد الوهاب، مرجع سابق، ص. 235.

⁴ المرنيسي، فاطمة، أحلام النساء الحريم، مرجع سابق، ص. 247، 246، 248.

إذن وكغيرها فالمجتمعات العربية قد تبنت أسلوب التفريق بين الجنسين مما جعلها قريبة من الثقافات المتوسطية اليونانية والرومانية التي كانت تحبس الجنس اللطيف في الحريم، لكن قد تبعد بكثير عن هذه الثقافات وذلك في مسألة الجسد والعري. ففي أي حمام وفي الأغلب يكون خاص بالجنسين وذلك في نفس المبنى ولكن في أوقات مختلفة وعادة ما تكون مخصصة للرجال في آخر المساء.¹ فزمن دخول الحمام حسب "عمر كارلي" كان يخضع لمبدأ الفصل بين الجنسين حيث يخصص وقت الصباح الباكر أو المساء، في حين يكون وقت ما قبل الظهيرة للنساء، حيث أن الرجال يأتون إليه من أجل إصلاح أجسامهم وإعادة لياقتها، وتحضير الطقوس التطهيرية في حين النساء تذهبن إليه لأجل تبادل أطراف الحديث وأحدث الأخبار، بما في ذلك الاعتناء ببشرتهن وتهويتها.² لربما أن الحمام يشغل حيزا هاما في حياة المرأة وذلك مقارنة بالرجل إذا ما نظرنا إلى الوقت المستغرق الذي تقضيه داخل هذا الفضاء ولعل أن حجم الممارسات الطقوسية التطهيرية والتجميلية، عامل مهم في ذلك بالإضافة إلى فرصة تبادل أطراف الحديث وتتبع كل ما هو جديد من أخبار الحي وغيرها.

يضع عبد "الوهاب بوحدية" متخيل لسيدة تقضي يومها في الحمام وضرب مثال سيدة بغدادية في القرن الثالث والرابع عشر، حيث أنها تصل في الصباح الباكر مع كل عددها في صناديق نحاسية تحملها خادمتها تحتوي على أدوات الزينة من قفزات وأمشاط ودهون وطيب ومناشف فضلا عن ذلك الأكل من برتقال وبيض مسلوق وماء الزهر وشراب اللوز أو شراب الليمون.³ وبعد دخول الحمام تخلع ملابسها في السقيفة أو المقصورة ثم تمضي إلى غرفة البخار لقضاء حوالي الساعة تأتي بعدها المدلكة لتدليكها بقفاز من الصوف ذو الوظيفتين (التنظيف، والتدليك معا) ثم ينثر طمي النيل إن وجد على شعرها أو إن تعذر ذلك يستخدم الطين الأرمني ثم يغسل الشعر ويدلك ثم تبدأ العناية بالأرجل بأحجار خاصة. وبعدها توضع الحناء بعناية على الشعر شعرة، شعرة تجنبا لتلوث الجسم، ليصل وقت الظهيرة. ثم تأتي فترة تناول الطعام وتعقبها فترة الثثرة، وتليها مرحلة إزالة الشعر من مختلف أعضاء الجسم بواسطة مرهم أو الزرنينخ الأصفر أو الشمع وأحيانا تكتفي بالسكر المنعقد مع الليمون، وتليها فترة ما بعد الظهيرة للاعتناء بالوجه وتبييض الأسنان بقشر البيض أو مسحوق الكربون، وبعدها تمضغ السيدة قشر الجوز أو الثامول لرائحته الطيبة وطبيعته القابضة للشفاه والذي يضي على اللثة لونا قرمزيا جميلا. ثم ينثر مسحوق الأرز الممزوج ببياض البيض على الوجه، وبعد إزالته يوضع لون قرمزي على الوجه لتزهر الوجنتين ويرجح الحاجبان بالوسمة*، وأخيرا تكحل

¹ Maalouf, A., *op.cit*, p.128.

² Carlier, O., *op.cit*, p.130.

³ بوحدية، عبد الوهاب، مرجع سابق، ص. 235.

العينان بالكحل الأسفهباني وتوضع الحرقوس المعطر في مختلف مناطق الوجه¹. وتليها مرحلة التعطر والتي تدخل في إعدادها عدة أعشاب ونباتات مثل العنب، والزعفران، والبابونج والمسك والكافور وخشب السندل، ونبات الآس. وخاصة تخضع لعملية التقطير كالورود والأزهار (زهر البرتقال والياسمين) وعطر الإبلنج الذي كان معروفا في تلك الفترة حيث كان مفضلا استعماله في الجنائز. ثم ينثر على السيدة بعض العطر وتلبس أنظف الملابس وتزين بأجمل الحلي، وتعود أدراجها إلى الدار في أجمل حلتها ومنهكة القوى، لكن راضية هانئة مهيأة للقيام بأدوار أخرى تستحق ذلك العناء². هذه إذن رحلة سيدة مع الحمام لخصها لنا "عبد الوهاب بوحدية" في مشهد مفعم بالحميمية ومشبع بمختلف الممارسات التطهيرية والتجميلية الخاصة بالجسد والنفس في ذات الوقت. حيث يمثل عند السيدات أكثر من مجرد مكان للتطهر، بل هو فرصة للخروج ومجال للتسلية والترفيه فيغدو كأنه مشهد مسرحي³.

ب- الحمام شاهد على الفرح والحزن

بالإضافة لذلك فهو المكان الأفضل لاختيار أم الزوج كنتها المستقبلية، هذا ما أكدته "فاطمة المرنيسي" في قولها أن: الأم بإمكانها أن ترى الخطيبة وتتحدث إليها كما أن بإمكانها التعرف عليها حميميا في الحمام، أي عن قرب خاصة أن المرأة في المجتمع المغربي لا تجد فضاء أفضل من الحمام لترى المرأة والكشف عن بنيتها وصحتها وبذلك فالحمام لا يمثل فقط مكان للقيام بطقوس الاغتسال والتطهير فحسب لكنه يقوم بأدوار أخرى متنوعة بما أنه مركز اتصال نشط⁴.

وهذا ما تأكده "نعمان قيسوس" في قولها "أنه في الماضي كانت أم الخطيب تأخذ معها كنتها المستقبلية للتفحص جسدها عن كذب وتلاحظ محاسنها وعيوبها التي قد تكون مخفية خصوصا وأنه في ذلك الوقت كانت معايير حسن المرأة تتلخص في ثخانتها وكثرة الشحم واللحم". ولربما هذه العادات والمعتقدات قد أنقضى وولى عهدها ولم تعد موجودة، إلى عند القلة القليلة اليوم⁵. وبذلك يشكل الحمام، دورا هاما في نسج شبكة العلاقات الاجتماعية فهو بمثابة وكالة تزويج حيث يمنح لها فرصة معاينة الفتاة، من كل النواحي خاصة من حيث القوام والجسم والحركة في عفويتها وكل سلوك يصدر منها حتى تحصل على ضالتها فتسأل

¹ بوحدية، عبد الوهاب، المرجع السابق، ص. 236.

*الوسمة هي مسحوق من البخور والغار و الجوز والزرنينج الأصفر أو سلفات النحاس .

² بوحدية، عبد الوهاب، المرجع السابق، ص. 236، 237.

³ بوغيزي، محسن (2010)، السيمولوجيا الاجتماعية، بيروت، لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، ص. 97.

⁴ المرنيسي، فاطمة (2005)، الجنس كهندسة اجتماعية، أزرويل، فاطمة الزهراء (ترجمة)، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، نشر

الفنك، ط4، ص. 130.

⁵ بن زيان، خيرة (2017)، المرأة والفضاءات الاجتماعية الحمام، السوق، الحلاقة، دراسة ميدانية لمدينة حمام بوججر، أطروحة دكتوراه علوم في

علم الاجتماع، جامعة وهران2، ص. 163.

على عنواها ومنزلها منها مباشرة أو من عند الطيابة¹. إذن الحمام يعد فضاء اجتماعي بامتياز حيث تنشط فيه القيم والمعايير الاجتماعية، كالحرمة والعورة والعلاقات الذكورية الأنثوية، ومعايير المنع الاجتماعي، تبعاً للسلطة الأبوية التي تمنح الزوج الصلاحيات كلها.

وفي الحمام يتقاطع الديني والدينيوي فهو فضاء إلتماس بينهما وفضاء الجمع والمزاوجة كما أنه فضاء الالتقاء والمفارقة، وهو باختصار قنطرة بحد تعبير "جورج زيمل" في كتابه (القنطرة والباب)².

يبرز دور المرأة كأم أو زوجة، في المجتمعات العربية والإسلامية الأمر الذي عززه "نور الدين طوالي" في أبحاثه إذ خلص إلى وجود ثغرة في تحقيقاته وذلك راجع إلى استحالة القيام بالاستقصاءات مع النساء، حيث هذه الأخيرة هن اللواتي يحيين الاحتفالات الطقسية المعروفة في المدينة ويحافظن عليها، فلا يمكن الغور في حفل إلا من طرف امرأة جزائرية ولذلك فأهمية الأم، الزوجة في علاقتها مع أفراد أسرتها لتحقيق استقرارها وأمنها، وهذا قد يتنافى مع معطى "فرويد" الذي وجهت له انتقادات عدة حول إبرازه لدور الأب وتجاهله التام لدور المرأة³.

وبما أن الحمام هو فضاء لاختيار شريك الحياة، هو أيضا مكان تستكمل فيه طقوس العبور، حيث أنه من أهم الطقوس عند العروس أو العريس على حد سواء، إذ أنه يوفر كل من الراحة الجسدية والنفسية للانتقال من مرحلة العزوبية والدخول إلى الحياة الزوجية. فتتبع هذا الطقس عدة مستلزمات منها الفوطة، والطاسة، والدلو، والصابون التقليدي وزيت طبيعية و عطور، حناء سواك وغيرها فضلا على الألبسة الفاخرة والمجوهرات لمثل هذه المناسبة.

فمن مراسم حمام العروس أن يؤتى بالفتاة العروس قبل وبعد دخلتها إلى الحمام مصحوبة بقرياناتها من النساء في جو تملؤه الفرحة والبهجة، يحملن في أيديهن أدواتهن من أجل الاستحمام ومن جهة أخرى توزع الحلويات على باقي المستحتمات، حيث تؤكد "إلهان أكسيت" على أهمية هذه الطقوس قائلة: "ولما كان حمام الزواج يسبق حفلة العرس، فهو يكتسي أهمية كبيرة في حياة العروس، فكل الصديقات والقريبات والعائلات كانت تدعى لهذه المناسبة السعيدة، التي تكلف بتنظيمها "الماشطة" أي القائمة على الحفل ... هذه الماشطة كانت في العهد العثماني تحمل عكازا فضيا وخاتما ملكيا، تستخدمه في وضع علامة على جميع الهدايا المقدمة، بما في ذلك أدوات الحمام⁴. وعلى غرار ذلك فإن الطقوس الخاصة بالعرس الحمصي الدمشقي،

¹ بن عبد الله، زهية (2015)، الجسد والجنس، ص. 90.

² بوغزيري، محسن، مرجع سابق، ص. 98.

³ بن زيان، خيرة، مرجع سابق، ص. 164.

⁴ بن عبد الله زهية (2015)، الجسد والجنس: الحدائق ورومانات الزينة والتزيين، مرجع سابق، ص. 99.

يعد حمام العروس من التقاليد التراثية المرتبطة بالعرس، فيؤتى بالعرّوس من طرف قريباتها وصديقاتها، في الساعات الأولى من العرس وتقوم مالكة الحمام بإخلائه لهن، وتعلق الورود والمناديل الملونة فرحاً بهن، ثم تبدأ عاملة بالحمام تدعى «الأيمة» بتجهيز العروس بدءاً بنقع رأسها بالتراب الحلبية. "البيلونة" وتمشط شعرها بالصابون (الطرابلسي) وتطيبه بماء البليون وترجله بالمشط العظمي وتتعالى الزغاريد والأغاني والمواويل الخاصة بذلك وبالمقابل كانت تقام مراسم احتفالية مماثلة للعريس في الحمام والتي تدعى (التلبيسة) فيأتي أقارب العريس وأصدقائه المقربين مع العريس في وقت مخصص للرجال ليغتسلوا بين المزاح والتعليق والمداعبة ويقضون سهرتهم مرددين الأهازيج والأغاني الشعبية.¹

وحسب عادات الحمام في المجتمع التلمساني كما جاء في أعمال الباحثة "بن عبد الله زهية" أنه يأخذ ثلاث أشكال لأبد من ممارستها بالنسبة إلى الفتاة المقبلة على الزواج. أي حمام يخص قبل ليلة الدخلة وحمام يوم الدخلة وآخر بعدها، وهي تسمى على التوالي: حمام التشليلة، وحمام التدويشة، وحمام الخمستاش وهي كلها مراحل تهدف إلى تزيين الفتاة العروس والعناية ببشرتها ومظهرها لتكون في أكمل زينتها وجمالها لزوجها.²

هكذا إذن يكون الحمام مكان خصب بالممارسات الطقوسية المرتبطة بتقاليد المجتمع، وثقافته ليدخل في مختلف المناسبات الاجتماعية السارة منها وحتى الجنائزية، كما يكون نهاية للأحزان حيث تذهب المرأة إلى الحمام عند انتهاء فترة حدادها لتغسل جسداً وروحاً إذ تنتقل المرأة من فترة الحزن والعزلة، إلى الحياة العادية وتختلف فترة الحداد حسب مكانة المرأة بالنسبة للمفقود، أي إذا كانت الزوجة فهي ملزمة شرعاً أن تقضي عدتها وهكذا إذا كانت أخت أو ابنة وغيرها، فقد تختلف طقوس الحزن من واحدة إلى أخرى بينما هو معروف أن فترة الحداد تبلغ الأربعين. فدخول المرأة للحمام يعني أن حزنها قد أنقضى لتنتقل من فترة الحزن إلى الحالة العادية، فبعد خروجها من الحمام ترتدي المرأة ملابس جديدة فنزع الأثواب له دلالة رمزية وهو يرمي إلى نزع الحزن لتكون انطلاقة جديدة وذلك في الحمام وبعد الخروج منه.³

تقول الباحثة "خيرة بن زيان" "بينما أنا جالسة في قاعة الانتظار داخل الحمام أرصد سلوكيات وحركات النسوة داخل الحمام، فإذا بصوت زغاريد تتعالى في المكان فتبادر إلى ذهني في البداية إعلان وصول عروس فإذا بامرأتين واحدة منهما تحمل رضيع حديث الولادة والأخرى تحمل حلويات" وبعد أن سألت الحارزة عن هذه الممارسة الطقوسية، ردت عليها قائلة "أن هذه العادة ما تزال مترسخة لدى النساء وتتكرر دائماً

¹ الأحمد عواد، خالد (2011)، *عادات ومعتقدات في محافظة حمص*، دمشق، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، ص. 16.

17.

² بن عبد الله زهية (2015)، *الجسد والجنود*، مرجع سابق، ص. 99، 100.

³ بن زيان، خيرة (2017)، مرجع سابق، ص. 178.

بدخول مولود جديد إلى الحمام لأول مرة بعد تحضير الأم أو الجدة بعضا من المعجنات (مسمن) وتحضير الحلوى لتوزيعها على المستحقات وذلك حسب قدرتها¹. وإذا ما قلنا أن الحمّام مكان لممارسة طقوس المولود الجديد فهذا يحيلنا إلى الأم الوالدة فهي أيضا تحض بفرصة وبتقوس خاصة في الحمام وذلك بعد أربعين يوما من إنجابها. فحمّام النافس يعد طقسا بارزا من طقوس تجديد الطاقة لتتجاوز مرحلة الإجهاد والعياء المصاحبة للحمل والولادة فتجرى لها سلسلة من الممارسات من دعك و تمشيح وعلاج لتختم في الأخير بممارسة رياضة تسمى "القفيل" وهي تقنيات خاصة جدا لاستعادة الأم لياقتها البدنية²

تختلف إذن مقاصد الحمام في المجتمع العربي والمغاربي بالخصوص ليحمل في كل من ذلك مضامين ودلالات رمزية طقوسية جماعية وثقافية تعكس ثقافة الحياة الاجتماعية في ذلك المجتمع ويصبح الحمام محطة عبور لمراحل حياتية متعددة وهامة في حياة الأفراد، ويكون له الدور الاجتماعي البارز من خلال ما يقدمه من خدمات لا غنى عنها مقارنة بمؤسسات اجتماعية أخرى في المجتمع .

ت- تصورات الوافدين حول حمّام قرقور وأدواره الاجتماعية

لا يزال يحتفظ حمّام قرقور بتلك الحميمية، والخواص الاجتماعية كونه فضاء يجمع بين متعة الجسد أي ممارسة طقوس النظافة والتطهير وبذلك يمر بها المستحم من مرحلة النجاسة إلى القداسة والطهارة، إضافة إلى ذلك هو لفضاء المناسب لنسج علاقات اجتماعية بين الأفراد، وقد أكدت بعض الحالات أن الحمام قرقور كان في السابق فضاء يقام فيه ممارسات تتعلق بمختلف المظاهر الاجتماعية كالزواج، الختان، نفاس المرأة، مولود جديد وحتى مناقشة الأمور السياسية وغيرها، وحسب ما تم ملاحظته أن النسوة تتبادلن أطراف الحديث وتستمتعن بصب الماء الساخن على أبدانهن، وقد كانت من بين النقاشات التي تدور بينهن كانت حول أحوال البيت وأمور في الجمال والصحة والأولاد وغيرها وحسب المقابلات التي أجريناها مع الحالات المدروسة أنها كانت بشكل كبير في السابق كونه فضاء يكتسي أهمية كبيرة في الحي وأيضا يعد ممارسة تلتقي مع الكثير من القضايا الاجتماعية الأخرى في حيات الأفراد، وكانت تفسيرات المبحوثين أن الناس كانت تقوم بهذه الممارسات الاجتماعية في حمام قرقور اعتقادا منها ببركة الولي الصالح بدرجة كبيرة، إذ جاء على لسان أحد المبحوثات :

"أكيد الحمام يوفر لي راحة نفسية، نستراح العشيّة نرقد بيان، ندير إين بون نوي، نتلاقاو، نصيبوا ناس بزاف منعرفهمش كاين بزاف رولاسيوا نتعارفوا بزاف، نحكيو زعما، كل وحدة

¹ بن زيان، خيرة (2017)، المرجع السابق، ص.182.

² بن عبد الله، زهية (2015)، الجسد والجنس: الحدائق وهرانات الزينة والتزيين، مرجع سابق، ص.94.

تعطيك لاروسات تاعها دري هكذا، هكذا، كايين حتى ألي يخطبوها في الحمام، كايين يجيبو أولاد الصغار للحمام بركة سيدي الجودي" (مقابلة 09)

وتضيف أخرى :

"كانوا بكري كي نتلاقاو والله شحال من وحدة تزوجت من هنا وحدة تقول للوحدة تسقسيمها، تتبعو وشحال بالبركة، ونزغرتوا في عرس للعروسة، يديرو الحفلات الختانة، كايين هنا الزاوية تاع القرآن للعوايد ملاح تجيب البيبي تاعها هنا منطقة تاع الصبح وكان تشوفي في الصيف، الكيران والعباد ولامتصحلك بلاسة والله ماكين" (مقابلة 10)

"...تخشي فاتيقي عيانة، تخرجي خفيفة تخرجي فراشة، مام الطبيعة مليحة بلذراف..." (مقابلة 06)

وتضيف أخرى:

"كانو العرايس يجيو للحمام أيام قبل الدخلة يعنيو -وزغرتو ويفرحو البنات مع لعروس، وكانو يخطبو الطفلة في الحمام وتزوج منا وتروح لدارها منا، بصح مبقاتش ذرك بزاف قليل قليل" (مقابلة 01)

وتضيف أخرى بقولها :

"مزالوا يشعلو الشمع، سمعت الزغاريت، كانوا يقولوا بكري مشي غير ضرك، يجيبو لعرايس، كي يقويو الزغاريت يحى الماء ويقوى، من جد الجدود والناس تدعي، مدام الناس مزال متشبثة بالعادات والتقاليد مزال الدنيا بخير وكلما تبعد الناس على العادات والتقاليد ويبعد عن الأصل كشغل الإنسان يتسلخ من جلدوا وهذا يخليها لبتنوا وأولادوا" (مقابلة 07)

كما تصرح أحد المبحوثات بقولها:

"نعي هنا نستراح، إضافة إلي ندوش ونغسل، لقيت جاراتي اليوم، كان وقت ماشفتهم، الحمّام هذا راه منطقة للتعارف، من 48 ولاية" (مقابلة 08)

ويضيف أحد الأهالي أن الحمام قرقور كان مكان لعقد اللقاءات السرية السياسية إذ يقول:

"الحمام كان فضاء يناقشوا فيه الأمور الساسية، كان...، ومن قنرات، شريف مادوني 5 أو 6 أسوا الثورة في المنطقة". (مقابلة 02)

لا نقل أن دور الحمّام قد انحصر ولاكن تعقد الحياة الاجتماعية قد يكون السبب الأول في اختزال دور الحمام في فعل الاستحمام والاسترخاء ولا يعدو إلا أن يمثل نزهة ويكون فرصة للهروب من الروتين اليومي للفرد فبالكاد في خضم هذا التعقيد أن يجد الإنسان الوقت المناسب لاستمتاع بالحمام أما السبب الثاني هو كونه أصبح الإنسان يفتح على فضاءات أخرى أكثر اجتماعية يمكنها أن تكون منافسا قويا لاستحضار

المواضيع الاجتماعية كالمقاهي والنوادي الثقافية والرياضية... وغيرها إلا أن حمّام قرقور يبقى فضاء مشحون بالحميمية والممارسات الطقوسية يستحضر فيها الأفراد مختلف المشاهد الحياتية الهامة.

3- الحمّام كفضاء لإحياء المعتقدات والممارسات العلاجية

أ- الحمّام معبد الاسترخاء وطبيب أباكُم

تبرز لنا أهميّة الصّحّة من ارتياد الحمامات المعدنية الحارة حيث كما تُشير وفاء عبد الله إلى أنّ

الصّحّة: ليست غياب المرض، ولكنها خُلُو الإنسان من الأسباب التي تعوق الأداء الطّبيعي لوظائفه الجسدية والعقلية والفكرية، وعلاقته مع المُجتمع والبيئة من حوله¹. في حين العلاج لغة: العلاج من الفعل عالج الشيء معالجة، وعلاج المرض معالجة وعلاجاً: عاناها، والمعالج المداوي سواء عالج جريحا أو عليلاً أو دابة² أما العلاج اصطلاحاً: " يعني العلاج معاملة الاضطرابات والأمراض العقلية والجسدية على السواء، فيجمع فكرة الخدمة والانتباه إلى فكرة المداواة. حيث أن هناك أنواع مختلفة من العلاجات تمتد من أشكال العلاج النفسي إلى العلاج المهني، إلى العلاج بالفن، والعلاج بالدراما والعلاج العائلي، ومؤخراً صارت لفظة العلاج تطلق على الممارسات العصرية مثل العلاج البلوري أو أنواع التدليك مثل العلاج العطري، كما أنها تستخدم في المعالجات الطبية مثل العلاج الكيميائي أي أو أنواع التدليك مثل العلاج العطري، كما أنها تستخدم في المعالجات الطبية مثل العلاج الكيميائي أي استخدام المستحضرات السمية لمعالجة السرطان، والعلاج باستبدال الهرمون"³ يتضح من هذا التعريف للعلاج أن اللفظة تطلق على الطريقة التي يتم التعامل بها مع مجمل الاضطرابات والأمراض العقلية والجسدية وكيفية مداواتها وأن اللفظة تفرض أنماط مختلفة من الممارسات العلاجية وذلك حسب تطور كل مجتمع وثقافته. لذلك نجد أن هذا التعريف قد ركز على عرض العديد من الممارسات العلاجية، وهذا الذي يحيي بالاختلافات الثقافية في فهم وتفسير المرض واقتراح العلاجات المناسبة في كل ثقافة مجتمعة ما. عرف عالم الاجتماع الأمريكي "إرفينغ زولا" العلاج في دراسته بعنوان الطب كمؤسسة للضبط الاجتماعي: على أنه العملية التي يستطيع الطب من خلالها تصنيف الصحيح من السقيم، وهي عملية وثيقة الصلة بالجزء المتنامي من الوجود البشري"⁴. في حين عرف "أكركنخت" ackerknecht "العلاج من خلال مقارنته بن نموذجين من الطب، الطب التقليدي والطب الغربي، حيث أنهما يجمعان بين عناصر سحرية وأخرى علمية. وبذلك العلاج يختلف حسب المرض بين مرض

¹ سلامة، إلياس والريماوي، عمر، مرجع سابق، ص. 3.

² ابن منظور (2005)، لسان العرب بيروت، دار صادر، ج 10، ص. 249.

³ بينيت، طوني وآخرون (2010)، مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، سعيد، الغاني (ترجمة)، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، ص. 494، 495.

⁴ سكوت، جون (2009)، علم الاجتماع المفاهيم الأساسية، محمد، عثمان (ترجمة)، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط 1، 2009، ص. 109.

طبيعي وآخر ما فوق طبيعي. كما يمكن معالجة مرض ناتج عن عوامل طبيعية بوسائل سحرية ومعالجة إصابة ذات أسباب خارقة للطبيعة بوسائل تجريبية¹. في حين أن "فوستر" يحدد مفهوم العلاج من خلال تميزه بين المرض الطبيعي والمرض ما فوق الطبيعي والتضاد بين أساليب العلاج الطبيعية و الشخصية، أي الأمراض التي يكون العامل المسبب لها عنصرا طبيعيا (كالرطوبة، الإكثار من الطعام) من جهة ومن جهة أخرى الأمراض التي تنتج عن عامل بشري أو خارق للطبيعة (ساحر، سلف، روح) وأن المجتمعات التي تسودها الأمراض الطبيعية تعتمد علاجات طبية أساسا (المداداة بالنبات، ممارسة الفصد أو الشق، الغسول، الكي، البتر،... إلخ بينما المجتمعات التي يسودها نموذج المرض ما فوق الطبيعي تعتمد ممارسات علاجية، سحرية، دينية (كالتعاويد، السحر، إبطال السحر، القرابين، الاعترافات العلنية) 2 يتضح مما سبق أن العلاج يتحدد حسب طبيعة المرض، لذلك هناك شقين من العلاج، علاج طبيعي يخص المرض الطبيعي ويستخدم النباتات والأعشاب، والكي، البتر، وغيرها والشق الثاني علاج المرض فوق الطبيعي الذي يكون عن طريقة ممارسات علاجية سحرية دينية مثال ذلك التعاويد، السحر إبطال السحر، القرابين، الاعترافات وغيرها.

يطرح العلاج فكرة الطب الشعبي والذي تعددت مسمياته كالطب الإحيائي أو الطب البديل أو الطب السلالي، الطب الشعبي الطبيعي، الطب الشعبي النباتي، الطب البدائي... إلخ. فتباينت التعاريف إذ جاء تعريف "دون يودر" للطب الشعبي أنه: جميع الأفكار ووجهات النظر التقليدية حول المرض والعلاج وما يتصل بذلك من سلوك وممارسات تتعلق بالوقاية من المرض ومعالجته بصرف النظر عن النسق الرسمي الطبي العلمي " أما تعريف "دبر توفام" فيقول: هو التطبيب من الأمراض والأعراض عن طريق الأعشاب أو الممارسات التقليدية والتي أمكن التعرف عليها منذ زمن بواسطة مطببين محليين أو شيوخ الدين .

في حين جاء تعريف "شارلت سيمور سميث" في موسوعة علم الإنسان بأنه طائفة واسعة من الممارسات الرسمية المتخصصة للطب الغربي التقليدي. وترجع أصول هذه الممارسات والوصفات العلاجية، أو تراث الطب التقليدي سواء كان محليا أو مستوردا والتي تتخذ ممارسته قدرا من الرسمية تبعا لتأهيل وكفاءة ممارسيه.³ ويرى "فوستر" أن الطب الشعبي مجموعة متنوعة من الخبرات والمعلومات الناجمة عن الملاحظة الفضولية للأنثروبولوجي الذي يجمع الوسائل والأساليب التي يستخدمها أعضاء المجتمع لعلاج مرضاهم وعرفهم "جيمس كير كيلاند" الطب الشعبي التقليدي على أنه تلك المعتقدات والممارسات المرتبطة

1 بونت، بيار واينزار، ميشال، مرجع سابق، ص. 672.

2 بونت، بيار واينزار، ميشال، المرجع السابق، ص. 672.

3 سعد الله، نجوى عبد الحميد (2002)، دراسات بيئية في المجتمع المصري، مصر، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، ط1، ص. 125، 126.

بالمريض والتي تنتج عن تطور التشخيص الثقافي البعيد عن الإطار التصوري للطب الحديث.¹ أما "سوليبيان" فيرى أن الكثير من المعتقدات والممارسات الخرافية تركزت حول أمراض الإنسان وكيفية علاجها والشفاء منها وتشجع على ذلك عدم تقدم العلم الحديث الأمر الذي دعا الناس إلى اللجوء إلى المصادر الشعبية والاعتماد على الأشخاص التقليديين الذين يقومون بالعلاج، ولقد لعبت الملاحظة الفضولية والرغبة في اكتشاف الغامض بجانب تمتع بعض الأشخاص بميزات شخصية دورا كبيرا في وجود الطب الشعبي، وأدى تراكم هذه الإسهامات إلى وجود وسائل العلاج التي تبناها الناس بهدف علاج الأمراض الجسمية وتجنبها والوقاية منها. أما الباحث الصيني "توبلي" فيرى أن الطب الشعبي هو مجموعة من الأفكار والمناهج التي رفضتها الممارسة العلمية، ورفضها الباحثون والممارسون المتخصصون ويتضمن الطب الشعبي بعض الأفكار الدينية والممارسات والطقوس، وبعض هذه الممارسات ترجع إلى حقبات وفترات قديمة² في حين يرى "محمد الجوهري" أن الممارسات الطبية الشعبية تركز في جانب كبير منها على أسلوب المحاولة والخطأ فمن الطبيعي وعلى مدار العصور يتفق الشعب وبدرجة متفاوتة على طرق العلاج الشعبي³

ومن خلال هذه التعاريف قد نخلص إلى أن الطب الشعبي هو جملة من المعارف والمعتقدات والممارسات التي اتخذها أفراد المجتمع شكلا من أشكال الممارسة، والتي تتوارث بين الأجيال، حيث أن هذه المعارف تنحدر من الثقافة الشعبية لمجتمع ما. وقد يقوم به فئة من الأشخاص الذين تتوفر فيهم الموهبة والحكمة. معتمدين في ذلك على الخبرة والمهارة. وقد يتنوع الطب الشعبي من حيث الطرق والوسائل المستخدمة فيه من مواد طبيعية كالنباتات والمياه، ومواد حيوانية، كالزيوت وشحوم الحيوانات إلى طب سحري ديني كالسحر والرقى والأولياء... وغيرها مع مراعاة الاختلاف الحاصل في كل ثقافة مجتمعية ما.

عدّ الحمام منذ نشأته الأولى، خصوصا منه الذي حول الينابيع المعدنية (حمامات علاجية) من أساسيات الصحة، إذ كان ولا يزال يلجأ إليه الناس كلما أحسوا بالتعب، أو استعصى عليهم المرض، ففي حرارة الحمام تنشط عملية التعرق الضرورية للصحة الجيدة.⁴ وحسب بن حسين بيرم محمد التونسي يقول "اعلم أن الاستحمام ينقي الأوساخ والدرن ويحلل الفضلات ويفتح السدد ويزيل الكسل واجود ايقاعه في الأبنية التي أعدت له وعرفت بالحمامات وأول من سماها سليمان عليه السلام"⁵ فقد قدم العديد من

¹ علام، ابتسام وآخرون(2001)، الصحة والبيئة دراسات اجتماعية واثنولوجية، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، القاهرة، ط1، ص(117).

² العشماوي، مرفت عثمان (2006)، الطب الشعبي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ص.26، 27، 29.

³ الجوهري، محمد (2005)، الصحة والمرض وجهة نظر علم الاجتماع والاثنولوجيا، القاهرة، جامعة عين الشمس، ص.110، 111.

⁴ بوشمة، الهادي(2014)، الحمام الشعبي بتلمسان، مجلة إنسانيات الجزائرية في الأثنولوجيا والعلوم الاجتماعية، الحمام في البلدان المتوسطية، السنة الثامنة عشرة - عدد مزدوج 63-64 جانفي- جوان 2014، كراسك، وهران، الجزائر، (ص143-166)، ص.144.

⁵ بيرم، محمد بن حسين، مرجع سابق، ص.4.

الأطباء، والعلماء المسلمين وصفات، وشروط وضوابط ولوج الحمامات، فقد أحصوا منافعها ومضارها وعلى سبيل المثال عبد الرحمان بن نصر الشيرزي، إذ قال: "فأما منافعها فتوسيع المسام و استفراغ الفضلات، فهي تحلل الرياح، وتحبس الطبع، وتنظف الوسخ والعرق، وتذهب الحكمة والجرب والإعياء وترطب البدن، وتجوّد الهضم، وتنضج النزلات والزكام، وتنفع من حمى يوم، ومن حمى الدق والرّبع بعد نضج خلطها، أما مضارها فإنها ترخي الجسد وتضعف الحرارة عند طول المقام فيها وتسقط شهوة الطعام، وتضعف ألبه وأعظم مضارها صب الماء الحار على الأعضاء الضعيفة، وقد تستعمل الحمام على الريق والخلو، فتجفف تجفيفاً شديداً، وتهزل البدن وتضعفه، وقد تستعمل الحمام على قرب عهد بالشعب، فتسمن البدن إلا أنها تحدث سداً، وأجود ما استعمل الحمام على الشعب بعد الهضم الأول، فإنه يرطب البدن ويسمنه، ويحسن بشرته".¹ ولذلك فقد اجمع بعض العلماء المسلمين فضلاً على بن نصر الشيرزي، ابن خلصون وابن الخطيب والذين خلصوا إلى القول على لسان الباحث المغربي بن حمادة السعيد "ألا يدخل المرء الحمام في يوم شديد الحر، فإنه يببس البدن، ولا في يوم شديد البرد والريح، فإنه لا يأمن من نزلات عند الخروج منه، ولا يدخل عند امتلاء المعدة، فإنه يولد السدود والحمى العفونية، ولا على جوع فإنه يببس البدن ويشعل حرارته ويولد حمى اليوم ولا بأثر جماع [...]. ولا يسهر ولا تعب [...].، وليكن في دخول الحمام على خلاء المعدة، ووفرة القوة، ونشاط النفس، واعتدال الفصل، واعتدال النهار وضحوته".² في حين قد حدد ابن سينا في كتابه القانون أحسن الحمامات صحية وجوب نظافتها، بقوله: "خير الحمام ما قدم بناؤه واتسع فضائه وعذب ماؤه".³ كما أشار الكثير من علماء المسلمين عن كيفية الاستحمام وذلك للانتفاع به وذلك من خلال التدرج في لوج غرفه ليبلغ المرء غايته لقوله بن نصر الشيرزي: "اعلم أن الفعل الطبيعي للحمام هو التسخين بهوائه، والترطيب نماءه، فالبيت الأول مبرد مرطب والبيت الثاني مسخن مرخ، والبيت الثالث مسخن مجفف".⁴ فإن أحسن المرء استخدام الحمام وفقاً للشروط والنصائح التي أفضى بها العلماء في هذا المجال قد يحصل المرء قيمة علاجية ويكون الحمام كوسيلة طبية، ينتفع بها ويحفظ بها صحته، إن الحمام يحض بإجماع كبير على النصيح بارتياحه، لما يوفر من ميزات تتعلق بالصحة والاسترخاء، والعلاج، وهناك اعتقاد يعتبر أن الحمام من أنجع وسائل العلاج، فهو في ذات الوقت وافي وشافي، وذو أفضلية على فساد الحجامة ومكمل بشكل تام لطب التداوي بالأعشاب القديم والمتقن.⁵

¹ الشيرزي، عبد الرحمان بن نصر (1946)، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، نشر سيد الباز العريفي، القاهرة، ص. 86، 87.

² بووشمة، الهادي، مرجع سابق، ص. 145.

³ المناوي، عبد الرؤوف، مرجع سابق، ص. 60.

⁴ الشيرزي، عبد الرحمان بن نصر، مرجع سابق، ص. 86.

⁵ وووشمة، الهادي، مرجع سابق، ص. 146.

إن محور العملية في فضاء الحمام هو الجسد ولذلك فإن كل التطبيقات والعمليات الاستحمامية ترمي لأن تحقق لذلك الجسد، الراحة، المتعة والصحة والتألق، وباعتباره مفهوما ثقافيا واجتماعيا يختلف من بيئة إلى أخرى ومن عصر لآخر، فالجسد هو الصورة المحددة والمعبرة في مقام أول لهوية الإنسان، فمن خلاله يعبر الإنسان عن علاقته مع العالم، والحمام هو أهم فضاء في علاقة الإنسان بجسده من خلال تفاعله معه.¹

فضلا عن الطهارة كممارسة طقوسية تكتسي الجسد فإنه هذا الأخير ينسج علاقات ليس مع المكان والماء بل أيضا مع المتواجدين معه من مستحمين، إذن لا يشكل الجسد المعطى المادي فقط بل حتى المعطى الاجتماعي والثقافي والنفسي، حيث أن الحمام يقر لذلك الجسد المنهك والمتعب بالراحة، والاسترخاء كما يوفر له أيضا فرصة لتشارك الأحاديث والترفيه والتسلية.

حيث أشارت كريم فضيلة بقولها: "كان في البداية مجرد ممارسة من ممارسات النظافة، أصبح فيما بعد لا يكاد ينفصل عن النشاطات الترفيهية المحببة وحسبما ذكره محمد مسيخ في مؤلفه، فإن التردد على الحمامات أصبح للرجال انشغالا من الانشغالات اليومية الهامة فقد كان يحلو للناس التمتع بالاسترخاء في المياه الباردة، ثم المياه الساخنة، وتسليم أجسادهم بعد ذلك للدعك بواسطة القفزات". وتضيف قائلة: "فسرعان ما تحول السلوك الذي كان في البداية الأمر مجرد سلوك يتعلق بالنظافة إلى نوع من الترفيه الحقيقي، وأصبحت الحمامات مكانا يجمع بين ملاء الفراغ ومتعة الاستحمام"². وبذلك تحول الحمام من مكان لممارسة عمليات التطهير لذلك الجسد البيولوجي إلى ممارسة نوعا من التطهير النفسي والروحي بما يمنحه من راحة واسترخاء وهذا ما أكدته الباحثة خلود السباعي في قولها: "هو فضاء للتطهير الفيزيولوجي، فإنه أيضا يحيل إلى نوع من التطهير السيكلولوجي بما يمنحه من إمكانية للاسترخاء، والتفرغ للجسد والعناية به"³.

فهو مبني لخدمة وتحقيق متعة الجسد وكان للالتذاد، وفي نفس الوقت تحقيق تناغم نفسي للذات، ومن ثمة يوفر الحمام فرصتين الأولى تخص الاغتسال الجسدي أما الثانية فتوفر الاغتسال العقلي.⁴ ولما كانت

¹ كارلي، عمر، مرجع سابق، ص.99.

² كريم، فضيلة، مرجع سابق، ص.14، 15.

³ السباعي، خلود (2006)، الجسد الأثوي وهوية الجندر، الرباط، دار القلم للطباعة، والنشر والتوزيع، ط1، ص.110.

⁴ بوشمة، الهادي، مرجع سابق، ص.147.

وظيفة الحمام تتمثل في إتمام الشفاء الجسدي للفرد فإن هذه المؤسسة أضحت تتوسع النسيج الحضري والاجتماعي.¹

ب-الحمام وممارسة المعتقدات السحرية

تجرى في الحمام طقوس معينة ذات رمزية خاصة ترتبط ارتباطا وثيقا بالمخيل الشعبي والاجتماعي وهو من أهمها:

يسود اعتقاد شائع أن الحمام هو مأوى الجن والأرواح الشريرة وعليه فإن الكثيرين يتجنبون دخوله على انفراد كما يعمدون الى ممارسة بعض الطقوس كوضع البخور واشعال الشموع ورش بعض المساحيق كالمح والسكر وغيرها في زوايا الحمام اعتقادا منهم أنه يحميهم من الأرواح التي تسكنه، حيث يرى إسماعيل قيرة أن الجن هم كائنات خفية، وفي المعتقد الشعبي الجزائري يفضلون الناس عدم ذكرهم باسمهم، اعتقادا منهم أن ذكرهم سيسبب مشاكل عديدة واضطرابا في حياتهم لذا يحبذ مناداتهم في الثقافة الجزائرية بأمالين المكان أو أسيادنا لخرين، لهمايم، اللي ما يسماوش... الخ وهم يقسمونهم على العموم إلى أربعة أقسام: جن الماء، جن الأرض، جن النار، جن الريح.² وكثيرا ما يأخذ المرض في الثقافة الشعبية الجزائرية طابعا سحريا كون أن المحيط في ذهن الجزائري وبشكل عام مليء بالأرواح والكائنات غير المرئية.³

ولذلك يلجأ الكثيرين إلى ابتكار بعض التدابير الوقائية اعتقادا منهم أنها تحميهم من الروح الشريرة، التي تسكن الحمام متخذين من الأشياء اليومية رموزا واقية من ذلك، وبذلك تأخذ الأماكن المعمورة أو المسكونة صفة القداسة الأمر الذي أشار له سليمان بومدين في أحد كتاباته حيث يرى أن الفضاء المقدس هو متسع من الأرض المنعزلة لا يمكن للإنسان دخولها لأن قوى غيبية ظهرت بها أو جعلت منها مستقرا فيقول: ويرى بعض علماء الأنثروبولوجيا، أن العرب يعتقدون أن الأرض برمتها تقع تحت هيمنة قوى غير مرئية وهي الأغلب قوى الجن لذلك كان العرب منذ القديم إذا ما نصبوا خيمة في مكان قدموا أضحية لأصحاب المكان أي الجن، حتى يعيشوا في وئام معهم، وكان البدو إذا ما انعزلوا للوضوء وحتى لا يثيرون غضب الجن يقولون: "دستور يا صاحب المحل" ومثل هذه الممارسات مازالت قائمة لحد اليوم، كما نلاحظ عند تشييد منزل أو يوم الدخول لأول مرة لمنزل جديد، وكأن تملكه للمنزل تملك مؤقت وهو ما قد يجعل من هذا الإنسان كائن دخيل لا يمكنه أن يثبت في مكان إلا بعد طقوس عديدة.⁴ حيث يرى "نور الدين طوالي" أن التطبيق

¹ كريم، فضيلة، مرجع سابق، ص.19.

² قيرة، إسماعيل، وآخرون (د، س)، التصورات الاجتماعية ومعاناة الفئات الدنيا، الجزائر، دار الهدى، ص.78.

³ بومدين، سليمان (2003)، "المعنى الاجتماعي للمرض"، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، العدد 20 ديسمبر، ص.34.

⁴ بن عبد الله، زهية (2015)، الجمال والجسد الأنثوي، مرجع سابق، ص.84.

الشامل لهته الطقوس العامة ما هو إلا برهان إضافي على التعلق الشعبي بالدين فهو مقبول شرعا باعتباره إرادة جماعية شعبية نحو إعادة الاعتبار للتقاليد وبالأخص الإسلام.¹

إن المياه الراكدة، في المعتقد الشعبي هي الأماكن المفضلة لتواجد الجن وكذا مياه المستنقعات، فقط هي المياه الجارية تسلم من سيطرتهم، لأن الحياة تتفوق على الجن مثلما تتفوق الحركة على السكون. ليس من النادر أن نجد عند الاحتفال أن ترش صاحبة البيت ضيوفها بمياه معطرة (عطر الورد والياسمين) اعتقادا منها أنه يحميهم من كل شر. في حين أن النساء العقيمات تقوم باستحمام طقوسي قد لاحظته منذ القدم القديس "أوغستين" عند مسيحي الجزائر فكانت له تلك الرمزية في ممارستهم، كذلك يعد الطفل المصاب بالهذيان أو الصرع، أو مسه الجن، فقد كان يرش المصاب وكل المكان بالماء والملح.²

إن المكانة الرمزية التي يحتلها الماء في الحياة الاجتماعية جعلت منه عنصرا هاما ومحوريا في إقامة العديد من الطقوس وإحياء المعتقدات التي لا تكاد تنفصل عن حياة الأفراد حيث تنضوي على خلفية ثقافية، واجتماعية هذه الرمزية ترتبي ليكتسبها الحمام كفضاء اجتماعي وثقافي حيث أنه مكان خصب بالممارسات الطقوسية الاجتماعية والثقافية العلاجية، وحتى الجمالية والتي تتخذ من الجسد محور ذلك في المقام الأول. ولكونه (الحمام) يعد المكان الأنسب للسعي نحو الصحة والجمال، فإنه الأنسب للممارسة العلاجية.

إن استحضار المعتقدات، وإحيائها من خلال ممارسة طقوس معينة ما هو إلا شكل من أشكال المعالجة الشعبية لبعض الأمراض المتمثلة من داخل، نسق رمزي. في هذه الحالة نجد أن الطقس يكتسب قدسيته الاجتماعية من خلال الدور الظاهر الذي يقوم به داخل الممثلات الجماعية، ليصبح (المقدس) بمختلف أشكاله فعلا تطهيريا³، وبدوره الحمام يعد ذلك الطبيب الأبهى (الطبيب البكوش) قادرا وبواسطة الحيوية الحارة التي نجدها فيه أن يشفي من الأمراض العضوية⁴. حيث يبرز دور الحمام في الأغراض العلاجية للعديد من الأمراض.⁵ قد ينصح به الأطباء، لكن يبقى الحمام يحتضن ممارسات علاجية شعبية عديدة قصد الاستشفاء من العديد من الأمراض مثل نزلات البرد والروماتيزم، وآلام المفاصل وغيرها... قد تدخل في العملية العلاجية بمياه الحمامات عدة مستحضرات والتي تكون لها خاصية تجميلية، في نفس الوقت، كالحناء والسواك والزيوت وغيرها، في حين تدخل بعض الأعشاب الطبية منها الزعتر البري، الفجل، القرنفل،

¹ طوالي، نور الدين (1985)، *الدين والطقوس والتغيرات*، وجيه البعيني (ترجمة)، بيروت، منشورات عويدات، ط1، ص. 147.

² Chebel, Malek., *op.cit*, P. 59.

³ طوالي، نور الدين (1988)، مرجع سابق، ص. 175.

⁴ Chebel, Malek., *op.cit*, p. 57.

⁵ زين، خيرة (2017)، مرجع سابق، ص. 144.

والكبار وغيرها في عديد من ممارسات الأفراد كما يبقى الحمام فضاء يجمع بين التقليدي والحديث إذ يتم فيه استخدام مستحضرات التجميل من مراهم، وكريمات وغسول وصابون، وكل ما يخص العناية بالبشرة.

تبين أن التوافد على المحطة المعدنية حمّام قرقور بكل جوانبها (التقليدي، والمركب السياحي) يرجع بالدرجة الأولى إلى سبب علاجي حيث أن كل الحالات تؤكد أنه دواء وماؤه ذو منفعة عالية، رغم تفسيراتهم الدينية أو العلمية إلا أنهم يقرون أنه قيمة علاجية لا شبيه لها، وقد يبررون ذلك بعدة أمثلة من تجارب حياتية سواء من أقرب الناس إليهم أو معارف أخرى.

ومن خلال أيضا المقابلات والملاحظات تم الكشف على أن مياه الحمام تستخدم بطرق مختلفة وذلك لمختلف ممارسات المستحمين، فمثلا في الشق التقليدي نجد أن الناس يدركون قيمته ويتداووا بالمياه الساخنة التي في اعتقادهم تصل إلى الحمام بشكل طبيعي وبدون تدخل ليد الإنسان أو الآلات وبالتالي درجة حرارته بالنسبة لهم هي التي تحقق الشفاء للعديد من الأمراض فمجرد توجيه الظهر والأرجل والأكتاف للمرش (الشرشور) فإنها تنزع البرد من المفاصل، وتساهم في علاج الالتهاب والروماتيزم وغيرها، وحتى أنها تساعد على الولادة، والأطفال على المشي وغيرها والأمر الذي يؤكد عليه الحالات المدروسة أنه عند إضافة بعض الأعشاب الطبية التقليدية، كالزعر والزنجيل، والجوز، التوفالت، الملح، الليمون، والحناء وغيرها قد تحقق الغرض بشكل كبير.

إن هذه الممارسات العلاجية التقليدية قد تم ملاحظتها حتى على الوافدين إلى المركب السياحي المعدني لحمام قرقور ولم تقتصر على الجانب التقليدي فقط، إذ لاحظنا النسوة يضعن بمختلف أعمارهن مساحيق عشبية (زعر، زنجبيل، حناء، قرنفل...) على أكتافهن وركبهن ورؤوسهن ويجلس لبعض الوقت حتى يهدأ حرقان هذه المساحيق حسب قول بعض النسوة في الحمام التقليدي وبذلك هن تتأكدن من أن مفعول الأعشاب قد تحقق والأمين ستختفي مع هذه الطريقة التطبيقية التقليدية خاصة أن المكان فيه رطوبة عالية، ودرجة حرارة عالية فالنتيجة تكون أيضا عالية، تقول أحد المبحوثات:

" كايين ألي يجيبوا زعتر، سکنجبير، يعاونو بسك الماء سخون بزاف هذو الحوايج الأعشاب هذه تزيدلك وأنا وي ندير أصلا الماء سخون، الماء تاعوا يزيد بزاف مسي كي دريه في الدار، من المفروض كما يدير الزعتر في الحمام يتنحالوا يكون عندو غريب (زكام-نزلة برد)، أمي تلاوي السخونة وحرارة الزعتر، أنا منطولش منقدرش صحيا، نروح ليهم لزوج بصح أنا مانلاويش الغاشي بزاف منقدرش، هندي (أمي) تحب القديم". (مقابلة 09)

وتضيف أخرى بقولها:

"وهذا لباركة الولي والمما جاي من دافع الجبال ينبع من تحت الجبال معناتها الما أصلي طبيعي ميا بالميا وعيلاجي مشفي ومبارك كأنك تشربي في ماء زمزم وتنحى في ماء زمزم آه والمنطقة هندي تعنا يقصدوها الناس كما الحج أفواج أفواج تتفاج عليها في الصيف في الربيع في العطلة تاع الربيع، في العطلة تاع الشتاء يجيوليها من تمراسست من كل مضرب من توارق من غرداية من فرانسسا حتى من للمان تلقهم يجيو لهنا يآه. كابينين أختي لي يجيو يتحموا شويا ويسخنو ومباعد يديروا الزعتر شوي، يديروا الطيب هكذا يترخى يسمى بصح حاجت الماء أنا بالنسبة ليا الماء أكثر من كل شيء بلا أعشاب بلا شي الماء هو الشافي، ماء سيدي الجودي هو الشافي الخير هو للبركة، عندي أنا بتجربتي الشخصية مرضت وشفاني ربي بفضل الماء هذا شفيت". (مقابلة 2)

إن الحاجة إلى الشفاء والتمتع بصحة جيدة كان السبب في إقبال الناس على الحمام المعدني قرقور، وقد اختلفت التصورات الفاعلين في استخدام مياه هذا الحمام وتنوعت ممارساته في هذا الفضاء، فمنهم من يزوج التداوي الشعبي (الأعشاب الطبية) بالماء الساخن المعدني للحمام، وخاصة في الجانب التقليدي منه كونه يدركون أنه طبيعي، ولذلك تكون منفعته جيدة لهم، وهناك من يرى أن الماء لوحده قد يساعد على الشفاء خاصة مع الآلات التي تتوفر في كل من المركب السياحي المعدني، لكن الوافدين يحملون سمات الثقافة الشعبية حيث التداوي بالأعشاب يشغل حيزا من تصوراتهم واعتقاداتهم كما أن الحالات المدروسة، متيقنة بأن الحمام المعدني فيه الشفاء لكثير من الأمراض، وذلك اليقين المستمد من تجاربهم الحياتية التي قد أكدت لهم ذلك، فمثلا تصرح إحدى المبحوثات بقولها:

"جيت على جال الدواء لأول مرة جيت نداوي، لأول مرة جيت النداي قتلك بنت أختي هي لبعثتنا، قاتلنا راه مليح قعدت فم جرياتوا مسعاتش سبع سنين (07سنوات) كي جات ليه وراحت لدار ضرك عندها طفيل، راهي تربى فيه عندوا عامين الله يبارك والحمد لله ربي مافيه غير الخير، الأولياء الصالحين نسمعوا بيهم في قالمة في سطيف بصح سيدي الجودي مسمعتش بيه". (مقابلة 12)

وتضيف حالة أخرى :

"أنا من 82-83-84 وأنا نجي للحمام، نقعدو بالسمانة نتحمو ثلاث مرات ربعة، فيه ومليح للحب، للروماتيزم، شوفي ذراعي هذا كنت منقدرش نديرو هكذا، حبست الخدمة جيت 4مرات، بعدها وليت نبرمو من ورايا نورمال والله، الله يبارك فيه الشفاء هايل، مليح للروماتيزم، مليح لكليش، الإكزيما، واحد ولد خالتي عاد ميصبغش الوضوء، بصح جاء هنا أرتاح، بصح دورا ويحي، وأنا نفضل نجي للحمام المعدني خير من العادي، لأنه فيها الشفى لكن أنا نجي للقديم ومن روحش للكومبلاكس، نأمن به يشفي والوليا صالحين وبصبح الماء يشفي أنا جيت أرتحت" (مقابلة

(03)

أكدت كل حالات الدراسة على أن مياه الحمام قرقور هي مياه تشفي العديد من الأمراض، الروماتيزم، والمفاصل، والأعصاب، والأمراض الجلدية وحتى العقم وغيرها، ولكن هناك من يفسر شفاؤه ببركة الولي الصالح فماء الحمام ماء مبارك (مقدس) إضافة إلى أنه ساخن طبيعي، وهناك من يفسر الأمر علمياً بأن الماء ذو تركيبة غنية بالمعادن التي تشفي الكثير من المعادن، وهذا التفسير خاصة نجده عند الفئة المتعلمة أكثر.

غير أن أهالي المنطقة يمتلكون معرفة قوية بتاريخ الحمام وأيضا الكثير من تفاصيله هذا ما جعلنا نستفيد من محادثتهم حيث جاء في قول أحدهم :

"...ما فيها حتى شك أن القيمة العلاجية للمياه فعلية، يقولوا كارل ماركس جاء إلى هنا وتحمم فيه، تعرفي المنفعة وصيت الحمام عالمي، لأنه يدرك القيمة العلاجية، كانوا يعالجوا هنا لأن 122 ميكروكيري ودرجة الحرارة حوالي 45° لكن الماء زادوا عقبوا المخابر تبذلت القيمة أولا أظن أنها متبدلتش، السنة هذه جاء واحد في الكروسة، قعد 21 يوم وروح يمشي كما حالة في الثمانينات". (مقابلة 04)

وجاء مع حالة أخرى:

"...شحال إلي جاو هنا وأرتاحوا، الماء فيه الفسفور والكالسيوم...إلى جانب الولي الماء فيه الشفا" (مقابلة 02)

"ماء الحمام قرقور درجته تتراوح بين 44°-45° درجة وهو فعلا يشفي أمراض الروماتيزم، أمراض النساء، الجروح، الحب في الجلد وفعلا كايّن حالات تحمت وشفات من هذه الأمراض. هو فيه 122 ملي ميكروكيري هذا اشعاع المياه" (مقابلة مع المخبر 01)

ويضيف أيضا بقوله :

"هو من عهد الرومان كانوا يضمّدون بيه جرحى الحرب، وعلى نفس المنهاج قاموا الفرنسيين ببناء مستشفى بالمنطقة يعالجوا فيه المرضى والجرحى، وفي عام 1958 أصاب فيضان المنطقة (حمل الواد) ...ثم عاودوا المستعمرين بناءها قتلك الحمام الماء تاعوا مليح بزاف يداوي، كما الحمام التقليدي مليح لآلام المفاصل، وغيرها، ويديروا أعشاب معاه باش تخرج المرض، مثل الزعتر، الطيب، الملح، الفجل، وأنا شخصيا درتها مليحة بزاف يتم هرسها مليح ترش على مواضع الألم مع البخار، فتبدأ البلاسة بالحرق والواحد يصبر حتى يحبس الحريق بعدها يتم تشليلها، وهي كايّنة في الدكان الملحق بالحمام يبيعوها، وتلقاي كل اللوازم، مليحة بزاف خاصة أن الماء تاع الحمام فيه الكبريت، فهو يبري الجروح ويعقمها مليح للحب وغيرها، خاصة أن الحرارة مناسبة (44°-45°) وعندك 10 منابع تصب في القناة الرئيسية" (مقابلة مع المخبر 01)

وهذا أيضا ما أكدّه أطباء بالمركب المعدني السياحي حمام قرقور إضافة إلى المدلكين والإطارات المسيرة به، وقد أدلت إحدى المدلكات بالمركب المعدني بقولها:

" كل الفصول توجدي حركية كبيرة منحسوش خلاص كل الفصول، الخدمات حنا نبذلوا كل مانقدرو عليه رغم الإمكانيات الناقصة الأمراض التي يعالجها الماء كثيرة، بخصوص الأعشاب: هذه النظرية مزال وعلميا وواقعيها عندها ايض (أثرا وفاعلية) الأعشاب الطبية طبيعتها مخدرة، راح يخدر البلاسة نستعملوا الطيب (علميا راح يخدر المكان ويتم خلطها مع الزعتر وبيليكيوها (يستعملوها) والتقليد ولكن عندما تدرسه عنده دور، هما جربوا بلى هذه الحوايج يكالميو، مع هو لما يسخن الكور تاعوا، يستعمل هذه المواد تفتح المسامات ويتم دخول المواد يقلك نحس روجي راني مليح، ولكن لا بد أن نستعمل بطريقة صحيحة، أيضا كاي ناس عندهم حساسية ميستعملوهش في بلاسة عامة مثلا أنا قادر نكون الأرحيك ومانحملش كاي آخرين يديروه في لومبار مع الشرشار مليح هذه الحاجة لازم تكون مدروسة وليست بطريقة عشوائية. إنها تفيد للواحد ولكن الواحد لازم يعرف كيف يستعملها، كاي مواد يقلك قل من ترازو، ممنوعة على الواحد حنا هنا ميتيندوش، معلومة شعبية (أي الشعبوي بقوة)، كاي جزء من الصحة لكن يستعملوها أحيانا بطريقة غالطة، كاي وحايدي يجيبو ولاد نوفوني (حديثي الولادة) تهز راسو متحت الشرشار تقوليلها تقلك ما يخدو والوا، طفل جديد وراسوا مفتوح، هذه مش معقولة كاي نالي يتقبلو النصيحة وكاي آخرين لا "

إن النقطة التي تشير إليها المدلكة بحكم احتكاكها مع المرضى والوافدين من مختلف مناطق البلاد أنه يتم استخدام هذه الطرق الشعبية بطرق اعتباطية وهذا سيؤثر سلبا على صحة المرضى رغم أن هذه الممارسات الشعبية فيها جانب من الصحة العلمية وقد أثبتت جداتها في عملية التطبيب، كما قد أضافت الإشارة إلى مختلف الممارسات الحديثة التي تتدخل فيها الآلات الطبية المتخصصة في هذا النوع من العلاج أي العلاج بالمياه الحموية، وتؤكد على أن كل مريض وحالته وما يناسبه من علاج عن آخر، كما تضيف الطيبة بالمركب المعدني أنه هناك نوعين من العلاج الفيزيائي وعلاج نفسي بحكم أن المنطقة تتوفر فيها الظروف الملائمة.

إن كثير من الحالات المدروسة تفضل الحمّام التقليدي وذلك اعتقادا منهم أنه يتمتع بشروط تكون أكثر قيمة علاجية منها على المركب المعدني، إذ أن الكثيرين يفضلون الاستحمام في الحمّام التقليدي وهم يفسرون ذلك أن الماء يكون طبيعي وأكثر حرارة من الذي يضخ إلى المركب أي أنه يفقد فعاليته في تحقيق الشفاء، وهذا ما جاء مع أغلب الحالات المدروسة منها. حيث صرحت أحد المبحوثات بقولها:

"في الكومبلاكس ندير المساج، حاجة الماء هنا خير (في التقليدي) يحيى قبالة، طبيعي تديري رجليك في الماء ولا ظهرك هنا خير، مي لهيه في الكومبلاكس كشغل جاء في التويوات في المشينة ينقص بشوية، بكري يداويو، ألي يوجعو عظاموا، يوجعو ظهروا، دارو التاويل شوية" (مقابلة 1)

وهذا ما أكده أحد المبحوثين بقوله:

"أنا نفضل التقليدي بورليماد، اليزاكسيدونتي كان الحمام في وقت الثورة مبني بالبواروج بالحجر لخطارش الماء حامي. شي ربع سنين جاء واحد من مسكرا (معسكر) جاي أكسيدونتي جابوه هازينوا قعد سماتين ولي يمشي، ثم كراولوا شهر، عاد يقعد شهر هنا وشهر لهيه، ولي يجري حتى يطيح، حتى أرتاح" (مقابلة 02)

وتضيف حالة أخرى بقولها:

"أنا مروحش للكومبلاكس، أبدا مرة واحدة في حياتي فقط، نحب كل ما هو تقليدي، طبيعي، بصح الكومبلاكس يدخلولوا بالتويوات، يضيفولوا إضافات، ديفوا في الشتاء، تدخلوا للحمام تلقاي أتربة تعرفي بلي جاي من الطبيعة، وفي الكومبلاكس يغلق عليك بالوقت ويفتح عليك بالوقت" (مقابلة 08)

"أنا نفضل التراديسيونال على الكومبلاكس، خاطر هنا يمشي الماء، ناتيرالموا جوبريفار لوكوتي تراديسيونال مي الفوق في الكومبلاكس يمشي بليماشين". (مقابلة 04)

ويضيف:

"ضرك أنا جيت مع مافامي وكريت هنا عند أوتال...مليح، مليح، نفضل هذا جوبريفار إيسي على الكومبلاكس سانك ميل فوا، سي لوشاغم، مع الناس واحد يقلك أرواح نحلكك واحد يقول بسم الله، أنسوبل سي بيان". (مقابلة 04).

وتضيف حالة أخرى بقولها:

"عجيني التقليدي على جال الدواء مام كي نعطي بظهري ليه على جال لرتروز على جال لارني ديسكال الحمد لله مليح، خير من الكومبلاكس". (مقابلة 12)

وفي هذا الشأن تؤكد المدلثة بحكم خبرتها في المركب المعدني أن القضية هي انتماء معرفي ولكن الناس تفسرها بهذا الاعتقاد إذ تقول:

"عندنا الماء نفس لاتومبيراتور (نفس درجة الحرارة) في كل الأماكن هو التقليدي صح، لكن حسب المدرسة ألي تابعة لها، فرنسية، ايطالية هما يبارزيو (يركزون) على سخونة الماء مي حنا نبارزيو على ليكومبوزيسيو تاع الماء (مكونات الماء) حنا هنا مكلامي تروازيام أومند"

يطغى الاعتقاد الشعبي على تصورات الكثير من آراء المبحوثين في ما يخص مياه الحمام وخاصة الاستشفاء به فهم يفضلون الحمام التقليدي على الحمام الحديث المجهز بالأجهزة بالغم من أن الماء واحد معدني، وهم يفضلون تدفق الماء بشكل طبيعي إلى الأحواض التقليدية الأمر الذي يسمح بالحفاض على خصائصه العلاجية وخاصة درجة حرارة الماء فهم يختزلون الخاصية العلاجية في درجة الحرارة العالية فهي تحقق الشفاء في حين أن الحمام في المركب المعدني حسب تصورههم أنه يفقد خاصيته العلاجية فقد تنخفض درجة حرارته وأيضاً يقل التدفق في الأنابيب وهذه الأخيرة قد تغير من الماء حسيم، كم أن لذة الاستحمام تتحقق في الفضاء التقليدي أين يجد المستحم أكثر حرية لاستعمال بعض التطبيقات الشعبية والتي تكون محضورة في الحمام الحديث. قد تحيلنا النظرة الشعبية إلى الخوض في علاقة الحمام ببعض الحكايات والأساطير الشعبية التي تغذيها جملة الطقوس والممارسات التي تنتج عن مرتادي الحمام لذلك سوف نتطرق في العنصر الموالي إلى معالجة الحمام والأسطورة.

ثالثاً: الحمام بين الواقعي والأسطوري

1- في معنى أسطورة

يقول باتريس دولاتور دويان "بأن الشعب الذي لا أساطير له يموت من البرد"¹ فكلمة أساطير لغة هي "الأباطيل وهي أحاديث لا نظام لها، واحدها إسطار، وإسطارة بالكسر و أسطير أسطيرة و أسطورة، و أسطورة بالضم و قال قوم: أساطير جمع أسطار و أسطار جمع سطر ثم أساطير جمع الجمع، و سطرها: ألفها و سطر علينا بالأساطير، اللبث، يقال سطر فلان علينا يسطر إذا جاء بأحاديث تشبه الباطل، و يقال سطر ما لا أصل له أي يؤلف"²

لقد تطورت الكلمة الدالة على الأسطورة في التراث اليوناني القديم حتى وصلت إلى معنى الأسطورة، فهي في الشعر الملحمي المبكر عند هوميروس تعني ببساطة القول والحديث والتصريح. كما يتضح من عدة مواضيع وسياقات في الإلياذة جاءت في صيغة الفعل، واسم الجمع وخلال منتصف القرن السادس ق.م أصبحت الكلمة معبرة عن "القول المنثور" وتعددت المصطلحات وصارت تستخدم للتعبير الشفهي (الحديث) وفي كل أشكال الكتابة النثرية ثم تقلصت الكلمة خلال القرن 5 ق.م لتصبح تعبر عن الخيال أو القصص الخيالي الشعري القديم.³

¹ جودات، محمد (2013)، الواقعي والأسطوري في الثقافة الشعبية المغربية، أوراق مؤتمر فيلادلفيا الدولي السادس عشر، منشورات جامعة فيلادلفيا، الثقافات الشعبية دراسات في العادات والفنون والإعلام، مراجعة وتحرير صالح أبو أصبع، محمد عبيد الله، ص. 37.

² ابن منظور (2005) لسان العرب، لبنان، دار صادر، ط 4، ص. 162.

³ عبد الغني، محمد السيد محمد (2010)، "نظرة الأثينيين إلى الأسطورة"، مجلة عالم الفكر العربي، الأسطورة، المجلد 40 الكويت، ص. 7، 8.

" وكلمة Myth في الانجليزية و الفرنسية و غيرها، مشتقة من الأصل اليوناني Mythologia للدلالة على فن رواية القصص و بشكل خاص ذلك النوع الذي ندعوه اليوم بالأساطير، و منه جاء تعبير Mythology المستخدم في اللغات الأوروبية الحديثة"¹

فالميثولوجيا كما تبين لنا هي نتاج فني، و كل عمل فني قوي قادر على اجتياح كينونتنا و تغييرها إلى الأبد، و قد ادعى الناقد البريطاني جورج ستاينر George Steiner، أن الفن مثل أنواع خاصة من التجارب الدينية الميتافيزيقية، هو أكثر النداءات المتاحة اقتحاما و تحولا في تجربة الاختبار الإنساني إنها الطيش المتطفل والعدواني الذي يقتحم وسائل الخصوصيات النهائية من وجودنا إنها الإعلان الذي يقتحم بيتنا الصغير داخل كينونتنا الحذرة، بحيث لا يعود مسكوتا بالطريقة نفسها التي كانت عليها من قبل، إنها مواجهة متعالية تأمرنا بطريقة مؤثرة غير حياتك.²

وإن أتينا إلى المفهوم الاصلاحي للأسطورة، فقد تعددت التعاريف لهذا المفهوم الهلامي إذ يعرفها "مرسيا إيليا" أن الأسطورة تروي تاريخا مقدسا تروي حديثا جرى في الزمن البدئي، الزمن الخيالي هو زمن البدايات هي دائما سرد لحكاية خلق لا تتحدث الأسطورة إلا عما حدث فعلا، أما أشخاص الأساطير هي كائنات عليا نعرفهم بما قد صنعوه في الأزمنة القوية، ذات التأثير الفعال، وهي أزمنة البدايات فهي تكشف عن الفعالية البدعة لهذه الكائنات العليا و تميظ اللثام عن قدسية أعمالهم، فهي تصف مختلف أوجه تفجر القدسي أو الخارق في العالم."³

ويقول أن الأساطير تنبعث من حاجة دينية عميقة و توق أخلاقي و انضباطيات و تحديات تظهر في صبغة اجتماعية. ومتطلبات علمية وفي الحضارات القديمة البدائية فإن الأساطير دورا ضروريا إذ أنها تعبر عن المعتقدات أنها تشريع حقيقي للديانة البدائية والحكمة العلمية كما يقول مالمينوفيسكي،⁴

في حين فراس السواح يعرف الأسطورة على أنها "حكاية مقدسة ذات مضمون عميق يشف عن معاني ذات صلة بالكون والوجود و حياة الإنسان"⁵

¹ محمد، جوادات، مرجع سابق، ص. 37، 38.

² أرمسترونغ، كارين (2008)، تاريخ الأسطورة، ترجمة (وجيه، قانصو)، لبنان، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، ص. 132.

³ مرسيا، إيليا (1991)، مظاهر الأسطورة، ترجمة (نهاد، خياطة)، دمشق، دار كنعان للدراسات والنشر، ط1، ص. 10.

⁴ قسم الدراسات و البحوث في جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية (2009)، الأسطورة توثيق حضاري، دار كيوان، سوريا، ط1، ص. 23.

⁵ فراس، السواح (2001)، الأسطورة والمعنى دراسة في الميثولوجيا و الديانات المشرقية، دار علاء الدين للنشر و التوزيع، دمشق، ط2، ص. 14.

في حين أن قاموس الأنثروبولوجيا يعرف الأسطورة على أنها: " قصص تأسيسية يتناقلها أعضاء مجتمع من جيل إلى جيل منذ أقدم العصور"¹

في حين أن الأسطورة هي "منظومة ديناميكية تتوصل إلى التشكل كحكاية تحت تأثير نسق ما، فهي بداية تعقلن لأنها تستخدم سياق الرواية الذي تتحول فيه الرموز إلى كلمات و الأنموذجات إلى أفكار، و هي توضيح لنسق أو مجموعة من الأنساق، كما أنها تدعم عقيدة دينية أو مذهباً فلسفياً أو حدثاً تاريخياً أو رواية ملحمية"².

إن الأسطورة هي التاريخ الذي لا نصدقه، و أن التاريخ هو الأسطورة التي نصدقها، و الأسطورة ليس مجرد قصة خرافية، إن لها أساساً في الحقيقة فهي تشير إلى حقيقة معينة.

و إن كانت هذه الحقيقة ليست طبيعية و لا تاريخية، إنها حقيقة طقوسية، فهي ليست مرادفة للخيال أو الكذب كما أنها ليست مقابلة للواقع، فكما يرى "برونر" (Bruner) فإن قوة الأسطورة تتمثل في أنها تعيش على الخط الفاصل بين الخيال الجامع و الحقيقة الواقعة، فالأسطورة بالنسبة لمعتنقيها واقع و حقيقة لا يتطرق إليها الشك، و هي اعتقاد جماعي تكونه تجربة الإنسان . مع الطبيعة والكون إذن هي عمل رمزي خيالي إنساني فهي نتاج المخيلة الإنسانية."³

يعرف "عبد الرحمان بوزيدة" الأسطورة الجزائرية على أنها: " القصة التي تروى في شكل واقعي أو خيالي يصدقه الراوي أو لا يصدقه من أجل التأسيس لعقيدة أو عادة أو طقس أو كلها معاً، أو من أجل تبرير ضروب من السلوك والقيم وتفسير أصول الشعوب والجماعات والمؤسسات أو الظواهر الاجتماعية و الطبيعية تفسيراً لا ينتهي إلى التفسير التاريخي أو العلمي كما نفهمه اليوم على أن تكون متواجدة في منطقة أو أكثر من مناطق القطر الجزائري"⁴. يتضح من هذه التعاريف حول الأسطورة أنها نتاج انساني يحوي ماضيه المشحن بمجموعة الرموز الطقوسية، التي غذتها مخيلة ذلك الإنسان في تجربته مع الطبيعة .

إن الانسان تفاعل مع الطبيعة المحيطة به و اتخذ منها نسقا رمزياً يغذي اعتقاده الجمعي فنسجت مخيلته أساطير مع الشمس و القمر و أخرى مع الماء و الشجر، و أخرى مع الطير و الجبال و الحجر و غيرها و أضفت القدسية على كل تجربة خاضتها. و من خصائص الأسطورة الالزام و الذي يختصر في ما قاله دوركايم الضمير الجمعي الأخلاقي و التلقائية و التي أساسها التجربة العشوائية في سد الحاجات و اشباعها و

¹ بونت، بيار وإزار، ميشال، مرجع سابق، ص 68.

² دوران، جيلبير (2006)، الأنثروبولوجيا رموزها أساطيرها أنساقها، لبنان، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات، ط3، ص. 39.

³ شاكر، عبد الحميد (2018)، الحلم و الرمز و الأسطورة، مصر، نوستالجيا للإعلام و الترجمة و النشر، ط1، ص. 11، 12.

⁴ عبد الرحمان، بوزيدة (2005)، قاموس الأساطير الجزائرية، الجزائر، منشورات CRASC، ص. 14.

أنها غير مدونة: كونها تحتل الذاكرة الجماعية، و التي تتناقلها هذه الأخيرة بدقة متناهية فهي ليست بحاجة إلى التدوين والاستمرار و الثبات، كونها تنتقل عناصرها من جيل إلى آخر و تتميز بالثبات السني، في حين الجاذبية: إذ تكمن قوة جاذبيتها في استحوادها على جميع ممارسات و تصورات الأفراد و خاصة إذا تداخلت عناصر هذه الثقافة مع حدود المقدس، فإنها تعلقو و تبجل.¹

2-حمّام قرقور والولي الصالح سيدي الجودي أسطورة، تبرك، واستشفاء

يتأثر السكان المحليين بالحكايات والأساطير باعتبارهم ينتمون إلى نسق ثقافي معين، فهم يروون بدورهم على السياح الوافدين للمنطقة. فقبل التعريف بالولي سيدي الجودي والحكايات والأساطير المرتبطة به، كما لاحظنا سالفا لابد من التحدث عن بعض المفاهيم التي تتعلق بالولاية والأضرحة وغيرها.

أ- مفاهيم في الولاية والأضرحة.

- الولي: مشتقة من الولاية وهي في اللغة كما جاءت في لسان العرب لابن منظور: الولاية بالفتح في النسب والنصرة والعنق، والولاية بالكسر في الإمارة، والولاء في المعتق، والموالة من والي القوم، قال ابن كثير قال رسول الله ﷺ: "من كنت مولاه فعلي مولاه"، وقوله تعالى: [ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَمَمَوْلَى لَهُمْ]² وفي الحديث أيضا "من تولى قوما بغير إذن مواليه" أي اتخذهم أولياء له، وتولى الشيء، أي لزمه والولي أي الصديق والنصير، والولي ضد العدو ويقال منه تولاه وقوله عز وجل [فَتَكُونَنَّ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا]³ "وقوله أيضا، [اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا...]⁴ ولهم أي يتولى ثوابهم ومجازاتهم بحسن أعمالهم.

- والولاء: الملك، والمولى: المالك والعبد والمولى: الصاحب والقريب كابن العم وشبهه، والولي أي المولى، وتولاه أي اتخذته وليا وإنه لبين الولاة، والولية والتولي والولاء والولاية، والولاية والولي: أي القرب والدنو. والولاية في القرآن، قد وردت مرتين الأولى في قوله تعالى: [وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِّنْ وَلَايَتِهِم مِّنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا]⁵، والثانية في قوله: [هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا].⁶ في حين أن لفظة ولي مشتقة من لفظة الولاية، وقد استعملت لأجل وصف عباد الله، والله عز وجل لقوله: [أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ]⁷، وفي قوله تعالى: [وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ

¹ عبد الغني، عماد، مرجع سابق، ص.162،163،164.

² سورة محمد، الآية 11.

³ سورة مريم، الآية 45.

⁴ سورة البقرة، الآية 257.

⁵ سورة الأنفال، الآية 72.

⁶ سورة الكهف، الآية 44.

⁷ سورة الشورى، الآية 9.

نَصِيرًا¹، وقوله: [أَنْتَ وَلِيُنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ]²، وقوله: [إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ]³.

كما أن هناك علاقة بين الولاية والنبوة، إذ أن منتهى الولاية هو مبتدأ النبوة، فليس هناك بعد الولاية إلا النبوة سموا ورفعته، فالنبوة تعني أن الأنبياء والرسل ما جاءوا إلا ليكونوا حجة الله على خلقه، فلما أراد الله أن يبلغ الخلق بالندارة والبشارة أرسل الأنبياء بهذه المهمة فلما قبضهم الله تعالى أنطق قلوبهم بها بصلح سائر الخلق نيابة عنهم.⁴

أما الولاية في الحياة اليومية اتخذ الناس الأفراد الصالحين الذين بلغوا مرتبة التصوف، أولياء لهم وأصبحوا يتخذون أشكالاً من الممارسات الشعبية، المقترنة بأضرحة الأولياء، وعند الحديث عن التصوف، فإن هذه الكلمة مشتقة من الصفاء ونسبت كلمة الصوفي إلى الصوف، أي لبس الصوف، ويعني أيضاً العبد الزاهد والعابد والفقير (من خلال لبس الصوف كونه مظهر للفقير والزهد) ثم ليدل على ممارسة التطهر والتقشف والابتعاد عن مغريات الحياة والتحلي بالأخلاق الفاضلة وتجنب المزالق والقيام بالواجبات الشرعية والخلوة في ممارسة النشاط الروحي.⁵

- والأولياء في المعتقد الشعبي: هم بعض الصالحين الذين يتميزون بالتقوى عادة، ويظهرون من الكرامات ما يدل على جدارتهم بلقب الولاية، والأولياء على خلاف بعض موضوعات المعتقد الشعبي الأخرى، تتباين صورتها في نفوس الشعب وممارساتهم اليومية تبايناً كبيراً عن صورتها في العقيدة الدينية الصحيحة. فالدين الإسلامي لا يعرف شيئاً يقال له مقامات الأولياء سوى ما يكون للمؤمنين المتقين عند ربهم من درجات، وإنما يعرف الناس أن لهم قبورا، وأن قبورهم كقبور سائر موتى المسلمين يحرم تشيدها وزخرفتها وإقامة المقاصير عليها، وتحرم الصلاة فيها وإليها، والطواف بها، ومناجاة من فيها، والتمسح بجدرانها، وتقبيلا والتعلق بها، ويحرم وضع أستار وعمائم عليها وإبقاء شموع أو ثريات حولها.⁶ يتضح مما سبق أن الناس يتخذون قبور الأولياء الصالحين، مزاراً بحيث يبنون أضرحة لهم وتأخذ هذه الأضرحة حيزاً في نفوس الناس وفي حياتهم اليومية من خلال جملة الممارسات التي تترتب من زيارة ضريح الولي الصالح، ولعل أن الصلة الروحية التي تربط الناس بالولي، تتجسد في مفهوم البركة، والتي يعرفها "كليفورد غيرتز" على أنها "تعني في معناها العام حركة الهبة أو التعطيل الإلهي، أو هي نوع من قوة غير طبيعية أو نوع من الكهرباء الروحية وهي في الأخير

¹ سورة النساء، الآية 45.

² سورة الأعراف، الآية 155.

³ سورة المائدة، الآية 55.

⁴ ابن منظور، محمد بن مكرم (2005)، *لسان العرب*، ج15، بيروت، دار صادر، ط4، ص.284، 285.

⁵ شبي، عبد العزيز، مرجع سابق، ص.96، 97.

⁶ الجوهري، محمد (2006)، *مقدمة في دراسة التراث الشعبي المصري*، د بلد، دون دار النشر، ط1، ص.176.

عقيدة.¹ وبالتالي من هذا المنطلق اتخذ الناس لهم الأضرحة مزارات للتبرك والدعاء والطلب، وذلك بالنظر إلى الكرامات التي تصاحب هذه الفئة من الناس (الأولياء الصالحين)، وهي تختلف عما هو لدى الأنبياء والتي تكون معجزات.

يقترن الولي في المجتمع الجزائري عادة بما يعرف بالمرابط، "marabout" وقد أعطى العديد منهم تع أشخاص أتقياء يعيشون في بيوت منعزلة أو زوايا يزورهم الأهالي خاصة النساء لطلب الشفاء، وإنجاب الأطفال وأشياء أخرى. حيث يرى "غيرتز" أن كلمة مشتقة من ربط الجمل ووثق العقد والمرابط هو رجل مربوط ومشدود أو موثوق بالله ومنه جاء اسم مدينة الرباط عاصمة المغرب.² قد بين حمدان خوجة في كتابه المرأة كيف أن الأتراك منحوا المرابطين ثقة مطلقة مما وجب عليهم احترام هؤلاء المرابطين، ولم يكتف الأتراك بذلك فحسب بل صاروا يقدمون لهم أكبر الامتيازات وأتمنّها، وصارت أماكن سكنهم وأضرحتهم بعد الموت مقدسة، كما أن القانون لا يمس كل من لجأ إليها.³ هكذا كانت ظاهرة المرابطين في الجزائر على وجه الخصوص قد أخذت بشكل مباشر بالمعتقد والتصورات المجتمعية، وقد عبرت عليها مجمل الممارسات الطقوسية، الروحية والعلاجية التي كانت تقام بالقرب من المقامات والمزارات الخاصة بأضرحة الأولياء الصالحين.

والأضرحة هي صفة ملازمة للأولياء أو المرابطين إذ تشيد على مقابرهم ومراقدهم حيث تغطى بازارات وتكتب على أضرحتهم كتابات ويصبح المكان ذو دلالة رمزية عميقة لدى الأفراد ويكتسب صفة القداسة التي تضفيها سمعة ومكانة الولي صاحب المرقد، ثم يصبح المكان يضم جملة من الممارسات هي في مجملها روحية، علاجية، وطقوسية، والتي تتشكل من خلال الزيارات التي ينظمها الأفراد لهذه الأضرحة.

الضريح Mausoleum: إذن هو بناء شيد خصيصا ليضم جثمان ميت، واسم ضريح مأخوذ من اسم (موسولس) ملك (كاريا) في آسيا الصغرى الذي شيدت له أرملته في عام (350م) ضريحا بالغ الفخامة والروعة وتشيّد الأضرحة للموتى والملوك ورجال الدين منهم بخاصة ظاهرة منتشرة بين الشعوب البدائية والمتحضرة العابرة منها والحاضرة في حين أن المرقد أو المقام Shrine هو مبنى أو قبر أو مكان مدفون فيه شخص مقدس، كما يعبر عن مكان مقدس للاعتقاد بأنه مسكن لروح، وتحفظ في المقام ذي البناء المشيد أشياء مقدسة أو تقام فيه أو حوله الصلوات والاحتفالات الدينية وتقرب له القرابين وتتخذ الشعوب البدائية مقامات متنوعة

¹ غيرتز، كليفوردي (1993)، الإسلام من وجهة نظر علم الإناسة التطور الديني في المغرب وإندونيسيا، أبو بكر أحمد، باقادر (ترجمة) للكتاب

"الإسلام ملاحظا"، بيروت، دار المنتخب العربي، ط1، ص.51.

² المرجع السابق، ص51.

³ خوجة، حمدان بن عثمان (2006)، المرأة، الزبيري، محمد العربي (تعريب وتحقيق)، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغبة،

ص.72،73.

داخل المسكن نفسه.¹ ولما كانت الأضرحة والمرقد خاصة بالخوارق والأبطال والأنبياء والأولياء والصالحين كان لها أهمية كبيرة في حياة الإنسان البدائي بل وحتى في حياة الإنسان المتحضر إذ يعتقد أن ساكن الضريح يمكن أن يحقق أمنية أو طلبه أو يشفيه من مرضه.

سيدي الجودي المرابط أحد أولياء الله الصالحين سكن منطقة القرقور وذلك حسب ما جاءت به بعض الشهادات أن ذلك في العهد الاستعماري أمثال الدكتور "مازوكا" في الأربعينيات من القرن الماضي، شهدت المنطقة على يد هذا الرجل الصالح إنتشارا واسعا للدين والعلم والفقه، وقد نسجت الذاكرة الجمعية في منطقة القرقور حكايات وأساطير حول هذا الرجل الصالح حيث أقرنت به أسطورة تدفق الماء الساخن بحمام قرقور أو منطقة بني عجاب في السابق أو مدينة أديسافا منيسبيوم حيث تروي الأسطورة أن المنطقة أصابها زلزال في العهد الروماني غارت المياه بالمنطقة بعد ما كانت محطة حموية أهلة بالسكان حسب ما تمت الإشارة له سابقا، أتى المرابط الولي الصالح سيدي الجودي إلى المنطقة لنشر تعاليم القرآن فيقال أنه لم يجد هو وتلاميذه الماء للوضوء من أجل أداء فريضة الصلاة فقبل أنه دع ربه وضرب بعصاه الأرض فتفجرت منه عين ساخنة ومنذ ذلك الحين سميت العين باسمه وصار حمام معدني تقليدي يحمل أسم سيدي الجودي كغيره من الحمامات في الجزائر التي تقع تحت مسمى الولي الصالح بالمنطقة مثل حمام بوحجر حمام ملوان أو سيدي سليمان، وغيرها. إذا اقرنت الحمامات وخاصة المعدنية الحارة في كثير منها بمسميات الأولياء الصالحين وبركاتهم لتضاعف القيمة العلاجية لها في اعتقاد الأفراد وذلك بإرجاع الشفاء والاستشفاء لبركة الولي الصالح فتترتب عليه جملة من الممارسات وطقوس التبرك التي تمتزج بعملية ارتياد هذه الحمامات والتي غدت أساطير تعلق بها لتحفظ بها الذاكرة الجماعية وتتناقلها الأجيال. دفن سيدي الجودي بمقبرة بالمنطقة وسمية باسمه وعمرها يفوق 400 سنة حسب شهادات أهل المنطقة، يتواجد قبره والدي سيح بقضبان تحديدا لقبره غير أنه لا يشهد قبره تلكم الزينة والحفاوة التي تعرفها باقي الأضرحة كما هو معروف وحسب الملاحظات شاهدنا بقايا قليلة لآثار الشموع على قبره، كما كانت بشكل كثير حسب ما ورد مع المخبر 01 كما تم سرده لنا أن على قبره شجرة بالقرب منه وسخرة كبيرة كان الناس يزورون قبره ويمارسون الكثير من الممارسات الدينية والطقوسية ويقدمون وعدة سيدي الجودي اين يتم وضع المبالغ المالية الرمزية في ثقب بالصخرة ومع مرور الوقت حوربت هذه الممارسات الاعتقادية.

¹ عبد الرزاق، صالح محمود(2008)، "زيارة الأضرحة والمرقد ضريح عمر مندنان أنموذجا) دراسة اجتماعية طبية"، مجلة دراسات موصلية، العدد التاسع عشر، (ص.118-ص.148)، ص.122، 123.



صورة رقم 27: تبين لنا ضريح ومقبرة سيدي الجودي بالقرب من الحمّام

المصدر: من التقاط الباحث

كثيرا ما يكون لأثار الحناء و رائحة البخور المتصاعدة بركن من مدخل الحمّام والشموع التي أذابتها شعلة النار الهادئة التي تضيء زاوية ما بالحمام أثر بالغ في تشكيل جملة من التصورات لمرتادي الحمام، فهي صور شاهدة على أمنياتهم المختلفة من طلب لشفاء من الأمراض وطلباً للذرية والزواج وغيرها، فكان للحمام ومائه أن يكتسب القدسية التي يتحلى بها الولي الصالح، إلا أن الواقع العلمي يؤكد على حقيقة المياه المعدنية أنها تمتلك خصائص علاجية كثيرة وذلك لغناها بالعناصر المعدنية كالكبريت والصوديوم والكالسيوم والحديد وغيرها تساعد في استعادة الجسم المتعب والمتضرر من استرجاع اللياقة البدنية وحتى النفسية لما يحققه الحمام من متعة نفسية فتتعدد ممارسات الاستشفاء بالمياه المعدنية من تدليك ، علاج كهربائي، وإعادة تأهيل كهربائي... وغيرها أين يأخذ فيها الحمام الطابع العصري للاستشفاء فكان من الضروري استغلال هذه الحمامات المعدنية لصناعة السياحة العلاجية، فكثيرا ما تتميز هذه الأماكن بمقومات جذب إضافية للمياه المعدنية والتي تزيد من إمكانية الاستقطاب السياحي . إن السياحة العلاجية اليوم تعد أحد أهم الأنماط السياحية التي يفضلها السياح لأجل الحصول على مزاياها خاصة إذا ما تعلق الأمر بالحمامات المعدنية الحارة منها إذ أن خصائصها الكيماوية تعمل على المساعدة في الشفاء من أمراض مختلفة كالروماتيزم والأمراض التنفسية وأيضا الأمراض الجلدية ... وغيرها وذلك يرجع دوما إلى تركيبة كل ماء معدني.

وفي هذا الصدد سوف نعرض جملة التصورات التي يحملها الوافدين على حمّام قرقور وعلاقته بالولي سيدي الجودي.

3-تصورات مرتادي الحَمَام المعدني قرقور وممارساتهم الاستشفائية وعلاقتها بأسطورة الولي الصالح يقول أحد أهالي المنطقة:

"الحمام تاريخه أسطورة من 1500، جاو العلماء من الأندلس من إسبانيا تفرعوا العلماء على شمال، إفريقيا حتى أدغالها من بينهم سيدي الجودي هنا لأنه كان من العائلة الشريفة صحيحة النسب للرسول ﷺ كإبن الأولياء لي عندهم كرامات والمعجزات للأنبياء، يقولوا ملقاش الماء من أجل تسهيل الوضوء والغسل، ضرب أو حفر، كان المكان خالي، كي جاء سيدي الجودي بدأت الناس تجي لأنه بعد الزلزال صارت خراب فيها زوج ولا ثلاث عيلات فقط". (مقابلة 4)

في حين أن إمام مسجد وشيخ زاوية سيدي الجودي يقول في هذا الشأن:

"بخصوص سيدي الجودي عندنا معلومات بسيطة عليه حين جاء للمنطقة وإلى حد الآن رانا نبحتوا وحنا نملكوا حاجة قليلة عليه وثم بعثنا إلى تونس في عملية البحث، وجدنا أنه أخ سيدي راشد بقسنطينة الذي تواجد في فترة الباي مراد، تلقاي الضريح كعلامة تدل عليه في المنطقة زيدي عندك الزاوية، لما أسسنا الزاوية درنا سياج على قبره، كان يقال كذا وكذا، أنه ضرب بالعصى وكذا كلام يقال لكن شيء مدون غير موجود الحمام من بكري موجود مسمي بسيدي الجودي يتحمو داخل، والناس كما يجيو إلى الحمام يتحمو لقيمته العلاجية يقلك نزيدو نروحو إلى الضريح نزوروه" (مقابلة 5)

فيما يخص بعض مظاهر التبرك بالولي الصالح سيدي الجودي يضيف إمام المسجد وشيخ الزاوية أنه ومع مجيئه إلى المنطقة وتوليه الإمامة، قد شاهد بعض من مظاهر التبرك والتقرب بالولي الصالح سيدي الجودي، فيقول:

"خاصة كما جيت هنا كانوا مازالوا، كي يكون واحد مريض يجيبو الكباش يجيبو الصداقة والذبايح والماعز، وحد اليوم دخلت وجدت 11 رأس ماعز كانت وحد العادات كثيرة ومازالت لكن أقل حدة اليوم راجع للوعي الديني ولكن الإعتقادات مازالت الناس عندها إعتقاد يقولك الواحد نشفى كي جيت مع بابا كي كنت صغير، أو مع جدي، ناس عندهم النية، مازالت كايئة النية حتى ألي راحوا ولديهم، مزال عندهم حنين لهنا وحنين بالبزاف وحتى من خارج الولاية" (مقابلة 5)

وبالتالي فإن الاعتقاد في الولي الصالح قد كان واضح مع الحالات المدروسة خاصة منها التي تتوافد على الحمام التقليدي بذلك بشكل أكبر عن التي تتوافد عن كل من المركب المعدني ومركز الراحة للمجاهدين وعلى العموم هي حاضرة في الجوانبه الثلاث، وهذا ما أكده بعض مسيري الحَمَام التقليدي في مقابلة جماعية لهما بقولهما:

" مازالو يجيو، يزوروا، يديروا الحنة، شعلوا الشمع يمدوا الوعدة (الزيارة)، يزغرتوا يغنيو

يوميا، كل هذه الحيوط مطلية بالحنة، ويقولوا ببركة الولي الصالح سيدي الجودي"

ويضيف آخر:

"...مازالوا يديروا الحنة، يشعلوا الشمع هادي حاجة تقليدية ميستغناوش عليها"

في حين أن القابض بالحمّام التقليدي أكد على أن الحمام التقليدي لازالت تمارس فيه طقوس التبرك بالولي الصالح سيدي الجودي وأنه يشاهد يوميا ذلك، خاصة عند توافد الزوار من المناطق المجاورة، البرج، المسيلة وغيرها إذ يقول:

"...مازالوا الناس يأمنوا ببركة سيدي الجودي، مازالت التقاليد تاع بكري، مزال يديروا الحنة ويشعلوا الشمع والبخور... كل عام ندهنوا الحيطان، بصح يعاودوا ويديروا ذيك، الحنة والشمع والبخور، ومازالوا يعتقدوا أن بكري سيدي الجودي راحوا الأولاد ألي يقرأوا القرآن عندوا يتوضاوا ملقاوش الماء، فقلك غرس سيدي الجودي عصاه في الحجر تفجرت بالماء الساخن ومن ذاك صاروا الناس يقولوا ببركة سيدي الجودي".

وقد تبين ذلك - بعض الممارسات الطقوسية التبركية بالولي الصالح سيدي الجودي- من خلال ملاحظتنا التي أجريناها خلال الدراسة و التي تم تسجيلها على أيام متفاوتة كإشعال الشموع ، الحنة في كل من الضريح ومدخل الحمام ، وهذا ما يؤكد أن الاعتقاد به لا يزال حاضر في أذهان الناس وقد يكون سبب في توافدهم على الحمام .

صور تبين طقوس التبرك بالولي سيدي الجودي آثار الشموع والحناء حسب ما لاحظناه في زاوية من مدخل الحمام التقليدي للنساء



صورة رقم 28: تبين طقوس التبرك بالولي سيدي الجودي

آثار الشموع والحناء حسب ما لاحظناه في زاوية من مدخل الحمام التقليدي للنساء

المصدر: من التقاط الباحث

ويضيف أحد أهالي المنطقة بقوله

"سيدي الجودي جدنا أنا ولد سيدي الجودي، بديت أنا ثناش سنة قريت عندوا ستين حزب علمونا والدينا، كي تدخل للحمام، بابا قرا عندوا وأنا قريت عند بن عموا، أولاد سيدي الجودي هما سات (7) فامي كل واحد عندوا أصلوا كل واحد يدخل للقريبة إلا بأهلها، نجيو نتحموا هنا، كاين ليجان(الشباب)، يكفروا في الحمام نقلهم إلا جيتوا تداويو مشي هكذا، إذا لقيت الحمام ييزف الماء تاعوا يقولوا أو يسبح (يسبح بحمد ربه) قول بسم الله وخش داوي روحك". (مقابلة 2)

وتقول أحد المبحوثات والتي أصولها من المنطقة:

"وكنا حنا بكري أولاد سيدي الجودي منسلكوش أولاد سيدي الجودي المنطقيين بصح كي تنحات من يد الحكومة ولاو حكموه لبريفي ولينا نسلكو، كنا منسلكوش الناس يتبركو بنا، كي تقوليلو هذه من أولاد سيدي الجودي، عندنا الحصانة تاع ولاد سيدي الجودي فينا البركة فينا النية فينا الخير عندنا الزاوية لهنأ أنشاء الله يفتح علينا كامل لي في قلبو حاجة نشاء الله ربي يقضها لو" (مقابلة 2)

في حين مبحوثة من المناطق المجاورة للمنطقة تقول:

"الحمام فيه الدواء والبركة، أنا من أولاد سيدي الجودي كنا نجيوه على جال الدواء الواحد يتبع العوايد، منقطعوش العوائد هما الصبح (العادات) شوف ربي كيفاه خلق الماء، تعرفي كيفاه الماء جاي من عند ربي واحد ما يسخنوا واحد ما يديرلوا والله يبارك قاوي، من بكري نجي يديرو الحنة، يديرو الشمع، يدعيو، كاين بصح راحوا، كاين ألي يزغرتوا، واحد ينوي الخير، وضرك يضاربوا على الزغاريت ياخي النية، ويدعي للخير، بركة الماء، ربي إنشاء الله يقويمهم، ويزيد كثر من هكذا هي من الولي الصالح، واحد ما يسخنهم، واحد ما وبكري يقولوا الولي الصالح هو ضرب بالعصا بالبركة وربى يعاون إنشاء الله...الواحد يتبع العوايد...بكري يقولوا الولي الصالح ضرب بالعصا... (مقابلة 10)

وتضيف أخرى قاطنة بالمنطقة بقولها:

"...وقداسة المكان يقولوا الولي الصالح أنا نأمن بها، بالرغم من الدين..." (مقابلة 8)

وتضيف مبحوثة أخرى والتي أصولها من المنطقة تؤكد على أن المنطقة والحمام يحمل اسم الولي الصالح ويتمتع بحصانته لكن تؤكد على أن هذه الأمور الاعتقادية بالأولياء تكون أكثر تمثلا عند كبار السن عند آباءهم وأجدادهم في حين أن شباب اليوم تكاد تنعدم فتقول:

"هو صح أن الحمام سيدي الجودي الوالي الصالح هناك الزاوية والمسجد ألي كنت قريرت فيه القرآن بكري بصح بنات اليوم مبقاوش يشوفو في هاذ لحوايج، تلقاها عند الكبار". (مقابلة 1)

كما صح المبحوث بقوله:

"أمونسبري على علمي وفي العقلية تاعي الولي الصالح وبركاته، كايين لي راح للطبيب مرتاحش ولكن في العقلية تاعي الأولياء الصالحين هنا في القلب نأمن بالأولياء الصالحين الإنسان يجي بالنية، كايين لي يروح للطبيب مرتاحش مي أحنا نجيو لهننا، هي حاجة من عند ربي نشفاو وي إكزأكتموا هو مبارك، من بركة الولي الصالح"

ويضيف آخر بقوله:

"أنا نأمن به يشفي والوليا صالحين وبصح الماء يشفي أنا جيت أرتحت. هذه المنطقة يسميوها سيدي الجودي، راهم هدررو عليه في الإذاعة غير كما، من الساقية الحمراء، والي صح وخلي ذريتوا هنا وأنتاشرت" (مقابلة 3)

وتقول مبحوثة من الجزائر لكن أصولها من المنطقة مع أمها والتي هي في حالة صحية مرضية (تعاني صعوبة في الحركة) وقد جاءت إلى المركب المعدني لأجل العلاج.

"حنا نشوفوا أنه سيونتيفكموا الماء تاعوا مليح، بصح الأولياء تاعنا لي يشوفو أنه بركة الأولياء، تقول أمها مليح البركة، البركة، يقولوك صالحين، بصح علميا مليح، ومن الخلفية داخل في رأسنا في الإعتقاد هو حمام الصالحين، رغم هنا منحسولهاش، ومخملهاش كي نجبو نديرو صداقة لي معندوش نمدلوا مزال يديرو الحنة..." (مقابلة 9)

وخلال إجراء مقابلة لاحظنا أن أمها تؤكد على أنه حمام الصالحين وتردد: "بركة سيدي الجودي بركة حمام بركة". ورغم أنها كانت من زائري المركب المعدني حمام قرقور إلا أنها تحمل تصور حول الحَمَام بأنه حمام الصالحين.

يؤكد إطار بالمركب المعدني أن الاعتقاد تجيده عند الجيل الأول أكثر منه عند شباب اليوم وذلك في

قوله:

"الاعتقادات بالماء وبركة سيدي الجودي تلقاها على العموم في تروازيام مارچ، تلقاي العجايز والشيوخة تاع بكري حاكمين في الاعتقادات تاعهم، مي الشبيبة تاع ضرك، ما تلقهاش كايين قطيعة حتى بين الجيل ألي فات والأجيال هذه، قادر يكون وعي ديني لكن الاعتقاد عندهم ما بقاش"

إن أغلب الحالات المدروسة تحمل في تصورهما أن الحَمَام قرقور يحمل بركة الولي الصالح سيدي الجودي مهما اختلفت مستوياتهم الثقافية والتعليمية، لكن هناك بعض الحالات التي كان مستواها التعليمي

عالي قد تم تفسير قيمة الحمام تفسيراً علمياً بحتاً وهذا ما تأكد لنا مع المقابلة التي أجريناها مع بعض المبحوثات إذ تقول إحداهن:

"حكاولنا على سيدي الجودي، حمّام أولياء الصالحين ولكن نو نو)). وقد ضربت لي حكاية تؤكد عن رفضها القاطع للفكرة و فسرت لي عودة وجود الماء بالمنطقة تفسيراً علمياً خالصاً وقد أرجعت المنفعة الإستشفائية لمكونات الماء الفيزيو-كيميائية وتضيف العصا تاع سيدنا موسى". (مقابلة 13)

وهذا ما صرح به طبيب بالمركب المعدني حمام قرقور في مقابلة بقوله:

"أما علاقته بسيدي الجودي الولي الصالح تعد خرافة ما تقديش تأمني بها بلاك ديبلاسا بفعل الطبيعة، العصى هذه تاع سيدنا موسى يقدر يكون تغيير مساره".

وتضيف طبيبة بالمركب المعدني بقولها:

"ألي يحيي راه يقلك حمام البركة، رانا نعانيو معها يجيبونا الحنة، الجاوي والزعتر، ويقلك حنا جينا نحيو الريح والبرد، عندهم اعتقادات أنه بركة الولي الصالح مازالها كايئة يقلك جينا وبرينا، حنا نحربوهم رغم لوكوني ميدكال غالب مي بور شونجي توت لامونتاليتي سي أمبوسيل (أي تغيير الذهنية الإجتماعية صعب ومستحيل)، تدخل في اعتقادات المجتمع صعب من أنك تمحيها. لا جينيراسيوا ششونش كومام، بصح مزالت كايئة عند الكبار، كايين ناس يجيو من تلمسان من كل بلاصة يتحموا ويروحوا عند سيدي الجودي وسيدي الخير يزوروه".

من خلال عرض بعض هذه المقابلات التي قمنا بها مع المبحوثين بمختلف فئاتهم، اتضح أن الاعتقاد في الأولياء الصالحين وبركاتهم لازال حاضراً ليس بنفس القوة التي كان بها في أوقات ماضية ولكن هو مستتر في المخيلة، وقد يرجع ذلك إلى الوعي الديني وأمور أخرى، وهي أكثر حضوراً عند أهل المنطقة وأيضاً للوافدين على الحمام التقليدي في حين أننا نجدها أقل بروزاً في المركب، كون أن المركب من الوافدين عليه هم من ذوي مستوى ثقافي جيد أو عالي وحتى المستوى الاقتصادي وذلك قد يجعلهم أكثر خصوصية أين تتجسد في الحمام الحديث كونه يتضمن عرف للاستحمام فردية إضافة إلى إتاحة الفرصة أمامهم للاستفادة من العلاجات المتوفرة به، ولكن تبقى الاعتقادات موجودة وذلك بالعودة إلى تصريحات المسؤولين في المركب المعدني، وحتى مركب الراحة للمجاهدين كما أقر به أحد المبحوثين بصفته موظف بمصلحة الاعلام بمركب الراحة للمجاهدين علماً أن هذا المركز يستقطب فئة معينة هم فئة المجاهدين:

"...كايين ألي يجو بزاف من منطلق الاعتقاد بالولي الصالح سيدي الجودي كايين إلى يجيب بنتو هنا باه يزوجها معتقد في رأسوا، حتى أنهم كي يتحموا تسمعي الزغاريت النساء، أحنا مانعين عليهم هذي الأمور ولكن كايين الحنة، الزغاريت، والبركة في الماء، كايين ألي داير أنوا يرتاح، ببركة الولي

الصالح، وهي تاع الماء نافع ولكن هو يعتقد أنه الولي الصالح يشفيه، وكبر عليها مضنيتش أنه تروح من راسهم حتى وأنه راح إلى النازا ويرجع يقلك ببركة سيدي الجودي"

خاتمة

لظالما كان الحمّام رمز الطهارة والنقاء، فضاء للمتعة والعناء وفضاء لعقد اللقاءات وتبادل المعارف، هو شاهد على إحياء المناسبات منها الأفراح والأقراح، فضاء يستحضر فيه طقوس وممارسات متعددة، يحمل الناس مخيلة خصبة حوله وتختلف فيه الممارسات والاعتقادات وترتسم لديهم تمثلات جمعية منها وفردية طالما كانت محددًا هامًا لكل ممارسة يحتضنها فضاء الحمام، كما أن هذا الأخير قد يرتبط بالمقدس فيكتسي صفة القدسية فيجمع بين المتناقضين في آن واحد هذا كله قد يتوارى خلف جدران مبنى يسمى الحمّام. حالت بنا الدراسة إلى الغوص في هذه القضايا التي يكتنفها فضاء الحمام باعتباره فضاء سوسيو ثقافي وأنثروبولوجي بامتياز لأجل الكشف عن جملة التمثلات التي يحملها الوافدين على حمام قرقور المعدني في كثير من الزوايا والعلاقات لنقف على حقائق تفسر الاقبال عليه وتكشف لنا صورا متباينة يمكن سردها كآتي:

- يحمل الحمام رمزية لدى مرتاديه حيث أنه يرمز ماءه للبركة والأولياء والصحة والشفاء من الأمراض العضوية والنفسية والاجتماعية.
- حمام قرقور له دور في الحياة الاجتماعية لدى الأفراد إذ أنه فضاء يجمع بين متعة الاغتسال وفرصة اللقاء والبحث عن الصحة والجمال.
- انه فضاء للاستشفاء من الأمراض مهما اختلفت عند الناس فإن حمام قرقور وحده القادر على تحقيق الشفاء بفضل مياهه المعدنية التي صارت مقدسة عندهم.
- حمام قرقور أو حمام سيدي الجودي استلهم هذا الفضاء القداسة من قداسة الولي الصالح سيدي الجودي عند الناس أين أصبح الحمام يستشف فيه الناس ويكون لمفهوم البركة نصيب على الماء وآخر للجدران.
- يحتضن حمام قرقور مخيلة طقوسية خصبة بالممارسات التي تضمنت التبرك بالماء واشعال الشموع وطلبي الحناء والزغاريد وتقديم الوعدة طلبا لشفاء والذرية والزواج والفرح وتحقيق السعادة.

الفصل الخامس

حمّام قرقورتعايش بين العلاج الحموي

والممارسة السياحية

مقدمة

تجاوز الحمام حدود الممارسة الشعبية ليصبح فضاء تعايش فيه مختلف المظاهر الاجتماعية والثقافية ويكون عملة لوجهات متعددة، وجهة للاستحمام وللاتقاء ووجهة للعلاج والاستشفاء وأخرى للترفيه والاسترخاء. وتجتمع كل هذه المظاهر والممارسات وكل ما يرتبط بها من أشكال تعبيرية ورمزية فتحتضنها ظاهرة اتسمت بتعقيدها واتساع حدودها العلمية ألا وهي السياحة، حيث يشكل الحمام مقوم تراثي هام لقيام النشاط السياحي والذي يلتقي فيه الاجتماعي والثقافي والاقتصادي والسياسي والقانوني والتكنولوجي وغيرها من المجالات.

أفرز التعايش بين الحموي والسياحة نمطا سياحيا هاما يعتمد بالأساس على المياه المعدنية الحارة وهو السياحة الحموية أو العلاجية الاستشفائية اين تحولت الممارسة التقليدية من استخدام المياه وبعض العقاقير في الاستشفاء إلى ممارسة حديثة وعلمية لها قوانينها وضوابطها وتدخل حيز السلع والخدمات. تُقبل على ممارسة السياحة الحموية فئات مختلفة لما توفره لهم من خدمات في الاستحمام والعلاج والاستجمام والترفيه واسترجاع اللياقة البدنية والعناية بالصحة سوف نعرض في هذا الفصل كل ما يتعلق بالسياحة الحموية كنشاط معتمد من طرف وزارة السياحة محاولين الكشف عن تصورات مرتادي المحطات الحموية "حمام قرقور" حول ممارسات العلاجية وممارسة الضيافة وكل ما ينتج من ممارسات أخرى في هذا الفضاء السوسيو ثقافي.

أولاً: السياحة العلاجية تعایش بين الصحة والسياحة

1- تعريف السياحة العلاجية

يعرف (bennet.et. al.2004) السياحة العلاجية بأنها نشاط ممتع مريح يدخل السرور إلى نفس السائح ويربّحه من المرض والإجهاد والتعب والتوتر.

كما يراها (Henderson , 2004) بأنها السفر بهدف الحصول على معالجة طبية ذات جودة عالية، وتحسين الصحة العامة سواء كان ذلك من خلال الانغماس والتلذذ بالحمامات المعدنية والعلاج البديل، أو إجراء الفحوصات الطبية العامة والخضوع للعمليات الجراحية في المشافي خارج حدود الوطن.¹

وهذا التعريف يركز على العلاج وتحسين الصحة العامة سواء كان ذلك بالعلاج البديل كالحمامات المعدنية أو العلاج الحديث من خلال الفحوصات والعمليات الجراحية.

في حين يعرف الاتحاد الدولي للمنظمات السياحية (luoto) عام 1973 سياحة الرعاية الصحية على أنها توفير المرافق الصحية للاستفادة من الموارد الطبيعية في البلد، وخاصة المياه المعدنية والمناخ، حيث أن هذا التعريف خصص بالمياه المعدنية والمناخ، وذلك من خلال توفير المرافق الصحية للاستفادة من منافع المياه المعدنية والمناخ.

في حين يعرفها (Carrera and Bridges , 2006) أنها السياحة العلاجية جزء من السياحة الصحية والتي تعرف بأنها السفر المنظم خارج البيئة المحلية لتحسين الصحة العقلية والجسدية. يركز هذا التعريف على أن السياحة العلاجية تكون وفق سفر منظم نمو خارج البيئة المحلية وذلك بغرض تحسين الصحة العقلية والجسدية.² يركز هذا التعريف على أن السياحة العلاجية تكون وفق سفر منظم نحو خارج البيئة المحلية وذلك بغرض تحسين الصحة العقلية والجسدية.

يعرفها "كلاوس كولنيتات وألبرت شتاينيكه" على أنها "تشمل أشكال المرتبطة بالمهنة والعلاج والسياحة المهنية وسياحة النقاهاة وكذلك كل أشكال السفر الحر الذي يهدف إلى الاستجمام والترفيه بالمفهوم العام".³

¹ شريتي، أولغا (2010)، بناء المنظمة المتعلمة كمدخل لخلق السياحة العلاجية في سوريا دراسة ميدانية مقارنة، رسالة مقدمة لنيل درجة

الدكتوراه في قسم إدارة الأعمال، جامعة حلب، ص.45.

² العبيسات، زياد سليمان، مرجع سابق، ص.23.

³ زايد، مراد و تويّة، بلقاسم، مرجع سابق، ص.172.

عرفتها هيئة السياحة العلاجية في كوستاريكا على أنها " تعني سفر المرء من بلده إلى أجزاء أخرى من العالم بحثاً عن علاج طبي جديد خاص به ".¹ ويخص هذا التعريف كل مسافر خارج بلده باحث عن علاج طبي تتلاءم وحاجته الصحية فركز هذا التعريف على الهدف من السفر دون الجوانب الأخرى.

في حين تعرف السياحة العلاجية على أنها "الانتقال المؤقت للأفراد إلى أحد الأماكن التي تتوفر بها مستشفيات متخصصة ومتميزة أو إلى منتجات استشفائية تتوفر فيها العلاج باستخدام الموارد الطبيعية كمياه المعدنية الساخنة أو الشمس أو خصائص مناخية معينة أخرى".²

ركز هذا التعريف على السياحة العلاجية في العديد من جوانبها، كتوفر المستشفيات المتخصصة، وكذلك المنتجات الاستشفائية وذلك بالموارد الطبيعية كالمياه المعدنية الحارة، أو أشعة الشمس والطقس وخصائص مناخية أخرى مختلفة، وعليه يتم السفر بشكل مؤقت للاستفادة من هذه الخصائص العلاجية، وعليه فإن هذا التعريف فصل نوعاً ما في ذلك أنواع السياحة العلاجية وتنوعها. كما تعرف أيضاً على أنها: " تتمثل أساساً في زيارة الحمامات المعدنية أو التداوي بالرمال في الصحراء، أو التنقل إلى المستشفيات ذات طابع خاص أو إلى غير ها من الأماكن قصد العلاج أو الراحة النفسية في الأماكن البعيدة عن الضوضاء مثل الجبال والغابات".³

خص هذا التعريف السياحة العلاجية في كونها أساساً تتمحور حول زيارة الحمامات المعدنية أو التداوي بالرمال، أي السياحة العلاجية الطبيعية وذلك بالمقومات الطبيعية العلاجية، وأيضاً خص بشقها الثاني فيما يخص السياحة العلاجية الاصطناعية أو الطبية والتي تتضمن المستشفيات الخاصة وبعض الأماكن الأخرى وذلك قصد العلاج وطلباً للراحة النفسية أي الراحة الجسدية والنفسية التي تحققها بعض الأماكن البعيدة عن الضوضاء مثل الجبال والغابات، وعليه فإن للمقومات الطبيعية دور كبير في تشكل السياحة العلاجية وزيادة الجذب السياحي.

في حين عرفها كل من "ميل وهموريسون" بأنها "السفر من أجل إشباع حاجات الفرد الوقائية من خلال الاهتمام بالجسم والعقل، وذلك لحماية أجسامنا والحفاظ على إستمراريته بقائه".

¹ ريوقي، سليمة، مرجع سابق، ص. 238.

² بن أشنهو، سيدي محمد، وقصاص، زكية، مرجع سابق، ص 97.

³ زايد، مراد وتوينزة، بلقاسم، مرجع سابق، ص. 172.

كما عرفها كل من Abeles و Kipnis بأنها الظروف الاجتماعية والنفسية والطبيعية ووسائل أخرى كثيرة تستطيع أن تحقق الصحة السلمية للإنسان.¹

ركز التعريف الأول على الدور الوقائي للسياحة العلاجية، إذن أنها تعد السفر من أجل إشباع الحاجات الوقائية للفرد وذلك في الجوانب الجسمية والعقلية، لأجل الحفاظ على الجسم واستمرارية بقاءه، في حين أن التعريف الثاني خصص على أنها كل الظروف الاجتماعية والنفسية والطبيعية أي كل الإمكانيات الاجتماعية والنفسية والطبيعية وبعض الوسائل الأخرى التي تسخر لأجل تحقيق الغاية الصحية للإنسان، وعليه قد اهتم بالمقومات والإمكانيات المختلفة التي تقوم عليها السياحة العلاجية والتي تحقق الغاية الصحية للإنسان.

كما تعرف على أنها: السياحة لتلقي السياح العلاج في المصحات أو إلى مناطق وجود الينابيع الكبريتية.²

غير أن حسن رجب يعرفها على أنها ص السفر إلى المناطق المشهورة باستعداداتها بالمستشفيات والمصحات، ودور العلاج لأنواع معينة من الأمراض، كأمراض الصدر والكبد والروماتيزم وغيرها، مثل مني كاتيني بإيطاليا، وفيشي وإديفيان بفرنسا، وحلوان بمصر.

في حين عرفها صلاح عبد الوهاب على أنها "السياحة التي يكون الهدف منها العلاج، أو النقاهاة، أو دخول المصحات المختلفة للعناية بالصحة العامة أو ارتياد الأماكن التي تتمتع بخصائص شفاءية معينة مثل: ينابيع المياه المعدنية أو الكبريتية وحمّامات الطين أو الرمل المشع، أو نافورات المياه الساخنة".³

ركز التعريف الأول على أن السياحة العلاجية تعني السفر إلى مناطق ذات شهرة سياحية وذلك باستعداداتها من حيث المستشفيات والمصحات ومختلف الدور التي تهتم بعلاج أمراض معينة، كأمراض الصدر، والكبد والروماتيزم وخص بذكر بعض المناطق المشهورة في العالم إما في إيطاليا، فرنسا، ومصر وعليه قد خص هذا التعريف كثير من الجوانب في السياحة العلاجية، وخص بذكر بعض الأمراض التي يتم علاجها وكذلك بعض المناطق ذات الشهرة في هذا المجال.

في حين أن التعريف الثاني ركز مباشرة على الهدف من السياحة العلاجية وهو العلاج أو النقاهاة أو العناية بالصحة العامة من خلال ارتياد السائح للأماكن التي تتمتع بالخصائص الشفاءية منها كالينابيع للمياه المعدنية أو الكبريتية أو حمّامات الطين، والرمل المشع وكذا المياه الساخنة، وفي هذا التعريف ركز على السياحة الحموية بكل أنواعها بغرض العلاج والنقاهاة من خلال الينابيع المعدنية والحارة والكبريتية

¹ عدلي أنيس، سليمان (2009)، *السياحة العلاجية في مصر والعالم*، دراسة جغرافية كلية الآداب، جامعة القاهرة، ص. 4.

² بن شريف، كريمة ورايس، عبد الحق، مرجع سابق، ص. 112.

³ عدلي أنيس، سليمان، مرجع سابق، ص. 4.

حمامات الطين، والرمل أي كلها تعد مقومات طبيعية استشفائية، فاستثنى هذا التعريف السياحة العلاجية الطبية المرتكزة على المشافي والمصحات الطبية المتخصصة.

تعرفها " سعاد عمران " بأنها حركة مؤقتة للسائح (المريض) الذي يسافر لغرض العلاج، سواء كانت طبية أو استشفائية لمعالجة مرض معين أو للاسترخاء وهذه الحركة تكون طوعية أو بسبب توصية طبيب.

في حين يميز (الجلاد، 2000) بين السياحة الطبية والسياحة العلاجية والسياحة الوقائية على النحو التالي فالسياحة الطبية هي السفر لغرض العلاج من مرض معين أو للقيام بعملية جراحية تحت إشراف طبي في المستشفيات أو المراكز الطبية، أما السياحة العلاجية فهي السفر لغرض العلاج من مرض معين أو للنقاهة تحت إشراف طبي، وذلك باستخدام الموارد الطبيعية مثل الحرارية المعدنية والينابيع والبحيرات المالحة والطين والرمل المشعة واستغلال العوامل المناخية في العلاج، أما السياحة الوقائية فهي السفر لغرض الاسترخاء والتمتع بها، والترفيه هرباً من التوترات اليومية، في أي منتج صحي، وليس لديه أمراض محددة".¹

ركز التعريف الأول على أن السياحة العلاجية هي السفر مؤقت للسائح المريض وهذا يميزها إذ يحدد فئة مرتادي السياحة العلاجية هم مرضى طالبي للشفاء، والعلاج، كما أشار التعريف إلى أن كانت طبية، أو استشفائية أو الاسترخاء وهي التي يقصد بها الوقائية والتي تكون طوعية من طرف المريض أو بتوجيه من الطبيب وعليه أنه تم الإشارة في هذا التعريف إلى أنواع السياحة العلاجية وبدون تفصيل في حين التعريف الثاني فقد تم التفصيل في أنواع السياحة العلاجية فالطبية، ويقصد بها العلاج في المستشفيات لأجل العلاج والجراحة وتحت إشراف طبي، في حين السياحة العلاجية هي من أجل النقاهة والعلاج وذلك باستخدام الموارد الطبيعية وخصائصها العلاجية مثل الينابيع المعدنية والحرارية، والبحيرات المالحة، والطين والرمل المشعة وكذلك العوامل المناخية، في حين السياحة الوقائية في غرض الاسترخاء والتمتع بها وللترفيه، ولأجل التخلص من توترات الحياة اليومية وذلك في منتج صحي من دون مرض معين.

إن ما يميز هذا التعريف أنه ميز بين أنواع السياحة المتعلقة بالمرض والعلاج الطبية المتخصصة، والعلاجية للنقاهة والاسترخاء والوقائية للترفيه والاسترخاء وكل واحدة.

يرى (Levett , 2005) بأنها قيام مواطني الدول الغنية بالسفر إلى الدول الفقيرة للمعالجات الطبية الجراحية والسنية والاستشفائية وتحسين اللياقة العامة، بتكلفة رخيصة وبأيدي ماهرة خيرة وعلى نمو مماثل يعرف

¹ العبيسات، زياد سليمان، مرجع سابق، ص.23.

(Commell , 2006) السياحة العلاجية بأنها " قيام الأفراد بالسفر، لمسافات بعيدة ما وراء البحار للتلقّي معالجات طبية تجميلية، والتمتع بالأماكن السياحية التقليدية الموجودة في البلد المضيف .

كما يعرفها (Caballero et mugomba , 2006) بأنها سفر السائح إلى خارج نطاق حدود أو مدنه أو بيئته المعتادة.

وعليه فإن السياحة العلاجية : هي كل الممارسات السياحية التي تهدف بالأساس إلى العلاج و إعادة اللياقة البدنية و النفسية من خلال توفر جملة الظروف الاجتماعية و النفسية و الطبيعية التي ينتقل إليها الفرد إلى مكان تواجدها خاصة بالحمامات المعدنية . (حمام قرقور نموذجاً) و التي تتمتع بخصائص علاجية استشفائية تساعد على شفاء العديد من الأمراض كالروماتيزم، الأمراض الجلدية و التنفسية، و النسائية وغيرها.

2-نشأتها:

تعود ظاهرة الممارسة العلاجية السياحية إلى الماضي البعيد، وذلك حسب ما أثبتته الدراسات الطبّيعية في هذا المجال، وباستعراض تاريخ العلاج بالمياه المعدنية نلاحظ أنّ ارتباط الإنسان بالمياه المعدنية كان بهدف ديني وصحّي في آن واحد، حيث كان الناس يعتقدون بأنّ المنابع المعدنية هي أماكن مقدّسة، وكانوا يظنّون أنّ الأثر العلاجي لهذه المياه يأتي من قوى ربّانية خارقة للطبيعة، وهكذا كان الاعتقاد في أنّ المياه تُعدُّ بمثابة إله الذي يُحقّق الشفاء للمرضى، ولذلك عبد الناس الأنهار مثلما كان الأمر في الأزمنة الغابرة¹.

وكما تمّ عرضُهُ في الصّفحات السّابقة فإنّ الحمّامات كانت المكان الذي يشهد على مُمارسات الأفراد للمياه الحارّة، وذلك حين تتبّعنا تاريخ نشأة الحمّامات ومُمارساتها، كما أنّ الاعتقادات السّائدة في ذلك الوقت كانت مرهونة بالطّابع الطّقوسي السّحري الذي يُعطي تفسيرات غيبية للمياه الحارّة وقُدرتها العلاجية، وهذا ما قد تطرّقنا له في كلّ من التّراث الحموي، ورمزية الحمّام ومُجمل الممارسات الطّقوسية المُصاحبة لارتياح الحمّام.

أ- السّياحة العلاجيّة في العصور القديمة والوسطى.

كان دافع الحِفاظِ على الصّحة سببا وراء انتقال السّياح من موطنهم إلى الأماكن السّياحيّة العلاجيّة، وبخاصّة العيون المعدنية، قصد الاستشفاء من الأمراض، وقد تطوّرت الممارسة السّياحيّة العلاجيّة، حيث مرّت بعدة مراحل تاريخيّة، فهي ممارسة تقليديّة قديمة ضاربة في عمق التّاريخ، حيث عرف الفراعنة هذا

¹ بوزرب، خير الدين وعريس، عمار (2017)، "تنمية السّياحة العلاجية كمدخل لتطوير القطاع السّياحي قراءة في بعض التّجارب الدّولية الرّائدة مع إمكانية استفادة الجزائر منها"، ملتقى القطاع السّياحي في الجزائر الواقع والمأمول، ص.4.

النّمط من السّياحة، وقد اشتهروا بالتّطبيب، والذي كان متطوّراً آن ذاك، حيث ذكر "هيرودوت" أنّ الأطباء المصريين كانوا يُمارسون وظيفتهم، وقد برز التّخصّص في مجال الطّب ليشمل فروعاً كثيرة منه، كما جاء في الدّراسات الطّبيّة الفرعونيّة، التي تُقرّ بخبرة الأطباء في تحضير العقاقير الطّبيّة ومسمّياتها، والكميّة المناسبة للعلاج، وكيفيّة العلاج، منها،

- بردية كاهون، وتعود إلى الأسرة الثانية عشرة أو الثّالثة عشرة (1900 ق.م)، تختصّ بأمراض النّساء والولادة.

- بردية أدوين سميث تعود إلى (1550 ق.م)، تختصّ بكيفيّة علاج الجروح والكسور والأورام

- بردية إيبس يعود تاريخها إلى 1550 ق.م تختصّ بتحنيط الموتى وبعض الأمراض الباطنيّة والمسالك البوليّة، وتحتوي 811 وصفة.

_ بردية هرست وتعود إلى 1550 ق.م، وتحتوي 260 وصفة طبيّة.

_ بردية برلين المتواجدة في متحف برلين، والتي تضمّ 170 وصفة طبيّة، إضافة إلى بردية هرست فإنّها تحتوي على الأمراض التي كانت منتشرة آن ذاك، مثل الأمراض الباطنيّة، والجسديّة، والعصبية، وأمراض النّساء، والعيون، والقلب، والاستسقاء، والأورام، والجروح، وسقوط الشّعير.

_ بردية كالرلنبرج، والتي تعود إلى 1200 ق.م، والمحفوفة في متحف كوبنهاجن.

_ بردية شستر بيتي، وهي محفوظة بالمتحف البريطاني، وبها وصفات لعلاج الرّبو والمستقيم.¹

قد عرف الإغريق أيضاً الخصائص العلاجيّة للعيون المعدنيّة، وكان العلاج آن ذاك يتمّ من خلال الاستحمام والتمرينات ونظام خاصّ بالطّعام.² وبالرّغم من أنّ التّاريخ أثبت أنّ الحضارة الفرعونيّة قد عرفت هذا النّمط من السّياحة كما اتّضح سابقاً، إلا أنّ الكثير من الدّراسات تعتبر أنّ الرّومان هم أول من عرف السّياحة العلاجيّة، ونذكر على سبيل المثال "إدوارد ميلز" و"هولوواي" و"دونالد" الذي يرى أنّ السّفر من أجل الاستشفاء عُرف منذ 200 ق.م، وهذا ما أدّى إلى امتداد الإمبراطوريّة الرّومانيّة من بريطانيا إلى مصر وغيرها من البلدان العربيّة، خاصّة منها شمال إفريقيا والجزائر بالخصوص، وكان بدافع استغلال المياه الحمويّة الاستشفائيّة، وكذا زيارة الأماكن المقدّسة.³

وخلال عهد الإمبراطوريّة الرّومانيّة اقترنت المنتجعات العلاجيّة بالينابيع والحمامات والتي كانت واسعة الانتشار، ففي إنجلترا كان كلّ من "باث"، و"بوكستون" Bath & Buxton مركزين هامّين للسّياحة العلاجيّة، حيث جعل الرّومان من الاستشفاء بالحمامات المعدنيّة فناً ونظاماً متكاملًا، لكن كان لظهور

¹ عدلي، أنيس سليمان، مرجع سابق، ص. 8، 9، 10.

² عدلي، أنيس سليمان، المرجع السابق، ص. 10.

³ عدلي، أنيس سليمان، المرجع السابق، ص. 10.

المسيحية آنذاك تأثير سلبي على هذه الممارسة، حيث فقدت هذه المراكز الاستشفائية أهميتها، لما كان يُنظر إليها على أنها أماكن للعبث والاختلاط، فانقرضت عادة الاستحمام الطبي التي كانت سائدة في العصور الوسطى، ليعود ظهورها في عصر النهضة، والتي أصبحت تُعرف بـ "منتجعات العيون المعدنية" Spas، وهي كلمة مشتقة من الكلمة البلجيكية Espar وتعني "النافورة"، وذلك نقلا عن مدينة "سبا" Spa في بلجيكا واكتشفت هذه العين في سنة 1326م، حيث كانت الأمراض الروماتيزمية أشهر الأمراض التي كانت تُعالج في المنتجعات الاستشفائية الرومانية، فعملوا على وضع المريض في حمّامات من الطين لفترات زمنية معينة، والتي كانت سببا في شفاء المريض.¹

كما عرف الفراعنة واليونان والإغريق وغيرهم من الشعوب، أهمية الإشعاع الشمسي، تمّ استخدام هذا الأخير في علاج الأمراض الجلدية، حيث أمر "حمورابي" الملك البابلي كهنته باستخدام الإشعاع الشمسي في علاج الأمراض في عين هيرودوت، فقد عرف كيف يستخدم هذه الطريقة في العلاج، واشتهر بها حتى لقب بـ "أبي العلاج الشمسي"، ولم يتوقف ذلك فقد كانت حمّامات الشمس في العصر اليوناني ذات شهرة كبيرة، بحيث كانت المنازل تحوي غرفة تُدعى بغرفة المشمس Solria، وهي غرفة تسمح بالتعرّض للشمس، وكانت تفيد هذه الطريقة للعلاج من الأنيميا، والعجز، والربو، ومرض الصّفاء، وسوء التغذية، والسمنة. انتشرت منتجعات المياه المعدنية العلاجية في كامل ربوع القارة الأوروبية وبعدها في بريطانيا. كانت السياحة العلاجية لا تخرج عن نطاق الحمّامات التي أقامها ملوك الحضارات القديمة في القصور أو في حُدود ممالكهم هي ينابيع مياه حارة أو معابدهم، كان المرضى يقصدونها طلبا للعلاج وبطرق روحانية واعتقادية، لكن مع ظهور الثورة الصناعية، أصبحت السياحة العلاجية حكرا على طبقة النبلاء وأغنياء المجتمع، فقد كانت لهم ملجأ للراحة فأقاموا بها فنادق ضخمة وفخمة، وبعد الحرب العالمية الثانية تحسّنت أوضاع المعيشة وزاد إقبال الناس على هذا النوع من السياحة.²

ب- السياحة العلاجية في العصر الحديث ما بين (القرن 16، و19).

كان يوجد 12 منتجع مياه معدنية في أوربا، بالإضافة إلى 2 منها في بريطانيا وذلك في أواخر القرن 16م، حيث عُرفت "بات"، و"بوكستون" كمنتجعات الفقراء وذلك بعد صد صدور قانون إسعاف الفقراء وإعانتهم عام 1572م، في حين شهد القرن 17م، و18م نموّا في عدد المنتجعات والعيون والينابيع المعدنية، والتي كان يقصدها أغنياء المجتمع (الطبقة الحاكمة والأرستقراطية في أوربا)، وقد ارتبط تغييرها بحال الظروف السياسية، وكذا تغيير الذوق الاجتماعي من جهة أخرى، فقد كانت تقترن بأسماء الحكّام آنذاك.³

¹ عدلي، أنيس سليمان، المرجع السابق، ص. 10، 11.

² عدلي، أنيس سليمان، مرجع سابق، ص. 11.

³ عدلي، أنيس سليمان، المرجع السابق، ص. 11.

ففي إنجلترا ارتبطت مثلا Tunbridge Wells باسم "شارل الثّاني"، وارتبطت Badisbel بالإمبراطور فرانسو جوزيف، أمّا في مصر كانت "حلوان" كمصحة للخديوي إسماعيل، وهذا ما يبيّن دور هذه الأماكن في الأمور السياسيّة، حيث كانت نقطة التقاء الحكّام والزّعماء السياسيّين¹، وفي الجزائر كانت الينابيع والحمّامات المعدنيّة قد اقترن اسمها بأسماء الأولياء الصّالحين، وبعض الأساطير منهم حمّام "بوحجر"، حمّام "ملوان"، وحمّام "ربي"، وحمّام "سيدي الجودي"... وغيرها.

كان القرن 18 هو العصر الدّهبي للعيون المعدنيّة في أوربّا، ليستمرّ في التّوسّع والانتشار خلال القرن 19م، بسبب الثورة الصّناعيّة في أوربّا، وتوسّع شبكة النّقل والمواصلات، وكان الموسم السياحي هو الصّيف رغم عدم الانقطاع في باقي الفصول، كما أرفق لها بعض الخدمات والتسهيلات التي زادت من نشاطها، وطاقة استيعابها للسياح، حيث يصف "جمال حمدان" هذه المدن على أنّها: "مدن أنيقة تمتاز بالنّظافة والرّوعة والحدائق والغابات الصّناعيّة، وكان كلّ شيء بالمدينة غالي الثّمّن إلا المياه المعدنيّة نفسها حيث كانت بالمجان"، فبرزت في أوربّا أماكن العلاج والترفيه في هذه الفترة، منها: "فيشي" Vichy و"أكس ليبا" Aix-les-Bains و"بادن بادن" Baden-Baden. إلى جانب هذا فقد ظهرت المنتجعات الشّاطئية، والتي تختص بالاستشفاء بمياه البحر وكان "سكاربور" Scarborough أول هذه المنتجعات البحريّة الوحيد في بريطانيا، وقد ازدهر ما بين (1730م_1750م)، إلى جانب ذلك كانت فرنسا وألمانيا وإيطاليا قبلة لسياحة العيون المعدنيّة²

كان عام 1752م هو العام الذي تطوّرت فيه المنتجعات البحريّة، وأصبحت منافسا للعيون المعدنيّة، حتّى أنّ قرية "برايتون" Brighton تطوّرت من قرية صيد إلى منتج شهير، وكانت الفنادق المقامة بها تُعرف باسم "هيدروز" Hydros، وهي اختصار لكلمة Hydropathic Establisheinent، وعن تطوّر المنتجعات ذكر كلّ من Mathieson & Wall أنّه في أول الأمر ظهرت منتجعات العيون المعدنيّة مثل: بادن وبوكستون وباث، ثمّ تلاها المصحّات العلاجيّة المناخيّة لعلاج السّل وغيره من الأمراض مثل منتجعات ليسين Leysin ومنتون Menton، ثم تلاها إقامة المنتجعات الألبية مثل سامونيكس بفرنسا، وزيرمات بسويسرا Chamonix، وأخيرا ظهرت المنتجعات البحريّة للاستشفاء والصّحة، مثل بريتون بإنجلترا، ودوفيل بفرنسا، وبورديرا بإيطاليا Brighton, Deauville and Bordighera.³

ت- السياحة العلاجيّة في بداية القرن العشرين إلى الوقت الحاضر.

ترتّب عن التّقدّم الحضاري والتّكنولوجي ظهور جملة من الأمراض والمشكلات الصحيّة في هذا العصر، كالقلق والتوتّر، وأمراض القلب وغيرها، وكان لزاما على الإنسان أن يقي نفسه منها، واتّجه الطبّ الحديث إلى

¹ عدلي، أنيس سليمان، المرجع السابق، ص. 12.

² عدلي، أنيس سليمان، مرجع سابق، ص. 12.

³ عدلي، أنيس سليمان، المرجع السابق، ص. 13.

الأساليب الطبيعيّة، كالمياه المعدنية الكبريتيّة، والمناطق ذات المناخ الصّحّيّ، وشواطئ البحار وغيرها، التي استخدمها القدامى في عمليّات التّطبيب والوقاية، وإثر تسابق دول العالم نحو الصّناعة السّياحيّة؛ عملت الكثير من الدّول على تنشيط مختلف أنواع السّياحة، بما في ذلك السّياحة العلاجيّة، خاصّة التي تمتلك مقوّمات لها في هذا الجانب.¹

فازداد التّدقّق السّياحيّ على هذه المناطق السّياحيّة العلاجيّة، كما ازداد العمل على تطوير هذه الأماكن، وكلّ هذا كان انعكاساً لتطوّر وسائل النّقل والمواصلات، وبروز أوقات الفراغ، وإذا تأملنا في هذه الأحداث فإنّ النّشاط السّياسي قد عمل على تنشيط القطاع السّياحيّ وعاد بفوائد، لكن تبقى الحاجة إلى الشّفاء والبحث عن الصّحّة والمتعة والتّرفيه هي العوامل التي تعمل على تنشيط السّياحة العلاجيّة، بالرّغم أنّ بعض الدّول كبريطانيا والولايات المتّحدة الأمريكيّة كان لها الاعتقاد بالمياه المعدنية وقدرتها على الإشفاء ضعيف، إلّا أنّ العديد من الدّول كانت تستقبل السّياح بأعداد كبيرة مثل تشيكوسلوفاكيا، وألمانيا، الغربية سابقاً، فشهدت السّياحة العلاجيّة بالمياه المعدنية خاصّة إقبالا كبيراً في العالم، ولم يبق الدّافع الصّحّيّ هو الوحيد للإقبال على هذا النّمط السّياحيّ، ولكن أصبح البحث عن الرّاحة والاستجمام (le ben être) هو الآخر العامل المحرّك في الآونة الأخيرة للسّياحة العلاجيّة، ولذلك فإنّ المؤسّسات الحمويّة تسعى دائماً إلى تطوير الحمويّ le thermalisme من خلال ترقية الخدمات السّياحيّة في المحطّات الحمويّة.

في مطلع القرن العشرين تطوّرت المرافق والمُنْتَجَعَات وازدهرت الخدمات، الأمر الذي يسمح بتوافد مُتزايد على هذا النّمط السّياحي، وتطوّرت السّياحة العلاجيّة في عصر الرّاهن من خلال إدراج تكنولوجيا المعلومات في هذا المجال، ممّا سمح بالتطوّر الملحوظ فيها حتّى أصبحت من أبرز أنواع السّياحة في العالم²، حيثُ تطوّرت المُدن العلاجيّة في الوقت الحاضر تضمُّ مراكز للبحوث الطّبيّة بخواصّ المياه وتأثيراتها والمناخ وغيرها من وسائل العلاج، كما تخصّصت كلّ مدينة في نوع مُعيّن من علاج أمراض مُعيّنة، حيثُ انتشرت مُمارسة السّياحة العلاجيّة في مُختلف مُدن العالم، فقد كان الأوربيون في القرن 16 و 17 المسؤولون عن تطوير مفهوم المُنتجع الحديث، حيثُ تمّ بناء المُنتجعات السّياحية في المملكة المتّحدة مثل Balackpool Margate وذلك بسبب اعتقاد النّخبة البريطانيّة أنّ هناك قوى علاجيّة حقيقيّة في مياه البحر وهوائه، ومنذُ ذلك عرفت إنجلترا ازدهاراً في المُنتجعات والتي استخدمتها إلى جانب المياه المعدنية لعلاج العديد من الأمراض مثل: الالتهابات الجلديّة، وسوء الهضم والرّوماتيزم، كما فتحت سويسرا عدداً كبيراً من المُدن التي نمت حول الينابيع المعدنية مثل: Interlaquen, Moritz, Baden كما توافد النّاس على النّمسا (فيينا)، المجر (بودابست) وألمانيا (بادن - بادن)، حيثُ أنّ تشكيل حُطوط السّكّة الحديديّة كان له دور في زيادة تدقّق النّاس إلى

¹ عدلي، أنيس سليمان، المرجع السابق، ص. 13.

² ريوقي، سليمة، مرجع سابق، ص. 239.

المنتجعات السياحية البعيدة ووقّر بدوره بيئة فريدة من نوعها، في حين في جهة أخرى من العالم كانت آسيا بدورها رائدة في السياحة العلاجية فكان لثراء اليابان في الينابيع المعدنية الطبيعية، أن جعلها وجهة مفضّلة في عدّة قرون وبقيت سُمعتها في هذا الجانب سمة بارزة إلى اليوم، حيثُ تتميز هذه الينابيع بقدرتها على العلاج والشفاء من مُنطلق خصائصها ومُحتوياتها من المعادن، حيثُ استخدموها لعلاج المُحاربين من الجروح وتخفيف الآلام والتّعافي من مُخلفات المعارك. كما كان إلى جانب ذلك " اليوغا" والطب الهندي القديم منذُ 5 آلاف سنة له شعبية كبيرة زاد من توافد الطّلب عليه كعلاج بديل.

في حين أنّ اكتشاف عالم جديد فتح الباب أمام الوافدين من أوروبا، فقد اجتمع المُستعمرين الهولنديين والإنجليز إلى جانب الينابيع المعدنية في القرن 16م، والتي كان الهنود الحمر في ذلك العالم الجديد بارعون في فنون الشّفاء، كما استخدمت ينابيع المياه المعدنية في كل من الولايات المتّحدة وكندا، لتطويع سياحة المنتجعات والتي أنشئت حولها أول حديقة وطنية، أمّا في القرن 19م فكثير ما سافر الذين يُعانون من مرض السّل من أثرياء أوروبا إلى جنوب غرب الولايات المتّحدة الأمريكية للاستمتاع بالظّروف المُناخية المُختلفة من أجل تحسين صحتهم¹.

وأصبحت مراكز الاستشفاء في العصر الحديث ضرورة ملحة في معظم دول العالم فسعت هذه الأخيرة إلى محاولة استغلال البيئة الطبيعية في ذلك من خلال استغلال المواقع الحموية الحارة والمعدنية فتم بناء منتجعات سياحية استشفائية، و نظرا لقيمتها العلاجية بالدرجة الأولى وقيمتها السياحية الترفيهية من جهة أخرى، كان لزاما على الدول في ذلك أن تتخذ هذا النموذج من السياحة، والتي هي السياحة العلاجية بالمياه الحارة أسلوبا آخر تسعى به لتحقيق التنمية السياحية، وأفقا جيدا من أنواع العلاج الطبيعي الذي يهتم بالجانبين الجسدي والنفسي من الإنسان .

والجزائر هي أيضا من بين هذه الدول خاصة أنها تحوز على عدد هائل من المحطات الحموية الهامة، والتي تعد إرثا ثقافيا هاما. حيث الجزائر اقتصرت مُمارسة السياحة العلاجية على استغلال المنابع المعدنية الحارّة، والتي تُعود لآلاف السنين، إذ عُرفت في الحضارات القديمة، وذلك كما تمّ عرضه في فصل التراث الحموي في الجزائر بشيء من التّفصيل

فالسّياحة الحموية هي السّياحة المتعلّقة بالعلاج الجسدي والنفسي وأمراض أخرى وتمارس من أجل الشفاء التام أو تخفيف الآلام والأوجاع، كما تستخدم فيها الينابيع المعدنية كأداة أساسية للعلاج عن طريق الاستحمام أو الشرب، وللمياه المعدنية أهمية بالغة في السّياحة الداخلية حيث تتوفر الجزائر على ما يفوق 202 منبع مائي تم إحصاءه على المستوى الوطني وهذه المنابع مختلفة الخصائص الفيزيائية والكيميائية من حيث نسبة المعادن والفوائد العلاجية وصنفت هذه الحمامات كما يلي:

¹ بوزرب، خير الدين، وعريس، عمار، مرجع سابق، ص.5.

136- منبع طبيعي - معدني ذو بعد محلي.

55- منبع طبيعي - معدني ذو بعد جهوي

11- منبع طبيعي - معدني ذو بعد وطني.¹

وتتنوع السياحة الحموية فمنها الترفيهية، والثقافية، والعلاجية الطبيعية أو الاصطناعية

2- أهمية السياحة العلاجية:

تنبع أهمية السياحة العلاجية من أهمية الفرد للصحة والراحة والاستجمام، حيث أنّ الطُروف والمناخ الذي فرضته حياة العصرية أفضت بالفرد لأن يعيش الرّوتين والضغوطات النفسية والمتاعب الجسدية التي ترتبت عن أعباء الحياة، غير أنّ السياحة العلاجية تكمن أهميتها في كونها أكبر القطاعات التي تعمل على توفير فرص عمل في مختلف المرافق المصاحبة لهذا النوع السياحي، كما أنّ تقديم الخدمة العلاجية يفتح بابا للعمل الصّعبة من خلال الخدمات المصاحبة للعلاج كالإيواء، والإطعام، وغيرها، وهذا ما يجعل السياحة العلاجية مرتبطة بقطاعات عديدة، الأمر الذي يسمح لها بالمساهمة في التنمية الاقتصادية.

حيث يرى "Williams و pollock" أنّ قطاع السياحة العلاجية ذات طابع إنساني يتداخل فيه إنتاج الخدمات السياحية مع الخدمات الطبيّة، حيث حسن في البنية التحتية للبلدان النامية، ورفع مستوى الرعاية الصحيّة العامّة، وإتاحة فرص عمل تعمل على استقرار اليد العاملة في المناطق السياحية العلاجية، كما يؤكّد Bookman أنّ للسياحة العلاجية دور كبير في النهوض بالتنمية الاقتصادية الشاملة في البلدان النامية، وهذا ما يؤكّده "Smith" بأنّ السياحة العلاجية ذات آثار متعدّدة على التكوين، ورفع مقاييس الرعاية الصحيّة وزيادة الدّخل القومي، ويضيف "Cook et al" أنّ قطاع السياحة العلاجية متعدّد الجوانب، يرتبط بعدد كبير من القطاعات والتي يكون القطاع الخاصّ فيها له دور كبير وهامّ²، ويُمكن أن نجمع أهمية السياحة العلاجية في النقاط التالية:

3- أنواع السياحة العلاجية

تتعدّد أصناف السياحة العلاجية وذلك حسب الغرض منها والمادّة المستخدمة، والطريقة العلاجية المتبعة في العلاج، الأمر الذي سوف يحدّد نوع وصنف السياحة العلاجية المقصودة، وعليه يُمكن تصنيفها كالآتي:

¹ بوفاس، شريف وبن خديجة، منصف (2014)، "ترقية تسويق المنتج السياحي في الجزائر: الواقع والتحديات"، ملتقى المقاولاتية وتفعيل التسويق السياحي في الجزائر -22-23 أبريل كلية العلوم الاقتصادية التجارية وعلوم التسيير -جامعة 8ماي 1945 قلمة -الجزائر، ص. 5.

² أولغا، شربتجي، مرجع سابق، ص 48.

أ- سياحة النّقاها الطّبيّة

هذا النوع من السّياحة يقوم السّائح بالسّفر من أجل العلاج أو إجراء عمليّة جراحيّة في إحدى المستشفيات التي لها طابع خاصّ من حيث الشّهرة وتوفّرها على كفاءات عالية من الأطبّاء والأخصائيّين والمعدّات الحديثة، والمستشفيات المتخصّصة، وفي هذه الحالة يخضع السّائح للإشراف الطّبيّ حسب وضعيّته المرضيّة، وغالبا ما تستدعي البقاء في الأسابيع في المستشفى، وتليها فترة النّقاها التي يقضيها المريض في إحدى الأماكن السّياحيّة لأجل التّمائل للشّفاء التّام¹.

ب- السّياحة العلاجيّة الاصطناعيّة

وهي تقوم على تدخّل الإنسان ووضعه، تتوفر على الحمّامات الاصطناعيّة والمساح، تستخدم فيها المعدّات والأجهزة الحديثة في علاج بعض الأمراض، كما توجد بها مراكز صحيّة سياحيّة تقدّم خدماتها لطالبي الرّشاقة، حيث تعدّ مدينتي باث البريطانيّة ومونتا كاتيني الإيطاليّة من المعالم السّياحيّة العالميّة².

ت- السّياحة العلاجيّة الوقائيّة

وفيها يقوم السّائح برحلات سياحيّة تهدف إلى رفع مستوى الأداء الطّبيعيّ للجسم والعقل، وذلك من خلال الإقامة في أماكن تحوز على مقوّمات تساعد على ذلك، وقد تكون بشكل حرّ من طرق السّائح أو بشكل منظمّ؛ أي تحت إشراف طّبيّ³.

ث- السّياحة العلاجيّة الاستشفائيّة الطّبيعيّة:

يرتكز هذا النوع على المقوّمات الطّبيعيّة، التي تتميزّ بالينابيع، والمياه المعدنية الكبريتيّة الحارّة، والغنيّة بالأملح المعدنية، وكذا حمّامات الطّين (الطمي) أو الرّمال المُشعّة، وعيون المياه الحارّة، أو الطّقس المعتدل الجافّ والطّبيعة النّقيّة والجميلة الصّافية⁴، يعتمد هذا النوع على المقوّمات الطّبيعيّة كما سبق ذكره، وعليه يمكن تحديد عنصرها وفروعها:

- العلاج باستخدام المياه المعدنية. Grenotherapy
- العلاج بالبخار المتصاعد من مياه العيون الساخنة بدرجات حرارة متفاوتة Grottotherapy.
- العلاج بشرب المياه المعدنية Hydrotherapy.
- العلاج المناخي Glimatotherapy والذي يعتمد على درجة الحرارة ونسبة الرّطوبة، وذلك بالاعتماد على أشعة الشّمس.

¹ بن أشنهو، سيدي مجد وقصاص، زكية، مرجع سابق، ص. 97، 98.

² زايد، مراد وتويزة، بلقاسم، مرجع سابق، ص. 173.

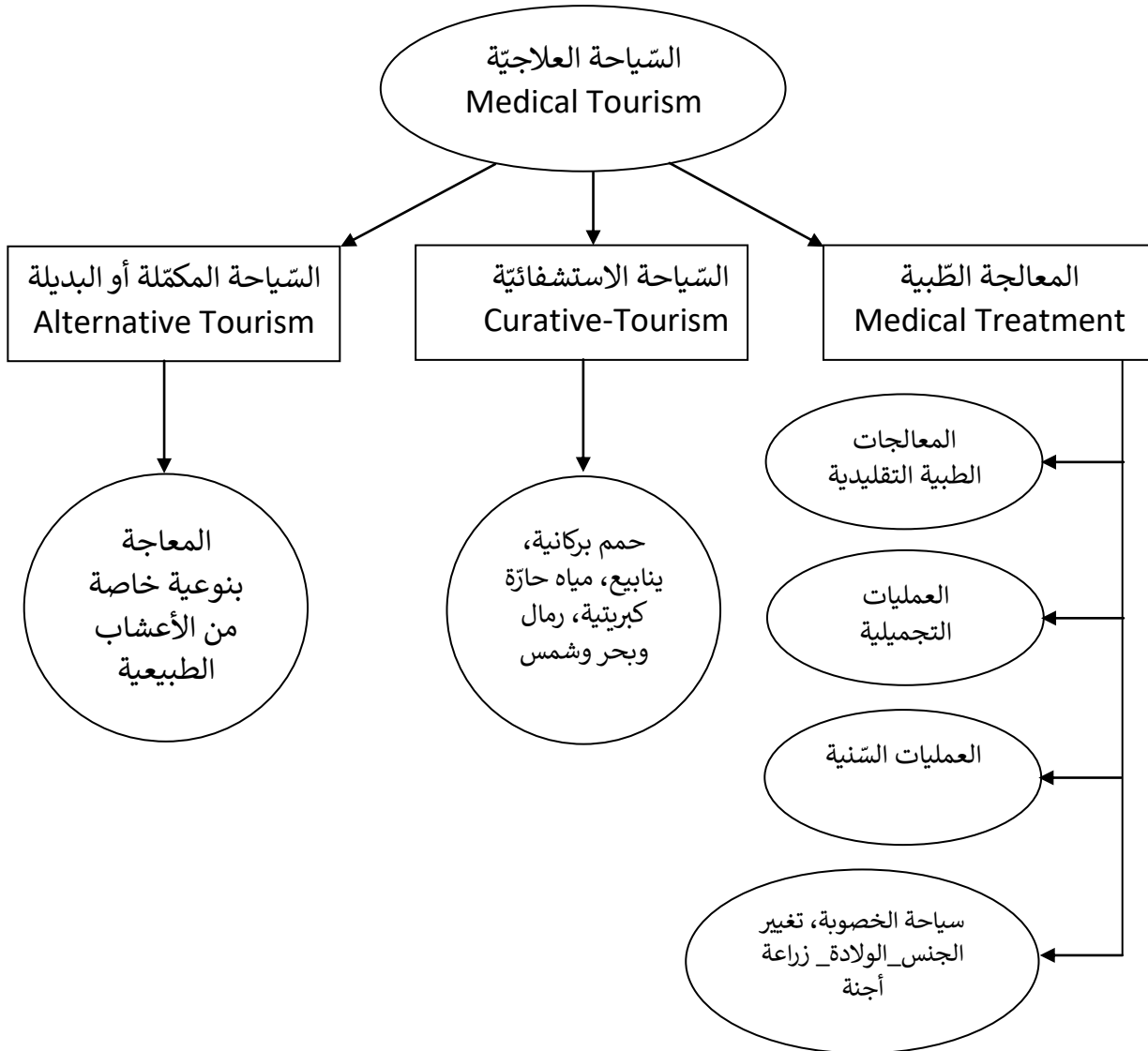
³ ربوقي، سليمة، مرجع سابق، ص. 239.

⁴ زايد، مراد وتويزة، بلقاسم، مرجع سابق، ص. 173، 174.

- العلاج بالدّفن تحت الرّمال أو الطمي PeLiotherapy وتتوفّر على خاصيّة الحرارة والرّطوبة humid (Reat) وغنيّة بعناصر اليود والنروميد والكلوريد والكربونات، وكذلك الرّمال ذات النّشاط الإشعاعيّ.
- العلاج المعتمد على البيئة البحريّة Thalasso Therapy من خلال الاستحمام في مياه البحر أو التّعرّض لهواء البحر¹.

هذه العناصر الطّبيعيّة قد تحوزها منتجعات سياحيّة يقصدها السّياح المرضى للعلاج والاستشفاء من بعض الأمراض الجلديّة والرّوماتيزميّة²، ويمكن أن نضع المخطّط التّالي يوضّح أنواع السّياحة العلاجيّة.

شكل رقم 2: يبين أنواع السّياحة العلاجيّة



المصدر: شربتجي، أولغا (2010)، بناء المنظمة المتعلمة كمدخل لخلق السّياحة العلاجيّة في سوريا دراسة ميدانية مقارنة، رسالة مقدّمة

لنيل درجة الدكتوراه في قسم إدارة الأعمال، جامعة حلب، ص. 46

¹ عدلي أنيس، سليمان، مرجع سابق، ص. 5، 6.

² القضاة، حسن صالح سليمان والطالبي، غسان سالم (2009)، "السّياحة الطّبيعيّة العلاجيّة على الاقتصاد الوطني الأردني، دراسة ميدانية من وجهة نظر العاملين في بعض المستشفيات الخاصّة الأردنيّة"، مجلة القادسيّة العلوم الإداريّة والاقتصاديّة، المجلد 11، العدد 4، ص. 67.

4-مقوّمات السّياحة العلاجيّة:

تتنوّع مقوّمات السّياحة العلاجيّة، فبعض المواقع تتميّز بوجود الرّمال المشعّة وأخرى تحوز على مياه البحر، إضافة إلى مصادر المياه الساخنة الغنيّة بالمعادن المفيدة في علاج الكثير من الأمراض والمراكز الطبيّة الحديثة، والتي تتمتع بوجود طاقات طبيّة وعلميّة متخصصة ومنافسة للدّول المتقدّمة، وعليه تشتمل مقوّمات السّياحة العلاجيّة على:¹

- الينابيع المعدنيّة والكبريتيّة الباردة منها والحارّة.
- الرّمال الطّبيعيّة ومياه البحر، والطّين المعدنيّ.
- النظافة والهدوء التّام والسّكينة والاطمئنان، وكذا الخدمات السّياحيّة المتميّزة.
- الأطبّاء المتخصّصون والطّهارة المدرّبون لتوفير الطّعام للمرضى.

قامت دراسة (Caballero Mugomba 2006) بوضع خارطة لتحقيق استثمار فعّال في سوق السّياحة العلاجيّة، وذلك بوضع مجموعة من الأسس والمقوّمات تساعد على إنشاء قاعدة متينة لبناء لسياحة علاجية ناجحة، وعليه فإنّ دخول سوق المنافسة بأسلوب منضبط ومتوازن ومستديم ومجد اقتصاديّا مع الأخذ بعين الاعتبار التأثير الإيجابي على التّراث الثّقافي، والعادات والتّقاليد، وجب اتّباع الخطوات التّالية:²

- تحديد مسؤوليات مختلف الجهات ذات العلاقة بتنمية السّياحة العلاجيّة وقطاع الخدمات المساند لها ومراجعتها وتطويرها.
- بحث وسائل تهيئة البيئة الاستثماريّة الملائمة.
- رصد الفرص المتّاحة للاستثمار في سوق السّياحة العلاجيّة، والإمكانيات المتوقّرة والمتوقّعة، وذلك بدراسة العرض والطلب.
- تطوير الكوادر البشريّة في مختلف جوانب الضّيافة (الفندقة) والجوانب الطّبيّة لضمان تقديم خدمات طبيّة عالية الجودة للسياح.
- إيجاد البنية الأساسيّة الدّاعمة للسّياحة العلاجيّة من (مشافي، أجهزة، كوادرات طبيّة، فنادق، المطاعم، وسائل اتّصال، مواصلات، شركات وسيطة...)، وذلك وفق مستويات عالية ومقاييس عالميّة من أجل تقديم خدمات صحيّة جيّدة ومقبولة.
- تقديم تسهيلات الدّخول والخروج، وذلك بتوفير وسائل السّلامة والأمن وغيرها للسّائح.

¹ غياط، شريف وخليل، أسماء (2017)، "السياحة العلاجية في الجزائر لتحقيق التنمية المحلية ولاية قالمة نموذجا" مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، مجلد 2، العدد 41، ص. 212.

² شريتي، أولغا، مرجع سابق، ص. 52، 53.

➤ تفعيل الجانب الإعلاميّ (الإعلام السّياحيّ) الدّاعم للسّياحة العلاجيّة.

تعتمد السّياحة العلاجيّة على خصائص طبيعيّة دون الحاجة إلى الأدوية الكيماويّة في العلاج، والذي يتطلّب استغلال أفضل للإمكانيّات المتاحة ولا يتمّ نجاح ذلك إلّا من خلال الوقوف على شروط أساسيّة منها:¹

▪ الهياكل السّياحيّة: والتي تتكوّن من البنايات والتّجهيزات وكلّ الملاحق الرّياضيّة والثّقافيّة، فنادق ومحلّات تجاريّة... والتي تعمل على ترقية السّياحة العلاجيّة مع مراعاة خصائص السّياح الثّقافيّة والاجتماعيّة.

▪ الأمن: يعتبر هذا العنصر من الحاجات الأساسيّة للإنسان حسب Maslow ويعني السلامة من كل المخاطر المحتملة التي قد تعترض السّائح، لأنّ عدم الأمان بالنّسبة للسّائح والسيّاح ككلّ يعني إلحاق الضّرر لكليهما، وعليه التركيز على هذا العنصر البالغ الأهميّة، وذلك من خلال تسخير كل المجهودات لتحقيق حالة الامن والاستقرار السّياحيّ.

▪ الخدمات: تختلف الخدمات حسب الفئات الاجتماعيّة وخصائصها وطبيعتها، وعليه تتنوّع هذه الخدمات من خدمة الإقامة، خدمة الإطعام، خدمة النّقل، خدمة بيع الهدايا والتّذكارات والمنتوجات التّقليديّة، خدمة الإرشاد السّياحيّ، وخدمات تكميليّة مساهمة في الصّناعة السّياحيّة، منها خدمات التّسليّة، خدمة الرّياضة، خدمات ثقافيّة (التلفاز، المذياع، الجرائد، المسرح، التّراث الشّعبيّ، خدمات الصّحة، خدمة الاتّصال...).

من بين المقوّمات والتي تعمل على زيادة الجذب السّياحيّ:²

- توافر الحمّامات ذات المياه المعدنيّة الكبريتيّة.
- توافر الحمّامات الطّينيّة سواء كانت بركانيّة أو من البحيرات والبرك ذات الخواص الطّبيّة.
- توافر المناخ الصّحّيّ والجوّ المستقرّ والطّبيعة الخالية من أيّ تلوّث.
- توافر إمكانيّات التّرفيه والاستجمام من حيث المساحات الخضراء والحدائق وكذا شواطئ البحار والبحيرات الهادئة.
- النّظافة الكاملة والهدوء، وهما الشّرطان الأساسيان لقيام العلاج الطّبيعيّ.
- توافر الإمكانيّات الماديّة والماليّة والعقاريّة لإقامة المراكز الصّحيّة.
- توافر الأطباء المختصّين ذوي الكفاءة والتّجهيزات اللّازمة.
- توافر المختصّين في العلاج الطّبيعيّ والنّفسيّ.

¹ بن أشنهو، سيدي محمد وقصاص، سورية، مرجع سابق، ص. 100، 101.

² بن أشنهو، سيدي محمد وقصاص، سورية، المرجع السابق، ص. 101، 102.

➤ توافر مستوى مقبول من حيث النوعيّة والسّفر والإقامة، والإعاشة على مستوى مختلف المناطق السياحية.

أصبحت ممارسة السياحة الحموية سلعة كغيرها من السلع الاقتصادية الأخرى أين يجد الباحثين على الصحة والجمال والترفيه ملاذا فيها ومن هذا المنطلق ارتأينا ان ندرج عنصرا نتناول فيه الاستهلاك السياحي من منظور أنثروبولوجي.

ثانيا: الاستهلاك السياحي مقارنة أنثروبولوجية

لقد كانت للدراسات الأنثروبولوجية للاقتصاد تاريخ مبجل، حيث ركزت دراسة "مالينوفيسكي" الموسومة بـ "مغامرات الهادي الغربي" ودراسة "مارسيل موس" الهدية وكان لها تأثير علة العلاقات الاقتصادية إلى جانب ذلك كان الشكلائي "رايموند فرث" الذي كتب حول اقتصاديات الماوري والتيكوباي (1929م) (1939م)، والتي شدّدت على الاستراتيجيات العملية للأفراد، من جانبه كان "كارل بولانيني" (1886م-1994م) الذي جادل في كتاب "التحول العظيم" (1957م-1944م)، على أنّ ما يسمّى اقتصاد لا وجود له في المجتمعات المقابل الرأسمالية على الإطلاق، وأنّ النظرية الاقتصادية والاقتصاد حسبه ليس شكلا كونيا للفعل إنّما هو "صيرورة متأسّسة" أي أن الاقتصاد قبل هذا التحول كان يشكل نوعا من المبادلة، وإعادة التوزيع أي محصورا ضمن الإطار الاجتماعي والسياسي، لكن مع ظهور السوق أصبح الاقتصاد متحرّرا من أسر التنظيم الاجتماعي والسياسي، ومؤسّسا بصورة مستقلة¹.

ميّز بولانيني بين ثلاثة أنواع رئيسية للاقتصاد، والتي تمّ توسيع هذا التصنيف فيما بعد من قبل ساهلينز: التبادلية وإعادة التوزيع، وتبادل السوق، حيث أن التبادلية تسود وبصورة نموذجية في المجتمعات القرابية الصغيرة غير المرقبة، حيث لا توجد حسابات قصيرة المدى للربح أو الخسارة، وكما أشار "موس" في كتاب "هدية" فإن المعطي هو الذي يفوز بالنقود وليس المتلقي. أمّا في إعادة التوزيع وهو النوع النموذجي للمشيخات التقليدية، حيث تُجمع السلع في مركز، ويوزع منها².

من الهبة إلى البضاعة جاءت دراسة مرسال موس (M.Mouss) في "الهبة أشكال وأسباب المبادلات في المجتمعات القديمة"، ليعطي لنا صورة عن شبكة التبادلات كحدث اجتماعي تتسم بالإرادية، والمجانية، وكذلك الإلزامية، كونها واحدة من صفات الحدث الاجتماعي بحسب دوركايم؛ إنّها مفروضة على الشخص، فهي إلزامية. إذن إعطاء هدية مقابلة هدية، إن إلزامية العطاء على المعطي يقابله إلزامية القبول عند المتلقي، وكذلك ردّ هبة أو العطية مقابلة أخرى³، وأمام الاستسلام التام لهذه العملية أو الرفض الكامل فإنّها

¹ إيركسون، توماس هايلاند ونيلسون، فين سفيرت، مرجع سابق، ص. 126، 127.

² إيركسون، توماس هايلاند ونيلسون، فين سفيرت، المرجع السابق، ص. 128.

³ تولرا، فليب لابورت وفارنبييه، جان بيار، مرجع سابق، ص. 301.

(الهيئة) تعيد تنظيم التراتب الاجتماعي لمصلحة من هم الأكثر كرما. وهذا ما تبين في أعمال فرانس بوار في أبحاثه عن هنود الكواكيتول في شمال غرب الولايات المتحدة الأمريكية، حين كان أعيان وزعماء هذه المناطق يمضون الشتاء في عيد متواصل يتنافسون فيه وفي إظهار كرمهم تجاه بعضهم البعض، كما يسميه الهنود بوتلاتش (potlatch) والذي هو وجه من أوجه الإلتاف الاحتفالي لفائض الثروات المجمعة فيما بينهم. هذه العطاءات الكاملة كونها تطال كلّ مظاهر النشاط البشري فالمظهر الاقتصادي: فهي تشمل السلع والخدمات، والسياسي فهي تعيد تنظيم السلطات والمراتب داخل القرية وسكانها، والقانوني لأنها تعيد تأكيد وتثبيت القواعد القانونية للحياة الاجتماعية، والأخلاقي: إذ أنها ترسخ قيم التبادل والشرف والكرم، أمّا العاطفي: فهي تعطي مظهرا ماديا لمشاعر الصداقة أو العداوة، وعلى إثر ذلك رفع مرسال موس شعار وجود الحدث الاجتماعي، لأنّ هناك ممارسات تمس جميع مظاهر الحياة الاجتماعية، وتجمع فيما بينها الارتباط الزوجي، السوق، الحرب، السكن.¹

هناك أيضا ما يشبه البوتلاتش وهي الكولا (Kula) والتي يصفها مالينوفيسكي في "مغامرو غرب المحيط الهادي" (1922م)، أين كان سكان أرخبيل التوبريان الميلانيزي يتبادلون في احتفالاتهم الكبيرة أساور صدفية مقابل عقود، حيث كل من يتلقى هدية يحتفظ بها فترة ثم يقوم بإهدائها، فرغم أن تلك الأشياء كانت لا قيمة لها في الزينة ولا تنفع، إلا أنها كانت تعيد ترتيب وتنظيم الشبكات الاجتماعية، فهي اجتماعية في الأساس.

تركزت ملاحظات مالينوفيسكي على المبادلات الاحتفالية بين الرجال، لتظهر دراسة حديثة لأنثروبولوجية أمريكية "أنات واينر" (Annette weiner) عام 1996م لتوسّع من آفاق البحث، إذ بينت أن شبكات التبادل في الأشياء ليست مقتصرة على جنس واحد، كما أنها تساهم في التحديد الاجتماعي للذكورة والأنوثة، فالنساء أيضا لهنّ مبادلات احتفالية مصاحبة لمقايضة سلع نفعية قد أشار لها مالينوفيسكي ولكن أهمل تحليلها.²

إذن تأخذ الأعطية أو الأعطية المضادة أشكالاً ومضامين مختلفة فيما بين المجتمعات المختلفة، إذ يدخل عدد من المتبادلين في شبكات معقدة أو في دوائر متفاوتة الأبعاد، ويمكن أن تتشكل صور من متنوعات عديدة، ولكت تخضع دوما لقوانين محددة، مما يعطي للمتبادلين دائما إمكانية احترام القاعدة أو الخروج عنها بغية التوفيق بين المعاني الذاتية، وتلك التي يمثلها قانون المبادلات. كذلك يمكن أن تأخذ المبادلات شكل إعادة التوزيع، حيث أن هناك عطايا يمنحها الأفراد أو الجماعات بغية تحقيق غاية مشتركة يتمحور حولها المردود وإعادة توزيعه من جديد بين المانحين أو آخرين هم في الغالب زبائن بالمعنى السياسي للكلمة، فنظام

¹ تولرا، فليب لاورت وفارنبييه، جان بيار، المرجع السابق، ص.302.

² تولرا، فليب لاورت وفارنبييه، جان بيار، المرجع السابق، ص.303.

الضمان الاجتماعي المعاصر هو نظام إعادة التوزيع، كذلك الأمر ذاته فيما يخص اقتطاع الضرائب أو الأعطيات المضادة التي عرفت عبر التاريخ.¹

ماذا نتبادل؟ أكل شيء على وجه التقريب؟ وجب الإشارة إلى أربعة أوجه للمبادلات ذات دلالة خاصة:

- تبادل الكلمات بداية من عبارات التحية الذي يمكن أن يمتد إلى حوار.
 - نتبادل أشياء ماديّة، ينتفع بها المستفيد ليصل إلى نهاية دورة المبادلة.
 - نتبادل أشخاصاً أو حقوقاً على أشخاص: فالأولاد في المجتمعات التقليدية موضوع صفقات يمكن أن تبلغ حدّ الحجر أو التبني، والأمر الذي وسّعه "كلود ليفي شتروس" في البنى الأساسية للقراية، ليشمل تبادل النساء الذي تتسم به أنظمة القراية، والذي تضعه حاجزاً أمام سقّاح المحارم.
- طوّر بعض الأنثروبولوجيين منظوراً متميزاً للاستفادة من خبراتهم التقليدية في الثقافة المادية، والبقاء على مسافة من سجلات الأنثروبولوجيا الاقتصادية الرئيسية، ويكمن هذا التركيز على الجانب المادي للثقافة في معالجتها العلاقات بين الذات والموضوع، وفي الطريقة التي تتأمل بها علاقاتنا مع الآخرين والعالم عن طريق الأشياء، ولهذا التأمل أبعاد علمية واجتماعية ورمزية في كلّ مكان، وكانت دراسات أبكر عن الثقافة المادية قد وصفت التزيينات في بيوت الفلاحين والتي كانت من صنع أيديهم.²

نظر "جان بودريار" (Jean Boudrillard) إلى الاستهلاك نظرة سميائية بوصفه تلاعباً بالعلامات، وجادل بأن الاختلافات الشكلية بين الأشياء التي تؤدي الوظيفة ذاتها يمكن أن تفهم على أساس مواقع أصحابها في النظام الاجتماعي، ذلك أن معايير المستهلكين السلوكية معنية بكل من التميز والتوافق، فالمستهلكون يحاولون أن يتماشوا مع سلوك الجماعة التي ينتمون إليها، وفي الوقت ذاته يسعون إلى تمييز أنفسهم عن الجماعات الأخرى.

وبهذه الطريقة تساعد نماذج الاستهلاك في بناء هوية اجتماعية وثقافية، كما طوّر "بورديو" مقارنة للمجتمع الفرنسي أكثر موضوعية، إذ يمكن النظر إلى السلوك الاستهلاكي على أنه تعبير عن Habitus وهو مفهوم أساسي يعبر عن الاستعدادات والتطورات التي يمتلكها الفاعل الاجتماعي بفعل الزمن والتربية والوضع الاجتماعي، وفي حين أن بورديو يمنح المستهلكين الخيار الفردي بوصفهم فاعلين، فإنه يربط الاستهلاك بموقعهم الاجتماعي، مفترضاً أن كل فرد يتقاسم شيفرة المعنى ذاتها لتلك الأشياء والعلاقات، وهذه الشيفرة مفروضة من الخارج وبشكل مجرد.³

¹ تولرا، فيليب لابورت وفارنبييه، جان بيار، مرجع سابق، ص. 304.

² كريس، هان وكيث، هارت (2004م)، الأنثروبولوجيا الاقتصادية التاريخ والإثنوغرافيا والنقد، ترجمة (عبد الله، فاضل)، بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، ص. 202.

³ كريس، هان وكيث، هارت، المرجع السابق، ص. 203.

في بريطانيا اقترحت "ماري دوغلاس" وجهة نظر عن الاستهلاك مبالغ فيها، وذلك من خلال كتابها الشهير "عالم السلع" بالاشتراك مع "بارون إشرود" (Baron Isherwood) وهو أن على الاقتصاديين العودة إلى طلب النصيحة من الأنثروبولوجيين، وذلك بشأن طبقات الاستهلاك إذا ما كانوا جادّين تجاه الخيار الاستهلاكي بوصفه محرّك الاقتصاد الرأسمالي. في حين من جهته نشر "دانييل ميللر" (Daniel Miller) سلسلة من الكتب ولاسيما نظرية في التسوق، مطبّقا في ذلك نظرية الاستهلاك على الأنترنت والهواتف الجوّالة، وكذلك على مجالات أكثر تقليدية كملابس الجينز في لندن إلى الساري في الهند، حيث ترى "صوفي شيفالييه" المتأثرة بميللر، وذلك من خلال مراجعتها لأدبيات متعلقة بالثقافة المادية الأسرية أن المجالين العام والخاص يتفاعلا عن طريق الأشياء التي تدخل البيت وتنتشر فيه، بينما هي تضمن تطوره وإعادة إنتاجه¹

سيطرت في خمسينيات وستينيات القرن الماضي مقارنة التحديث Modernisation والتي تقوم على أن الفقراء يجب أن يصبحوا أغنياء، وهذا يعني أن تحل المؤسسات الحديثة محل المؤسسات التقليدية تتبنى ردمة برجوازية تضم المدن، رأس المال، والعلم والثقافة والديمقراطية، وحكم القانون، والتعليم للجميع، في عام 1970م بات واضحا أن الفكرة لا تسير بالشكل الجيد، وأصبحت النظريات الماركسية مقبولة أكثر وعلى نطاق واسع، حيث تبنت فكرة أن التخلف Underdevelopment والتبعية Dependency هما نتيجة مشاركة البلدان الفقيرة في نظام عالمي تسيطر عليه البلدان الرأسمالية الغنية، فانحصرت التنمية في هذه البلدان الفقيرة².

أشار اقتصاديون في الستينيات، يعمل معظمهم في مجال المحاسبة، إلا أن التنمية تكلف مالا، ويفترض بها أن تنتج عوائد اقتصادية، وعليه تم إدخال تحليل التكلفة والمنفعة، وتم اكتشاف أن المستفيدين منها هم الناس وأهم السبب المرجح لإخفاقات التخطيط، في حين أن في السبعينيات تطوّع أنثروبولوجيون وعلماء آخرون في ميدان العلوم الناعمة لمراقبة "العامل الإنساني"، ونصبت ثورة الثمانينيات اللبرالية الجديدة الاقتصاديين في موقع القيادة التامة، وأبعدت روح "دراسات التنمية" وذلك إلى موقع ثانوي³.

تغير دور الأنثروبولوجيين في كل هذا مع تغير العالم، وقد شجع "مالينوفسكي" أعضاء حلقاته الدراسية في مدرسة الاقتصاد بلندن على تبني الأنثروبولوجيا التطبيقية، غير أن الانتماء إلى الإدارة الاستعمارية كان أمرا محرّجا، ترتب استثناء الأنثروبولوجيين من العمل التنموي إلا مع بداية الستينيات،

¹ كريس، هان وكيث، هارت، المرجع السابق، ص. 205.

² تولرا، فيليب لاهورت وفارنبييه، جان بيار، مرجع سابق، ص. 147.

³ تولرا، فيليب لاهورت وفارنبييه، جان بيار، المرجع السابق، ص. 148.

وتغير الأحوال، وعندها مهّد علماء مثل "رايموند أبتورب" الطريق لعودة الأنثروبولوجيين بوصفهم علماء اجتماعيين تطبيقيين¹.

السياحة هي ظاهرة يتجسد فيها مفهوم العطاء بكل مظاهره التي جاء بها علماء الأنثروبولوجيا والتي تمت الإشارة لهم في هذه المقاربة حيث أن الممارسة السياحية في فضاء الحمام قائمة على الفعل المبادلاتي أين يتم تقديم منتج مقابل مبلغ مادي إذ يتم استهلاك السياح للمنتج السياحي والذي يكون محدد التسعيرة سلفاً، كما أنه يتم عرضه وفقاً لمعايير مدروسة ترفع من درجة الجذب السياحي، وتحقق العوائد المرجوة. يدخل السائح مع المضيف في علاقات سيميائية مشحنة بالرموز والعلامات التي وجب على الأنثروبولوجي تقديم تفسير لها فهي علاقات بالغة التعقيد تطرح ثقافة المستهلك السائح في تداخلاتها وارتباطاتها مع ثقافة المضيف أين تبرز الأطر الهوية الاجتماعية والثقافية بفعل تعدد نماذج الاستهلاك لتتماهى بعض الحدود وتتحدد أخرى وتتضارب أخرى مشكلة مضامين رمزية تغذي الممارسة السياحية في فضاء الحمّام. إذا يعد فهم سلوك المستهلك السياحي أمراً ضرورياً لتحديد جملة التعقيدات والتداخلات التي تشكل لنا الممارسات التي يقيمها السائح جنباً إلى جنب مع المضيف، وعليه يمكن طرح العنصر الموالي لأجل الفهم والاستيعاب.

1- مفهوم سلوك المستهلك السياحي:

هو التصرّف الذي يقوم به السائح المحلي أو الأجنبي، نتيجة تعرّضه لمنبّه داخلي أو خارجي أو كليهما، تجاه الخدمات السياحية، أو مقومات الجذب السياحي. ومنه يمكن القول أنّ سلوك المستهلك هو رغبة داخلية لدى الفرد، تجعله يسعى لتحقيق تلك الرغبة من خلال قيامه بالرحلة السياحية واستهلاك الخدمات والسلع السياحية، أثناء رحلته وعليه يصبح مستهلكاً سياحياً، إذن يبدأ سلوك المستهلك كرغبة تترجم إلى فعل نتيجة تأثيرات داخلية وخارجية، ومنبهات داخلية كالإدراك، والتعليم، الدافعية، الشخصية، المواقف والاتجاهات، والتجربة.

منبهات خارجية: ثقافية كالقيم والتقاليد، طبيعة الحياة، أدوات التسويق وتأثيرات وضعية كالصفات الديموغرافية، الحالة الاجتماعية، المواقف والاتجاهات، والتجربة، الحالة الاجتماعية، الحماية الجماعية، العائلة².

إذن يُعدُّ المستهلك السياحي، هو كلّ فرد سائح مُستفيداً من الخدمة أو المنتج السياحي، وهذا بالشكل التقليدي (منتج/مستهلك) غير أنّ هذا المفهوم أصبح في عصر التكنولوجيا يُسمّى بالمستهلك السياحي

¹ تولرا، فيليب لاهورت وفارنبييه، جان بيار، المرجع السابق، ص. 149.

² الشّلاوي، عبد الحسين موسى (2016)، سلوك المستهلك بين النظرية والتطبيق، الأردن، جار الأيام، الطبعة 1، ص. 48، 49.

الإلكتروني¹، وعليه فإنّ دراسة سلوك المستهلك تبُلغ من الأهمّية ما يجعل الدّراسات في هذا الشّأن ذات جودة وفعالية، وتُحقّق غايات تعمل على مُعالجة عمليات العرض والطلب السّياحي، قد نُوجز بعض العوامل المؤثّرة في سلوك المستهلك السّياحي وزادت من أهمّية دراسته ما يلي:²

➤ طبيعة العملية السّياحية ومكانة المستهلك منها، فهو مُتغيّر أساس في عملية التّبادل.

➤ المرحلة التي بلغها التّسويق من حيث التّطبيق من طرف المؤسّسات السّياحية ومدى التّطرق إلى المستهلك كنقطة انطلاق.

➤ فشل الكثير من البرامج السّياحية في إطلاق مُنتجاتها الجديدة في السّوق، نظرًا لعدم فهم سلوك المستهلك.

➤ دراسة سلوك المستهلك تُمكن المنشآت السّياحية من معرفة مُحيطها، والعوامل المؤثّرة فيه، وكذلك خصائص أفرادها، فهي تُحدّد بقاء المنشأة في السّوق مثل ذلك التّمو الديمغرافي، وارتفاع مُستوى التّعلّم، وزيادة أوقات الفراغ.

وعليه فإنّ الاستهلاك السّياحي ذا أهمّية بالغة لدى الباحثين والدّارسين خاصّة في الدّول ذات الحركة السّياحية النّشطة باعتبار المستهلك، من نوع خاص مُستهلك للخدمات السّياحية، والتي تتّصف بخصائص تختلف عن غيرها من الخدمات، وعليه فإنّ دراسة سلوك المستهلك السّياحي تُعدّ عملية شديدة الصّعوبة والتّعقيد نظرًا للتّغيرات التي تطرأ على هذا السلوك باستمرار، كما يُعدّ قرار المستهلك السّياحي هو المُحصّلة النهائيّة للعديد من المراحل التي يمرّ بها أثناء رحلته السّياحية³.

كما أنّ دراسة سلوك المستهلك السّياحي تُساعد المستهلكين في فهم قراراتهم الشّرائية والاستهلاكية للبرامج السّياحية، وكما تمنحهم القُدرة على معرفة الدّوافع والأسباب الكامنة خلف هذه القرارات كما تُساعدهم على تحديد ما يُريدون وكيف يحصلون على المُنتج السّياحي والزّمن والمكان، وكذا معرفة العوامل المؤثّرة على تفكيرهم وعلى اختياراتهم للبرامج السّياحية، وكذا معرفة التّأثيرات الاجتماعية والحضارية المُحيطة بهم وفهم أسباب سلوكهم ونتائجه وعليه يستطيع تحسين قراراته لشراء البرامج السّياحية⁴.

تقف وراء السلوك الاستهلاكي السّياحي عدّة عوامل ومؤثّرات ومُتغيّرات داخلية كانت أم خارجية قد تُحقّزه على اتّخاذ قرار الشّرء للمُنتج السّياحي، وقد تتداخل هذه العوامل والمؤثّرات نتيجة طبيعة الفرد ذاته وخلفيته

¹ الموسوي، صفاء عبد الجبار وعلوات، شذى كاظم (2017)، التّقدّم التّقني في صناعة السّياحة، الأردن، دار الأيّام، ط1، ص. 150.

² الموسوي، صفاء عبد الجبار والطويل، حسين محمد علي (2016)، دالة الاستهلاك السّياحي بين النّظرية والتّطبيق، الأردن، دار الأيّام، ط1، ص. 75.

³ الموسوي، صفاء عبد الجبار والطويل، حسين محمد علي، المرجع السابق، ص 76.

⁴ الشّبلاوي، عبد الحسين موسى، مرجع سابق، ص. 88.

الاجتماعية والثقافية ممّا قد تكون هي في الأساس الموجه الحقيقي لسُلوكة الاستهلاكي نحو مُنتج سياحي مُعيّن، وعليه سوف نُحدّد في العنصر المُوالي بعض المُؤثّرات والعوامل المُتدخّلة في تحديد السُّلوك الاستهلاكي.

2-العوامل المُؤثّرة في سُلوك السّائح:

أ- الخصائص الديموغرافية (الشخصية)

"تتضمن خصائص الشّخصية (الديموغرافية) للفرد كالعمر، الجنس، الدخل، المهنة، نمط الحياة، وغيرها من الخصائص التي من شأنها أن تُؤثّر في قرارات ارتياد الفنادق، ما يتطلّب من هذه الأخيرة تهيئة وتكييف خدماتها وفق هذه الاعتبارات"¹.

من خلال الدراسة اتضح أن أغلب المبحوثين هم إناث، وذلك يعود إلى:

أولاً حساسية الموضوع، أو بالأحرى خصوصية فضاء الحمام بالنسبة للأفراد، كونه يحض ببعض من الحدود والضوابط الأخلاقية، وعليه فإنّه يحكم انتمائنا لنوع الجنس أنثى، فإنّه كان من السهل نوعاً ما تواجدها في ذلك الفضاء من المستحتمات والمعالجات خاصة أثناء تطبيق العلاجات التي يصفها طبيب المحطة، وعليه فقد منحنا التحلي بتقاليد البحث السلسلة في اقتحام الفضاء، والإفصاح مرّة، والتنكّر مرّة أخرى عن شخصيتنا الحقيقية في جمع المعطيات، وأحياناً نجد بعض الأطراف في المحطة (مدلّكات، عمّال، وأطباء)، يساعدوننا على التعرف بالحالة، حيث كثيراً ما كنّا نتّجه إلى الجناح الطبي والجلوس مع الطبيب بالمحطة، ومشاهدة المعالجين الوافدين للمركب (les curistes)، وتسجيل كل المحادثات التي تقوم بين الحالات والطبيب، وكل التوجيهات والاستشارات (les consultations). كذلك كنّا نقترّب شيئاً فشيئاً إلى الحالات في قاعات الانتظار، أين نجد أطراف العائلة مجتمعة؛ الرّوج والرّوجة والأولاد، وعليه أمكننا تسجيل مقابلاتنا مع بعض الذكور.

- أغلب المبحوثين كانت زيارتهم لحمام قرقور من أجل علاج مشاكل صحية مختلفة، وكان ذلك بصفات مختلفة سواء مؤمنين اجتماعياً، ومتعاقدين، أو أحراراً.

- كما اتضح أن أغلب المبحوثين جاؤوا من مدن كبرى بالجزائر وخاصة الجزائر، ولهم مشاكل صحية عديدة، وهذا يعود إلى ضغوطات المدينة وما يترتب عليها من مشكلات صحية جسديّة ونفسيّة.

كما أنّ أغلب الحالات يشغلون مهناً في مختلف مؤسسات الدولة وشركات أخرى متعاقدة مع المركب السياحي المعدني وعليه فإنّ اللجوء إلى العلاج الحمويّ هو ضرورة أو فرصة الحصول على علاج تكميلي بعد أن نالت الأمراض من أجسادهم مثل الروماتيزم، والأمراض العصبية، والإصابات الحركية وغيرها، إذ أنّ أمراض الروموتولوجية أكثر حضوراً عند الحالات، وخاصة أن الموظف يتحمل أعباء الوظيفة. في حين تلجأ

¹ الخيكاني، رائد حسن علي (2017)، إستراتيجيات التسويق الفندقية ودورها في الطّلب السياحي، الأردن، دار الأيام، ط1، ص. 147.

بعض الحالات إلى العلاج الحموي من تلقاء نفسها وتحمل أعباء السفر والمبيت والأكل والشرب وغيرها كونها تتمتع بالثقافة السياحية من جهة والحاجة إلى العلاج من جهة أخرى والتمتع بصحة جيدة، ليس للمريض فحسب بل حتى للذي يتمتع بصحة جيدة.

وفيما يتعلق المستوى المادي تعرب أغلب الحالات على أنّ الحاجة إلى العلاج فوق كل شيء، وأنّ هذا المبلغ يعدّ مقبولاً نوعاً ما، خاصة أنّه يأتون بصيغ مختلفة (مؤمن اجتماعياً، متعاقد...)، حيث أنها تساهم في دفع تكلفة العلاج والتواجد فترة العلاج الحموي la cure thermal.

غير أنّ حساسية البوح بالدخل الشهري كان صعباً، فأوجدنا صيغاً كثيرة في طرح الأمر لكن بدون التصريح الحقيقي لقيمة الدّخل، مثل (هل كلفتك الرحلة كثيراً؟ هل استطعتم الحضور بدون عوائق مادية مالية؟).

اتّضح أنّ أغلب المبحوثين جاؤوا من المدن، فيما هناك قلّة من الأرياف أو المناطق المجاورة لحمام قرقور، وقد نفّس ذلك بحملة الضغوط التي تسببها المدنية المختلفة، والتي تعود على صحة الأبدان والأنفس لسكان المدن، ليكون حمام قرقور الحموي ملاذاً صحياً وترفيهيّاً لهذه الفئات.

أفصحت الدّراسة على أنّ فئة الشباب لها حضور قويّ في حمام قرقور، كون أنّ ثقافة التوافد على الحمامات للترفيه والاستجمام والصحة أصبح أمراً شائعاً، حتى أنّ تلك الممارسة مسّت حتى حديثي الزواج، فكما نجد شباباً يتجهون إلى السفر خارج الوطن لقضاء شهر بعد الزواج، فإنّه هناك من يفضل السياحة الحمويّة، لأنّها توفر الراحة والاستجمام، أو ما يسمّى الآن le bien être. في حين هناك حضور قوي للوافدين الشباب متعاقدين مع مؤسسات و منخرطين في فرق ونوادي، وحتى موظفين في شركات يبحثون عن الرّاحة، وقضاء وقت ممتع مفعم بالصحة، وإعادة اللياقة البدنيّة، وهذا ما عززته مشاهداتنا بحمام قرقور المعدني، حيث من خلال ما شاهدناه في الزيارات المتكررة للميدان هو ملاحظتنا لوفود حافلات تنقل السياح المقبلين على السياحة الحموية من مختلف مناطق الوطن، وبمختلف الأعمار وخاصة الشبانية، بحثاً عن إعادة اللياقة البدنيّة، وكذلك يكون توجههم لقاعة العلاج والأخذ باستشارات الطبيب، ثم وضع برنامج علاجي (la cure) طيلة التواجد بالمركب، غير أنّ فرصة التجول بما يحاذي المركب والمنطقة ككل أخذ نصيبه وأضفى سحره على الوافد إلى المحطّة (المناخ، المناظر، حب استكشاف المنطقة، الخلفية الثقافية...).

أغلب الفئات التي تفد على الحمام نساء والتي تفوق أعمارهن الأربعين سنة، أولاً أنّ النساء وعلاقتهم مع الحمام علاقة حميمية، أين المرأة تأخذ جانباً من الحرية، كذلك أنّ الحمام يعد مكاناً مناسباً للمرأة في علاقتها بجسدها وعنايتها به، وخاصة إذا كان الحمام المعدني ذو خصائص علاجية، فإنّ أغلب المبحوثات كنّ

يعانين من مشاكل صحيّة، وهي (المرأة) الأكثر عرضة للأمراض الروماتيزمية، كما تم تأكيده من طبيبة المركب، تأكيده في مقابلة مع الدكتورة بقولها:

"نعم نسبة النساء أكثر *Oui* كون جي تشوفي في الإحصائيات إلى نعملوها، تلقاي النساء أكثر، شحال من نساء ثم يجي رجال، أكيد لأنّ النساء أكثر عرضة للأرتروز، في الحمل *la grossesse*، وزيد عندك سنّ اليأس *la ménopause* فهي تشكل أعراض أمراض عظم أكثر، من الرجال".

أتضح من التحقيق الميداني أن مرترادي الحمّام تختلف بين الجنسين، إذ وأنّه تبين أن نسبة النساء ترتفع من نسبة الرجال، وذلك بالرجوع إلى سجل وكشف الإحصاءات اليومية أو حتى الشهرية نجد ذلك، وهذا يرجع إلى كون أن المرأة أكثر عرضة للأمراض الروماتيزمية المختلفة، وخاصة أنّ المرأة تمر على مراحل مختلفة في عمرها، مرحلة الحمل والولادة، مرحلة سنّ البأس وغيرها، وهذا ما تمّ تأكيده مع طبيبة المركب الحمويّ، غير أن ثقافة الاستحمام تطغى على الوافدات إلى الحمام، استخدام المساحيق، والحنّاء، والصابون، وغيرها من الممارسات حاضرة في المركب المعدني السياحي، رغم تقنين عملية الاستحمام، كونه - الماء- يعدّ الخطوة الأساسية في العلاج (*la cure*)، فإنّ مدة 15 إلى 30 دقيقة كافية، وبعدها الاستفادة من التدليكات والعلاجات الأخرى كذلك محدود زمنيًا، أولاً يدخل في التطبيقات الحموية وخصوصيتها، وثانياً أنّ كثرة التوافد على المعالجة قد يجعل من التقنين شيئاً ضرورياً لكي يستفيد الكلّ من العلاجات، هذا ما تمّ ملاحظته، هناك تجارب للكثير من الحالات، إلّا أنّ البعض الآخر يبقى نظره إلى الأمر بأنّه قليل، ويريد وقتاً أكثر للاستفادة أكثر، الاستفادة لا يحدّها زمن العلاج في الحصّة الواحدة، ولكن تكرار العملية على فترات سوف يعمّق الأثر والفائدة، وعليه فإنّه دائماً هناك التوجيه والإعلام بالجناح العلاجيّ، وهناك مساهمة للمعلماء، وذلك يدلّ على السعي لتقديم خدمة علاجية ذات جودة عالية.

حيث جاء على لسان أحد المبحوثات:

"أنا منقعدش بزاف في الماء 10د *dix minute* برك منقعدش حتى نموت ثم كما يديرو لخيرين، ندخل وهديك هيا التحميمة، نحك شوية، نقلهم منقدرش نبقى ثم ثم كي نشوف الغاشي بزاف نخرج" (مقابلة 30)

ب- العوامل الدّاخلية: أو المؤثّرات النّفسية.

لقد عمد علماء النّفس لدراسة سلوك المستهلك السياحي وذلك من أجل التّعرف على حقيقة دوافعهم للسّفر وتفضيل نوع عن آخر من السّياحة، وعليه فإنّه يُمكن التّفسير والتنبؤ بالسلوك الاستهلاكي السياحي، وكذا سوف يُساعد القائمين على التّسويق السياحي على تحريك دوافع السّفر عند السّائح، حيث أنّ الدّافع هو العنصر الذي يعمل على توجيه السلوك عند السّائح نحو نوع مُعيّن من السّياحة، فيعمل ذلك

الدّافع على إنشاء حالة نفسية يسعى السّائح إلى تحقيقها في حالة إذا كان الدّافع خارجي أمّا إذا كان الدّافع داخلي، فإنّه من الصّعب تحديد معناه لأنّه يرتبط بمجموعة من العوامل النّفسية الدّاخلية للفرد، خاصّة أنّ سلوك الفرد مُتغيّر باستمرار مثل ذلك البحث عن الرّاحة والاستجمام¹.

فالدّوافع الدّاخلية هي العوامل المتعلّقة بالسّائح في حدّ ذاته تعمل على صياغة السلوك الاستهلاكي للأفراد بشكل مُعيّن ومُنفرد، ممّا تدفعهم هذه العوامل إلى قيام بأنماط ومواقف سلوكية مُختلفة ومُحدّدة، وقد حدّد النّفسانيون عملية العوامل والمؤثّرات النّفسية في نقطتان الدّوافع، الحاجات، التّعلّم، الإدراك، الشّخصية²، وهي القوى المُحرّكة الكامنة في الأفراد والتي تدفعهم إلى السلوك باتّجاه مُعيّن وتتولّد هذه القوى الدّافعة نتيجة تلاقي أو انسجام التي يتعرّض لها الأفراد مع الحاجات الكامنة لديهم، والتي تُؤدّي بهم إلى حالات من التّوتّر.

فالدّوافع تُعرّف على أنّها: حالة فيسيولوجية وسيكولوجية داخل الفرد تجعله ينزع إلى القيام بأنواع مُعيّنة من السلوك في اتّجاه مُعيّن، تهدف إلى خفض حالة التّوتّر وتخليص الفرد من حالة عدم التّوازن، وتنقسم الدّوافع إلى نقطتان³:

دوافع رشيدة: وهي دوافع مُرتبطة بالتّفكير من قبل المُستهلك السّياحي قبل اتّخاذ أيّ قرار شرّائي مُرتبط برحلته السّياحية مثل حاجات مُتعلّقة بالوجهة التي يُريدها السّائح ويختارها، أو خفض تكاليف الرّحلة، وكذلك مُستوى الخدمات المُقدّمة في البلد المُضيف.

دوافع عاطفية: وتأثيرات تظهر على السّائح وتؤثّر في نفسيته، وتجعله يشعر بالسُّرور والفرحة لأنّه قام بإشباع رغباته.

حيث تصرّح أحد العاملات بالمركب حول الوافدين ونفسيّاتهم وذهنيّاتهم بقولها:

"أنّه لا بدّ من مراعاة نفسيّات النّاس الوافدين، وعليها أن تكون بشوشة ومرحة، وذلك من أجل تحسين نظرة الزبائن ومنحهم الرّاحة وحسن الاستقبال، لازم الواحد ممّا يعرف كيف يستقبل النّاس، ويعرف كيف يهدر معاهم، خاطر كلّ واحد وشخصيتو، ونفسيّو، يجيك مرّات وحيد مقلقين، يجيوك تعبانين...آه لازم يعرف الواحد كيفاش يستقبلهم ويضحك في وجههم، ويهدر معاهم مليح باه يستراحوا، باه يروحو ويعاودو يجيو مرّة أخرى"

وتأكد الطبيبة بالمركب على أن العامل النفسي مهم وأنها دوما تتخذها بعين الاعتبار في معاملتها مع الزبائن المرضى.

¹ الشّبلاوي، عبد الحسين موسى، مرجع سابق، ص. 98.

² جابر، عبد الحميد جابر (1999) سيكولوجية التّعلّم، مصر، دار النّهضة العربية، ط9، ص. 21.

³ الموسوي، صفاء عبد الجبار والطويل، حسين محمد علي، مرجع سابق، ص. 79، 80.

أما الحاجات: فهي الشُّعور بالنقص والعوز لشيء مُعيّن، الأمر الذي يدفع الفرد لأن يسعى إلى إشباع حاجاته من خلال سلوك مُعيّن يسلكه.

الإدراك: وهو أحد العوامل المؤثرة في سلوك المستهلك السياحي، حيث يُعرّف على أنّه عمليات اختيار، وتنظيم، وتفسير مُنبّه ما، أو الإشارات أو المعلومات التي تردُّنا عن طريق الحواس، وإعطاء هذا المُنبّه معنى يتميّز عن غيره من الأشياء بالوضوح.

التعلُّم: ويعرّف على أنّها كل التغيّرات في الموافق وسلوك الفرد نتيجةً للتجارب السابقة فهو التغيّر المُستمر أو المؤقت في السلوك الناتج عن التدريب أو الدراسة أو الخبرة، فإن كانت تجربة الشراء الأولى إيجابية فإنها تتحول إلى عادة استهلاكية من الصّعب تغييرها، وإذا كانت تجربة الشراء سلبية فإنه يتجنب السائح تكرارها لأنه يفقد الثقة في المنتج.

الشخصية: تمثل الشخصية هي الأخرى عاملا مهما في توجيه سلوك المستهلك السياحي بخاصة، فإن التعرف على شخصية المستهلك يعدّ مطلباً أساسياً لتحديد أنماط السلوك المختلفة، بما أنها تحدد على إثرها الاختلافات بين السائحين بما يساعد على بناء استراتيجيات تسويقية واضحة، وبشكل صحيح فيرى الباحثون أن المستهلكين السياحيين من ذوي الشخصيات الهادئة المتزنة، دائما ما يميلون إلى زيارة الأماكن السياحية التقليدية، في حين البعض الآخر من محبي المغامرات والاندفاع فإنهم يفضلون المناطق السياحية الجديدة¹. أفصحت الدراسة على أن أغلب المبحوثين كان اقبالهم على ممارسة السياحة الحموية لأجل تلبية حاجة العلاج والاستشفاء حيث أن السياح مرتادي المركب السياحي حمام قرقور قصدوا الحمام لأجل العلاج والاستشفاء من أمراض مختلفة منها الروماتيزم والأرتروز بمختلف أنواعها وبعض أمراض العظام والجلد واسترجاع الحركة وغيرها، وكانت نسبة النساء التي تعاني من هذه الأمراض أكثر منها عند الرجال وهنا يتبين لنا أن المرأة أكثر عرضة للإصابة بمثل هذه المشاكل الصحية وهذا ما تم الإشارة له سابقا وعليه فإنّ تواجد المرأة في حمام قرقور يعدّ ضرورة لا غنى عنها، كون أنّ المرأة علاقتها بالحمام علاقة حميمة، أين تستعيد لياقتها وتحضّر جماليتها، وكما يشكل لها فرصة للتعارف، والتلاقي، والتفريغ النفسي، ونسج علاقات اجتماعية أخرى، وهو أيضا فضاء لإعادة اللياقة النفسية والبدنية، وهو ملاذ لحلّ الكثير من المشكلات الصحية التي قد تواجه المرأة خلال مراحلها العمرية المختلفة، خاصة إذا كان ماء الحمام من المياه المعدنية الحموية، أين تتزوج المنفعة الطبية مع حبّ وشغف المرأة للاستحمام والاسترخاء والرّاحة، من أعباء اليوم أو الحياة التي لا تكاد تنفك عنها.

¹ الموسوي، صفاء عبد الجبار والطويل، حسين محمد علي، مرجع سابق، ص. 80، 81.

وقد صرح بعض المبحوثين بقولهم:

"أنا كتافي ومسلاني يجعوني يقتلونني وهنا يتنحالي كي نجي للماء من بكري وأنا نجي ليه ينحيلي السطر...مزالو هنا يجو في الكروسة يجيو هنا عندنا يستراحوا، تقولي وحدة بلي دراهمي كلهم دفعتهم عند الطبة ولكن كي جيت هنا سترحت وتنحالي." (مقابلة15)

"جيت باه نداوي عندي تندينت في ذرعيا وهذي أول مرة نجي لحمام قرقور قالي الطبيب تاعي راه مليح بزاف، كنت نروح نداوي في تلاسو في سيدي فرج" (مقابلة18)

"...أنا أركز على هذه العلاجات الطبية.جيت هنا على جال باه نداوي." (مقابلة19)

"...يا ختي دقدقنا الزمان، درت عملية عندي العروق تاع الأعصاب درت العملية، ما نجحتش مليح قريب ترتقلي تنفخو بزاف، وييسو قالولي الحمام مليح لها عندي التنمال تضربك التريسي تي تقلشي، فكان لازم راديو تاع العروق. أنا منعصرش النشاف ولا الكتابة، درت UMG راديو غير داروهولي قالي لازم توبيري. حطوني قراف grave بعدها يومين درت العملية من القلقة دارلي آرني ديسكار دويت شوية، بصح جيت للحمام، مليح للأعصاب مالفة ندير في البريفي" (مقابلة22)

"عندي لرتروز جيت باه نداوي صبرنا حتى وافقوا لنا من تاع الضمان الاجتماعي راني جيت باه نداوي خاطر الماء تاعو مليح بالبزاف والطبيب تاعب نصحني بيه، وراني فرحانة إلي جيت هنا" (مقابلة17)

"قالي الطبيب il fau تحبسي الخدمة ولا تعتاني بروحك لانو عندي لرتروز تاع السن، وزيد الاستحفاظ ترفدي اوراق الطلبة فيهم 6 كيلو وزن مش ساهلة، لحق من نجي نروح مليحة وزيد هذوك لكيني (المدلكات) لحق هما ألي عليهم الخدمة كامل تعمل مليحة وخاصة من المكملات العلاجية الأشعة الحمراء لنفرا روج، والماساج والبرافين وغيرها راح تخليك مليحة" (مقابلة23).

"هذي la premier foist كي جيت كانو les jombes تاعوي منقدرش من le basin كنت نجي من الدروج وذك غير يومين!! والله الحمد لله مليح ياسر" (مقابلة24)

"الله يبارك هذا الحمام ألي يجي ليه جميع الأمراض يداويها كما هي عندها لارتروز يداوي مليح" (مقابلة25)

"عندي عرق لاسا رححت لحمام زلفانة ريحت شوي ونصحوني بحمام قرقور" (مقابلة28)

"عندي لارني الفقرة 5.4 وتكسرت في كتفي ودرت لاريدو كاسيو ولكن قلت لازم ندير فيها حمام وهاذو ليسيونس أني جيت للحمام قرقور وأنى على بالي بلي معدني مليح والعلاجات مليحة" (مقابلة27)

"عندي لارني، لارتروز، لاسياتيك، الطيب خلاص منجيش خلاص للحمام، كي مرضت قعدت شهر بلا خدمة متحرك *z etais pa Bougiè*. وبقيت نداوم على الحمام قرقور" (مقابلة 30)

"مخالفة نجي لحمام قرقور، شوفي راني حميت وسخنت عظامي مليح، كنت نجي وندير معاه سبور، وجعتني ركبتي وعندي ذراري مقدرتش، رحت عند الطبيب عالجت بالمساج بصح قالي لازم تروحي لحمام المعدني قرقور فبديت نجي للحمام قرقور وندير مساج لظهري يوجعني وزيد ركبتي" (مقابلة 21)

"جيت وحدي عند *La famée* هنا، مرة على مرة نجي باه نريخ عظامي، خاصة راني عندي شحال وأنا نعاني من ذراعي، ورقبتي توجعني منقدرش نخدم بها، وتعرفي بلي ندير الميكرو، روحت للطبيب وقالي تندنيت، وهي شادتك في ذراعك ورقبتك، إملا جيت باه تتحمم وثاني نداوي، راكي تعرفي بلي الماء تاغو مليح بزاف، ونصحني بيه الطبيب، وزيد خصني نعمل *La rééducation* باه نعاون روحي" (مقابلة 16)

"هو عندي 26 كنت نروح لسيدي فرج، وحد الخطرة اكتشفت حمام قرقور وأدهشت من الماء تاغو، ومباشرة بعد الاحتكاك مع الماء تاغو نحس بروحي لادولار نقصت، الور عدت بالشوية بشوية حتى نحس روحي مليحة وبقيت نروح لحمام قرقور إلا على جال الماء تاغو مش على جال العلاجات مي على جال الماء فقط" (مقابلة 33)

"أنا نجي من بكري مع الأم نتاعي ومن هديك بقت نجي باه ندير فيما إين كيور نريخ فيما عظامي هذي رفدتها من الأم تاغي نحب كل ما في الحمام" (مقابلة 32)

"جيت على جال الدوا عندي بزاف وأنا نجي كنت نجي مع أمي هي ثاني تحب حمام قرقور وزيد أنا عندي توندنيت في كامل جسمي سيرتو في كتافي وذريعاتي، خاطر عندي طفل عندو متلازمة داون ونرفدو بزاف ومع الخدمة شاف سرفيس في لوبتال بدزير منحكليكش شحال نتعب لازم نجي لحمام قرقور باه نريخ شوية يعجبني الماء تاغو كون نصيب ما نخرجش منو وحتى الزوج تاغي طبيب ومرض شوية و مر بظروف نفسية قاسية إملا رانا نجو لحما قرقور باه نريحو راسنا خاطر الماء تاغو مليح بلبزاف" (مقابلة 31)

إذن البحث عن العلاج كان السبب الأول للإقبال على حمام قرقور وأن الحالات مدركة بقيمة مياه

الحمام العلاجية، وقد نصح به الأطباء لمرضاهم والتي في أغلبها أمراض عظام وروماتيزم وأرتروز وعرق النساء وأرني ديسكال على حد قول الحالات، أي معظمها أمراض عظام.

ت- المؤثرات الخارجية:

قد تكون لبعض المؤثرات الخارجية دور مهم شأنها شأن المؤثرات الداخلية، ولكون الإنسان فرد من المجتمع، تعمل بعض المؤثرات كالأسرة والجماعات المرجعية وأيضا الطبقة الاجتماعية، وبخاصة الثقافة التي

ينتمي لها المستهلك السّياحيّ، إذ أنّ الأسرة لها دور التنشئة الاجتماعية بمقتضاها قد تعمل على توجيه سلوك المستهلك من خلال المهارات التّعليميّة التي يكتسبها الفرد في الأسرة، تجعل منه يحدّد اختياراته السّياحيّة من جهة، ومن جهة أخرى هناك الجماعات المرجعيّة لها الأثر الأكبر أيضا في تحديد سلوك المستهلك السّياحيّ، كونه فرد وعضو في جماعة يتأثر بها ويؤثر فيها وحيث عضويّته فيها هي في حدّ ذاتها ضرورة إشباع حاجاته الاجتماعيّة، كما تمثل هذه الجماعة المرجعيّة مرجعا مهمّا يستند له الأفراد في اتّخاذ قراراتهم السّياحيّة، وللطبقة الاجتماعيّة بالغ الأهمية أيضا، كونها تؤثر في خيارات السّياح وقراراتهم نحو استهلاك منتج استهلاكي معيّن¹.

كما تؤثر الثقافة في سلوك السّائح فهي العامل المهمّ في تكوين القيم والاتجاهات والميولات كون أنّ الفرد يعيش في بيئة معيّنّة، هذه البيئة هي المسؤولّة عن صقل شخصيته بما تشجدها بالمعتقدات والمعايير والعادات والتّقاليد، فهو فرد عالق في شبكة من الرّموز والمعاني الثقافيّة التي لا غنى عنها في حياة الفرد، وخاصة في الجانب السّياحيّ مما تكسبه حسنّ ووعي ثقافي في هذا الجانب، فتتشكل له قيم ثقافية سياحيّة، أو ثقافة سياحيّة، هذه الأخيرة تعرّف بأنها: "امتلاك الفرد لقدر من المعارف والمعلومات والمفاهيم والمهارات والاتجاهات، والقيم التي تمثل في مجملها خلفية مناسبة، لكي يسلك سلوكا سياحيا رشيدا نحو كل المشتملات والمظاهر السياحيّة، وكذلك العملات اللازمة للتخطيط والتنظيم والتعامل مع المؤسسات والأماكن السياحيّة والسّياح"².

"حيث تعمل ثقافة السياحة على ترجمة المفاهيم الإنسانيّة والحضاريّة والتّراثيّة للتعاون مع السّائح، وإشراكه في تبادل ثقافيّ على مستوى الأفراد والمجتمع، وبالتالي رفع إحساسه بالأمن والسلامة"³.

وللثقافة السياحيّة أهمية بالغة، باتت اليوم تعد من ضمن أهم الأسباب لنشر السياحة، حيث أنّ زيادة الوعي الثقافي والاجتماعي وانتشار المعلومات حفّز الكثيرين وولد الرغبة لديهم لزيارة بلدان والاطلاع على ثقافتهم وأحوالهم المعيشيّة، حيث أنّ الثقافة السياحيّة تعمل على فهم وتنمية التّراث والمحافظة عليه من حيث التعريف به والمحافظة والاستغلال، والوعي به. كذلك تعمل ثقافة السياحة على تقديم المفاهيم والمهارات والاتجاهات والمعلومات لأفراد المجتمع محليا ودوليا وخاصة مع ظاهرة العولمة. أيضا تترابط الثقافة السياحيّة مع مفهوم التنمية، حيث من شأن الأولى بعث قيم وتقاليد جديدة، تتماشى والبيئة وهذا ما يحقّق

¹ صفاء عبد الجبار الموسوي، حسين محمد علي الطويل، مرجع سابق، ص 82، 83.

² عجيل، عبد الكريم كاظم (2019)، "أهميّة الثقافة السّياحيّة لتنمية السّياحة الدّينية في العراق"، مجلّة الباحث للدراسات الأكاديميّة، المجلّد 06، العدد 01، ص. 98.

³ صفاء عبد الجبار الموسوي، وحسين محمد علي، الطويل، مرجع سابق، ص 83.

التنمية الشاملة. وباعتبار أنّ الثقافة السياحية نشاط اجتماعي، فهي ضرورية لإعداد الخطط التنموية السياحية ومشاركة المجتمع في إعداد برامجها¹.

من خلال الدراسة أعرب أغلب المبحوثين على أنهم يتمتعون بثقافة سياحية وخاصة السياحة الحموية حيث تبين من خلال المقابلات أن الحالات المدروسة معتادة على زيارة الحمامات المعدنية المتواجدة في التراب الوطني وهذا ما جاء مع بعض المبحوثين :

"... راني نجي من 2001 جيت مع يما وبابا ومن هذيك عدت ديما نروحو ونروح ثاني لسيدي فرج

مرات وحمام قرقور مرات نلقى روجي نبقى 14-21 يوم" (مقابلة 30)

"مخالفة نجي لحمام قرقور، كنت نجي كل سمانة، كل خمسطاش نيوم، ساعات شهرين أنجي

أسخفاس..." (مقابلة 21)

"...مرّة على مرّة نجي باه نريح عظامي..." (مقابلة 16)

"الحمام المعدني Le thermalisme هو ثقافة استرخاء وعناية بالجسد والنفس، الواحد لازم ما

يخلّيش روجو حتّى ميقدرش يتحرك، لازم عليه يكون داخل في ثقافته اليوميّة". (مقابلة 14)

انا مخالفة نجي ليه فالنهار ونروح مخالفة نروح الحمامات حتا الحمام فقالمة رحح شهرين ورحح

لحمام البركة قعدت 5 joure حمام دباغ حمام بسكرة انا نحب نروح الحمامات عندي ثقافة

سياحية حموية و انا إنسانة تحب التحواس رحح تلمسان ووهران و حتى للخارج دول العربية

كل حوستها ونشتي نحوس" (مقابلة 27)

"...رحح لحمام زلفانة..." (مقابلة 28)

"...رحح بزاف حمامات ... حمام زلفانة غرداية وغيرها هكذا كل عام نروح للحمامات وشنو

غالي..." (مقابلة 15)

" مثلا حمام ريغة تلمسان كذلك مركز العلاج بمياه البحر سيدي فرج، هذي قرابة 40 سنة نجي

ليه مرات على 3 سنين نولي" (مقابلة 23)

"أنا مخالفة نروح للحمامات المعدنية، غير مين جات كورونا حبسنا" (مقابلة 17)

" مالفين نجي من دزاير نروحو نحوسو" (مقابلة 22)

" جيت لحمام قرقور ...رحنا لتونس قعدنا 7 أيام" (مقابلة 20)

" كنت نروح نداوي في تلاسو في سيدي فرج" (مقابلة 18)

غير أن حالات الدراسة أعربت عن افتقار المجتمع الجزائري لثقافة سياحية كون أن الأفراد في

المجتمع الجزائري يستغنون عن ممارسة السياحة وذلك بفرض الظروف المعيشية وأكثرها أن المنتج السياحي

في الجزائر باهض الثمن مقارنة بالدخل الشهري للفرد المنخفض لذلك يستغني الكثير منهم عن ممارسة

السياحة وبخاصة السياحة الحموية وعليه فيمكن ان نجد الاقبال على السياحة الحموية من قبل الأفراد

¹ عبد الكريم كاظم، عجيل، مرجع سبق ذكره، ص 98.

يقع تحت تأثيرات المرض والحاجة إلى العلاج أي أنه اضطرارا وهذا ما تبين من خلال المحادثات التي تم تسجيلها في تحقيقاتنا الميدانية وعليه فقد أعربت بعض الحالات بقولها:

"صح هما يديروا مشاريع وقاع وعندنا لي كادر، ولكن العقلية تاغنا متستوعبش، معدناش ثقافة سياحية وديجا المنشآت السياحية ناقصين روجي للجوار برك عندهم سياحة." (مقابلة 19)

"شفي نقلك السياحة في الجزائر مكانش، متطيقش، منقدرولهاش، تروحي لوتال يقلك 1200 مليون وميتين لليلة" (مقابلة 20)

"... و la vacances pour un citoyenne Algerian ما يقدرش يجي pour cenque السياحة مثلا الصيفية او السياحة الشتوية، والحمامات apore par lon devie, plus chér monde، تروحي مثلا لتونس 4 ملايين تاكل وتشرب وتبات. وشنو المشكل السياحة في الجزائر، باش يطور والسياحة لازم يفتحو البيبان للناس وشوفو أليات، حنا بلاد خير عندنا ل les quatre cisens عندك mille quatre cents (1400 كلم)، بحر من باب العسة تلمسان لأم الطبول شجر وجبال، وصحرة حاجة خرى نقدر نخدمو السياحة الجبلية، يقدر يستثمر السياحة في الجزائر يدخلو ملايين والله القاز والبتروول ما يتوشيوهم، نعيشو la belle vie، وكي تكون متاحة للناس قاع. لجناس قاع تخدم، الناس أكل تخدم معندهاش وعي سياحي ما يقدرش يقلك ثمن ملايين وخمسمية 8.5 نوجدها للعيد لكبير، أو جي للمغربي يقلك ثمن ملايين وخمسمية ويصرف، وزيد عندهم les soins وعندهم les prodoits" (مقابلة 26)

ث- المؤثرات الاقتصادية والسياسية والتكنولوجية:

تعمل الدول السياحية وكل الشركات المسوّقة للسياحة على معرفة العوامل الاقتصادية التي يتأثر بها السائح، فالاستهلاك السياحي يعتمد على معرفة معدل الدخل، ومستوى الأسعار، ومعدلات الادخار، وحجم الائتمان ومدى وفرته، وقد يكون الدخل المرتفع محفزا لممارسة السياحة، غير أنّ الدخل المنخفض قد يكون عائقا اقتصاديا يحول دون ممارسة السياحة.

في حين تتأثر قرارات المستهلك السياحي كثيرا بالأوضاع السياحية، إذ أن الاستقرار الأمني من عدمه يشكل نقطة محورية في تطور النشاط السياحي أو العكس.

تأثر حمام قرقور في العشرية السوداء كباقي المؤسسات العمومية، اين كانت تعاني البلاد كلها من عدم الاستقرار الأمني فقد انعكست الأوضاع الأمنية على خدمات الحمام كون أن المنطقة وما يجاورها كانت نشطة وتعاني من عدم الاستقرار وعليه فإن الأمن ضروري لتوافد الزوار وتزايدده وعدم تحقق ذلك فإنه قد ينشأ مخاوف لا أمن لديهم.

وإن أتينا للمؤثرات التكنولوجية فإنّ السّياحة أصبحت لا تستغني عن التكنولوجيا اليوم، حيثُ عملت هذه الأخيرة على دعم هذا القطاع والمساهمة في تطويره من خلال ما يُسمّى بالتسويق الإلكترونيّ للسّياحة، والتّرويج السياحيّ الإلكترونيّ، الأمر الذي يغطي فرصة الاطلاع أسرع وأشمل على المنتج السياحيّ، وكذا يكون القرار أسرع عند المستهلك السياحيّ وأوضح¹.

ولتحقيق التنمية الشاملة لا بدّ من تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والبيئية، والتي هي ركائز أساسية في تحقيق التنمية السياحية، فالسياحة مرتبطة ارتباطاً حيويّاً وعضويّاً بكلّ القطاعات سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، مما يولّد ارتباط السياحة بالتنمية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية والبيئية².

تبين أن بعض المبحوثين قصد حمام قرقور من خلال الاطلاع على مواقع التواصل الاجتماعيّ أين يتم عرض صفحات وأخبار حمام قرقور وكل ما يتعلق بطابع الخدمات فيه من علاج وإقامة ومبيت وإطعام وغيرها وكل الصور التي تروج للحمام من مناظر وصور الغرف كل هذا يتم عرضه في صفحة على الفيس بوك وتويتر خاصة بالترويج لحمام قرقور، وهذا ما أدلّى به أحد المبحوثين في قوله:

"...شفت في اليوتوب الحمام عجبي خممت قلت نتصل بيهم ونشوف... (مقابلة 26).

لقد اطلعت وشاهدت الإعلان عن حمام قرقور في اليوتوب وقد اعجبني وقد قررت الاتصال بهم.

يختار إذن المستهلكون السياحيون عدداً من البدائل المتاحة، وذلك بما يتلاءم مع حاجاتهم ودوافعهم الشرائية، حيث أن "ماسلو" قد وضع نموذجاً لسلم الحاجات الإنسانية التي من خلالها يمكن الكشف عن أسباب ودوافع التي تقف وراء السلوك الاستهلاكيّ كما هو مبين

¹ الشبلاوي، عبد الحسين موسى، مرجع سابق، ص. 100، 101، 102.

² ظاهر، فضل والشخلي، فاضل و الطريحي، جعفر (2017م)، الاستقرار الأمني في تنمية القطاع السياحي، الأردن، دار الأيام، ط1، ص. 37.

في هرم ماسلو للحاجات حسب الشكل التالي:

شكل رقم 3: يبين هرم ماسلو للحاجات



المصدر: الخيكاني، رائد حسن علي (2017)، *إستراتيجيات التّسويق الفندقي ودورها في الطّلب السّياحي*، الأردن، دار الأيام، ط1، ص.144.

انطلاقاً من الاحتياجات الأساسية للإنسان، التي تمّ ترتيبها بشكل تصاعدي يترتب على مُقدمي الخدمة السياحية تحقيقها ممّا يتلاءم مع حاجات السّائح، الذي يأمل أن يستقبل بابتسامة عريضة عند الدُّخول، وأن تُقدّم له خدمة الغُرف بكلّ احترام كاف، وإشعاره بالاهتمام والرّعاية والأمن والأمان وتحسيسه بالمتعة والتّشويق، وعليه فإنّ حاجات الزائر يمكن إدراجها فيما يلي:

حاجة الرّاحة والاستجمام: الكثير من الرّبائن يبحثون عن الرّاحة الجسدية وحتّى النّفسيّة، نتيجة أعباء وضغوطات الحياة، ممّا يدفعهم للبحث عنها من أجل إعادة اللّياقة.

" لحق تروحي من الحمام خفيفة كي الريشة " (مقابلة 23)

" وكي جيت لحمام نريح مليح يقلك شوية ثلويحت، وشوي ثرويحت " (مقابلة 21)

" والخدمة تاغنا بزاف واعرة تحب الروبو *le repos* والراحة يديرونا في بلاصة ايزولي *ésolè*

يروبوزي يخدم في *algè sontre* ولا عنابة *sontre* ولا وهران *sontre* ولا تلمسان وألي يحي يخرج

من المشاكل في عقلو يحتاج يريح " (مقابلة 26)

حاجة التّغيير والتّعويض: تُعدّ هذه الرحلات وأوقات الفراغ تغيير جو عن حالات الرّوتين اليومي وتأثيراته، إذ يمنح هذا التّغيير طاقةً جديدة عند فرح السّائح، واستمرارية وإدخال البهجة والسُّرور عليه.

" جينا مع لا كناس جيت مرافق الزوجة وعندى 4la march مع المدام نتحمو ونخرج نتمشى ندير. Les soins ونروح نمشي انا مش تاع حمام برك كما المدام انا ندير حمام ونروح نمشي ونعرف la region (المنطقة)" (مقابلة 29)

" من ذلك نجى لحمام قرقور باه نبذل شوية جوّ، ونريّح فيه، راكي تعرفي المدينة كبيرة، وضغوطات العمل، وميلنمش حتى يطيح الواحد باه يجي، خصّو يشوف في روجو شوية، خاصة منّا المرأة، هي اللّي بزّاف عليها العبء الكبير، علاه الحمامات المعدنية بكري يجوها غير الكبار، واللي ما يقدروش يتحركوا، بصّح في الحقيقة هي نافعة للكلّ، إمّالا مذايبا نستفاد منها قبل ما نطيح أكل، ندير فيها مسّاج، ونأخذ فيها حمّام استرخاء نريّح فيه راسي وعظامي، من باعد نخرج منووكي الفراشة خفيفة". (مقابلة 14)

حاجة الاتّصال وتشكيل علاقات: يرغب الفرد بالاتّصال بالآخرين لتبادل الآراء والخبرات، والعواطف، فيتأثر بالعديد من المؤشّرات المتغيرة، والتي تجعل في التنبؤ بسلوكه والقرارات التي يمكن أن يتّخذها أمرًا صعبًا للغاية، فمن غير الممكن مثلاً تحديد التأثير الذي يتركه إعلان ما في نفس المتلقي بالشراء، أو مُنعمة و غيرها من الأمور

"حمام قرقور مسميلوش الحمام، سميلو

cè ma deuxième maison j'étais avec mais frères, j'étais avec mais serres

حنان يخدمو الخدمة تاعهم، ما يديروش هذيك نعرفها وهذيك منعرفهاش، يخدموا، *les*

les medecins, infirmeries ملاح *cè mais amis* ولينا *une famille* أنا كي نeced ما نروحش

cava pas لازم نروح نشوفهم" (مقابلة 30)

ثالثاً: تمثلات الوافدين الزبائن للممارسات السياحية العلاجية

1- الخدمة السياحية العلاجية مهارة وإنسانية:

من الضّروري في هذا القسم من الدّراسة طرح مفهوم الخدمة السياحية العلاجية، والتي تقوم عليها الصّناعة السياحية، وقد يتحدّد عامل الجذب بطبيعة الخدمة المقدّمة للسّيّاح.

لقد جاء "Gronroos" وبيّن أنّ الخدمة هي "نشاط أو سلسلة من الأنشطة ذات طبيعة غير ملموسة في العادة، وليس من الضّروري حدوثها بطريق التّفاعل بين المستهلك ومنتجي الخدمة أو الموارد الماليّة، أو السّلع أو الأنظمة التي يتمّ تقديمها حلولاً للمشاكل التي تعترض المشتري". في حين أنّ كوتلر "Kotler" فإنّه يُعرّفها على أنّها "نشاط أو منفعة يقدّمها طرف ما لطرف آخر، وتكون بالأساس غير ملموسة ولا ينتج عنها أيّ ملكيّة¹، كما أنّ إنتاجها قد يكون مرتبطاً بتقديم منتج ماديّ ملموس وقد لا يكون"². في حين تُعرّف على أنّها: "نشاط يؤدّي

¹ أنسور، إياد عبد الفتّاح (2008)، أسس تسويق الخدمات السياحية العلاجية مدخل مفاهيمي، الأردن، دار صفاء، ص. 56.

² الشّبلاوي، عبد الحسين موسى، مرجع سابق، ص. 133.

أو يقدم لإشباع حاجة أو رغبة معيّنة للزّبون وقد تقدّم الخدمة مقابل مبلغ معيّن مثل خدمة الفنادق أو قد تقدّم مقابل مبلغ رمزيّ خدمات المراكز الحكوميّة". والخدمة السّياحيّة هي "فعل أو أداء يقدمه طرف معيّن (فندق أو شركة سياحيّة) إلى طرف آخر (السّائح) ولا يمكن نقل هذه الخدمة بل على السّائح أن يأتي إلى منطقة القصد السّياحيّ لإشباع رغبته منها". في حين تُعرّف على أنّها "مجموعة من الأعمال التي تؤمن للسّائح الرّاحة والتّسهيلات عند شراء واستهلاك الخدمات والبضائع السّياحيّة خلال وقت سفرهم أو إقامتهم في المرافق السّياحيّة بعيدا عن مكان سكنهم الأصليّ¹.

2- خصائص الخدمة السّياحيّة العلاجيّة:

تعتمد السّياحة العلاجيّة بالأساس على نوعيّة المنتج العلاجيّ المتوقّر، وعليه فإنّ الخدمة العلاجيّة تختلف عن باقي أنواع الخدمات الأخرى إلا أنّها تشترك في كثير من النّقاط نُوجزها:²

• عدم الملموسيّة:

أي عدم إمكانيّة تلمس هذه السلعة بالحواس، ويترتب عليه صعوبة في تقييم الخدمة العلاجيّة قبل الشراء، مع ارتفاع نسبة المخاطرة لاقتنائها مع ضعف الملموسيّة بعد عمليّة الشراء، وعليه عمل مسوّقو هذه الخدمة على تذليل الصّعاب من خلال تحويلها إلى خدمات قابلة للتّمس من خلال التكنولوجيا العلاجيّة و البيئة المادّيّة للخدمة العلاجيّة كشكل المشفى والديكور والأثاث وغيره، وتشجيع الدّعاية حول الخدمة العلاجيّة (من طرف الأشخاص مُستخدمي الخدمة)، رسمُ صورة جيّدة وقويّة حول الخدمة العلاجيّة بالمنطقة السّياحية، وكذا تفعيل عمليّة الاتّصالات التي تتمّ قبل شراء الخدمة العلاجيّة.

• تذبذب الطّلب:

تتميّز الخدمة العلاجيّة بالتذبذب وعدم الاستقرار، حيثُ يُمكن أن يتأثّر بمبدأ الموسميّة، وأيضًا بعوامل تقنيّة كمحدودية الطّاقة الاستيعابية، كذلك العامل البشري من كوادِر ومؤهّلات بشريّة وطريقه تقديمها للخدمة.

• التّلازميّة:

أي يصعب فصل خُطوة الإنتاج والاستهلاك عن بعضهما، ومما يترتب عنه تحديد جودة الخدمة وتدارك الأخطاء حال وقوعها.

• عدم التّمائل:

يصعب في الكثير من الأحيان تنميط الخدمة العلاجيّة أو تقديمها بنفس المُستوى، لأنّ القائمين على الخدمة هم بشر وليس بالضرّورة يكون نفس الأداء للخدمة العلاجيّة.

¹ المرجع السابق، ص 134.

² إياد عبد الفتّاح، أنسور، مرجع سابق، ص. 56، 57.

ترتكز الخدمة العلاجية في هذا المقام على مفهوم الجودة الذي يتحدّد على إثره تصوّرات وتوقّعات العملاء أو الزبائن، والتي هي بدورها تتأثّر بعدّة عوامل منها¹:

- المكوّنات الماديّة للخدمة: منها الأجهزة وكلّ التسهيلات، والطُروف الفيزيقية لمكان الخدمة.
- سعر الخدمة: والذي يُعدّ أهمّ مُحدّدات التّعامل وعليه يجبُ تقديم سعر يتناسب والخدمة المقدّمة.
- الانطباع الذهني للعملاء (تصوّرات) عن الخدمة: وهو مزيج من توقّعات العملاء عن الخدمة وما يصلهم من معلومات حول الخدمة.
- لقاء العملاء بموظّفي الخدمة: إذ يتأثّر التّعامل بين العملاء ومُقدّمي الخدمة وذلك بالحالة النفسيّة، وصفات الشّخصية والخبرات السّابقة للعملاء مع سلوك مُقدّمي الخدمة ومُجمل مهاراته وخبراته في التّعامل.

حيثُ أكّد (Tsoukatos & Rand, 2007) على أنّ جودة الخدمة تشتمل على عُنصرين أهمّهما إجرائي وآخر شخصي، حيثُ يتألّف الإجرائي من النُظم والإجراءات المُحدّدة لتقديم الخدمة، أمّا الجانب الشّخصي للخدمة فهو كيف يتعامل العاملون بمواقفهم وممارساتهم اللفظية مع العملاء ذو الخلفيات المُختلفة. وعليه فإنّ جودة الخدمة السياحية العلاجية يُمثّل نقل الخدمات العلاجية والسياحية للمرضى القادمين بأسرع وأفضل وأرخص وأحدث الطُرق، من مُنطلق كون أنّ الجودة تُعدّ عملية بناء واستدامة للعلاقة مع العملاء، وذلك بتخمين وتنبؤ وتلبية احتياجاتهم القائمة والضّمنية، كما يرى "kotler" أنّها "الانحراف القائم بين قيمة الخدمة المُدرّكة، وتلك المُتوقّعة من قبل الزّبون"².

3-أبعاد جودة الخدمة السياحية العلاجية:

يرى (Swan & Comb. 1995) أنّ للجودة بُعدين أساسيين هما³:

- بُعد الجودة الماديّة: Physical Quality والتي تتضمّن الجوانب الماديّة الملموسة التي يتعرّض لها العميل عند حُصوله على الخدمة.
 - بُعد الجودة التّفاعلية: Interactive Qualith: وهي تشمل العملية الخدمية ذاتها، وما يتمّ فيها من تعامل وتفاعل العاملين بالمنظّمة مع العملاء.
- كما يرى (Lehitnen & Lehitnen 1982) إضافةً إلى هذين البُعدين هناك بُعدٌ ثالثٌ وهو بُعد كينونة المنظّمة والتي تتعلّق بصورة مُنظّمة الخدمة والانطباع الذهني عنها، حيثُ يذهب كل من Richardson

¹ شربتجي، أولغا، مرجع سابق، ص. 68.

² أنسور، إياد عبد الفتاح، مرجع سابق، ص. 62.

³ شربتجي، أولغا، مرجع سابق، ص. 69، 70.

(Robinson, 1986) إلى تحديدها تحت مُسمّيات ثلاث: بُعد الجودة الفنيّة، وبُعد الجودة الوظيفية، وبُعد الصّورة الدّهنية للمنظّمة والتي تعكس انطباعات الزبائن، والذي يقف وراء تقسّم الزبائن للجوانب الفنيّة والوظيفية للخدمة.

4- معايير جودة الخدمات السياحية العلاجية:

هناك العديد من المعايير التي على إثرها يحكّم الزبائن على جودة الخدمة السياحية العلاجية:¹

- الاعتمادية: وهو القدرة على تقديم الخدمات العلاجية بالشكل الذي يُدرّكه الزبون ويتوقّعها وبشكل دقيق ومُستمر في مواعيد مُحدّدة ودون أخطاء.
 - الاستجابة: وهي تتمثّل في قيام الكوادر الطّبيّة والإدارية بتقديم الخدمة العلاجية للزبائن بشكل فوري وعاجل، مع قدرتهم على التكيّف مع الطّروف الطّارئة.
 - الضّمان: وهو توفير شعور الاطمئنان والراحة للزبائن مُتلقيين للخدمة مع تقدير الجهد المبذول من طرف العاملين على تقديم الخدمة.
 - التّعاطف: وتشمل الجوانب التي تعرب عن تفهّم القائمين على الخدمة لاحتياجات ومصالح الزبائن المرضى.
 - الاتّصال: وهو وجود قنوات للاتّصال وإجراءات لنقل المعلومات بين الزبائن² والإدارة على حدّ سواء. وبنفس القدر تُطبّق هذه الأبعاد على الخدمة السياحية الفُنديقية وذلك لضمان جودة الخدمات من جهة، وتحقيق رضى الزبائن عليها من جهة أخرى.
- يبرز من خلال عرضنا للنقاط السابقة أنّ المكانة الدّهنيّة كبعد أساسي في تحقيق الجودة على مستوى السياحة العلاجية، وعليه فإنّ جذور هذا المفهوم برز عام 1902 م، عندما جاء كلّ من "Trou و AL Ries" في معرض حديثهما عن مفهوم الموقع Position حتى وصل إلى المكانة الدّهنيّة، حيث كان هذا الأخير ذو استخدامات محدودة في البيئة الإعلاميّة والتّرويجيّة، حيث أضاف الباحثين أنّه يمثّل مكانة المنتج الأساسيّة التي يحتلّها في اذهان المستهلكين أما بما يُعرف في المفاهيم التّسويقية بالتصوّر والانطباع للمستهلكين، ويؤكّد Kotler على مفهوم المكانة الدّهنيّة للمنتجات بأنّها: حصوله (المنتج) على مكانة متميّزة في أذهان العملاء، ليصبح أهمّ مفاهيم الاستراتيجيات التّسويقية³.
- إنّ دراسة التّصورات التي يحملها العملاء حول خدمة ما، قد يكون له دور فعّال في أيّ استراتيجية ما، ولأجل تحقيق الجودة في الخدمة لا بدّ بالأخذ بعين الاعتبار هذا البعد، كونه يحدّد الأسس التي يمكن بناء عليها

¹ أنسور، إياد عبد الفتّاح، مرجع سابق، ص. 65، 66.

² شربجي، أولغا، مرجع سابق، ص. 71.

³ أنسور، إياد عبد الفتّاح، مرجع سابق، ص. 69.

هذه الاستراتيجيات، وقد يرمي هذا البعد إلى أبعاد أخرى لا تقل أهمية عنه للبحث والدراسة، مثل سلوك المستهلك السياحي من خلال التعرف على خصائصه والعوامل المؤثرة في سلوكه ومجمل المراحل التي يمر عبرها، ليتم اتخاذ القرار لدى المستهلك السياحي، وذلك من أجل فهم وتفسير سلوك السائح، مثل تفسير اختياره لرحلة سياحية ما دون أخرى أو لبلد عن آخر.

وعليه في العنصر الموالي سوف نعرض جملة التمثلات التي يحملها مرتادي الحمام المعدني وكل ما يتعلق بالخدمة العلاجية.

5-تمثلات الزبائن المرتادي لحمام قرقور المعدني والخدمة العلاجية

اتضح من خلال المقابلات والملاحظات التي أجريناها بحمام قرقور وبخاصة المركب السياحي أن مرتاديه يقصدونه من أجل العلاج كون ان معظم الحالات تعاني من أمراض كما سبق وأشرنا له وعليه فإن القائمين على الجناح العلاجي بالحمام من أطباء ومدلكين وعمال مساعدين كل هذا من أجل تقديم أفضل الخدمات التي يحتاجها كل زبون من استحمام وأخرى علاج وترفيه وإقامة واطعام وغيرها من الحاجات الضرورية والثانوية ويسهر القائمون بالحمام على تحقيق الغاية وهي رضا السياح من أجل الرقي بسمعة المركب السياحي وأيضا للمحافظة على الزبائن وديمومتهم في زيارة المركب ولهذا ارتأينا ان نكشف عن تصورات الزوار للمركب من خلال المقابلات التي أجريناها
صرح بعض المبحوثين بقولهم:

"قالولي مليح بزاف للرتروز والروماتيزم، صح الخصائص تاغو تنفع الجسم، منين ندير فيها حمّام وزيد المساج يخف عليا السطر، والله الحمّام هذا مليح بالزراف، وخصهم يقوموا به، القعدة فيه ما تتعوضش، هكذا راني نشوف بلي الخدامة راهم يخدموا خاصة المدلكين، واللي قائمين على التأهيل الوظيفي كيما شفتي، الحق ملاح ويساعدونا ويخدمو مليح وحتى في الاستقبال، لازم يزيدو يطور وفيه شوية" (مقابلة 16)

"طوجور يديروا مساج مليح والله الحمد لله، قالي الطبيب لازم تجي طوجور هنا، وكي جيت لحمام نريح مليح يقلك شوية ثلويحت، وشوي ثرويحت، ولكن راجلي أرقاز مساعدني مليح، يليق شوية شوية مشي حتى تبقاي في الفراش، الحمام مليح للصحة". (مقابلة 21)

تقول. إنهم دائما يمارسون التدليك جيدا، فنصحني الطبيب بالحضور دائما الى حمام قرقور، وها قد استرحت كثيرا من آلام الركبة والظهر، كما يقول المثل: «شوية ثلويحت، شوي ثرويحت وشنو راجلي أرقاز مساعدني مليح، يليق شوية شوية مشي حتى تبقاي في الفراش، الحمام مليح للصحة أي أن الإنسان لا يترك نفسه كي ينهار شيء للعمل والظروف وشيء للعناية وبالصحة

والبدن، أي لا يليق بنا حتى نمكث في الفراش من المرض، ولكن قد وجدت زوجي رجلا بمعنى الكلمة فقد اهتم بي جيدا وهو يحضرني الى للحمام «والحمام جيد للصحة كثيرا»

"حنان يخدمو الخدمة تاعهم، ما يديروش هذيك نعرفها وهذيك منعرفهاش، يخدموا، les medecins، infirmeries، ملاح cè mais amis ولينا une famille أنا كي نقعد ما نروحش cava pas لاوم نروح نشوفهم الحمام مليح" حمام قرقور نسميه بيتي الثاني لأنني مع إخواني ومع أخواتي وهم جد حنونين، يعملون عملهم بكل أمانة لا لمحسوبية هنا (المعروفة)، الأطبايع، الممرضي والمدلكي كلهم رائعين لذا أصبحنا كعائلة، وعندما يطول عدم مجيء إلى الحمام، أصبح غير جيدة وعليه لا بد لي أن أذهب وأزورهم وأراهم" (مقابلة 30)

"عادي منحبش نبالغ في الأشياء المهم الفائدة في الدوا كما هو كما حمام السخنة هذي هي فيه خصائص فالماء جيت وخلص" عادي أنا لا أحب أن أبالغ في الأشياء المهم هو فائدة الحمام الدوائية مثله مثل حمام السخنة ولأنه يحتوي خصائص علاجية فإنني حضرت فقط" (مقابلة 27)

"كنت نحبي من الدروج وذك غير يومين !! والله الحمد لله مليح ياسر هذوك لي يخدمو الله ايبارك قاع ملاح والله الحمام هذا مليح مليح وحتى les siens اهذوك ملاح والله هذي ساعة مليح راني وقفت على رجليا ملي كنت نحبي على الدروج والله الحمد لله حضرت لم أكن اقدر على الحركة وارجلي لا أستطيع أن احركها وكنت اتدحرج على الدرج ومنذ اليومين التي حضرت فيها واستعملت ماء حمام قرقور والمساج والتدليك والعلاج فقد اصبحت امشي عليها والله أنا مندهشة جدا الحمد لله إنه رائع اما بالنسبة للعمال والمدلكات والأطباء فكلهم رائعون وحمام قرقور كله رائع وايضا العلاجات المقدمة جيدة انا قد استرجعت وقوفي على الأرجل مشاء الله بعدما كنت لا تستطيع مشاء الله" (مقابلة 24)

"الله يبارك هذا الحمام ألي يجي ليه جميع الأمراض يداويها كما هي عندها لارتروز يداوي مليح الناس لقيناهم هنا الله يبارك يقوموا... الماء تاع ربي سبجانوا أما الناس ملاح، هذي قدرة إلهية، يومين لا إله إلا الله، صارت تمشي كنز هذا تخليوه يضيع؟" الله يبارك هذا الحمام من يأتي إليه يشفى، مثل زوجتي عندها مرض لارتروز شفيت منها، والقائمين هنا جيدي أما من ناحية الناس بالمنطقة فهم رائعين، تجربة زوجتي يومين صارت تقف وتمشي على رجليها، إنها قدرة الله إن الحمام وماءه كنز ثمين وهل يترك ضائع؟ (مقابلة 25)

"من ناحية المعاملة هنا لا باس ملاح la réseption مليح، حمام، la restauration مليحة شوية" أما عن المعاملة فإن حمام قرقور الاستقبالات به أو الحمّام أو المطعم حسنة" (مقابلة 26)

"كي جيت اول مرة لحمام قرقور كنت قررت نقعد سمانه une somaine وقائلي الطبيعية لالor مراش تستفادي من الحمام والماء تاعو لأنه في السمانه الاولى راح يتحلو عظامك وفي السمانه

الثانية يدخل الدوا فيهم والسمانة الثالثة (21يوم) يتغلغو عظامك ويهدا تستفادي من الدوا فبقيت زوج سمانات اخريين بالرغم من أنى مكنتش مبرمجتها. كنت ندير la cure 21 يوم لحق تشدلي عظامي براسك ما يقارب 3 سنوات، نهار كامل وانا واقفة sur tout وخاصة الخدمة تاع التعليم والجامعة راكي تعرفي" (مقابلة23)

وتضيف:

"Bein sur. الماء فيه الفائدة كان عند مشكل في تاع الجلد كنت ندير la crème تاع visage بريت منو، و la peau تاعي ولات مليحة... لحق من نجي نروح مليحة وزيد هذوك لكيني (المدلكات) لحق هما ألي عليهم الخدمة كامل تعمل مليحة وخاصة من المكملات العلاجية الأشعة الحمراء لنفرا روج، والماساج والبرافين وغيرها راح تخليك مليحة" أكيد أن الماء فيه الفائدة كان لدي مشكل في بشرة وجهي وكنت أضع المراهم الخاصة بالوجه فعند استخدامي ماء الحمام فقد شفيت منه وأصبحت بشرتي جيدة... وكلما أحضر إلى هنا أرجع إلى المنزل وانا في أحسن حال ووضف إلى ذلك فإن المدلكات حقا عليهم كل العبا وهن يعملن جيدا وبخاصة عند إضافة المكملات العلاجية مثل الأشعة الحمراء والتدليك وأكياس البرافين وغيرها فإنها تتركك في حال جيد" (مقابلة23)

وتضيف:

"لحق حمام قرقور حاجة مليحة بزاف وهذي نعمة من عند ربي نحسو انا نقلهم أن حمام ربي لانو تعرفي الفوائد لي فالماء بزاف مليحة انا حاجة ما تعجبني قدام الفائدة تاع الماء، الماكلة تروحي ماتكليش وقادرة تشري وحدك ولكن الماء مايكونش "حقيقة أن حمام قرقور شيء رائع وهو نعمة من الله وأنا أحس وأقول لهم أنه حمام ربي فكما تعرفين أن الفوائد التي في ماءه جيدة كثيرا فأنا لا شيء يعجبني أمام فائدة الماء فإن كان على الأكل فإنك تذهبين وتشتريين عندما لا تتناولين في مطعم الفندق ولكن الماء فإنك لا تجدينه" (مقابلة23)

"المنطقة مليحة بالزراف عجبتني الطبيعة والحمام هنا تصيبي الماء تاع الحمام ولي سوان les soins وكاين الإقامة hotelier والماء تاعو فيه الفائدة بزاف الله يبارك L'eaux ما عدنا منقولو كلش مليح ولكن كي نقلهم للناس راني في حمام قرقور يقلك واش الماء زعما سخون الماء كاين مليح، الهواء مليح؟ نقلهم انا ايه مليح وكاين بزاف الماء يحوسو على الماء كفاه داير واش فيه إن المنطقة رائعة جدا قد أعجبتني الطبيعة وكذا الحمام فيوجد ماء الحمام وكذا العلاجات وأيضا الفندق كما أن الماء ذو فائدة عظيمة، الله يبارك كل شيء جيد لا نقول شيء ولكن عندما نقول للناس أننا في حمام قرقور فإنهم يسألني عن الماء إذا كان متوفرا بكثرة وهل هو ساحن بشكل جيد وهل الهواء جميل؟ أقول لهم نعم كل شيء رائع والماء متوفر وذو فائدة كبيرة" (مقابلة29)

"الحق الماء تاعهم دوا هايل والحق في لسوان الحمد لله أنا سولاجيت مليح مमार ثاني قاتلي بلي يدها كانت متقدرش ترفعها فوق راسها واليوم راهي تقدر تحركها الحق الدوا تاعهم ولي سوان ملاح ولي ديرلي في البرافين وتعملي والله مليحة بلزاف " الحقيقة أن الماء دواء رائع وأن العلاجات جيدة والحمد لله فأنا ارتحت كثيرا وكذلك أمي والتي قالت لي أنها لم تكن ترفع يدها فوق رأسها واليم هي تقدر على تحريكها حقاً الدواء والعلاجات جيدة وكذلك التي تقوم بوضع أكياس البرافين والتدليك فهي تقوم بعملها والله بشكل رائع" (مقابلة 18)

" هذا الحمام نعتبرو جوهره قتلك تدخل تولي جديد جات متمشيش ذرك راهي تمشي " السر أنه هذا الحمام أعتبره جوهره من يدخل له يصبح شابا بلا علل، زوجتي جاءت لا تقدر على الحركة، ولاكن الان أصبحت تقف على رجليها وتمشي" (مقابلة 25)

" نهذرو المزاية والعيوب وما لازمش نكذبو كي نجي هنا نرتاح لا باس الحمد لله " عندما آتي إلى هنا أستريح للغاية والحمد لله فلا بد من قول الحقيقة وذكر المزايا والعيوب" (مقابلة 28)

في حين أن بعض المبحوثين كانت صورة الحمام الحقيقية هو الحمام التقليدي لما يتمتع بخصائص تمكنه من الارتسام في مخيلتهم وأنه أكثر فائدة وأقرب للطبيعة من ذلك في المركب حيث صرحت أحد المبحوثات بقولها:

"اما الحمام التقليدي أنا نشوف انو *un stations romaine* (محطة رومانية) وزيد الماء. سخون طبيعي فيه الدوا وخاصة انو فيه الولي سيدي الجودي الضريح تاعو من فوق وحتى الزاوية، حاجة مليحة بالزاف حتى رانا نعرفو واحد من احفادو طبيب في بومرداس من السلالة تاعو" أما الحمام التقليدي فأنا أرى أنه محطة رومانية وماء ساخن بشكل طبيعي فيه الدواء وخاصة أنه فيه الولي الصالح والذي ضريحه والزاوية بالقرب من الحمام وهو شيء رائع ونحن نعرف أحد أحفاد الولي سيدي الجودي" (مقابلة 23).

وتضيف بقولها:

كذلك يعجبني التقليدي خاطر من *la source* (المنبع). ويعود للرومان خاصة كي ديرلي ظهره في *la Bouche* (فم) الشرشار تاع الماء والسخونية تاعو قاوية وتلاقي بظهره راه يعالجك، كل مرة نجي نروح ليه وهذه المرة نسقسي عليه يقولو مزال ما فتحش، إن شاء الله نروح ليه راهوم يقولو يفتح هذه السمانة، كنت نجي مع الفاميلية (العائلة)، وخاوتي وولادي ... والأحفاد نعملو *programme* برنامج اليوم فتحملو في الصباح ونديرو *les soins* بعدها نتمشاو بعدها نرجعو نروحو للفيلاج *le vilage* وننزلو لسيدي الجودي ثم نرجعو ناخذو فيها حمام ثم نتعشاو ثم نرقدو وهكذا" (مقابلة 23)

تقول: كذلك يعجبني التقليدي لأنه من النهج والمصدر الطبيعي وهو منذ الرومان خاصة عندما تضعين ظهرك في تحت منبع الماء المتدفق من المرش الطبيعي ومع درجة حرارته العالية فإنه يعالج فإنني كل مرة كنت أحضر فيها اتى الى الحمام التقليدي ولكن هذه المرة أجده مغلقا كنت أحضر مع العائلة ونعمل فيها برنامجا فأولا نأخذ حماما في الصباح ثم نأخذ علاجات بعدها نتمشى ثم نذهب إلى وسط المدينة ثم نذهب الى الحمام التقليدي ثم نرجع ونأخذ حماما ثم بعدها نتناول العشاء ثم النوم وهكذا.

وتقول أخرى:

" *Bien sur* الماء مليح كي جيت سرحولي العروق الماء مليح هذا الماء مشي تاع قرقور الصبح، قرقور تاع الصبح راه الهيه مغلوق، بصبح لخر خير سخون لخر قابوس خشين كي يطيح عليك يوجعك، يداوي مليح كي يفتح نجيو" أكيد ماء الحمام جيد فقد حضرت إلى هنا واستعملت الماء فعالجت عروقي المتنبسة ماءه جيد ولكن حمام قرقور الحقيقي هو التقليدي ذلك الآخر إنه مغلق بسبب كورونا فهو أحسن وساخن وهو يتدفق من ينبوع غليظ وحين ينهمر على جسدك يؤمك من شدة قوته وحرارته إنه يعالجك جيدا وعندما يفتح أبوابه سوف نحضر إليه" (مقابلة 22)

لاشك في قيمة مياه حمام قرقور وقيمتها العلاجية إنه يتمتع بخصائص عالية القيمة فحينما يلتقي الجسد المتعب والمرهق والمتوعك بسبب الأمراض وضغوطات المدينة والظروف المعيشية وتغيراتها التي اضفت بانعكاساتها على صحة الأفراد وهدوءهم وراحتهم، وقد شكل الحمام فرصة لتحقيق ذلك فهو فرصة للتلاقي والتداوي والراحة والاستجمام وقد تبين من خلال الدراسة أن حمام قرقور يتمتع بكل المزايا التي تستهوي عشاق السياحة الحموية وكانت الصحة من بين أكبر الغايات طلبا لدى مرتادي الحمام، كما اتضح أن السياح يحملون تصورات تغذيها جملة الاعتقادات والقيم والمعايير التي يتم الحكم بها على الحمام وقيمتها العلاجية. غير أن هذه التصورات تتماثل في كثير من الأوقات لدى مرتادي الحمام فقد كانت منفعة ماءه هي الأسمى مقارنة بالأمور المادية الأخرى.

يعالج الحمام بمائه المعدني الحار الكثير من الأمراض العظام والجلدية والعصبية والتنفسية وامراض العيون والنسائية وغيرها هذا ما تم الكشف عنه خلال التحقق الميداني وتقربنا من الحالات التي تتردد على الحمام وكذا ما تم التصريح به من أطباء الحمام في الجناح العلاجي.

إلا أن بعض الحالات ترى من الضروري أن تكون الرقابة أكثر في الجناح العلاجي للحمام وخاصة في الحمامات الجماعية وقاعات الاستحمام الفردية تفتقر للنظافة والتجهيزات الضرورية مثل معالق الملابس

وكراسي للجلوس وكذا منشف الأرضية و غيرها وأن هذه الحمامات بالنسبة للمريض هي عبارة على علاج فمن الضروري التنبيه والتوجيه وهذا ما تؤكدُه أحد المبحوثات بقولها:

"كما لبنوار سي تان سوان، أموا يديروا أفرمييار توريلهم للنسا والعجايز الكبار كيفاه يستغلو الماء ولا غير تروح تجيب الماء من التوالات مش حمام دنيا هاملة، الذري تلعب من المفروض الطقم الطبي يعطي أوامر، لي بنوار سي تان سوان تقلي لمفرمييار هنا بلي قداه عجوزة هنا تكسرت طاحت روحت مكسرة علاه من المفروض يديرو بنالك للصغار أما رش أو دي شان قاتلي كراسة يسرقوهم، والبيت ألي يلبسو فيها القش لازم فيها كرسي" (مقابلة 18)

وفي هذا الشأن يقول موظف في المصلحة التقنية بالمركب أن:

"كاين إلي عندو ثقافة سياحة حموية وكاين إلي عندو ثقافة حمام، ولكن هي ثقافة علاج هنا تكفي". يبقى هناك من له ثقافة حمام بحتة، وهناك من تكون عنده ثقافة علاج، والحمام المعدني يكفي أن يكون للعلاج فقط".

وعليه فإن الحمامات وممارسة الاستحمام هي عملية من عمليات العلاج يحض بها المرضى المستشفين لأجل استكمال العمليات المكملة الأخرى لكن الماء والاستحمام به يعد خطوة أساسية نحو تحقيق العلاج وهذا ما تم الكشف عنه خلال تواجدها بميدان الدراسة ومشاركة المجتمع المبحوث فضاء الحمام والاستحمام وتطبيق العلاجات حيث كنا في غالب الأحيان نأخذ حماما وبعدها نجلس في قاعات الانتظار ومرات نأخذ العلاجات وأخرى نجلس في عيادة الطبيب لأجل الاستشارة وغيرها من الوضعيات التي تم تقمصها لأجل الكشف عن الحقائق حيث تغلب على ممارسي السياحة الحموية ثقافة استحمام أكثر منها علاج وفي هذا الشأن فقد كشفت مصالحي بالمركب المعدني على أن من بين النقاط الأساسية التي يهدف إليها مشروع التنمية هو زيادة طاقة الاستيعاب وفصل المستحمين العابرين على المعالجين المقيمين من خلال بناء حمام آخر بالقرب من المدخل الرئيسي للمركب واحد للنساء وآخر للرجال وكافتيريا يسمى هذا الحمام ب "أخام" وهي كلمة أمازيغية من ثقافة المنطقة وتعني البيت حيث صرح موظف بالمصالح التقنية بقوله:

"تم إنشاء حمام جديد حيث أدرج به جناح خاصّ بالنساء، تمثل في 16 حمام فردي زائد مسبح جماعي. أمّا جناح الرجال فتمثل أيضا في 16 حماما فرديا زائد مسبح جماعي، وذلك في كلّ جناح، إنشاء كافتيريا وسوّي هذا الجناح ب "أخام"، هي تسمية محلية تقليدية وتعني البيت، حيث كانت قد أفتُرحت من مكتب الدراسات، وذلك بعد الاطلاع على تقاليد المنطقة، والذي قام هذا المكتب بإنجاز برنامج إعادة التهيئة بالمحطة".

"الحمام الجديد هذا الي جاء في مشروع التنمية راح يزيد يدعم ويرونفورسي في طاقة الاستيعاب، تزيد *les soins* راح تزيد، وضرك الشعب الجزائري بدات تدخلوا ثقافة السياحة الحموية، وهذا هو الهدف تاغنا زيادة وتحقيقها" إن مشروع التنمية الذي تضمن إدراج حمام جديد بإمكانه أن يدعم المركب ويزيد في طاقة الاستيعاب والجذب، وبالتالي زيادة العلاجات الحموية به، خاصة في الآونة الأخيرة هذه قد برزت ثقافة ارتياد الحمامات المعدنية لدى الشعب الجزائري من كل الفئات العمرية"

6- الأمراض وعلاجاتها

تساعد المياه الدافئة العضلات على سهولة الحركة وتقوية الضعيف منها وترمم المتقلصة منها لتعود إلى وضعها الطبيعي مما يخفف الآلام ويقلل وينهي الالتهابات ويعيد الجسم إلى حالة الاسترخاء والنشاط فمن استخداماتها:

- الالتهابات الروماتيزمية
- الالتهابات الليفية العظمية
- الالتهابات العصبية واضطرابات الأعصاب والامها
- ارتخاء العضلات والشلل
- تيبس المفاصل والعضلات
- التهابات القولون المزمن واضطراب الدورة الدموية
- التهاب الجيوب الأنفية وأمراض الجهاز التنفسي

تحتوي المياه الحموية على عناصر معدنية مثل الكبريت غاز ثاني أكسيد الكربون، البروميد، المياه المشعة، الرادون، اليود، الحديد، الصوديوم، الكالسيوم، المغنسيوم، وغيرها، وتستخدم المياه الحموية بمختلف الطرق العلاجية فعن طريق الاستحمام والغطس، والشرب، والاستنشاق، وتعتمد الطريقة المناسبة على طبيعة معاناة المريض وخصائص المياه العلاجية.¹

إن طبيعة المياه في المركب المعدني حمام قرقور لا تختلف عن مياه الحمام التقليدي فقد أشرنا إلى أنه يتم تجميع منبع عين شوف في خزان مشترك بين الحمام التقليدي والمركب، ولذلك فهي تتطابق تماما مع مياه الحمام التقليدي، لكن انخفاض درجة حرارة الماء وذلك بسبب نقله في القنوات والمضخات، قد أثر على تفكير الوافدين فهناك من يفضل الحمام التقليدي رغم الشروط القليلة إلا أن حرارة المياه العالية تريحهم وتشعرهم بالفائدة الصحية العالية، في المقابل هناك من يرى أن قيمة المياه ليست في درجة حرارته، ولكن في تركيبته الفيزيو-كيميائية، ولذلك سوف ندرج أهم مكونات مياه حمام قرقور المعدني.

¹ سلامة، إلياس والريماوي عمر، مرجع سابق، ص. 5، 6، 7، 8.

مياه الحمام المعدني هي مياه:

- كالسيوم مكبرتة Sulfatées Calcique

- كلور الصوديوم Chlorur 2s Sodiques

- كثافة عالية للنشاط الإشعاعي Grande Intensité Radio Activité

إن تصنيف هذه المياه السولفاتية (كالسيوم مكبرتة) وذلك حسب دراسة هانريوت Hanriot عام 1911م في

كتابه المياه المعدنية في الجزائر Les Eaux Minérales De L'Algérie والتي قد ارتكزت عليها الدراسات

والتحاليل الكيميائية فيما بعد،¹ وقد أشار إليها عبد القادر مصطفى اشتملت هذه التحليلات الفيزو-

كيميائية على ما يلي:²

- مقاومة = 280 أوم .

- نسبة الحموضة ph = 6,7.

- درجة الحرارة تتراوح بين 41 إلى 45 درجة مئوية.

- مستخلصات جافة = 6,3 غ/ل (180°).

- SO₄ = 1,6 غ/ل.

- الكالسيوم = 0,58 غ/ل.

- الكلور = 0,48 غ/ل.

- الصوديوم = 0,25 غ/ل.

- المغنيزيوم = 0,08 غ/ل .

- السلس = 0,012 غ/ل .

- المواد المشعة من 9,12 إلى 122 ميلي ميكرو كيري .

- غاز مستخلص (Co³, Co²) = 70ل/الدقيقة .

توفر الحمامات المعدنية الحموية مجموعة من التقنيات الخاصة بالرعاية الحموية وذلك لأجل مساعدة

المستشفى على التمتع بفوائد العلاج المائي من أجل تحسين القدرة على الحركة المفقودة والمشى بشكل أفضل

وتخفيف الألم التي تصيب المفاصل وذلك من خلال برنامج شخصي علاجي la cure والذي يقترح محتواها من

طرف الطبيب الحموي والذي يتبع حالتك ورعايتها بشكل أفضل. ويحوز جناح الحمّام للعلاج المعدني

بحمام قرقور على تجهيزات توفر للوفدين إلى المركب إمكانية العلاج بالمياه المعدنية وفق ما تستدعيه الحالة

الصحية للمستشفى والتي على إثرها تتعين الممارسات العلاجية وهي:

¹ Hanriot, M. (1911), *Les Eaux Minérales DE L'Algérie*, Gouvernement Général De L'Algérie, PARIS, P280.

² Mostefai, Abdelkader, *op.cit*, P. 35,36.

- | | |
|-----------------------------|-------------------------------------|
| -02 Grandes Piscines – | (02) مسبحین كبيرین |
| -05 Piscines de Cheminement | (05) أحواض مسار |
| -04 Douches Lombaires | (04) حمّامات قطنية |
| -50 Baignoires | (50) أحواض استحمام |
| -04 Massages sous l'eau | (04) تدليك تحت الماء |
| -04 Douches aux jets | (04) حمّامات الطائرة |
| - 01 Salles de rééducation | (01) قاعة ترويض |
| - 13 Salles de soins | (13) قاعة للعلاج وكل قاعة تتألف من: |
| -01 Vibromassage | 01- تدليك اهتزازي |
| -01 Infrarouge | 01- أشعة تحت الحمراء |
| -01 Électrothérapie | 01- معالجة كهربائية |
| - Paraffine | - أكياس البرافين (مادة شمعية) |

يقوم على الممارسة العلاجية بحمام قرقرور طاقم مكون من:

02- طبيب (طبية، وطبيب)، 01 أمانة طبية، 01 خاص بالعلاج الطبيعي، 14 مدلك ومدلّكة، 06 سباحون وسباحات، 04 خادّات، 01 مستقبلة.

DOUCH LOMBAIR

BAIGNOIR

DOUCH AU JET



BAIGNOIR

SOUS L'EAU

PISCINE DE CHEMINEMENT



صورة رقم 29: صور تمثل بعض التطبيقات العلاجية المائية

المصدر: المركب السياحي حمام قرقور

الأمراض التي يتم علاجها بمياه الحمام: من خلال ما عرضناه لمختلف التحاليل التي قام بها مختلف الكيميائيين ومهندسي المناجم في الفترة الاستعمارية والتي قد أهلت مياه حمام قرقور لتصنف الثالثة عالميا من ناحية المياه الإشعاعية الايجابية لصحة الإنسان وحسب ما أكدته مشاهداتنا ومقابلاتنا المختلفة وهذا ما تم تأكيده أيضا من طرف أطباء المركب أنها أمراض الروماتيزم، الأمراض العصبية، الأمراض الجلدية، أمراض النساء واعدة التأهيل الوظيفي، حيث جاء على لسان طبيبة المركب أن الأعراض المصاحبة لأمراض الروماتيزمية عادة ما تكون:

- آلام في المفاصل
- تعب وارهاق
- فشل عضلي ، انتفاخ، وإحمرار

وهي أعراض عضوية فيزيائية أما الأعراض النفسية والاجتماعية فهي إحساس المريض أنه دوما لا يستطيع الحركة والقيام بعمله بشكل أفضل وذلك قد ينعكس سلبا على نفسيته، ويصبح مكتئاب وذلك باحساسه بعدم قدرته على القيام بالوظائف اليومية مما سوف ينعكس على محيطه الاجتماعي مثل قد يتأخر على العمل وعدم انجاز وظائفه وتسجيل الغيابات مما سوف يتسبب في علاقات غير جيدة مع الآخرين ويكون مرضه من الأمراض المزمنة التي تلازمه.

وقد تمثل الأمراض الروماتيزمية 70% من مجمل الأمراض التي تعالج في حمام قرقور ومن أنواعها:

أرثروز فقرات arthroze verticale (رقبة، ظهر، وسط، حوض، اليد والرجل، الركبة).

والباقي هي أمراض عصبية maladies neurologiques منها باركسون parkinson، الشلل النصفي AVC.

وأمراض جلدية كالصدفية والحروق والالتهابات والبثور والتقرحات الجلدية.

وأمرض فيزيو- حركية أو التأهيل الوظيفي والحركي maladies orthopédique مثل أنواع الكسر المختلفة لأعضاء الجسم.

في حين يتم قصد حمام قرقور لأجل أمراض نفسية أخرى pour la remise en forme أي حالات التعب والضغط النفسي وتغيير الجو والراحة والاستجمام وغيرها.

وعليه يستفيد المرضى من مختلف التطبيقات العلاجية المختلفة كل حسب حالته المرضية وبدرجات متفاوتة من علاج مائي بالمغاطس والحمامات ثم علاجات مكملة مثل التدليك اليدوي والكهربائي والعلاج الكهربائي، وأيضا وضع أكياس البرافين الدافئة والتي تحوي مادة شمعية تستخدم للعلاج الموضعي والأشعة الحمراء كذلك علاج موضعي والتي ترمي في مجملها إلى تحسين حالة المريض واسترخاء العضلات وتنشيط الدورة الدموية وتدفأة موضع الألم لتقليل من الألم شيء فشيء. وهذا ما تم ملاحظته مع العديد من الحالات المرضية أين كنا نحن طرفا في العملية العلاجية، ومرات أخرى كنا مشاهدا عن قرب.

وفي هذا الصدد تشرح لنا الدكتورة بالمركب المعدني مختلف الأمراض وعلاجاتها بالمركب غير أن هناك 12 علاجا حمويا معتمدا في العديد من الدول وأنه تتنوع الممارسة الحموية من حمام حموي إلى آخر وذلك حسب تركيبة كل ماء حموي إضافة إلى تنوع الممارسة العلاجية حسب المواسم والذي يحدد الفئات المعالجة في كل تخصص، وتتنوع هذه التخصصات كما يلي:¹

- Rhumatologie
- Voies respiratoires
- Maladie cardio-artérielles
- Phlébologie
- Neurologie
- Affections psychosomatiques
- Affections urinaires et maladies métaboliques
- Gynécologie
- Affections digestives et maladies métaboliques
- Troubles du développement chez l'enfant
- Dermatologie
- Affections de la muqueuse bucco-linguale

- أمراض الروماتيزم
- المسالك التنفسية

¹ L'European Spas Association, (2020), *Le guide du thermalisme Des stations thermales Françaises*, France, Les Thermalismes le Salan de l'Eau & du Bien-Être ,edition45, p. 25.

- أمراض القلب والشرابين
- علم الأوردة
- طب الأعصاب
- الاضطرابات النفسية الجسدية
- اضطرابات المسالك البولية وأمراض التمثيل الغذائي
- أمراض النساء
- اضطرابات الجهاز الهضمي وأمراض التمثيل الغذائي
- اضطرابات النمو عند الأطفال
- الأمراض الجلدية
- اضطرابات في الغشاء المخاطي الفمي - اللغوي

غير أن الممارسة العلاجية الحموية في الجزائر وفي حمام قرقور بالأخص لا تتعدى أربع أو خمس أنماط علاجية أمراض العظمية الروماتيزمية، الأمراض التنفسية، الأمراض الجلدية، العصبية، الأمراض النسائية وهذا يمكن تفسيره بقلّة الخبرة في مجال الحموي وعدم الانفتاح على الخبرات الأجنبية في هذا المجال، كما أن مستوى الخدمة يفتقر إلى الجودة، وافتقار المراكز الحموية للتجهيزات الطبية المتطورة كما لا ننسى أن المجتمعات العربية ومنها بخاصة الجزائر تسوده ثقافة استحمام وليس ثقافة علاج وهذا قد يحد من وعي الأفراد في الاستفادة الطبية للمياه الحموية. إلا أنه في الآونة الأخيرة قد تم الالتفات لشعبة الحموي كما تم عرضه في الفصل الثاني ومحاولة ادراج تخصصات أخرى والتي قد تم المباشرة فيها وهي تخصص قلبية وقد يمكن في المستقبل القريب جعل الحمامات المعدنية أكثر تخصصا في العلاجات وذلك حسب الخصائص الفيزيو-كيميائية للمياه الحموية.

حيث تقول طبيبة بالمركب:

Les stations thermales التي عندهم كل واحدة مختصة في الحمويّ عندهم 12 orientation نوع (تخصّص) في الحمويّ، مثل مختصة في العظام، مختصة في الأمراض القلبية، روماتيزم... إلخ.

عندهم الماء زائد مكملات أخرى مثل الطّمي (الطّين الحمويّ) والغاز.

التّطبيقات تختلف عندنا الحمامات الخارجيّة مثل البسين العلاجيّة، بينوار، شرشار، مساج سولو، وجي، وغيرها.

-هما مثل الروماتيزم، عندهم يستعملو الماء، لاي رويان *par exemple* ماء ديروه ديبول فقاعات، مساج تحت الضغط، يستعملوا الغاز *Gaz*، يستعملو البخار، يستعملو *la boue* الطّين، يستغلّوا كلّ شيء،

-مثلا لورال: كيفش تداوي كلش عندهم طرق وأجهزة، يديرو فيها لابرسيو (الضغط) لي عندو، سنزيت، عندو التهاب في الجيوب الأنفية، والحلقية عندهم *Toyo des Bains* بتويو رقيق، ويعطيلوا لابرسيو *la prition* يستيوها لاريفاسيو *l'irigations* كايين طرق بزاف،

تروحي لي دارماتو *D'ematologi* حاجة مشهورة، تروحي للحروق تلقاي لي بان فيلي فورم، كي ديسيكاتريس (أثارا كي تيبس)، فيها بهذيك لابرسيو تعمل بستوري بالماء، وجاه يقشر الخلايا الميتة، التكتلات، ويستعمله إلا الطبيب هذه العملية.
-جينيكو: يستعملو يدخلو الماء من تحت.

ديجزييف: عندهم الماء تاع الشرب ل *cure de Boisson* عندهم، *la cure de prestions* *abdominale* لهم لاكيور مشي كيما أحنا، *la cure* كي تروحي ديري *la prison charge* عندهم 72 *soins* تديها في 21 يوم. و *les soins* معندهم مساج ولا، عندهم 72 تطبيق ما في عندهم هما *l'éducation thérapeutique* التربية الطبية للحمامات، هذي يخلصوا علمها أن سييليمو *en supplément* يديورلهم جلسات مع *les psychologues* مع *les médecins*، مع *les infirmiers* نعطيك مثل، واحد عندو رجل، خاطر كايين *orientation phlébologie*، تعني الدورة الدموية، دورة الأعصاب، كايين الماء اللنفاوي، وعندنا مرض يسموه *la phlébologie* انتفاخ الأرجل الفيل، من الحوض إلى أسفل القدم، عندها مشكل لروتور فيلو، رجوع الدورة الدموية *le retour vineux* هذه من بين التوجهات الأساسية *le Orientation principale* في الخارج التارمليزم بيعثولو بزاف *la phlébologie* كايين مؤسسات خاصة بهذا النوع، في *la phlébologie* اواش لازم داويه بالماء، بصح مبعد *l'éducation thérapeutique* تعلمو كيفاه يدير *les bains* تاوعو، تعلمو كيفاش تمشي، تعلمو كيفاه تطلع كرايك، كيفاه يدير مساج هذي *l'éduction* تبع... عندنا

مثلاً *et le cardiologie, pour le cardiaque* كما راح نديرو حنا في حمام قرقور، وكل الوطن في المحطات الحموية هي تابعة *la phlébologie*.

وعندك *l'orientation cardio* تروحي عند *la phlébologie* ديري *le tipé* هامة جدا، وداخلة فيها تخلصيها، يعني ديري تربية علاجية حموية (*le tipé*).

تقول:

"بالنظر إلى المحطات الحموية الأخرى في العالم، نجد عندهم 12 تخصص وتوجه حموي، منها خاصة بالعظام، بالأمراض القلبية، بالروماتيزم... إلخ، ولديهم الماء مهم جدا، إضافة إلى مكملات أخرى منها الطهي (الطين الحموي) والغاز الحموي، كما أن التطبيقات العلاجية تختلف، فلدينا

مثلا الحمامات الخارجية تتمثل في المسابح، والحمامات الفردية، والشرششار، والتدليك تحت الماء (جي)... لكن في الغرب مثلا الروماتيزم يستعملوا الماء بشكل أساسي (لاي روبان)...

مثلا الماء يديروه على شكل فقاعات مائية، مسابح تحت الضغط، يستعملوا الغاز الناتج من المياه الحموية، كذلك البخار، أيضا يستعملوا الطين الحموي، فهم يستغلون كل الأجزاء من الحموي.

مثلا لأمراض الأنف والحنجرة عندهم طرق وأجهزة يستعملوا فيها كل شيء لأجل علاج كل شيء، مثل عمل الضغط الذي عنده التهاب في الجيوب الأنفية والحلقية، عندهم حمامات تستعمل أنبوب بلاستيكي رقيق، وتحت ضغط معين يسمونها *l'irrigation*، فيوجد طرق كثيرة، أيضا عندما تتجهين لجناح *la dermatologie* الأمراض الجلدية، فمثلا الحروق فنجد الحمامات *filiformes* وهي جد مشهورة للحروق وآثارها، فبواسطة الضغط المنبعث من أنبوب الماء، والذي يعمل كأنه شفرة رقيقة، فهو يقشّر التكتلات للخلايا الميتة، والذي يستعمله إلا الطبيب المختص في ذلك.

أما إذا ذهبنا إلى اختصاص *Gynécologie* الأمراض النسائية فإنه يتم العلاج بالماء، في حين يستعملون ماء الشرب للعلاج أو ما يسمّى بـ *la cure de Boisson* أو *la cure de prestions abdominale*، في حين هم عندهم العلاج (*la cure*) ليس ما نحن نعمل به، فعندما تذهبين عندهم في الخارج وتحجزين عندهم للعلاج فإنّ لديك 72 تطبيق علاجي مائي، كما عندهم ما يسمّى بـ *l'éducation thérapeutiques* التربية الطبية للحمامات أو الحموية، وقد يتم الدفع لأجل الحصول عليها، وذلك بإقامة جلسات مع الأخصائيين النفسانيين والأطباء، والممرضين، فمثلا شخص له رجل مريضة أو ما يسمّى بـ *orientation phlébologie* تعاني من انتفاخ أو تسمّى برجل الفيل، فهذا العلاج أو التطبيق يعمل على إعادة سيران الدورة الدموية ورجوعها بشكل سليم، لأنه لنا الدورة الدموية والدورة العصبية، ودورة الماء للمفاوي، وهذا المرض *phlébologie* يصيب القدم من أسفل الخصر إلى أسفل القدم أين يكون فيه مشكل في رجوع الدورة الدموية *le retour vineux*، حيث أنه في خارج البلاد عندهم الحموي يرسلون له حالات كثيرة جدا من هذا النوع *phlébologie*، فهناك مؤسسات خاصة بهذا النوع، ويستلزم فيه العلاج بالماء مع التربية الطبية، لأجل تعليمه كيف يستعمل الحمامات الخاصة به، وكيف يمشي، وكيف يحرك رجليه، وكيف يستخدم التدليك.

أما فيما يخص اختصاص قلبية، والذي تمّ اقتراحه ودراسته، والمباشرة فيه في المحطّات الحموية الجزائرية، كيف نستخدم الحموي في هذا الاختصاص، فهي تابعة لاختصاص *la phlébologie*، ولدينا التوجيه القلبي نذهب إلى المختص في مرض *phlébologie*، وتعمل ما يسمّى بـ *le tipé* (مقابلة مع طبيبة المركب السياحي).

من خلال الزيارات الميدانية التي قمنا بها سجّلنا اختلاط للمستحمين الأحرار بالمستشفين المعالجين وهذا قد شكّل نظرة استياء لدى المرضى كونهم يمارسون استحمام علاجي مضبوط بالوقت المخصص لذلك عكس ذلك عند المستحمين فصفة حرة الأمر الذي شكّل اكتظاظ في المغاطس الفردية والجماعية في كثير من الأوقات مع أنه هناك نقص واضح في بعض المعدّات في المغاطس خاصّة الفرديّة، ونقص في الإنارة بها، غياب حاويات النظافة في كلّ حمّام فرديّ ولكن هي بشكل جماعي خارج في الرواق، لاحظنا أنّ مياه الصّرف الصّحي (مياه الحمّامات) لا يتمّ جمعها بطريقة عمليّة إلا أن النظافة هي مسؤوليّة المستحمين بالدرجة الأولى فالحمّام مكان عام وأيضا هو فضاء للاستشفاء والعلاج فلا غنى للنظافة هناك ولا يتحقق ذلك إلا بتضافر جهود الجميع مع الحس الجماعي بنظافة المكان إذ يخضع الدّخول إلى الحمّامات إلى نظام وترتيب وكلّ بدوره، من خلال دفع المستحقّات عند القابض الرّئيسيّ، ثمّ المرور إلى الحمّامات التي يوجد فيها القابض الثّاني، الذي بدوره يُراقب تذكرة المرور للمستحم، وتوجيهه إلى غرفة الاستحمام اللّازمة. كما تمتدّ ساعات العمل للعمّال والعاملات بالحمّام طيلة اليوم، حيث إنّه يوجد تغيير في العمّال الموظفين خلال اليوم، وهذا ما قد أعرب عنه الكثير من الموظفين في جناح الحمّام، حيث تقول إحداهنّ أنّه يرهق كثيرا، حيث إنّه لا يترك لها وقتا للتنظيف خاصّة مع التوافد المستمر للزبائن، على الأقلّ قبل ساعة من الخروج من الدّوام، وهذا ما قد يعيق مستوى الخدمات في المركب، عكس ذلك في جناح التّدليك هناك تبادل للعاملات لساعات العمل، إضافة إلى وقت الفراغ من 12 إلى 13:00 زوالا (ساعة)، يُعدّ قليلا مقارنة بحجم طاقة العمل. (13:00_12:00) هي فترة تناول وجبة الغداء).

وفي هذا الشّأن تقول إحدى العاملات:

"من الصّبح وأنت هنا تستقبلي في المستحمّات حتى للعشية يتعب بزاف، والإنسان طاقتو وعقليتو تتعب، حتى باه تنظفي المغاطس ماتقديرش، لأنّه الناس داخله عليك في كلّ دقيقة، على الأقلّ دايرين عدد أكثر للعاملات، باه تتبادلوا الفترات وتتناوبو طول اليوم، منها ما نتعبوش بزاف، ومنها تكون الخدمة مليحة، خاطر راكي مع الناس، وكي تكوني تعبانة مش قادرة تقديري تغلطي ومتعاملهمش كما يلزم، وحتى هما يجيوك بعقليات كثيرة"

وفي هذا الشّأن تؤكّد إحدى المدلّكات على ضرورة تحسين ظروف العمل بقولها:

"الظروف هذه هي ضغوطات العمل متوفريش متمديش فاقد الشيء لا يعطيه عندهم مشاكل وضغوطات وزيد مع المريض لازم تكوني مؤهلة باه تخدمي المريض ولا روح تروح متخدمش لازم المريض تنحيلو على خاطر و يجيك مريض في حالة ويزيد يلقاتك أنت في ذيك الوضعية يزيد عليه الحال"

هناك نقص في العائلات الخاصّة بالجناح النسائي من الحمام، كما أشارت له العاملة أنّ هناك ضغوطات من بينها (حضور الأطفال مع الأهل)، يصعب العملية ويزيد من شدة الانتباه والحرص عكس ذلك عند الرجال، كون أنّ الأمّ تحضر صغارها إلى الحمّام شيء ضروريّ في الثقافة الجزائريّة، عكس ذلك عند الرجال، يُعدّ الأمر أحسن ذلك، خاصّة كما أشارت له العاملة أنّه في حال غياب للعاملة فإنّه تتراكم عليها الأعباء في العمل، وعليها أن تقوم بها وتعويضها حال عودتها، وعليه فإنّ هناك نقص واضح للعائلات بالنسبة إلى جناح النساء، عاملات للتنظيف، الإرشاد والتّوجيه... وغيرها، فعاملتين أو ثلاث لا تكفي، وخاصة في هذه الظروف الصحية الاستثنائية، فإنّ هناك ضغوط نفسية بالنسبة للعاملات، وعليه لا بدّ من توافر عاملات أكثر لأجل المراقبة، فالحمامات هي قاعات علاج مائيّ يستعملها المرضى للاستشفاء، لكن ما تمّ ملاحظته أنّ ممارسة الحمامات العلاجية ممارسة استحمام شعبية، حيث تستخدم بطرق اعتباطية شعبية تُوجي بثقافة استحمام لا علاج، حيث إذا تمّ منع مثلا الصّابون فلا يتمّ تقبّل ذلك من المستحمّين المرضى.

رابعاً: فن الضيافة تمثلات وممارسات

1- ممارسة الضيافة عبر التاريخ

ترجع بدايات نشأة الفنادق إلى آلاف السنين ولم تعرف التطور الذي عرفه العالم الغربي في الوطن العربي كون أن العرب من شيمهم كرم الضيافة وتقديم خدمة الضيافة بشكل مجاني.

فعرفت في القسطنطينية وفي بلاد فارس، ثم انتشرت في سائر بلاد الشرق القديم باسم (خان) وهو لفظ المقابل لكلمة (Inn) بالإنجليزي، وكلمة (Auberge) الفرنسية، وكلمة (خان) هي ذات أصل تركي وفارسي وتعني بيت، أو نزل، أو مكان أو محل 1.

أما الفندقية عند الإغريق فقد تطورت بطبيعة حضارية نظراً للمظاهر الدينية وانتشار أماكن العبادة حيث كانت تخصص بعض منازل الناس لضيافة الناس وذلك كنذر للآلهة، وبعدها بدأت تظهر الفنادق بقرب المعابد مثل الخانات الكبيرة، وفي البحر الأبيض المتوسط تطورت النماذج الفندقية بسبب تطور الحركة التجارية وكلمة (الفندق) لا أصل لها في اللغة العربية إلا أن في الكتابات القديمة (Malon) وتعني مكان الاسترخاء في الليل، أما في اللغة اليونانية كان تسمى (kataluma) وتعني غرفة طعام وايواء الضيف 2.

أصبحت الفنادق اليوم العمود الفقري للصناعة السياحية فهي تمثل مؤسسات تجارية وإنتاجية واقتصادية في آن واحد فقد عرف الباحث الفرنسي "مارسيل جوتي" الفندقية على أنها "خدمات تقدم لتأمين

¹ الخيكاني، رائد حسن علي، مرجع سابق، ص. 105.

² الخيكاني، رائد حسن علي، المرجع سابق، ص. 106.

ظروف ملائمة للإنسان (النوم، الطعام) يرجع بعض الكتاب والمؤرخون أصل كلمة فندق إلى أصل يوناني مأخوذ من كلمة (pandoka) والتي أصبحت فيما بعد fandaka.¹ أما في اللغة العربية كما جاء به ابن منظور في كتابه لسان العرب أن كلمة فندق هي الخان الفارسي، حكته سيبويه، والفندق بلغة أهل الشام فإن من هذه الخانات التي ينزلها الناس مما يكون في الطرق والمدائن²

أما كلمة (Hôtel) هي كلمة فرنسية وتعني نزل أو فندق أو تيل وكلمة Hôtelier تعني صاحب النزل أو الفندق³. وكلمة Hôtellerie تعني فندقية وهي مهنة الفندقية صاحب النزل⁴. وقد استمدت كلمة فندق من كلمة (pondoketa) أو (PONDOKIA) اليونانية، وفي اللاتينية تمثل (Hositiium) أي القاعات التي يتم فيها استقبال الزائرين والترحيب بهم.

وفي اللغة الفرنسية كانت تمثل كلمة (Hostel) والتي اشتقت منها كلمة (Hospite) الإيطالية، وفي حين أصبحت كلمة (Hôte) في اللغة الفرنسية تعني الضيف ثم اشتقت منها كلمة فندق (Hôtel) والتي أصبحت شائعة وبعد اتساع رقعة الإمبراطورية اليونانية القديمة، ظهر نوع من الفندقية ويسمى الفندقية التجارية أو السياحية. والغرض منها إيواء وإطعام كبار التجار أو الحكام الذين كانوا يغادرون لأجل تقديم الهدايا والولاء للأباطرة الإغريق بقصد توطيد مراكزهم في بلادهم. ومن ثم الحصول على مزايا سياسية وإقليمية⁵. تطورت صناعة الفنادق في العصور الوسطى وذلك من الخان إلى الفندق إلى الفنادق الكبرى. وذلك بسبب انتشار المسيحية حيث ارتبط واجب كرم الضيافة من التقاليد الدينية والواجبات الدينية. والتي لم تستمر طويلاً وذلك بسبب ارتفاع تكلفة ذلك سواء للتجارة أو لتأدية فريضة الحج... الخ الأمر الذي أدى إلى انتشار الفندقية للعامة في المدن وذلك بتطور طرق المواصلات. وطرق النقل المختلفة⁶.

تحولت القصور الكبرى إلى فنادق. إذ ظهرت بها المداخل الكبيرة والعرضات الفخمة المتعددة، والحجرات المتسعة المفروشة بأعظم الأثاث إلا أنها كانت تفتقر إلى الذوق السليم والحسن الضيافي للعاملين بها. في حين أن ممارسة الضيافة في العصر الحديث تزايدت بشكل كبير وذلك راجع إلى التطور المستمر لوسائل النقل كالسيارة، والطائرة، والباخرة ما سهل عملية التنقل بالنسبة للمسافرين بشكل سريع وبأقل التكاليف وشجع ذلك لمختلف الأغراض. وبعد الثورة الفرنسية والصناعية بدأت تستثمر فيها الأموال

¹ حمزة، جنان عبد الرضا، (2017)، إدارة المشروعات السياحية، الأردن، دار الأيام، ط1، ص.33.

² ابن منظور، (2005)، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ج 11، ص. 228.

³ مكتب الدراسات والبحوث (2006)، القاموس المزدوج، لبنان، دار الكتب العلمية، ط 3، ص. 447.

⁴ سهيل، إدريس (2011)، المنهل قاموس فرنسي عربي، لبنان، دار الآداب، ص. 622.

⁵ الخيكاني، رائد حسن علي، مرجع سابق، ص. 106، 107.

⁶ الخيكاني، رائد حسن علي، المرجع السابق، ص. 107.

باعتبارها صناعة مربحة حتى أصبحت صناعة اليوم صناعة متميزة لها خصائصها. وأنظمتها وقوانينها، وأعرافها، وحققت أرقى المراتب وأسمى الدرجات من حيث الإدارة والتنظيم.¹

وأصبحت الصناعة الفندقية من أبرز سمات الحضارة اليوم، وعليه فإن الفنادق هي محور الصناعة السياحية فلا يمكن تخيل سياحية دون فندق.

2- أهداف التسويق الفندقي

تتلخص أهداف التسويق الفندقي فيما يلي:

- إشباع حاجات ورغبات ضيوف المؤسسة الفندقية.
- تحقيق مستوى عال من الرضا لضيوف المؤسسة الفندقية.
- والتنبؤ بحاجات ورغبات الضيوف بالمؤسسة الفندقية.
- المحافظة على المركز التنافسي للمؤسسة الفندقية ومحافظة على سمعتها.
- دراسة الأسواق السياحية العالمية من أجل زيادة عدد النزلاء الزائرين وللتعرف على استراتيجية ناجحة للمؤسسة الفندقية.
- تنشيط حركة المبيعات الفندقية خلال فترة زمنية معينة.
- إيجاد علاقات عامة جيدة مع المؤسسة الفندقية وباقي مؤسسات الدولة الأخرى ومنها السياحة الخاصة والعامة، وما ينعكس على الحركة الفندقية.²

3- عناصر المزيج الفندقي

يعد المزيج التسويقي الفندقي عبارة عن مجموعة من العناصر. والمتغيرات التي يمكن التحكم فيها، والسيطرة عليها وتنظيمها من جانب الفنادق مع إمكانية التعديل والتكييف فيها كلما تطلب الأمر قصد إشباع حاجات ورغبات الزبائن وفي إطار أهداف الفندق ومن عناصره ما يلي:

- المنتج: والذي يعد الأساس في الخدمة الفندقية والذي يعد سلعة أو خدمة سياحية، أو فندقية يتم تقديمها للزبائن.
- السعر: السياحي الفندقي يشمل كل تكاليف الإنتاج السياحي من تكلفة الإطعام، النقل، الإيواء... وغيرها من الخدمات السياحية الأخرى.³

¹ الخيكانى، رائد حسن علي، المرجع السابق، ص. 108.

² الخيكانى، رائد حسن علي، مرجع سابق، ص 128.

³ الخيكانى، رائد حسن علي، المرجع السابق، ص 132.

إن للفنادق الدور الرئيسي في تنمية السياحة في أي بلد، فالسائح يقضي وقتا طويلا في الفنادق خاصة بالنسبة للسياحة العلاجية وسياحة رجال الأعمال والمؤتمرات، حيث أن السائح عند وصوله إلى البلد المضيف فإن أول ما يبحث عنه هو الفندق. إذ أن هذا الأخير قد يعطي انطبعا وصورة للسواح عن ذلك البلد المضيف. وعليه فإن صناعة الضيافة تؤثر على المجتمع اقتصاديا واجتماعيا بصورة كبيرة فهي تتيح فرص عمل كبيرة كما تساعد على تطور وتقدم المجتمع فأخذت كثير من الدول السياحية بالعالم الاهتمام بصناعة وبناء الفنادق الحديثة والضخمة¹.

وبشكل عام فإن كلمة فندق تعني المبنى الذي يتم إنشاؤه حصرا لتقديم المأوى للمسافرين، وتقديم خدمات الطعام والشراب في المبنى نفسه، أو المباني التابعة له. وهناك من يرى أن الفندق هو مؤسسة أو منشأة سياحية يلزمه خارطة تنظيمية أو هيكل تنظيمي يوضح الإدارات والأقسام التي تقوم بتنفيذ المسؤوليات والواجبات التي قام من أجلها. كما عرف فإنه منشأة تجارية تقدم خدمات للعملاء كالمبيت والطعام والشراب والخدمات الأخرى كما يعتبر الفندق مركزا تجاريا وثقافيا وحضاريا وفنيا واجتماعيا بفضل تكامل الخدمات فيه وتعدد أوجه نشاطه، وأهميته النسبية في المجتمع².

وعليه فإن الفندق هو كل مكان يتضمن منشأة خدماتية إذ تعمل على تقديم خدمات الإيواء والمأكل والمشرب، والترفيه. للسائح وتلبية حاجياته المتعددة، وكل ذلك مقابل أجر معين. وقد تشتمل العديد من الأنماط السياحية على خدمة الفندقية كون أنها خدمة ضرورية يحتاجها السائح أو الزائر للبلد المضيف ولها أهمية بالغة في العملية السياحية وقد تمس العديد من المجالات الحياتية.

4- أهمية المؤسسات الفندقية

تمثل المؤسسات الفندقية ركنا أساسيا للسياحة إذ لها الدور الرئيسي في عملية التنمية، والسياحة العالمية كونها تعد من المقومات السياحية الهامة التي تعمل على زيادة الجذب السياحي وتعدد أهميتها بتعدد مجالات الحياة من اقتصادية واجتماعية وثقافية وبيئية وحتى تكنولوجية فمن حيث زيادة الدخل المحلي والقومي والعالمي من خلال زيادة النشاط السياحي. فضلا على ذلك فإن أهمية الفنادق اجتماعيا، كونها فضاء يجمع بين الأفراد من مختلف المجتمعات الإنسانية وأين تنشأ بينهم روابط اجتماعية تسمح لهم بالتبادل الثقافي أين يمكن أن يكون الفندق بوابة للترويج السياحي، من خلال التعريف بالمنتج السياحي للبلد المضيف، وكذا المقومات التراثية السياحية، مما يسمح بالتعريف بثقافة البلد وعاداته وتقاليده من

¹ كافي، مصطفى يوسف (2017)، مدخل إلى علم السياحة، الجزائر، ألفا للوثائق، ط 1، ص. 114، 115.

² حمزة، جنان عبد الرضا، مرجع سابق، ص. 33، 34.

جهة ومن جهة أخرى فقد يسمح ذلك بتنمية الوعي الثقافي لدى السكان المحليين بقيمة التراث في عملية الترويج السياحي هذا إن أكدنا على الأهمية الثقافية.

أما عن الأهمية البيئية فإن المؤسسات الفندقية الجيدة توجب عليها مراعاة البيئة المحيطة بها وأن صورة المحيط ضروري في تحقيق سمة جيدة للفندق. خاصة إذا ما تم استخدام طرق جديدة تعتمد على طريقة الاستهلاك الرشيد للمحيط والبيئة ككل. وما يسمى بالوسائل الصديقة للبيئة. وهذا ما قد يضيف بنا إلى الكشف عن أهمية تكنولوجية أين تقتحم التكنولوجيا المؤسسات الفندقية من خلال تسهيل عملية الاتصالات والترويج والجذب للسياح. وإعطاء صورة حول طابع الخدمات وتسهيل عملية الاطلاع نوعية الخدمات وكل ما يتعلق بها¹.

5- أنواع الفنادق

تتنوع الفنادق حسب عدة اعتبارات فمن حيث الحجم فهناك الفنادق الكبيرة، والمتوسطة والصغير ومن حيث أسعارها فهناك الفنادق الغالية والمتوسطة والرخيصة وذلك يعود إلى خاصية الدرجة والتصنيف فهناك فنادق ذات جودة عالية في تقديمها للخدمات. كما هناك فنادق تقدم خدمات متواضعة وقد يتم تصنيفها إلى فنادق خمس نجوم إلى أقل درجة وهي فنادق نجمة واحدة. كما يمكن التمييز بين الفنادق من خلال الموقع فهناك فنادق المدن، وفنادق المطارات. وفنادق السواحل والمنتجعات، فضلا على ذلك فإنه يمكن تقسيمها حسب طابع الخدمات فهناك فنادق ذات خدمات تجارية وأخرى فنادق الإقامة وفنادق إقامة الشباب، وفنادق المنتجعات والفنادق العلاجية، والرياضية².

6- مبادئ ممارسة الضيافة

من مبادئ ممارسة الضيافة والتي هي تعتبر مهنة وفن في آن واحد:

- مبدأ المصداقية، وذلك بالابتعاد عن الغش والتدليس والخداع والتضليل.
- مبدأ الالتزام بقواعد الأخلاق السائدة والمقبولة في المجتمع.
- مبدأ الالتزام بالمنهج العلمي في بحوث ودراسات العلاقات العامة وضمن استراتيجيات قائمة على أساس الواقع.
- مبدأ التوافق مع الصالح العام للمجتمع بجماهيره المتنوعة³.

¹ حمزة، جنان عبد الرضا، مرجع سابق، ص. 35، 36، 37، 38، 39.

² كافي، مصطفى يوسف، مرجع سابق، ص. 118، 119، 120، 121.

³ الشبلوي، عبد الحسين موسى، مرجع سابق، ص. 130.

من بين خصائص الضيافة أنها تتأثر بأذواق المستهلكين أو السياح، حيث أن المؤسسة الفندقية تستقبل على مدار العام عملاء وزبائن وذلك بمختلف الجنسيات الحاملة لثقافات مختلفة تحددها أذواق متعددة. تسعى هذه المؤسسات الفندقية إلى إشباع حاجات ورغبات الزبائن والسياح. من خلال العروض الفندقية المناسبة. فضلا على ذلك فإن للعنصر البشري المدرب والمتمتع بفتيات ومهارات العمل الفندقي أهمية كبرى في ممارسة الضيافة بشكل لائق إذ أن التواصل، والتعامل بحملة الأحاسيس والمشاعر الإنسانية قد تكون السبب الرئيسي لإنجاح العملية¹.

7- التدريب على ممارسة الضيافة وتقديم الخدمات

إن أهمية كفاءة القوة العاملة في صناعة الضيافة تكمن في تطوير قدرات ومهارات وسلوك العاملين لغرض الوصول إلى تحقيق نتائج إيجابية كما تعد المهارة والمعرفة عاملان أساسيان في تحقيق هذه الكفاءة وإن للدورات التدريبية دور في ذلك إذ يسهم في التقليل من التكاليف والتوسع في المبيعات واكتساب السمعة الجيدة للمؤسسة الفندقية². وللتدريب الفندقي أهداف يسعى إليها القائمون على المنشآت الفندقية منها:³

- اكتساب الفرد أنماطا واتجاهات سلوكية جديدة لصالح العمل.
- تحسين وصقل المهارات والقدرات الموجودة لدى الفرد.
- إعداد الأفراد الذين يتوفر لديهم الاستعداد للترقي في السلم الوظيفي بشكل مناسب لأجل تسيير مناصب ومسؤوليات أكبر.

إذن يتضح من أهداف التدريب أن هذا الأخير يعمل على تحسين وتطوير كفاءة العاملين وزيادة معلوماتهم ومهاراتهم وقدراتهم و سلوكياتهم واتجاهاتهم وذلك بهدف إعدادهم إعدادا جيدا، وذلك لمواجهة متطلبات الوظائف الحالية، وتنمية مهاراتهم الفنية والذهنية لمواجهة الاحتياجات المستقبلية⁴.

إذن يعد التدريب السياحي لتقديم الخدمات بشكل عام والفندقي بشكل خاص من أكثر الاستراتيجيات المتخذة لتطوير الموارد البشرية العاملة في تقديم الخدمات للسياح، فهو يتكون من قواعد تعليمية نظرية وتطبيقية قصد صقل المهارات واكتساب الخبرات والتزود بالمعلومات المتعلقة بالعمل السياحي⁵ اتضح من

¹ حمزة، جنان عبد الرضا، مرجع سابق، ص. 51.

² الشبلاوي، عبد الحسين موسى، مرجع سابق، ص. 130.

³ كافي، مصطفى يوسف (2014)، إدارة الموارد البشرية في المنشآت السياحية والفندقية، عمان، مكتبة المجتمع العربي، ط1، ص. 219.

⁴ كافي، مصطفى يوسف (2014)، المرجع السابق، ص. 216.

⁵ الشبلاوي، عبد الحسين موسى، مرجع سابق، ص. 131.

شرح عملية التدريب أن المهارة محور أساسي فيها إذ يقصد بها مجموعة الخبرات التي تكتسب عادة من خلال الأداء الفعلي للعمل ومن عواملها:¹

➤ المهارة اليدوية، كدقة الصنع وإتقان العمل.

➤ المهارات الحسية كقوة السمع والملاحظة والتمييز، وحدة البصر.

➤ المهارات الذهنية كالمهارة في اتخاذ القرارات والإبداع والابتكار، والسرعة في التدريب والتعليم.

إذن يتطلب العمل السياحي المهارة المطلوبة التي تتوافق وأذواق السياح. وقد تعتمد المحطات الحموية على الطاقة الفندقية حيث من خصائصها أنها تلبي حاجات السياح إذ تكون مكتملة للممارسة الاستشفائية حيث يحتاج السائح قصد الاستشفاء إلى المبيت وباقي المستلزمات الأخرى من مأكّل ومشرب وترفيه والتي توفرها الخدمة الفندقية للسياح وقد تستعمل كمكمل للعملية العلاجية والنقاهاة والاستشفاء واسترجاع اللياقة والترفيه. وفي هذا الشأن صرحت أحد المدلّكات بقولها:

"التكوين مكانش من أصلو، لا شرح ولا تطبيق، هذه هي الحكاية، والسياحة العلاجية في الجزائر كامل وحمّام قرقور بالضبط ضعيفة بزّاف"، وتضيف "نعطيك مثال، راحت أحد المريضات إلى تونس باه تعالج، فعندما دخلت إلى غرفتها في الفندق، تفاجأت في أحد الأيام من قعدتها جابولها تورتة عيد ميلادها إلى الغرفة، وكانت بالنسبة ليها حاجة كبيرة وفاجؤوها، وهذا بيبيّنك أنهم يعرفولها، ومش كيما أحنا الثالث عالميا، وكي تشوفي !!؟؟ تبكي"، "أعطيك مثال، إحدى المريضات عند ذهابها إلى تونس للعلاج الحموي فوجئت يوما بعد حجزها غرفة في الفندق أن أحضروا لها ترتة عيد مولدها، وكانت مفاجأة كبرى بالنسبة ليها، وهذا يدل على أنهم متمكّنين في أدائهم السياحي، وأنّ هناك مهارة وفنّ في التّعامل، عكس ذلك نحن، حمّام قرقور مصنّف الثالث عالميا، ولكن للأسف أمر مؤسف ومُبكّ للحالة التي آل إليها، وهذا يدل على أن التكوين في مجال السياحة وخاصّة العلاجية غير موجود من أصله، فلا شرح ولا تطبيق، ومستوى السياحة العلاجية في الجزائر وحمّام قرقور بالخصوص ضعيف"

وحمّام قرقور هو واحد من المحطات المصنفة في الدرجة الثالثة التي تتضمن :

✓ جناح الإقامة (المبيت) ويحوز على قدرة استيعابية تقدر ب 300 سرير موزعة على 96 غرفة، و38 بنغالوهات و06 فلل .

✓ جناح الإطعام ويتشكل من : (02) مطعم ذا قدرة استيعابية إجمالية ب300 وجبة. (02) مقهى 150 مقعد

¹ كافي، مصطفى يوسف، (2017)، مرجع سابق، ص. 136.

✓ مرافق خرى: (01) قاعة سنما ب 120 مقعد، (01) قاعة شرفية ب 40 مقعد، (01) قاعة اجتماع ب 30 مقعد، (01) مسبح كبير شبه أولمبي، (20) موقف للمركبات

ويمتزج طابع الضيافة بالمحطة بطابع الثقافة المحلية إذ تتسم بطابع الكرم، والود وحسن الضيافة، والتواضع. ولأجل الكشف على ذلك تم رصد الوقائع من خلال ما تم تحصيله من العمل الميداني ومجمل المحادثات التي تم رصدها والملاحظات فيما يخص ممارسة الضيافة بحمام قرقور المعدني.



صورة رقم 30: مجموعة صور تمثل جناح الفندقة

المصدر: من أرشيف المركب

8- التّعایش الضّروريّ بين العلاج الحمويّ وممارسة الضيافة

إنّ المُستشفى الذي يُعالج بالمياه المعدنية يبقى على أقلّ فترة ثلاثة أيّام في المكان نفسه، حتّى وإن كان يجب أن يمنح لنفسه وقتاً للراحة، فإنّه من الضّروريّ أن تتعامل المصالح السّياحيّة مع المؤسّسات الحمويّة بهدف اقتراح نشاطات تتوافق مع تطلّعات المُستشفين.¹

الرّبائن: يتكوّن الرّبائن أساساً من أفراد تدعو حالتهم الصّحيّة علاجاً في إحدى الميادين الحمويّة، وتحدّد

فئاتهم المختلفة كما يلي:

➤ مؤمن اجتماعياً.

➤ متعاقد

¹ BRUNO, T, op.cit, p. 35.

➤ حر

➤ أجنبي

يحض المؤمن اجتماعيا بفرصة البقاء في المحطات الحموية والاستفادة من العلاجات والإقامة مدة 21 يوم فإنها كافية لأجل الإحساس بتحسّن خاصة للمصابين بأمراض الروماتيزمية والعصبية والجلدية وغيرها، أما المتعاقدين فهم أشخاص ينتمون للقطاع العام والخاص وحسب ما تم الكشف عنه في التحقيق الميداني فإن المركب المعدني يستقبل من مختلف المتعاقدين وبمدة زمنية محددة لكل منهم حيث يتمثلون في:

➤ الصندوق العسكري المدة 14 يوم

➤ صندوق الشرطة المدة 7 أيام

➤ مؤسسة نفضال المدة 7 أيام

➤ مؤسسة سنطراك المدة 7 أيام

➤ مؤسسة التعليم المدة 7 أيام

➤ شركة سوناكوم المدة 7 أيام

➤ شركة الأشغال البترولية المدة 7 أيام

➤ شركة الإسمنت المدة 7 أيام

حيث يتم التعاقد من خلال انشاء اتفاقية بين الطرفين بين مدير المركب ومسؤول الخدمات الاجتماعية. تختلف الفئات التي تتردد على الحمام من كبار السن الى شباب الى الصغار وكل حاجته من حيث الاستشفاء والاستجمام والراحة وغيرها.

في حين أنّ الزبائن الشّباب والذي بدأ يظهر عندهم شكل ممارسة السّياحة الحمويّة، وخاصّة ميسوري الحال يتّجهون إلى الاستفادة من علاجات طبيّة جدّ قصيرة (la cure) بشكل حرّ غالبا.

إذن المستفيدين من العلاج يحتاجون خلال إقامتهم بالمحطّات الحمويّة إلى خدمات الإقامة (المبيت)، وعليه من الضّروريّ توقّر خدمات الأكل، والشّرب، والنّوم، والتّثقيف، والتّرفيه، وغيرها من الخدمات التي لا بدّ على المؤسّسة الحمويّة أن توقّرها لزبائنها، لأنّها تُعدّ من الأساسيّات في أيّ زيارة للسّائح، ناهيك عن خدمات النّقل، والأنترنت، والاتّصالات، والنّظافة؛ لأنّ الزّائر خلال إقامته بحاجة إلى الرّاحة والهدوء وكل ما يوفّرهما، والتي قد تحمل عناء التّنقل، ودفع تكلفة توفير له ذلك، فمن غير المعقول أن لا يجد حاجة من الحاجات أو نقص من النّقائص التي سوف تُعكّر صفوه، وتطبع صورة في مخيلته عن سوء الخدمات المقدّمة، وحتّى على المكان، ممّا سوف يرجع سلبا على المنطقة السّياحيّة.

سجلنا خلال ملاحظتنا عملية الاستقبال والحجز ومساعدة الزبائن على الانتقال الى الغرفة كما لاحظنا حركة الزبائن والسياح مرتادي الحمام والفندق بمختلف الأجنحة فهناك من يختار فندق بجانب الحمام وهناك من يختار الغرف الفردية والتي هي مصنفة f1.f2.f3 وفلل فخمة يحدد المركب والأسعار الإقامة والعلاج في لوائح بقاعة الاستقبال فبعد تحديد مكان الإقامة يتم توجيهه مع مرشد الفندق إلى غرفة المعيشة مع الزبائن وتعريفهم على كل ما يجب معرفتهم لتتم رحلتهم واقامتهم بالفندق الكثير منهم يتم حضوره إلى المركب عن طريق سيارة سياحية خاصة كما أن سياحة الاستجمام والترفيه أصبحت ثقافية يمارسونها الناس بشكل ملفت بانتباه ومن كل الفئات الاجتماعية كبيرة السن والتي تعاني مشاكل صحية عجز الطب على شفائها، إذن انتشار الوعي ثقافي حموي بين الأوساط الاجتماعية بغية البحث عن الراحة والترفيه والصحة والتخلص من الأعباء وضغوطات الحياة اليومية.

9- تصورات السياح لممارسة الضيافة

إن الدراسة الحالية عالجت تصورات الفاعلين حول الحمّام قرقور وطبيعة الخدمات المقدمة على مستواه ومختلف أشكال ممارستهم، فقد أجمعت أغلب الحالات المدروسة على أن طابع الخدمات التي يقدمها الحمّام قرقور بمختلف جوانبه على أنها قليلة جدا، وذلك يعود إلى عدم اهتمام السلطات المعنية بعملية ترقيته وتحسينه وأنه يتم استغلال المياه الحموية بطريقة غير علمية منظمة، الأمر الذي قد أثر على حجم الوافدين على الحمّام، وبالتالي الحمّام قرقور يعاني من بعض المشاكل الفيزيكية منها، مثلا في الحمّام التقليدي الأحواض المخصصة للاستحمام جماعية، وهذا قد لا يتناسب مع بعض الفئات وحتى لا يسع ربما في بعض الأوقات حجم الوافدين عليه، إذ أعربت أغلب الحالات المدروسة عن الظروف الفيزيكية و الخدماتية في الحمام قرقور فمثلا نجد في الحمّام التقليدي ضيق الحمامات وكذلك اهتلاك الجدران والأبواب رغم التصليحات البسيطة التي لا تقدر بحجم قيمته العلاجية والسياحية، في حين أن المركب المعدني يعاني هو أيضا من الشروط الفيزيكية حيث أنه من سنة 1987 لم يعدل، ولكن مؤخرا يخضع المركب لإعادة التهيئة والتي مست الفندق والبنقلوهات والحمام مع ادراج حمام وفندق جديدين لأجل رفع طاقة الاستيعاب غير أن أهل المنطقة يساهمون بجزء في ذلك إذ يحولون بعضا من مساكنهم إلى نزل. المشكل الثاني وهو النظافة وهو أحد النقاط التي تطرقن لها من خلال مقابلاتنا مع أهالي المنطقة، وهذا ما أدلوا به بعضهم:

"الحمام تغير كثيرا عن ذي قبل، من كان قليل راضيين بالحوایج البسيطة لكن اليوم زاد العدد والتغيير والتحسين مكانش، من رايح يتدهور" (مقابلة 03)

"الخدمات المتوفرة في فضاء الحمام؟! الناس تعي للحمّام قرقور بدرجة أولى لأجل المياه وليس لأجل الخدمات البسيطة، بسيطة جدا" (مقابلة 01)

وفي هذا الخصوص تقربنا للحالات المدروسة قصد رصد تصوراتهم نحو طابع خدمات الضيافة

بالمركب السياحي لتكون اجاباتهم كالتالي:

"كنت دايمًا نجي هنا هذي من 2017، ماجيتش هنا كي جيت لقيت الحالة شوية الحمام في بادئ الأمر ككل مؤسسات الدولة هنا كامل أو الأغلبية يقولوك حسب أقوالهم يعني الماكلة ما تعجبش مقارنة بالحمامات الأخرى لازم نهدرو المزايا والعيوب وما لازم نكذبو الماكلة الحق ما تعجبش وسائل الإعلام تقول، لكن الواقع هو الأساس كي نجي نشوف بعيني" (مقابلة 28)

"فندق مقبول انا منحبش نبالغ في الأشياء كاين ناس تحب تبالغ يكون عايش في دارو عادي بصح يحب يعيش 5 اتوال" (مقابلة 27)

"يخدمو الخدمة تاعهم، ما يديروش هذيك نعرفها وهذيك منعرفهاش" يعملون عملهم بكل أمانة لا لمحسوبية هنا (المعرفة). (مقابلة 30)

"الماكلة ماكان ماكان وغيالية ياسر ياسر أنا وممار نخلصو في الغدا ثلاث مياة نلف وهكذا في العشا الحق غلي لسنسور حتى تحوسي على العامل باه يحلك السنسور تقلك ما يمشيش الكوربيست راه مريض انا راني عندي ركبتي من المفروض توفيرلو. يمشيلكم أنتوم كإدارة راني عندي ركبتي إلفوا إفيتي للزيكالي. الشنابر ولي تولات مهمش معدولين والفام دوميناج مش قايمة وتحكي و أنتي تنقي جبت معايا كل شيء جافيل والصابون... خاصة في فترة كورونا والناس ألي جي بلا كورونا تروح بكورونا ولا بلا أنفكسيو تروح بأنفكسيو لازم النظافة في لي بنوار أموان مرة في اليوم" إن الاطعام غال جدا أنا وأمي ندفع ثمن الغداء 3000 دج ونفس القيمة في العشاء أنه غال جدا مقارنة بالواقع المصعد الكهربائي لا يشتغل حتى تبحتين على العامل وليكن فإن المستشفى هو مريض فأنا تؤلني ركبتي من المفروض توفير المصعد فأنتم كإداريين متوفر لكم ونحن كممرض معطل؟ ولأن ركبتي تؤلني فإنه عليا تجنب صعود السلالم والغرف غير مهياة كما ينبغي عاملة التنظيف لا تقوم بعملها وقد أحضرت معي مواد التنظيف وقد نظفت المكان الذي استحم فيه خاصة في فترة كورونا تأتي بلا مرض تخرجين بكورونا او بالتهابات فترجعين بالتهابات لازم النظافة في المسابح وأحواض الاستحمام على الأقل مرة في اليوم" (مقابلة 18)

"حمام قرقور مليح مي الماكلة مش بنينة بين قوسين" (مقابلة 19)

الماكلة شوية، كات برسوي يعطيك قرعة ما، في دزاير تروحي لوتال يقلك 1200 مليون وميتين الليلة، غير دي جوني واش فيه حبة كرواسون، كاس حليب، قهوة كاس جيو تشنشن. ولا حية مادلين صايحة عندها خمسطاش ينوم باركونتر لهننا، تحطلي بوفي، نجب ناكل واش نجب متحتمليش ناكل حاجة مانحهاش!؟ أنا نقلهم لوتال في دزاير لخر بشانو، معندوش قاع اسباس، نقلهم على الأقل تلقاي قازون، حنا جاي تقولشي بطيمة. مكانش باركينك، قازون والو. باركونتر

ليزوتال تاع لوخيرن عندهم!!؟ روجي تونس لخرة، رحنا لتونس قعدنا 7 أيام قهوة تاع الصباح، بني دي جوني، بوفاي، والعشا بوفاي، شحال استقامتنا؟ رحنا بار أفيو، 3.2000 ثلث ملايين وميتين، أحنا دزاير 32000 تستقاملك ليلة تباتي وتتعشاي، وتروحي، مليون وسبع مية 1.7000 تكريك أوتال كات (4) إتوال+ الطيارة؟؟؟ مي في تونس يطيبلك قهوة تاع الصباح بحلوة الترك، يطيبلك لخفاف، لكراب، لخبابز تاع الأنواع كامل، المعجون، الفرماج، البيض، الجبن، شطيطحة طرشي شطيطحة... الخ هنا في دزاير يدريك دراهم على اساس كالي تي يحطلك كونتي تي، تروحي لوتا لسانك (5) إتوال، يجيبلك كاس جيو مفرغ ماش مابا جيو، مع حبة مادلين. نقلك حاجة هما ينفستيو ويحطو، مي حنا في دزاير ما ينفستيو، يحب الدراهم بيني حاجة صغيرة، ويحب يريح بزاف، انفستي باش تريح. نعطيك مثال حنوت صغير ليوم حال حنوت. ألمونتاسيو جينرال ثلاث شهر (3) بدلها حوايج، ريع شهر راح بدلها واشنو هذي الثقافة" (مقابلة 20)

"أحنا ملي رانا نجيو ياك حاجة ماتبدلت normelment خمس سنين، عشر سنين، كون حاجة مليحة يسقمو les bains, les baingalnt حاجة مليحة مي هنا كانوا مزالو كما كانوا متبدل والو، باين بلي كاين l'entrenchinse راهوم شوق شوق واشنو لازم تجديد comme شوية مشي كلش يتبدل ضربة وحدة كل خمس سنين قال فيها برنامج نبدلو ونحسنو شوي شوي، الكوزينة نجيبو آلات جدد من بعد الحمامات l'environnement, mais la structure elle aigiste كاين الماء كاين بالزيادة لكن واش يدخلو الدراهم قيس واش يخلصو الخدامين وهنا خص الدولة تدخل لازم على وزارة السياحة أنها تقوم بتجديد الحمامات واحد بواحد... احنا منقدروش نقصد المدراء نسلكو رواحنا بلا الدولة؟ لازم كل عام تجوز على الحمام وتجد فيه وشني لازم كاين حوايج الي يجدوهم، بصفة عامة مليح والباقي ما عدنا مانقولو الله يبارك بصح كي تنظري للخارج تلقاي كلش يبرق الدعوة تشعل، يغيضك الحال" منذ كنا نحضر هنا لا شيء تغير حتى الكراسي في القاعة الاستقبال هنا مكانها وهي منذ ذلك العهد كان يجب كل خمس سنوات أو عشر سنوات يكون هناك تجديد وتعديل وتغير فعليهم تعديل الحمامات والغرف لكن يبقى كل شيء عملي لم يتغير شيء يبدو أنه هناك متابعة ولكن لا بد من التجديد لا يمكن تغيير كل شيء يبدو أن يوجد هناك متابعة لكن لا بد من التجديد لا يمكن تغيير كل شيء مرة واحدة ولكن كل خمس سنوات هناك برنامج تحسني مرة المطعم ومرات أخرى نحضر الات جديدة ثم نعدل الحمامات فالمحيط فالبيئة هامة وضرورية يوجد الماء بكثرة لكن تبين أن مداخيل من الحمامات تكفي فقط رواتب العمال وهنا لا بد من الدولة ووزارة السياحة أن تقوم بتحديد الحمامات واحد بواحد بالحمام بصفة عامة جيدة وكل الامور الاخرى جيدة الله يبارك ولكن حين تنظرين لحمامات الغرب تجدي كل شيء يلمع أي رائع فيأملك الوضع" (مقابلة 29)

"تروحي اوتال سانك اتوال متصيبيش الضحكة ولا مساء الخير ولا صباح الخير تاع هذوك لي يعطونا الماكلة، انا غير يقولي صباح الخير نشبع مام تكون مش مليحة، ولا ناقصة واش ذنبو هو

دار واش عندو ... قهوة ربع عباد مش كي قهوة 20 عبد ... انا نحب القهوة عاقدة شوي شربت ناس كافي وانا هانية *paseque* تمرضي روحك ولا تقعد نهار كامل ونت القهوة مش مليحة" حين تذهبين إلى فندق 5 نجوم ولكن لا ابتسامة ولا تحية الصباح الخير ولا مساء الخير. وخاصة من طاقم المطعم عندما يحييني أشبع رغم انا الاكل قد يكون غير جيد المهم قد قدم ما لديه من إمكانيات فمثلا القهوة أحبها مركزة فلما قدموا لنا قهوة خفيفة فاشترت قهوة سريعة الذوبان واضفتها لها فأصبحت كما اريدها وسعدت بذلك ولا اترك نفسي يوما كاملا أتضمر منها ونمرض نفسي" (مقابلة 23)

وتضيف

"أما الخدمات انا عندي مليحة خاطر مراحش تلقاي كدارك لكن الإنسان ميطلبش المستحيل، بما هو ممكن الحق هنا يعاونو مليح، عندك مثلا المطعم الماكلة نقيه، زيد التقديم مليح يتحيرو عليك ويسقسو إذا احتجتي شي يقادرو الصغير والكبير وخاصة ضرك راهي مبقاتش غير الكبار رآه كل الناس تبي لبلادنا ميليش تخدمي فيها بالخدع لازم الاتقان والحب مراحش يلقاو غير بلادهم مي فالخارج راهي ذل وعبادنا يلمو غير ذلهم يقلك شوية من الحنة وشوية من رطابة اليدين أي الإنسان شويا من عندك وشوية من عندي مراحش تلقاي كلش *il fau* لازم تخدمي" أما بخصوص الخدمات السياحية هنا فإنها حسنة مقبولة لأنه لا يمكنك إيجاد الوضع مثل بيتك وعليه فإن الانسان لا يجب أن يطلب المستحيل ولكن ماهو ممكن حقيقة هنا يعينونك بشكل جيد فالمطعم والأكل نظيف مع التقديم الجيد يقدمونه بشكل لائق ويستفسرون إن كان هناك شئ آخر يضيفونه كما أنهم يحترمون الصغير والكبير خاصة الان لم تعد سياحة الحمامات حكرا على فئة الكبار فقط وعليه فلا بد أن نعمل بكل أمانة واتقان وحب في هذه البلاد لأننا لا يمكن أن نجد بلدا غيرها. كما يقول المثل الشعبي: "شوية من الحنة وشوي من رطابة اليدين" أي شئ من عندي والآخر من عندك ويكتمل الأمر لأنه لا يمكن إيجاد كل شئ فلا بد من العمل" (مقابلة 23) +μ

وتضيف بقولها:

"سنو كاين بعض النقائص خص بعض الترميمات والتعديلات وبلاك الدراهم مكانش باه تعدل كل شيء على ضربة. سقساني وليد وليدي، قالي اشحال اتوال هناك لوتاع تاع الحمام قرقور قتلو تحب كي تولي تخدم انت تجيبهم (الدراهم) جيب واش تحب، ولكن في هذا الساعة مانك توريلك لوتال كيفاه عامل، لازم توريلو وتفهميلو منباعد قتلو واش عجبك الحال؟، قالي صح ماني والله مليح" هناك بعض النقائص لا بد من بعض الترميمات والتعديلات ولكن بشيء من التدرج حسب الميزانية لا يمكن الحكم اول مرة قبل التجريب شيء لا بد من التأنى وأنا لا نسرع في الحكم قد سألني حفيدي عن الفندق في حمام قرقور وكم درجته قلت له حين تصبح مسؤولا عن نفسك وتملك نقودا اشتري

ما تحب ولكن في هذا الوقت جدتك سوف تعرفك على الفندق فلا بد ان ترينه وتفهمينه بالوضع ليتفهم بعدها سألته إذا كان أعجبه الوضع فقال لي نعم إنه رائع" (مقابلة 23).

صرح بعض المبحوثين أن المغالاة في الأمر يعد شيء غير مرغوب فيه لديهم حيث أنهم يكتفون بما هو موجود ومن غير لائق أن يطلبوا أكثر مما هو متاح لكنهم يركزون على العلاجات التي في رأيهم جيدة وخاصة الماء كونه العامل الأول الذي يستفيدون منه وأن طلبهم للشفاء من الآلام ينسبهم الأمور المادية الأخرى وكل النقائص التي يتلقونها في فترة إقامتهم بالمركب إلا أن بعض المبحوثين كما تبين من خلال المقابلات التي أجريناها اتضح أنهم يتضمرون من الكثير من النقائص التي يعاني منها المركب المعدني خاصة التجهيزات الفندقية كالمصعد وتجهيزات الغرف المهترئة والمفقودة ومخربة في غالب الأحيان حيث يضيف بعض المبحوثين بقولهم:

"الناس لقيناها هنا الله يبارك يقوموا لكن من الناحية مخصوص بزاف تدخلت لشميرة تلقاي لبريز وين نسكن كابين البلافو جنب وين يقطر الحمام هذا تقلشي رايح والناس راهي تخلص وحنا كي تخلص علينا لاسيرونس راهي خلصت علينا 56 مليون هذي هي المرة اللولة خدمت كثر من 35 سنة اول مرة نجي بلاسيرونس هذا الحمام نعتبرو جوهره قتلك تدخل تولي جديد جات متمشيش ذرك راهي تمشي لكن من ناحية الصيانة والو الماكلة نقلك حنا عشنا فالميزيرية يجي يخلص بصواردو الكوزينا شوي طايحين علينا سكالوب مقلي بطاطا مقلية... انا منشرطش تعطيني الحجرة ناكلها بصبح باه تزيد جيبلو الناس شوية لوسرفيس راه قايم. ولكن منكل جيبة وتشوفي لي سالدوبان؟ جوهره مضيعينها راهي على كل المستويات جوهره ومخليينها ضايعة كون راهم يجيو دنيا" لكن من ناحية الصيانة لا شيء يذكر، وخاصة المطبخ ندفع المال لكن دجاج مقلي وبطاطا مقلية... رغم أنني أنا أتناول كل شيء، وقد مررنا على أزومات، إلا أنه إذا كان على جلب الزوار والسياح ليس بالأمر الجيد" طاقم العمال يقومون بعملهم ولكن هناك نقائص كثيرة، الحمامات وهذا على كل المستويات في البلاد، جوهره الحمام وترك ضائعا، لو أنهم يعتنون به لكان سوف يأتي إليه الكثير من كل أنحاء العالم" (مقابلة 25)

ويضيف المبحوث بقوله:

"الانسان كي يخلص صواردو لازم تعطيه قد صواردو توجع كي تلقاي هاكذا قوم و خوذ كراك الحمام القديم يخدم راه باين كلش قديم و تقليديو هكذا وتجي من بعيد وتلقاي الحالة ضايعة الماء مادرتولو والو ربي مدو، الماء تاع ربي سبحانوا أما الناس ملاح، هذي قدرة إلهية، يومين لا إله إلا الله، صارت تمشي، كنز هذا تخليوه يضيع؟ لكن الانسان عندما يدفع المال من أجل الإقامة والعلاج لا بد أن يجد ما يطلب من خدمات بقدر المال، والله شيء مؤلم ومؤسف لو أنه الحمام التقليدي لكان الان مفروغ منه، لأنه شيء واضح أنه قديم وتقليدي وخاصة أنك تأتين

من بعيد وتحدين الوضعية الضائعة سيئة إن كان على الماء فهو من عند الله سبحانه ما أضفتم للماء من شيء" (مقابلة 25)

"نلخصك جبلي ربي كيما راهي البلاد كما راه هو الحمام يعطي صورة على الحالة ألي آلت إليها وضعية المؤسسات العمومية، راه يعاني في صمت واش تهدري، جوهرة كيما هادي وبلادنا كلها جوهرة هنا راهم يديرو كلش بالامكانيات إليه عندهم واش حبا يديروك، داونا لشميرة، وحدة، دنيا مقطعة الإنسان، إذا بدا يسقم تخيلها تحكيها، بصح كي تجي تخدمها والله ما تنجمي تحركي ولكن من كل حاجة غير تزغد كوني معاها مكاش هذا المشكل من راح تبدايها؟ كل واحد واش يدير *l'ascenseur* ما تخدمش، يقولك الرومي *les détails* أحنا معندناش المعاملة، بصفة عامة، أما هنا لالا هنا بصح ملاح لباس، وهذي البلاد وين تحطي صبغك تتألبي ربي يجيب لخير" أما من ناحية الناس بالمنطقة فهم رائعين، تجربة زوجتي يومين صارت تقف وتمشي على رجلها، إنها قدرة الله إن الحمام وماءه كنز ثمين وهل يترك ضائع؟ وقد تكون هذه صورة المؤسسات العمومية كلها آلت إلى ما آل إليه حمام قرقور من حالة تسبب، وضباع إنه يعاني في صمت إنه جوهرة كالبلاد كلها تعد جوهرة، لكن ماذا نقول؟ للعلم أننا نقيم في غرفة الوضعية فيها جد سيئة، وعليه الإنسان لابد أن يعالج المشكل قبل تفاقمه وإلا إذا تراكمت المشكلات يصعب حلها، ومعالجتها كما يقول المثل الغربي: "التفاصيل" وهي التي تتمثل في المعاملة والتي نفتقر إليها عموماً لكن هنا الحمد لله رائعين، وهذه البلاد فيها الكثير الذي يؤلم" (مقابلة 25).

قد يكون للمستوى الثقافي والاجتماعي دور في تشكل جملة من تصورات المبحوثين حول حمام والخدمات الفندقية بالمركب المعدني إذ أن المبحوثين ذوي مستوى اجتماعي وثقافي جيد يلاحظون ويسجلون نقاط الضعف لتي يعاني منها المركب ويعطون آراءهم فيما يخص الكثير من القضايا كما أن العديد من جوانب ثقافتهم المحلية تتصادم مع الممارسة الثقافية في المركب السياحي وعليه يمكن أن تتحدد مواقفهم في ذلك الفضاء وفي هذا الشأن تتحدث أحد المدلكات بالمركب بقولها:

"كاين ناس يجيونا بعقليات مختالفة كاين ألي تلقايهم خرجو شافو وجربو حجات آخرين مش كما عدنا فكديريهم ليبراتيك هذو يقولوك لاه معندكمش كذا وكذا أنا كي رحت لهيه ولهيه دارولي كدا وكدا وكاين ألي قيس قيس واش ديرلها تقلك مليح كل واحد حسب ثقافتو وعقليتو وإمكانياتو كيفاه عايش" هناك أناس يأتون للمركب بعقليات مختلفة فإذا كان لديهم وعي بالأمور في هذا المجال من خلال تجربة سابقة لهم في مراكز علاج أخرى فإنهم يستصغرون الأمر ومهما تعملي لهم فإنهم لا يرضون بذلك لكن هناك فئات اجتماعية أخرى لم تعش تجربة قبل هذا مع ثقافة محدودة وامكانيات قليلة فإنها ترى الأمر رائع ومدهش"

إلا أن ذلك لا ينطبق مع كل الفئات ذات المستوى المعيشي الجيد فإننا نجد عندهم خاصية التكيف مع كل الحالات والوضعيّات التي تصادفهم خلال الرحلة. وفي هذا نجد بعض المبحوثين يشيرون إلى بعض الممارسات والطقوس في العلاجات الحموية ومجمل الخدمات والتي تفتقر حمامات الجزائر إليها وذلك بقولهم:

"عندك في تونس برك السّياحة الحمويّة Le thermalisme في تونس قدّامنا خير خير Très Très Bien، وحاجة كبيرة par centre nous, comme dé Algériens ou bien Hammam Guergour، راح فيها خلاص، بصفة عامّة الجزائر في Thermalisme ولا حتى السّياحة ككلّ، معندناش مستوى الخدمات رديّة، عندك في تونس برك الحمّام عندهم يعملوه مع كثير من الطّقوس الأخرى، والمهارات والفنّيات التي تؤكّد التّجربة الرّائدة لتونس في مجال الحمّامات المعدنيّة Thermalisme، عندك par exemple التّدليك، والعلاج الطّبيعي بالأعشاب، والطين أو الطمي، وليّ النّاس راهي تقبل على استعماله في العلاج بشكل كبير، وراه رائج اليوم" (مقابلة 14)

"أو جي للمغرابي يقلك ثمن ملايين وخمسمية ويصرف، وزيد عندهم les soins وعندهم Des produits معندناش حنا الطين، الصابون البلدي، الزعتر، القرنفل، الزنجبيل يداووك" (مقابلة 26).

وهذا ما أقر به أحد الإطارات بالمركب في قوله:

"العلاج الحمويّ تلقايه عند الشناوه (الصينيين) معروفين بهذه التقاليد، ثم الألمان، هما راه هارين علينا أحنا بزاف، باه يجيو الأوربيين les europium. وهناك مشتقات la Boue par exemple (الطمي، الطين الحموي)، أحنا مش منستعملوهاش مي هما يخدموا بها، هي من مشتقات المياه المعدنية الحمويّة، تكون مكتملة ولها تطبيقات خاصّة"

خاتمة

يتعايش العلاج الحموي مع الممارسة السياحية ليشكل نمطا هاما من الأنماط السياحية وهي السياحة الحموية أو العلاجية أو الاستشفائية هذا النوع الذي أصبح اليوم متنفسا وملاذا لكثير من الفئات الاجتماعية التي تبحث عن الصحة والراحة والاستجمام وإعادة اللياقة البدنية فلم تقتصر على كبار السن ومجمل المشاكل الصحية التي يعانون منها بل حتى على الفئات الشابة والفئات التي تتمتع بصحة جيدة ولذلك فقد تحكّم عملية اقبال السياح على حمام قرقور عدة اعتبارات من بينها الجنس والغاية والحاجة لذلك فتبين من خلال الدراسة أن:

- أن أغلب الفئات هم نساء كون أن المرأة لها خصوصية في الحمام وأيضا أنها الأكثر عرضة إلى الأمراض العظمية وذلك بسبب تغيرات فيزيولوجية ومرحلية طقوس العبور
- أن الحمام قرقور يقصده فئات مختلفة في المستوى الثقافي والمستوى الاقتصادي كون أن الغاية والحاجة للعلاج كانت السبب الأول والترفيه والراحة السبب الثاني وعليه فإن حاجة الاستشفاء كانت فوق كل الاعتبارات مادية.
- تميزت الممارسات العلاجية بالجودة في تقديمها وذلك حسب تصورات الزبائن وأنها عادت عليهم بالصحة والانتفاع
- حسب تصورات الزبائن فإن المركب يعاني من نقص في التجهيزات الطبية وأنها لا تكفي المترددين وحتى الطاقم القائم على ذلك فإنه يعد قليل مقارنة بعدد المترددين. كما أنه لا يوجد تنوع في الممارسات الحموية العلاجية أي غياب العديد من التطبيقات التي أصبحت رائجة اليوم مثل الطين الحموي البخار والغاز الحموي. مما طبع النظرة الكلاسيكية على الممارسة الطبية.
- الطاقة الاستيعابية لا تكفي حجم تدفق السياح وحاجاتهم في المركب السياحي، كما أن هناك خلط بين الفئات المستحمة والفئات التي تأتي للعلاج.
- يطغى على المترادين ثقافة استحمامية بدلا من الثقافة العلاجية وذلك أن الحمام يعد ممارسة يومية عند الفرد الجزائري قد عاد سلبا على خدمات المركب العلاجية.
- يتمتع المركب حسب آراء المترددين بسمعة جيدة فيما يخص المعاملة في كامل أجنحة المركب ومرافقه وهو ما انطبع على مجمل العلاقات التي تشكلت بين السائح وعمال المركب والتي قد استمر الكثير منها حتى خارجه وعليه فإن المركب بطاقمه يتمتع بثقافة اتصالية تواصلية.
- أما فيما يخص الأمور المادية فإن حمام قرقور حسب تصورات مرتاديه يعاني كثيرا من اهتراء معداته وتجهيزاته ولم يعد يستطيع استيعاب حجم كبير من السياح نقص في الصيانة رغم الجهود المبذولة والمراقبة وما أثر سلبا على خدمة الضيافة وحتى التنوع في الممارسات الحموية.
- تبين أن هناك انتشار ثقافة سياحية في ارتياد الحمامات المعدنية عند مختلف الفئات الاجتماعية والثقافية وحمام قرقور بصيته العالمي في ذلك لم يعد بهذه الطاقة الاستيعابية المحدودة أن يلبي حاجات السياح المتنوعة من البحث عن الصحة والراحة والاستجمام والاسترجاع للياقة البدنية، وقد يرجع ذلك الوعي بقيمة الحمامات السياحية إلى التنشئة الاجتماعية والقيم السياحية التي توارثها المبحوثين من المحيط العائلي.

تبين أن السياح مرتادي الحمام يتصورون غلاء الأسعار بخاصة في خدمة الضيافة فهو حال المؤسسات السياحية في الجزائر مقابل خدمات رديئة خاصة فيما يخص الاطعام والايواء ومما جعل الزبائن يعوضون النقائص بشكل حر وبطرق استثنائية.

الفصل السادس

السياحة الحموية بين الأصالة وتحديات المعاصرة

مقدمة

حاول الأنثروبولوجيون أن يجعلوا من مفهوم الأصالة مفهوما تحليليًا، بالرغم من أنّ هذا المفهوم لا يأخذ حيّزه الكامل في الدراسات الأنثروبولوجية والأصالة كمفهوم يعد أساسيا في الدراسات الأنثروبولوجية الخاصة بالسياحة لأنها مطلوبة من طرف السواح ومنتجوا السياحة ومن هدف الأنثروبولوجي هنا قد يكون دراسة الارتباط بين مختلف أنواع التعريفات للأصالة وعليه مفهوم الأصالة يعد غير مستقرّ ويتمّ حصره في أسطورة الآخر الأصيل و الكشف عن أصالة الحدث اجتماعيًا اذن يتطلّب من الأنثروبولوجي امتلاك معايير عمّا هو ليس أصيل اجتماعيًا.

إنّ البحث في مفهوم الأصالة والبحث عن الماضي يعتره شيء من الغموض، ولفهم ذلك الغموض ورفع اللبس عن الكثير من النقاط، توجّب فهم وتفسير وتحليل تصوّرات السّياح لهذين المفهومين، ويمكن قياس أصالة الشيء وتعلّقه بالماضي من خلال تأويل المضامين التي يحملها السّياح حول ذلك، وعليه ووفق مقارنة أنثروبولوجية سوف نخضع مفهوم السياحة والأصالة للتحليل المستفيض من أجل الكشف عن كل ما يعترى هاذين المفهومين من غموض وما يتصل بهما من قضايا ومسائل أبستمولوجية.

حمام قرقور بامتداده التاريخي وشواهد الحضارية وخواصه الاجتماعية والثقافية التي تمنحه قدرا من الجاذبية التي تشد السّياح إليه وتهوم بهم في جنبات الماضي لترسم في أذهانهم مشاهد تراثية مشبعة بالأصالة لكن ومع تحديات المعاصرة والتي تفرض على الأصيل أن يتخلى عن أصالته تحول حمام قرقور إلى سلعة سياحية أين تحولت الأصالة فيه إلى أصالة مزيفة، فبين البحث عن الماضي الأصيل الحقيقي والإبقاء عليه وبين البحث عن التجديد والحداثة ما كان للحمام إلا أن يكون سلعة تجارية تختفي فيها معالم الأصالة الحقيقية لتبرز من جهة أخرى أصالة مصطنعة قد تنتج من محل رفض الجوانب الحقيقية فيه لتعوض بجوانب مثيرة أكثر والتي تصبح لدى السّياح أقرب للأصالة سوف نتطرق في هذا الفصل إلى البحث في مفهوم الأصالة وعلاقتها بالسياحة من منظور أنثروبولوجي وكل المشاهد السياحية والتغير والعولمة والاعلام السياحي والاتصال الثقافي في حمام قرقور.

أولاً: السياحة والأصالة والبحث عن الماضي

1- في معنى الأصالة

الأصالة في اللغة هي من الفعل أصل، أصل الشيء: صار ذا أصلٍ وقد أصلَ أصالَةً، وفلان أصيلُ الرأي وقد أصلَ رأيه أصالة، وإنه لأصيل الرأي والعقل.¹

وإصطلاحاً تعرف بأنها "اختيار ما في التراث من نماذج ومن أصول اختياراً قائماً على الفهم والتمييز وعلى اتصالها بعراقة الأمة في ماضيها المشرق، وعلى استمرارها في التعبير عن شخصيتها في مستقبلها"²

إذن الأصالة كلمة تطلق على الأشياء التي تنتمي إلى جذور وماضي المجتمعات فنقول أنها أصيلة، كما ترتبط بالتراث الإنساني وكذلك هي العراقة في ماضيها وقد شغل مفهوم الأصالة العديد من المفكرين وكذا مختلف العلوم كالفلسفة والدين والاجتماع وغيرها. وفي علاقة الأصالة بالعديد من المفاهيم المجاورة كالتراث والثقافة، وحتى السياحة، حيث أن تلك المفاهيم هي في الأصل مادة أساسية في الإنتاج السياحي وعليه فإنه لا عجب أن نجد الدارس في حقل الأنثروبولوجيا أن يجمع بين هذه المفاهيم في تحليلاته فمفهوم الأصالة يحتل مكانة هامة فيها. كما تركز السياحة على الشيء الأصيل والمغاير عن حاضرنا فهي تبحث عن الماضي البعيد فينا وكيف تبقى على اتصال به في هذه الأسطر اللاحقة سوف نتطرق للسياحة والأصالة وفق مقارنة أنثروبولوجية نوازن فيها المفاهيم والرؤى ونغوص بها في عمق الماضي ونسميه أصيلاً.

2- السياحة والأصالة بأعين أنثروبولوجية

منذ مدة طويلة كانت هناك وجهة نظر خاصة بأن الناس يسافرون بحثاً عن أماكن وتجارب أصيلة على الرغم من أن النظرة الأكاديمية لأصالة غالباً ما تختلف تماماً عن شكل الأصالة التي يبحث عنها السياح حيث أوضح بحث قام به "موسكاردو وبيرس" **Moscardo and pearce** " أن الأصالة تمثل لسياح أمتار مهمة في المواقع التاريخية، وتشمل جزءاً كبيراً من الجاذبية لزيارتهم، وبتحديد رضا الزوار في الحقيقة إلى حد ما من خلال تصوراتهم أن التجربة حقيقة أو أصيلة،³ غير أن الأصالة كمفهوم يعد أساسياً في الدراسات الأنثروبولوجية الخاصة بالسياحة لأنها مطلوبة من طرف السواح ومنتجو السياحة وهي مجال نقاش كبير فبعد المقاربة الدرامية المسرحية التي أعدها "Gouffman" 1959 فقد طور "Mac cannell" مفهوم الأصالة المخرجة عام 1973 وذلك كرد فعل على الانتقادات التي وجهت للسياحة الجماهيرية على أنها تثنى ما هو ناقص من حيث الطبيعة وما هو مزيف. وعكس ذلك فقد أكد "Cannell" بأن السواح الذين تنازلوا على

¹ ابن منظور (2005)، لسان العرب، ج1، بيروت، دار صادر، ط4، ص.115.

² أنور، الجندي (1987)، المعاصرة في إطار الأصالة، القاهرة، دار الصحوة، ط1، ص.4.

³ تيموثي، دالين ج وبويد، ستيفن. و، مرجع سابق، ص.261.

الحياة الحضرية يسافرون للبحث عن الأصالة في أماكن أخرى حيث أن السواح من هذا المفهوم يبحثون عن والمعنى فيث الطبيعة في التاريخ أو الحياة الأكثر بساطة بالنسبة للآخرين لأن صناعة السياحة المبتكرة تقوم على الأشهر من أجل الجاذبية السياحية وهي لا تمنح السياح إلا أشياء مستحدثة (مصنوعة) لهم.¹

"إن معظم المقاصد السياحية والتي ترمي إلى السوق السياحية، كبيرة العدد لا تقصد ولم يقصد بها أن تكون أمثلة عن العالم الحقيقي فمقصد الإجازات بالنسبة لمعظم الزائرين، ليس عالما حقيقيا، فهو عموما عالم وهمي ومرغوب فيه بالنسبة للسياح اليوم، يبدو أن معظمهم يرغب في النظر للسعادة، حتى وإن كانت مشهدا مصطنعا، وكل ما يرغبون في أخذه معهم عند العودة، وبأدق هو أن تكون انفسهم سليمة ونشطة وسعيدة ومشاعر وذكريات طيبة"²

حيث أكد Cohen عام 1988 أن الأصالة موجودة خاصة في أذهان السواح وأن تحويل الثقافة إلى سلعة لا ينتج أصل الأصالة، إلى أن الأماكن والأشياء والممارسات وحتى الشعوب التي تحولت من أجل الاستهلاك السياحي يمكن أن تكون مقبولة مع مرور الزمن، على أنها أصيلة في عملية سمها أصالة في طور البروز أو أصالة ناشئة فالعديد من الشهادات الإثنوغرافية تم تجميعها للاعتراض على طرح Mac cannell، حيث بين Urry في 1990 بأن أعوان المكاتب الانجليز كان لديهم أكثر فهم ليعرفوا بأنه كانت معظم الأشياء مبتكرة من أجل السياح لكن كانوا يقدرونها على أساس الصفات الجمالية والمليئة بالفكاهات الناتجة عن عدم أصالتها³

يشير ماك كانيل 19 Mac cannell (1973_1976) في ما أسماه بالأصالة المصطنعة والتي تشير إلى سلسلة المراحل التي مرت بها الظروف والمناطق المحلية من حيث كونها مصطنعة للاستهلاك السياحي وقد اقترح أن مناطق وأماكن الواجهة التي يكون فيها السياح على اتصال مباشر مع الشعوب والبيئات المحلية قد زينت وعرضت بشكل ظاهري لتشبيه الأماكن والشعوب والممارسات للبيئة الخلفية والتي يكون فيها وصول السياح محدودا وتعد المرحلة الخلفية في هذا السياق الحقيقة والأصالة بينها المرحلة الأساسية هي الاصطناع أو عدم الأصالة في المقدمة والتي يراها السياح ويقومون بتجربتها.⁴

يتضح أن السياح غير قادرين على التمييز بين الأصالة المصطنعة والتجارب التراثية الحقيقية إلا أن كثيرا منهم يدركون الفرق حيث اقترح كوهن COHEN 1979 تصنيفا للأوضاع في علاقتها بالتجارب السياحية

¹ Leite, N., & Graburn, N, op, cit, p.8, 9.

² تيموثي، دالين. ج وبويد، ستيفن. و، مرجع سابق، ص. 262.

³ Leite, N., & Nelson Graburn, op, cit, p. 9,10.

⁴ تيموثي، دالين. ج وبويد، ستيفن. و، مرجع سابق، ص 263.

والأصيلة والتي تأخذ بأفكار ماكنيل Mac cannell خطوة إلى الامام فالنوع الأول وهي التجارب الأصيلة، والتي يكون فيها الوضغ حقيقةً موضوعية، ومقبولة عند السّياح كأنّها حقيقة، والفرع الثاني الأصالة المُصطنعة؛ حيث يكون الوضغ مصطنعًا أو مُجهزًا للسّياح، ولا يستطيع هذا الأخير تمييزه عن الحقيقة، حيث في هذه الحالة الخدمات السّياحية والمنطقة يُقدّمان للسّياح وصفاً زائفاً كالحقيقي، وهو ما يطلق عليه كوهن بـ "الفضاء السّياحيّ الخفيّ"، أمّا النوع الثالث هو إنكار الأصالة؛ حيث بالرغم من عرض المشهد كحدث حقيقيّ إلا أنّ السّياح يسألون عن مدى صحّته، أمّا النوع الرابع الأصالة المبدعة؛ والتي يكون الحدث فيها أو مكان الحدث زائفاً، ويعرض على هذا التحو من قبل المنشأة السّياحية، ويُفهم من قبل السّياح على أنّه زائف، والذي يطلق عليه كوهين اسم "الفضاء السّياحيّ العليّ"، وهذا يمكن أن يكون نموذجاً عملياً كما أشار إليه كوهين (Cohen 1979)، إذ يمكن أن يصبح الوضغ الأول ثانياً، ويغدو الوضغ الثاني رابعاً من حيث الترتيب الزمّني.¹

حاول الأنثروبولوجيون أن يجعلوا من مفهوم الأصالة مفهوماً تحليلياً، بالرغم من أنّ هذا المفهوم لا يأخذ حيّزه الكامل في الدّراسات الأنثروبولوجية، عكس ذلك فإنّ مفهوم الأصالة يظهر بقوة في مجالات الفنّ والاستهلاك، وعليه فإنّ اعتبار الأصالة كمفهوم تحليليّ يطرح من الغموض على ما نسمّيه "فئة الأهالي، وفئة التّحليل"، حيث ينتج هذا الغموض من كون أنّ الأنثروبولوجيين أنفسهم هم فاعلين في السّياحة، حيث قد أسهمت النظرة الإثنولوجية بقوة في تشكيل فئة الأصالة في إبراز أمثلة عن idea litatoin، حيث كثيراً ما وجد الأنثروبولوجيون أنفسهم في موقف دفاع أو معارضة بين نشاطهم ونشاط السّياح.²

قد أدخل Mac cannell مفهوم الأصالة في الدّراسات السّياحية، حيث أشركها مع الحداثة، إذ رجع إلى أعمال E.Goffman عام 1973م، والذي بيّن أنّه من الضّروريّ إظهار الحقيقة إذا ما تعلق الأمر برقابة انطباعات الآخرين، وحسب Mac cannell أيضاً أنّ في المجتمعات ما قبل الحديثة يكون الإبقاء على التّمييز بين الحقيقيّ والمزّيّف أمراً أساسياً لسير المجتمع المينيّ على العلاقات بين الأشخاص، حيث أنّ المجتمعات الحديثة وتعداد الأدوار فيها؛ فإنّها تكون مدروسة عبر تصوّرات الحقيقة التي تتجاوز هذه العلاقات.

خلّص "Mac cannell" إلى أنّ حقيقة الأصالة مفهوم لا يُمكن التّحكّم فيه، رغم أنّه قدّم تعريفاً واضحاً له، ممّا أحدث خلطاً في الدّراسات السّياحية بين مفهوم منبثق من الفلسفة، وفي الوقت نفسه هو

¹ تيموثي، دالين ج وبويد، ستيفن. و، مرجع سابق، ص.263.

² Cravatte, C., (2009), «Anthropology of Tourism and Authenticity. Analytical Category or Indigenous Cate gory? » *Cahiers d' études africaines*, p.60 3, [En ligne], mis en ligne le 25 juin 2009, consulté, 23-06-2020 ,

http://journals.openedition.org/etudesafriaines/18852 ; DOI : 10.4000/ etudesafriaines.18852,17 :19h

فئة تقييم مستعملة من طرف السيّاح، أما بالنسبة لـ "Selwyn" عام 1996م، فقد أثبت من جديد بأن أهمية الدراسات حول السياحة تتمثل في وضع فرضيات حول طبيعة المجتمع العصريّ أو ما بعد العصريّ، هذا الطموح لأنثروبولوجيا السياحة، الذي طالب به العديد من الباحثين، يسمح لفهم الأصالة على أنّها لم تُعالج فقط كفضة أهالي، لكن كمفهوم تحليل أعيد تعريف في العديد من المناسبات، فمن بين التعديلات التي تمت عليه، هو التمييز بين الأنثروبولوجيا والسيّاحة، ويسمح في ذات الوقت بالتفكير في أصالة التجربة السياحية، مع الإبقاء على البعد الأنطولوجي (نقاش المعرفة) بين المقارنة العلميّة والمقارنة السيّاحيّة.¹

كيف إذن نُعطي مفهوما للأصالة السّاخنة؟ إنّ هذه الأصالة تتأسّس على جملة من الأساطير السيّاحيّة، أي حسب لفي ستراوس Levi-Strauss وبمعنى أدقّ على الرّوايات (القصص) التي تتمثل وظيفتها في التّكفّل بالمشاكل الاجتماعيّة والشّخصيّة؛ بحيث يبدو وكأنّ هذه المشاكل قد تمّ حلّها في الجانب السيّاحيّ، فأسطورة الآخر الأصيل ترتكز على فكرة أنّ الآخر المُزار المُنتهي لجماعة اجتماعيّة بصفة أصيلة جماعيّة ما بعد عصريّة ومنسجمة، فأسطورة الأصالة لا يتمّ التّعبير عنها في ميدان السيّاحة فقط، بحيث حلّ "J.p Warnier" عام 1996م طلب السلعة الأصليّة كطريقة لتسيير الحداثة ومفارقاتها التي ترتكز على الاقتناع بأنّ الأصيل الحقيقيّ مستقرّ في مكان آخر.²

بينما "N. Wanz" قد تبنيّ موقفا مُغايرا لا يرتكز على تحليل الأساطير الموجودة وبنيتها، فعرف الأصالة الوجوديّة كحالة وجوديّة يكون كلّ واحد فيها وفيّا على نفسه، ويتصرّف كمضادّ تُجاه خسارة الدّات الحقيقيّة في الأدوار والميادين العموميّة للمجتمع الغربيّ الحديث، هذه البناءات النظرية للأصالة السّاخنة قد نظّرت ودرّست الكيفيّة التي بواسطتها الأساطير القابلة للتّعريف، تبني التجربة السيّاحيّة من دون خلط، كذلك ذكّرت بالبعد الطقوسيّ وغير العاديّ في التجربة السيّاحيّة.³

ناقش "موسكاردو وبيرس" (Moscardo and Pearce 1986) أنّ أصحاب النّظريات الأولى للأصالة قد أهملوا إمكانيّة تحقيق تصوّر السيّاح لتجارب أصيلة، وذلك من خلال التّفاعل القائم بين النّاس في البيئات السيّاحيّة، إنّ السيّاح الذين زاروا التّراث ويشعرون أنّهم قد اكتسبوا معارف جديدة، فإنّهم قد وجدوا بوضوح قدرا من الأصالة، في حين أنّ كلّ من "كوهين وماك كنيل" يلمّح أنّهم لم يفعلوا، وعليه ومن هذا المنظور اقترح "موسكاردو وبيوس" أنّ المشاهد السيّاحيّة يمكن تصنيفها إلى أربعة أنواع:

¹ Cravatte, C., Ibid, , p.604, 605, 606.

² Ibid, p. 606.

³ Cravatte, C., Ibid, p. 607, 608.

➤ أناس أصليون في بيئات أصلية، وحسب "ماك كنيل" أناس من المرحلة الخلفية في منطقية من المرحلة الخلفية.

➤ أناس أصليون في بيئات غير أصلية (أناس من المرحلة الخلفية في حالة من المرحلة الأمامية).

➤ أناس غير أصليين في حالات غير أصلية (أناس من المرحلة الأمامية في سياق المرحلة الأمامية).

➤ أناس غير أصليين في بيئات أصلية (أناس من المرحلة الأمامية في منطقة من المرحلة الخلفية).¹

هذا المفهوم للأصالة المصطنعة يرتبط ارتباطا وثيقا بمفهوم مماثل ألا وهو التسليع Commoditisation، الذي يوضع عدم قدرة السائح على التمييز بين ما هو أصيل وغير أصيل، حيث أن موردي الخدمات ورغبتهم في توفير تجارب أصيلة أصبحت الأشياء والأحداث التي لها معنى روحي وثقافي، قد أصبحت سلعا لاستهلاك السائح، وينتج عن هذه العملية لتغيير شكلها ووظيفتها ضياع الكثير من قيمها التراثية، فعندما تتكون هناك فجوة بين الحقائق التاريخية وتوقعات السائح سيتم تعبئة الأوهام وبيعها، وبالمقابل يتلف التوسيع السياحي ثقافات الأقليات، من خلال تعبئة الثقافات وتبسيطها في 30 دقيقة ترفيهية، وذلك كجانب سياحي، فيصبح عديم القيمة عند الناس الذين كانوا يؤمنون به.²

وهذا قد وضّحه "ماك كنيل Mac Cannell" حين وضع مفهوم الأصالة (ما هو أصيل وحقيقي) في مركز بحث السائح والحدثة، فإنه قد بين في نفس الوقت بأن السائح بإمكانهم أن يكونوا مغفلين أو يرون أنّ آمالهم خائبة، بحيث يكون من الصعب أن يدخلوا إلى وراء الكواليس، هذا الخوف يسكن الكثير من السياح ويمثل في الوقت نفسه فئة الأهالي، فالسياح أنفسهم يخافون من تدمير الأصالة الخاصة بحدث يتعلق بهم.³

إذن ارتبط مفهوم الأصالة بسؤال التصور والتمثل يمكن أن يحلّل أو يعتبر كمزيّف، لأنّ الاصطناع فقط من أجل السائح يمكن أن يصبح ممارسة معروفة بأنها أصيلة من طرف الأشخاص الساكنين في المكان، وذلك حسب كوهين (1988م).

وعليه فإنّ مفهوم الأصالة البارزة يسمح بتوضيح مفهوم تحويل الثقافة إلى سلعة تجارية Marchandisation de la Culture، إلا أنّ العديد من المقالات بينت العكس وهو ليس بالضرورة أنّ تحويل الثقافة إلى سلعة تجارية يؤدي بالضرورة إلى فقدان الأصالة، لكن يمكن أن يكون وسيلة تجعل بعض الممارسات أكثر مقاومة (صلة) في أعين الآخرين.⁴

¹ تيموثي، دالين. ج. وبيويد، ستيفن. و، مرجع سابق، ص. 264.

² تيموثي، دالين. ج. وبيويد، ستيفن. و، مرجع سابق، ص. 264.

³ Cravatte, C., op. cit., p. 608.

⁴ Ibid. P, 610.

من جهة أخرى أصبحت الطقوس أداءً مقابل المال، وذهب المعنى... هذا القرار يُنتهك بشكل مباشر معنى الطقوس، ويدمر نهائياً أصالتها وقوتها بالنسبة للناس... جاعلاً من ثقافتهم عرضاً عاماً لا يأخذ سوى القليل من الدقائق من الجهات المحلية المنظمة، ومع هذا مات 350 عاماً من الطقوس، وذلك حسب (Geacnwood 1989)، إذن يستتبع التسليع ليكون أكثر من مجرد تغليق بسيط للثقافة والتراث للاستهلاك السياحي، حيث هناك مسؤولية بشأن إيجاد أشياء وأحداث إضافية ومثيرة، لأنّ السّياح أصبحوا غير راضين عن العالم العادي (أو الحقيقي)، هناك حاجة لتقديم المزيد من التجارب المثيرة والغريبة للسّياح التي تُزيّن لتبدو أصيلة، وذلك حسب كوهين (1988).¹

إنّ الكشف عن أصالة الحدث اجتماعياً يتطلّب من الأنثروبولوجي امتلاك معايير عمّا هو ليس أصيل اجتماعياً، فإنّ جعل الشيء أصيلاً authentication (توثيق، وترسيم)، فإنّه سوف يخفّف من الانقسام التحليلي بين الأصالة السّاخنة والأصالة الباردة، فههدف الأنثروبولوجي هنا قد يكون دراسة الارتباط بين مختلف أنواع التعريفات للأصالة، وما هي المجموعات التي لها القدرة نسبياً على انتقاء السمات الملائمة التي تُقدّم للسّائح، أي تعريف الأصالة؟ ومفهوم التّرسيم إذن يفترض محتوى وبنية أسطورية خاصة ومخصّصة للأصالة، وعليه فإنّ مفهوم الأصالة غير مستقرّ ويتمّ حصره في أسطورة الآخر الأصيل.²

إذن يستتبع التسليع أكثر من مجرد تغليق بسيط للثقافة والتراث للاستهلاك السياحي، إذ أنّه هناك مسؤولية بشأن إيجاد أشياء وأحداث إضافية ومثيرة، لأنّ السّياح أصبحوا غير راضين عن العالم العادي (الحقيقي)، وعليه فإنّ هناك حاجة لتقديم المزيد من التجارب المثيرة والغريبة للسّياح، التي تُزيّن لتبدو أصيلة، وفيما يخصّ السياحة التّراثية فقد زاد الحنين إلى الماضي الذي جعل هذا الأخير يبحثون وبعثوا عن معاني الأمس، بالرغم من أنّ حقيقة ما يريدونه قد لا يكون قد حدث فعلاً.³

أكّد "T.Selwyn" من خلال التمييز بين الأصالة السّاخنة والباردة، على أنّه من الضّروريّ أن نحافظ بين خطابات إحياء الذّكري والتّحليل العلميّة، في حين أنّ "L.Bottanski" إلى أنّه توجد قدرات نقدية كامنة في خدر المستهلكين تجاه سلع استثنائية وأصيلة منتجة عبر إجراءات التّقنيّين، إذن السّوق تضع رموز (التّقنيّين) للمميّزات الأصيلة، بهدف إعادة الإنتاج حسب التّوافقات التي تسمح بإظهار فرق هذا التّرميز، الذي من شأنه أن يضع التّشكيك في أصالة ما هو منتج.⁴

¹ تيموثي، دالين. ج. وبويد، ستيفن. و، مرجع سابق، ص. 266.

² Cravatte C., op, cit,p., 611, 612 .

³ تيموثي، دالين. ج. وبويد، ستيفن. و، مرجع سابق، ص. 266.

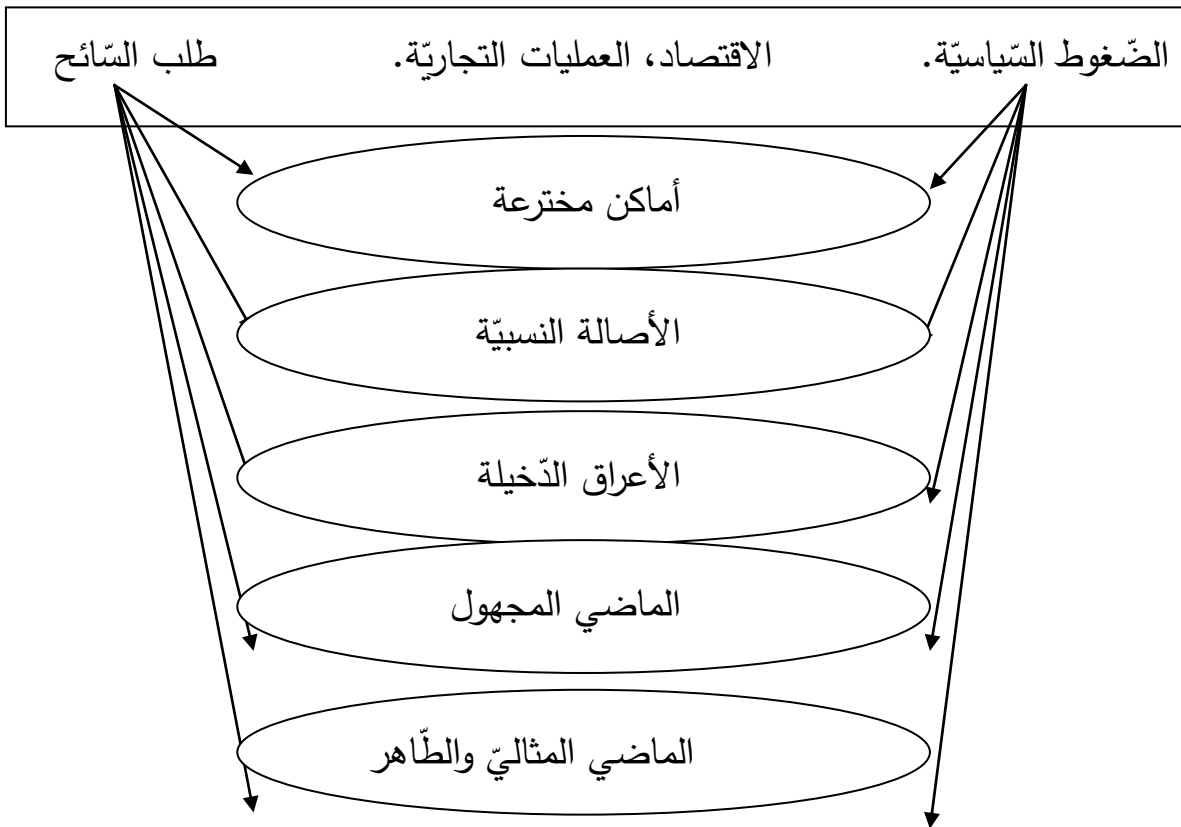
⁴ Cravatte C. , op, cit,p . 614.

وعند الحديث عن أصالة الأنثروبولوجي وأصالة السائح، نجد أن الأنثروبولوجيون استطاعوا أن ينكروا أصالة التجربة السياحية، وحصرها هذا الاهتمام في بعض فئات السواح، وفق منظور فينومينولوجي، واقترحوا تمييز الأصالة الساخنة للسائح والأصالة الباردة للباحث، لإنجاز حدود بين الطريقتين.¹

3- الأصالة والماضي المشوه: Distorted Pasts مشاهد مختلفة

إن الطلب السياحي على التجارب الأصيلة وما ينجم عنها من انطلاق الثقافات، والأماكن والأحداث، تؤدي إلى عدة أنواع مختلفة من الماضي المشوه، وعليه فإن الشكل التالي يبين نماذج من الماضي المشوه التي نشأت من مختلف الأحداث العالمية، والتي تؤدي كلها إلى تشويه الماضي.²

شكل رقم 4: يبين نماذج الماضي المشوه



المصدر: تيموثي، دالين ج. وبويد، ستيفن. و (2011)، السياحة التراثية، عبد الناصر بن عبد الرحمن، الزهراني، (ترجمة)، الرياض، النشر العلمي و المطابع جامعة الملك سعود، ص.267.

¹Cravatte C., Ibid , p, 615

²تيموثي، دالين ج. وبويد، ستيفن. و، مرجع سابق، ص.267.

أ- الأماكن الإبداعية: *Invented Plases*.

دّت المتاجرة بمنتجات التراث إلى بروز نماذج مقلدة من المواقع والمعالم التاريخية، وإلى ظهور كتابات غير أصيلة عن الماضي، والأماكن والناس والأحداث، جانب واحد من هذا المنظور هو الأماكن الإبداعية، أو الخيالية، لأنّ السّياح سيسافرون بحثا عن الأصالة حتّى ولو لم توجد، مثلا مزرعة "بياتريكس بوتر" هي في الحقيقة جزء من تراث هؤلاء النّاس، وعندما يزور النّاس تلك البيوت حيث عاش الكُتّاب وعملوا، والمناظر الطّبيعيّة التي شكّلت أساسا لرواياتهم، فإنّه تنطمس الخطوط، حيث تتنافس العوامل الخياليّة مع تجارب الحياة الواقعيّة.¹

ب- الأصالة النسبيّة: (Relative Authenticity).

لكن من المهمّ أن ندرك أنّ الأصالة هي مصطلح نسبيّ، وذلك لكثير من المنظرين، إذ هي ظاهرة موضوعيّة أوجدتها التجارب الشّخصيّة والتأثيرات الثقافية والتاريخ الوطني، حيث أن هذا الأخير فإن التاريخ يسرد من منظور الفائزين في الحروب، وليس من وجهة نظر المهزوم، ومنه فإن الثقافة السائدة تؤثر على فهم الجمهور للحقيقة، فينبغي أن لا ننظر لمعاني الأشياء التراثية على أنّها مستمدة مباشرة في الشيء نفسه، ولكنّ إلى الطريقة التي يعرض بها الشيء والخلفية الاجتماعيّة والثقافية للشخص الذي يعرضها، بما يعطي المعنى، وعليه فإن معنى التراث والأصالة يبني ثقافيا، ويتغير من سياق إلى آخر، حتى أن اليونيسكو تعترف بهذه الحقيقة، وذلك في وثيقة "نارا" عن الأصالة، والتي تنص على أن معنى الأصالة يختلف بين الثقافات، ويعتمد على السياقات المختلفة كمصادر المعلومات، مثلما يمكن أن تتأثر الأصالة وتتحدد في النهاية بالتمثيلات الثقافية والاجتماعية، فإنها سياق ومكان محدّد، وخير مثال عن ذلك مدن الأشباح *ghost towns*، فإنّ أصالتها تقاس بمدى تدهورها وتشوّها.

ووفقا لـ "سواربروك" (Swarbrooke 1994)، فإنّ معضلة الأصالة في كون ما إذا كان يجب أن تترك الأطلال القديمة كأطلال أو يعاد بناؤها، لتبدو في أقرب مظهر لها كما كانت في الماضي، فإنه يشير بعض الناس إلى وجوب تركها على حالها، لأن إعادة البناء يمكن أن تقلّل من أصالتها، والذي يعكس حقيقة أنّ الناس يريدون القديم قديما وباليا.²

¹ تيموثي، دالين. ج. وبويد، ستيفن. و، مرجع سابق، ص. 268.

² تيموثي، دالين. ج. وبويد، ستيفن. و، مرجع سابق، ص 271.

ت- العرقيّون الدّخلاء: Ethnic Intruders.

ينتقد كلّ من "دوجلاس ودوجلاس" (Douglas and Douglas 1991) الأصالة في المركز الثقافي البوليني في هاواي، بحجة أنّ المرونة العرقية إلى جوانب أخرى كالترفيحية الموجودة في العروض الثقافية، تجعل من الأحداث والجوانب بأكملها غير أصيلة، كما يجادلان في أنّ الأصالة تتضاءل كثيرا في المناسبات الثقافية والمسيرات العرقيّة، عندما يؤدي السكان غير المحليين دور المرشدين في موقع يعدّ أصيلا.¹

ث- الماضي الطاهر والمثالي: Sanitised and Idealised Paris.

أما بالنسبة لفكرة الماضي الطاهر والمثالي فإنّ ثمة اعتقاد شائع يشير إلى أنّ السّياح في بحثهم عن التجارب الأصيلة في شكل ما، فإنّ إذا واجهوا فعلا خبرات أصيلة، سوف يتوقفون عن زيارة المواقع التراثية، لأنها سوف تبدو في ظروف يجدها أكثر النّاس عديمة الطّعم وقذرة، وبطريقة أخرى لا يُمكن تصوّرها، ولذلك فإنّ النّاس يمكن أن يروا الماضي فقط من خلال عيون الحاضر، فالدّقة التاريخية لا تكون دوما متوافقة مع الانسجام البصريّ والحسيّ، وفي هذه الحالة يُقال عن التّراث والأصالة أنّهما طاهران، أو إنّهما سائقان لتلبية أذواق السّياح ورغباتهم.²

ج- الماضي المجهول: The Un Known Post.

هذا التّوع من التفكير يطرح فكرة أنّ الأصالة الحقيقيّة مستحيلة؛ لأنّ النّاس في العصر الحديث ليس لهم القدرة على فهم حياة النّاس في العصور القديمة، أو بالأحرى إن يعرفوا ما يكفي من تفاصيل حياتهم اليوميّة لتقديم تفسير دقيق، حيث يقول "لوينثال 1985 Lowenthal": "لا يمكن لرواية تاريخيّة أن تعيد أيّا من الأحداث السابقة بالكامل، لأنّ مضمونها لا يكاد يُحصى، فأكثر سرد تاريخيّ مفصّل يتضمن جزءا ضئيلا حتى من الماضي المناسب، فالقِدَم Postness المطلق للماضي يمنع تركيبه بالكامل. فالماضي ليس كيانا معروفا، لأنّه "ليس هناك رؤية يمكن أن تعيد الماضي كما كان ليس حصرا، إنه مجموعات من الأحداث والحالات"، فالناس يرون الماضي من وجهات نظر حالية، والأصالة يتمّ بناؤها اجتماعيا، فالماضي غامض وكلّ ما يمكن القيام به هو تخيّل ما كان عليه الماضي، حتى لو كانت التفاصيل معروفة، فإنّ بعضها يصعب أو لا يُمكن تصوّره.³ إذن مكانة الأصالة كمفهوم في أنثروبولوجيا السياحة تستشهد على تطور الموقف المتخذ من

¹ تيموثي، دالين. ج. وبويد، ستيفن. و، المرجع السابق، ص. 273، 274.

² تيموثي، دالين. ج. وبويد، ستيفن. و، المرجع السابق، ص. 274.

³ تيموثي، دالين. ج. وبويد، ستيفن. و، المرجع السابق، ص. 276، 277.

طرف مختلف الفاعلين في السياحة بحيث أنه تم إثبات بأن الأنثروبولوجيين خاصة في فرنسا، قد اختاروا موقف القاضي تجاه ممارسات وتجارب ومواضيع السياحة.¹

إنّ البحث في مفهوم الأصالة والبحث عن الماضي يعتره شيء من الغموض، ولفهم ذلك الغموض ورفع اللبس عن الكثير من النقاط، توجّب فهم وتفسير وتحليل تصوّرات السيّاح لهذين المفهومين، ويمكن قياس أصالة الشيء وتعلّقه بالماضي من خلال تأويل المضامين التي يحملها السيّاح حول ذلك.

4- الحمام والأصالة تراث يحاكي الماضي

حمام قرقور فضاء سوسيوثقافي تعاقبت عليه حضارات وتمازجت فيه ثقافات وحيكت فيه أساطير وخرافات نسجت من مجموعة الطقوس والممارسات التي شكلها المكان وحركة الناس به. حمام قرقور من محطة رومانية أدسافا مينيسبيوم محطة معدنية شغلت اهتمام أباطرة الرمان وفيالقهم الحربية فكانت مهذا ميلاد ممارسة حموية استشفائية شهدت بقاياهم على مر الأزمنة بالمنطقة على تواجدهم وحياتهم إذ لا تزال بقايا هذه الحضارة صامدة إلى الآن توالت الحقب وتعددت الشواهد التاريخية فكما كان الرومان حاضرا هناك، فقد سجلت الحضارة الإسلامية بصماتها في حمام قرقور وكان فضاء للمماساة طقوس العبور كما كانت لأضرحة الأولياء الصالحين سيدي الجودي مكانة وحضور في ذهنية وتصورات أهالي القرقور فكان رمزا تراثيا هاما ارتسمت به الممارسات الطقوسية فيما بعد حتى لزائري الحمام، في حين كان للمستعمر نصيب في هذه الممارسة الاستشفائية التي تعدت من الماء الحموي إلى العلاج المناخي ليكون حمام قرقور نقطة هامة في أجنداث القادة الفرنسيين هذا الامتداد التاريخي والحضاري كان له حمام قرقور شاهدا وصامدا و متمسكا بأصالته وماضيه الذي يعرفه الضيف والمضيف على حد سواء فكانت لأصالة هذا الفضاء بكل ما يتعلق به من مقومات تاريخية وأخرى طبيعية وثقافية أن يتفوق بجاذبيته على كل ما تم استحداثه.

إن الناس مرتادي الحمام تتوارى في تصوراتهم صور الأصالة وماضي المكان وأي تدخل من ذلك يعد تشويها للماضي الذي يؤمنون به ويتوقون لاسترجاعه غير أن هناك من يبحث في الحدائنة وتقنياتها عن ما يرجع لأصالة المكان رونقه.

فمن خلال هذه الدراسة تبين أن مرتادي حمام قرقور يبحثون عن الأصالة في مختلف أوجهها ويعد الجانب التقليدي رمزا للأصالة وتعلقا بالماضي الطاهر لديهم وهذا ما تبين في تمثلاتهم حول أصالة الفضاء حيث جاءت تصريحاتهم كما يلي:

¹ Cousin, S., & apchain. T., op, cit. p. 9.

"هذا الحمام نعتبرو جوهره..... كنز هذا تخليوه يضيع واش عجبنا بزاف سي كو عجبنا الناحية هادي بحيث الناس طيبين كون تشوفي وين في الدزاير عايشين بالطيف والله الناس مزالت فيهم الأصالة أحنا فرحنا كي جينا الله يبارك" (مقابلة 25)

"أنا نحب كل الحوايج الطبيعية (الزبدة تاع البقري، الحليب، بيض عرب، زيت زيتون ... كل منخرج نجيهوم)" (مقابلة 26)

"كذلك يعجبني التقليدي خاطر من *la source* (المنيع) ولازم توري لولادك كل ما هو في بلادك وتوريلهم، بصبح مشي كيما حمام قرقور *très bein, s'est un truque un trisson* (حاجة جذابة بزاف) شيء مهم جدا. حنا كي جينا فالثمانينات لقينا ديار قليل وهياليك وصور وذكريات للعائلة الصغيرة والكبيرة، راهوم اليوم بولادهوم وولاد والدهم، وانا غرست فيهم حب الحمام من كان وليدي عمرو 10 سنوات اليوم راهو راجل هذه 40 سنة نجيو للحمام مضنيتش ينساوه. بدلا ما يروحو للبرا نجيو للحمام كل شيء مليح الطبيعة المناظر، *Donque* ولاو يجو للحمام قرقور ولازم طمي العايلة لازم بنادم يخير كاين الحمام والماء تاعو وكاين لوتال منحوسش كثر" (مقابلة 23)

"...، حاجة الماء هنا خير (في التقليدي) يجي قبالة، طبيعي هنا خير، من الكومبلاكس" (مقابلة 1)

وتضيف:

"وفي رأي أن الحمام لقديم خير، قالك لمثل الجديد حبو ولقديم لاتفرط فيه، لازم يبقى القديم بهذا الطابع وميحاولوش يعدلو فيه شوي شوي خاصة النظافة برك والحمام يبقى حاجة بارزة في المنطقة مانتصورش ماكانش الحمام، هو غالي علي وهو تراث قديم عندنا توارثناه من بكري خاصة الآثار دايرا به في كل بلاسة، والطبيعة باهية والهوا مليح بزاف" (مقابلة 1)

"ربي يخلمهونا ميحرمناش منو كما قلوها حتى نهار تفنى الدنيا، حمام حقيقي أصلي" (مقابلة 2)

وهذا ما أكده أحد المبحوثين من أهالي المنطقة بقوله:

"أنا نفضل التقليدي كان الحمام في وقت الثورة مبني بالحجر لخطارش الماء حامي" (مقابلة 02)

وتضيف حالة أخرى بقولها:

"أنا مروحش للكومبلاكس، نحب كل ما هو تقليدي، طبيعي، بصبح الكومبلاكس، يضيفولوا إضافات، ديفوا في الشتاء، تدخلو للحمام التقليدي تلقاي أتربة تعرفي بلي جاي من الطبيعة،" (مقابلة 08)

"...، مليح أنا نفضل التراديسيونال هذا خاطر هنا يمشي الماء، ناتيرالموا جوبريفار لوكوتي تراديسيونال جوبريفار إيسي على الكومبلاكس يمشي بليماشين سانك ميل فوا، سي لوشاغم، (مقابلة 04)."

وتضيف حالة أخرى بقولها :

"عجيني التقليدي على جال الدواء ... مليح خير من الكومبلاكس." (مقابلة 12)

"كلش هنا مليح تحسي روحك هادية تقول منروحش الطبيعة والناس طبيين والبساطة وكلش طبيعي تحسي صح كاين أصالة في مكان" (مقابلة 31)

"من بكري نجي مع الأم تاعي لحق نحب التقليدي طبيعي سي لوشارم ونروح السوق الشعبي نشري ما لقري كاين عندنا كلش وخير من هنا إلا، أنو هنا كلش طبيعي الأعشاب والتوابل وزيت الزيتون فكل ما هو طبيعي تقليدي نحبو وحتا الناس تاع هنا فيهم الأصالة والحرمة وكي نخرج نتمشى في المنطقة من خافش لأن نحس بالأمان وأني بين عايتي" (مقابلة 32)

تتوارى صور الأصالة في جملة المفاهيم التي يتصورها المبحوثين والتي تحمل معاني ودلالات عميقة في أذهانهم ويتخذونها صيغا لتعبيراتهم مثل: "قديم، وبكري، وطبيعي، تقليدي، لوشارم" وغيرها من الكلمات التي ترمي إلى الأصالة والماضي الجميل الذي يحمله الناس في أذهانهم والسياحة في حمام قرقور تستحضر هذه المشاعر الجميلة وذكريات الماضي الأصيل ولكن التغيير سنة من سنن الكون فدوام الحال من المحال والسياحة كما تصور لنا مشاهد من الماضي لتحفظها كذلك هي ظاهرة تتغير وتغير وعليه فإننا في هذا العنصر الموالي سوف نقف على دراسة السياحة والتغير من بعد أنثروبولوجي لكي نستلمهم قوانين وسنن التغيير للظاهرة الإنسانية .

ثانيا: السياحة والتغير مقارنة أنثروبولوجية:

قال "هيرقليطس" قديما (475_540 ق.م): "أن التغير قانون الوجود وأن الاستقرار موت وعدم"، فالتغير الاجتماعي هو أحد الحقائق التي تميز عالم الإنسان عن غيره، إذ قال "جون ديوي": "كما أن الحركة هي الحقيقة الفيزيائية الأولى، كذلك فإن التغير هو الحقيقة الاجتماعية".

إذن نفهم التغير ونلمحه فيما أشار إليه أوغست كونت في حديثه عن الأستاتيكا والديناميكا، وفيما قاله "راد كليف براون" عن التغير بأنه لفظ غامض change وأن لفظ عملية process هو أكثر دقة منه كالزواج، وهو نوعان: تغير خاص لمجتمعات بدائية، وتغير يقع في مجتمع نتيجة عوامل داخلية أو خارجية

كالاحتكاك الثقافي¹ لقد انشغل علماء الأنثروبولوجيا المعاصرون بموضوع التغير الاجتماعي في المجتمعات البدائية، وذلك لمعرفة العلاقة بين السبب cause والمسبب effect واكتشفوا أن هذه المجموعات خضعت للكثير من التأثيرات التي قد أحدثت بدورها الكثير من الاختلافات والتعديلات في النظم الاجتماعية، حيث أكد "جوليان هيكسلي" Julian Huxley في كتابه On living in a Revolution على أن التنمية والتكنولوجيا الحديثة أسرعت إلى كل مكان، وأحدثت تغييرات هائلة في المجتمعات جميعها.

كما أورد "جلاكمان Glakman" أن التغييرات التي تحدث في المجتمعات الإفريقية تتوازي مع التغييرات الحاصلة في المجتمع الأوربي².

إن مفهوم التغير الاجتماعي هو مفهوم حديث وقديم في الوقت نفسه، إذ أدرج مع مفاهيم مقارنة، التطور والتقدم، والتنمية، والنمو، وغيرها، ولكن مع بدايات القرن 20 بدأت عملية الفرز بين المفاهيم في حقل العلوم الاجتماعية، وخاصة حين وضع "وليم أوغبرن" (William Ogburn) كتابه الشهير "التغير الاجتماعي" عام 1922 م³.

وكثيرا ما يجمع العلماء بين التغير الاجتماعي والثقافي، إذ أنه حين يحصل تغير ثقافي بالضرورة قد يحصل تغير اجتماعي باعتبار أن الثقافة هي روح المجتمع، ومن منطلق أن الثقافة من خصائصها أنها متغيرة، فصفة التغير يتسم بها المجتمع الإنساني.

فالتغير الثقافي والاجتماعي: يستعمل للإشارة إلى تلك التغييرات الثقافية التي تحدث في مجتمع ما⁴. كما يعني أي تغير يطرأ على جانب معين من جوانب الثقافة المادية أو اللامادية سواء عن طريق الإضافة أو الحذف أو تعديل في السمات أو المركبات الثقافية، وقد يحدث التغير الثقافي نتيجة عوامل عديدة، وغالبا ما يحدث بفعل الاتصال بين الثقافات⁵.

إن دراسة التغير الثقافي يقتضي فحص كلا من جوانبها المادية واللامادية، والتي لا يمكن الفصل بينهما، والبحث في تأثير أحدهما في الآخر يكشف لنا عملية التغير الثقافي، والذي يعد كل شيء يطرأ من كل

¹ رشوان، حسن عبد الحميد أحمد (2003)، الأنثروبولوجيا في المجالين النظري والتطبيقي، الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ص. 253، 254.

² رشوان، حسن عبد الحميد أحمد، المرجع السابق، ص. 255، 256.

³ عبد الغني، عماد، مرجع سابق، ص. 189.

⁴ مصطفى، تلوين (2011)، مدخل عام في الأنثروبولوجيا، لبنان، دار الفرابي، ص. 112.

⁵ دعبس، يسري، مرجع سابق، ص. 715.

تبدّل في جانبي الثقافة، سواء المادي أو المعنوي، فهو تغيير يحدث في جميع نواحي المجتمع (اللغة، الفنّ، العادات والتقاليد، القيم، التكنولوجيا...) وعلى هذا يصبح التغيير الاجتماعي جزءاً من التغيير الثقافي¹.

يحدث التغيير من خلال التفاعل الحاصل بين الإنسان وبيئته الاجتماعية، والثقافية والطبيعية، وقد أشار ابن خلدون إلى ذلك في حديثه عن أنّ الإنسان ابن بيئته، وهذا يدل على أن الإنسان يتأثر بمختلف أنماط البيئة الطبيعية، والاجتماعية، والثقافية، وذلك الذي لخصه في مفهوم "المورفولوجيا الاجتماعية".

إذن قد يحدث التغيير بفعل عوامل عديدة جغرافية منها وسكانية، والأيدولوجية، والثقافية، والعوامل الاقتصادية والتكنولوجية، كلّ هذه العوامل والمؤثرات هي مسؤولة عن إحداث التغيير الثقافي والاجتماعي في أيّ مجتمع.

لقد كانت دراسات التغيير الثقافي في أحد أهمّ القضايا التي اهتمّت بها الأنثروبولوجيا، والذي أخذت مضامين كثيرة مع تطور البحث في الشأن الثقافي وخاصة في محاولة الكشف عن القوانين العامة التي تحكم تطور ثقافة مجتمع ما، والذي ظهر ذلك في كلّ من أعمال مورغان وسبنسر، ثم حصل عام 1896م تطوّر في اتجاه هذه الدراسات، تمثل في الهجوم الذي أثاره كل من "ريفرز وبواس" اتجاه الإفراط في تبسيط التعميمات التي يعتمد عليها الاتجاه التطوري، مما أدّى إلى الاتجاه نحو تاريخ الثقافات فظهرت كل من النظريات التاريخية والانتشارية، وفي عام 1920م اتّجه المدخل الوظيفي نحو دراسة الاتصال الثقافي والتثاقف، كما ازدهرت الأنثروبولوجيا التطبيقية التي عُنيّت بتحليل التغيير الثقافي وعملياته، ونتائجها في مجتمعات مختلفة².

ومن آثار التغيير ونتائجه:³

- أنّ التغيير الثقافي يُحدث عملية إحلال سمة أو مجموعة سمات ثقافية جديدة محلّ القديمة للسكان المحليين، تؤدّي نفس الوظيفة فيحدث التغيير البنائي في أدنى مستوياته.
- كما قد يؤدّي إلى إضافة بعض السمات الثقافية المادية منها واللامادية للسمات المحلية، وبالتالي لا يحدث تغيير بنائي كبير.
- أنّ التغيير الثقافي قد يُحدث نوعاً من عملية التكيّف أو الاندماج في السمات الجديدة والسمات المحلية لتشكل نسقاً فرعياً، ممّا يؤدّي إلى تغيير بنائي ملحوظ.

¹ عبد الغني، عماد، مرجع سابق، ص. 192.

² دعبس، يسري، مرجع سابق، ص. 715، 716.

³ دعبس، يسري، المرجع السابق، ص. 716.

- أن التغيير الثقافي قد يحدث نوعاً من التفكك الثقافي عندما يؤدي الاتصال إلى فقدان جانب من الثقافة دون إحلاله بجانب آخر كاستخدام مثلًا المعدات والأدوات المنزلية الجديدة بدلا من التقليدية.
- أن التغيير الثقافي قد يحدث نوعاً ما من الرّفص الثقافي خصوصا عندما تكون التغييرات سريعة ومتلاحقة فينجر عنه عدم تقبل عدد كبير من الأفراد لهذه الأحداث الجديدة، وبالتالي قد تُبذل جهود كبيرة لمحاولة مقاومة أو تقبل هذا التغيير.

نّ جذور الحتمية الجغرافية ضاربة في القدم، فنجد كلاً من "أبو قراط وأرسطو"، وفي معرض حديثهما عن أسباب التّمايز والتنوع في أنماط السلوك البشري وطبيعة المجتمعات الإنسانيّة البدايات الأولى لتقسيم ذلك التنوع والتمايز في الأنماط المجتمعة المختلفة بالظروف الطبيعيّة التي تؤثر بوجه خاص على الخصائص الفيزيائيّة للناس، ويذهب الفيلسوف الفرنسي "فيكتور كوزان" Victor Cousin إلى حدّ القول بأننا حين نحصل على خريطة لبلد معيّن تحدّد تضاريسه ومناخه ومياهه ورياحه، وكلّ جغرافيته ومنتجاته الطبيعيّة وأنواع النباتات والحيوان التي توجد فيه، فإننا نستطيع أن نحدّد بصفة أولية كيف يكون السكّن أو كيف يعيشون، وما هي أدوارهم تاريخياً المحددة ضرورياً لا بالصدفة خلال الاستمرار التاريخي لذلك البلد¹. يبدو أنّ الاتجاه العام للتغيير في المجتمعات التقليدية يسير الآن نحو الأخذ بهذه المجتمعات إلى سبيل التحضّر².

يعرض "بايدا رفار" في مقال بعنوان "عمليات التمدين والتغيرات السكانية" فرضاً يقوم على أربع قضايا تنتظم عمليات التغيير التي تعيشها المجتمعات التي أخذت تعمل بأساليب التنمية حديثاً أو المجتمعات التقليديّة التي تتحوّل إلى مجتمعات صناعيّة حديثة، وتتمثّل فيما يلي³:

- ترتبط المكوّنات البنائيّة (الديمغرافية والاجتماعيّة والثقافيّة والاقتصاديّة والسّياسيّة) ارتباطاً وظيفياً في أيّ نسق اجتماعي يؤثّر التغيير الحاصل في جزء منها على باقي أجزاء النسق الأخرى.
- يتسبّب التغيير في النسق الاجتماعي بصفة عامة عن فئتين من القوى: الفئة الأولى وتضمّ القوى الداخلية في المجتمع ذاته، والتي تتولد عن الاختراعات والاكتشافات التي تظهر في هذا المجتمع كإكتشاف موارد جديدة للثروة وغيرها، وقد تتولّد هذه القوى عن التناقص الذي يأخذ في الظهور بين الموارد المحدودة والحاجات المتزايدة للسكان، وقد تتولد عن الأزمات أو التوترات التي تقوم في المجتمع، أمّا الفئة الثانية وهي القوى الخارجيّة التي تؤثر في المجتمع من خلال الانتشار والتأثير الثقافي.

¹ محجوب، محمد عبده (د.س) الاتجاه السوسيو أنثروبولوجي في دراسة المجتمع، الكويت، وكالة المطبوعات، ص. 67.

² محجوب، محمد عبده، المرجع السابق، ص. 70.

³ محجوب، محمد عبده، المرجع السابق، ص. 74، 75.

➤ تعود أغلب التغيّرات التي تطرأ على المجتمعات التي لم تقطع شوطاً بعيداً في مجال التحضر والتصنيع إلى القوى الخارجية التي تتولد عن الاتّصال بالأنساق الاجتماعية التي استقرت في المجتمعات التي قطعت شوطاً كبيراً في مجال التصنيع.

➤ أنّ أغلب التغيّرات البنائية الحاصلة في المجتمعات التي لم تقطع شوطاً بعيداً في مجال التنمية والتصنيع تعود إلى عمليات التحديث التي تتّجه بتلك المجتمعات إلى النّمط الثقافي السائد في المجتمعات الغربية.

كما لا نغفل عن أهميّة الاتّصال الثقافي وتبادل الخبرات في عمليّة التنمية وتحديث المجتمع التقليديّ، كما أننا لا نغفل أيضاً عن أهميّة الظروف الداخلية في إحداث التغيّر الاجتماعيّ والتغيّر البنائيّ بوجه خاصّ¹.

كانت الدّراسات المختصّة بالعلاقات بين الإنسان ومحيطه في بادئ الأمر دراسات حتميّة: إذ ساد الاعتقاد أنّ مختلف المجتمعات أو الثقافات قد اكتسبت ميزاتٍ بفضل المحيط حيث تطوّرت، فإنّ التأقلم الثقافي قد اتّبع نفس المنطق الذي اتّبعه التأقلم البيولوجيّ الداروينيّ، وبعد أن تكاثرت الاستقصاءات العقلية وذلك من خلال الطرق المعتمدة من طرف كلّ من "بواس ومالينوفيسكي"، ما أدى إلى تبيان أن اختلافات التنظيم الاجتماعيّ والسمات الثقافية لا يمكن أن تفسّر انطلاقاً من إلزاميات يفرضها المحيط، فثمة مجتمعات تعيش في نفس الوسط تظهر اختلافات قويّة².

كما كان مصطلح الاحتكاك أو الاتصال الثقافي مألوفاً في كثير من الكتابات الأنثروبولوجيّة في بداية القرن 20، وذلك من خلال اهتمام تأثر الثقافات ببعضها البعض نتيجة الاتّصال، فقد ركّزت دراسات الاتصال الثقافي على نوع محدّد من عملية التغيّر وهو بحدّ تعبير "رادكليف براون" تغيّر الحياة الاجتماعيّة بفعل تأثر أو سيطرة الغزاة الفاتحين الأوروبيّين وخاصة في القارة الإفريقيّة³.

لقد قدّم الأمريكيّ "ملفن هرسكوفيتز M.Herskovits" (1895م-1963م) مصطلح التثقّف أو التزاوج الثقافيّ، حيث يعرف التثقّف وذلك بالاشتراك مع "رالف لينتون وروبرت ردفيلد" بأنّه: "يشتمل التغيّر الثقافيّ في تلك الظواهر التي تنشأ حين تدخل جماعات من الأفراد الذين ينتمون إلى ثقافتين مختلفتين

¹ محجوب، محمد عبده، المرجع السابق، ص. 75.

² أوجيه، مارك وكولانين، جان بول (2008)، الأنثروبولوجيا، جورج كتورة (ترجمة)، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، ص. 39.

³ فهيم، حسن (1986)، قصة الأنثروبولوجيا فصول في تاريخ علم الإنسان، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، ص. 153.

في اتصال مباشر مستمرّ معهما، مما يترتب عليه حدوث تغييرات في الأنماط الثقافية الأصلية السائدة في إحدى هاتين الجماعتين أو فيهما معا¹.

يأتي الاتصال الثقافي في عدة أوجه متباينة ممّا سيحدّد بطبيعته كالاتصال الثقافي الناجم عن الظاهرة الاستعمارية، والاتصال الثقافي الذي ينتج عن الحملات التبشيرية وغيرها.

ولم تكد الحرب العالمية الثانية تضع أوزارها حتّى ظهر ذلك التباعد الاقتصادي للدول المصنّعة ودول العالم الثالث، حيث رأى علماء اجتماع في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي أنّ البلدان المصنّعة ناتجة عن عملية التحديث، حيث يعرفه الأمريكي "ن.س. أيسنستات (Eisenstadt)" على أنّه: "يمثل التحديث تاريخياً عملية التحول نحو تلك الأنماط الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تطوّرت في أوربا الغربية، وفي أمريكا الشمالية في القرن 17، وحتّى القرن 19 والتي انتشرت في باقي العالم"، ومن هذا التعريف يتضح:

- أنّ التحديث يرتبط بنمط عقلائيّ عالميّ حيث وحسب "فردريك تايلور Fréderick Taylor (1856م_1915م) والذي وضع أسس ما يسمّى بالتنظيم العلمي للعمل، أنّه لا توجد سوى وسيلة واحدة ووحيدة لإدارة الأعمال بنجاح وهي العقلانية مهما كان المشروع والمجتمع الذي ينتمي إليه وثقافته.
- أنّ التحديث حسبه هو نظرية انتشار، مرتبط بتيّار علم الاجتماع الذي يعتبر التغييرات الثقافية تحدث بانتشار التّجديد من المركز، فأصبح التّحديث موصوف بنظرية تساتل Convergence والذي تنضوي تحته كلّ الحضارات باعتباره النّمودج الوحيد.
- أنّ التّحديث هو عملية تغيير ولكنّ التّحديث هو الذي يقيم التغيير والتّجديد².

وعلى النقيض توجد مجتمعات في الجهة الأخرى بدائية أو متخلّفة، والتي قد عبّر عنها "كلود ليفي شتروس" بمجتمعات حارة وأخرى باردة، الأولى هي أكثر ليونة ومطاوعة، وأكثر تجديداً، والثانية هي قابعة في تاريخها البطيء³.

من جهتها "مارغريت ميد" رائدة من الاتجاه الثقافي، درست التغير الثقافي في مجتمعات الهنود الحمر نتيجة احتكاكهم بالمستعمرين البيض، وذلك في أوائل الثلاثينات من القرن الماضي، حيث أنّ مارغريت لاحظت أنّ عملية التثقاف كانت صعبة وكان المجتمع الهنديّ الأحمر في صراع مريم مع الثقافة الدخيلة، ولم

¹ فهيم، حسن، المرجع السابق، ص. 153.

² تولرا، فليب لابورت وفارنبييه، جان بيار، مرجع سابق، ص. 10، 11.

³ تولرا، فليب لابورت وفارنبييه، جان بيار، المرجع السابق، ص. 11، 12.

يستطع التكيف مع الأوضاع الجديدة، وقد لاحظت أن المستعمرين البيض لم يسمحوا للهنود الحمر بالاشتراك في أنشطتهم وأن يتعاملوا معهم على قدم المساواة، وأرادوا منهم أن يندمجوا كلية في ثقافتهم¹.

لقد أدرج علماء الأنثروبولوجيا الأمريكيون خلال تحليلاتهم لعملية التثاقف: مصطلح (التزوع) (Tendance) والذي قد اقترضه " إدوارد ساير" من الألسنية، ليعينوا أن التثاقف ليس اعتناقاً غير مشروط لثقافة أخرى، حيث أن تحول الثقافة الأصيلة يتم بانتقاء عناصر ثقافية مفترضة، إذ يتم من تلقاء ذاته وفق نزوع عميق في الثقافة الآخذة.

اقترح " هرسكوفيتس" متابعاً في تحليله للتثاقف مفهوماً جديداً كفيلاً بالأخذ بعين الاعتبار طريقة كل مجموعة للقيام بتأليفات ثقافية جديدة في أوضاع التماس، وهو "إعادة التأويل" حيث عرفه بأنه: " الصيرورة التي تسند بها دلالات قديمة إلى عناصر جديدة أو التي تغير بها قيم جديدة الدلالة الثقافية التي كانت لأشكال قديمة"².

لقد أولى كثير من العلماء وبخاصة الأمر كان لدراسة عملية التثاقف Acculturation والذي قد ابتدع مقبل الأنثروبولوجي الأمريكي "ج. و. بويل (J.W.Powel)" والذي يطلقه على حركة تحول أنماط المهاجرين وفكرهم في تماسهم مع المجتمع الأمريكي³، هو بدوره الأنثروبولوجي الأمريكي "ميفليل هرسكوفيتس" قد قدم إسهاماً كبيراً في مجال دراسة التغير الثقافي في إفريقيا، والتي دعمت دراساته فكرة النسبية الثقافية، قد تساءل "هرسكوفيتس" حول كيف يمكن إطلاق أحكام قيمية على ثقافة بدائية طالما أن كل فرد يفسر الحياة الإنسانية في حدود ثقافته الخاصة؟ وعليه فقد أكد على أن من الخطأ أن تسعى الثقافة الغربية (أوربية أو أمريكية كانت) لإطلاق أحكام مسبقة على الثقافات الأخرى، وتتخذ ذلك أساساً ومبوراً للممارسات الاستعمارية، وعلى هذا الأساس فقد اتسم "هرسكوفيتس" وأتباعه من المدرسة الثقافية الأمريكية بنقد آراء الوظيفيين البريطانيين لتأييدهم سياسة الإدارة غير المباشرة⁴.

تبنت الأنثروبولوجيا الثقافية المفهوم بشكل واسع جداً، على أن أغلب الباحثين مثل "هرسكوفيتس" ذاته جسّدوا خاصّة الجزء الأول من التعريف، حيث كانوا حريصين بوصفهم ورثة الثقافة على بيان تواصل الثقافات الدلالي بما في ذلك الحاصل في مجرى التغير، وقد مكّن جهد الأنثروبولوجيا الأمريكية في التنظير من

¹ حسن فهميم، مرجع سابق، ص 154.

² كوش، دنيس (2007)، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، منبر، السعيداني (ترجمة)، بيروت، دراسات مركز الوحدة العربية والمنظمة العربية للترجمة، ص. 95، 96.

³ كوش، دنيس، المرجع السابق، ص. 92.

⁴ حسن فهميم، مرجع سابق، ص. 154، 155.

الإقرار بأنّ التغيّرات الثقافيّة المتّصلة بالتّثاقف لا تحدث مصادفة، بل وقع استخراج قانون عام للعناصر الثقافيّة غير الرّمزيّة (التقنيّة والماديّة) والتي هي أيسر نقلا من العناصر الرّمزيّة (الدينيّة منها والأيدولوجيّة... إلخ)¹.

ومن جهته "ه. ج. بارنات" ويهدف الإنشاء عن تعقّد صبرورة التّثاقف ميّز بين شكل السّمة الثقافيّة التعبيريّة الظّاهرة، ووظيفتها ودلالاتها، والتي يمكن أن تلخص إلى ثلاث نقاط متكاملة الانتظام:

- كلما زاد الشّكل غرابة أي ابتعد عن الثقافة المتقبلة كان أكثر عسرا.
- أنّ الأشكال أكثر قابليّة للنّقل من الوظائف، وهذا عكس ما أوضحه مالمينوفسكي.
- تُقبل السّمة الثقافيّة مهما كان شكلها ووظيفتها، قبولاً أفضل وتُدّمج إذا تمكنت من اكتساب دلالة متوافقة مع الثقافة المتقبلة، ومرة ثانية في هذا الصدد تتبين فكرة إعادة التّأويل العزيزة على "هرسكوفيتس"².

وعليه فقد كان للنّقد الذي قدّم من طرف أنصار التّثاقفية أمثال "هرسكوفيتس" وأتباعه صدى كبيراً، وعلى إثره قُضي عام 1947م تقدّم المكتب التّنفيذي للجمعية الأنثروبولوجيّة الأمريكيّة إلى لجنة حقوق الإنسان التّابعة لهيئة الأمم المتّحدة لمشروع إعلان يقضي بضرورة احترام الفوارق الثقافيّة بين الشّعوب، وذلك قصد مناهضة سيطرة القيم الغربيّة ومحاولة فرضها على الآخرين. وبالمقابل فقد كان الفرنسيّ "جربوك" داعماً إلى فكرة النسبية الثقافيّة، ومناهضاً للاستعمار، وقد نظر للتّثاقف على أنّه عمليّة تقوم على أساس السّيطرة حيث ذكر أنّ: "معرفة الغرب للثقافات الأفريقيّة إنّما تستند إلى تراث غربيّ ينمّ عن جهل بأحوال الآخرين، وإلى عدم فهم عقليّتهم إلى جانب النّزعة الغربيّة للاستعلاء على الآخرين". يدعو من خلاله "جربوك" إلى فهم التّحديث على أنّه "تعايش للثقافات السّائدة مع تمكين المجتمعات الأصليّة من الحفاظ على أصالتها، وعلى شخصيّتها الحيّة والتي يجب ألاّ تموت عكس ما افترضه الإمبراليّون". وقد كتب "جيرار لكلوك" أنّ الاستعمار قد أتاح فرصة أمّا الأنثروبولوجيا من خلال تقديم شروط وتسهيلات عمل لم تقدّم من قبل للباحثين³.

إذن الاعتراف بخصوصيّة كل ثقافة فالمقارنات التّعميميّة التي تفرضها ثقافة الدّول المستعمرة للشّعوب الأخرى البدائيّة حسبها، والذي يضيف بنا إلى النسبية الثقافيّة.

¹ كوش، دنيس، مرجع سابق، ص. 96، 97.

² دنيس، كوش، المرجع السابق، ص. 97.

³ حسن، فهيم، مرجع سابق، ص. 155، 156.

كان " فرانس بواس " مقتنعا بأن كل ثقافة لها طابعها الخاص، فينبغي حسب رأيه البحث في خصوصية كل ثقافة ليس في التطورات الثقافية، وحسبه ينبغي تجنب الاختزال الإحيائي والتوازي الثقافي ومعايير التقدم الكونية، كما يجب تجنب كل شكل من أشكال الحتمية الثقافية والإفراط في قيمة المقارنات التعميمية، وبفضل هذه التأملات في نسبة الثقافية قد صارت تُفهم في إطارها الثقافية، باعتبارها جملة منغلقة وذلك لتماهيها الذاتي أو اكتفائها بذاتها من أشكال الحياة الخاصة وغير القابلة للاستبدال¹.

لا يمكن الاهتمام بالثقافة وظواهره في فرنسا من دون الرجوع إلى "روحي باستيد" (1898م-1974م) الباحث في الدراسات الأفرو-أمريكية الذي يجمع في تكوينه بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، وهو ينطلق من فكرة عدم الفصل بين الاجتماعي والثقافي، فهذا الأخير لا يمكن دراسته بمعزل عن الاجتماعي، وهو الذي حدّد قصور الثقافة الأمريكية، وهو عدم وصل العلاقة بين الثقافي والاجتماعي².

اقترح "باستيد" مصطلح تداخل الثقافات Interpénétration أو تقاطعها Entrecroissement بدلا من مصطلح الثقافة، وقد استند في ذلك إلى ثلاثة معايير أساسية: أولها سياسي، والثاني ثقافي، والثالث اجتماعي، فالأول تنتج عنه:

➤ وضعيّة ثقاف عفوي حرّ.

➤ وضعيّة ثقاف منظم لكنّه قسريّ (مثل الاستعمار).

➤ وضعيّة الثقافة المخطّط له (نظام استعماريّ جديد).

أما المعيار الثاني يتمثل في تجانس أو عدم تجانس الثقافات.

في حين المعيار الثالث يتمثل في الانفتاح أو الانغلاق النسبي للمجتمعات المتماسكة³.

ظهر في أربعينيات وخمسينيات القرن الماضي عدد من الأنثروبولوجيين الأمريكيين الذين حاولوا تقديم منظور محدّد لموضوع دراسة تطوّر المجتمعات، وتغيّر الثقافة الإنسانية من بينهم "ليزلي وايت" و"جوليان بستوارد" و"جوردن تشايلد" الإنجليزي حيث يعدّ وايت من رواد هذا الاتجاه التطوري المحدث، متأثرا "بلويس مرغان" ودعى إلى عدم استخدام النظم الأوربية لقياس التطوّر، وضرورة محكات أخرى يمكن قياسها وتقليل الأحكام التقديرية، حيث أكّد في كتابه "علم الثقافة" "Cultuology" 1949م "أنّه لا يجب أن تقتصر التطورية على تعيين مراحل معينة لتسلسل النمو الثقافي ولكن لا بدّ من إبراز العوامل التي تحدّد هذا

¹ فولف، كرسنوف (2009)، علم الأناسة التاريخ والثقافة والفلسفة، أبي يعرب، المرزوقي(نقله)، أبو ظبي، الدار المتوسطة، كلمة النشر، ط1، ص. 127، 128.

² حسن، فهيم، مرجع سابق، ص. 157.

³ كوش، دنيس، مرجع سابق، ص. 100.

التطور حيث حسبه يمثل عامل الطاقة المحكّ الرئيسيّ لتقدّم الشعوب، حيث أنّ الشعوب تتطور عندما تزداد كميّة الطّاقة التي تستخدمها"¹.

في حديثنا عن التطور كان للمدرسة التطورية والإيكولوجيا الثقافية إسهام في فكرة تطور الثقافات، فعّد "لوي" أوّل من استخدم مصطلح التطور متعدّد الخطوط، حيث أنّه حمل لوي أنّ فكرة التطور قد تكون قد بدأت على امتداد طرق مختلفة، وقد جاء ذلك في كتاب المجتمع البدائي 1920م، والذي كان كنفذ لاذع على كتاب "مورجان" "المجتمع العتيق"². دخلت الأنثروبولوجيا في ستينيات القرن العشرين من خلال المتخصص في الدراسات الأفريقية "جورج بلاندي" وطلبتة. في حين رفضت "ليزلي وايت" (1900م-1975م) فكرة النسبية الثقافية، أي أنّ ترتب على ميزان تطوري، ولكنه كان مهتما باكتشاف القوانين العامّة للتطور الثقافي، ومثل "مالينوفيسكي" حمل وجهة نظر وظيفية للثقافة، إلا أنّه رأى أنّ وظيفة الثقافة أن تؤمّن بقاء الجماعة لا أن تؤمّن حاجة الفرد للإشباع، وهذا ما جعل مشروعه ذو تقاطعات مع "رادكليف براون"، إلا أنّ وايت لم يعتقد بالعقيدة الدوركهايمية من أنّ المجتمعات مستقلة في اكتفائها الذاتي، إلا أنّ المجتمعات عند وايت كانت موجودة بشدّة مع محيطها الأيكولوجي ليميّز بين الجوانب التكنولوجية والاجتماعية والأيدولوجية ليضيف فيما بعد الجوانب العاطفية³.

رغم نظرية "وايت" المتواضعة والتي عبّر عنها بأصالة كما في كتابه "علم الثقافة 1949م"، إذ عرف مستوى التنمية الثقافية كما لو أنّها مقدار من الطّاقة المجهّزة من قبل كل مقيم، مقاسة من خلال الإنتاج والاستهلاك"، سادت هذه النظرة في العلماء الأمريكيان الجدد، أمثال ذلك من طلابه "مارشال ساهلينس" من أعلامها البارزين في أمريكا أواخر القرن 20، وأصبحت الأنثروبولوجيا علما دقيقا للتطور الثقافي، ونتائج اجتماعية ثقافية للتكنولوجيا⁴. وفي إطار هذا الاتجاه والدراسات الأخرى التي عالجت عناصر البيئة المختلفة وتأثيرها على الثقافة والتصور، اتضح أنّ الاختلافات البيئية قد ينتج عنها اختلافات في التطور الثقافي، والذي يجعل إمكانية تطور الثقافة في عدة خطوط على حد تعبير "جوليان ستيوارد" بدلا من مسارها في خط واحد كما ذكر التطوريين الأوائل، وهذا ما مهد إلى نشوء فرع جديد تحت مسمى الإيكولوجيا الثقافية، حيث يذكر "هاريس مارفين" M.Harris أنّ الأيكولوجيين الثقافيين يفسرون التباين بين الثقافات المختلفة

¹ كوش، دنيس، المرجع السابق، ص. 105، 106.

² إيركسون، توماس هايلاند ونيلسون، فين سيفرت، مرجع سابق، ص. 120، 121.

³ إيركسون، توماس هايلاند ونيلسون، فين سيفرت، المرجع السابق، ص. 122.

⁴ إيركسون، توماس هايلاند ونيلسون، فين سيفرت، المرجع السابق، ص. 122.

للشعوب في إطار التنوع الثقافي، كما يهتمون بالكشف عن كيفية تأثير الثقافة على عمليات التكيف عند الأفراد وبيئتهم¹.

هو الآخر سيتوارد وفي معارضته للتطور الخطّي عند يواز وأنصاره ومثل وايت صقل مقارنته النظرية خلال ثلاثينيات والأربعينيات من خلال مجلّده ذي سبعة أجزاء "الدليل لهنود أمريكا الجنوبيّة". رأى "ستيوارد" أنّ المفتاح للتعميم يكمن في دراسة الظروف التكنولوجية والأيكولوجيّة، وعليه فقد أسهم "ستيوارد" ثلاثاً:

أولاً: أوجد "ستيوارد" الإيكولوجيا الثقافية الحديثة حيث اعتبر المجتمع ومحيطه البيولوجي على وجه العموم بنفس الطريقة التي يعتبر فيها عالم الإيكولوجيا النّسق الأيكولوجي؛ أي أنّ المجتمع على درجة كبيرة من الأهميّة، وكان لمفهومه الجوهر "التكيف" أهمية في بعث المؤسّسات التي تصعد من بقاء الثقافة في نسق بيئيّ.

ثانياً: طوّر "ستيوارد" نظرية التطور المتعدد الخطوط استناداً إلى الدليل الآثاري والتاريخي والإثنوغرافي، ورأى أنّ الجوهر الثقافي يمكن أن يتطور على امتداد نفس الخطوط في مختلف المجتمعات في ظل ظروف معينة كالزراعة، سقي في المناطق الجرداء.

ثالثاً: كان "ستيوارد" إلى جانب "رادفيلد" (ممن كانت توجهاتهما غير المادية) رائداً مهماً في دراسات الفلاحين هم أكبر الشرائح السكانية في العالم، فالأنثروبولوجيا قد اتجهت في دراساتهما ما قبل الحرب إلى ذلك الغريب غالباً على حساب النموذجي، وعليه قد بلغ بحث الفلاحين عند "ستيوارد" مستوى عالٍ وذلك خلال المشروع الكبير المدى البورتوريكي أواخر الأربعينيات².

إذن لا تقتصر البيئة لدى الأيكولوجيين الثقافيين على المحيط الفيزيقي المادي فقط وإنما تشمل عناصر حية أخرى، والتي تترابط جميعها في نسق واحد متكامل أطلقوا عليه مصطلح النسق الأيكولوجي Eco-system والذي أصبح مجالاً مركزاً لدراساتهم، حيث يعطي الأيكولوجيين الثقافيين أهمية خاصة لمناهج تصميم البحوث ووسائل جمع المادة، والاستعانة بمفاهيم ومناهج علوم ذات صلة كالأحياء والتغذية والطب والسكان والعلوم الزراعية، وذلك بقصد تشكيل تصور عن أنماط التفاعل بين البيئة والكائنات الحية³.

¹ حسن، فهيم، مرجع سابق، ص 158.

² إيركسون، توماس هايلاند ونيلسون، فين سيفرت، مرجع سابق، ص. 123، 124.

³ حسن، فهيم، مرجع سابق، ص. 158.

قد اهتم الأيكولوجيون الثقافيون بالتغير الثقافي، والتي كان عليها في الستينيات القرن الماضي أن تبرهن أنها مصدر متنوع للإلهام فيما بين علماء الأنثروبولوجيا، بنى "جريجوري بيتسون" على أفكار ونماذج تم استقاؤها من الإيكولوجيا الثقافية، كما نشر "كليفورد جيرتر" كتاب الالتفاف الزراعي عام 1963م، وكذا مارشال ساهلينس نحو الأنثروبولوجيا الرمزية متأثرين بـ "ستيوارد"، وقد كان مارفن هاريس أكثر انسجاما ممن أعقبوا "ستيوارد ووايت"، حيث طور فرع المادية الثقافية¹.

اهتمّ كم من "ليش" و"فيرث" و"إيفانز بريتشارد" و"فورد دارل" و"كلوكمان" و"سشايرا" بدراسة التغيّر الاجتماعيّ وبخاصّة "ليش" و"بريتشارد إيفانز" كانا أكثر اهتماما بتغيّر طبيعة الأنثروبولوجيا الاجتماعيّة البريطانيّة في خمسينيّات وستينيّات القرن 20، حدثت تحولات رئيسيّة في الأنثروبولوجيا البريطانيّة، ومن أهمّها التغيّر في التركيز من البناء إلى المعنى، كما أنّ البحوث التي تمّ القيام بها في معهد رودس ليفنغستون وبعدها في مانشيستر، ركّزت على التّحضّر في جنوب إفريقيا، حيث كانت رائدة بمنهجيتها وموضوع اهتمامها. كان "كلوكمان" من أتباع "رادكليف براون" فقد كانت هناك توتّرات داخل الوظيفة البنائيّة، كما أشار "مالينوفسكي وفرث" وآخرين أمريكيّين أنّ ضعفها يمكن في فرضيتها الواضحة من أنّ المجتمعات تميل إلى إعادة إنتاج نفسها مما أدى إلى صعوبات لدراسة التغير². وفي خضم التغير المتسارع أصبح الاهتمام بالبحث عن كيفية الحفاظ على الأشكال التقليدية الاجتماعية كالقراية، بحيث كانت دراسة "بيترو ورسلي" الشهيرة "سيصحح البوق" (1957م - 1968م) والتي قامت على ربط عناصر من الثقافة التقليدية المشتة عناصر من الحداثة³.

كانت إفريقيا وغالبا جنوب إفريقيا هي القاعدة الإثنوغرافية لغالبية الدراسات، حيث ارتبطت البحوث الحقلية بالتغير الاجتماعي، إذ تم التحقق من الحياة القبلية وتحولها بسبب الهجرة، والعمل لقاء أجر، حيث قامت دراسة الحياة القبلية في الوضعيتين، كما درسوا العلاقات العنصرية في المناجم، وكذلك تدخلوا في الدراسات التطبيقية التي كانت غير معروفة ويسخر منها في بعض الأحيان ليخلص أنثروبولوجيو مانشيستر أنّ التغير لم يكن موضوعا بسيطا للدراسة⁴. بادر "كودفري ولسون" إلى تقديم مقاربة أخرى لقضية التغير الاجتماعي، حيث ناقش في كتابه الموسوم: "مقالة عن اقتصاديات تفكيك القبيلة في روديسيا

¹ إيركسون، توماس هايلاند ونيلسون، فين سيفرت، مرجع سابق، ص. 125.

² إيركسون، توماس هايلاند ونيلسون، فين سيفرت، المرجع سابق، ص. 129، 130.

³ إيركسون، توماس هايلاند ونيلسون، فين سيفرت، المرجع السابق، ص. 131.

⁴ إيركسون، توماس هايلاند ونيلسون، فين سيفرت، المرجع السابق، ص. 131، 132.

الشمالية" (1941-1942) قضية التثاقف، إذ تنبأ ولسون أن الاستعمار سيؤدي حتما إلى التغير الثقافي في الساحق وتفكيك القبليّة، والتي قد أوضحها فيما بعد "فليب ماير".¹

إذا تحول شيئا فشيئا البحث من دراسة البنى القائمة وظواهر التغير الحاصل في المجتمعات التقليدية، خلال الخمسينيات والستينيات من القرن 20 إلى دراسة المعنى والبحث في مدلولات الظواهر، فقد تحول الموضوع مع نظريات المعنى الرمزي واختفت التنمية في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، وبقي مقتصرًا على فرنسا، فأصبح الاهتمام بمعنى الرموز يطرح مواضيع دقيقة كالطقوس وعلاقتها بالتمسك الاجتماعي، وذلك مع "جرتر كليفور، وتيرنر فيكتور" وغيرهما، مما أعطى توجهًا جديدًا في تلك الفترة.

تحول الاهتمام لدى الأنثروبولوجيون من عمليّات التثاقف إلى ما يسمّى بالتنمية القوميّة الشاملة لأجل دراسة التغيّرات الاقتصادية والاجتماعية المصاحبة للتكنولوجيا وتأثيراتها، وذلك مع سقوط الاستعمار العسكري، فتحوّل إذن من فهم ظواهر التثاقف إلى دراسة التغير المخطط أو الموجّه *planned change* و*ordirected* والتي أحدثت هذه الدراسات طفرة واضحة في مجال الأنثروبولوجيا التطبيقية، ومن أهم روادها الأمريكي "جورج فوستر" George Foster الذي قدّم في كتابه الثقافة التقليدية والتغير التكنولوجي 1963م، تحليلًا للعوامل التي تساعد والأخرى التي تحيط بقبول التغير، حيث ناقش هذه العوامل من مضمون اقتصادي ثقافي، كما أوضح أنّ ما قد يبدو مفيدًا في المجتمعات الغربية لا يكون كذلك في المجتمعات التقليدية حسبه.²

كثيرون هم من حقل الأنثروبولوجيا وحتى من حقول علمية أخرى تناولوا مفهوم التغير برؤى وقناعات مختلفة، وقد أسهموا بإثبات اجتماعي كبير و متميّز في معالجة هذه القضايا المتعلقة بالطبيعة الإنسانية.

1- السياحة كعامل للتغير الاجتماعي:

إذا اعتبرنا السياحة كمتغير من المتغيرات في الدراسات الأنثروبولوجية للتغير الاجتماعي في المجتمعات المستقبلية فإننا نتساءل عن كيفية إعداد تحليل بهذا الشأن؟ تُعدّ الدراسات المفصلة المصحوبة بأبحاث قصيرة ونظرية منذ التسعينات والتي قد ساهمت في وضع الحدود النظرية، حيث تميّزت هذه الدراسات بعامل مشترك تمثل في اعتبار السياحة صنف أو متغيرة بسيطة في الفئات التحليلية التي كانت موجودة سابقًا، حيث أنّ التحاليل التي نُسبت إلى Marx "كارل ماركس" لم تعترف بالنشاط المادي في السياحة، بل

¹ إيركسون، توماس هايلاند ونيلسون، فين سيفرت، المرجع السابق، ص. 134.

² حسن، فهيم، مرجع سابق، ص. 160.

اعترفت بها كتنوع بدون أصالة للتوسع الرأسمالي والنيوكلنيالي¹.

ينظر للسياحة باعتبارها أحد الطرق التي تؤدي إلى التنمية والتحديث انطلاقاً من الموارد التي تحوز عليها الدولة، فلكي تحافظ الدول حديثة النشأة أو الثقافات التقليدية على بقاء ودوام هويتها الثقافية أو تكاملها الثقافي، فإنها تجد نفسها أمام اقتصاد عالمي تنافسي يشجع ويبتكر أفضل قوى التغيير الفعالة في العالم المعاصر (تقليص القوى العسكرية أو السياسية)، وهذه المبادرة قد تدخل متغيراً جديداً إلى المعادلات التقليدية لعملية التثقيف.

فكل دولة تضع الإطار والقواعد المنظمة لممارسة النشاطات السياحية، وقد تمنع بعض من الممارسة للنشاطات السياسية حتى في بعض الدول الحرة².

فمن جهة الحكومات يمكن أن تجد فائدة سياسية واقتصادية من خلال جلبها لسواح وطنيين مشتتين عبر العالم، إما بتسويق مستهدف أو بسفريات منظمة مستفيدة من دعم رسمي³. لكن للتبعية دور في تغيير القيم الاجتماعية والثقافية، حيث يدافع "إريسمان" على أن إذا تقرّر التوجه الاجتماعي من المركز (الدول الاستعمارية) فإن التبعية تكون قائمة، لأن المحفز الرئيسي للتطوير الثقافي يعدّ خارجي غير أنّ السياحة ليست هي الحقل الاقتصادي الوحيد الذي توجد فيه التبعية، ولكن ما يحدث في السياحة مع اتصالات ثقافية وقيمة مختلفة قد يجعل التغيير القيمي في القطاع السياحي أكبر من غيره من القطاعات الصناعية الأخرى⁴.

غير أنّه يمكن أن نلاحظ بعض المحاولات لقراءة حالات الانتشار السياحي، وذلك من زاوية إعادة إنتاج الطبقات الاجتماعية، بحيث حاول العديد من الكتاب قراءة الانغلاق الاجتماعي والاقتصادي الناتج عن وجود السياحة بدون الاهتمام بتحليل الطبقات، حيث لاحظ "Keyer" وآخرون 1980م أنّ المجتمعات المستقبلية تنقسم على الصعيد الاجتماعي لتلبية الطلب السياحي، وأن المزايا الاقتصادية تسقط في يد الوسطاء، وأن التبادلات هي غير متساوية اقتصادياً فيما بين المجتمعات المحلية والسواح⁵.

إنّ الدور الذي يمكن أن تُحدثه السياحة في تغيير القيم الاجتماعية والفردية كامن في أفكار السلعية، التي تتضمن أنّ ما كان يُعرف بالمظاهر الثقافية للإنسان أو التقاليد الحية، أو السياق الثقافي للأصالة الحية

¹ Michaud, J., op, cit, p.24.

² هول، كولن مايكل (2003)، *السياحة والسياسة مدخل إلى التنمية السياحية الرشيدة*، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، ص. 221، 222.

³ Leite, N., & Graburn, N., op, cit, p.22.

⁴ هول، كولن مايكل، مرجع سابق، ص. 223.

⁵ Leite, N., & Graburn, N., op, cit, p.25.

هو الآن عبارة عن منتج ثقافي يلبي متطلبات السياحة التجاريّة، بالفعل قد تغيّر الحديث عن تلك الفنون والآداب كونها تعابير تصوّريّة وإبداعية، وأصبحنا نتحدث عنها كمنتج، فلم نعد نتحرك بالخبرات والتّجارب التي تقدّمها الفنون والآداب إنّما نستهلكها فتحوّلت الثقافة وأصبحت سلعة، فطبقاً "لداوسون" فإنّه "قد ينظر إلى الأحياء العرقية ومتعددة الثقافات، باعتبارها منتجات ثقافية والتي يمكن أن تستغل لغايات سياحية، فأصبحت الثقافات العرقية والتعددية الثقافية نفسها قابلة للبيع باستخدام الأساليب التجارية الاحترافية، فمن خلال الحملات الإعلامية التسويقية يمكن أن تروّج لنفسها على أنّها صفقات تجاريّة¹.

إنّ التغيّر القيمي المرتبط بالسياحة لا يحدث بمجرد تحويل النشاطات الاجتماعية إلى منتجات، ففي دراسة مقارنة قام بها "فنت وأوبر جرجل" لثلاث قرى في الألب في النّمسا: "هيجلي وبريجلو وتافرتشوفر" عام (1985م) ذكر أن التغيرات في التوجهات القيمية لكل قرية كانت تسير جنباً إلى جنب مع التغيرات البنيوية المرتبطة بالسياحة ليعلق "بابسون" على ذلك بقوله: "السياحة تعتمد على التصورات المحددة سلفاً عن المكان والنّاس، هذه التصورات أو التحديدات يخلقها جهاز التسويق في الحكومة أو في القطاع الخاصّ من أجل إغراء السائح لزيارة منطقة معيّنة، إنّ المؤسسة الحكومية أو الخاصّة لا تعيد تحديد الواقع الاجتماعي فحسب، بل وتعيد خلق هذا التّحديد ليتلاءم مع تلك التعريفات، وهذه العملية عملية تفاعلية وجدلية في آن واحد، ويقدر ما تأخذ هذه العملية مكانها، تبطل مقولة الحياة اليوميّة"².

إذن السياحة تعيد تعريف الحقائق الاجتماعية، وينشئ الإعلان الصّور الخاصة بالمكان، والتي هي بدورها تنشئ التوقّعات من جانب الزائر، وهذه قد تدفع المكان إلى التلاؤم مع هذه التوقّعات، وهكذا قد تصبح المقاصد السياحية مكبّلة بنظرة السائح، ولا تستطيع المقاصد أن تهرب بسهولة إلا إذا كانت هذه المقاصد ترغب في هجر مكانها كمقصد، غير أنّ سياسات الجذب السّياحي لإطالة مدّة السّياح وزيادة أنفاقهم تعمل هي أيضاً بإعادة تعريف الحقائق الاجتماعيّة، ويصبح الواقع الاجتماعيّ الثّقافيّ الذي ينبثق من الحياة اليومية استهلاكياً لحدّ أبعد، فالتسويق السّياحي، والطرق السياحية، والمناطق السياحية تغيّر المكان، وتعمل الأحداث والفعاليات ونظم التاريخ التي تجهز في قوالب سياحية التي توضع من أجل السائح تعمل على تغيير ثقافة المجتمعات وحياتها التاريخية، وبالتالي يتغيّر المكان ذاته³.

¹ هول، كولن مايكل، مرجع سابق، ص. 223، 224.

² هول، كولن مايكل، المرجع سابق، ص. 224، 225.

³ هول، كولن مايكل، المرجع سابق، ص. 225.

2- الحمام قرقور والسياسة و حتمية التغيير

كما للأصالة مكانة بارزة عند السياح فإن التغيير مفروض وحتمية لا مفر منها كون أن لا حال يدوم على حاله والحمام كما تتبعنا تاريخه فإنه رغم صموده كمعلم بارز في حي القرقور فأن بذور التغيير اجتاحتها ولسوف تطاله لا محالة وقد تكون سببا في حفظه وضمان ديمومته.

والتراث الطبيعي والثقافي كما نعلم أنه لا بد من حمايته ورعايته وأحيانا نسخر من السياسات ما يمكنه من البقاء والاستمرار رغم قوة الاستهلاك الإنساني لهذا التراث وحمام قرقور هو واحد من هذه التراثيات الصامدة أمام كل الظروف البيئية والاجتماعية والثقافية وحتى السياسية من المفروض توفير العناية والصيانة والترميم له، لكن وحسب أهالي القرقور فإن حمام قرقور هو في تدهور مستمر بالرغم من المداخيل والأرباح السنوية التي تجنى منه إلا أنه يتم استنزافه بلا مقابل فإلا متى يبقى الحمام على هذا الحال كما أن أهالي القرقور يشيدون بضرورة عمل دراسات جادة من أجل تطويره والرقى به وخاصة دراسات خاصة بالمياه الحموية والتي المنطقة تعد غنية بها فقد أجمع أهالي المنطقة على أنه توجد 11 منبع حموي إضافة إلى بعض المنابع المعدنية التي تتعدد أغراضها العلاجية والتي أكدتها التجربة الإنسانية على مر الزمن فقد تركت وأهملت حتى غارت وتلاشت وفقدت المنطقة أحد الجوانب الثقافية وممارساتها. وفي هذا الشأن قد صرح بعض المبحوثين من أهالي المنطقة بما يلي:

حيث أكد المخبر "01" حول نوعية المياه وطابع الدراسات التي أنجزت حول مياه حمام قرقور، كما أكد على أن:

" الإهمال والضياع الذي يعاني منه الحمام يعد خسارة بالنسبة لقطاع السياحة الحموية وأن هناك مصادر معدنية حارة وباردة بالمنطقة قد اختفت حيث أن في عهد الاستعمار قدرت ب11 مصدر إلا أنها اختفت كلها كما يؤد على أنه لم تنجز دراسات في هذا المجال يعد الاستعمار وهو يشيد بطابع الدراسات المتخصصة وأيضا يشير إلى أن أهل الاختصاص لا بد أن يعملوا بالتجربة الألمانية، وذوي الخبرة في هذا الميدان." (مقابلة 1)

أن الحمام قرقور هو مرفق عمومي مهم يساهم في تنشيط العملية السياحية حيث أن البلدية تسير الحمام التقليدي وذلك من خلال استئجاره للخواص بالمليارات إذ يقدر ب05مليار دينار جزائري للعام، وبالتالي الحالات تقرر أن الحمام يدر على المنطقة اقتصاديا أيضا أن المركب السياحي الذي تسيره وزارة السياحة، يعرف حركة مستمرة على مدار السنة، إن توافد الزوار على حمام قرقور من داخل المنطقة وخارجها وحتى خارج الوطن قد يساهم في عملية تنشيط السياحة، وخاصة أن المنطقة غنية بكنوزها السياحية، سياحة الوديان، والسياحة الجبلية وكذا السياحة الدينية إضافة إلى السياحة الحموية العلاجية

هذا كله يتواجد في منطقة واحدة ليس بالأمر الهين وهو مكسب معتبر ومحفز جيد لتنشيط السياحة المحلية بالمنطقة، وقد أكد المبحوثين من أهالي القرقور على أن الموقع الطبيعي الذي يتميز به الحمام قرقور هو السر وراء إنعاش الحركة السياحية، وقد أكدوا على أن إذا ما تمت العناية اللازمة به قد يكون أهم رافدة في الوطن في مجال السياحة هذا بالإضافة إلى القيمة العلاجية التي لا تضاهيها قيمة .

كما يؤكد أهالي المنطقة أن الحمام قد تأثر بفعل الإستغلالات العشوائية، وأن عمليات التجديد لم تطله، رغم ما يوفر من مداخل سنويا، وذلك ترى الحالات المدروسة وجوب التدخل الفوري لتسريع عملية الترميم والتعديل والتخطيط، لأجل استغلال المياه الحموية بشكل صحيح، وأيضا لأجل مضاعفة نسبة الجلب السياحي، خاصة أن الوسائل التكنولوجية اليوم هي رائدة إذا ما تم تسخيرها في عمليات التسويق السياحي .

كما تتفق أغلب الحالات المدروسة على فكرة إدخال تعديلات عصرية يرونها ضرورية على الحمام وجوانبه الأمر الذي سوف يزيد من قيمته السياحية، إلا أن بعضهم آخر يؤكد وجوب الحفاظ على الطابع التقليدي للحمام كونه يحمل هوية ثقافية محلية قد تتسبب العصرنة في بعض زواياها في طمس هذا التراث الثقافي تأمل جل الحالات المدروسة في تحسين ظروف الحمام قرقور والمنطقة ككل، لأنها منطقة سياحية بامتياز وتحمل الكثير من المؤشرات الإيجابية التي قد تدعم السياحة المحلية، وهم يرون أن صيته تعدى حدود الوطن من الناحية الاستشفائية، كذلك هي المؤهلات الطبيعية إذ صرح أغلب المبحوثين الحمام المعدني قرقور له صيت تعدى السمعة الوطنية والعربية منها إلى العالمية، حيث أن إجراءنا للمحادثات مع حالات الدراسة تبين أنهم يدركون قيمة الحمام السياحية كونه رافد من روافد السياحة الحموية، فأغلب إجاباتهم كانت تتخلص في كون الحمام مصنف الثالث عالميا، والأول عربيا وإفريقيا وذلك من ناحية النشاط الإشعاعي لمياه الحمام وبالتالي هو قبلة يقصده الكثيرون الباحثين على الصحة والعلاج والاستحمام، مما أضفى بالحمام معلم يتميز به حي قرقور والمنطقة ككل والتي تعرف بحمامها المعدني الذي يعود إلى عهود قديمة شكل ولازال معلم بالمنطقة تراثيا ورمزا ثقافيا هاما بالمنطقة يملك من الأصالة ما يميزه وزيد من جاذبيته السياحية، حيث جاء على حد قول بعض المبحوثين من أهالي المنطقة :

" الحمام راهوا مكلاسي تروازيام أوموند (مصنف الثالث عالميا، مبقاش هو معلم كبير في الوطن من الناحية العلاجية " (مقابلة 2)

"الحمام قرقور هذا جاء ليه الإمام محمد الغزالي زمان وتحمم فيه لما جاء يروح قلولوا ياشيخ أدعينا، قلهم كيف ندعيلكم وأنتم ربي حباكم بهذه النعمة، كأنها بيت الكعبة والجبال محصناها من كل جهة، والماء قرقاق، والناس تأتي من كل فوج " (مقابلة 3)

ويضيف بقوله:

"الحمام تغير كثير من كان قليل راضي بالحوايح البسيطة لكن العبد زاد والتغير والتحسن مكانش، من رايج يتهور الحال، فما يخص السياحة، المنطقة هذه سياحية، بزاف يمكن مناظر هنا متوجدهاش في العالم، لكن واحد ما نظر لها من هذه الزاوية، خاصة أنا بحاجة للسياحة وتفعيلها، أنا نقول أن القرارات السياسية أثرت على مردودية الحمام من ناحية استغلاله سياحيا، وهو في تدهور مستمر مكانش عناية لهذه الحمامات بالخصوص حمام قرقور ألي راهوا مصنف الثالث عالميا، والأول عربيا وإفريقيا من جانب المياه الإشعاعية ألي عندها فائدة كبيرة في الشفاء من الأمراض منها المفاصل، الأمراض الجلدية، أمراض النساء، أمراض العيون وغيرها، حتى الي ميضنيش (العقم)" (مقابلة 3)

"الحمام التقليدي حاجة مليحة، الماء تاعوا راه مكلاسي البرومي إفريقيا والتروازيام في لومند" (مقابلة 4)

كم صرح بعض الإطارات والعمال بحمام قرقور:

"الحمام قرقور له سمعة عالمية، يقصدوه الجالية ولي زيترونجي (الأجانب) من كل أنحاء العالم، وثاني المنطقة والمناظر الخلابة فيها حتى السياحة الجبلية، المنطقة تزخر بالجبال كبيرة وفيها غابات كبيرة، وتقاليد الناس مختالفة، راح تكون سياحة جبلية في المستقبل إنشاء الله آفاق كبيرة، راح تكون سياحة لي سكي، له سمعة عالمية مياهه، الجالية، ولي زيترونجي ولكن قليل الحقة التي عقبناه في العشرية السوداء هذه كانت عندها آثار كبيرة على السياح الأجانب، السياح الأجانب جينرالموا وين متكونش حراسة وأمن ما يجيش ويقدر يتوغل، إنشاء الله مع المستقبل القريب راح يكون الأمن أكثر مع الدولة هذه المرة نظرت نظرة بالتشبت للسياحة الحمومية منظار إقتصادي، الإقتصاد لازم يقوم على أمور دائمة على الفلاحة والسياحة، نروحوا نشوفوا جيرانا تونس والمغرب معتمدين على الفلاحة والسياحة سبقونا كثير حنا، السياحة الحمومية طابع من طبوع السياحة الجزائرية الغنية من كل أنواع السياحة وتكون الهمة والعزيمة تكون وثبة في المستقبل إنشاء الله منبقاوش معتمدين على البترول. من على 05 إلى 10 سنوات على أكثر تقدير تكون في المستوى"

يقول طبيب بالمركب:

"...مع الحمام إلي كلاسي تروازيام أومند، سيتادير هنا أون الجيري (أي هنا في الجزائر) براسك لاستاسيو ترمال تاع الحمام قرقور هذه سي لامييور (أي في الجزائر تعد المحطة الحمومية بحمام قرقور من أفضلها مقارنة بالمحطات الحمومية الأخرى) برابور لي زوتر ستاسيو تارمال"

وتضيف حالة أخرى عاملة بالمركب :

"يقولوا كارل ماركس جاء إلى هنا وتحمم فيه، هنا تعرفي المنفعة وصيت الحمام عالمي لأنه يدرك بالقيمة العلاجية "

وفي هذا الصدد قد تم وضع استراتيجية من طرف وزارة السياحة لدعم المحطات الحموية وإعادة تهيئتها وبذلك حضي حمام قرقور في الأونة الأخيرة بمشروع إعادة التهيئة وفي هذا الصدد صرح أحد إطارات بالمركب وذلك في مقابلة معه سألنا ما هي الإصلاحات المنجزة ومشروع التنمية الذي باشرتهم فيه منذ سنين، أين وصل؟ وكانت الإجابة كما يلي:

"قد أتبعنا خطة عمل خاصة، فإنه حتى لا يتم غلق المحطات بشكل نهائي، فإنه تم تقسيم المشروع إلى جزأين: (1.2).

الأول تمثل في:

_ إعادة تهيئة 4 فيلات، و38 بناغالوهات من نوع (F1, F2, F3) من جميع هياكل الدولة.

_ إعادة تهيئة 4 فيلات أيضا من جميع هياكل الدولة نوع (F3, F5).

مع إدراج 2 فيلا جديدة بها مسبح (عالي الرفاهية)، خاص بفئات خاصة.

الحمام الجديد

إنشاء حمام جديد حيث أدرج به جناح خاص بالنساء، تمثل في 16 حمام فردي + مسبح جماعي. أما جناح الرجال فتمثل أيضا في 16 حماما فرديا + مسبح جماعي، وذلك في كل جناح. إنشاء كافيتيريا سميت "أخام"، هي تسمية محلية تقليدية وتعني البيت، حيث كانت قد أقرحت من مكتب الدراسات، وذلك بعد الاطلاع على تقاليد المنطقة، والذي قام هذا المكتب بإنجاز برنامج إعادة التهيئة بالمحطة.

لكن تلقينا مشاكل تقنية، تم إقصاء هذا المكتب سبوت SAPKOT التونسي، وإدراج مكتب الدراسات الجزائري لإكمال المشروع على أكمل وجه، وكان السبب هو نقص معلومات هامة على مستوى المخططات، الأمر الذي أدى إلى تأخر تسليم المشروع، هناك تفاصيل في المخططات تعد جوهرية وهو سبب التأخر.

أما الجزء الثاني فقد تمثل في:

_ إعادة تهيئة الفندق القديم ساري الاستخدام، وإدراج فندق (إضافة فندق) مع إدراج عدة هياكل

_ فندق متكوّن من 40 غرفة مع مسبح عالي الجودة مع كامل التجهيزات (مسبح، قاعة رياضة، كفيثيريا).

_ إدراج مرافق خيرية أخرى منها:

_ ملعب "كرة القدم".

_ ملعب "كرة التنس".

_ فضاء لعب الأطفال.

_ فضاء خاصّ للمشي والاستحمام.

_ إدراج مسكن وظيفي لمدير المحطة.

_ إعادة تهيئة المدخل الرئيسي للمركز لضمان أمن وسلامة السياح.

مع إمكانية إنجاز عدّة مرافق أخرى نظراً لشساعة مساحته.

كم قد أجرينا مقابلة مع مدير المركب السياحي لحمام قرقور جاء فيها:

"نحن نعمل على تحسين أوضاع المركب بداية من تنشيط المشاريع المبرمجة ملعب *Les bungalows* الحمام الجديد وغيرها ويومياً مع توجيهات مع عمال ورؤساء المصلح ونحن نقوم بالعمل الميداني طيلة الأسبوع وللأسف وجدنا وضعية الحمام القانونية غارقة في الديون المترتبة عليه في السابق والان وبفضل هذا الجهد المتواضع تعمل كل اعضاء المركب وعماله على الرقي بالمركب إلى أفضل حال. المراقبة الضرورية لا نجد تفسير لبعض الأمور والتجاوزات عند إجراء عمليات الجرد".

ثالثاً: السياحة والحمام ومظاهر التغيّر

1- السياحة، المكان، الناس، الحركة والأشياء

إنتاج المكان وجعله سلعة ذا وجهة سياحية هو أحد المواضيع المألوفة في البحث المعاصر للعلوم الاجتماعية، حيث تناول الأنثروبولوجيون المواقع من حيث التصوير والتفسير والمعنى، تصوير الاتجاهات السياحية، الذي ينتقل من خلال كتيبات سياحية وبطاقات بريدية، ومواقع أنترنت وأفلام وأساطير، وروايات وحكايات حول المكان ما يقوي تطلعات السياح، الأمر الذي يجعل هذه الأساطير والروايات تدخل في صدى مع الروايات الثقافية لتنتج إطاراً مفاهيمياً تعمل فيه السياحة.¹

لقد جذبت السياحة انتباه علماء الأنثروبولوجيا لأنّها غالباً ما تتضمن لقاءات وجهها لوجه لأشخاص من خلفيات ثقافية مختلفة، وهي كثيرة المظاهر التي تجسد حركة الناس عبر الحدود الثقافية إذ عندما يجتمع السياح والسكان المحليين معاً، فإنّه تتاح لكليهما فرصة معرفة الآخر ليس فقط كيف يعيش الآخرون

¹ Leite, N., & Graburn, N., op, cit, p.15.

ولكن أيضا للتفكير في حياتهم الخاصة من خلال عيون الآخرين ونتيجة ذلك، فغالبًا ما تشير هذه التفاعلات بين الثقافات إلى ما يسمى "العروض الحية" وهي من بعض أوسع القضايا النظرية في الأنثروبولوجيا.¹

فباعتبار السياحة ميدان اجتماعي مكون من عدة تفاعلات فإنها تشمل على أكثر من النظام الثنائي القاعدي مضيف/ضيف، ففي منطقة الاتصال السياحي بإمكان الفاعلين أن يتشكلوا في عدة جماعات من السياح القادمين من عدد كبير من الأمم ومن يقودهم في السفر ليس بالضرورة من المحليين ولا من نفس أصل السواح العرقي، ومن أجزاء القطاع السياحي المحلي، والمتاجر والخدمات والبائعين في الشوارع وممثلي المنظمات غير الحكومية. أي أناس يعيشون في القطاع لكن ليست لهم رابطة مباشرة مع صناعة السياحة، ويزيد الأمر تعقيدًا إذا علمنا بأن السياح بإمكانهم أن يكسبوا أصدقاء أو أقارب ذوي صلة بأصولهم مما يعيد طرح مسألة التمييز بين السياحة الوطنية والسياحة الأجنبية.² فعلى سبيل المثال تجذب مكتبة كنيسة قديس اليوم الأخير للمسيح Church of Jésus Christ of latter Day Saints في سولت ليك سيتي والتي هي أكبر مكتبة للأنساب في العالم إذ تجذب كل عام آلاف الناس من خلفيات مختلفة من العالم للبحث عن جذورهم ولدعم هويتهم الشخصية حيث أنّ السفر إلى المناطق التي هاجر منها أجدادهم هو أحد العوامل المشتركة بين الناس الذين يحاولون العثور على جذورهم.³

لقد اقترح "Causey" (2003) مصطلح Tourates (المستقبلين) والذي يقصد به المحليين الذين يتفاعلون في موقع معين مع السواح وبتعارض مع الذين يعيشون في الوجهة لكن لا يدخلون في الاتصال معهم، و الأنثروبولوجيين الذين يستطيعون القيام بملاحظات تشاركية كأجزاء في هذه الصناعة، والذين يحتلون موقعًا مثاليًا لفهم تجارب المستقبلين، تستلزم السياحة حركة من مكان إلى آخر فإنّ علاقتها بأشكال أخرى من السفر فإنها تتقاسم كلّ العناصر الجديدة بالاستغلال، قد ركزت الأعمال على العلاقات بين السياحة والحج بحيث أكد "Graburn" (1977) بأنّ السياحة الحديثة تمثل تشابه مع الحج الذي كان يتم في الماضي، إضافة إلى ذلك فإنّ المتاحف والأشياء التي تنتج من أجل استهلاك السائح كذكريات قد أشادت اهتمام الأنثوغرافيين الذين بدورهم قد أثروا البحوث السابقة حول الفنون السياحية، وحول تحويل الانتماء الإثني والتراث إلى سلعة إذ اقترح "Gimblett" تفسيرًا مقنعًا بخصوص المتاحف والمعارض الخاصة بالثقافة وذلك حول العلاقة بين المتاحف والسياحة، إذ يقول: "السياحة تنتج مشهدًا للعالم وكأنه كان متحفًا بينما المتاحف تحاول تحفيز تجربة السفر" فالمتاحف المحلية مرتبطة بالسياحة كونها تعرض الأشياء التي هي من

¹ Stronza A., (2001) « Anthropology of tourism Forging New Ground for Ecotourism and other Alternatives », *Annual Review of Anthropology*, Volum, 30, by, CHICAGO STATE University, p.264.

² Leite, N., & Graburn, N., op, cit, p. 16.

³ دالين، ج، تيموثي، وستيفن وبويد، مرجع سابق، ص. 18، 19.

مميزات الثقافة والتاريخ والفن والطبيعة والأشياء والصور الفوتوغرافية التي يأخذها السياح معهم كذكريات تتضمن سلسلة من المعاني وقد تحمل هذه الأشياء (الذكريات) رسائل إيديولوجية حول أثنية أو جنسية الموقع السياحي.¹

حمام قرقور بطابعه الاستشفائي والتراثي السياحي يعد قبلة للسياح من كل جهات الوطن وخارجه يشكل الحمام فرصة الالتقاء بين الزائر والسكان المحليين أين تمتزج الثقافتين لترسم مشاهد سياحية رائعة كما يمثل متحفا للزائر تتعدد المشاهد السياحية الطبيعية منها والتاريخية والتراثية والثقافية إذ أن الحمام تحصنه سلاسل جبلية غنية بالثروة الغابية والطيور والحيوانات النادرة وكذلك يشق ضفتي الحمام الوادي الذي يشكل فرصة للاستجمام لاصطياد الأسماك في مياهه ناهيك على السوق الشعبي الذي يحتفظ بطابعه التقليدي الجذاب وإضافة إلى الرمز الثقافي والديني الزاوية والتي تعد منارة للعلم والدين كل هذه الرموز والشواهد التاريخية والثقافية تجعل من مرتادي الحمام يتنقلون ويجولون من زاوية إلى أخرى في هذا الفضاء السياحي بامتياز ويضيفون في كل مرة صورة تذكارية لألبوم ذكرياتهم بحمام قرقور إن جاذبية المكان وحركة الناس والأشياء في هذا الفضاء الذي يشكل مسرحا للعلامات والرموز تطبعها مجموعة المشاهد المتنوعة والتمايزة في ذهنيات كل من السائح والسكان المحليين ومجمل الممارسات والتفاعلات والعلاقات الاجتماعية والإنسانية التي تتشكل بهذا الفضاء السياحي. وفي هذا الصدد أكد أغلب المبحوثين على أن الحمام وكل ما يحيط بالمكان يمتلك من الجمالية والروعة والموقع الجذاب حيث جاءت تصريحاتهم بما يلي:

"...والماء جاي من دافع الجبال ينبع من تحت الجبال معناتها الماء أصلي طبيعي ميا بالميا وعيلاجي مشفي ومبارك كأنك تشربي في ماء زمزم وتتحمى في ماء زمزم أه والمنطقة هذي تعنا يقصدوها الناس كما الحج أفواج تتفاج عليها في الصيف في الربيع في العطلة تاع الربيع، في العطلة تاع الشتاء يجبولها صح كل المواسم يجو الناس للحمام بلنزاف لكن الصيف فوق ما تصوري، حمام قرقور عزيز عليا بنزاف بنزاف وعندو الآثار وتاع أجدادي ونحبوه". (مقابلة 1)

"...كاين ناس خسرو الملايين باه يزورو لهنا، باه يريحو لهنا مع الجو تاعنا، والأشجار مع المناطق الخلاية كي راكي تشوفي تزيد ترتحمهم كثير، مع الجو الصافي مع نقاوة ثاني الناس هنا قلوبهم الصافيا الله يبارك" (مقابلة 2)

"...والله بلايصة متعة، والله هايلة" (مقابلة 3)

"...الحمام ستي اين بلاص توريستيك وي سفري وي" (مقابلة 4)

"...الحمام هذا راه كنز، السياحة الحموية مليحة للبلاد" (مقابلة 7)

¹ Leite, N., & Graburn, N., op, cit, p. 17,18,19,20.

"...حمام قرقور جنة فوق الأرض *s'est un truque un trisson* (حاجة جذابة بزاف) شيء مهم جدا وايضا مناخه ومناظره وحتى طابعه الاجتماعي له قيمة جمالية والطبيعة مليحة بزاف وديمة نقول للعائلة شوفو وين رحى لحق يتعجبو للمكان وصور وذكريات للعائلة الصغيرة والكبيرة، راهوم اليوم بولادهوم وولاد والدهم، وانا غرست فيهم حب الحمام من كان وليدي عمرو 10 سنوات اليوم راهو راجل هذه 40 سنة نجيو للحمام مضنيتش ينساوه" (مقابلة 23)

"...ديما من نجي نروح للسوق الشعبي كما الحمام التقليدي ندور نتنفس ونتفرج، نشري حوايج وتذكار للعائلة وللحباب وزيد كشما ندي أعشاب وتوابل مليحة هنا عندهم ويخدموها بطرق تقليدية، فكل ما هو تقليدي طبيعي نحبو نديه معايا كي نروح، لحق الناس فيهم الأصالة والحرمة والنيف من نخرج نحوس منخافش فيهم الأمان كأنوراني بين عيلتي" (مقابلة 32)

2- السياحة، الأثنية، الهوية والتراث، فنون من أجل السياح

كان نموذج التأثير (الأثر) مطبق بهذه الصفة بطريقة غير شكلية على الصناعات الحرفية (الصناعات التقليدية) التي ينجزها الأهالي والمخصصة للبيع للسواح، هذه المنتجات كانت تعتبر كإحلال للثقافة الأصيلة ومجهولة من طرف الكتابات الإثنوغرافية التي طبقت إلى غاية الستينيات (1960). فركزت الدراسات الأنثروبولوجية حول الفنون والصناعات التقليدية حصرياً على الجوانب البنيوية الوظيفية والسيكولوجية للتعبير الثقافي ذو التوجه المحلي أو الجهوي فقد سمحت أول الدراسات حول الفنون والأثنية بالكشف عن وجود سلسلة معتبرة من الأشكال منذ أن كان يظهر كعتاد تقليدي، وظيفي، وطقوسي إلى غاية ما هو حديث وسريع ويعكس آمال وتطلعات السواح أكثر من المعايير الثقافية للمنتجين [...] هناك أعمال جديدة بينت أن قطاع الفن الموجه للسواح قد عرف ديناميكية والأشياء المستحدثة للاستعمال المحلي يمكن أن تعرف بيعاً كفنون للسائح والعكس بالعكس.¹

تعدّ الصناعات التقليدية عنصراً مهماً من عناصر التراث الشعبي التي تجسّد قيم الإبداع الشعبي وتفاعلية مع بيئته فالاهتمام بها يعدّ وسيلة من وسائل الجذب السياحي وهي من اهتمامات الأنثروبولوجيا السياحية التي تضع هذه الأخيرة البرامج المثلى لخدمة السائح في البلد المضيف مع مراعاة الاحتياجات المختلفة له وحسب المستوى الاجتماعي والثقافي كونه إلى جانب المستوى الاقتصادي له دوراً مهماً في اختيار نوعية الخدمات فالسائح خلال رحلته يعدّ مستهلكاً لمقتنيات خاصة منها الصناعات التقليدية والهدايا التذكارية، وهذا قد يسهم في إنعاش الصناعات التقليدية.² حضي حمام قرقور بإقامة مهرجانات وتظاهرات ثقافية وعلمية شارك فيها كل من الجماعات المحلية والولائية والمجتمع المدني وأهالي القرقور والسياح في رسم

¹ Leite, N., & Graburn, N., op, cit, p. 7,8.

² سالم، أمينة عبد الله علي، مرجع سابق، ص. 102، 103.

ممارسة سياحية بهيئة مفعمة بالممارسات الطقوسية والاحتفالية والتي امتزجت بالطابع المحلي المنطقة وزوارها من مختلف مناطق الوطن كما تم مشاركتنا هذه التظاهرات الثقافية بمدخلة حول السياحة في حمام قرقور وقد لاقت هذه الفكرة استحسانا كبيرا من طرف السلطات الولائية والمحلية وأهالي القرقور وكل الأطراف، وفي هذا الصدد يقول أحد المسؤولين بالمركب المعدني:

"عندك لابد من تشجيع الصناعات التقليدية، والتراث الثقافي المحلي المكمل للحموي، عندك في 2018م عملنا ربيع القرقور وفي طبعته الأولى بقينا نعرضوا ولكن مكملناش خاصة جات كورونا" أرى أنه من الضروري تشجيع الصناعات التقليدية، وعرض التراث الثقافي المحلي بكل أنواعه، والذي يكون مكتملا للنشاط الحموي، حيث قد تم في عام 2018م انطلاق مهرجان ربيع القرقور في طبعته الأولى، كان بادرة لتشجيع الحرفيين والأهالي على تنشيط السياحة بالمنطقة خاصة الحموية، وإعطائها دفعة قوية، ولكن رغم المبادرة لم تستمر خاصة تزامنت بعدها مع جائحة كورونا وبقي الحضور محتشما والعرض كذلك"

وهذا ما أشاد به أحد الإطارات بمديرية السياحة بقوله:

"اليوم لابد من الانفتاح على مكملات السياحة الحموية من خلال تنظيم الحرف النبيلة والتحفيز على الصناعات التقليدية في السوق الشعبي مثل صناعة الصابون والأعشاب وغيرها من خلال مشاركة المرأة في الحمام وممارسة الصناعات التقليدية مثل المأكولات التقليدية وادراجها كمقوم تراثي إضافي في الحمام للمساعدة على جذب السياحي، أيضا اختيار المواطن الصالح في استغلال الحمام من أجل ترشيد المياه الحموية، التشجيع على الاقتصاد المحلي مع مشاركة المرأة في الحمام والاقتصاد المنزلي المحلي، لا بد انو تكون عندنا قابلية سياحية فمع التكوين والمقومات السياحية المتوفرة وزيد الناس تكون واعية بها مع الاستثمار في الأنشطة المتنوعة فالمنافسة بطبيعة الحال راخ تخلق فرس تطوير في المنطقة، وعليه فإنه اقتراح إعادة تنشيط المؤسسات التي خسرتها الدولة ترجع تفتح من جديد وتفسح المجال للجميع من أجل إعادة التهيئة فلا بد من الوعي السياحي ومشاورة أهل الاختصاص مع مشاركة المجتمع المحلي المجتمع المحلي راخ تكون فيها تنمية محلية وتفتح الباب أمام اليد العاملة، ونبحث عن المنابع بواسطة التنقيب على وتكون فيها استمرارية لهذه المنابع الحموية بالطبع بمشاركة السكان المحليين"

لقد أحدثت الأثنية كسلعة تُباع ومأسسة رغبات السائح تغيير في الفنون والصناعات الحرفية (التقليدية) والتي قد أثرت بشكل مباشر في جوانب أخرى للهوية فالسياحة الأثنية تعبر عن بُعد، وذلك من خلال الكتيبات وفيديوهات، والفنون المخصصة للسياح على المكان بواسطة الإخراج المسرحي وتفسير للمواقع فقد أصبحت ضرورة الإخراج المسرحي المتعلق بالثقافة من أجل السياح، قد تعمل بعض المجتمعات

التي تعاني من تآكل ثقافي كيف تعيد بناء جوانب من ثقافتها المعلننة إذ أنّ التّراث يعد مجموعة من العناصر الخاصة بالثقافة المختارة والمسوقة كأشياء من التراث لفائدة صناعة السّياحة الجد تنافسية وقد درس الأنثروبولوجيين عالمية التراث مع بروز منظمة اليونيسكو التي تعدّ موضوع دراسة أنثروبولوجية، فواجه الأنثروبولوجيون تحديات اجتماعية وثقافية نتاج العولمة وهذا ما أكّده "Appadurai" عام 1996 على ضوء الهجرات الداخلية والأفكار والتدفقات الدّولية لوسائل الإعلام ورؤوس الأموال والأفكار بقوله: "لا يمكننا أن نتكلّم عن الثّقافة كثيء متجذر في مكان ما في الوقت الذي يتّجه فيه اختصاص الأنثروبولوجيا أكثر فأكثر إلى تحقيقات متعدّدة المواقع التي تعيد رسم الارتباطات العابرة للحدود الوطنية بين الشّعوب المتشتتة والتي ترافق الشّعوب المتنقلة حسب التّنقل العالمي لرؤوس الأموال والخطابات حول التنمية.¹

إنّ السّياحة موضوع خصب للدراسات الأنثروبولوجية كون أنّها ظاهرة ذات أبعاد متعدّدة، مرتبطة بجوانب مختلفة من الثّقافة وعناصرها تقف وراء السّياحة أذواق وتصورات ودوافع وحاجات السّياح من جهة، ومن جهة أخرى مقومات البلد المضيف هذه العناصر تتداخل فيما بينها لتشكل دلالات رمزية تغذيها تفسيرات وممارسات الفاعلين في هذا الميدان المعرفي المعقد.

فالثقافة والتراث كما يعبر عنهما من خلال الفنون يمكن الإغلاء أو الحطّ من شأنهما عن طريق تأثير السياحة ومع ظهور مفهوم تحديق السائح وتأثيره الملازم في السوق ظهر تطويع المواد والأشكال والمحتويات الخاصة بكثير من الفنون البدائية لملاءمتها مع متطلبات السياحة الخارجية، ومع الصناعة السياحية ومطالبها تشير إلى عودة عالمية للفنّ البدائي التقليديّ والأشكال التقليدية، الثقافية البدائية، والذي يبدو صعبا وغير مرغوب فيه اقتصاديا².

وعبر العالم أصبح كل من التراث والسياحة مرتبطان تماما، فالسياحة تستخدم كمبرر اقتصادي لحفظ التراث، بالرغم من أنّ السياحة تساعد أيضا في الحفاظ على الصناعات اليدويّة والفنون الشعبية في عين السائح، وقد يكون لعرض التّراث مضامين مهمّة على الهوية الجماعيّة والهوية الفردية معا، وفي إنشاء الوقائع الاجتماعيّة كما هو الحال في الدّول الاشتراكيّة تكون الطبيعة السياسية للتّراث مكشوفة في محاولاتها استخدام التراث كمصدر الشّرعيّة السياسيّة، فمثلا مقاومة الشعب الألباني للعثمانيين من خلال تماثيل من القرن 16، أو جنة لينين المحتنّطة في الميدان الأحمر أو الاحتفال المنوي لميلاد "ماو" يعدّ موطن الجذب السياحيّ، كما أنّ التراث بهذا الشكل يقوم بوظيفية أيديولوجيّة مباشرة، وله دور مهم في صياغة هويات هذه الدّول في مرحلة مت بعد الشيوعيّة، فكما لاحظ "هول" أنّ الماضي القريب لمرحلة الدّولة الاشتراكيّة أصبح

¹ Leite, N., & Graburn, N., op, cit, p.10,11,12,113.

² هول، كولن مايكل، مرجع سابق، ص 224.

مصدرا لصناعة تراثية جديدة، فقد حوّلت رموز المرحلة الشيوعية إلى مسبوكات معدنية أو إلى مؤخرة المتاحف، أو أصبحت من التحف السياسية الدافعة للاستطلاع، وهكذا تعاد كتابة التاريخ وإعادة عرضه لجذب السّائحين ولصياغة هويات وطنية جديدة بالإشارة إلى الماضي ما قبل الشيوعي، وعليه فإنّ التراث والسياحة يعدّان مكّونان مهمان لصياغة السياسات الجديدة في أوربا الشّرقيّة، والتعريف بالواقع السّياحيّ الاجتماعيّ، ولإعادة وضع السّياحة الترفيحيّة في المجال الخاصّ¹.

وكما يرى "جرينوود" "أنّه عندما يتمّ تحويل نشاط ثقافي لحدث عام ثمّ يعتبر مادّة للبيع والترويج له في السوق السّياحيّة فإنّ معناه الطّقوسيّ يمكن أن ينتهك مباشرة ويفقد أصالته وقوّته بالتّأكيد بالنّسبة إلى الشّعب"².

يتم اليوم احتضان حمام قرقور التظاهرات الثقافية والمهرجانات في مناسبات مختلفة يتخذ منها أهل المنطقة وحتى القائمين على قطاع السياحة الحموية بالمنطقة بدعم من السلطات المعنية، فرصة لإعادة احياء التراث المتنوع والكبير الذي تتمتع به المنطقة وما يجاورها، فمثلا مهرجان ربيع القرقور في طبعته الأولى، اليوم الوطني للسياحة وغيرها من المناسبات التاريخية والأعياد الوطنية. فتنوع السمات التراثية في ثقافة المنطقة وتتجلى في أجمل مشاهد سياحية تم عرضها في مسرح فضاء حمام قرقور، امتزجت فيه ثقافة الوافدين بثقافة المحليين والعارضين لمختلف أشكال التراث الثقافي المحلي، فرسمت أجمل اللوحات في التبادل الثقافي.



صورة رقم 31: الصور تبين مهرجان القرقور

3- السّياحة، الجسد والجنسانية

ركّزت الدّراسات الأولى على تأثير السّياحة في تقاسم الأدوار بين الرّجال والنّساء في البلدان النّامية حيث أنّ هناك أبحاث بيّنت بأنّ النّساء كنّ أكثر حصّاً للحصول على مناصب عمل في السّياحة مقارنة بالرّجال وهذا كان له أحيانا تأثير عميق في توازن السّلطة، ففي بعض الحالات النّشاطات الاقتصادية

¹ هول، كولن مايكل، مرجع سابق، ص. 228، 229.

² هول، كولن مايكل، مرجع سابق، ص. 230.

الرجالية كانت مرحبًا بها لفائدتها العائلية التقليدية، غير أنّ في حالات أخرى بعض القيود الصارمة قلّلت من مشاركة النساء للحفاظ على معايير النوع (ذكر/ أنثى) بالإضافة إلى تحليل أدوارهما كما أنّ الأبحاث تنصّب حول الإيديولوجيات المحلية وأدوار النوع الاجتماعي والسلوك، كما قد استعمل مفهوم الجنسانية بالمعنى الحرفي كإطار تحليل لفهم علاقات الاستغلال الخاصة بالسياحة. أشار كتاب "Veilola" عام 1994 "الجسد في السياحة" إلى نماذج نظرية عبر محادثات خيالية للعديد من المنظرين الذين كانوا في عطلة على الشواطئ مميّنًا بأنّ لا أحد منهم يهتمّ بدور الجسد في السياحة فكان هذا الكتاب دعوة لمقاربة تجريبية ومتعدّدة الحواس، فقد فتحت الطّريق أمام اعتبارات نسوية حول الجسد الشقي للمقابلات السياحية (الجسد الجنسي) الذي يتجاوز النموذج المسيطر النظرة التأملية المركزة الرؤية الذكورية الضمنية، وعليه قد ظهر جسد السائح كموضوع دراسة اثنوغرافية مستقلة، ليس فقط بالنسبة للنوع بل كذلك فيما يخصّ مواضيع مثل المغامرة.¹

يتقاسم الجنسين من الموظفين بالمركب الوظائف والأدوار لكن كما تم مشاهدته خلال البحث الميداني أنّ تقسيم الأدوار يتحدد وفقا للجنس حيث أنّ النساء يشغلن أكبر حيز من الوظائف كما أنّ المرأة تقوم بأدوار داخلية بالمركب في قاعات الاستحمام والعلاج والتدليك والتنظيف والغسيل والغرف وغيرها في حين الرجل يقوم بوظائف خارجية في جناح الصيانة والإدارة والحسابات والعلاقات الخارجية أي في التسيير المادي والاقتصادي وهنا تظهر لنا طروحات "بيار بورديو" في الهيمنة الذكورية إذ تتحدد الأدوار حسب الجنس كما أنّ الرجل يهيمن على وظائف حساسة في المركب بينما المرأة تمارس ما يتلأم وطبيعتها الثقافية ويبقى جسد السائح في مكان محلي يسترعي الحذر فيبرز من الحين للآخر الجسد الشقي في فضاء الحمام ليشكل نقطة اصطدام ثقافي.

4- السائح فيما بعد الحداثة

إنّ ما بعد الحداثة تسبّب إشكالية في التمييز بين المعروضات والواقع، فإنّ ما نستملكه بشكل متزايد هو علامات وعروض متمثلة، والهويات الاجتماعية تتشكّل من خلال تبادل القيم ذات العلامة، لاحظ "هويسون" أنّ هناك ضياع للمدلول التاريخي للمعنى في مرحلة ما بعد الحداثة للسياحة الترائية، أي أنّ ليس لدينا فهم عميق لتاريخنا وينشئ حاجزا ضيقا يحول بين حياتنا وتاريخنا.

¹ Leite, N., & Graburn, N., op, cit, p, 5, 6, 7.

وفي مجتمع ما بعد الحداثة فإنّ الاتّجار في التّرفيه يعني أنّ السّياحة تعامل غالبا كسلعة خالصة معدّة للبيع من خلال القواعد الراسخة للتسويق حسب "هارفي" فإنّ مذهب ما بعد الحداثة يشير إلى شيء أكثر من كونه امتدادا لسلطة السوق على سلسلة الإنتاج الثقافيّ بأكملها.¹

اهتمّت كثير من الدّراسات في إطار التغيّر الاجتماعيّ بتأثير السّياحة على هويّة المضيف، وبخاصّة دور الدّولة في إعادة تحديد الهويّة، دراسة النشاطات التي ارتكزت على تخصيص معنى للتفاعل الإنسانيّ خاصّة في تفاعل ما بين الثقافات الخاصّة بالطّقوس واللّعب والفنّ، وهو الموضوع الذي أشار له "lett" فيما أسماه بدراسة الحفاظ على الهويّة البشريّة، وفي هذا الإطار فإنّ بعض الدراسات المتعلقة بالإثنيات قد طبّقت على السّياحة خاصّة من طرف "Keyes" و"Vandera bergh" بعدد موضوعاتي خاصّ *Tourism and Ethnicity* بحوليّات (1984م) حيث اعتبر السّياحة كشكل خاصّ من العلاقات الاثنيّة وحللا تأثير السّياحة في الإبقاء على الحدود الاثنيّة وتحيينها وإعادة إنتاجها.²

وفي هذا الشّأن قد افصحت الدراسة على أن الممارسة السّياحية في حمام قرقور ترتكز على جانب العلاقات الاجتماعية فيوصفه وسط اجتماعيّ فإنّ علاقات تنشأ بين المضيفين أنفسهم وبينهم وبين الضيوف حيث أنه تسود علاقات المحبة والتعاون والزمالة والصدّاقة والتي بدورها أضفت البهجة والسّرور على كل المركب وضيوفه حيث أن الغاية الأولى للمركب هو تقديم صورة وسمعة جيدة على طابع الخدمات السّياحية بالمركب، إلا أن هذا لا يعني أن المكان لا يخلو من الصّراعات والتكتلات بين العمال نتيجة لتضارب المصالح.

أما عن السّياح وعلاقتهم بالمركب فقد انعكس طابع الخدمات بالمركب على رضى الضيوف حيث أن الحمام أصبح من بين الأشياء الأكثر قربا من مشاعر الضيوف كما أنهم يلون المحبة والوفاء للمكان والناس بالمركب مما طبع العلاقات بالقوة والمتانة كما علاقات أفراد الأسرة الواحدة وعليه فقد تذوّب بعض الخصائص الاثنية في الحمام وتلاشى لتوحدها روح المحبة والألفة والانسجام في هذا الفضاء حيث جاء في تصريحات بعض المبحوثين :

"هذي 40 سنة نجي ليه تقولشي راني بين عايلتي ملاح وحنان ويعاونوك ويوريولك مليح يتحيرو عليك ويسقسيو إذا احتجتي شي يقادرو الصغير والكبير" (مقابلة 23)

حمام قرقور مسميلوش الحمام، سميلو، *cè ma deuxième maison j'étais avec mais frères,* *j'étais avec mais serres* حنان يخدمو الخدمة تاعهم، ما يديروش هذيك نعرفها وهذيك منعرفهاش،

¹ هول، كولن مايكل، مرجع سابق، ص. 237، 238.

² Michaud, J., op, cit. p.26.

يخدموا، ملاح les infirmeries, les medecins، ولينا une famille أنا كي نقعد ما نروحش cava pas لازم نروح نشوفهم" (مقابلة 30)

"هذي مدة 26 سنة ملي راني نجي للحمام نحسهم الكل عايلة وحدة" (مقابلة 33)

رابعا : عولمة السياحة الحموية

برز مصطلح العولمة السياحية للسياحة العلميّة، وأصبح مفهوما مستحدثا كون أنّ السياحة تعدّ مظهرا من مظاهر العولمة، إذ أنّ السياحة عبارة عن تجارة وصناعة عالميّة ترتبط بكثير من الجوانب الحياتيّة كالاقتصاد، والثّقافة، والإعلام، لتصبح أهمّ الصّناعات العالميّة، وأدّى انتشار العولمة إلى توسّع الأنشطة السياحية في العالم، حيث أنّ ارتباط العولمة بالسياحة يتّضح من خلال نموّ الشركات السياحية متعدّدة الجنسيّات، إذ يرى في هذا الشأن "كيفن ميثان" أنّ هذه الشركات بالفعل تُسيطر على سوق السياحة، حيث أنّ شركة "Accor" البريطانيّة خلال التسعينيّات كانت تدير 25 ألف فندق في 70 بلد من العالم، في حين أنّ شركة "هوليداي إنن Holiday Inn" تدير 1571 فندق بحجم 2.3 مليون غرفة، في حين شركة "CDL" السنغافورية التي بدأت نشاطها 1989م أصبحت تملك فنادق سعة 16400 غرفة في 12 بلدا من العالم¹، وعليه فقد فتحت العولمة مجالا جديدا من الفرص والتطوّر أمام حركة السياحة الدوليّة، إذ أصبح ما يربو عن 1.035 مليار سائح يسافرون خارج بلدهم عام 2012م، والذي توقع أن يرتفع سنة 2020م².

كما يبيّن "كيفن ميثان" في كتابه "السياحة في مجتمع معولم" أنّ العولمة ليست شرّا كلّها وأنّها ليس بالضرّورة تعني تدمير الثّقافات الوطنيّة بل قد تدعّمها، ومن منظوره السّياحي للعولمة، وصناعة السياحة يرى أن تحول الأماكن الأثريّة والطبيعيّة والحياة الشعبيّة التقليديّة لسلعة ومورد اقتصادي من خلال عمليّة السياحة، قد يكون وسيلة للحفاظ على تلك الأماكن والحياة فيها³، فمن مظاهر العولمة السياحية نجد:⁴

- حدوث تغيّرات هيكلية في طبيعة الاقتصاد شملت بصورة خاصّة انخفاض مساهمة قطاعات الاقتصاد الإنتاجية (الزّراعة، والصّناعة) بالمقابل نموّ القطاعات الخدماتيّة وخاصّة السياحة، باعتبارها أهمّ القطاعات المستفيدة من رأس المال المحليّ والأجنبيّ، لتصبح أهمّ العوامل المحرّكة للاقتصاد.
- قد أسهمت العولمة في ارتفاع درجة التّركّز والاندماج في قطاعات السياحة العالميّة، والاتّجاه نحو التّكامل في توزيع خدمات السّفر وقطاع الفنادق، وإلى ما يُحقّقه من ربحيّة عالية، وقدرة كبيرة على المنافسة،

¹ صبيحي، شهبناز (2017)، "العولمة السياحية- الإمارات العربيّة المتّحدة نموذجا"، مجلّة آفاق علوم الإدارة والاقتصاد، العدد 01، ص. 41، 42.

² عسّي، صليحة (2018)، "العولمة وتوسّع نطاق صناعة السياحة"، مجلّة العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة، العدد 29، ص. 49.

³ صبيحي، شهبناز، مرجع سابق، ص. 42.

⁴ عسّي، صليحة، المرجع السابق، ص. 42، 43.

وعلى تقليل درجة مخاطر الاستثمار من خلال تنوع الأسواق والمنتجات، كما دعم القدرة التفاوضية لمجابهة التّنظيمات المقيدة في مختلف الدّول.

➤ كما كان للعمولة انعكاسات واسعة وتغيّرات مهمة في شكل وطبيعة السياحة الممارسة، فقد أدى توقّر المواصلات وسهولتها وتدفق ثورة المعلومات والاتّصالات زيادة كبيرة في أعداد السيّاح، كما تغيّر سلوك السيّاح صاحبه تبدّل في خصائص المنتجات السياحية خاصّة منها الطّبيعيّة والثّقافيّة، كما برزت قيم جديدة لتكون هذه المتغيرات قوة دافعة ومحركة للسياحة الحديثة.

وعليه يمكن أن نقول أنّ السياحة هي أحد أوجه الاقتصاد المعولم، تتجسّد فيه أشكال التّبعيّة والسيطرة الخارجية في المجال السياحي.

هذا على الصّعيد الاقتصاديّ، أما على الصّعيد الثقافيّ فإنّ السياحة تعدّ أيضا أحد مظاهر العولمة من خلال حركة السيّاح عبر العالم وتنقلهم المستمرّ، كذلك كون أنّ السياحة هي أحد أنواع التبادل الثقافيّ الذي يمكن الشعوب من معرفة ثقافات وعادات مغايرة، وعليه فإنّ هذا الاتّصال المباشر أو غير المباشر يقلّل من الفوارق الثقافيّة، من خلال معرفة الأفراد بجوانب عديدة من ثقافة الآخرين، كما تعمل السياحة على دمج المناطق السّياحيّة ضمن الأنماط الثقافيّة العالميّة، مثال ذلك تقديم فنادق البلدان المضيفة لوجبات بلد المنشأ السّاندة كما التّعريف بالوجبات في البلد المضيف، وعليه قد تعمل البلدان في العالم الثّالث على خبراء من بلدان المولدة للسيّاح في تخطيطها السّياحيّ وإنجاحه، وكذا المعدّات والتّجهيزات التي يأتي منها السيّاح¹.

1- العولمة والإعلام السّياحيّ من الاستعلام إلى الإعلام.

إنّ ما يميّز العولمة كظاهرة اجتماعيّة هو التدفق الكبير للمعلومات والذي يأتي من التّطوّر السّريع في تكنولوجيا الإعلام والاتّصال، حيث ساهم الإعلام بقدر كبير في تحقيق أبعاد العولمة، وخاصّة منها الثّقافيّة والاجتماعيّة، فإنّ كان من مراميها (العولمة) زيادة في الدّخل القوميّ والسيطرة الاقتصاديّة، فإنّها من زاوية أخرى تنم عن عولمة الثقافة ومحاولة تنميطها، وذلك كلّه من خلال تسخير عامل الإعلام كسلاح لتحقيق ذلك، فالإعلام حسب العالم الألمانيّ "أوتوجروت": "هو التّعبير الموضوعيّ لعقليّة الجماهير ولروحها وميولها واتّجاهاتها في الوقت نفسه، فالإعلام هو تعبير موضوعيّ وليس تعبيرا ذاتيا من الجانب الإعلاميّ، سواء كان صحفيا أم مديعا أم مشغلا بالسينما أو التلفزيون، فالإعلام يقدّم حقائق مجرّدة بعضها سار وبعضها لا،

¹ خمار، زديرة وعمار سيدي، دريس (2014م)، "أبعاد السياحة وعلاقتها بالعولمة"، أعمال ملتقى التنمية السياحية وعلاقتها بالتنمية المحليّة والمجتمعيّة بالجزائر، جامعة الطارف، قسم علم الاجتماع، ص. 8، 9.

ويعدّ الإعلام ناجحاً إذا نجح في تحقيق الأهداف السابقة، وإذا تحققت الاستجابة المنشودة على النحو المرجوّ".¹

كما يعرف الإعلام عند سمير حسين على أنّه "كافة أوجه النّشاط الاتّصالي التي تستهدف تزويد الجمهور بكافة الحقائق والأخبار الصّحيحة والمعلومات السّليمة عن القضايا والموضوعات والمشكلات ومجريات الأمور بطريقة موضوعيّة وبدون تحريف، ممّا يؤدّي إلى خلق أكبر درجة ممكنة من المعرفة والوعي والإدراك والإحاطة الشّاملة لدى فئات الجمهور المتلقّين للمادة الإعلامية بكافة الحقائق والمعلومات الموضوعيّة الصّحيحة عن هذه القضايا والموضوعات، بما يسهم في تنوير الرّأي العام وتكوين الرّأي الصائب لدى الجمهور في الوقائع والموضوعات والمشكلات المثارة المطروحة"².

ولما كان الإعلام آليّة من آليات الإعلام ومرآتها العاكسة والأداة الأنسب لترويج أفكارها ومبادئها خاصّة مع توظيف التكنولوجيا الحديثة، ليصبح واحداً من أهمّ الأسلحة التي تستخدمها الدول للتأثير على الأفراد والمجتمعات، وكذا الترويج القيم وأساليب الحياة الغربية، فقد أصبح الإعلام حاجة ملحة في السياحة من أجل تحقيق أهدافها وتنميتها، ويظهر ذلك من خلال تحقيق الوعي بأهمية السياحة وتشكل الثقافة السياحية بالمجتمع مما يسمح بتسويق السياحة والترويج لها.³

إذن أصبح الإعلام ضروريّ في ممارسة النّشاط السّياحيّ، لعلّه يكون سلاحاً ذو حدّين إذا أرادت به العولمة أن يعزّزها ويحقّق مساعيها ومن جانب آخر قد يكون عاملاً في إبراز الخصوصيّات الثّقافيّة من خلال التّرويج للسياحة لأجل وضع خطة سياحيّة ناجعة.

فإذن من الاستعلام السّياحيّ إلى الإعلام السّياحيّ الهادف، حيث من خلاله يمكن التعريف بالمقومات السّياحيّة للمنطقة السياحية، مستغلّ في ذلك كلّ أساليب التّشويق والإقناع والجذب، من أجل استقطاب أكبر عدد ممكن من السّياح، ولأنّ الإعلام اليوم يعتمد على الصّورة بأكبر درجة فإنّه كما يُقال: "الصّورة أصدق من ألف كلمة" فإنّه لا بدّ من توظيف الصّورة في المجال السّياحيّ من خلال عرض مشاهد سياحية تمتزج بين الأصالة والتّفرد والإبداع من أجل إخراج مشهد سياحيّ فعّال، ومن جهة أخرى المستهلك السّياحيّ بحاجة إلى حقائق مقنعة حول الوجهات السياحية المختلفة، فعلى الإعلام السّياحيّ والقائمين به تقديم هذه الحقائق

¹ آل دغيم، خالد بن عبد الرحمان (2014)، الإعلام السّياحيّ ودوره في تنمية السياحة الوطنية، الأردن، دار أسامة، ط1، ص. 59.

² آل دغيم، خالد بن عبد الرحمان، المرجع السابق، ص. 59.

³ عطوي، نعيمة (2014)، "عولمة الإعلام والصورة السياحية انتصار أم وهم"، أعمال الملتقى التنموية السياحية وعلاقتها بالتنمية المحلية المجتمعية بالجزائر، جامعة الطارف، قسم علم الاجتماع، د.ص.

من خلال العروض السياحية وكلّ ما يتعلّق بها من أسعار، وتخفيضات، وامتيازات، وغيرها من أساليب الجذب، ضف إلى ذلك المشهد السياحي لا بدّ أن يكون مستوفي الشّروط، وهذا لن يتحقّق إلا من خلال دراسة السوق السياحية، وكذلك دراسة اتّجاهات وميولات السيّاح، وأيضا دراسة مقوّمات السياحة بالمنطقة والإمكانات الفعلية، فإنّ هذه العمليات لا بدّ أن يمرّ عليها الإعلام السيّاحي من أجل تفعيل وتنشيط السياحة بالمنطقة، وهذا الذي يمكن أن نسمّيه "الاستعلام السيّاحي" والذي قد أشرنا له قبلا باعتباره خطوة أولية لتحقيق إعلام سياحي فعّال، فمن وظائف الإعلام السيّاحي:¹

- وضع خطة إعلامية تهدف إلى الاتّصال بكافة فئات الجمهور والتأثير عليهم بما يحقّق التوفيق بين مصالح السياحة ومصالح الجمهور.
- مراقبة الاتجاهات السائدة في السياحة العالمية ومحاولة مواكبتها ومسيرة المواد الإعلامية لها ومنافستها بما يتناسب وثقافة المجتمع.
- تحفيز دوافع السفر للسياحة الداخلية.
- توعية وإرشاد السيّاح بأساليب التعامل الأنسب مع البيئة وثقافة المجتمع.
- النهوض بالوعي الاجتماعي بصناعة السياحة.
- تطوير قابلية المجتمعات المضيفة.

هذه جملة الوظائف التي يجب على الإعلام السياحي والقائمين عليه أن يؤدّوها من أجل تفعيل وتنشيط النشاط السياحي بأيّ بلد، ولعلّ التّمايز الثقافي يُعدّ حجر أساس للجذب السياحي، إضافة إلى ما يتمتّع به أي بلد كان من مقومات طبيعية وتاريخية، تعمل هذه المقومات على الجذب السياحي بشكل إيجابي إذا ما كان الإعلام السياحي لها يركّز على مهارات إعلامية، وتقنيّات فنية رفيعة المستوى ومدروسة جيّداً، وذلك في تسويق المنتج السياحي، وهذا لن يتأتّى إلا من خلال دراسة القائمين على الإعلام السياحي لمجمل التغيرات الاجتماعية والسياحية، ودراسة السوق السياحية، كذلك المعرفة العلمية لأهمّ المقاربات العلمية للظاهرة السياحية، وخاصة منها الاجتماعية والنفسية والأنثروبولوجية، وذلك من أجل صقل أرضية إعلامية، رزينة، ذات أسس علمية قوية، ليتشكّل في الأخير إعلام سياحي حقيقي واعٍ وهادف يُحقّق الغايات المرجوة.

ومن المهام المرجوة للإعلام في مجال السياحة ما يلي:²

¹ عطوي، نعيمة، مرجع سابق، د.ص.

² آل دغيم، خالد بن عبد الرحمان، مرجع سابق، ص. 60.

➤ الإعلام والإخبار: بمعنى تقديم الأخبار والحقائق والمعلومات للجماهير بعد جمعها ومعالجتها وتحليلها ووصفها في الإطار المناسب، ثم بثها في قالب معبأ بالشرح والتفسير.

➤ التثنية: ويعني نقل تراث الأمة وحضارتها للأجيال المتعاقبة مع تعزيز الجوانب الإيجابية فيه، وتنقيته من الشوائب، والتعريف بالثقافة الأم، كما الاعتراف بالثقافات الفرعية، والمحافظة على القيم الإيجابية فيها.

➤ الترقية والترويج: وذلك من خلال تقديم المواد الخاصة والمتنوعة التي تدفع المثل، وتساعد على استعادة النشاط والحيوية، وتعمل على تقليل التوتر

➤ التعبئة: والتي تعني القيام بحملات خاصة من أجل الأهداف المجتمعية في المجالات السياسية، والعسكرية، والاقتصادية، والتنموية، والدينية، والصحية، وفي باقي المجالات التي تركز على الإعلام بشكل دائم.

وتعتبر الدعاية والإعلان السياحيين أهم الدعائم للإعلام السياحي، وأهم الآليات الترويجية لإحداث الأثر، حيث أنّ الدعاية السياحية تعرّف على أنّها: "أداة الاتصال المجانية وغير الشخصية لعرض السلع والخدمات، والأفكار السياحية للجماهير المستهدفة بواسطة طرف ثالث أو جهة غير ذات المصلحة المباشرة"، وهي إحدى التقنيات الترويجية الموازية للإعلان السياحي، وتعمل بشكل متكامل معه ومع العلاقات العامة¹.

2- عولمة السياحة في حمام قرقور

تأثرت الممارسة السياحية بحمام قرقور بمجمل الممارسات السياحية العالمية حيث أن مشروع التهيئة السياحية الذي بدأت تظهر معالمه في الميدان قد احتكم للخبرة التونسية ولكن تمكن الدارسون للمشروع من تجاوز العقبات التي واجهتهم في ذلك فاستعانوا بخبرات من الوطن.

كما أن المحطة انفتحت على الساحة الإعلامية واتخذت من الاعلام السياحي وسيلة والذي يعد للتعريف بالسياحة الحموية بحمام قرقور على فئة عريضة من المجتمع وخارجه حيث انبثقت صورة الحمام من خلال شبكات التواصل الاجتماعي الفايسبوك وتويتر واستغرام والاذاعات المحلية والوطنية وصفحات في المجالات السياحية، كما أن المركب السياحي يعمل على الأخذ بتجارب البلدان الأخرى المجاورة والأربية في التجربة السياحية في المجال الحموي وذلك من خلال الدورات التكوينية التي تقيمها وزارة السياحة للأطباء والمدلكين والفندقة والعلاج الحموي والاستقبالات وباقي الخدمات وذلك من أجل الرقي بالخدمات والممارسات الحموية.

¹ كافي، مصطفى يوسف، مرجع سابق، ص. 182، 183.

يعمل المركب السياحي حمام قرقور على جلب أجهزة متطورة في الجانب العلاجي كما أن المركب يعمل بمبدأ رقمنة الإدارة وتوفير شبكة الانترنت.

تبين معنا في أحد المقابلات التي أجريناها مع عامل في مصلحة الاعلام حيث قال:

"عدنا باج فايسبوك، تويتر، انستغرام وعندنا chéne يوتوب باه نخطو *les vidéos*، ولازم تكون المهارة في عرض الصور *bien sur* مثلا *les groupes* ألي يجيو هنا نصورهم ونحطهم، عند استقبال فوج كذا وكذا تولي عندك *la curiosité* باه تشوفي المركب الفضول يخلي الزبون يسال ويتصل، ويشوفو تولي الناس يتابعو *normalement* كايين واحد قاعد على هذي العفسة مش يخدم أي حاج، أحنا رانا حاليين من 2016 لباج هذي".

"في هذا المركب أزاول عملي الأساسي ومكلف ايضا بالجانب الإعلامي بالمركب وقد أنشأت ألبوم صور خاصة بالحمام قرقور والمنطقة وكل ما يجاورها. فعند حضور السائح، فإنه يجد ضالته فتتوفر المنطقة على مناظر سياحية كثيرة. قد أنشأت صفحة في الفايسبوك، وتتضمن على كل الأنشطة، الخاصة بالحمام، فمثلا التعريف بالمنطقة، كل ما يخص التخفيضات، فالصفحة يمكن إضافة كل جديد كما ان السائح بدخوله الموقع يستطيع الحصول على كل المعلومات التي تهمه، ويقرر الاختيار"

وفي هذا الشأن نجد بعض الحالات يتقصون المعلومات والأخبار المتعلقة بحمام قرقور وكل ما يتعلق به من إعلانات حول التخفيضات والعروض المتاحة به والتي قت تكون سبب اغراء الزوار والسياح الراغبين في السياحة الحموية فهم يتصفحون صفحات على مواقع التواصل الاجتماعي لأجل ذلك.

تعد الاستقبالات المصلحة الأولى والهامة في النشاط السياحي حيث هي أول واجهة أين يلتقي السائح بالمضيف كما تكون أول نافذة للإعلام والاستعلام من خلال تقديمها للزبائن المعلومات الخاصة بالإقامة والعلاج وغيرها من المعلومات الخاصة بالإقامة السياحية مثل التكاليف والتي تخضع إلى مبدأ التغير وأي المرونة كما تضمن هذه المصلحة الإجراءات القانونية للزبائن والذين يأتون بطرق مختلفة إما بشكل حر أو بموجب اتفاقيات يعقدها المركب مع مؤسسات أخرى أو بتكفل من طرف صندوق الضمان الاجتماعي، كما يتم منح الزبون وثائق وبطاقات خاصة بالإقامة بالفندق وبطاقة خاصة بالعلاج وكذا الإطعام. كما يتم توجيه الزبائن إلى مختلف المصالح بالمركب والسهر على خدمة الزبون منذ الاستعلام إلى الخروج من المركب.

إضافة إلى حجز الأماكن وتحديد مواعيد الاستقبال وهذه المهام لا تنفصل من مجمل علاقات المصلحة مع باقي المصالح الأخرى بالمركب.

يؤكد القائمون على مصلحة الاعلام أن الاستقبالات هي الوجه الأول للمركب كما سبق أن ذكرنا وهذا ما تم مشاهدته خلال الملاحظات التي سجلناها طيلة تواجدنا بالميدان إذ صرح أحد المبحوثين القائمين على الاعلام ب:

"عندك الاستقبال *La réception* هي الوجه الأول للمركب أي استفسارات أو إرشادات هي المصدر تنطلق منه، *la réception* تعد مصلحة هامة للاستعلام والتوجيه والإرشاد. وهي مصلحة لا غنى عنها في أي مصلحة فالاستقبالات هي الأساس"

وتضيف أحد القائمات بالإستقبالات بقولها:

"الاستقبالات هي الصبح أنا هنا ملازمش نغفل ولازم نكون واجدة في كل الظروف وكل العقلية ولازم الصبر والحكمة والعقل، كي يحتم عليك حتى الفطور متروحيش وتبقي مع لكلييو كما أنا الفطور نساها"

3- مستقبل حمام قرقور الراهن والتحديات

تتعرض المناطق التراثية لجملة من التحديات والتي تكون نتيجة العديد من العوامل منها:

- التحضر السريع مقابل هجرة المجتمع المحلي: فقد يؤدي التحضر إلى تدهور البيئة العمرانية وسوء التخطيط العمراني والضغط على المرافق وزيادة عدد السكان من جهة، ومع العولمة وزيادة التدفق السياحي إلى تلك المناطق السياحية والتراثية فإنه يؤدي بهجرة السكان المحليين بثقافتهم المحلية لتصبح مناطق ذات تنوع ثقافي مختلف لا يدرك قيمة المناطق السياحية والتراثية.
- العولمة وفقد الهوية: حيث أنها تعمل على اذابة الحواجز بين الثقافات، وبالتالي تؤدي إلى تغيير في نمط الثقافات المحلية وفقدان السكان المحليين لهويتهم الثقافية أو ما يسمى بتآكل العادات والتقاليد.
- السياحة: هي أيضا من بين انعكاساتها على المناطق التراثية، أنه مع زيادة التدفق السياحي عليها قد يضر بها مما يحدث تضارب بين السياحة وعملية الحفظ على هذه المناطق التراثية.
- العوامل الطبيعية: فإن التغيرات الطبيعية والمناخية قد تكون لها أثر سلبي على المناطق التراثية السياحية منها الكوارث الطبيعية وما تحدثه من مخلفات عينية بهذه المناطق التراثية والسياحية.¹

ولذلك قد تأخذ بعض التدابير منها:

¹ معهد التخطيط القومي (2019)، *سياحة التراث الثقافي مع التطبيق على القاهرة التاريخية*، سلسلة قضايا التخطيط والتنمية رقم 302، مصر، ص.40، 41، 42، 43.

- حماية وتعزيز الثقافة المحلية وتراثها من خلال تعزيز عوامل دعم الهوية المحلية كإحياء التقاليد الثقافية بمختلف الأنشطة، وتسويقها ومختلف الصناعات التقليدية والحرف اليدوية وكل العناصر الفلكلورية.
- دفع عجلة التنمية الاجتماعية والتي تساعد على الحفاظ على التقاليد والعادات وإعادة تأهيل المناطق التراثية السياحية مع تحسين نوعية الحياة الاجتماعية.
- كذلك دفع عجلة التنمية الاقتصادية من خلال توفير فرص العمل مع مراعاة تنوع النشاط الاقتصادي في ظل الموازنة بين استغلال الموارد الاقتصادية والعملية الحفاظ عليها بيئياً.
- دعم الحماية البيئية من خلال صيانة النظم الإيكولوجية والتلوث البيولوجي، والاستغلال الأمثل للموارد البيئية مع محاولة التقليل من التأثيرات السلبية للبيئة ومعالجتها.
- مواءمة النشاط السياحي مع طبيعة المجتمع المحلي وثقافته وامكاناته السياحية.
- العمل على تحسين جودة العروض السياحية لأجل جذب أكبر للسياح من خلال تطوير أساليب الجذب.
- اتخاذ مبدأ التشاركية في صنع القرار بين الهيئات المعنية والسكان المحليين.
- تفعيل البرامج التعليمية والتدريبية من أجل زيادة الوعي وتنمية مهارات العملاء والعاملين على حد سواء في المناطق السياحية.
- العمل بمبدأ التخطيط الاستراتيجي الهادف للحفاظ على المناطق السياحية واستدامتها.¹

بالعودة إلى ما جاء في استراتيجية التنمية لشعبة الحموي التي تم إدراجها في الفصل الثاني فإنه من أكبر التحديات التي تواجهها السياحة الحموية هو نقص تدفق الماء الحموي، وذلك بسبب التغيرات المناخية حيث من الشواهد التاريخية أنه قد ضرب زلزال منطقة القرقرور في 419ق.م فغارت مياه حمام قرقرور آن ذاك وهذا ما أقر به الكثيرون من سكان المنطقة أو من الإطارات في هذا المجال. حيث يرددون " بلا ماء ما يكون ولا شيء، منخدموش لا سياحة ولا شيء"

غير أن الحمام وما يحيط به من مقومات تراثية وسياحية تعاني من التلوث الناجم عن قوة تدفق السياح والحركة المستمرة وكذا تقاعس الهيئات والمجتمع المحلي في تهيئة الإقليم المتواجد به الحمام وخاصة أن الفضاء السياحي يعاني من الاستغلالات العشوائية والفوضوية وتراكم للنفايات جراء المطاعم والمصانع والتي ترمي بها بواد بوسلام وانعدام قنوات الصرف الصحي الممنهجة خاصة للحمام التقليدي. في حين أن النقائص التي يعاني منها المركب السياحي يعمل القائمون عليه من خلال عملية إعادة التهيئة للمركب فإنها

¹ معهد التخطيط القومي، المرجع السابق، ص.45، 46.

تتم بشكل تدريجي وعليه فيمكن استدراك النقائص وذلك بالاحتكام إلى الخبراء وسكان المجتمع المحلي. ولا بد من دعم المشاريع الاستثمارية الرشيدة التخطيط الممنهج خاصة في جانب الفدقة بما يتلاءم والسمات الثقافية المحلية للمنطقة العمل على تطوير تخصصات في شعبة الحموي والعمل على استخراج مشتقات حموية ودعمها في العلاج الحموي مثل الطمي والبخار والغاز وغيرها ولا يتأتى ذلك الا بالانفتاح على تجارب بلدان رائدة في المجال.

صح أحد الإطارات بالمركب:

"هل يكون لحمام قرقور مستقبل؟" إذا لقا الرجالة" وي يتطور وكاين! ولكن يد وحدة ما تصفق بطبيعتنا حنا الجزائريين، الرواسة، والبرتغاليين *la portugais*، أما أحنا منخدموش! الحمام قرقور عنده آفاق مليحة، مليحة ياسر، مع إمكانية إضافة مرافق أخرى نظرا لشساعة مساحته".

ما هي نظرتكم للحمام الجديد المدرج في مشروع التهيئة بالمحطة المعدنية؟

"راح يزيد يدعم ويرونفورسي في طاقة الاستعاب، تزيد *les soins* راح تزيد، وضرك الشعب الجزائري بدأت تدخلوا ثقافة السياحة الحموية، وهذا هو الهدف تاعنا زيادة وتحقيقتها، كاين إلي عنده ثقافة سياحة حموية وكاين إلى عنده ثقافة حمام، ولكن هي ثقافة علاج هنا تكفي. من اللخر كون جاو يستغلوا السياحة في الجزائر تكون هي الدخل القومي، كما البترول كون يستغلوا السياحة من 70% إلى 80% واش كاين في الجزائر، لأنو السياحة عندنا متنوعة، سياحة صحراوية، سياحة حموية، سياحة الشواطئ، والمناخ شبه القاري مليح. الحمام يجيوه يحوسوا ويتحممو، ومنها يشجعوا على الاستثمار *l'investissement*، عندك التوانسة السياحة كدخل قومي عندهم استغلوها *le maxi ment* تلقاي عندهم كل أنواع السياحة، بالإضافة إلى الاستجمام والترويج عن النفس، والتمتع بالطبيعة الخلابة بصحبة الأحباب والأصدقاء.

"إن مشروع التنمية الذي تضمن إدراج حمام جديد بإمكانه أن يدعم المركب ويزيد في طاقة الاستيعاب والجذب، وبالتالي زيادة العلاجات الحموية به، خاصة في الآونة الأخيرة هذه قد برزت ثقافة ارتياد الحمامات المعدنية لدى الشعب الجزائري من كل الفئات العمرية، يبقى هناك من له ثقافة حمام بحتة، وهناك من تكون عنده ثقافة علاج، والحمام المعدني يكفي أن يكون للعلاج فقط".

خلاصة القول: لو كنا نستغل السياحة في الجزائر، لكانت هي مصدر الدخل القومي مثل البترول، فإذا تم استغلال 70% إلى 80% من إمكانات الجزائر السياحية المتنوعة، صحراوية، حموية، بحرية، وخاصة مناخها شبه القاري مناسب. الحمام يقصدونه للاستجمام والترفيه كما

للاستحمام والعلاج، وعليه فإنّ هذا قد يشجّع على الاستثمار بالمنطقة، فمثلا نجد أنّ تونس تعتمد على دخلها القومي بشكل أكبر على السياحة، حيث يتم استغلال الإمكانيات السياحية بأقصى حدّ، حيث نجد عندهم السّياح من كلّ أنحاء العالم مثل الرّوس، والبرتغال، أمّا نحن فإنّنا لا نعمل ولا نبدع. لحمام قرقور مستقبل واعد، خاصّة مع إمكانيّة إضافة مرافق أخرى، نظرا لشساعة مساحته مع سوق يتيح فرصة الاستثمار والتّطوير".

حسبه يقصد من كلامه أنّ العلاج الحمويّ نجده عند الصّينيّين مشهورين بالعلاجات التقليدية عامّة، وبعدها الألمان، وبعدها الأوربيّين، يوجد هناك مشتقات الحموي مثل الطين أو الطمي المعدني الحموي المستخلص من المياه المعدنية، فنحن لا نستعمله أمّا غيرنا في هذا المجال يستخدمونه بكثرة، ويستغلون كل عنصر من الحمويّ، فهي (الطين) من مشتقات الحموي للمياه المعدنية، وهي مكّملة ولها تطبيقات خاصّة. أمّا عن الحمام قرقور فهو له مستقبل واعد إن شاء الله إذا وجد الرجال المخلصين. نعم يتطوّر لأنّه يوجد ولكن لا بدّ من تكاتف الجهود، فمن خصائصنا الجزائريّين أنّنا نقول نحن لها، لكن في الحقيقة غير ذلك لا شيء يُذكر، وهذه تعود إلى ضمير كل واحد فينا، فمن له ضمير سوف يعمل بجّد وإخلاص، والذي ليس له ضمير شيء محتمّ أنّه لا إخلاص ولا تطوّر".

ويضيف آخر بقوله:

" نعمل الان على جذب فئات مختلفة من السياح و للمركز على المياه فقط لأن الان كما تعرفين خلق الحمام التقليدي قد عاد على المركب بالخبر و ساعات الاستحمام تستمر ١٢/١١ ليلا و عملية فإن المركب يستفيد ربحية من ذلك لكن عند عودة الأمور إلى أصلها فإن المركب عليه ضخ المياه يدوم إلى منتصف النهار فقط و هذا مشكل في حد ذاته و عليه فإننا نركز على ادراج أمور أخرى أو أنشطة مكّملة للمركب كما نعمل على تسويق المنتج السياحي في كل فرصة تتاح لنا فيها عرض ذلك (المعارض. المهرجانات. الملتقيات. تظاهرات) نقطة أخرى نحن نستفيد من خبرات في التّأطير من كامل الوطن حمام قرقور مصنف ثاني عالميا والاول عربيا فإذا كل الفات تأتي له نحن نعمل على تنوع ذلك لأنّه اليوم أصبح ثقافة وارتياح الحمامات المعدنية حتى من فئات صغيرة السن وليست مقتصرة على كبار السن فقط نسعى إلى إعادة هيكلة المركب وإعادة النضر في رواتب العمال لأنّه هناك تفاوت في الرواتب مقارنة بالجهد المبذول كما نسعى مستقبلا إلى إدراج جناح طبي خاص بالسمنة والسكري والقلب والذي تم الشروع فيه على مستوى الوطني للحمامات المعدنية"

فحين أن أحد أهالي المنطقة والذي تم اعتماده كمخبر أساسي يقول في هذا الشّأن:

"الحمام هو منطقة سياحية (السياحة الحموية) لأن فيه سياحة حموية، سياحة جبلية، الواد، سياحة دينية، نزيدك أن مياه الحمام قرقور مفهّاش غير ذلك الماء ألي رانا نشوفو فيه كاين

دوتر ناب لي راهم ضايعين، أنا تكلمت مع تاوع السياحة هدرت عليهم، كاين دوتر ناب، حنا نعرفوا الأماكن تاوعهم حنا نعرفوا بلي كان الماء خارج ثم، وضرك راح لازم أبحاث مع المخابر الألمانية لأنهم الأوائل في التارمليزم، لوابيروا ديتيد، يجي ونعتولوا البلايس (الأماكن) وين كان يخرج الماء بكري وكاين منابع لي الماء تاوعها ماشي كهذه لراننا نشوفوا فيه، هذا الماء كاين منابع لكومبوزون تاوع الماء أفضل من هذا ساخنة تتواجد في طريق القراقرية، بقليل أمامها كرمة كبيرة كان يخرج الماء الحامي، وكانوا يدوروا عليه بالحجر أنا نشفى مليح كانوا يجيو العائلات في الليل يتحموا فما، هناك الماء نوع آخر من الماء مليح للحب، مليح بزاف فيه الكبريت بزاف، وضرك يتوفر الحمام على سياحة حموية، ودينية، وجبلية (سياحة الوديان) هو موقعه إستراتيجي، طبعا كون جات مخدومة البلاسة" (مقابلة 1).

ويضيف:

الحمام ذو سمعة عالمية وإنما ضايع، هنا في الجزائر، المياه تاوعوا الأولى عربيا وإفريقيا، نتكلم على المياه وليس على الديار، والبنيان والثالث عالميا، أنا في رأي: أولا إسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون، هو من المفروض وكان جات كاينة الأمور تسير مليح نشفوا أن بيرو دي تود، تاوع ناس مختصة في الميدان، هما ألي يقدروا يشوفوا كفاه رايح يجي، كفاه رايح يكون، برسكوا الحمام ضرك كي تشوفيه ستان نمباست، الناس تيجي ثم لازم يعاود يولي، أول حاجة لازم يدير دي زوفارتير، يخرجوا البرا برسكوا الناس يجيو ويوصلوا للحمام مباعد يعاود يولي، وهذا جاي من هنا ربع سوايع. ثانيا: لازم تكون دراسة شاملة، دراسة على المياه، كاين مياه ضايعة، هناك مياه معدنية باردة، تحت القنطرة (الواد السارق) مليح بزاف بزاف، للران (الكلى)، هناك بلايس، دي ناب خرين، كما قلت، كان بكي تحت الكرمة ماء ساخن ثم راح اختفى، نعرفوا بلايسهم. لازم يجيبوا لزامون (الألمان) بيرودي أتيد صحيح بسكوا مختصين في الطب هذا ومباعد نشوفوا الأماكن ونشوفوا كفاه نستخرجوا هذه المياه ومباعد نهدروا على السياحة، هي ملايين ضائعة. الماء راح مكانش، وراه، لو تكون دراسات حول المنطقة، بكري كانوا الناس يجيو غير في الصيف، وضرك يجيو في كل وقت".

"الحمام راهوا مكلاسي تروازيام أوموند (الثالث عالميا) مبقاش هو معلم كبير في الوطن من الناحية العلاجية (السياحة الحموية) كون يقومو به، بصح مكانش لازم الغيرة على الوطن، لابد أن نهتم بهذه التقاليد تاوعنا، وبالحمام تعنا هذا هو المركز تاوع المنطقة، يقولوا ستاسيوتارمال، حمام قرقور، لابد من يخدموا يديروا لي زوتال" (مقابلة 2)

"الحمام راهوا منطقة أثرية كاين آثار سقرت، وكاين ألي كسروها وكاينالي بناو بيها... الخ، والحمام مصنف الثالث عالميا في نوعية الماء، حنا السياحة نعانيو منها، حنا بعاد فيها في كل الحمامات في الجزائر، كانت هناك سورس أمام الكرمة كانت يداويوا بها الجرب والحب... الخ هدموها العناية

منعدمة في مجال السياحة الحموية. مام بطريقة عصرية، واش راح يدير، كما السونيتاكس، كما خالاه الطالينا (مركب الخيط)، يدخل الاعتقاد في الحمام التقليدي أن الناس يتحموا في التقليدي أفضل من العصري كما حمام ربي بسعيدة يتحموا في الهواء يفصلوا بإزار، توجدي أن الحمامات لها نفس الطابع فيها واد بارد، وعين ساخنة، وقنطرة تجمع بين ضفتي الواد، كانوا صح يستشفو به، يحكيو على الطبيب الفرنسي "وزرات" يحي للحمام يعرق قبل بكثير ثم يشلل ويخرج مام السياحة الحموية عندها (الحمام) طابع في البناء، الحطب، والقرمود وماشي سيمة وبيطون (مواد بناء)، الحمام يجيولييه في الصيف" (مقابلة 3).

ويضيف:

"فما يخص السياحة المنطقة هذه سياحية، بزاف يمكن مناظر هنا متوجدهاش في العالم، لكن واحد مانظر لها من هذه الزاوية، خاصة أنا بحاجة للسياحة وتفعلها، أنا نقول أن القرارات السياسية أثرت على مردودية الحمام من ناحية استغلاله سياحيا، وهو في تدهور مستمر مكانش عناية لهذه الحمامات بالخصوص حمام قرقور ألي راهوا مصنف الثالث عالميا، وأول عربيا وإفريقيا من جانب المياه الإشعاعية ألي عندها فائدة كبيرة في الشفاء من الأمراض منها المفاصل، الأمراض الجلدية، أمراض النساء، أمراض العيون وغيرها، حتى الي ميصنيش (العقم). حنا معدناش الماء، دورتر ناب راحوا خاطر العناية مكانش ليبرجوموا، نهار كانت بوقاعة تسير فيه كان أفضل كان أوتال طافات لكن اليوم راهو يعاني كثير، خص الدولة تقوم به بالفعل ماشي بالكلام خاطر الخواص أثروا عليه كثير لي جي يدي ويروح".

ويضيف آخر:

"لا بد من الاستدراك للحفاظ على الآثار المتبقية، الاستعمار كان يمنع التوسع في العمران لأنها منطقة كلها أثرية، وهناك أثر عليها، حسب المخطط الفرنسي، يمنع البناء في المنطقة. أولا لازم نوقفوا التوسع للبناء، المشكل آخر هو شوية تاع العقار إلى يومنا هذا هناك نزاعات كثيرة حول أراضي العرش، التي تؤول إلى الدومان هذا الشيء أنا عايشوا، هناك آثار للسياسة الاستعمارية باينة كي ما تشركيش المواطن من أهل المنطقة السياحة متنجح حتى حاجة، الناس دول تعمل بالشراكة، قال نحيلي الضبابية نعطيها لشركة تسير تستثمر فيها وكل واحد له جزء يستفيد به. من ناحية الخدمات التي قدمت للحمام مفيش خدمات، في مدة عامين داروا غير البيان، البلدية مخدتمش فيه من ناحية النظافة، صرف المياه، مفيش قنوات صرف للمحلات، التي في الحمام كي يحي تشوفي الزبل قريب يغمنا، حتى الحمام صرف المياه تصب إلى الواد بشكل تقليدي بدون قناة صرف. لازم يشاركوا المواطنين في أي تغيير يكون باش يجيب نتيجة، ودور الجمعيات غير الخاضعة للإدارة. المنطقة سياحية استراتيجية، ولكن إذا دامت هكذا، مترواحش بعيد، كين مقومات طبيعية سياحية هائلة، إذا ما قسوهاش بالبيطون، العيون اللي كانت بكري راحت كي جاء التراب ردم هذه العيون الماء ومن المفروض أنه يولي الماء أضعاف، واد بوسلام يحي الماء الخام لأنه مدينة خليل معندهاش السينيسمو، وبالتالي يصب في الواد هذا" (مقابلة 4)

خاتمة

إن العلاقات التي يحتضنها فضاء حمام قرقور المعدني تكشف عن أن المحطة الحموية هذه تحتضن مقومات وإمكانات تراثية سياحية (الماء، الهواء، المناظر، الثقافة...)، هذه المقومات تتداخل فيما بينها وتنتج تلك العلاقات الاجتماعية، وترسم جملة من التصورات التي يحملها الوافدون والمضيفون، لأجل المحافظة على هذا الفضاء الذي يعدّ حاضنة للكثير من الممارسات السياحية، والثقافية، والاجتماعية. وكيفية تنميتها لأجل الحفاظ على استمرارية هذه المقومات التراثية والسياحية، ويستمر هذا الفضاء في النشاط بما يُمكنه من الاستدامة بالنظر إلى جملة التحديات التي يعكسها الفضاء واستغلالاته المختلفة.

في هذا الفصل كشفنا عن مكانة حمام قرقور عند السياح وأهالي المنطقة على حد سواء حيث يمتلك حمام قرقور من المقومات الفريدة من نوعها لتجعله قبلة لعشاق السياحة والسياحة الحموية. يتمتع حمام قرقور بالأصالة وماضيه الذي يرتبط بأهالي القرقور والسياح وذكرياتهم وحميميتهم بالمكان حيث أفصحت الدراسة على:

- أن المبحوثين يحملون ذكريات جميلة مشبعة بالحميمية والراحة والاستجمام والتي تنبع من أصالة المكان في حد ذاته من خلال عناصره التقليدية البسيطة (الحمام التقليدي، السوق الشعبي، الوادي، الزاوية... الخ).
- أن حمام قرقور يتمتع بمقومات تراثية تنطلق من قيمة الماء الصحية والهواء والمناخ والطبيعة الخلابة والثقافة المحلية المتنوعة والتي تتمتع بقيم الأصالة تحكي في طياتها ذكريات الزمن الجميل ذكريات البساطة والترابط الاجتماعي.
- أعرب المبحوثين أن حمام قرقور يعد معلما تراثيا وسياحيا تزخر به المنطقة مما زادها جمالا إذ اعتبر الكثيرون على أنه جوهرة، وكثر ثمين تتمتع به المنطقة
- كما يرى المبحوثين أن الحمام في شقيه التقليدي والعصري يعاني من نقائص كثيرة وكذا التهميش الواضح خاصة في شقه التقليدي بالرغم من الاستغلال المستنزف للحمام والعوائد الكبيرة إلا أنه لا يحض بالاهتمام من خلال الحماية والصيانة والترميم والمحافظة على البيئة المحيطة به
- حمام قرقور بطابعه التقليدي أو العصري وكل الجوانب الاجتماعية والثقافية التي تحيط به تشكل كتلة متكاملة تمثل مقومات تراثية سياحية تزخر بها المنطقة وتساهم في تنمية المنطقة
- يرى المبحوثين أن يرتكز أساسا على عنصر الماء الحموي وعليه لابد من ترشيد الاستغلال والانفتاح على تطوير الحموي والاستثمار والسياحة التكميلية لشعبة الحموي وذلك من خلال تنشيط الساحة التراثية

والمتمثلة في الحرف التقليدية والصناعات التقليدية والممارسات الفلكلورية وإحياء التظاهرات الثقافية التي تزيد من قوة الجذب السياحي بالمنطقة.

يتصور المبحوثون أن الحفاظ على العناصر الثقافية بالحمام وما يجاوره قد يمنحه ثوب الأصالة التي قد طالتها أيادي العصرية ورياح التغيير، ولا بد من عدم الخروج عن الإطار الثقافي للمنطقة في سياسات التنمية والاحتفاظ بكل العناصر التراثية وتعزيزها ودعمها لمواجهة التحديات التي تواجه حمام قرقور.

خاتمة عامة

خاتمة عامة

إن النظرة الشائعة عن الواقع السياحي في الجزائر تعكس التناقض بين حجم الإمكانيات وقيمة السياحة ومكانتها في المجتمع وبين الدول فإمكانيات ضخمة مقابل مكانة متدنية قد جعلت من الجزائر قبلة سياحية سيئة بين الدول.

فالجزائر تزخر بمقومات سياحية كبيرة مما يجعلها قبلة سياحية هامة في العالم والحمامات المعدنية هي واحدة من هذه المقومات والتي تعد مكسبا طبيعيا وتراثا ثقافيا، يخزن في معالمه ذاكرة ثقافية وبعد تاريخي وحضاري كبير، وحمام قرقور، هو أحد أهم هذه الحمامات المعدنية، جوهرة الهضاب ومستقبل السياحة الحموية لمدينة سطيف والجزائر والذي يشكل محطة حموية متميزة فبفضل خصائصه الفيزيو- كيميائية والعلاجية والطبيعية، وامكانيات سياحية ومقومات تراثية تأهله لأن يكون قبلة للسياح وملاذا للعديد من الفئات الاجتماعية ليس على المستوى المحلي والوطني فحسب ولكن على المستوى الخارجي.

من أجل فهم الخلفات وتفسير الإشكالات التي تعترى الظاهرة السياحية في الجزائر في كل الأنماط السياحية ارتأينا من خلال هذه الدراسة التي تعتمد المدخل الرمزي في فهم المضامين والمعاني التي ترمي لها الممارسات السياحية وبخاصة الممارسة السياحية في المحطات الحموية، وقد تشكل المقاربة الأنثروبولوجية نظرة شاملة تجتمع فيها الأبعاد المتعددة للظاهرة السياحية كما تعطي فهما أعمق لموضوع الممارسة السياحية لفك الإشكالات واختراق الظاهرة السياحية من الداخل ولأجل ذلك فقد تسلحنا في الكشف عن الممارسة السياحية في حمام قرقور بجملة من المعدات المنهجية التي يركز عليها البحث الأنثروبولوجي الملاحظة بالمعايشة والمحادثات التي غدت مجمل اللقاءات والتحقيقات الميدانية التي قمنا بها في هذا البحث والذي يقوم على محاولة الكشف عن واقع الممارسة السياحية في حمام قرقور المعدني من خلال تمثلات السياح والسكان المحليين أملا منا للوصول إلى الأهداف المسطرة في هذا البحث. لتتمكننا في الأخير هذه الدراسة من خلال التحقيق الميداني من الوصول إلى جملة من النتائج والتي يمكن صياغتها إجمالا كما يلي:

إنّ الممارسة السياحية الحموية في هذا الفضاء السوسيو-ثقافي، تعكس جملة من العلاقات الاجتماعية والثقافية التي تنشأ عندما يلتقي السياح بالمضيفين، حيث تنتج فيه شبكة من التفاعلات الاجتماعية التي يقيمها هذا الالتقاء السياحي لمختلف الأطراف الفاعلة فيه، ويعكس هذا الفضاء جملة من التفاعلات والعلاقات والمشاهد والوضعيات والممارسات التي لها ارتباطات هي الأخرى بمضامين ذات دلالات رمزية تنعكس فيها العديد من جوانب الحياة اليومية، حيث ينتج هذا الفضاء جملة من الممارسات الطقوسية التي لها علاقة بالصحة، والمرض، والجسد، لها علاقة برمزية الماء ومكانته في الحياة اليومية،

تعكس لنا وظائف الحمام ومكانته الرمزية في يوميات الأفراد، كما تعكس لنا طقوسية الاستشفاء والعلاج بالمياه المعدنية الحارة في هذا الفضاء. وكل الممارسات المصاحبة للفعل الطقوسي، وتمثلاتهم لهذه الممارسات في علاقتها مع المقدس والطقوسي، حيث يمنح هذا الفضاء قدرا من المشروعية لاستحضار بعض الممارسات عن غيرها.

يحمل حمام قرقور دلالات رمزية عميقة في المخيال الشعبي حيث يمثل مؤسسة اجتماعية مشحنة بالممارسات الطقوسية، فلا يقتصر دوره في منح فرصة الاغتسال والطهارة وحسب بل هو فضاء لممارسة طقوس العبور وطقوس التبرك والاستشفاء بالولي الصالح إذ أضفت بركته القدسية على ماء الحمام فتجسدت تلك الاعتقادات في ممارسات طلي الحناء واشعال الشموع والزغاريد والتي يراها المترددون على الحمام أنها ضوابط وعادات وتقاليد يصعب التخلي عنها وهي أمور تجعل ماء الحمام ترتفع درجة حرارته وتزيد من قوة تدفقه، كما يتصورون أن ممارسة بعض العادات تعد محرمة ثقافيا وقد تأثر على الحمام وماءه وت جعل صلاح المكان غاضبين وعليه قد تنخفض درجة الحرارة و تنقص قوة تدفق مياه الحمام كاستخدام الصابون والصراخ والسب والشتم في الحمام.

كما كشفت الدراسة على أن مياه حمام قرقور هي مياه علاجية بالدرجة الأولى يقصدها مختلف الفئات الاجتماعية بمختلف أعمارهم وجنسهم حيث لا يقتصر على فئات كبار السن والذين يعانون من مشاكل صحية كثيرا ما ترتبط بالسن، فتبين أن حتى فئة الشباب لها حضور قوي وذلك من أجل العلاج والراحة والاستجمام، كما أن فئة النساء الأكثر حضورا بحمام قرقور وكان الغرض علاجي بدرجة أولى وثانها للراحة والاستجمام واسترجاع اللياقة البدنية، فحمام قرقور هو فضاء نسوي خالص حيث أن نسبة مرتادي الحمام في شقيه التقليدي والعصري هم نساء وذلك يفسر بكون المرأة عرضة للأمراض الروماتيزمية والعصبية والنسائية وغيرها، كما أن الحمام يعد فرصة للبحث عن الصحة والجمال والراحة والاسترخاء كون أن المرأة في علاقتها بالحمام هي علاقة حميمية فلم يقتصر على الاستحمام والطهارة بل تعدى ذلك للعلاج والاستشفاء حيث يمثل حمام قرقور رمز الصحة والشفاء والجمال، وقد اختلفت الممارسات العلاجية حسب الحالة المرضية التي يعاني منها الوافدين فجاءت ممارسات تقليدية في الحمام التقليدي امتزجت بطابع الثقافة المحلية حيث الاستشفاء كان مقرونا بالطقوس التبريكية المرتبطة بالولي الصالح سيدي الجودي إضافة إلى استحضار ممارسات الطب الشعبي ووسائله في العملية الاستحمامية والعلاجية حيث يستخدم المستحمين الأعشاب الطبية المطحونة كالزنجبيل والزعرتر البري والقرنفل والملح والتوفالت والحناء وغيرها للتطبيب الشعبي وكذا المساحق والكريمات الخاصة بالتجميل كون الحمام التقليدي يمنح مرتاديه حرية أكثر لمثل هذه الممارسات. أما عن الممارسات في المركب السياحي فإن رغم عملية التقنين التي يفرضها القانون

الداخلي للحمام إلا أن الوافدين لا يتخلون عن هذه العادات الاستحمامية التي أشرنا لها قبلا والتي تعد من سمات الثقافة، فتطغى على مرتادي الحمام ثقافة استحمام بدلا من ثقافة علاج. وتعمل التنشئة الاجتماعية على توارث هذه العادات الاستحمامية والتطبيقية التقليدية ومجمل المعارف المتعلقة بها في فضاء الحمام.

إن البحث في تصورات مرتادي الحمام حول الممارسة العلاجية أحالنا للكشف عن القيمة العلاجية ذات المنفعة العلية التي يحض بها الأفراد في الحمام فتختلف تفسيراتهم من بركة الولي الصالح إلى وعي السياح بالقيمة العلاجية التي ترجع للخصائص الفيزيو-كيميائية التي تتحدد في تركيبة الماء الحموي في حد ذاته والذي تجسد في انطباعات السياح بالرضى والسرور والتعلق بالحمام والبحث عن فرصة أخرى للمجيء والاستفادة من الخدمات العلاجية، غير أن البعض يرى أن الحمام لا يحوز على بعض التطبيقات الحموية الحديثة وهذا شيء ينقص من جودة الخدمات بها كما يفسر بروز الاختلافات الثقافية وانتشار الوعي السياحي. كما أن للتنشئة السياحية دور كبير في رسم اتجاهات وميولات السياح نحو ممارسة السياحة الحموية.

كشفت الدراسة على ان العلاقات بحمام قرقور يكتسبها طابع المودة والتقدير والاحترام والرفق وقيم المحبة والتعاون وحسن المعاملة، وذلك في كل مرافق المركب السياحي سواء أكانت بين السائح والمضيفين أو المضيفين بعضهم بعضا، وذلك يكشف عن الطابع المحافظ والقيم الثقافية والعادات والتقاليد الخاصة بفرن التعامل، فالمعاملة الجيدة ومرورها سوف تعمل على جذب السياح وكذا طابع السياح الغالب بالحمام هم مستشفين يبحثون عن الصحة والراحة وعليه فإن الحفاظ على جانب العلاقات والمعاملة يعد بند أساسي في عرض المنتج السياحي وسير النشاط السياحي على كامل وجه وهذا قد تميز فيه حمام قرقور عن بعض المؤسسات الحموية الأخرى وذلك من مرحلة الاستقبال إلى أن يغادر السائح حسب تصورات السياح. كما أن هذه العلاقات الاجتماعية تستمر في غالب الأحيان بين السياح والمضيفين والتواصل بعضهم البعض حيث أن مختلف اللهجات واللغات تتعايش في هذا الوسط السياحي (كالعربية واللهجة المحلية، والفرنسية والانجليزية والامازيغية) مما شكل ذلك فرصة للتبادل والاتصال الثقافي ونفاذ بعض العناصر الثقافية إلى ثقافة السائح والمضيف على حد سواء.

كشفت الدراسة على أن حمام قرقور وقيمتها السياحية إلا أنه يفتقر لاهتمام الهيئات المعنية وخاصة في شقه التقليدي فانه يعاني التهميش مقابل الاستغلال المفرط له، وتغيب عملية التهيئة والمحافظة على البيئة بشكل شبه كلي كما أن المركب السياحي هو الآخر يعاني من نقص في التجهيزات والمعدات المتطورة وكذا اهتلاك لما هو موجود من هياكل ومعدات وكانت النظافة والصيانة وذلك قد فُسر بمشروع التهيئة الذي قد تم الشروع فيه وكانت عملية التجديد تتم بشكل تدريجي وذلك لرفع عملية الجذب السياحي بالمركب.

كشفت الدراسة عن غياب مشاريع الاستثمار فيما يخص الفنادق والسياحة بالمحطة المعدنية وذلك قد يعود سلبا على النشاط السياحي بالمنطقة مقارنة بالمؤهلات السياحية الطبيعية الهامة التي تحوز عليها المنطقة. وقد يغيب الاستثمار المخطط والاستراتيجي بالمنطقة مما قد سمح بانتشار الممارسات السياحية العشوائية. وذلك يفسر بانعدام الوعي السياحي الرشيد لبناء نظام سياحي صحيح يضمن الاستغلال الأمثل للموارد السياحية ويوفر الحماية والاستدامة لها. وجناح الفنادق في حمام قرقور يفتقر للتجهيزات والصيانة والتهينة مما أدى إلى استياء السياح على تلك الظروف غير ان البعض الآخر يكتفي بالخدمات العلاجية كأهم حاجة عندهم وعدم الاكتراث للنقائص المادية الأخرى لأن الإقامة تكون بشكل مؤقت لهم بالحمام.

كشفت الدراسة على أن حمام قرقور كمحطة معدنية يشهد عملية تجديد متواضعة بالحمام التقليدي والتي يتصور السياح أن الطابع التقليدي هو مشهد من مشاهد الماضي والأصالة ولا يمكن التخلي أو طمس هذه الأصالة باليات التغييرية الحديثة لأنها سوف تشوه ماضيه وتبطل أصالته وتغيب هويته الحقيقية وحمام قرقور كمقوم تراثي وسياحي هام له من الجاذبية والجمالية ما يجعل السياح يتعلقون به ويستحوذ على حيز كبير من ذكرياتهم وخاصة وما زاده من الجاذبية المقومات التراثية الأخرى الطبيعية منها والثقافية التي تحيط به والتي تنتج بتكاملها مشاهد سياحية بالغة الروعة.

تبين من خلال الدراسة أن حمام قرقور سر جاذبيته هو الماء الحموي بالدرجة الأولى والمقومات التراثية الأخرى والتي يرى المبحوثين أنها مقومات مكملة للممارسة السياحية الحموية فعلى السكان المحليين والهياآت الوصية تفعيل الحرف والصناعات التقليدية وكل العناصر الثقافية التي سوف تنمي النشاط السياحي من جهة وتعمل على تعزيز وحماية والحفاظ على استمرارية هذه المورثات الثقافية من جهة أخرى، وعليه يتصور المبحوثين أن يتم وضع استراتيجيات تنمية تراعي فيها خصوصية التراث الثقافي والعناصر الثقافية للمنطقة وضمان حمايتها واستدامتها.

كشفت الدراسة أن التحدي الأكبر القائم في حمام قرقور هو الماء الحموي حيث المنطقة تكتسب سمعتها السياحية من وجود الماء الحموي بالدرجة الأولى وعليه لا بد من ترشيد استغلال المياه الحموية وكذا ارفاق تطبيقات حموية أخرى لشعبة الحموي وإدخال طقوس حموية جديدة تكميلية منبثقة من الخبرات والتجارب الرائدة في مجال الحموي.

وكنتيجة عامة فإن الممارسة الحموية بحمام قرقور هي ممارسة متواضعة بالرغم مقارنة بالمكانات والمقومات السياحية الهائلة وخاصة الطبيعية، ولكن غياب مشروع ثقافي سياحي في مشاريع التنمية بالجزائر بصفة عامة ومحطة حمام قرقور بصفة خاصة أثر على السياحة الحموية وزاد من صعوباتها وتحدياته وقلل

من فرص نجاحها وعليه فإننا ندعم الطابع التقليدي التراثي الذي يعكس سمات الثقافة المحلية والذي أيضا يعكس أصالة المنطقة ويعزز هويتها الثقافية ليكون عاملا مساهما في عملية التنمية السياحية المحلية والوطنية ووجب علينا التعامل مع العوامل الثقافية الغريبة بحذر.

وعليه فقد أدركت الهيئات المعنية ذلك فبدأت تنشط في هذا الاتجاه وهي تسعى لتجسيد مشروع التهيئة السياحية بالمنطقة من خلال هذا المنظور الثقافي.

وعلى ضوء هذه الدراسة وجب الوقوف على جملة من المقترحات والتي يمكن صياغتها كالتالي:

- لا بد من استدامة الموارد السياحية بشكل يلبي الحاجات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والجمالية للمناطق التراثية والسياحية كحمام قرقور وغيرها وذلك للأجيال الحالية والأجيال القادمة مع المحافظة على التكامل الثقافي والعمليات تنوع البيئي بهذه المناطق.
- سياحة الحمامات المعدنية هي سياحة تراثية تقترن بمبدأ الحفاظ على التراث الطبيعي والثقافي من عادات وتقاليد سياحية ثقافية ومن ثم التعريف به من خلال العملية السياحية وحمايته وإحيائه بين الأجيال وتعزيزه.
- تشكل الحمامات المعدنية نقطة التقاء الزوار بالسكان المحليين والمصيفين وثقافتهم أين يحدث تزاوج بين العناصر الثقافية أو تضاربها وعليه يمكن فتح الباب أمام تطوير فرص الاستثمار الرشيد الذي يهدف إلى الحفاظ على هذه المواقع التراثية ودعم استمراريتها والتنوع الحضاري والثقافي والاجتماعي والبيئي فيها بما يحفظ الخصوصيات الثقافية المحلية.
- اعتماد الأسلوب العلمي في إدارة النشاط السياحي والتخطيط الاستراتيجي للموارد الحموية يراعي فيه القيم الجمالية والاجتماعية والثقافية والبيئية الاقتصادية لهذه المناطق والحفاظ عليها من جهة ومنح السائح تجربة سياحية قيمة وممتعة من جهة أخرى.
- إدراج إدارة فعالة لهذه المناطق التراثية الحموية لأجل التعريف بها وبمجملة المؤهلات التراثية التي تحوزها لأجل إحداث التكامل بين التراث الحموي والعناصر الطبيعية والثقافية الأخرى للمنطقة السياحية المحلية.
- ضرورة اشراك السكان المحليين في عمليات التنمية السياحية المحلية والاستفادة منهم في وضع سياسات التخطيط والاستثمار وطرق الحماية والصيانة وتعزيز لهذه الحمامات المعدنية.
- تصحيح الذهنيات ونشر الوعي السياحي وثقافة الحفاظ على الموروث الحضاري من خلال تسخير الاعلام السياحي الهادف من أجل التسويق والدعاية السياحية التي تتضمن في برامجها طرق الحماية لجميع الخصائص الطبيعية والاجتماعية والثقافية.

- تكثيف الدراسات الخاصة بشعبة الحموي لتعزيزها واتخاذ سياسة الترشيد للمياه الحموية وابتكار أساليب وطقوس علاجية حديثة يتم من خلالها ادراج مشتقات الحموي كما وجب ادراج التخصص في مجال العلاج الحموي انطلاقا من التصنيف الحموي المعتمد على الخصائص الكيميائية والاشعاعية لعناصر المياه الحموية وتبعا للأمراض التي يختص بها كل تصنيف في معالجة الأمراض من أجل الاستفادة بأكبر قدر ممكن من المياه الحموية في المعالجة الطبية وتفادي الهدر في المياه الحموية.
- اذن السياحة الحموية هي واحدة من الطبوع السياحية الهامة التي تزخر بها الجزائر وهي مورد طبيعي هام وجب الاهتمام به وتعزيزه لأنه يشمل حيز كبير من الثقافة المجتمعية وهو فضاء مشحن بالطقوس والممارسات الثقافية وهي بذلك تعد مادة دسمة للدراسة الأنثروبولوجية. من هذا المنطلق يمكن أن تكون هذه الارهاسات البحثية منطلق لمشاريع بحثية مستقبلا.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

- القرآن

- السنة

ثانياً: الكتب

1- الكتب باللغة العربية

1. إبراهيم محمد عباس (2013)، *السياحة و الموروث الحضاري في أنثروبولوجيا السياحة*، مصر، دار المعرفة الجامعية.
2. إبراهيم، محمد عباس وآخرون (2005)، *الأنثروبولوجيا مداخل وتطبيقات*، الأزارطية، دار المعرفة الجامعية.
3. إبراهيم، وفاء زكي (2006)، *دور السياحة في التنمية الاجتماعية*، دراسة تقييمية للقرى السياحية المكتب الجامعي الحديث
4. أرمسترونغ، كارين (2008)، *تاريخ الأسطورة*، ترجمة (وجيه، قانصو)، لبنان، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1. 132.
5. آل دغيم، خالد بن عبد الرحمان (2014)، *الإعلام السياحي ودوره في تنمية السياحة الوطنية*، الأردن، دار أسامة، ط1
6. الأحمد عواد، خالد (2011)، *عادات ومعتقدات في محافظة حمص*، دمشق، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة.
7. الأسود، السيد حافظ (2002)، *الأنثروبولوجيا الرمزية*، دراسة نقدية مقارنة للاتجاهات الحديثة في فهم الثقافة وتأويلها، الإسكندرية، منشأة المعارف.
8. الجابري، محمد عابد (1991)، *التراث والحداثة، دراسات ومناقشات*، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1.
9. الجوهرى، محمد (2005)، *الصحة والمرض وجهة نظر علم الاجتماع والأنثروبولوجيا*، القاهرة، جامعة عين الشمس.
10. الجوهرى، محمد (2006)، *مقدمة في دراسة التراث الشعبي المصري*، دبلد، دون دار النشر، ط1.
11. الحافظ أبي المحاسن، محمد بن علي بن الحسن الحسيني الدمشقي (2007)، *كتاب الإمام بأدب دخول الحمام*، البدوي، نور الدين بن سكري بن علي (حققه و أخرجه)، الرياض، دار أضواء السلف، ط1.
12. الخوري، فؤاد إسحاق (1997)، *إيديولوجية الجسد رموز الطهارة والنجاسة*، بيروت، ط1، دار الساقى.
13. الخيكاني، رائد حسن علي (2017)، *إستراتيجيات التّسويق الفندقى ودورها في الطّلب السّياحي*، الأردن، دار الأيام، ط1.

14. الرحيبي، سمر رفقي (2014)، *الإدارة السياحية الحديثة*، الأردن، الأكاديميون للنشر والتوزيع، ط1.
15. الزاهي، فريد (1999)، *الجسد والصورة والمقدس في الإسلام*، بيروت لبنان، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء.
16. الزاهي، نور الدين (2005)، *المقدس الإسلامي*، الدار البيضاء، المغرب، دار تبقال، ط1.
17. الزاهي، نور الدين (2011)، *المقدس والمجتمع*، الدار البيضاء المغرب، إفريقيا الشرق.
18. الزهيري، شريف بن عبد العزيز (2005)، *بناء مستقبل الأمة*، المنهج العلمي التربوي لتنشئة الأطفال حتى سن المراهقة، دار الصفوة، ط1، دون بلد.
19. السباعي، خلود (2006)، *الجسد الأنثوي وهوية الجندر*، الرباط، دار القلم للطباعة، والنشر والتوزيع، ط1.
20. السحيري، بن حنيرة، صوفية (2008)، *الجسد والمجتمع: دراسة أنثروبولوجية لبعض الاعتقادات والتصورات حول الجسد*، تونس، دار علي محمد للنشر.
21. السمراي، نيمية صالح (2017)، *علم النفس السياحي*، عمان، دار زهران، ط1.
22. الشبار، جهاد عيسى (2015)، *اقتصاديات السياحة والفنادق وتطبيقاتها في المملكة العربية السعودية*، الرياض، دار جامعة الملك سعود للنشر.
23. الشبلاوي، عبد الحسين موسى (2016)، *سلوك المستهلك بين النظرية والتطبيق*، الأردن، جار الأيام، الطبعة 1.
24. الشيزري، عبد الرحمان بن نصر (1946)، *نهاية الرتبة في طلب الحسبة*، نشر سيد الباز العريني، القاهرة.
25. الضباعين، أشرف عبد الله (2012)، *مواقع التراث الثقافي إدارة و سياحة و تسويق*، الأردن، وزارة الثقافة.
26. الضباعين، أشرف (2020)، *إدارة الآثار و التراث وفقا للمعايير العالمية*، الأردن، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، الجزء الثالث.
27. العشماوي، مرفت عثمان (2006)، *الطب الشعبي*، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.
28. الغانمي سعيد (ترجمة)، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية.
29. المرنيسي، فاطمة (2005)، *الجنس كهندسة اجتماعية*، أزرويل، فاطمة الزهراء (ترجمة)، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، نشر الفنك.
30. المرنيسي، فاطمة (د س)، *أحلام النساء الحريم حكايات طفولية في الحريم*، سترى، ميساء (ترجمة)، مكتبة الإسكندرية.
31. المسعودي، رياض و شمطو، سمير خليل (2017)، *دراسات في جغرافية السياحة*، الأردن، دار الأيام، ط1.
32. المناوي، عبد الرؤوف (1987)، *النزهة الزهية في أحكام الحمام الشرعية و الطبية*، صالح حمدان، عبد الحميد، (حقيقه و قدمه)، القاهرة، مصر، الدار المصرية اللبنانية.

33. الموسوي، صفاء عبد الجبار والطويل، حسين محمد علي (2016)، دالة الاستهلاك السياحي بين النظرية والتطبيق، الأردن، دار الأيام، ط1.
34. الموسوي، صفاء عبد الجبار وعلوات، شذى كاظم (2017)، التّقدّم التقني في صناعة السياحة، الأردن، دار الأيام، ط1.
35. أنسور، إيتاد عبد الفتاح (2008)، أسس تسويق الخدمات السياحية العلاجية مدخل مفاهيمي، الأردن، دار صفاء.
36. أنور، الجندي (1987)، المعاصرة في إطار الأصالة، القاهرة، دار الصحوة، ط1.
37. أوجيه، مارك وكولانين، جان بول (2008)، الأنثروبولوجيا، جورج كتورة (ترجمة)، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1.
38. إيركسون، توماس هايلاند ونيلسون، فين سيفرت (2013) تاريخ النظرية الأنثروبولوجية، العراق، منشورات الاختلاف، منشورات ضفاف، دار أوما، ترجمة (لاهاي، عبد الحسين)، ط1.
39. باشلار، غاستون (2007)، الماء والأحلام، علي نجيب، إبراهيم (ترجمة)، المنظمة العربية للترجمة والنشر، ط1.
40. بن بلة، خيرة وعزوق، عبد الكريم و بوزينة، سعيد (2014)، زوايا ومدارس الجزائر، دراسة أثرية معمارية فنية CRASC- PNR – DGRSDT، العدد 29، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرعاية.
41. بن غضبان، فؤاد (2015)، السياحة البيئية المستدامة بين النظرية و التطبيق، دار صفاء.
42. بوحديبة، عبد الوهاب (2001)، الإسلام و الجنس، (ترجمة) وتعليق العروي، هالة، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط2.
43. بوعزيزي، محسن (2010)، السيميولوجيا الاجتماعية، بيروت، لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية.
44. بيم، محمد بن حسين (1908)، الحّمّات المعدنية، مصر، مطبعة السعادة، ط1.
45. تيموثي، دالين ج وبويد، ستيفن. و (2011)، السياحة التراثية، عبد الناصر بن عبد الرحمن، الزهراني، (ترجمة)، الرياض، النشر العلمي و المطابع جامعة الملك سعود.
46. جابر، عبد الحميد جابر (1999) سيكولوجية التّعلّم، مصر، دار التّهضة العربية، ط9.
47. حماد، ابراهيم عبد القادر، عبد، محمود ناصر (2013)، مدخل إلى جغرافية السياحة، الأردن، الوراق.
48. حمادة، مصطفى عمر (2000)، دراسات أنثروبولوجية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.
49. حمزة، جنان عبد الرضا، (2017)، إدارة المشروعات السياحية، الأردن، دار الأيام، ط1.
50. خوجة، حمدان بن عثمان (2006)، المرأة، الزبيري، محمد العربي (تعريب وتحقيق)، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرعاية.
51. دابي، شوقي السيد محمد (2019)، جغرافية السياحة، مصر، جامعة قناة السويس.
52. دعبس، يسري (2009)، السياحة والمجتمع دراسات وبحوث في أنثروبولوجيا السياحة، الاسكندرية، دار الملتقى المصري للإيداع والتنمية، توزيع البيطاش وسنتر للنشر والتوزيع.

53. دوران، جيلبير (2006)، *الأنثروبولوجيا رموزها أساطيرها أنساقها*، لبنان، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات، ط3.
54. دياب، محمد وأخرون (2015)، *التنمية السياحية والسياسات المالية*، عمان، ط1.
55. رحايلية، بدر الدين (د س)، *زربية القرقور*، وزارة المؤسسات الصغيرة و المتوسطة و الصناعة التقليدية، غرفة الصناعة التقليدية والحرف لولاية سطيف، مكتب الدراسات، دار البدر للنشر والاتصال.
56. رشوان، حسن عبد الحميد أحمد (2003)، *الأنثروبولوجيا في المجالين النظري والتطبيقي*، الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث.
57. زعيبي، مراد (2007)، *مؤسسات التنشئة الاجتماعية*، دار قرطبة ط1، المحمدية، الجزائر.
58. سالم، أمينة عبد الله علي (2015)، *أثر السياحة في تطوير بعض الحرف و الصناعات التقليدية دراسة أنثروبولوجية*، مصر، دار العلم و الإيمان.
59. سرحان، نائل موسى محمود (2011)، *مبادئ السياحة*، عمان، دار غيداء.
60. سعادة، جعفر يوسف (2000)، *التربية السياحية*، القاهرة، دار الكتاب الحديث، ط1.
61. سعد الله، نجوى عبد الحميد (2002)، *دراسات بيئية في المجتمع المصري*، مصر، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، ط1.
62. سكوت، جون (2009)، *علم الاجتماع المفاهيم الأساسية*، محمد، عثمان (ترجمة)، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1.
63. سلامة، إلياس والريماوي عمر (1997)، *مياه الاستشفاء في الأردن*، الأردن، وزارة السياحة
64. شاكر، عبد الحميد (2018)، *الحلم و الرمز و الأسطورة*، مصر، نوستالجيا للإعلام و الترجمة و النشر، ط1.
65. شربي، عبد العزيز (2007)، *الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر*، وهران، الجزائر دار العرب للنشر والتوزيع.
66. شوقي، منال عبد المعطي أحمد (2011)، *جغرافية السياحة*، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الإسكندرية، ط1.
67. طوالي، نور الدين (1985)، *الدين والطقوس والتغيرات*، وجيه البعيني (ترجمة)، بيروت، منشورات عويدات، ط1.
68. طوالي، نور الدين (1988)، *الدين، الطقوس والتغيرات في الجزائر*، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1.
69. ظاهر، فضل والشيخلي، فاضل و الطريحي، جعفر (2017م)، *الاستقرار الأمني في تنمية القطاع السياحي*، الأردن، دار الأيام، ط1.
70. عباد، صالح (2005)، *الجزائر، خلال الحكم التركي، 1514-1830*، الجزائر، دار هومة.
71. عبد الحكيم، محمد صبيح والديب، حمدي أحمد (2012م)، *جغرافية السياحة*، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.

72. عبد الغني، عماد، (2006)، *سوسيولوجيا الثقافة، المفاهيم والإشكالات من الحداثة إلى العولمة*، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى.
73. عبد الغني، ألفت (2013)، "العمارة الرومانية"، جامعة حلوان، كلية الهندسة - المصرية، قسم الهندسة المعمارية، تاريخ العمارة، الفرقة الأولى.
74. عدلي، أنيس سليمان (2009)، *السياحة العلاجية في مصر والعالم دراسة جغرافية*، جامعة القاهرة.
75. علام، ابتسام وآخرون (2001)، *الصحة والبيئة دراسات اجتماعية واثربولوجية*، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، القاهرة، ط1.
76. غيرتر، كليفوردي (2009)، *تأويل الثقافات، مقالات مختارة*، بدوي، محمد (ترجمة)، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى.
77. غيرتر، كليفوردي (1993)، *الإسلام من وجهة نظر علم الإناسة التطور الديني في المغرب وإندونيسيا*، أبو بكر أحمد، باقادر (ترجمة) للكتاب "الإسلام ملاحظاً"، بيروت، دار المنتخب العربي، ط1.
78. فاروق، أحمد مصطفى (2008)، *الأنثروبولوجيا ودراسة التراث الشعبي*، دراسة ميدانية، دار المعرفة الجامعية، الهيئة المصرية للكتاب، الإسكندرية.
79. فراس، السواح (2001)، *الأسطورة والمعنى دراسة في الميثولوجيا و الديانات المشرقية*، دار علاء الدين للنشر والتوزيع، دمشق، ط2.
80. فهيم، حسن (1986)، *قصة الأنثروبولوجيا فصول في تاريخ علم الإنسان*، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة.
81. فولف، كرستوف (2009)، *علم الأناسة التاريخ والثقافة والفلسفة*، أبي يعرب، المرزوقي (نقله)، أبو ظبي، الدار المتوسطة، ط1.
82. قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية (2009)، *الأسطورة توثيق حضاري*، دار كيوان، سوريا، ط1.
83. قيرة، إسماعيل، وآخرون (د، س)، *التصورات الاجتماعية ومعانات الفئات الدنيا*، الجزائر، دار الهدى.
84. كافي، مصطفى يوسف (2014)، *إدارة الموارد البشرية في المنشآت السياحية والفندقية*، عمان، مكتبة المجتمع العربي، ط1.
85. كافي، مصطفى يوسف (2017)، *مدخل إلى علم السياحة*، الجزائر، ألفا للوثائق، ط1.
86. كايوا، روجي (2010)، *الإنسان والمقدس*، بيروت لبنان، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية.
87. كريس، هان وكيث، هارت (2004م)، *الأنثروبولوجيا الاقتصادية التاريخ والإثنوغرافيا والنقد*، ترجمة (عبد الله، فاضل)، بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1.
88. كريم، فضيلة (2007)، *الحمامات، موجز تاريخ الحمامات*، ترجمة يوسف حصرية، دار النشر دحلب، الجزائر.
89. كواش، خالد (2007)، *السياحة*، مفهومها أركانها أنواعها، الجزائر، دار التنوير، ط1.

90. كوش، دنيس (2007)، *مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية*، منير، السعيداني (ترجمة)، بيروت، دراسات مركز الوحدة
91. لوپرتون، ديفيد (1997)، *أنثروبولوجيا الجسد والحداثة*، صاصيليا، محمد (ترجمة)، بيروت، لبنان، مجد المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، ط 2.
92. ماكنتوش روبرت، وآخرون (2002)، *بانوراما الحياة السياحية*، ترجمة (عطية محمد شحاتة)، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ط 1.
93. محجوب، محمد عبده (د.س) *الاتجاه السوسيولوجي في دراسة المجتمع*، الكويت، وكالة المطبوعات.
94. مرسيا، إيليا (1991)، *مظاهر الأسطورة*، ترجمة (مهاد، خياطة)، دمشق، دار كنعان للدراسات و النشر، ط 1.
95. مصطفى، تلوين (2011)، *مدخل عام في الأنثروبولوجيا*، لبنان، دار الفرابي.
96. معهد التخطيط القومي (2019)، "سياحة التراث الثقافي مع التطبيق على القاهرة التاريخية، سلسلة قضايا التخطيط والتنمية رقم 302، مصر.
97. نخلة، منى يوسف (د.س)، *علم الآثار: في الوطن العربي "مدخل"*، طرابلس، منشورات جروس برس .
98. هول، كولن مايكل (2003)، *السياحة والسياسة مدخل إلى التنمية السياحية الرشيدة*، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ط 1.
- 2- الكتب بالأجنبية

99. Abric, J. C. (2003), *Méthodes d'étude des représentations sociales*, Editions ères, France.
100. Chebel , M.(2013), *L'imaginaire arabo-musulman* ,ALGER ,édition sedia ,2è édition ..
101. Golvin ,L.(1985), « Le legs des ottomans dans le domaine artistique en Afrique du nord », *Revue de l'occident musulman et de la méditerranée*, n° 39, (p.201-226).
102. Hanriot, M .(1911), *Les Eaux Minérales DE L'Algérie*, Gouvernement Général De L'Algérie, PARIS.
103. L'European Spas Association, (2020), *Le guide du thermalisme Des stations thermales Françaises*, France, Les Thermalismes le Salan de l'Eau &du Bien-Être , édition45.
104. LANQUAR, R .(1994), *Sociologie du tourisme et des voyages*, France universitaires de France, 3 édition.
105. Meyer, C .(2007), *Une histoire des représentations mentales. Contribution à une archéologie de la société de la connaissance* ,L'harmattan, Paris.
106. Taraki, Z. B. (1994), *Les Lieux Du Corps En Islam*, Préface de Jacques Berque, Paris, Edition Publieur.

ثالثا: القواميس والمعاجم والموسوعات

1- باللغة العربية

1. ابن منظور، محمد بن مكرم (2005)، *لسان العرب*، ج 1، بيروت، دار صادر، ط.4.
2. —، *لسان العرب*، ج 3، بيروت، دار صادر، ط.4.
3. —، *لسان العرب*، ج 4، بيروت، دار صادر، ط.4.
4. —، *لسان العرب*، ج 7، دار صادر، لبنان، ط 4
5. —، *لسان العرب*، ج 10، بيروت، دار صادر، ط 4.
6. —، *لسان العرب*، ج 11، بيروت، دار صادر، ط 4.
7. —، *لسان العرب*، ج 14، بيروت، دار صادر، ط.4.
8. —، *لسان العرب*، ج 15، دار صادر، بيروت، ط.4.
9. إكيه هولتكرانس (1972)، *قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفولكلور*، ترجمة محمد الجوهري، حسن الشامي، دار الأمل للنشر والتوزي، ط.2.
10. بوزيدة، عبد الرحمان (2005)، *قاموس الأساطير الجزائرية*، الجزائر، منشورات CRASC.
11. بونت، بيار وإزار، ميشال (2006)، *معجم الإثنولوجيا و الأثنوبولوجيا*، ترجمة (مصباح، الصمد)، بيروت، المعهد العالي العربي للترجمة، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات، الطبعة الأولى، ص.380.
12. بينيت، طوني وآخرون (2010)، *مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع*، سعيد، الغانمي (ترجمة)، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1.
13. تولرا، فليب لابورت وفارنييه، جان بيار (2004)، *إثنولوجيا أنثروبولوجيا*، مصباح الصمد (ترجمة)، لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع مجد.
14. سهيل، إدريس (2011)، *المنهل قاموس فرنسي عربي*، لبنان، دار الآداب.
15. شبل، مالك (2000)، *معجم الرموز الإسلامية*، شعائر - تصوف - حضارة، الهاشم أنطوان (نقله للعربية)، دار الجيل.
16. مصلح، الصالح (1999)، *الشامل قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية*، انجليزي - عربي، دار عالم الكتب، ط1، الرياض، المملكة العربية السعودية.
17. مكتب الدراسات والبحوث (2006)، *القاموس المزدوج*، لبنان، دار الكتب العلمية، ط 3

2- باللغة الأجنبية

18. Boudon, R. & autres (2005), *Dictionnaire de Sociologie*, Bussiere, France .
19. Camps , G ., « Hammam Guergour », In Encyclopédie berbère, 22 | Hadrumetum – Hidjaba [En ligne], mis en ligne le 01 juin 2011, consulté le 18 septembre 2015. URL : <http://encyclopedie.berbere.revues.org/1649>
20. Gilles F. et autres. (2002), *Dictionnaire de sociologie*, ARMAND COLIN ,3édition,PARIS.

رابعاً: الرسائل الجامعية

1- باللغة العربية:

1. العبيسات، زياد سليمان (2012)، تقييم السياحة العلاجية في الأردن، إشراف كابد عثمان أبو صبحة الأطروحة، قدمت لاستكمال شهادة الدكتوراه في الجغرافيا كلية الدراسات العليا الجامعة الأردنية.
2. بن زيان، خيرة (2017)، المرأة والفضاءات الاجتماعية الحمام، السوق، الحلاقة، دراسة ميدانية لمدينة حمام بوحجر، أطروحة دكتوراه علوم في علم الاجتماع، عايدي، عبد الكريم (إشراف)، جامعة وهران2، منشورة.
3. بن عبد الله، زهية (2015)، الجسد و الجندر الحدائ ورهانات الزينة والتزيين دراسة سسيو- أنثروبولوجية لتمثالات وممارسات العناية الصحية والجمالية بالجسد في الجزائر، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم و الأنثروبولوجيا، بن غبريط نورية (إشراف)، جامعة وهران2، كلية العلوم الاجتماعية، منشورة
4. خليل، أسماء (2016)، دور السياحة الحموية في تحقيق التنمية المحلية، دراسة حالة ولاية قالمة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث، إشراف (شريف غياط).كلية العلوم الاقتصادية و التجارية و علوم التسيير، قسم العلوم التجارة، تخصص تجارة دولية و تنمية مستدامة، منشورة.
5. شربتجي، أولغا (2010)، بناء المنظمة المتعلمة كمدخل لخلق السياحة العلاجية في سوريا دراسة ميدانية مقارنة، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في قسم إدارة الأعمال، جامعة حلب.
6. عميش، سميرة (2015)، دور استراتيجية الترويج في تكييف و تحسين الطب السياحي الجزائري مع مستوى الخدمات السياحية المتاحة خلال الفترة 1995-2015، إشراف (صالح، صالح)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في العلوم الاقتصادية، بكلية العلوم الاقتصادية و التجارية و علوم التسيير، جامعة فرحات عباس سطيف 1، منشورة
7. عونيان، عبد القادر (2013)، السياحة في الجزائر، الإمكانيات و المعوقات (2000-2025) في ظل الاستراتيجية، السياحة الجديدة للمخطط التوجيهي للتهيئة السياحية 2025 SDAT، إشراف (باشي، أحمد) جامعة الجزائر، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم، كلية العلوم الاقتصادية و علوم التسيير و العلوم التجارية، تخصص نقود و مالية، منشورة.
8. عياشي، عبد الله (2016)، إستراتيجيات تنمية السياحة البيئية في الجزائر من منظور الاستدامة خطيرة الطاسلي بولاية إليزي أنموذجا، إشراف، (عبد الحميد، بوخاري)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التحليل الاقتصاد بالعلوم الاقتصادية، كلية العلوم الاقتصادية و التجارية و علوم التسيير، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، منشورة.
9. مساني، صورية (2019)، الاستثمار السياحي كبديل استراتيجي كمرحلة ما بعد البتور دراسة حالة الجزائر للفترة 1995، 2014 دراسة قياسية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم الاقتصادية، تخصص اقتصاديات الأعمال و التجارة الدولية، إشراف (عمر، جنينة)، جامعة فرحات عباس 01، قسم العلوم الاقتصادية، منشورة.

مفاتيح، يمينة (2018)، أثر الابتكار السياحي على التنمية السياحية حالة إقليم الأهقار بالجزائر ودوز بتونس، إشراف (محمد، حمزة بن قرينة)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه طور الثالث تخصص تسويق استراتيجي و الابتكار، قسم العلوم التجارية، كلية العلوم الاقتصادية و التجارية و علوم التسيير جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، منشورة.

2- باللغة الأجنبية

1. Li ,l. (2012) , Les pratiques touristiques des touristes Français en Chine, Directeur de Thèse (Philippe ,Violier) , Géographie. Ecole doctorale d'Angers, Français .
2. Mostefai , A. (1956) ,Le Poste d'observation Crenotirapique du Guergour ,Thèse de Doctorat en Médecine, Université d'ALGER ,faculté mixte de médecine et de pharmacie n04.
3. Qianyan ,S. (2013) , Les pratiques touristiques en voyage auto-organise en chine, Directeur de Thèse (Philippe ,Violier) , Géographie. Université d'Angers, Français.

خامسا : المجلات والمنشورات

1- باللغة العربية

1. أبو تاية، عايدة و محمد، النعيمات (2018) " دور التراث غير الملموس في تعزيز الهوية و الخصوصية الثقافية مقاربات نظرية " الأوراق العلمية المحكمة الخاصة بالمؤتمر الدولي، تراثنا بين الاستدامة و الأزمات المنعقد في (9-11) أبريل 2018. كلية العلوم الاجتماعية، جامعة مؤتة، الأردن ط1.
2. أبوليلة، محمد محمد شوقي والبرقاوي، وديع بن علي (2019) " منهجيات الحفاظ على التراث العمراني و المعماري في الدول العربية "، مجلة باحث في العمارة و الهندسة و التكنولوجيا، جامعة أم القرى، DOI: <http://www.ierek.com/press> 10.21625/baheth.v2i1.422
3. أقيس، كلثوم(2013)، "الشريك المثالي بين الواقع والمخيال دراسة لتمثيلات شباب بمنطقة وهران"، *إنسانيات*، عدد62، (ص56،39) مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، أكتوبر – ديسمبر.
4. الحبازي، مشهور عبد الرحمان(2011)، " شعر وصف الحمامات في القرنين السادس والسابع الهجريين دراسة موضوعية"، *مجلة جامعة دمشق*، المجلد27، العدد الثالث والرابع،(ص115-155).¹ فكروني، زاوي. (2018). "التنمية المستدامة بين المفهوم ومُتطلّبات التطبيق، قراءة سُوسيولوجية". *المجلة المغربية للدراسات التاريخية والاجتماعية*، مجلد 09، العدد01.
5. الحبشي، علاء(2014)، "الحمامات التاريخية بين الحماية وإعادة التأهيل"، *مجلة إنسانيات*، السنة الثامنة عشرة – عدد مزدوج63-64، وهران، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية جانفي- جوان.
6. الزين، محمد (2012)، " نظرة على الأحوال الصحية بالجزائر العثمانية في أواخر عصر الدايات"، *مجلة الواحات للبحوث و الدراسات*، العدد 17، قسم التاريخ جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس،(ص.129-135).
7. العساسي، أحمد بهي الدين (2017)، " التراث الثقافي غير المادي في عالم متغير "، *مجلة مراود*، العدد45.

8. العيسوي، محمد عبد الفتاح (2012)، " الإرتقاء بالنطاقات التراثية ذات القيمة " دراسة مقارنة لسياسات الحفاظ على التراث العمراني " المؤتمر و المعرض الدولي الثالث، دبي.
9. الفضلي، مثنى فليفل والنقيب، سلمان وسمارة، عبد الرسول (2012)، " الخدمات العامة في الأندلس(92- 316هـ)/(709-929هـ) "، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد، قسم التاريخ. الفضلي، مثنى فليفل سلمان، النقيب، سمارة عبد الرسول،
10. القضاة، حسن صالح سليمان والطالبي، غسان سالم (2009)، "السياحة الطبيعية العلاجية على الاقتصاد الوطني الأردني، دراسة ميدانية من وجهة نظر العاملين في بعض المستشفيات الخاصة الأردنية"، *مجلة القادسية للعلوم الإدارية والاقتصادية*، المجلد 11، العدد 4.
11. المحواشي، منصف (2010م)، "الطقوس وجبروت الرموز: قراءة في الوظائف والدلالات ضمن مجتمع متحول"، *مجلة إنسانيات*، العدد 49.
12. بدوي، أحمد موسى (2009)، "ما بين الفعل والبناء الاجتماعي، بحث في نظرية الممارسة لدى بيير بورديو"، *مجلة إضافات*، العدد 8، خريف، مصر.
13. بشيرة، عالية (2018)، "إسهامات المنهج التاريخي والنظرية الوظيفية في التنمية السياحية، دراسة نظرية تحليلية في سوسيولوجيا السياحة" *مجلة تطوير*، المجلد 5، العدد 1.
14. بن أشهو، سيدي محمد وقصاص، زكية (2012)، "واقع السياحة العلاجية الطبيعية في الجزائر، دراسة حالة الحمامات المعدنية حمام بو غرارة تلمسان"، *مجلة دفاتر بوداكس*، المجلد 01، العدد 02.
15. بن حمو، محمد (2013)، "خصائص الحمامات العثمانية في الجزائر من خلال نماذج مقارنة بالحمامات المرابطية و المرنية"، *دورية كان التاريخية*، العدد العشرون، يוני، السنة الخامسة شتاء، (ص.150-157).
16. بن شريف، كريمة ورايس، عبد الحق (2019)، "دور الابتكار التسويقي في السياحة العلاجية دراسة ميدانية للمركب السياحي "حمام الصالحين بسكرة"، *مجلة الاقتصاديات المالية والبنكية وإدارة الأعمال*، مجلد 5، العدد 1، بسكرة.
17. بن عبد الله، زهية (2015)، "الجسد والعناية الصحية به في رحاب حضرات الماء: قراءة أنثروبولوجية لعادات الاغتسال في التراث المتوسطي"، *مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية*، الجزائر، العدد 18، مارس.
18. بن عمر، حافظ (2014)، "مقاربة سوسيولوجية لظاهرة السياحة والترفيه، هل تحتاج السياحة والترقية لعلم الاجتماع"، *مجلة إضافات*، العددان 26، 27.
19. بوزرب، خير الدين وعريس، عمار (2017)، "تنمية السياحة العلاجية كمدخل لتطوير القطاع السياحي قراءة في بعض التجارب الدولية الرائدة مع إمكانية استفادة الجزائر منها"، *ملتقى القطاع السياحي في الجزائر الواقع والمأمول*
20. بوفاس، شريف وبن خديجة، منصف (2014)، "ترقية تسويق المنتج السياحي في الجزائر: الواقع والتحديات"، *ملتقى المقاولاتية وتفعيل التسويق السياحي في الجزائر -22-23 أفريل كلية العلوم الاقتصادية التجارية وعلوم التسيير -جامعة 8 ماي 1945 قالمة -الجزائر*.

21. بوقفة، صبرينة (2017)، "الطقوس والممارسات العقائدية في المجتمع الشعبي بولاية تبسة ودلالاتها الاجتماعية"، *مجلة الثقافة الشعبية*، العدد39.
22. بومدين، سليمان (2003)، "المعنى الاجتماعي للمرض"، *مجلة العلوم الإنسانية*، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، العدد20ديسمبر.
23. بووشمة، الهادي(2014)،*الحمام الشعبي بتلمسان*، مجلة إنسانيات الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، الحمام في البلدان المتوسطية، السنة الثامنة عشرة – عدد مزدوج63-64 جانفي- جوان 2014، كراسك، وهران، الجزائر، (ص143-166).
24. جودات، محمد (2013)، *الواقعي و الأسطوري في الثقافة الشعبية المغربية*، أوراق مؤتمر فيلادلفيا الدولي السادس عشر، منشورات جامعة فيلادلفيا، *الثقافات الشعبية دراسات في العادات و الفنون و الإعلام*، مراجعة و تحرير صالح أبو أصعب، محمد عبيد الله.
25. حامد، سامح محمد (2019)، " حماية التراث الثقافي "، *مجلة باحث في العمارة و الهندسة و التكنولوجيا*، على الموقع <http://www.ierek.com/press> DOI: 10.21625/baheth.v2i2.548
26. حجام، العربي وطري، سمية (2019)، "التنمية المستدامة في الجزائر: قراءة تحليلية في المفهوم والمعوقات"، *مجلة أبحاث ودراسات التنمية*، المجلد 06، العدد01.
27. حميدوش، علي وهولي، رشيد (2018م)، "الدور التنموي للسياحة في البلدان المغربية"، *مجلة اقتصاديات شمال إفريقيا*، الجزائر، المجلد 14، العدد 18.
28. خمار، زديرة وعمار سيدي، دريس (2014م)، "أبعاد السياحة وعلاقتها بالعملة"، أعمال ملتقى *التنمية السياحية وعلاقتها بالتنمية المحلية والمجتمعية بالجزائر*، جامعة الطارف، قسم علم الاجتماع.
29. خنتار، نوال وقلش، عبد الله (2019م)، "تقييم أداء قطاع السياحة الجزائري في ظل المخطط التوجيهي للتهيئة السياحية، دراسة مقارنة مع مجموعة من الدول العربية"، *مجلة الاقتصاد والمالية*، المجلد 05، العدد 1.
30. رحاب، مختار (2015)، *المحددات الاجتماعية الثقافية لتحقيق التنمية المستدامة*، قراءة من منظور الأنثروبولوجيا المعاصرة، جامعة مسيلة، *مجلة الحقيقة*، مجلد 14، العدد32.
31. رفعت، رولى أبو خاطر (2014)، "الحمامات التقليدية ضمن النسيج العمراني للمدينة الإسلامية دراسة مقارنة في عدة مدن متوسطة"، *مجلة إنسانيات*، عدد مزدوج63-64، وهران، جانفي- جوان، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، (ص67-96).
32. ريوقي، سليمة (2018)، " واقع السياحة العلاجية في الجزائر و طموحاتها المستقبلية " *مجلة الدراسات الاقتصادية و المالية*، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، المجلد 11، العدد 01.
33. زايد، مراد وتويزة، بلقاسم، (2014)، "المزيج الترويج وأهميته في تنشيط السياحة العلاجية بالجزائر، حالة مؤسسة التسيير السياحي لحمام ريغة"، *مجلة علوم الاقتصاد والتسيير والتجارة*، المجلد 2، العدد29.
34. سرقمة، عاشور(2011)، "تاريخ الثقافة والحياة الاجتماعية في الصحراء الكبرى الصحراء الجزائرية نموذجاً"، *مجلة الواحات للبحوث والدراسات*، العدد15، غرداية، (ص189-202).

35. سويلم، محمد، وبوحادة، محمد سعد (2018)، " الحماية القانونية للموروث الثقافي المادي و أثرها في ترقية الاستثمار السياحي بالجزائر"، *مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية*، المجلد 07، العدد 05¹ بلبليدية، فتحة نور الهدى (2018)، " الموروث الثقافي و إشكالية الجذب السياحي قراءة في الإمكانيات والتحديات " *مجلة تنوير*، العدد 07.
36. صبيحي، شهيناز (2017)، "العولمة السياحية- الإمارات العربية المتحدة نموذجا"، *مجلة آفاق علوم الإدارة والاقتصاد*، العدد 01.
37. عبد الرزاق، صالح محمود(2008)، "زيارة الأضرحة والمرقد ضريح عمر مندان أنموذجا) دراسة اجتماعية طبية"، *مجلة دراسات موصلية*، العدد التاسع عشر، (ص.118-ص148).
38. عبد الغني، محمد السيد محمد (2010)، "نظرة الأثينيين إلى الأسطورة"، *مجلة عالم الفكر العربي*، الأسطورة، المجلد 40 الكويت.
39. عثمان، محمد عبد الستار، (2001)، "فقه الحمامات في العصر العثماني، دراسة تطبيقية على ثلاثة من الحمامات في صعيد مصر"، التميمي، عبد الجليل (إشراف و تقديم)، *التأثيرات الأوروبية على العمارة العثمانية و آليات الحفظ والترميم*، زغوان، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي و المعلومات، أوت، (ص.277-344).
40. عجيل، عبد الكريم كاظم (2019)، "أهمية الثقافة السياحية لتنمية السياحة الدينية في العراق"، *مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية*، المجلد 06، العدد 01.
41. عشي، صليحة (2018)، "العولمة وتوسّع نطاق صناعة السياحة"، *مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية*، العدد 29.
42. عطوي، نعيمة (2014)، "عولمة الإعلام والصورة السياحية انتصار أم وهم"، *أعمال الملتقى التنموية السياحية وعلاقتها بالتنمية المحلية المجتمعية بالجزائر*، جامعة الطارف، قسم علم الاجتماع.
43. غراز، كرستوف (2009)، "الحفاظ الوقائي، ممارسة يجب الحفاظ عليها" برنامج التراث الأوروبي المتوسطي Connecting، العدد 2.
44. غياط، شريف و خليل، أسماء (2017)، "السياحة العلاجية في الجزائر لتحقيق التنمية المحلية ولاية قالمة نموذجا" *مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات*، مجلد 2، العدد 41.
45. قيطون، أحمد (2012)، "حضور الماء في الشعر الجزائري المعاصر"، *مجلة مقاليد*، العدد الثالث، ديسمبر، جامعة ورقلة، (ص.151-139).
46. كارلي، عمر (2014)، "الرهانات الاجتماعية للجسد، الحمام المغاربي (في القرنين التاسع عشر والعشرين) بين الدوام والزوال و الإحياء"، داود، محمد (ترجمة)، *مجلة إنسانيات*، عدد مزدوج 63-64، وهران، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، جانفي- جوان، (ص.97-142).
47. كواش، خالد (2004)، "مقومات و مؤشرات السياحة في الجزائر"، *مجلة اقتصاديات افريقيا*، العدد 01، مخبر العولمة و اقتصاديات شمال إفريقيا، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة حسية بن بوعلي بالشلف، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

48. لعرج، عبد العزيز (2003-2004)، " التراث الثقافي و السياحة "، دراسات في العلوم الإنسانية و الاجتماعية، الجزائر، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 5 خاص
49. لغرس سوهيلة (2012م)، "الأبعاد الاجتماعية والنفسية للطقوس الدينية نموذجاً"، مجلة الفكر والمجتمع، الجزائر، العدد 14.
50. مشتر، فطيمة وعوينان، عبد القادر (2019م)، "الآثار التنموية لقطاع السياحة في ظل المخطط التوجيهي للتهيئة السياحية SDAT 2030"، مجلة العلوم الاقتصادية والتسيير والعلوم التجارية، المجلد 12، العدد 02.
51. معراج، هواري وجردات، محمد سليمان، (2004م)، " السياحة وأثرها في التنمية الاقتصادية العالمية حالة الاقتصاد الجزائري"، مجلة الباحث، عدد 1.
52. ناوري، يوسف (2015)، "السجاد المغربي تقاليد الصنعة أمام تحديات الزمن"، مجلة الثقافة الشعبية ثقافة مادية العدد 28، السنة الثامنة، البحرين، رسالة التراث الشعبي من البحرين إلى العالم والمنظمة الدولية للفن الشعبي Ivo، دار الأيام للنشر والتوزيع، شتاء، (ص.184-155).
53. هنشيري، إيمان (2017)، " الموروث الثقافي الجزائري الواقع و الآفاق " مجلة حوليات التراث، العدد 17، جامعة مستغانم، الجزائر.

2- باللغة الأجنبية

54. Bakhouch ,M (2009), « La Poésie Relative au hammam dans hada'iq al-namman fi l-kalam ala ma yata allaq bi-l-hammam de ahmad b.muhammad al-haymi al-kawkabani m.1153-1741 les personnages », *Hal Id :halshs-00402303* ,7 jul 2009.
55. Bella , S. (2018), « Le voyage à Alger dous les gvides touristiques frnancais au XXE siècle », *Diacronie studidi di storia contemporanea*, N 36, 4 , [en ligne], p.13.
56. Benkheira, M .H .(2007/3), « Hammam, nudité et ordre moral dans l'islam médiéval (I) », *revue de l'histoire des religions*, France, (p.337-338).
57. BOUDIA, F. M. (2009 SEP-OCT), « Entreprise de ggestion touristique de themcen : thermalisme et tourisme de sante retour aut sources ; *escale ; tourisme magazine* ;M20(P48-51) .
58. Boufassa , S. (2008), "Architecture des établissements thermos un en Algérie durant le XIXe Siècle Refletnocentrique du Système colonial" *Diacronie studi di storia contemporanea*, N 33, 1[en ligne].
59. Boughlali ,M. (2003), « Thermalisme et thalassotherapie en algerie », société française d'hydrologie et de climatologie médicales ,*presse therm climat*,(p161-165),
60. Burns, G.L (2004), « Anthropology and tourism Past contributions and Future theoretical challenges », *Australia, Queensland*, Griffith University, p7.
61. Carlier,O.(2000), « Les Enjeux Sociaux du corps , le Hammam Maghrébin (19-20 siacle) lieu pérenne ,menacé ou recréé » *in annales, Histoire ,Sciences*

- sociales*, 55 année, n°6, Nov-Déc 2000, paris ,Editions de l'Ecole des hautes Etudes en sciences Sociales,(p.1303-1333).
62. Cousin, S. Et Apchain, T.(2016), « tourisme et anthropologie :un tango de l'altérité », *mondes dutourisme*,[on line]
63. Cravatte, C., (2009) , «Anthropology of Tourism and Authenticity. Analytical Category or Indigenous Cate gory? » *Cahiers d' études africaines*, p.60 3, [En ligne],mis en ligne le 25 juin 2009, consulté,23-06-2020 , <http://journals.openedition.org/etudesaficaines/18852> ; DOI : 10.4000/etudesaficaines.18852,17 :19h
64. Diafat, A. (2007 du 12 au 15 juillet), « *Potentialités et perspectives touristiques du village hammam Guergour, sétif, Algérie,Ière conférence regionale Euro-méditerranéenne architecture traditionnelle méditerranéenne présent et futur* , RehabiMed ,Barcelone ,(p179-181).
65. Émile G. P. (1988), A la recherche de hammam –Bou- hadjar :extrait de hammam Bou -hadjar ,petite chronique de mon village algérien , édition trenscomp ,Montpellier
66. Larbi ,B.(2009 sep-oct), «Hammm Mélouane :Un site chanteur », *escale tourisme magazine* , n° 16, (p58-59).
67. Leite, N.& Graburn, N. (2010), « l'anthropologie pour étudier le tourisme », *Mondes de tourisme* ,[En ligne].
68. Michaud ,J. (2001), « Anthropologie ,tourisme et sociétés locales au fil des Textes » ,*Anthropologie et sociétés*, vol,25 n°2.
69. Mohamed Belarbi Alaoui, Lidou, Fès (Maroc).
70. Ouali ,S(2008/JUIN) « Les sources thermales en algerie » ;*cder centre de Développement des Energies renouvelables* .Bulletin des énergies renouvelables. Semestriel n13. (p16-18).
71. Plault .M.,. (1946),« LE Berbere Dans La Commun Mixte Du Guergour » ,*Revue Africaine* ,Jourdan ,A Alger, Volume 90,Decembre,1945,(p.203 -207).
72. Seguy , G .(1887),le bain maure « hammam »,un an à Alger » –m-j Baudel 1887,la prostitution dans la ville d'Alger, E-A Duchesne 1853.
73. **Slimani, H . (2013)** , Le Thermalisme et le développement durable dans la région de Fés-Boulemane, D.
74. Stronza A., (2001) « Anthropology of tourism Forging New Ground for Ecotourism and other Alternatives », *Annual Review of Anthropology*, Volum, 30, by, Chicago state University.
- Thoulumas ,B. (2014), « le thermalisme au XXIE Siècle: quelles stratégies pour te Futur? », *la presse thermal et Climatique*, Société française de médecine thermale.

رابعاً: الوثائق والهيئات

1. المركب السياحي المعدني حمّام قرقور، 2019.
2. المركب السياحي المعدني حمّام قرقور، مصلحة المحاسبة، 2022.

3. المصلحة التقنية لبلدية حمّام قرقور، 2019.
4. المصلحة التقنية للبلدية حمّام قرقور، 2019.
5. مديرة الشؤون لدينية والأوقاف، جمعية سيدي الجودي، بلدية حمّام قرقور، ولاية سطيف، 2019.
6. مديرية السياحة لولاية سطيف، 2019.
7. مركب الراحة للمجاهدين مصلحة الإعلام 2019.
8. وزارة السياحة والصناعات التقليدية (2019). مخطط التنمية السياحية الحموية في الجزائر.
9. وزارة السياحة والصناعات التقليدية، مخطط التنمية السياحية الحموية في الجزائر، تقديم (الدكتور علائي)، قراءة فيه من طرف الباحث.

10. *Direction du tourisme et de l'artisanat de la wilaya de Sétif (2015) ,Schéma directeur d'aménagement touristique de la wilaya de Sétif- SDAT w -Sétif 2030.livre n°1:état des lieux-diagnostic prospectif.*

11. *OECD , (2019), the Impact of culture on tourism, Paris, French, translation of pp 3_75, only avalab le on Internet.*

12. *Sous La Direction du service des métiers et arts marocains et autres (1952),cahiers des arts et techniques d'Afrique du nord ,horizons de France, cahier n1*

خامسا: مواقع الانترنت

1. *Jean-Claude e.rosso.au cite[en line] :http://jeanyvesthorrignac.fr/wa-files/info-559-guer_our.pdf a:27/01/2016/a08:20h.*

الملاحق

الملحق أ: دليل المقابلة

مقابلة مع السياح الوافدين حول السياح العلاجية بحمام قرقور المعدني

الخصائص الاجتماعية والثقافية للفيئات الوافدة على حمام قرقور

- الجنس:
 - الحالة الاجتماعية (العائلية):
 - العمر:
 - المستوى التعليمي والثقاف
 - الدخل الشهري:
 - المهنة:
 - البلد أو المدينة الذي جاء منه السائح
- معلومات عن الرحلة السياحية العلاجية لحمام قرقور

- كيف لك أن قصدت حمام قرقور؟ من أرشدك لان تزور حمام قرقور؟
- ما هي الوسيلة التي استعملتها للتنقل إلى حمام قرقور وكيف تم التنظيم لذلك؟
- كم مرة زرت حمام قرقور؟ ما الغاية من زيارتك (ترددك) على حمام قرقور؟
- هل كلفتك الرحلة اليه كثيرا (مواصلات)، إطعام، مبيت، تذاكر، تسوق؟ وهل واجهتك صعوبات في ذلك؟

رمزية الحمام بين الاعتقاد والممارسة الاستشفائية

- ماذا يعني لك الحمام قرقور
- هل تعتقد أن اقتران الحمام بالولي الصالح جعل منه حمام مبارك (اضفى عليه القداسة) كيف ذلك؟
- هل تعتقد أن البركة في مائه من بركة الولي الصالح "سيدي الجودي".
- هل عند ترددك على الحمام "سيدي الجودي" تعتقد أنه من الواجب أن تقوم بطقوس التبرك (حنة، بخور، اشعال الشموع، تلاوة أدعية معينة...الخ) كيف ذلك؟
- هل تعتقد أن الحمام لا يزال يحتفظ بسمعة الولي وبركاته حتى اليوم كيف ذلك؟
- هل تعتقد أن مياه حمام قرقور استشفائية كيف ذلك؟

- هل أنت تدرك بقيمته العلاجية ,كيف ذلك (تجربتك)؟
- ما هي الأمراض التي يشفيها في اعتقادك؟
- ما هو تفسيرك لظاهرة الاستشفاء بمياه حمام قرقور ,في رأيك أيرجع إلى الخصائص الفيزيوكيميائية أو إلى بركة الولي الصالح سيدي الجودي.
- الحمام والسياحة العلاجية
- ما هو المرض الذي جئت من أجله للعلاج؟
- ما هو نوع العلاج الذي تم تصنيفه لك؟
- ما هي المدة التي تقتضيها للعلاج؟ وهل تعتقد أن المدة الزمنية لكل حصة علاجية كافية ، للاستفادة من العلاج؟
- ما هي درجة استجابتك للعلاج؟
- هل تزوج بين العلاج الفيزيوكيميائي ، والعلاج الشعبي (إضافة أعشاب)؟
- هل تعتقد أن المياه كفيلا بتحقيق الغاية العلاجية أم الأعشاب الطبية لها تأثير أقوى للعلاج كيف ذلك ؟
- ما هي العمليات التي تتدرج فيها خلال كل حصة علاج ؟
- هل تتبع نصائح الطبيب المعالج ؟
- أيهما تفضل الحمام التقليدي أم العصري لماذا؟
- هل ارتيادك على حمام قرقور يوفر لك الراحة النفسية والجسدية ؟
- هل تنوي المعاودة لزيارة حمام قرقور ؟
- هل عند توجيهك لحمام قرقور تتأكد من توفر الخدمات المتاحة
- ما هي نوع الخدمات والأنشطة التي تأمل توفرها
- هل تناسبك أسعار الايواء (الأكل ، الشرب ، المبيت ، رسوم الدخول).
- هل تناسبك أسعار العلاج مقارنة بالنظر إلى الأجهزة الطبية والإشراف الطبي .
- كيف هو مستوى النظافة بحمام قرقور محل دورات المياه ، والمغاسل والغاطس بأنواعها تتضمن شروط النظافة.
- كيف هي نظرتك نحو القائمين على تقديم الخدمات في حمام قرقور. أطباء ، عمال ، إداريين ومرشدين ، مدلكين .

الحمام بين الأصالة والمعاصرة

- ما هو مستوى الإعلام في حمام قرقور .
- هل أعجبتك الزيارة (المكان ، الخدمات....الخ).
- ما هي المشاكل التي واجهتك أثناء هذه الزيارة.
- هل أنت مدرك بالقيمة السياحية لحمام قرقور.
- هل تعتقد أنه تراث حموي متميز وجب المحافظة عليه.
- ما هي في اعتقادك الآليات التي يتم اتخاذها لتطوير السياحة العلاجية بحمام قرقور.
- ما هي مقترحاتك حول المحافظة على التراث الحموي قرقور وتنمية السياحة الحموية من جهة .

مقابلة مع الفاعلين بحمام قرقور:

- هل يسجل حمام قرقور حركية مستمرة للسياح.
- ما هي الفئات التي تتردد عليه.
- ما هي مقاصد السياح الوافدين على حمام قرقور.
- كيف يتم تقديم الخدمات السياحية ، للفئات التي توفد على حمام قرقور المعدني.
- ما هي المواسم التي يبلغ فيه النشاط السياحي الذروة السياحية .
- ما هي الاستراتيجيات التي تتبعونها لأجل تسيير الرحلات السياحية الوافدة على حمام قرقور.
- هل الطاقة الاستيعابية لحمام قرقور تتماشى مع نسبة الوافدين .
- هل مستوى الخدمات يحقق رضى السياح الوافدين على حمام قرقور ويزيد من الجذب السياحي.
- هل تعتقدون أن القيمة العلاجية لمياه حمام قرقور لوحدها كفيلة للتحكم في عملية الجذب السياحي.
- هل تعتقدون أن الموقع الاستراتيجي ، لحمام قرقور والمقومات الطبيعية والثقافية المقترنة به تعمل على زيادة الجذب السياحي.
- هل تعتقدون بأن حمام قرقور المعدني يعد تراث حموي متميز قد يساهم بشكل كبير في تنمية السياحة الحموية بالمنطقة وانتعاش الاقتصاد بالمنطقة (هل تمتلك المنطقة مقومات سياحية مناسبة لتحقيق التنمية بالمنطقة) هل تعتقدون أنه موروث ثقافي وجب المحافظة عليه وكيف يتم تعاملكم مع هذا التراث الحموي .
- ما هي عمليات الحفاظ على التراث الحموي قرقور التي قمتم بها أو ترونها مناسبة للتطبيق.

- ما هي الاستراتيجيات التي وضعت لتطوير هذا النمط السياحي وهل هذه الاستراتيجيات تتماشى ومبدأ الاستدامة بأنواعها الاقتصادية والاجتماعية والطبيعية والثقافية.
- ما هي مقترحاتكم حول التنمية المحلية بحمام قرقور وإشكالية المحافظة على التراث الحموي قرقور.
- ما هي الاساليب الحالية المتبعة للحفاظ على هذا التراث الحموي.
- ما هي في رأيكم فرص تطوير هذا النمط من السياحة هل تستفيدون من خبرات عالمية في دعم النشاط السياحي الحموي بالمنطقة.
- ما هي التحديات التي تواجه مستقبل السياحة الحموية والحفاظ على هذا التراث الحموي بالمنطقة.
- هل يعد في نظرك أن الحمام المعدني قرقور من بين المعالم الهامة محليا وطنيا وعالميا؟
- هل تعتقد أنه من الضروري إدخال بعض التعديلات العصرية على الحمام ؟
- ما هي نظرتك المستقبلية لحمام قرقور المعدني؟

ملحق ب: نموذج من المقابلات

الحالة: امرأة

العمر: 72 سنة

المهنة: أستاذة جامعية إنجليزية

المدينة: بومرداس الجزائر.

متزوجة، لها 3 أبناء

الغرض: العلاج والترفيه

حضرت السيدة رفقة زوجها إلى حمام قرقور المعدني وهي مقيمة فيه وقد تبين أنها تزور حمام قرقور منذ 40 سنة من الثمانينات من القرن الماضي وقد أورثت ذلك لكامل عائلتها الصغيرة والممتدة لأنها ترى أن حمام قرقور جنة فوق الأرض وماله من خيرات وقيمة علاجية المتمثلة في مائه الحموي له القدرة على الشفاء، وايضا مناخه ومناظره وحتى طابعه الاجتماعي والثقافي الذي يتكون منه المنطقة له قيمة جمالية

وهي ترى أن الإنسان كونه موظف له القدرة على أن يخصص لنفسه إمكانية الاستفادة من الحمامات وخصائصها العلاجية

ادلت الحالة باستياء بأن بعض الحمامات وطابع الخدمات لا من حيث الإمكانيات المادية ولكن البشرية امثال حمام ريغة تلمسان كذلك مركز العلاج بمياه البحر سيدي فرج وقد ركزت على طابع العلاقات والتعاملات ، حيث أنها أكدت على افتقارهم لثقافة التعامل بالرغم أنه فضاء ذو جودة وقيمة عالية " كلش مليح" بصح المعاملة فيها التكبر عكس ذلك هنا في سطيف حمام قرقور البساطة في التعامل ، والاحترام والاهتمام يسقسوك كشما خصك ، يعاونوك ، عندهم ثقافة الاستعلام والضيافة وتقديم العون " كذلك يعجبني التقليدي خاطر من la source (المنيع) . ويعود للرومان خاصة كي ديري ظهرك في la Bouche (فم) الشرشار تاع الماء والسخونية تاعو قاوية وتلاقي بظهرك راه يعالجك، كل مرة نجي نروح ليه وهذه المرة نسقي عليه يقولو مزال ما فتحش، إن شاء الله نروح ليه راهوم يقولو يفتح هذه السمانة، كنت نجي مع الفاميلية (العائلة)، وخاوتي وولادي ... والأحفاد نعملو programme برنامج اليوم فتحملو في الصباح ونديرو les soins بعدها نتمشاو بعدها نرجعو نروحو للفيلاج le vilage ونزلو لسيدي الجودي ثم نرجعو ناخذو فيها حمام ثم نتعشاو ثم نرقدو وهكذا "

كي جيت اول مرة لحمام قرقور كنت قررت نقعد سمانة une somaine قاتلي

الطبيبة -لا- (àlor) مراحش تستفادي من الحمام والماء تاعو لانه في السمانة الاولى راح يتحلو عظامك وفي السمانة الثانية يدخل الدوا فيهم والسمانة الثالثة (21يوم) يتغلغو عظامك وبهذا تستفادي من الدوا فبقيت زوج سمانات خرين بالرغم من أني مكنتش مبرمجتها.

أما الخدمات انا عندي مليحة خاطر مراحش تلقاي كدارك لكن الإنسان ميطلبش المستحيل، بما هو ممكن الحق هنا يعاونو مليح، عندك مثلا المطعم الماكلة نقيه، زيد التقديم مليح يتحيرو عليك ويسقسو إذا احتجتي شي يقادرو الصغير والكبير وخاصة ضرك راهي مبقاتش غير الكبار راه كل الناس تجي لبلادنا ميليقش تخدمي فيها بالخدع لازم الاتقان والحب مراحش يلقاو غير بلادهم مي فالخارج راهي ذل وعبادنا يلمو غير ذلهم.

" يقلك شوية من الحنة وشوية من رطابة اليدين " اي الإنسان شويا من عندك وشوية من عندي مراحش تلقاي كلش il fau لازم تخدمي.

كنت ندير la cure 21 يوم لحق تشدلي عظامي براسك ما يقارب 3 سنوات، نهار كامل وانا واقفة sur tout وخاصة الخدمة تاع التعليم والجامعة راكي تعرفي ... قالي الطبيب il fau تحبسي الخدمة ولا تعتاني بروحك لانو عندي لرتروز تاع السن. ، وزيد الاستحفاظ ترفدي اوراق الطلبة فيهم 6 كيلو وزن مش ساهلة ، لحق من نجي نروح مليحة وزيد هذوك لكيني (المدلكات) لحق هما ألي عليهم الخدمة كامل تعمل مليحة وخاصة من المكملات العلاجية الأشعة الحمراء لنفرا روح ،والماساج والبرافين وغيرها راح تخليك مليحة .

لحق الخدمات مليحة ومعقولة والطبيعة مليحة بزاف وديمة نقول للعائلة شوفو وني رحت لحق يتعجبو للمكان.

_ اما الحمام التقليدي أنا نشووف انا un statoins remaine (محطة رومانية) وزيد الماء. سخون طبيعي فيه الدوا وخاصة انا فيه الولي سيدي الجودي الضريح تاعو من فوق وحتى الزاوية، حاجة مليحة بالزاف حتى رانا نعرفو واحد من احفادو طبيب في بومرداس من السلالة تاعو.

هذي قرابة 40 سنة نجي ليه مرات على 3 سنين نولي " لحق تروحي من الحمام خفيفة كي الريشة "

لحق حمام قرقور حاجة مليحة بزاف وهذي نعمة من عند ربي نحسو انا نقلهم

حمام ربي لانو تعرفي الفوائد لي فالماء بزاف مليحة انا حاجة ما تعجبي قدام الفائدة تاع الماء، الماكلة تروحي ماتكليس وقادرة تشري وحدك ولكن الماء مايكونش.

راكي تعرفي انو الكثرة كبار السن بحالي نجو للحمام خاصة المرافقة انا كنت عملت على توجيه وحدة عجوزة كبيرة مني في les couloirs الممرات (الأطروحة)

نجي مع الزوج هو يحب يمشي a par mon comme mois مقارنة بي انا نحب نجي تروحي وتشوفي عباد آخرين، حاجة وحدة أخرى وانا يخصني الحمام القديم

ولازم توري لولادك كل ما هو في بلادك وتوريلهم ، بصح مشي كيما حمام قرقور très bein, s'est un truque un trisson (حاجة جذابة بزاف) شيء مهم جدا.

_ حنا كي جينا فالثمانينات لقينا ديار قليل وهياليك وصور وذكريات للعائلة الصغيرة والكبيرة، راهوم اليوم بولادهوم وولاد والدهم، وانا غرست فيهم حب الحمام من كان وليدي عمرو 10 سنوات اليوم راهو راجل هذه 40 سنة نجيو للحمام مضنيتش ينساوه.

بدلا ميروحو يعيشو درايمهم يراحننا وحننا نجيو للحمام كل شي مليح الطبيعة المناظر، كي يجو للحمام قرقور يكبرو فيه البنقالو.

Donque ولاو يجو للحمام قرقور ولازم طمي العايلة لازم بنادم يخير كاين الحمام والماء تاعو وكاين لوتال Bein sur.، الماء فيه الفائدة

كان عند مشكل في تاع الجلد كنت ندير la crème تاع visage بريت منو، و la peau تاعي ولات مليحة، وسنو كاين بعض النقائص خص بعض الترميمات والتعديلات وبلاك الدراهم مكانش باه تعدل كل شي على ضربة.

سقساني وليد وليدي، قالي اشحال اتوال هناك الوتاع تاع الحمام قرقور قتلو تحب كي تولي تخدم انت تجيهموم (الدراهم) جيب واش تحب، ولكن في هذا الساعة مانك توريلك لوتال كيفاه عامل، لازم توريلو وتفهميلو.

منباعد قتلو واش عجبك الحال؟، قالي صح ماني والله مليح "

تروحي اوتال سانك اتوال متصبييش الضحكة ولا مساء الخير ولا صباح الخير تاع هذوك لي يعطونا الماكلة، انا غير يقولي صباح الخير نشبع مام تكون مش مليحة، ولا ناقصة واش ذنبو هو دار واش عندو ... قهوة ربع عباد مش كي قهوة 20 عبد ... انا نحب القهوة عاقدة شوي شربت ناس كافي وانا هانية par seque تمرضي روحك ولا تقعد نهار كامل ونت القهوة مش مليحة

عملت السيدة على ارتقاء أخريات معها وقالت " يقلك مكاش قلتهم مزال ماذقتوش لازم متحكيش من اول مرة وقال حنا نحوسو العقدة لرواحنا انا قلت كي ماشي من متالين كون هذيك المرايات وهذيك بقات الورد يدوهم، par seque وافقتي وكان يخلوها سايبة والله كون الحيط ويرفدوه.

ملحق ج: شبكة الملاحظة

شبكة الملاحظة

- 1- ملاحظة تردد الزبائن (من حيث جنسهم ،فئاتهم العمرية ، حالاتهم الصحية، ...)
- 2- ملاحظة مدخل الحمام وأيضا ما يحيط به من مرافق خدمتية يحتاجها المتردد على الحمام.
- 3- ملاحظة قاعات الحمام وتقسيماتها .
- 4- مشاهدة عملية الاستقبال في التعامل السياحي للزبائن في فضاء الحمام
- 5- ملاحظة المستحمين والمعالجين اثناء عملية الفحص الطبي وفي قاعات التدليك والعلاج
- 6- تسجيل بعض ممارسات المتكررين على الحمام وكذا كل ما يقترن بالحمام من السوق الشعبي وفضاءات الخضراء...الخ
- 7- تسجيل ملاحظات فيما يخص طقوس التطهير ونظافة الجسم، والعلاج والتواصل الاجتماعي بين السياح والمضيفين والأطباء
- 8- تسجيل الممارسات علاجية و مجمل الأدوات المستعملة في ذلك مع تسجيل الوضعيات والحالات التي يكون فيها المعالجين قبل وبعد العلاج
- 9- مشاهدة انطباعات السياح والعمال على حد سواء في فضاء الحمام وكل مرافقه

ملحق د: نموذج ملاحظة

دخلت امرأة سبعينية بخطى متثاقلة إلى قاعة الفحص وهي برفقة ابنة تمسك بيدها والتعب والارهاق باديان عليها وبعد الجلوس في قاعة الانتظار حتى خروج الحالة التي قبلها دخلت فبعد التحية والاستقبال أخذت الطبيبة في طرح الأسئلة على الحالة والتي تخص الحالة المرضية وكل ما يتعلق بها.

الطبيبة: صباح الخير الحاجة كي صبحتي شوية لباس أجلسي أعطيني لكارت تاعك (بطاقة العلاج)

أخذت تدون فيها كل المعلومات الشخصية من بطاقة التعريف الاسم واللقب والعمر والمدينة طبيعة المجيء إلى الحمام بعدها قالت

الطبيبة: الصباح كي تنوضي تنوضي معقودة؟

أجابت الحالة: يديا ايه منقدرش نحلهم والسطر

الطبيبة: اكي، وركايك يترتقو؟ _ مسلانك؟

الحالة: يوجعني بزاف

الطبيبة: وظهرك؟

الحالة: من فوق حتى للتحته (وأشارت الحالة لأماكن الألم)

الطبيبة: ولكرومب؟ تجيك في لي مولي؟

الحالة: ساعات تجيني مش دايمن كل خطرة كفاش

الطبيبة: تشربي دوا تاع السكر، لاطونسيو، والروماتيزم؟

الحالة: ايه بزاف جيت الشكاير تاع الدوا عندي السكر، لاطونسيو والروماتيزم

الطبيبة: السكر كاشيات ولا انسولين؟

الحالة: لالا كاشيات تريبان très bien , d'accord

الطبيبة: معندكش الدوا تاع الشحمة ولا القواتر؟

الحالة: معنديش الدوا تاع لاطونسيو

الطبيبة: متشربيش واحد الدوا كاشيات يخفف الدم؟ سنتروم؟

الحالة: ايه وحدة الصباح وحدة وخر تاع كل عشية على 4 أو 5 تاع العشية

الطبيبة: ok كل عام تجي؟

الحالة: كل عام نعاود ندير la prison en charge

دونت الطبيبة كل الملاحظات بالبطاقة الخاصة بالعلاج ثم وصفت الطبيبة بعد ذلك العلاج الحموي المناسب la cure لها، ثم اتجهت الحالة إلى تطبيق العلاجات وعلامات التعب بادية عليها.

ملحق د: الحالات المبحوثة من الاسياح الو افدين على حمام قرقور بشقيه

الحالة	الجنس	العمر	المدينة	الحالة العائلية	المهنة	المستوى الثقافي والتعليبي	مكان الالتقاء	الغرض من الزيارة
01	أنثى	40 سنة	حمام قرقور	متزوجة لها 3 أبناء	ماكثة بالبيت	متوسط	الحمام التقليدي	استحمام واستجمام
02	أنثى	45 سنة	حمام قرقور	متزوجة ليس لها أبناء	ماكثة بالبيت	متوسط	الحمام التقليدي	استحمام واستجمام
03	ذكر	61 سنة	سطيف	متزوج وله أبناء	متقاعد	متوسط	الحمام التقليدي	استحمام واستجمام
04	ذكر	67 سنة	أقبو بجاية	متزوج وله أبناء	متقاعد	متوسط	الحمام التقليدي	استحمام واستجمام
05	أنثى	58 سنة	الجزائر العاصمة	متزوجة ولها أبناء	عاملة	حسن	الحمام التقليدي	استحمام واستجمام
06	أنثى	40 سنة	الجزائر العاصمة	غير متزوجة	عاملة	حسن	الحمام التقليدي	استحمام واستجمام
07	أنثى	50 سنة	برج بوعريج	متزوجة ولها أبناء	ماكثة بالبيت	متوسط	الحمام التقليدي	استحمام واستجمام
08	أنثى	34 سنة	حمام قرور	متزوجة ولها أبناء	ماكثة بالبيت	حسن	الحمام التقليدي	استحمام واستجمام
09	أنثى	40 سنة	الجزائر العاصمة أصولها حمام قرقور	متزوجة ولها أبناء	عاملة	جيد	المركب المعدني	علاج راحة واستجمام

علاج راحة واستجمام	الحمام التقليدي	متوسط	ماكثة بالبيت	متزوجة ولها أبناء	بني يعلى بوعداس	77سنة	أنثى	10
علاج	المركب المعدني	متوسط	ماكثة بالبيت	متزوجة ولها أبناء	البليدة - الجزائر	62سنة	أنثى	11
استحمام واستجمام	المركب المعدني	حسن	ماكثة بالبيت	متزوجة ولها أبناء	جيجل	54سنة	أنثى	12
علاج راحة واستجمام	المركب المعدني	جيد (أستاذة)	متقاعدة	متزوجة ولها أبناء	الجزائر العاصمة	61سنة	أنثى	13
راحة واستجمام	المركب المعدني	عالي	محامية	متزوجة ولها أبناء	الجزائر العاصمة	53سنة	أنثى	14
استجمام راحة واستجمام	المركب المعدني	متوسط	ماكثة بالبيت	متزوجة ولها أبناء	بوقاعة	65سنة	أنثى	15
علاج راحة واستجمام	المركب المعدني	عالي	مفتشة بالمالية والضرائب	غير متزوجة	الجزائر العاصمة	41سنة	أنثى	16
علاج راحة واستجمام	المركب المعدني	حسن	ماكثة بالبيت	متزوجة ولها أبناء	الجزائر "عزازقة"	67سنة	أنثى	17
علاج راحة واستجمام	المركب المعدني	جيد	مقتصد تربية متقاعد	متزوجة ولها أبناء	الجزائر	63سنة	أنثى	18
علاج راحة واستجمام	المركب المعدني	جيد	أستاذة متقاعدة	متزوجة ولها أبناء	الجزائر	61سنة	أنثى	19
علاج راحة واستجمام	المركب المعدني	جيد	موظفة بشركة سونطراك	غير متزوجة	الجزائر	40سنة	أنثى	20
علاج راحة واستجمام	المركب المعدني	متوسط	ماكثة بالبيت	متزوجة ولها أبناء	بوعداس	40سنة	أنثى	21

علاج راحة واستجمام	المركب المعدني	عالي	أستاذة جامعية	متزوجة ولها أبناء	بومرداس	72 سنة	أنثى	22
علاج راحة واستجمام	المركب المعدني	جيد	موظفة	متزوجة لها أولاد	الجزائر	59 سنة	أنثى	23
علاج	المركب المعدني	حسن	ماكثة بالبيت	متزوجة ولها أبناء	الجزائر العاصمة	76 سنة	أنثى	24
راحة واستجمام	المركب المعدني	جيد	صحفي سابق	متزوجة ولها أبناء	الجزائر العاصمة	82 سنة	ذكر	25
علاج وراحة واستجمام	المركب المعدني	جيد	شرطي	متزوج وله أبناء	باب الواد	41 سنة	ذكر	26
علاج وراحة واستجمام	المركب المعدني	جيد	أستاذة متقاعدة	غير متزوجة	العلمة-سطيف	56 سنة	أنثى	27
راحة واستجمام	المركب المعدني	جيد	متقاعد جيش "مجاهد"	متزوج له أولاد	الجزائر العاصمة الأصل المنطقة	86 سنة	ذكر	28
راحة واستجمام	المركب المعدني	عالي	إطار متقاعد	متزوج له أولاد	بومرداس	75 سنة	ذكر	29
علاج راحة واستجمام	المركب المعدني	جيد	عاملة	غير متزوجة	بجاية	60 سنة	أنثى	30
علاج راحة واستجمام	المركب المعدني	عالي	رئيسة ممرضين	متزوجة لها أولاد	بومرداس	45 سنة	أنثى	31
راحة واستجمام	المركب المعدني	جيد	متقاعدة	غير متزوجة	العلمة-سطيف	62 سنة	أنثى	32
علاج راحة واستجمام	المركب المعدني	عالي	أستاذة متقاعدة	غير متزوجة	الشلف	61 سنة	أنثى	33

الحالات المبحوثة من الإطارات والموظفين والأهالي

أهالي المنطقة	إطارات سياحية أخرى	مسيرين بمركب الراحة للمجاهدين	مسيرين بالحمام التقليدي	موظفين بالمركب المعدني السياحي قرقور
<p>-رئيس جمعية البلاع</p> <p>-بائع بالسوق الشعبي</p> <p>-بائع بالسوق الشعبي</p> <p>-قاطن بالمنطقة</p> <p>-إمام مسجد سيدي الجودي</p> <p>-قاطن بالمنطقة</p>	<p>مدير السياحة</p>	<p>موظف بمصلحة الإعلام بمركز الراحة للمجاهدين</p>	<p>-مسير الحمام التقليدي 1</p> <p>-مسير بالحمام التقليدي 2</p> <p>-قابض بالحمام التقليدي</p> <p>-حلاقة بالحمام التقليدي</p>	<p>طبيبة - طبيب - مدلكة - مدير - مسير -</p> <p>موظف بالمصلحة التقنية - بموظف</p> <p>مصلحة الإعلام - قابضة بالمركب -</p> <p>موظفة بمصلحة الاستقبال.</p>

هـ- ملحق الصور



الصورة الجوية 01:

تمثل منطقة حمام قرقور والمنبع الحموي حمام قرقور (التقليدي ،المركب المعدني السياحي

،ومركز الراحة للمجاهدين).

الصورة الجوية 02:

تمثل حدود التوسع السياحي بمنطقة حمام قرقور والمنبع الحموي حمام قرقور



صور تبين النظرة المستقبلية لمركب حمام قرقور المعدني (التعديلات الجديدة بالمركب السياحي

حمام جديد+ فندق وتجهيزات أخرى).

المصدر : المركب المعدني السياحي



Les Caractéristiques

- Nom romain :** ADSAVA MUNICIPIUM
Altitude : 650 m
55 kms au nord-ouest de Sétif
Accès : air : aéroport Sétif
 Route : Autoroute Est ouest, sortie BBA
Climat : Sec
Température : 41.25 ° – 42 °
Débit : 19.44 L/S
Caractéristiques des eaux : Sulfatée calcique
Accueil : tout au long de l'année sauf le mois de ramadhan.
- Pour les enfants et les handicapés doivent être accompagnés.
 - Détente weekend et semaine

Vue Générale



La Situation Géographique



Les Indications Thérapeutiques

Rhumatologie

- ✦ Affections dégénératives articulaires ou arthrose
- ✦ Rhumatisme inflammatoire (en dehors des poussées évolutives)
 - Poly-artérite rhumatoïde
 - Rhumatisme psoriasique
 - Spondylarthrite ankylosante

Dermatologie

- ✦ Psoriasis
- ✦ Eczéma
- ✦ Acné

Rééducations fonctionnelles

- ✦ post traumatique

Les Structures :

- ✦ 300 Lits.
- ✦ 96 chambres diverses types
- ✦ 38 bungalows (F1, F2 et F3) modernisés
- ✦ 04 Villas + 02 Villas VIP
- ✦ 02 Restaurants d'une capacité totale de 300 Couverts
- ✦ 02 Cafeterias de 120 places
- ✦ 01 salle de cinéma de 120 places
- ✦ 02 salons d'honneur de 40 places
- ✦ Une grande piscine d'eau douce couverte
- ✦ 2 Médecins
- ✦ 2 Equipes soignantes (coté Homme et coté Femme)



Renseignements Sociaux



صور تبين مدخل حمام قرقور للنساء والرجال، المسمى حمام سيدي الجودي

المصدر: من الالتقاط الباحث.



صور تبين دكان الحمام التقليدي سيدي الجودي للنساء

المصدر: من الالتقاط الشخصي للباحث



تبين حوض الاستحمام بالحمام التقليدي سيدي الجودي نساء وللرجال

المصدر: من الالتقاط الباحث + المخبر الثاني



صور تبين المركب المعدني حمام قرقور السياحي

المصدر: من الالتقاط الشخصي للباحث +المخبر الثاني



صور تبين أحواض الاستحمام الفردية والجماعية بالمركب المعدني السياحي حمام قرقور

المصدر: من الالتقاط الشخصي + المخبر الثاني



الصورتين قاعة الترويض وتجهيزاتها بالمركب المعدني السياحي حمام قرقور

المصدر: من الالتقاط الشخصي + المخبر الثاني



صورتين صناعة الأواني الفخارية بمنطقة حمام قرقر



المصدر: غرفة الصناعات التقليدية

صور لنماذج من زربية القرقر



صور: تبيين الحمامات الروماتية بمنطقة حمام قرقور

المصدر: من التقاط الباحث+ المخبر الثانوي.



صور: تبين مصارف مياه الحمام نساء ورجال بمنطقة حمام قرقور

المصدر: جمعية نشاطات الشباب "البلاغ" حمام قرقور



صورتين مقارنة حمام قرقور في سنة 1931 و 2007.

المصدر: جمعية نشاطات الشباب "البلاغ"



الصورة 70-71 : تبين موقع زاوية ومسجد سيدي الجودي

المصدر: جمعية نشاطات الشباب + الباحث



صورتين زاوية سيدي الجودي
المصدر: من التقاط الباحث+ المخبر الثانوي



صور تبين طقوس التبرك بالولي سيدي الجودي -آثار الشموع والحناء بمدخل حمام النساء

المصدر: من التقاط الباحث



صورة تبين التداوي بالأعشاب في الحمام رجال وضع مسحوق الزعتر والزنجبيل + صورة منبع الماء الواد السارق

المعدني لتفتيت حصى الكلى

المصدر من التقاط المخبر الثانوي



مجموعة صور تمثل العلاج بالطين الحموي



صورة توضح مرض جلدي يتم معالجته بالمياه الحموية

المصدر:

Centre de recherche Rhumatologique et Thermal, Aix les bains

صورة تمثل بطاقة العلاج

HYDROTHERAPIE		Nbre	D	L	M	M	J
Bains Simples							
Douches S. Marines							
Massages sous l'Eau							
Bains de Siège							
Manuluxe							
Pédiluve							
Piscine Reed							
Piscine de Cheminement							
Douche Lombaire							
Douche au Jet							
Bains Alternatifs							
KINESITHERAPIE							
Massage à Sec							
Vibromassage							
Electrothérapie							
Paraffine							
Gymnastique Médicale							
Bicyclette							
IR , UV							
Rééducation							
Mécanothérapie							
Divers							

Poids Entrée Sortie

Diagnostic

Tristement

Régime

Date T. A.

1	6	13
2	9	16
3	10	17
4	11	18
5	12	19

3 Seance

Photo

E. P. E EST
S. P. A au Capital de 460.000.000
Complexe Thermal
H-GUERGOUR W. de Sétif
Tél. 036 40 25 00 & 036 40 14 14 Fax 036 40 60 15

بطاقة العلاج
Carte de Soins

DOSSIER N°

Nom

Prénoms

Curiste AS CL

Caisse ch. N° Bw. N° Externe

Arrivée

Départ

R.V.

Cette Carte est Personnelle
A Présenter à la Prochaine Cure

أسعار الفندق

مجمع فندقية وسياحة وخدمات معتمدة
Groupe Hôtellerie Tourisme et Thermalisme
HTT
Entreprise De Gestion Touristique de l'Etat
Epe/Spa au capital social de 3 460 000 000 DA
Complexe Thermal Hammam Guergour
Tél : 036 40 25 00 / 60 11 / 60 14 & Fax : 036 40 60 12 / 15
Email : dirguerg@gmail.com

TABLEAU DES TARIFS

HEBERGEMENT A L'HOTEL

CHAMBRE	SINGLE	4 500.00
CHAMBRE	DOUBLE	5 900.00
CHAMBRE	TRIPLE	6 400.00
DRESSING	SINGLE	5 500.00
DRESSING	DOUBLE	6 000.00
BUNGALOW	F1	6 000.00
BUNGALOW	F2	7 500.00
BUNGALOW	F3	8 500.00
VILLA	F3	15 000.00
VILLA	F5	20 000.00

SOIN EXTERNE 1 000.00

* UNE SEMAINE EN PENSION COMPLETE ... 42 000.00
Soins Compris Pour Une Personne

* UNE SEMAINE EN PENSION COMPLETE ... 84 000.00
Soins Compris Pour 2 Personnes

مجمع فندقية وسياحة وخدمات معتمدة
Groupe Hôtellerie Tourisme et Thermalisme













HYDROTHERAPIE

	Nbre	D	L	M	M	J
Bains Simples						
Douches S. Mornes						
Massages sous l'Eau						
Bains de Siége						
Manuvre						
Pédure						
Piscine Reed						
Piscine de Cheminement						
Douche Lombaire						
Douche au Jet						
Bains Alternatifs						

KINESITHERAPIE

Message à Sec						
Vibromassage						
Electrothérapie						
Paraffine						
Gymnastique Médicale						
Bicyclette						
IR , UV						
Rééducation						
Mécanothérapie						
Divers						

Poids Entrée _____ Sortie _____

Diagnostic _____


Traitement _____

Régime _____

Date T. A. _____

1	6	13
2	9	16
3	10	17
4	11	18
5	12	19

3 Seance



E. P. E. EST
S. P. A au Capital de 460.000.000
Complexe Thermal
H-GUERGOUR W. de Sétif
Tél. 036 40 25 00 & 036 40 14 14 Fax 036 40 60 15

بطاقة العلاج Carte de Soins

DOSSIER N° _____

Nom _____

Prénoms _____

Curiste AS CL

Caisse ch. N° Bw. N° Externe

Arrivée _____

Départ _____

R.V. _____

Cette Carte est Personnelle
A Présenter à la Prochaine Cure

مجمع قنطرة وسراة و حمامات معدنية
Groupe Hôtellerie Tourisme et Thermalisme
HTT
Entreprise De Gestion Touristique de l'Est
Epe/Spa au capital social de 3 460 000 000 DA
Complexe Thermal Hammam Guergour
Tél : 036 40 25 00 / 60 11 / 60 14 & Fax : 036 40 60 12 / 15
Email : dirguerg@gmail.com

TABLEAU DES TARIFS

HEBERGEMENT A L'HOTEL		
CHAMBRE	SINGLE	4 500.00
CHAMBRE	DOUBLE	5 900.00
CHAMBRE	TRIPLE	6 400.00
DRESSING	SINGLE	5 500.00
DRESSING	DOUBLE	6 000.00
BUNGALOW	F1	6 000.00
BUNGALOW	F2	7 500.00
BUNGALOW	F3	8 500.00
VILLA	F3	15 000.00
VILLA	F5	20 000.00

SOIN EXTERNE 1 000.00

* UNE SEMAINE EN PENSION COMPLETE ...	42 000.00
<i>Soins Compris Pour Une Personne</i>	
* UNE SEMAINE EN PENSION COMPLETE ...	84 000.00
<i>Soins Compris Pour 2 Personnes</i>	

مجمع قنطرة وسراة و حمامات معدنية
Groupe Hôtellerie Tourisme et Thermalisme

سعت هذه الدراسة إلى الكشف عن طابع الممارسات السياحية في المحطة الحموية قرقور بمدينة سطيف ووفق مقاربة أنثروبولوجية غدتها الجرأة العلمية في كشف أغوار الميدان متسلحين بالملاحظة بالمعايشة والمقابلة كمعدات بحثية هامة لنكشف أن حمام قرقور جوهره الهضاب ومستقبل السياحة الحموية بالمنطقة هو فضاء سوسيو- ثقافي بامتياز وتراث حموي ذو امتداد تاريخي وحضاري تحتفظ به الذاكرة الجمعية له مقومات هامة لكن في ظل غياب مشروع ثقافي سياحي في عمليات التنمية زاد من تحديات الممارسة السياحية الحموية بالمنطقة، كما تم الوقوف على أن دعم الطابع التقليدي الثقافي والتراثي بالمنطقة يعد رهان حقيقي لإنجاح مشروع التنمية السياحية بحمام قرقور.

الكلمات المفتاحية: الممارسة، السياحة، السياحة الحموية، التراث، التنمية، التمثلات، الأصالة.

Summary :

*This study sought to reveal the nature of tourism practices in the **Hamam Guergour** station in the city of Setif, and according to an anthropological approach fueled by scientific audacity in discovering the depths of the field, armed with observing the experience and navigation, living and interviewing as important research equipment to reveal that the **Hamam Guergour** is the jewel of the hills and the future of fever tourism in the region is a socio-cultural space par excellence and Hama heritage It has a historical and civilized extension preserved by the collective memory. It has important components, but in the absence of a cultural tourism project in the development process, it has increased the challenges of the thermal tourism practice in the region. It was also established that supporting the traditional cultural and heritage character in the region is a real bet for the success of the tourism development project in **Hamam Guergour**.*

Keywords: practice, representations, tourism, healing tourism , heritage, development, authenticity.

Sommaire :

*Cette étude visait à révéler la nature des pratiques touristiques dans la station **Hamam Guergour** de la ville de Sétif, et selon une approche anthropologique alimentée par l'audace scientifique dans la découverte des profondeurs du terrain, armé **d'observation par la** l'expérience et l'entretien comme un important matériel de recherche. pour révéler que le **Hamam Guergour** est le joyau des collines et l'avenir du tourisme thermal dans la région est un espace socio-culturel par excellence et patrimoine .**Hamam Guergour** a une extension historique et civilisée préservée par la mémoire collective. Il a des composantes importantes, mais en l'absence d'un projet de tourisme culturel dans le processus de développement, il a accru les défis de la pratique touristique thermal dans la région. Il a également été établi que soutenir le caractère culturel et patrimonial traditionnel de la région est un véritable pari pour la réussite du projet de développement touristique à **Hamam Guergour**.*

Mots clés : pratique, représentations, tourisme, tourisme thermal, patrimoine, développement, authenticité.